

نزل فن المغرب

القصيدة

الدكتور
عباس بن عبد الله الجباري
أستاذ بكلية الآداب
جامعة محمد الخامس

كلمة شكر

أتوجه بها للفاضل المحترم الحاج
عبد القادر المكناسي الذي أنفق على
طبع هذا البحث فأتاح له ان يعرف النور

إلى أبي

تصدير

بقلم الدكتور عبد العزيز الـهوانى

اختلف موقف القدماء من الادب العامى وما يتصل به اختلافًا يسترعى النظر . فلو بدأنا بفرع من فروع هذا الادب - يعتبر اقرب ما يكون للادب المغرب وهو التوشيح - لوجدنا ان أحد المؤلفين الاندلسيين، وهو أبو الحسن بن بسام ، يرفض أن ينقل منه شيئاً فى كتابه «الذخيرة» ، على الرغم من أن ابن بسام ألف هذا الكتاب غضباً لاهل الاندلس ودفاعاً عنهم ، وعلى الرغم من أن رأى ابن بسام فى الموشحات الاندلسية أنها «أوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب» وحبته فى رفض هذه الاوزان أن «أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» لذلك اسقط الموشحات من ديوانه ، وراها خارجة عن غرض تأليفه .

ومع ذلك فقد عاش فى القرن السادس نفسه شاعر مصرى كبير ، هو ابن سناء الملك ، وقف من هذا الفن الجديد موقفاً مناقضاً لزميله الاندلسى ، فقد أقر ابن سناء الملك كتاباً خاصاً لفن التوشيح ، هو كتابه «دار الطراز» استقبل فيه هذا الفن الاندلسى استقبالا رائعاً جعله يقول : «ان الموشحات مما ترك الاول للآخر ، وسبق بها المتأخر المتقدم ، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وغادر بها الشعراء من متردم» ويمضى ابن سناء الملك فى التعبير عن إعجابه الشديد بالموشحات فيقول عنها «صار المغرب بها مشرقاً لشروقها بأفقه ، واشراقها فى جوه ، وصار أهله بها أغنى الناس لظفرهم بالكثر الذى ذخرت له الأيام ، وبالمعدن الذى نام عنه الانام .»

وإذا كان موقف ابن بسام هو هذا من التوشيح الذى يستخدم اللغة العربية أداة للتعبير ، فماذا يكون موقفه من فن الزجل الذى يستخدم اللغة العامية ، والذى ينفر أصحابه من الاعراب نفورا جعل ابن قزمان يرى أن الاعراب «أقبح ما يكون فى الزجل ، وأثقل من اقبال الاجل» ؟

ومع ذلك فإن أبا محمد الحجارى الاندلسى - وهو من عصر ابن بسام أيضا - قد أودع كتابه «المسهب فى غرائب المغرب» عددا ضخما من الأزجال ، فضلا عن الموشحات ، نقل منها وأضاف إليها ما أضاف على بن سعيد فى كتاب «المغرب فى حل المغرب» ، وكذلك ألف ابن الدباغ المالى «مدح الزجالين» ثم ألف لسان الدين بن الخطيب «جيش التوشيح» وذكر ابن خلدون الفنين فى مقدمته ، ونقل نموذجا منهما .

وكذلك كان موقف القدماء من الامثال العامية : يفرد لها أبو يحيى الزجالي القروطى فصلا فى كتابه «رى الاوام» وابن عاصم الغرناطى فى «حدائق الازاهر» ويتحاشى ذلك غيرهما من مؤلفى كتب المسامرات والمحاضرات .

وما يقال عن فنون الادب العامى فى المغرب يقال عن نظائرها فى المشرق ، وعن مواقف مؤرخى الادب المشاركة منها . وما يقال عن المؤرخين يقال أيضا عن الادباء من شعراء ونثرين ، فمنهم من شارك فى النوعين جميعا ، ومنهم من اقتصر على الادب التقليدى أو الرسمى وحده ، ومنهم من انقطع الى الادب العامى دون سواه .

ولا شك أننا واجدون أسبابا شخصية أو فردية وراء كلا الموقفين حين نريد معرفة الدوافع التى جعلت أحد الادباء يتجه وجهة غير التى يتجه اليها الآخر . ولكن هذه الاسباب الشخصية والمواقف المتناقضة بين أصحاب الاقلام من المؤرخين والادباء ، ومن يمتلكون القدرة على التدوين والتصنيف ، لا ينبغي أن تحجب عنا القضية الكبرى .

تلك القضية هى أن عبقرية الامة ، ممثلة فى جماهيرها الغفيرة ، لابد أن تجد لها متفلسا ومنظما للتعبير عن مشاعرها ، ولابد أن تصطنع لها

من أساليب الفنون ما تصور به ذات نفسها . فإذا ما سد أمامها باب فتحت لنفسها بابا آخر ، وإذا كثرت العقبات والعراقيل في طريق سلكت طريقا آخر ، وإذا لم تجد عند الأديب المتفصح الاستجابة الكاملة لذوقها وشعورها وفهمها بحثت عن الأديب العامي والفنان الشعبي ، غير مقتصرة على فن القول وحده ، بل متجاوزة ذلك الى فنون التعبير الأخرى من موسيقى وغناء وتصوير ونحت وعمارة وزخرفة وصنائع يدوية . وكل هذه الفنون ، جملة وتفصيلا ، ميراث لهذه الأمة ، يحمل فيضا من مواهبها ، ويبرز جوانب من عبقريتها ، ويظهر سمات وخصائص من حياتها الطويلة العريضة .

وقد أتى على الأمة العربية حين من الدهر صار فيه أدباء العربية - لأسباب كثيرة - في عزلة أو شبه عزلة عن مجموع الشعب . لقد أخذ هؤلاء الأدباء يدورون حول أنفسهم في نطاق ضيق خائق من الموضوعات ومن المعاني والأخيلة ، ويعنون بالصنعة اللفظية ، ويتلاعبون بالصيغ أو الحيل البلاغية تلاعبا باعد بين أدبهم وبين الحياة العامة . وهناك اتسع المجال أمام الآداب الشعبية ، فعوضت هذا النقص بما انتجه مواهب أصحابها في ميادين القصص والحكايات والخرافات ، وفي ميدان الشعر بأنواعه المختلفة وأساليبه المتعددة ، وكان الازدهار الذي يعرفه مؤرخو هذه الفنون ابتداء من القرن السادس الهجري وما تلاه ، فلما عاد أدباء العربية في نهضتهم الحديثة الى ممارسة مهمتهم الأصلية ، وإلى أداء رسالتهم الثقافية الكبرى نحو أممتهم ، أخذت حواجز العزلة ترتفع ، وأخذت الصلات الطبيعية بين صاحب الفن وشعبه تعود سيرتها الأولى شيئا فشيئا ، واقتربت المسافة بين الأدب الرسمي والأدب الشعبي ، وأصبح الأخير مصدر الهام وإيحاء للأول ، بل اقتربت المسافة بين لغة الثقافة ولغة الحديث اليومي ، اذ ارتفع مستوى الأخيرة بانتشار التعليم وذيوع الثقافة ، ومالت الأولى الى السلاسة والمرونة وابتعدت عن التكلف والتعقيد ، وفي هذا كله ما فيه من كسب ثقافي ومن تفاعل مشر خصب ، ومن رد الأمور الى مجاريها الأصلية .

وهذه الظروف الثقافية والاجتماعية التي ردت أدباء العربية الى

مشاركة الجماهير تعبيرا وأداء في العصر الحاضر ، هي أيضا التي جعلت المحادثين من مؤرخي الادب العربي يعيدون النظر في تاريخ أمتهم الثقافي ، فلا يقفون بهذا التاريخ عند حدود الادب الرسمي وحده ، وانما يمدون دراساتهم الى الآداب الشعبية ، ليسعروا أبناء الجيل الحديث بأن تراثهم الادبي أكثر غنى وثراء وخصوبة وتنوعا مما كانوا يظنون من قبل ، فتعود اليهم بذلك الثقة بأمتهم وبماضيها وتراثها . هذا فضلا عن أن دراسة هذه الآداب الشعبية واجب مفترض على كل مؤرخ متى كان عارفا حدود مهنته ، صادقا في أداء مهمته التاريخية .



وهذه الدراسة المستفيضة التي بين أيدينا للدكتور عباس الجاردي حلقة في سلسلة طويلة لدراسات جامعية شملت كثيرا من أقطار العروبة ، نهض بها وينهض أبناء من علماء تلك الاقطار . ولقد أخذ كثير من هذه الدراسات طريقه الى المطابع شرقا وغربا .

ولا شك أن الجهد الذي بذله الباحث جدير بكل تقدير وثناء ، وأنه به يسدى لنا الى تاريخ الثقافة العربية ، لاسيما وميدان هذه الدراسة هو هذا المغرب العربي الذي قام بدور رائح في الادب العامي ، حيث استحدثت فنين ذاعا في الوطن العربي كله ، هما التوشيح والزجل ، بل ان اثرهما تجاوز الوطن العربي الى الآداب الاوربية في القرون الوسطى ، فكان لهما فضل - يعترف به اليوم - على تلك الآداب .

ومطالعة هذه الدراسة وقراءة النصوص التي اشتملت عليها يؤكد لدارسي الادب العربي حقيقتين :

أما أولاها فهي أن هذا الادب العامي قد استوعب الى حد كبير الثقافة العربية في أصولها الكبرى ومنابعها الاصيلية . لقد وجد الشاعر العامي في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية وسيرة الرسول والخلفاء من بعده معينا لا ينضب ، كما وجد في أخبار فرسان العرب وعشاقهم في الجاهلية والاسلام نماذج يشيد بها ، بل اننا لنجد هذا الشعر العامي وثيق الصلة بالشعر العربي فيما يتصل بالاغراض والموضوعات من غزل ووصف

ح
وخبريات ومديح وثناء ، وفيما يتصل بالمعاني والصور البيانية والخييلة
واساليب المعالجة ، فضلا عن المثل العليا المشتركة ، وذلك الى ما يضيفه
هذا الادب العامي من أصالة وصدق ، ومن وثبات للمواهب تنطلق بين
حين وحين هنا وهناك ، ومن تعبير رائع عن الجماعة التي عاش فيها بكل
ما لها من أحلام وآمال .

أما الحقيقة الثانية ، وهي بغیر شك مرتكزة على الأولى ، فهي هذه
القربى بين الادب العامي في المغرب والآداب العامية في المشرق ، فالدراسة
السريعة المقارنة بين هذه الأشعار المغربية ونظائرها في الجزيرة العربية
والعراق والشام ومصر تكشف عن تشابه لا يمكن أن يكون عرضيا ،
وأحسب أنها لا ترتد الى مجرد الشبه الحضاري القائم فعلا بين هذه
المجتمعات كلها في ماضيها وحاضرها ، بل اعتقد أن شعراء العامية هؤلاء
كانوا يتدارسون تراثا عاما مشتركا ، وكانوا على صلة مستمرة فيما بينهم
وإن بعدت الدار . ولعلنا نجد مصداق هذا فيما ذكره ابن سعيد من أنه رأى
أزجال ابن قزمان القرطبي مروية ببغداد أكثر مما رآها بحواضر المغرب ،
ويؤكد هذا أيضا العناية الفائقة التي خص بها صفى الدين الحلي ورجالي
المغرب في كتابه عن الفنون العامية المسمى «العاطل الحالي» .

وكم كنت أتمنى أن يبذل الدكتور عباس الجراوي جهدا آخر في
الكشف عن صلة هذا الشعر المغربي بالشعر العربي ، وفي مقارنته بالشعر
العامي المشرقي ، ولكن من الحق أن يقال أننا لا نزال اليوم في مرحلة الجمع
والدراسة في نطاق البيئات الخاصة . حتى إذا قطعت أشواط في هذه المرحلة
جاءت المرحلة التالية : مرحلة المنايع والدراسات المقارنة . وحسبنا أن نجد
هؤلاء الدارسين من أولى العزم في كل قطر عربي لنظامن الى أن ما نطمح
اليه من دراسة شاملة مقارنة سيجيء حتما ، وفي وقت قريب ، وأملنا في
صاحب هذا البحث وزملائه كبير .

القاهرة في مارس 1970

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكل امة تراث هو عنوان شخصيتها الوطنية يعبر عن قدرة عقليتها ، ويحدد مدى عبقريتها ، ويكشف عن قوة ارادتها ويبرز طابعها القومي الاصيل في مجالى الحضارة والثقافة . وقد مضى زمن غير يسير كان الناس - عامة وخاصة - يظنون ان هذا التراث لا يتمثل في غير ما ألف العلماء من كتب تحويها بطون الخزائن والمكتبات ، وفيما اقامت الاجيال خلال حقبة التاريخ من آثار لم يتلفها توالى العصور والازمان ، ويغفلون جانبا من التراث ، لعله لا يقل عن هذين الجانبين في توضيح معالم كيان الامة وملامح وحدتها وابرار مقوماتها وقيمها ، ان لم يكن اكثر منها عكسا لروحها القومي وذاتيتها الجماعية ، وهو الجانب الممثل في الآداب والفنون التي صدرت عن الشعب فردا وجماعة ، متخذة وسيلتها في التعبير الوانا من القول والكلام والنغم والايقاع والحركة والاشارة والرسم والتشكيل .

وانطلاقا من هذه الحقيقة بدأنا نهتم بالتراث الشعبى فى المغرب ، نحاول جمعه ودراسته ، فالفينا مادته متنوعة غزيرة ، وهى على تنوعها وغزارتها تنقرض وتضيع فى غمرة التيار الحضارى الجديد الذى بهر الناس بريقه فجعلهم يدوسون هذا التراث ، جاهلين او متجاهلين انهم يدوسون فيه مقومات ثقافتهم الوطنية ومظاهر حضارتهم الاصيلية .

وكانت رغبتنا ملحة واكيدة حين عزمنا على اختيار موضوع لرسالة الماجستير ، ان نتناول جانبا من الادب الشعبى ، وهو أدب يغرينا ويجذبنا اليه فنحس له ميلا غير قليل ، فقد رافقنا رفقة عمر منذ عرفناه ترنينا فى

المهد ، لاندركه ولا نعيه ، الى ان طربنا له واعين روعته ومدركين جماله ، فأحببناه وغدونا من حبه نشعر بمزاج متجاوب معه ومنسجم بالطبيعة وأنسليقة دون ما تكلف او تصنع . ولكننا لم نحس الجسرة على مواجهة الجمهور المثقف المغربي بمثل هذه الدراسة ، لاسيما بعد تجربة سابقة عانينا فيها الكثير وكنا قد نشرنا (1) بحثا مسلسلا عن «الفولكلور» .

عدلنا في الما جستير عن الادب الشعبي وسجلنا موضوعا في الادب المعرب المغربي ، متصلا بعهد الموحدين ، ادركنا دراسته حول الشاعر الامير ابي الربيع سليمان الموحدي ، ولكننا وعدنا نفسنا بضرورة انجاز بحث الدكتوراة في احد فروع التراث الشعبي .

وهانحن نفى اليوم بهذا الوعد حيث تقدم اطروحة جعلنا موضوعها لونا من الادب الذي اتخذ اللهجة العامية اداته . وتعتبر هذه الاطروحة خلاصة جهود متواصلة في الاعتناء بهذا الجانب من التراث الشعبي أكدت لنا الدوافع التي كانت حافزا الى الاقبال عليه ، وهي :

- 1 - ان الادب الشعبي صورة للشخصية الوطنية ، مهما كانت باهتة فهي اوضح من الصورة التي يعكسها الادب المدرسي المثقف .
- 2 - ان دراسته تعزيز لاقليمية الادب وتقرير لمذهبه الذي تؤيد الداعين له منهاجا للكشف عن ادب الاقاليم العربية المختلفة وسبيل الامة العربية الى لم شتات ادبها المبعثر المجهول .
- 3 - ان الادب اشعبي مكمل للادب المدرسي وان من شأن دراسته ان تساعد على الربط بين الادبيين واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما .



وقد صادفنا في انجاز هذه الرسالة متاعب ومصاعب ، بعضها يتصل بموقف المثقفين في المغرب من الادب العامي ، واغلبها يتصل بمصادر الدراسة اما موقف المثقفين فواجهنا فيه انكارا مطلقا علينا ان نتخذ الزجل (1) في مجلة «دعوة الحق» وفي ثلاث حلقات ابتداء من عدد نوفمبر 1962 (السنة السادسة)

موضوعا لرسالة جامعية ، وحاول كثير من الباحثين الاصدقاء تحويل فكرنا عنه واغراءنا بموضوعات في الادب المغرب المغربي او بما يروونه التراث الحقيقي الاصيل . وهم في هذا بين عدم معتبر للآداب والفنون الشعبية من التراث ، لا يمثل قيمتها ولا يراها جدرة بالبحث ، وبين معترف بها ومقتنع بجدية الدراسة التي بدير عليها ، ولكن يراها تستهدف التسلية والترويح وتأتي بذلك في المرتبة الثانية بعد التراث المدرسي ، لا يعدو الاهتمام بها أن يكون ترفا للعقل وترفيها عن النفس ، وآخر يرى ان العامة اثر من بقايا فترة التآخر والانحطاط ورواسب عهد الاستعمار ، وان الاعتناء بها يعرقل سير التعريب الذي يسعى المغرب الى تحقيقه ، وانه لا يمثل غير حركة رجعية هدامة تستتر خلف المحافظة على الآداب الشعبية .

ولعلنا ان نؤكد لهؤلاء جميعا ان الادب الشعبي جزء ركين من التراث وأنه تعبير عن مقومات الشخصية الوطنية والذاتية الجماعية ، وان الاهتمام به اهتمام بهذه الذاتية وتلك المقومات ، وانه لو لم يكن كذلك ما حاول الاستعمار ان يعنى ببعض جوانبه ليتسنى له ان يتسرب من خلالها اليها ليفهم عقليتنا ويدرك اعماق ثقافتنا واصول حضارتنا لينسفها من الاساس ونحن مع استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد يونس نخطئ من تصور ان الآداب والفنون الشعبية «تستهدف التسلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل تلتئم لها المواسم وتنتخب لها اماكن التجمع . ان التسلية والترويح وظيفة ثانوية ، اما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب المحافظة على ذات الفرد العزيز في امته وتطلب المحافظة على الجماعة كلها في آن واحد (1)» .

ولعلنا ان نؤكد كذلك ان العامة ليست مظهرا من مظاهر اللغة الفصحى في صورة منحطة متأخرة ، وانها مزيج مركب من العربية كما وفدت الى المغرب ومن اللغة المحلية يومئذ ونعنى بها البربرية ، وان العربية التي وفدت لم تكن الفصحى وحدها وانما كانت معها لهجات عربية قبلية ،

(1) من المقال الافتتاحي لمجلة (الفنون الشعبية) بعنوان «المأثورات الشعبية» العدد الاول السنة الاولى 1965

وان الصراع اللغوى الذى دار فى المغرب لم يكن بين الفصحى والبربرية وانما بين هذه ومختلف اللهجات التى كان يتكلم بها العرب الوافدون .
ومن هنا - واذا ما تهيأت دراسة اللهجات العربية فى كل الاقاليم -
أمكن التعرف الى صفاتها وخصائصها والى ما بها من عناصر أصيلة ،
واتضح بالتالى كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ، بل اذا ما تهيأت
هذه الدراسة سهل تحديد مناطق التقريب بين العاميات وتوحيدها وسهل
كذلك تطوير الفصحى وامدادها بكثير من الجديد .

ولعلنا ان نؤكد بعد هذا حقيقة أخطأ فى ادراكها من كان يتصور ان
الاستعمار كان يحاول القضاء على الفصحى لحساب العامية ، فمن المؤكد
انه كان يقصد الى محوهما جميعا ليحل لغته وينشرها اداة للتخاطب والفكر
على السواء . ولسنا فى حاجة الى القول بأنه لم يعد يخشى على الفصحى
ان يقضى عليها او تزول بعد ان عادت سيادة الوطن العربى الى ابنائه ،
فاللغة العربية الفصحى هى الرباط الجامع لشمس العرب وعماد قوميتهم
وعنوان وحدتهم ، وهو واقع لا ينكره الا الجاهلون والمعادون ومن بقيت
فى نفوسهم وأفكارهم رواسب الاستعمار ، ولكنه انكار لا يؤثر على هذا
الواقع فى شىء .

وحقيقة أخرى فى نفسنا نرجو ان نصرح بها للذين يرفضون دراسة
الزجل خشية على العروبة ولغتها ، وهى ان اتخاذ المغاربة للهجة عامية
عربية اداة للتعبير الشعري دليل واضح وقاطع على عروبتهن وحيويتهن
وحبهم للغة العربية ، ولكن حذار الظن بأننا ندعو لها لغة للفكر ، فهى قاصرة
وعاجزة عن أن تتعدى نطق ذلك التعبير . ثم اننا فى غنى عنها بلغتنا
الفصحى التى يتوفر لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على استيعاب كل
جديد .

واما المصادر فعلى اربعة انواع :

1 - الابحاث التى تتصل مباشرة بالدراسة ، وهى جد قليلة لاتتعدى
بضع مقالات . وكان قد ذكر لنا الاستاذ محمد الفاسى انه مهتم منذ
خمس وثلاثين سنة بوضع عروض للشعر الملحون المغربى فاعتبرناه بذلك

رأى البحث في الادب الشعبي ، وسألناه اكثر من مرة - بالاتصال الشخصي وانوسائط والرسائل - ورجونا واليحدثنا في الرجاء عساه يمدنا بما قد يعيد ، ولكنه كان ابدا يردنا ويصدنا مهولا لنا امر هذا الادب ، بخيلا علينا بما قد يكون جمع من نصوصه او كتب عنه ، وشجيجا حتى بالكلمة الطيبة، ننير لنا الطريق او تبعث التشجيع في نفسنا على الاقل .

2 - الاشياخ : سواء منهم اشعراء أو الرواة . وقد اتصلنا في مختلف المدن المغربية بعدد منهم غير قليل ، وكان اعتمادنا عليهم كليا في التعرف الى الزجل والزجالين ، ولكننا وجدناهم يختلفون في العلم الى حد التنافض في بعض الاحيان ، ويروون اخبارا اقرب الى الخوارق والخرافات منها الى الحقائق . وكان علينا ان ننظم مانأخذ عنهم من معلومات واحبار ، فوضعنا فهرسين بالجداولات احدهما خاص بالزجل وانما بالزجالين مرتب ترتيبا تاريخيا ، وكان علينا بعد هذا ان نصف ما نأخذ عنهم من معلومات ونغربلها وننسق فيما بينها . ومع اننا وجدنا في ذلك مشقة وصعوبة ، فقد تمكنا في النهاية ان نصل الى تحديد مقاييس الزجل وقواعده والتاريخ له .

3 - النصوص الزجلية وتمثل في :

أ - النصوص المطبوعة : وهي جد قليلة لا تتعدى ديوانا صغيرا وبضع قصائد متفرقة .

ب - النصوص المخطوطة : تتضمنها مجموعة الكنائيش التي وقفنا عليها في المكتبات العامة والخاصة . ونسجل هنا اننا لم نتمكن من الاطلاع على مجاميع الخزانة العامة المرقمة في حرف د : 474 - 1426 - 1504 1535 ، وقد تبين لنا بعد البحث الطويل عنها انها اخرجت من الخزانة وانها في حوزة الاسناذ الفاسي . وخاطبناه في ان يسمح باطلاعنا عليها ولكنه لم يستجب . كذلك سألناه اكثر من مرة ان يمدنا ببعض القصائد وخاصة قصيدة - المصرية - وهي قصيدة طويلة لا يحفظها الاشياخ كان قد نظمها محمد بن علي العمراني في احتلال بونا بارت لمصر . وكنا سألناه عنها فأخبرنا انها مدونة لديه . وطلبنا منه - شفاهها وكتابة - ان يطلعنا

عليها او على جزء منها ولكنه للأسف لم يفعل .

ج - النصوص المروية وقد جمعنا منها عددا غير قليل بواسطة التسجيل الصوتي والتدوين الكتابي سواء من الاذاعة أو من أفواه الشعراء والمنشدين . وقد لاحظنا ان الاذاعة لا تتوفر الا على عدد قليل من القصائد بسبب حداثة عهدها بنظام التسجيل الصوتي ، كما لاحظنا ان محفوظات الاشياح تدور في نطاق عدد معين من القصائد لا تخرج عما يرغب الجمهور في الاستماع اليه ، بل ان تقرير جمعية - هواة الطرب الملحون - بمراكش لسنة 64-65 يثبت ان محفوظ اعضاء الجمعية - منشئين ومنشدين وهواة - لا يتعدى سبعا وتسعين ومائة قصيدة ، وان اكثر الشعراء حظا وهو التهامي المدغري لا يحفظ له اكثر من اثنين وثلاثين قصيدة . ويتبنت تقريرها للسنة التالية ان عدد الاشياح الذين انشدت اشعارهم لا يتعدى الخمسين .

ولم يكن سهلا علينا ان نفهم هذه النصوص ، وخاصة منها المدونة ، بسبب تطور اللهجة وعدم معرفتنا بمعاني كثير من الكلمات وكيفية النطق بها وطريقة قراءة البيت بما يقيم الوزن . وحتى بالنسبة للنصوص المملوطة فقد كان الامر غير يسير ، اذ ان الحفاظ يختلفون في نقل النص الواحد ، وغالبا مايروونه محرفا غير صحيح الا من كانوا منهم عارفين بالفرن مدركين لمقاييسه ، ومثل هؤلاء يحاولون التصرف في النص بالتبديل والاصلاح .

وكان احساسنا بهذه الصعوبة قويا حين حاولنا - مجتهدين فسي الغالب - ان نضبط النماذج التي اوردنا ونشكلها لتسهيل قراءتها ويقرب فهمها (1) ولنفس الغاية حاولنا كتابة النصوص حسب نطقها او بالاحرى حسب النطق الذي اهتمدنا اليه ، بالاضافة الى اننا قدمنا شروحا لما رأيناه غامضا من الكلمات والتراكيب ، والى اننا لجأنا في باب الموضوعات الى نشر ما استشهدنا به من نصوص .

4 - ماكتب بالعربية او غيرها في الموشحات والازجال واللهجات والتاريخ والتراجم والآداب . وقد حاولنا ان نقف فيها على تجارب الآخرين وخبراتهم العلمية والعملية عسانا نستخرج منها بعض ما قد يساعدنا فيما (1) الاسف شديد اننا لن نتمكن من اثبات الشكل في هذه الطبعة لان الحروف المستعملة في الطباعة بالمغرب لا تتيح ذلك .

ومن سنده من دراسة لموضوع بكر جديد . وقد اتيح لنا خلال الرحلة العلمية التي قمنا بها لتركيا واسبانيا ان نقف في حرائن اسطنبول ومديريد والاسكوريال على مصادر انارت لنا بعض مسالك السير . وكان املنا ان نجد في مصادر الادب المغربي القديمة بعض النصوص الزجلية ، ولكننا وجدنا المؤلفين يعرضون عن ايرادها بل حتى عن ايراد الموشحات على حد مايقول عبد الواحد المراكشي متحدثا عن عبد الملك بن زهر : واما الموشحات خاصة فهو الامم المدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي يجرى كل من بعده اليها ، هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا ان العادة لم تجر بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لاوردت له بعض مايفي على خاطري من ذلك» (1)



وكان المنهاج الذي سمرنا عليه في البحث هو نفس المنهاج الذي ندعو له في دراسة كل ادبنا وتراثنا عامة ، ويتلخص في اربع مراحل ، يحتاج انجازها - كلها او بعضها - الى جهود فردية وجماعية تعمل في تكتل وتناسق وتكامل ، وهي :

- 1 - التعرف الى المصادر والتعريف بها بوضع فهرس لمخطوطات الخزائن العامة والخاصة .
- 2 - اخراج النصوص مجردة أو محققة ان امكن .
- 3 - دراسة هذه النصوص دراسة تحليلية تقوم على الوصف والتقرير
- 4 - دراستها دراسة نقدية ومقارنة .

فقد بدأنا بحصر مصادر الزجل الموجودة في كل المكتبات العامة وبعض الخزائن الخاصة ، بالاضافة الى ما سجلناه من الاذاعة وافواه الاشياخ ، وتجمع لنا من ذلك نحو الف نص ، منه مايقرب من ربعة مكرر ، ولكن تكراره اتاح لنا مقابلة بين النصوص التي وقفنا منها على اكثر من نسخة . وقد صنفنا هذه النصوص ووضعنا لها فهرس على هذا النحو :

(1) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 92 مطبعة الاستقامة - القاهرة سنة 1949

اولا : فهرس لكل مجموع او كناش .

ثانيا : فهرس بالجداول للقصائد مرتب حسب الموضوعات .

ثالثا : فهرس للقصائد مرتب حسب الشعراء .

رابعا . فهرس للقصائد المنشدة .

خامسا : فهرس للقصائد التي لم نهتد لاصحابها .

سادسا : فهرس للقصائد التي يروى الحفاظ المغاربة لبعض زجالى الجزائر ، وكانوا فى معظمهم كثيرى التردد على المغرب والاتصال بأشياخه وجماهيره .

وفى كل من هذه الفهارس اشرنا الى عنوان القصيدة ولازمته واسم صاحبها ومرجعها وكذلك اسم المنشد ومدة الانشاد بالنسبة للقصائد المسجلة بالصوت .

بهذا التحديد للمصادر وتسهيل الرجوع اليها فيما نظمنا من فهرس، مهدنا السبيل امام الذين يرغبون فى اخراج النصوص ونشرها ، وما كان فى استطاعتنا أن نقوم بذلك ونحن بصدد انجاز الرسالة لاسيما وأن عددها كثير . لهذا حاولنا ان نمثل اثناء الدراسة بنماذج متعددة ومختلفة من النصوص وخاصة فى باب الموضوعات . وقد كان فى نيتنا ان نقتطف منها مختارات نلحقها بالرسالة ، ولكننا اعتبرنا الحاق - دليل للزجل - أهم من الحاق مختارات . والامل عندنا - اذا ما أتاحت لنا فرص النشر - ان نخرج هذه النصوص سواء فى مختارات او فى دواوين بالنسبة للشعراء الذين تجمع لنا من قصائدهم عدد كثير .

ورأينا ان تكون دراستنا للزجل وصفية تسجيلية نقصد منها فى المقام الاول الى التعريف بالزجل تقريريا وتحليلا ، دون محاولة لمقارنته بالادب العرب او ادب اللهجات العامية الاخرى ، وهى طريقة تتفق والمنهاج الذى فرض نفسه علينا بعد ان خططناه والذى اقتضى منا فى هذه المرحلة من الدراسة ان نركز على الوصف والتقرير والتحليل ، وهى مرحلة نراها ضرورية فى الكشف عن اى ادب مجهول . وعسى ان نوفق فى المستقبل الى القيام بدراسة مقارنة يكون اساسها ما أمكننا حصره من الوان الشبه بين

الزجل المغربي والزجل الاندلسي او بينه وبين الادب العرب وما أشار به علينا استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني اثناء اشرافه على الرسالة وتتبعه لمراحلها المختلفة .

وما نقوله عن الزجل نقوله كذلك عن لغته ، فقد حاولنا من خلال اتبعت ان نتعرف اليها حيث سجلنا بعض ظواهرها وخصائصها في محاولة أولية للوصف بعيدا عن مقارنتها بغيرها من اللهجات والحكم عليها بأى لون من ألوان الحكم أو محاولة استنباط قواعدها وقوانينها التي خضعت لها . وقد احسبنا في المحاولة البسيطة التي قمنا بها فى هذا المجال أن أمر المرحلة الوصفية ليس باليسير ، يحتاج انجازها الى لجان من المتخصصين لا الى فرد او مجموعة أفراد ، وأنه متى تهيأ انجاز هذه المرحلة امكن تقديم مائة أولية لدارسى اللهجات وعلمها المقارن .



واقترضى منا منهاج البحث ان نقسم الدراسة الى مدخل وثلاثة ابواب

وان نشفعها بملحق :

المدخل : اتقصيدة الزجلية والغناء الشعبى .

استعرضنا فيه مختلف انواع الغناء فى المغرب وتناولنا القصيدة الزجلية كلون من اهم ألوان هذا الغناء وما يقوم عليه انشادها من نوبات الموسيقى الاندلسية وميائزها ، وما يصاحب هذا الانشاد من آلات وكيفية ادائه . وناقشنا شعبية الزجل شعرا وغناء ، واثبتناها على الرغم من ان جمهوره لم يكن محصورا فى العوام ، وعلى الرغم من اننا نعرف اسماء منشئيه ، ومن ان بعض قصائده مدونة .

الباب الاول : الشكل

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : مفهوم الزجل وانواعه

وهو جزآن

1 - مفهوم الزجل .

اوضحنا فيه مدلول كلمة الزجل سواء فى اللغة او الاصطلاح الادبى ،

وعلمنا لإطلاقنا هذه الكلمة. على الادب الشعبي المغربي بدلا من تسميات
إجری كتييرة يعرف بها عرضناها كذلك .

2 - انواع الزجل

تناولنا فيه اهم انواع الزجل المغربي بعد ان بينا اننا سنقصر البحث
على نوع واحد منها وهو القصيدة المنظمة التي يعرف منشئها .

الفصل الثاني : اللغة والفنية .

.. جعلناه خمسة اقسام :

1 - مراحل التعريب : تحدثنا فيه عن الظروف والعوامل التي ساعدت
على انتشار اللغة العربية في المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى عهد الموحدين
الذي اعتبرناه آخر مرحلة شهدت تمام استعراب المغاربة .

2 - نشأة العامية : تناولنا فيه طبيعة اللهجات وأسباب نشأتها
وأوضحنا ان العربية حين وفدت الى المغرب لم تكن معربة ونقية كما قد
يظن وأنها كانت تتمثل في الفصحى لسغة القراء وفي لهجات الفاتحين
القبلية ، وأوضحنا كذلك ان انصراف اللغوي في المغرب لم يكن بين البربرية
ولغة القراء وانما كان بينها وبين لهجات الفاتحين .

3 - خصائصها : جعلناها على نوعين :

أ - خصائص عامة تشمل اللهجة الدارجة المنتشرة في اهم المدن
والمناطق المغربية .

ب - ظواهر خاصة بلغة الزجل كما طورها الزجالون وطوعوها
لتعبيرهم الفني .

4 - جوانب بلاغية : عرضناها بعد ان بينا أن البلاغة قد تكون في
الشعر المعرب والعامي على السواء ، وتتمثل عند الزجالين المغاربة في :

أ - التجنيس أو الجناس .

ب - التصريف وهو ان يتصرف الشاعر فني كلمة باستعراض عدد
من اشتقاقاتها

ج - التضمين أو التلزييم وهو أن يجعل القافية على أكثر من حرف

د - التثني وهو أن يستهل الشاعر الشطر بكلمة أو بكلمتين من

يسطر الذي منه والبيت يسطر من البيت السابق عليه .
 هـ - استخدام نوع معين من الكلام كان ينظم الشاعر قصيده كل
 حروفها مهمه ، و كأن ينظم بدء كل بيت من قصيدته او انهاء بكلمات
 معينه .

ز - شبه لاسلوب - وينمى في

أ - التشبيه والمقارنة .

ب - الحركة والحيوية والتشخيص .

ج - الخوارز .

د - القصة .

هـ - الرمز .

كما اصفنا التيها بعض الممحات النقدية التي لاحظناها على لسان
 الاشياخ سواء منها ما ينصل بالشعر أو الشاعر .

الفصل الثالث : العروض

ويتكون من ثلاثة اجزاء :

1 البحور

ناقشنا في اول هذا الجزء مايقال من ان بحور القصيدة الزجلية غير
 محدودة ومايقال كذلك من انها محدودة في نطاق عروض الخليل ، وانتهينا
 الى ان هذه القصيدة لاتسير على تفعيلات هذا العروض في تناسقها
 المعروف ولا تخضع لأوزانه ، وان كانت لاتبتعد عن ايقاعه . ثم فصلنا القول
 في البحور التي تعارف عليها الزجالون ، وهي :

أ - المبيت : وينقسم الى المثنى والثلاثى والرباعى والخماسى .

ب - مكسور الجناح .

ج - المشتب .

د - السوسى .

2 - بناء القصيدة :

ويتكون من .

أ - مقدمة يطلق عليها السرابة .

ب - اجزاء القصيدة ، وهى :

1 - الدخول .

2 - الحربة (اي اللازمة) .

3 - الاقسام (من حيث عددها وعدد الابيات داخل كل قسم)

ج - مقدمات الاقسام ، وتتمثل فى :

1 - العروبي .

2 - النواعر .

د - القسم الاخير : ويضمنه الشاعر اسمه - تصريحاً او رمزاً

بالحروف والارقام - وتاريخ النظم واهداء السلام والصلاة والدعاء

وهجاء الخصوم .

هـ - الدريكة : وتتضمن - حين توجد - مايتضمنه القسم الاخير

فى العادة .

وختمنا هذا الجزء بنموذجين يوضحان البناء : احدهما من المبيت

والثانى من مكسور الجناح .

3 - نظام القافية :

تناولنا فيه :

أ - براعة الشاعر فى التقفية ، وتتمثل فى نظم القصيدة كلها بقافية

واحدة وفى استعمال قوافى داخلية فى الابيات .

ب - القافية فى الاقسام حيث تتبعنا نظامها فى مختلف البحور .

ج - القافية فى المقدمات .

د - القافية فى الدريكة .

هـ - عيوب القافية ، وتتمثل فى :

1 - القوافى الصيادية وهى التى لاتستوحى حرفها من موضوع القصيدة

2 - اتخاذ الهمزة قافية .

3 - الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج .

الباب الثانى : الموضوعات

ويتكون من أربعة فصول :

الفصل الاول : المرأة

عرضنا فيه لاربعة جوانب :

- 1 - المحبوبة : يمثل هذا الجانب نظرة الرجال المغربي للمرأة واقتتانه بجمالها كما تهواه نفسه وليس كما هو في الواقع ، فجاءت بذلك الصورة التي رسم لها نموذجاً لا تختلف ملامحه من شاعر لآخر .
- 2 - المحب : تتبعنا في هذا الجانب حال الشاعر في معاناته من حب المرأة ، ضعيفا ذليلا يقاسى مختلف ألوان العذاب ويسعى للوصول اليها بشتى الوسائل .
- 3 - الحب : ويبدو تمثل المحب له قويا طاغيا ومتجبرا لا يقوى على مواجهته .

4 - ملاحظات ، تناولنا فيها :

- أ - تغزل الشاعر في النص الواحد بأكثر من امرأة واحدة .
- ب - التغزل بالمذكر .
- ج - الرمز بالغزل في المرأة الى معنى سامي .
- د - مدى صدق الشاعر في غزله .

الفصل الثاني : في الحياة

حددنا فيه نظرة الرجال المغربي للحياة في جانبيها الحسى والتجردى:

- 1 - الجانب الحسى : ويمثل ابتسامه للحياة واستمتاعه بملذاتها ، وتناولنا فيه :

أ - اقباله على الخمر .

ب - افتتانه بالكون والطبيعة .

وختمناه بملاحظة عن شعر الفكاهة .

- 2 - الجانب التجردى : وجعلناه عن «الزهد والحكمة» . فقد عبر

بهما الشاعر عما يعتمل في نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك المجتمع وما يعطل به للوقائع والاحداث في استسلام لقضاء الله وقدره وعمل يراه وعظا ناجعا للناس عساهم يحسنون سلوكهم ويقتنعون بأن الدنيا ليست غير دار عبور لا يغتريها الا مغفل مجنون .

3 - وديلنا الفصل بملاحظات عن :

أ - مدى اتصال الزجال المغربي بالحياة في أبسط مظاهرها واصغر مشاكلها .

ب - لجوئه في الوعظ إلى أسلوب الخطاب يوجهه لنفسه أو لغيره .

ج - تخصيصه قصائد للتذكير بعظمة الله وقدرته بقصد تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا .

الفصل الثالث : مع الناس

تناولنا فيه :

1 - المدح : وهو فن لم يعن به الزجال المغربي لما أحس فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع وخلوه نتيجة ذلك من امتناع الذهن والشعور .

2 - الثناء : وهو كالمدح لم يقبل على النظم فيه ، بل أنه كان أكثر منه عرضة للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد .

3 - الهجاء : وكان من أكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الشعائر وجذبت المنشد والجمهور لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية صاحبه عليه ولما يترك في نفس السامع من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة . ويلحق به القخر و «السولان» وهي قصائد في السؤال والالغاز ، والخصام او «المجاورة» وهي قصائد في المفاخرة والمنافرة .

والحقنا بهذا الفصل ملاحظة عن مدى ولوع الشاعر الشعبي بفن الخصام ، اذ لم يقصره على الاشخاص فقط ، وانما تخيله كذلك في النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون .

الفصل الرابع : في حمى الله والرسول

تتبعنا فيه مع الشاعر الشعبي حبه للرسول عليه السلام واستعراضه لايضافه وشمائله وجوانب من سيرته كالمولد والوفاة والمعراج ، وماخصه به من صلاة . وهو في ذلك لايسعى الى غير زيارة قبره والفوز بشفاعته يوم القيامة ، وهي غاية جعلته يتحدث عن هول هذا اليوم وعن شوقه والحنين

الى البقاع المقدسة . ثم انه لا يلبث ان يكشف عن حال ضعفه ورجائته
الملح في ان ينقذه الله ويعفو عنه متخذاً وسيلة اليه او الى رسوله الكريم
وساطات مختلفة من الاشراف والاولياء ينوسل بهم ويمدحهم كذلك .
وختمنا الفصل بملاحظة عن العشق الالهى الذى يكاد لا يوجد الا نادراً
وعند بعض الزجالين المتصوفين .

الباب الثالث : الاعلام

قصداً منه الى التعريف بتطور القصيدة الزجية من خلال التعريف
بأعلامها ، وجعلناه ثلاثة فصول تمثل ثلاث مراحل

الفصل الاول : مرحلة النشأة

وجعلناه جزئين :

1. - اسماء ونصوص قديمة .

استعرضنا فيه بعض الاسماء والنصوص التى امكننا العثور عليها منذ
عهد الموحيين فى اوائل القرن السادس حتى عهد المرينيين قبيل
منتصف القرن التاسع الهجرى .

2 - الاصول الاولى للقصيدة الزجلية .

حاولنا فيه - امتداداً الى ما اهتمينا به من اسماء ونصوص - أن نرى
ان كانت القصيدة الزجلية المغربية امتداداً للزجل الاندلسى أم
محاكاة مباشرة لفن التوشيح كما عرفه المغاربة ام تأثراً بشعر اهل
الامصار العرب الوافدين الى المغرب أم استمراراً لعروض البلد الذى
استحدثه أهل المدن بالمغرب أم تطوراً للاغانى والمرددات الشعبية
المحلية ؟ وانتهينا الى ان هذه الاغانى والمرددات هى الاصل الاول
للقصيدة وانها قد تكون حاكت عروض البلد وتأثرت بأشعار العرب
الوافدين وخاصة منهم الهلاليين وحلفائهم ، ثم بالزجل الاندلسى
فيما بعد حين انتقلت من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية

الفصل الثانى : مرحلة التطور .

بدأت قبيل منتصف القرن التاسع على يد عبد الله بن احساين
وامتدت زهاء ثلاثة قرون حيث وقفنا بها عند المصمودى فى اوائل القرن

الحادى عشر • وهى مرحلة كانت القصيدة الزجلية تكتسب خلالها كثيرا من الجديد وتحاول احراز كيائها انذى ستتستقر عليه سواء من حيث الشكل أو المضمون •

ولاحظنا فى ختام الفصل ان هذه المرحلة توقفت ، وان توقفها دام زهاء قرن ونصف ، وملنا فى تحليل ذلك الى اهمال الحفاظ لرواية ازجال المغاربة واقبالهم على ازجال الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب فى هذه الفترة ، وكانت لهم مكانة فى الدولة • وخاصة منهم سعيد النمسانى • كما لاحظنا ظاهرة انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين المغاربة

الفصل الثالث : مرحلة الازدهار •

بدأت على عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى فسى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى ، وتجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدى محمد بن عبد الرحمان الذى كان بدوره من الزجالين • وكان آخر بريق لنهضة الزجل فى هذه المرحلة فى اوائل القرن الحالى ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من كبار علماء عصره وزجاليه •

وتعتبر هذه الفترة من اخصب فترات الزجل لكثرة مانبغ فيها من الشعراء ، وقد حاولنا ان نستعرض اعلامهم الذين أتيح لنا ان نهتدى الى بعض اخبارهم وأشعارهم ، فبدأنا بالجيلالى امتيرد ، وختمنا بالحاج محمد العوفير • واذيلنا الفصل باستعراض لاسماء كثير من الزجالين المعاصرين مرتبة حسب مدنهم ، ولاحظنا ان الزجل عند هؤلاء تجمد فى صور ونماذج تقليدية بعيدا عن أية محاولة للتعبير عن الاحساس الذاتى والتكيف مع روح العصر بله التطوير والتجديد •

ملحق :

وقد ارتأينا ان نذيل الرسالة بدليل ضمناه جميع الفهارس التى سبق أن أشرنا اليها (1) •

وبعد ، فلسنا نزع اننا قلنا جميع مايمكن قوله فى الموضوع ولا اننا

(1) نأمل نشره على حدة ان شاء الله •

أتينا بالمول الفصل فيه • وحسبنا اننا فتحنا بابا جديدا للبحث الادبي في المغرب ، واننا بذلنا في سبيل ذلك جهدا يشهد الله أنه كان مخلصا ومتواصلا • وأملنا ان يجد الدارسون من زملائنا الشباب في هذه الرسالة ما يغريهم بمواصلة البحث من أجل احياء التراث بجميع أنواعه ، وأن يجد فيها المسؤولون عن جامعة محمد الخامس ما يقنعهم بضرورة ادراج ادب المغرب الشعبي في مقررات كلية الآداب الى جانب أدبه العرب الذي نتحمل عبء تدريسه بها •

وواجب علينا ان نزجي الشكر جزيلا الى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني الذي كان لاشرافه ما انار لنا السبيل وشجعنا على المضى والاستمرار ، والى سيدنا الوالد حفظه الله لما قدم لنا من نصائح وتوجيهات وفوائد وما بذل من جهد — باتصالاته العديدة وخلال مختلف أسفاره — في البحث لنا عن مزيد من النصوص ، والى زوجتنا الحبيبة التي ساعدتنا في التسجيل والتدوين وتحملت في صدق وصبر وتقدير ما كانت تفرصه ظروف انجاز الرسالة من استغراق كلي في البحث وانشغال عما سواه ، والى كل من أمدنا بنص أو أشار علينا بفائدة أو دلنا على مصدر ، الى الاساتذة الاجلاء السادة : ادريس بن الماحي وعبد السلام بن سودة ومحمد الهسكوري ومحمد المنوني وعبد الله گنون وعبد الوهاب بن منصور وسعيد اعراب وعبدالله الرجراجي وابراهيم الكتاني والمهدي الدييرو ومحمد السفيناني والصمدي المزوار وحسن الرجراجي وجعفر الكتاني وعبد القادر زمامة ومحمد الشليخ والاخ عبد الواحد الجراي والدكتور عبد السلام الهراس ، والى اشياخ الزجل الافاضل السادة الحاج محمد بن عمر الملحوني وبنعيسى الدراز ومولاي احمد بن عبد السلام العلوي واحمد سهوم والحاج محمد العوفير وعبد القادر الجراي ومحمد بن الهاشمي وادريس المروني وهاشم السفيناني ومحمد حسن التطواني •

والله نسأل ان يوفقنا للخير ويهدينا للصواب •

القاهرة 28 ذى القعدة 1388 — 15 فبراير 1969
عباس بن عبد الله الجراي

مدخل

القصيدة الزجلية

والغناء الشعبي

يمكن تقسيم **الغناء في المغرب** الى انواع تختلف لغة ونغما واداء باختلاف مناطق هذا الغناء • ومن الالوان التي تتخذ العربية ادائها في التعبير نستطيع ان نذكر :

1 - القصيدة الزجلية التي اتخذناها موضوعا للرسالة ، وسنتناول انشادها في هذا المدخل •

2 - المواويل والعروبيات والسلامات والعيطة والطقطوقة وأعيوع والدقة وغيوان بن يازغة والمزوكى : وسنتحدث عنها كأنواع للزجل في الجزء الثاني من اول فصل في الرسالة •

3 - الموسيقى الاندلسية وتسمى «الآلة» تطرب لها مختلف الطبقات، وهي تمثل لونا من التراث الذي انتقل الى المغرب من الاندلس ، فحافظ عليه المغاربة و اضافوا اليه • وسنستعرض نوباتها وميازينها بعد سطور •

4 - الغناء العصري وهو متأثر في أغلبه بالغناء المشرقي والمصري خاصة •

5 - اغاني العمل وارقاص الاطفال وما اليها من المرددات البيئية اليومية
6 - الاغاني والانشادات الدينية ، وتنقسم قسمين :

أ - الامداح وأغلبها في المدح النبوي - ومن هنا جاءت تسميتها - وقد اشتهر بأدائها منشدون يطلق عليهم «المسمعين» وهي ابيات ومقطوعات تنشد حسب نوبات وميازين الموسيقى الاندلسية ، ولكن دون أن تصحبها الآلات الموسيقية •

ب - أناشيد الطرقيين وفقراء الزوايا ، وهي اشعار في الذكر أغلبها لابن الفارض والششتري والحراق ، او اوراد وأقوال لاشياخ الطرق ، تعتمد في تلحينها على بعض الطبعوع الاندلسية يصحبها رقص الذاكرين ، وهو رقص يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف

الطوائف ، هذا بان مثلا رقص درقاوة والفاسميين هادئا ليس فيه
شعر الهز العمودى للجسم والانتاف فان رقص احماشيه وعيساوة
يعتمد على تحريك قوى للجسم والاطراف مع الضرب العنيف
بالاقدام على الارض . وعانبا ما يصاحب الانشاد والرفص عزف على
الآلات الموسيقية ، وتختلف هذه الآلات باختلاف انفرق ، فآلات
دردقاوة مثلا هي آلات الموسيقى الاندلسية وان قل اعتمادهم عليها .
والفاسميون يعتمدون على الطبل ، اما عيساوة واحماشة فعلى
البنفير والغيطة والطبل والدعدوع .

وتعتبر القصيدة الزجلية من اهم الوان هذا الغناء يطرب لها العامة
والخاصة من الناس ، يقوم انشادها على نوبات الموسيقى الاندلسية ومياريها .
وعلى الرغم من أنه لم تنهيا لنا دراسة موسيقية من شأنها ان تتيح لنا
تناول هذا الجانب الفني عن دراية وادراك ، فقد ارتأينا - تكميلا لمختلف
أطراف الموضوع - أن نشير فى استعراض سريع الى هذه المياريين وتلك
النوبات ، تسعفنا فى ذلك بعض المصادر (1) التى عنيت بتسجيلها وبعض

(1) وهى : (1) مجموع يضم قصائد وموشحات فى المديح النبوى مرتب على
نوبات فى الانشاد جمعه احمد بن محمد العربى احضرى
المراكشى (مخطوطة خاصة بالكاتب)

(2) كتاب «الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب» لآبى
عبد الله محمد بن الطيب العلمى ت سنة 1134 هـ لدى
ترجمة آبى عبد الله سيدى محمد البوعصامى (ط حجرية
غير مؤرخة) .

(3) كتاب الحايك فى الموسيقى الاندلسية ، وهو مخطوط ،
وكان اعتمادنا على مخطوطة الخزنة العباسية . وقد نشره
فرناندو مارتينز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك فى
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص :

El concionero de AL-HA'IK : Fernando Valderrama Martinez
Instituto General Franco de estudios E investigation hispano-
Arabe Tetuan 1954

(4) منظومة قصيرة للحوات مخطوطة بالكتبة الملكية رقمها
4229 ، اولها :

وها أنا رتبته منظمة نظم لآل فى سلوك محكمة

(5) منظومة لعبد الواحد الونشريسى اولها :
=

المعلومات التي اخذناها من المتخصصين في هذا اللون من الموسيقى بالمغرب .

اما **النوبات** فاحدى عشرة ، هي :

(1) **رمل الماية** : ذكر الحايك عن احد طبوعه (1) وهو الحسين ، انه يستعمل

«فى جميع الاوقات ونغمته الذ النغمات والحانه اطيپ الالحن» (2)

(2) **الاصبهان** : ويقال «ويقال ان ملائكة الرحمن يسبحون بهذه النغمة ،

ونغمته حادة رقيقة حلوة» (3) ويقال كذلك ان مرددات المتسولين قائمة

عليها وأن باب الجنة يطرق بنغمتها للملاءمة رقتها للتذلل والرجاء والاستعطاف

(3) **الماية** : قال عنها الحايك «انها تجلب النوم» (4) وتنذر بالفراق ،

لذلك فهي غالبا ما تؤدى فى العشايا والامسيات . ويقال ان السلطان

الحسن الاول كان يتشاءم منها ويدعو الى عزف نوبة العشاق بدلا منها ،

واشتهر ذلك حتى قيل فى المثل : «اعكس لقضيا افلعشيا» .

(4) **رصد الذيل** : وقد شاع عن رجال الفن انه «اذا طال الليل فعليك برصد

الذيل» وهي قولة تدل على ان هذه النوبة تساعد على السهر وما يقتضى

طبائع منافي عالم الكون اربع ففي مثلها اضرب للطبوع مجملا

وهي واردة فى : أ - مخطوط بالمكتبة الوطنية بمديرية رقمه

5307

ب - كتاب الحايك مخطوط الخزانة العباسية ص 12 - 13

ج - مجموعة احضرى ص 20 (بترتيب مختلف للايات

منسوبة للإمام الوجدى ، ولعله خطأ فى انتساخ اسم

عبد الواحد)

(1) لكل نوبة مجموعة من الطبوع . يقول الحايك : «ان الطبوع

فى هذا الزمان بهذا المغرب الاقصى اربعة وعشرون طبعا

ويزاد طبع الصيكة وهي من اعذب مايكون ، ولكل تواش

وأغنية وطبوع كثيرة ... منها الجرعة والرهاوى والراست

والروكة ... وطبوع كثيرة يطول ذكرها وتنتهى الى

ثلاثمائة وستين كما وقفنا عليه فى غير ما تأليف» (ص 52

من El Concionero de AL-H'AIK وفى رأى بعض المعتنين أن

الطبوع تبلغ ستة وستين وثلاثمائة على عدد ايام السنة

الشمسية بما فى ذلك السنة الكبيسة .

(2) المصدر السابق ص 85

(3) المصدر السابق ص 92

(4) المصدر السابق ص 99

من صبر وتحمل لفراق الاحبة .

(5) **الاستهلال** : ويعتبر مما أضافه المغاربة الى الموسيقى الاندلسية على عهد دولة السعديين ، وهو عند الحايك «من الطبوع المجهولين ويقال ان الذى استخرجه هو رجل يسمى بالحاج علال البطة فى اوائل ايام مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين عبد الله محمد بن الشيخ الشريف الحسنى ... استخرجه لمدينة فاس» (1) ويقال فى سبب تسميته انه كان يستهل به (6) **الرصد** : يقال انه يوحى بالدلال والعناد ، وانه «رقيق النغمات حلو الالحان» (2)

(7) **غريبة الحسين** : وهى نوبة حزينة يقال ان مستخرجها سلطان اسمه الحسين كانت له جارية «تسمى بالغريبة لانفرادها عن أهلها وأوطانها وكان السلطان مغرماً بها فلذلك سميت بغريبة الحسين ، ولها من الاوقات طلوع الفجر ، وهذا الطبع نغماته وألحانه تؤثر فى قلوب السامعين الرافة والحنان وسكبان عبر المقل» (3)

(8) **الحجاز الكبير** : ويعرف بـ «الحجاز» يوحى بالعمق والسمو (9) **الحجاز المشرقى** : ويعرف بـ «المشرقى» قال عنه الحايك انه «يستعمل فى سائر الاوقات وانغامه حلوة رقيقة مفرحة» (4) وقال عنه احضرى : «فيه تفريح لسامعه لانه يزيل الغم ويسلى عين المصيبة» (5) (10) **عراق العجم** : ذكر الحايك ان مستخرجه صيكة بن تميم العراقى وانه «رقيق النغمات حلو الالحان وله تأثيرات فى نفوس المستمعين ويدخل للقلوب الفرح والسرور ويجلى عنها الهموم ... ويكسب الفضل للنفوس والشرف ويقوى عزمها على الخير والعفاف ، وما من انسان كريم الشيم سمعت نفسه نغماته الا طربت اعضاؤه ورشحت انامله» (6)

(1) المصدر السابق ص 111

(2) المصدر السابق 117

(3) المصدر السابق ص 124 - 125

(4) المصدر السابق ص 138

(5) صفحة 24

(6) صفحة 144

11) **اقشاق** : قال عنه احضرى : «نغمته حلوة لذيدة وله من الاوقات

من ابتداء الصبح الى الزوال» (1)

و**اما الميازين** التى تؤدى عليها كل نوبة فخمسة ، هى :

1 - البسيط .

2 - القائم ونصف .

3 - البطايحي .

4 - القدام .

5 - الدرج .

وتكاد اغلب القصائد تؤدى فى الدرج ، وهو ميزان لا يوجد فى غير الموسيقى المغربية ، اذ لا اثر له فى «المألوف» و «الغرناطي» وهما الاسمان اللذان يطلقان على الموسيقى الاندلسية التى انتقلت الى تونس والجزائر . ويؤكد اكثر المختصين انه من اضافات المغاربة لهذه الموسيقى ، وقد ذكر احضرى فى مجموعه انه تفرع من «البطايحي» (2)

وتصاحب انشاد قصائد الزجل آلات يطلق عليها «لماعن» او «لمواعن» (3)

نجد ذكر بعضها عند الشعراء على حد مايقول المدغرى فى «الساحي» :

ماهزك توشيح * والبستان القيقح

والعيدان اتصيح * والرباب اللى نايسح

ويقول فى «الصباحي» :

شف العود والقانون وانجناح اجنك (4) اتمنجا واسنتر احداها

وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغايم لوتار

شف الآلى موسيقتو شهاى اعلى حسن انغايمو فى ميزان احضاها

واكمل اصبوحننا اعلى الرضا ماغزلو حرار

ويقول فى «الكاس» :

(1) صفحة 24

(2) صفحة 12

(3) أصلها المواعين ج ماعون .

(4) لم تعد هاتان الآلتان تستعملان (الجنك والجنج) ولم نوق الى التعرف اليهما ، وقد بدالنا من سؤال بعض المختصين انهما

كـب الخمر الكافح * اصاحى واتراوح * بالتعريجا واكباح

ويقول الرجراجى فى «الساقى» مشيراً الى بعض الطبوع

شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح

وانظر للكمنجا او شمواف العود ارجيح

ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح

شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنفاح

شف العشق الصافى الزمانعا باش اترج

والتوفيق من الكريم نعم الحى الصبوح

وفد تقل الآلات او تكثر حسب الاجواق ، لكنها لاتخرج عن نطاق

الآلات المستعملة فى معظم الوان الموسيقى المغربية وهى :

اولا : آلات النفخ :

1 - النيرة او الليرة : وهى نوع من الناي ، تصنع من القصب

المجوف وتكون مفتوحة من الطرفين وبها ثقب يتراوح عددها بين خمسة

وسبعة .

2 - الغبطة : وهى نوع من المزمار تتخذ من الخشب ، تبدأ ضيقة فى

طرفها الاعلى ثم تأخذ فى الاتساع حتى طرفها الاسفل . تثبت فى فمها

قطعة مدورة من العاج أو العظم بها فتحة منها يكون النفخ . ويكون بها فى

الغالب سبع ثقب ستة من فوق متساوية الابعاد وواحدة فى الاسفل . وهى

شبيهة بالمزامير المصرية التى تتخذ احجاما مختلفة وتسمى :

أ، المزمار اللدى وهو اطولها .

ب) المزمار الصعيدى . متوسط .

ج، السبىس . وهو اصغرهما .

3 - النفير : وهو فى شكله كالغبطة الا انه طويل ومصنوع من معدن

آلتان وتريتان شبيهتان بالهارب Harpe والليسر Lyre

الغريبتين ، وبالسسمية التى تستعمل فى بور سعيد ، والطنبورة

المعروفة فى نوبة مصر ، وهما من معروضات متحف مركز

الفنون الشعبية بالقاهرة ، وقد أفدنا من هذه المعروضات فى

المقارنة بين الآلات المغربية والمصرية .

النحاس فى الغالب ، وتؤدى به النغمات الغليظة العميقة •

ثانيا : الآلات الوترية ، وهى نوعان :

1 - مايستخرج نغمها بواسطة القوس ، وهى :

(أ) الرباب الفاسى : وهو عبارة عن صندوق خشبى من كتلة واحدة تغطيه قطعة جلد ماعز ويكون فى طرفه الاعلى مشط معوج يشد اليه وتران غليظان يمران وسط الصندوق ، ويثبت فى طرفه الاعلى مفتاح لشد الوترين يتخذ شكل زاوية •

(ب) الرباب السوسى : وهو عبارة عن دائرة خشبية تغطيها من الجهتين قطعة مثقوبة من جلد الماعز ، ويمر فى وسط انجلد الاعلى مشط ثبت فى طرفه مفتاح لشد الوتر وهو وتر واحد مصنوع من شعر الخيل ، اما القوس فقضيب من خشب معوج بعض الشيء يشد طرفيه وتر من نفس النوع •

(ج) الكمان او الكمنجة : وهى آلة معروفة •

2 - مايستخرج نغمها بالنقر والنبر (1) وهى :

(أ) العود : وهو معروف •

(ب) انقانون : وهو معروف كذلك •

(ج) الماندولينه : وهى اصغر من العود وليس لها جوف كبير ، وتكاد تكون اشبه الآلات بالقيتارة الغربية فى رقة نغمها وحدته الا ان جوفها صغير ومستدير •

(د) الكمبرى : وهو عبارة عن قيتارة بجوف خشبى صغير مغطى بقطعة جلد ماعز مثقوب تشد اليه ذراع طويلة بها مفتاح لشد الاوتار ، وهى لاتزيد عن اثنين او ثلاثة • وذكر هذه الآلة وارد عند ابن بطوطة فى رحلته (2) وعند الدنا حفظه الله ان الكمبرى نوعان : «هجهوج يحتوى اوتارا ثلاثة ، وسويسد ويحتوى وترين ، واللفظة بربرية الاصل ، جوفها من خشب كغالب الآلات واحيانا تتخذ من ظهور السلحفاة • والذى يظهر انها

(1) قد يكون النقر والنبر بالمضارب او ما يطلق عليه : الصدعة والوترة والريشة ، وقد يكون بالاصابع وهو ما يسمى بالحس •

(2) ج 2 ص 190 وج 4 ص 106 ط باريز حيث ذكر القنابر •

آلة مغربية ، ربواسطتها والدس على اوتارها يبتدىء المتعلمون دراسة الفن» (1) ومن انواع الكمبرى كذلك «السنيتير» وقد وجدنا ذكره عند العلمى فى «الانيس المطرب» حيث قال : «وأما الآلات التى اتخذت للعناء فكثيرة منها العود وهو اشهرها وانرباب والشبابة والجناح والسنطير وغير ذلك مما هو شهير» (2) .

ثالثا : الآلات الإيقاعية ، وهى الآلات التى تعرف بالصدمية :

أ) البندير : وهو عبارة عن دائرة من الخشب شدت عليها قطعة من جلد الماعز غير مدبوغة يمر فى وسطها قطريا ومن الداخل بعض الاوتار عددا اثنان فى الغالب ، تزيد الصدى حدة حين الضرب . وبالإطار الخشبى ثقبه يدخل منها الضارب ابهامه حتى يتمكن من مسك الآلة . ويكون الضرب باليد اليمنى على وسط البندير او على اطرافه مما يعطى نغمتين احدهما رقيقة حادة والثانية غليظة عميقة . ويطلق على البندير فى المدن اسم الطارة وغالبا ما يكون اطارها أعرض . وتجدر الاشارة الى ان هذه الآلة تعرف فى مصر بنفس الاسماء حيث يطلق عليها البندير والطارة .

ب) الدف : وهو عبارة عن مربع صغير مغلق بجلد من الجهتين ، ولعله قريب من الآلة الطبلية التى كانت معروفة عند العرب بالمربع .

ج) الطر : وهو بندير صغير توجد فى اطاره ثقب بها ازواج من الصنوج المعدنية الرقيقة تضيف الى النغم صدى وحدة وزخرفة ، وهو المعروف فى مصر بالمزهر والرق والدف .

د) الطبل : وهو معروف ويطلق عليه فى مصر الطبل البلدى . وتجدر الاشارة الى انه يضرب عليه بقضيبين احدهما غليظ ومعوج الرأس يسمى «الساهلا» والثانى رقيق ويسمى «الربيب» .

هـ) الطبله او الطبلية : وهى عبارة عن نقارتين او طبلين صغيرين ومن حجم مختلف ، يتخذان من الطين الناضج ، تغطيهما قطعة جلد يوقع عليها بقضيبين رقيقين ، وهى أشبه بالنقاير فى مصر ، الا ان هذه تتخذ من مادة «الآلة» (الموسيقى) التى كتب لموسوعة المغرب العربى التى يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط .

(2) ص : 138

من معدن النحاس فى الغالب وتكون منفصلة •

و) التعريجة : ويطلق عليها فى لهجة اهل الرباط «لكوال» وهى الآلة المعروفة فى مصر بالطبله وغالبا ماتوضع فوق الركبة او فى راحة اليد ويضرب عليها بالوسطى والسبابة ، وتعتبر اهم آلة يضبط عليها منشد الزجل الايقاع •

ولعل اصل تسمية «لكوال» : «القول» او «الجوال» وهما افتراضان يدلان على أهمية الدور الذى كانت تؤديه هذه الآلة فى مصاحبة المنشد •
ومن انواعها :

1 - الدربوكة : وهى معروفة •

2 - الهرازى : ويطلق عليه فى لهجة اهل الرباط «الدعدوع» وهو عبارة عن تعريجة كبيرة توضع فوق الكتف ويضرب عليها بكلتا اليدين •
ز) الهندقة : وتعرف فى مصر بالصاجات وهى عبارة عن زوجين من الصنوج تشبث فى الابهام والوسطى من كلتا اليدين ، وغالبا ماتتخذ من المعدن لانه يقوى النغم ويحليه ، وقد تتخذ كذلك من الخشب او العظم •
بهذه الآلات وعلى تلك الانغام يؤدى المنشد القصيدة ، والعادة الا يكون الناظم ، ويطلق عليه «شيخ النشاد» و «الحفاظ» (1) وقالوا فى امثالهم : «السجاي تيولد والحفاظ تيربي» يقصدون ان الزجال ينشئ ولا يستطيع ان ينشد ويحتاج فى ذلك الى الراوى الذى يروج له قصائده •

(1) من اشهر المنشدين المعاصرين المرحوم المعطى لحسوك من مراكش والمرحوم محمد بوزوبع واتهامى الهروشى وهما من فاس • وقد ذكرنا اسماء غير قليل منهم فى فهرس القصائد المنشدة بأخر الدليل الملحق بالرسالة • وتجدر الاشارة الى ان كثيرا من السبجات اشتهرن بحفظ الزجل وانشاده نذكر منهم : فطومة الشرقاوية ومريم النساوية وسلطانة الاسلامية (كانت يهودية وأسلمت) وهن من فاس ، والحجوية وملكة وزهور الضخامة والحاجة زينب والجامعية وفطومة الرباطية وهشومة بزغانو والسعدية الوزانية وبلارة وابريكة ومشطونة وطاطا الغالية التى يقال انها كانت مقربة للسلطان المولى عبد الحفيظ ، والحاجة بنت العنبر وهن من الرباط • ويبدو انهن فى الاصل من فاس وهاجرن الى الرباط بعد ان اوقفهن الباشا البغدادي عن العمل فى فاس •

والمنشد لا يحفظ القصيدة ونغمات الحانها الا سماعا ، او «بالسمعى» كما يقولون ، وحتى لا يقترب فى الميزان كسرا او «تركيبا» على حد اصطلاحهم فانـه يسمح الى اللحن ويردده ليستأنس به وتألفه اذنه حتى «ايطيب الميزان» اى يطبخه ان صح التعبير •

ومن براعة المنشد ان «ايركب» اى ان يتسلم اغناء من منشد سابق عليه بقصيدة اخرى يؤديها على نفس الميزان الذى ادى عليه هذا المنشد • ومن براعته كذلك ان «ايفجج» اى يستعرض نغمات وطبوعا مختلفة فى القصيدة الواحدة ، وهى عملية اطلقوا عليها «لبدال» ومنه ما يقدم به بعض المنشدين فصيحة «المزيان» التى يقول العلمى فى حربتها (1) :

حن واشفق واعطف برضاك يا مزيان * لا اسمحا ميعاد الله يالهاجر
فانهم يبدؤونها على طبع الاستهلال ثم ينتقلون الى رمل الماية فالحجاز فانصيكة •

ومالوا عن المنشد الذى لا يستطيع ذلك انه يغنى «اعلى جنب واحد» وهو دنيل على قصر باعه • ومع هذا ففى رأى المنشدين أن بعض القصائد لا تحتمل تغيير الميزان ، او على الاصح جرت العادة بعدم تغييره فيها ، ويذكرون منها :

1 - «خال وشاما» للمدغرى وحربتها :

اللايم لاش اتلوم رح سالم دعنى كف للام ماحجت امن اغرامى
بين خال وشاما

فانها لا تؤدى الا على عراق العجم •

2 - ومثلها فصيحة «الكتاوى» للمدغرى كذلك ، وأولها .

م-ظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فالرسام اغميرى كاوى

يحسن عون اللى امشاوا تاسو من بعد اكوا

ويقولون ان بعض المنشدين حاول اداء هذه القصيدة على ميزان رمل

(1) الحربة اللازمة (انظر الجزء الخاص ببناء القصيدة من فصل «العروض») •

المائة ولكنه افسدها .

3 - قصيدة «الهاجر» التي يقول العلمى فى حربتها :

آش اعملت اسلطان مهجنى حتى سلمت افخلطتى واضحيت من ساحتى اجفيل
راقب فيا وجه الله عف يهاجر لوكر مسجونك سرحو اتقوز بحسانه
فانها لاتنشد الا على الحجاز المشرقى .

4 - قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وحربتها :

ياراسى لاتشقى * التاعب لايد من لفرافى
لاتامن فالدنيا * ابناسها غسرا
فانها لاتنشد الا على عراق العجم .

5 - قصيدة «خناثة» للحبابى ، وحربتها :

عشقى فخنائى * ياترا فالعاهد والقول ثابتا
من تاهت بجمالها احياتى * راحت روحى الصايلا عل لبدر بنعوت
فانها لاتنشد الا على الصيكة والحجاز .

ومن قصر باع المنشد ان يؤدى الميزان «امصور» اى غير متقن لاتنسجم
نغماته مع طبقة صوته ومع كلمات القصيدة ولايتجاوب معه الجمهور
وانعازفون ، والتجاوب عندهم دليل الاتقان ، ويقولون عن الميزان الذى
يؤدى فى انسجام انه «انفق» .

والعادة ان يبدأ المنشد البارع باحدى هذه المقدمات :

1 - **السرابة (1)** وهى قطعة قصيرة تؤدى على غير ماتؤدى بسـه
القصيدة ، وهى اربعة انواع :

(أ) **المزلوك** : وتنشد رقيقة حادة .

(ب) **الكباحى** : يصاحبها ضرب قوى متواصل بالكف ، وتكاد اغلب
السرارب اليوم تكون من هذا النوع .

(ج) **الحضارى** : تنشد فى استرسال سريع .

(د) **السماوى** : يستهل انشادها ببطء كالموال ثم يأخذ صوت المنشد
فى العلو والارتفاع كأنه يصعد بها الى السماء . ويطلق على هذا النوع
(1) سنتحدث عنها فى الجزء الثانى من فصل «العروض» لدى الحديث
عن بناء القصيدة .

«السرارب الحسنوايين» • ويقال ان اشياخ فاس كانوا مشهورين بانشاده
2 - الموالم : والغالب ان يكون فى لغة معربة ، ومن الامثلة عليه قول

الشاعر (1)

ومن عجب انى احن اليهم * واسأل شوقا عنهم وهم معى
وتشتاقهم عينى وهم فى سوادها * ويطلبهم قلبى وهم بين اضلعى
وقد يكون فى لغة ملحونة كقولهم (2) :

تـانـحبـك ونـهـواك * وفى امسبتك ايكـرهـونى
ماـراحتى حـتى نلقاك * وعليك يتحلوا عيونى

3 - اتـنـهـويلـة : ويقولون ان لكل قصيدة تمويله تكون على قالبها

وميزانها ، ويذكرون منها :

أ) تمويلة قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وقد تقدمت حربتها ، وتنشد
على ميزان عراق العجم :

آمالى يامالى أسيدي ياسيدي

للا يامولاتى للا

أمالى مصبرنى

اغرايى لامونى

ب) تمويلة لقصيدة «المرسم» لابن على وتنشد على الصيكة :

أنا يامالى للا يامولاتى للا ادوى

حيانا واجا ايلاكى قاوت ابلجى اوجيتنا بالغزال

وهذه حربة القصيدة :

أنا والمرسم ياحمام ثائننا فالزهو انت

1) ذكرهما العمري فى «مسالك الابصار وممالك الامصار» منسوبين

لابى الصفا خليل الصفدى • (الورقة 59 ظهر من مخطوط جامعة

اسطنبول رقم 4355 A Y) حيث اورد الشطر الثانى على هذا

النحو :

واسأل شوقا من آتى وهم معى

2) انظر الموالم كنوع من أنواع الزجل فى الجزء الثانى من الفصل

الاول من باب «الشكل» •

المرسوم يبكي اعلی الشماعا وانت تبكي اعلی النثا ونا على لغزال
وبنفس التموية يقدم كذلك لقصيدة «خنائة» للجبابى ، وقد سبق
ذكر حربتها •

والاسف أن هذه المقدمات فى طريق الضياع بسبب جهل المنشدين
ايها نتيجة قلة تداولها •

وتجدر الاشارة الى ان قصائد مكسور الجناح والسوسى - باستثناء
الحراز - يستهل انشادها بمثل هذه العبارات : «قال يانا سيدى» و
«وهو ياسيدى» ويطلقون عليها «الدخول» • ومن الامثلة على ذلك قصيدة
«ام الغيث» للحاج ادريس لحنش ، وحربتها :

قولوا للاعيثا مولاتسى * رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث
فان انشادها يبدأ على هذا النحو :

قال ياناسيدى عمدا على لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات
مهما اتقول نارو بردت واطفات
حين ينظر زين الخودات
كيراهها زندت واكدات

ومنها كذلك قصيدة «القاضى» التى يقول المدغرى فى حربتها :
اقاضى قصا اجرات لى معناها * ماجرات الحد افناس لغرام
ولفى لك ادعائى

فان انشادها يبدأ هكذا :

وهو ياسيدى قصا اجرات لى نحكيها الهل لغرام
بينى وبين بوخال اكحل لرماق
فصتى فيها ماينساق
للرخاخ اصماير لمساق
ناس لشواق

وقريب من هاتين العبارتين عبارات اخرى تسمى عندهم «الشحيرة»
و «الترتيحة» يضبط بها ايقاع الميزان او «يشد» و «يقبض» كما يقولون ،
وغالبا ماتؤديها المجموعة او من يطلق عليهم «الشدادا» وكان المنشيد

يחס بنقص فى الميزان وعدم انسجام الكلمات معه فيعوض بهذه العبارات،
علما بأنه يلجأ الى اطالة مقاطع بعض الكلمات ومدّها حسب احتياجه للنغم،
وهى عملية لاشعورية تقترب مما يسمى بـ «الكم» فى العروض العربى ،
على حد ما يبدو من بحر الطويل حيث تحذف نون فعولن الثانية وتصبح
فعول ولكن المتشد يمد اللام تعويضا لسكون النون المحذوف . ومن الامثلة
عليها :

1 - ياسيدنا : ونجد الشيخ عمر شد بها بين اشطار قصيدته فى
«مولاي بوبكر» على حد ما يبدو من الحرية التى يقول فيها :
تاك اليقبال والسرور اسلوانى * ياسيدنا * بخلافت عالى لقدر
نجل الملك طلعت البدر السانى * ياسيدنا * سيدى مولاي بوبكر
2 - اسيدنا سيدنا : على حد ما عند التهامى المدغرى فى سرابته التى
يقول فى أولها :

اسيدنا سيدنا	داك اللايمنى فعشقى ولفى والجال الهالك
أسيدنا سيدنا	ماذا وعظت فيك ماكفيت امن اعتابك
اسيدنا سيدنا	انصحتك افلحديث مأردتى لى سالك
اسيدنا سيدنا	واليوم ابلاك ربنا شف اخدود اغزالك

3 - ياللا ياللا : وقد جعلها المدغرى بين اشطار أبيات قصيدته
«عشية الجمعة» كما يبدو من حربتها التى تقول :

ياللا ياللا	أنا اعشيت الجمعة شاب اشبابى
ياللا ياللا	هلكتنى عزبا وشابا
ياللا ياللا	من شاهدهم يسخا بشبابو

4 - دادامى الالا اهياللا : وهى تشحيرة «طامو» للمدغرى ، وتردد
بعد حربتها التى يقول فيها :

جيش لغرام ياطامو مانقدر اعلى الطامو
دادامى الالا اهياللا

ومن الشد ان يلتزم الشاعر كلمة أو أكثر فى البيت تبدو فى سياقها
كأنها من صميم الموضوع وصلبه ، وهى قد تتغير فى كل الابيات وقد
(3)

لإتغير ، من ذلك :

1 - قصيدة بوعبيد الشرقى فانه التزم فيها كلمة «الفقى» فى أول البيت ووسطه ، يقول فى أول أبياتها :

الفقى جيت لك تنظر شوقى الفقى
من خاطرى ابغيت انسالك
الفقى افتى لى نعرف ذوقك الفقى
الخمير واش عندك سالك
الفقى الخمير فى اشرابو عشقى الفقى
نبغى انحللو بمقالك
الفقى لحضرت لمدام اترقى الفقى
افتى امن احسان اكمالك
ويقول فى حربتها :

الفقى' لوشفت اعويشا تسقى الفقى
والكاس من يدها يحلالك

2 - قصيدة «صارم الطعن» للشاوى وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن * ويركب اسفون لحروب وايعيط داني
ها حنا هنا ويكون ادراعو ابحال السانو
فان القصيدة من البحر الثلاثى ، ولكنه اضاف اليها بين الشطرين
الثانى والثالث عبارة يتوهم منها أن القصيدة رباعية ، فى حين أن هذه
العبارة لا يقصد منها غير قبض الميزان حيث كان يمكن ان يقول بدلا من
«ها حنا هنا» : «أسيدنا» وبلغت براعة الشاوى حدا انه فعل ذلك فى كل
الابيات وبعبارات مختلفة على حد ما يبدو فى دخول القصيدة حيث يقول :
آش را من لابات امساهر الجفن * والفكرا جايلافزاخر لمعانى
بالمفاتنا باش ايسود اعلى لوشا فازمانو
آش را من لابحث افجهد مامكن * واعمل مايرتضى القاصى والدانى
والفراعنا يقطع زى ازعيطا بوزانو
آش را من لالهيل الطايلا اركن * واترك فزوايت لهمل هل لضغانى

والمراكنا
وأعمل هل لعلوم من رفقانو
آش را من لاصحب الثابت الدهن * يسلك به الطريق جهر اکتمانی
وقتما بنا
یبنی بنیانوا علی یتقانو
آش را من لاله اشیاخ افلوطن * واروی منها اکما اروینا بعلانی
من اشیاخنا
اقلیل الطاعیا امزدری شانو
والعادة ان ينشد آخر القصيدة - وخاصة اذا كان ادريكة - (1)

سريعاً وقويا على طريقة الكباحى التى تكون عليها السراية *
والجدير بالملاحظة ان بعض القصائد لاتنشد وتغنى وانما تتلى وتسرد
ولا يكون ذلك الا فى القصائد الطويلة من امثال «هول القيامة» لعبد العزيز
المغراوى التى حربتها :

لسم الله المعين افلسطار يهدينى منهاج لقوام

وقصيدة «الذرة» لابن على وحربتها :

يالساهى من نومك فق سبىح الرب لمتاً وانت تايه افلغور لواب
الصلاة والسلام اعلى اخيار لنسب سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

وقصيدة «الجمهور» لعبد القادر العلمى وأولها :

يؤمن يشفى اضرار عبده بعد السقم ويفرح من اقوات فالصدر احزانو
والغالب ان تتم «السراية» فى زاوية او مسجد او «لمسيد» كما
يقولون (2) وفى مناسبات دينية وخاصة ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة
والسلام *

وللسراية مثل الانشاد أسلوب معين وانغام خاصة تختلف من قصيدة
لاخرى ، وتقتضى التركيز على بعض المقاطع والضغط على حروف القافية
واطالة اواخر الكلمات بعنا للتأثير فى نفس السامعين *

ونلفت النظر الى احدى قصائد «السراية» فريدة من نوعها فى البناء
جمعت أقسامها بين أبيات معربة وأخرى ملحونة ، وهى القصيدة «الفياشية»

1: انظرها فى الجزء الخاص ببناء القصيدة فى الفصل الثالث من

باب «الشكل» *

2) المسيد هو الاسم الذى يطلق على الكتاب القرآنى ، ولعل اصله

المسجد *

التي تنسب للشرقي والتي حربتها :

أنا مالي فياش واش اعليا منى

فقدت دم لكل قسم منها بيتين معربين على حد ما يبدو في القسم الثاني

منها حيث يقول :

يقول لما شاء كن فيكون	ويسبىء سبحانه ويعيد
ويحكم في خلقه ما يشاء	ويفعل في ملكه ما يريد
في ظلمة الارحام	صورنى من نطفة
وابدانى بالانعام	نعما من كل صفا
واخلق لى ما واطعام	وانعام مختلفا

وكما انفردت هذه القصيدة في بنائها فكذلك انفردت في طريقة تلاوتها ، حيث يسرد البيتان على غير طريقة سرود بقية ابيات القسم ، وتكاد تكون تلاوتهما مجرد قراءة خالية من كل لحن على عكس بقية الابيات . ونظن في غير قليل من الميل للترجيح أن هذا الاسلوب السردى اثر باقى من الطريقة التي كان يؤدى بها الزجل في مراحله الاولى ، وقبل ان يغنى به ، نقصد من ذلك الى القول بأن تلحين قصائد الزجل واستخدامها في الغناء تم في مرحلة متأخرة لعلها بدأت في الربع الثاني من القرن العاشر ، حين حكم الاشياخ على قصائد بوعمر و الغزلية ان تنحى من ميدان السرد في المجالس العامة ، عقابا على نظمه فى المرأة . وسنرى (1) أن هذه القصائد انتقلت الى مجالس خاصة كان جمهورها النساء والشباب ، وأن الشعائر اضطر الى مسايرة جمهوره الجديد فأخذ ينظم له قصائد غنائية خفيفة ، لعلها كانت السبب في تحويل انظار الزجاليين الى اتخاذ قصائدهم للغناء . وفى هذا العصر سنصادف عند الحاج اعمارة - وهو متأخر فى الوفاة عن بوعمر - بيتا يدعو فيه راوى شعره الى التغنى به دون خشية من خصومه ، يقول فى آخر قصيدة «فاطمة» :

ياراوى لبيات عنى غنى اوصول لاتخشى من عديانى

وللحاج اعمارة قصيدة فى رثاء بوعمر و يصفه فى احد ابياتها أنه خير

(1) فى الفصل الثانى من باب (الاعلام) لدى الحديث عن بوعمر و .

من غنى وشدا بالشعر وهو قوله :

النبيل الفد النشاد سيد من غنى او اشدا

بل انا سنرى (1) ان الزجل المغربى حتى بداية الربع الثانى من القرن التاسع لم يكن يخضع لنظام معين فى الوزن والقافية ، وهما حجرا الاساس لتلحين اى كلام . وسنجد عند عبد الله بن احساين - وهو أول من سبق للاوزان فى الزجل (2) - رفضا لنوع من الشعر لم يكن يخضع للوزن يبدو من تسميته أنه كان يعتمد على القص والحكاية ، وهو «كان حتى كان» يقول ابن احساين فى أول بيت من أول قصيدة موزونة :

نبدا لسم الله انظامى يالى ابغى لوزان

لوزان خير لى انا يامن قول كان حتى كان
ويزيد فى تأكيد هذا الرأى أن القصائد تغنى على انغام الموسيقى الاندلسية كما بينا ، ونحن لانستطيع القول بأن انتقال هذه الانغام الى المغرب تم قبل انهيار الاندلس وهجرة مسلميها الى بلاد الشمال الافريقى ، بل انا لانجد قبل الحايك - وكان يعيش فى القرن الثانى عشر للهجرة - من عنى بهذه الموسيقى وجمع شتاتها من ميازين ونصوص . ولسنا نزع من ان الغناء بالزجل تأخر حتى هذا القرن ، فميازين تلك الموسيقى كانت معروفة لاشك قبل ان يجمعها الحايك ، ولكننا لانعرف ان كانت تلاحين قصائد بوعمر و معاصريه قائمة على هذه الميازين ام انها كانت لها نغمات خاصة . و الاسف اننا لانستطيع معرفة اللحن الذى بدأ به غناء الزجل ، كما اننا لانستطيع معرفة الاسلوب الذى كانت تؤدى به القصائد قبل اتخاذها للغناء ، وان كنا لانشك فى ان «السرادة» اثر لهذا الاسلوب . والسبب ان الزجل الذى وصلنا ملفوظا لايسير على غير ميازين الموسيقى الاندلسية .

مهما يكن فان القصيدة الزجلية غدت غناء شعبيا يطرب له الجميع ،

والسر فى ذلك انها جمعت امرين :

(1) فى الفصل الاول من باب (الاعلام) .

(2) حسب ما وصلنا اليه فى البحث .

1 - كلمات يفهمها العوام والنخوص من الناس .

2 - الحان قائمة على ميازين الموسيقى الاندلسية ، وهى أغنى وأعذب ألوان الموسيقى فى المغرب .

من هنا كان جمهور الزجال أوسع من جمهور الشعراء المثقف الذى ينظم لطبقة معينة هى طبقة المتعلمين المثقفين للغة العربية ، ومن هنا كذلك كان الزجال يحاول ان يرضى هذه الطبقة الخاصة فيقتبس من لغتها غير قليل من المفردات والتراكيب ، ويضمن قصائده ألوانا من البلاغة وفنية الاسلوب (1) . وليس هذا فحسب بل انه كان يحاول أن يقدم لها معلومات تاريخية او فقهية ، لاشك انه - وهو أمدى فى الغالب - كان يتعب فى جمع مادتها بالسؤال والبحث ومجالسة العلماء وحضور دروسهم . وسنرى حين نتعرض فى الموضوعات للقصائد التى تناولت السيرة النبوية (2) مثلا ان الزجال كان يبذل جهدا غير يسير فى عرض جوانب من هذه السيرة تجعل المثقفين لا يرضون عن تلك الازجال فحسب ، وانما يقبلون عليها ويفتحون لها آذانهم وقلوبهم وبيوتهم كذلك .

ويزيد فى الدلالة على هذا الجهد ما يلجأ اليه بعض الزجالين من استعراض أسماء بعض الكتب والمؤلفين ، ومن خير الامثلة على ذلك هذه الابيات من آخر قسم فى قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وهى قصيدة شبيهة بـ «الحراز» أخبرته فيها حبيبته بواسطة وصيفتها انها محرزة بسبعة عفاريت وتن يستطيع الوصول اليها اذا لم يهزمهم ، فعزم على مواجهة هؤلاء العفاريت ودرس علم الجدول وما يتصل به من علوم يمكن ان تفيده فى الوصول الى مفاتيح النصر . يقول :

حلا انشيتها ياراوى

للعاشقين واللى هاوى

فتراجم اللباقا واعقل والميز والرشادا

صنعت الدهرى ا فقير

(1) انظر الفصل الثانى من باب «الشكل»

(2) انظر الفصل الرابع من باب «الموضوعات» .

قارى علم التوحيد اعلى لشيخ ارويتو
واقريت الالفيا والمواق (1) الشهير
وابن عاشر واقريت الرسالا (2)
والخزرجى او كيد (3)
وابن عطاء الله والسمرقندى واعلوم لكتوب (4)
والدمياطى وامشاكل الزناتى
والسريانى اعلى اوفاه انحقو (5)
وابن سيرين والموطا وكذلك ابلبلاغا ندرى سيدى خليل (6)
والبخارى وامعاه دعوت البسملا (7)
واكمل بالرضى مقصودى
واظفرت بالسعادا

على أنا لانريد ان ننفي عن الزجال غاية اخرى من هذا الجهد ، غير
ارضاء المتقفين ، كان يقصد بها الى افادة العوام وتنوير فكرهم وفتح
ذهنهم وعيونهم على جنبات من عالم الخواص ، وهم فسى الغالب - وعلى
الرغم من عاميتهم وأميتهم - على جانب غير يسير من الثقافة ، وخاصة منها

- (1) الفية محمد بن مالك الجيانى (ت سنة 672 هـ) فى النحو . اما المواق فهو احد شراح مختصر خليل فى الفقه .
- (2) عبد الواحد بن عاشر صاحب المنظومة المشهورة فى الفقه والتوحيد . والمقصود بالرسالة رسالة ابي زيد القيروانى فى الفقه كذلك .
- (3) ضياء الدين الخزرجى السبتي صاحب المنظومة «الخزرجية» فى العروض ، وتعرف فى المشرق بـ «الرامزة» .
- (4) يقصد ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم «السمرقندى» المشهور فى علم البيان .
- (5) الدمياطى والزناتى والسريانى اسما مشهورة فى علم الجدول وسر الحرف .
- (6) محمد بن سيرين المشهور فى الرؤيا وتعبيرها ، وصاحب «منتخب الكلام فى تفسير الاحلام» ، اما الموطا فهو كتاب الامام مالك ت سنة 178 هـ ، ولعله من الغريب ان يذكر علم البلاغة ويعتمد على مختصر خليل ، وهو كتاب فى الفقه ، ومانظنه الا يقصد الى مهارته فى فهم بلاغة هذا المختصر وحل رموزه ومعنياته .
- (7) الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور .

ما تحتم معرفته ضروريات الدين .

ولعلنا ان نضيف غاية أخرى لامجال لاغفالها هي وليدة المنافسة التي كانت بين الزجالين ومحاولة اظهار تفوق بعضهم على بعض ، وهو جانب يؤكد لنا الصراع الذي كان ينشب فيما بينهم والذي سنعرض له لدى الحديث عن فن الهجاء (1) .

ولم يكن الزجال يحاول ارضاء المثقفين فحسب ، وانما كان يحاول كذلك ارضاء الحكام والامراء والملوك يسعى الى قصورهم يتمتعهم ويؤنسهم بقصائده ، وهي ظاهرة اضطرته الى ان يبتعد عن واقع مستوى الشعب ، مصورا حياة القصور تارة ومحلقا بخياله تارة اخرى (2) ولاجئا الى الرمز والتلميح والاشارة تارة ثالثة .

ومن المتوقع عندنا ان مثل هذا الجمهور الواسع المتباين فى مستوى حياته وتفكيره قد يدفع البعض الى الطعن فى شعبية الزجل المغربى والشك فيها على اقل تقدير .

ومن المتوقع عندنا كذلك أن تكون ظاهرة تدوين بعض قصائد هذا الزجل ذريعة لكى يتخذ آخرون مثل هذا الموقف من شعبيته ، معتبرين وجوب التداول الشفوى فى كل ادب شعبى .

ومن المتوقع عندنا بعد هذا ان معرفة أسماء منشئ هذا الزجل قد تدعو غير هؤلاء وأولئك الى اتخاذ نفس الموقف من شعبيته ، لان تلك المعرفة - فى رأيهم - تنفى عنه الجماعية التى تعتبر السمة البارزة لكل أدب شعبى والتى تقتضى أن يكون مؤلف هذا الادب مجهولا .

ولسنا ننكر ان كل هذه ظواهر واضحة فى الزجل المغربى لامجال لتجاهلها أو اغفالها ، ولكننا لانرى فيها ما يبعده عن الشعر والغناء الشعبيين فليس فرضا على أى عمل ليكون شعبيا أن يظل محصورا فى نطاق طبقة العوام الاميين ، ولعله من التحجير على الفنان الشعبى أن نجسه فى هذا النطاق ولانبیح له أن يربط علاقات وصلات بطبقات اخرى راقية ،

(1) الجزء الثالث من فصل «مع الناس» .

(2) انظر فصل «المرأة» والجزء الاول من فصل «مع الحياة» .

وأن يتسرب اليها بفنه ويؤثر عليها ويتأثر بها فى محاولة لاكتساب بعض الجديد مما لاعهد له به فى بيئته . بل انا نذهب الى أبعد من ذلك فى النظر الى هذه الظاهرة بما فيها من رغبة للاقتباس والتنويع ، وفى خلط غير منظم ولامدروس ، فنعتبرها دليلا مؤكدا لشعبية هذا اللون من الشعر . ثم ان المؤلف الشعبى يعبر عن واقع مجتمعه ، ولكن لامناص له من النظر الى عمل غيره والاستفادة منه وتقليد اشكاله وموضوعاته ، وخاصة تلك التى حظيت عند الجماعة بالقبول وغدت انماطا ينسج عليها ، وقد يسرف فى ذلك فيغدو عمله مجرد نقل وتقليد . وهو كفتان لامناص له كذلك من تحكيم تجربته والاستنتاج منها ، وهى كلها اشياء قد تبعده قليلا او كثيرا عن الواقع .

ومانظن تدوين بعض نصوص هذا الشعر يؤثر على شعبيته طالما أن الجماهير توارثته عبر القرون والايال وتداولته عن طريق الرواية الشفوية، لم تلجأ فى ذلك الى ماهو مكتوب . ولايساورنا أدنى شك فى أن الذين قاموا بتسجيل نصوص من الزجل فى كنانيش هم من غير طبقات العوام، وأنهم فعلوا ذلك اعجابا بهذا الزجل او تلبية لرغبة الكبراء والحكام . اما معرفة منشاء الزجل فلانرى فيها مايتنافى والجماعية ، فليست الجماعية ان يجهل الفرد وتهدر الجماعة حقوق انتاجه وتمتص فنه وابداعه فيه ، وانما الجماعية أن تتبنى الجماعة انتاج الفرد الذى يستطيع ببراعته وعبريته ان يقنعها به ، فتقبله وتعجب به ، وترتضيه وتداوله وتذيعه وتحافظ عليه ، طالما ان هذا الانتاج الفردى يلائم ذوقها ، وطالما انه لايصبح له كيان مالم توافق عليه (1) .

(1) لعنا ان نشير الى ان انتشار الطباعة اليوم سيؤثر على وسائل تداول هذا الشعر ، وسيحافظ على اسم صاحبه وحقه فى الانتاج ، لاسيما ونطاق محو الامية آخذ فى الاتساع .

الباب الاول

الشكل

الفصل الاول

مفهوم الزجل وانواعه

اولا : مفهوم الزجل

إذا رجعنا الى النصوص القديمة نحاول البحث فيها عن ورود كلمة «الزجل» فانا نجدها مستعملة منذ العهود الاولى للعربية . حقا اننا لانعثر لها على ذكر في القرآن الكريم ، ولكننا نصادفها واردة في الحديث النبوي الشريف . يقول ابن كثير في تفسيره لدى اول حديثه عن سورة الانعام: «قال شريك عن ليث عن شهر عن اسماء قالت نزلت سورة الانعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والارض . . . وقال ابوبكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا ابراهيم بن درستويه الفارسي حدثنا ابوبكر بن احمد بن محمد ابن سالم حدثنا ابن أبي فديك حدثنا عمر بن طلحة الرقاشي عن نافع بن مالك بن أبي سهيل عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض بهم ترتج» . ورسول الله يقول : «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبراني عن ابراهيم بن نائلة عن اسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية بن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزلت على سورة الانعام جملة واحدة وشيعها سبعون الفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد» (1) ويقول ابن الاثير : «زجل (هـ به فيه) انه اخذ الحرية لابي بن خلف فزجله بها أى رماه بها فقتله ، ومنه حديث عبد الله ابن سلام : فأخذ بيدي فزجل بي اى رمانى ودفع بي (ن) ، وفى حديث

(1) تفسير القرآن العظيم لاسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت سنة 774 الجزء الثانى صفحة 122 الطبعة الثالثة مطبعة الاستقامة القاهرة

الملائكة) لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال» (1)

كذلك نجد الكلمة واردة فى الشعر الجاهلى ، يقول الاعشى :

تيسع للحلى وسواسا اذا انصرف
أى ربح مصوطة •

ويستعرض الزبيدى فى «تاج العروس» معانى كلمة الزجل فيقول :

«... (والزجل محركة اللعب والحلبة و) خص به (التطريب) وأنشد سيبويه

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الموسيقى أو زمير

(و) الزجل أيضا (رفع الصوت) وللملائكة زجل بالتسبيح والتهليل

أى صوت رفيع عال وقد (زجل كفرح) زجلا (فهو زجل وزاجل) وربما وقع

الزاجل على الغناء • قال : وهو يغنيها غناء زاجلا (ونبت زجل صوت) كذا

فى النسخ والصواب صوتت (فيه الريح) • • • • • والزجل محركة نوع من الشعر

معروف محدث • • • • • (2)

ومثل هذا نجده فى كتب الادب على حد ما نقرأ فى «العاطل الحالى

والمرخص الغالى» حيث يقول صفى الدين الحلى : «والزجل فى اللغة الصوت،

يقال سحاب زجل اذا كان فيه الرعد ، ويقال لصوت الاحجار والحديد ايضا

والجماد زجل • قال الشاعر :

مررت على وادى شيات فراغنى • به زجل الاحجار تحت المعاول

تسلمها عبل الذراع كأنما • جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل

فقلت له شلت يمينك خلها • لذكر او مخبر او مسائل

منازل قوم اذكرتنا حديثهم • ولم أر احلى من حديث المنازل» 3

ويحاول الحلى أن يجد تعليلا للربط بين الاستعمال اللغوى والاستعمال

الاصطلاحي فيضيف : «وانما سمي هذا الفن زجلا لانه لا يلتذ به ويفهم

1) النهاية فى غريب الحديث والاثار للمبارك بن محمد الجزرى المعروف

بابن الاثير الجزء الثانى صفحة 122

2) تاج العروسى من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى مادة زجل

الجزء السابع ص 355

3) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر

مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت فيزول اللبس بذلك» (1) وليس من شك في ان بداية استعمال كلمة الزجل في معناها الاصطلاحي مرتبطة بظهور هذا الفن . واذا رجعنا الى مختلف المصادر التي عنيت بالاشارة الى نشأته فاننا نجدتها تكاد تجمع على أن الذي اخترعه هو ابن قزمان . وليست تهمة في الواقع معرفة اسم السابق الى نظمه بقدر ما يهمنا أن نعرف كيفية انتقال اللفظ الى الاستعمال الاصطلاحي الادبي - هنا يعرض احمد الرباط في كتاب «العقيدة الادبية في السبعة فنون المعنوية» حكاية تقول « ان أول من تناشد به الشيخ أبوبكر بن قزمان المغربي ، وقيل لما انه كان في الكتاب وكان مراهق السن ، فدخل على شيخه الفقيه غلام جميل الصورة حسن الوجه حلو الجانب فنده عليه ابن قزمان وأجلسه بجواره ثم صأر يحييه بالسلام ويؤدده بالحديث فبص الفقيه ففهم وعرف ما في ضمير ابي بكر من الحب للغلام فعبس الفقيه في وجه ابي بكر وأمر الى العريف بضربه ، فضرب العريف ابن قزمان فلما فرغ العريف من ضربه اخذ أبوبكر لوحه ومسك القلم وقد كتب هذا الوزن ، وهو أول اوزان الزجل :

الملاح أولاد اماره * والوحاش اولاد نصاره

وابن قزمان جا يغفر * ما قيل له الشيخ غفارة

فأحس الفقيه على ابي بكر فأخذ اللوح من يده فرأى فيه ماتقدم ذكره،

فقال الفقيه :

«هيجيتنا يابن قزمان بكلام مزجول يعني مقطع ، فسموه زجلا» (2) .

-
- (1) مخطوط مكتبة بايزيد باسطنبول رقم 5542 الورقة 17 ظهر و 18 وجه . ونفس الكلام نقرأه في «بلوغ الامل في فن الزجل» صفحة 68 مخطوطة الزيتونة رقم 4467 . ونقرأه كذلك في «تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد المحبي لدى ترجمة ابي بكر بن منصور بن علي العمري الدمشقي المتوفى سنة ثمان واربعين والـ الف حيث تعرض للفنون السبعة المستحدثة ومنها الزجل (الجزء الاول 108 - 109 - 110 المطبعة الوهبية بمصر سنة 1284) .
- (2) مخطوط اسعاد افندي (السليمانية - اسطنبول) رقم 2867 الورقة 6 ظهر 7 وجه

ولكننا نجد استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني يرى انه استعمل قبل ابن قزمان وفي نوع من الشعر الشعبي غير الزجل ، يقول : «ولعل لفظ الزجل كان فى الاصل يطلق على النوع الشعبى ثم أطلق على النوع الشبيه بالتوشيح لفظ (هزل) ثم اختلط اللفظان فيما بعد (1)» ويعتمد فى ذلك على نص ينقله من كتاب «جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس» منسوخ سنة 1046 اى قبل وفاة ابن قزمان بما يقرب من قرن كامل ، جاء فيه : «لايجوز للقلاريق ان يحضروا الملاهى والزجل فسى العرائس والمشارب بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازقان والتنحى عنهم» (2) ويعلق على هذا النص بقوله : «وهذا نص فيما نعتقد عظيم الاهمية ، وقيمته ليست فى أن الزجل كان موجودا قبل ابن قزمان فحسب بل انه كان شعبياً له مكانة فى العرائس بين الموسيقى والرقص والاغاني» (3) .

ومن لطيف ما يستأنس به فى البحث عن أصل التسمية ماذكر لنا احد المعتنين من أن لها صلة بسيدي «زجل» صاحب الضريح المعروف فى شمال المغرب . وقد وجدنا له ذكرا عند سليمان الحوات فى «ثمرة انسى فى التعريف بنفسى» حيث قال عنه : «... سيدي زجل دفين بومناز من القبيلة التى تنسب اليه (بنى زجل) وقد قدم على المغرب مع موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة فى خلافة الوليد بن عبد الملك واسمه محمد ولقبه زجل وكان خيرا عالما شاعرا ...» (4)

ومع هذا فان المغاربة لا يطلقون الزجل فى الغالب على غير النوع الاندلسى المعروف ، أما شعرهم الشعبى فيطلقون عليه أسماء أخرى أهمها «الملحون» . فهذا سيدي ابراهيم التادلى فى «فتح الانوار فى بيان مايعين على مدح النبي المختار» يقول : «واعلم ان المديح النبوى يكون بالاشعار

- (1) الزجل فى الاندلس صفحة 59
 - (2) مخطوط المكتبة الاهلية فى مدريد رقم 4879 ورقة 333 وجهه . ويشرح القلاريق بأنهم Clérigos اى رجال الكنيسة
 - (3) الزجل فى الاندلس صفحة : 59
 - (4) من مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد اعراب - اللوحة الرابعة .
- (4)

الموزونة ذات البحور الخمسة عشر ٠٠٠ ويزاد ما اخذ من هذه البحور كمخلع البسيط ومجزو الرمل ومشطور الرمل ومشطور الكامل ٠ ويكون أيضا من الازجال والموشحات وكذا الملحون كالقصاصد والبراول لكن الملحون منه ما يوافق الاوزان الخمسة عشر المتقدمة ومنه ما يخالفها (1)

ونجد التفرقة بين النوعين الاندلسي والمغربى واضحة عند اصحاب الموسيقى الاندلسية الذين يفرقون فى الاشعار التى تنشد فى هذه الموسيقى بين الازجال ، يقصدون بها الشعر الاندلسي المعروف بهذا الاسم ، وبين البراول (2) ، وهى اشعار عامية مغربية تنشد فى بعض ميادين هذه الموسيقى ٠

لهذا قد يلاحظ علينا فى اتخاذ اسم «الزجل فى المغرب» عنوانا لرسالة تبحث فى لون من الشعر الشعبى المغربى ، طالما أن المغاربة لا يطلقون «الزجل» على شعرهم الشعبى ، وطالما انهم لا يقصدون من هذه التسمية غير النوع الذى عرف فى الاندلس ٠ ولكننا نرد على مثل هذه الملاحظة بما يلى من نقاط :

اولا : على الرغم من أن لفظ الزجل شاع اسما للفن الشعرى الذى سبق اليه الاندلسيون ، مجردا من الاعراب متعدد القوافى متجدد الاوزان ، فانا لانشك فى أنهم كانوا يطلقون هذه التسمية على كل ماكانوا ينظمون باللغة العامية ٠ وقد سبق أن ذكرنا ما ذهب اليه استاذنا الجليل الدكتور الاهوانى من أن الزجل كان فى الاصل يطلق على النوع الشعبى وان الهزل كان يطلق على النوع الشبيه بالتوشيح ٠ ونجد الحلّى ينسب التعميم لغير الاندلسيين حين يقول معقبا على ذكر الموشح والزجل والمزمن والمكفر : «وباقى البلاد لايعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما اعرب موشحا وكل ماخلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللحن مزنا فى أى فن قصد الناظم» (3) ٠ بل انه نجد احمد الرباط يذهب الى «ان الشعر هو أصل كل فن مغرب وأن الزجل هو أصل كل فن ملحون» (4) ٠ كذلك نجد الحلّى

- (1) مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 3285 D صفحة 27 - 28 ٠
- (2) سنعود اليها فى الجزء الثانى من هذا الفصل كنوع من أنواع الزجل ٠
- (3) العاقل الحالى الورقة 19 وجه 4) العقيدة الادبية الورقة 18 ظهر ٠

يعتبر من الزجل شعرا عاميا لايسير على نظام الزجل المعروف ، ويعتبر نظم هذا الشعر مرحلة سابقة على نظم الزجل ، فهو يقول : «أول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وأبياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا يغيره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية ...» (1) ثم ذكر ان لمدغليس في ديوانه ثلاث عشرة قصيدة من هذا النوع أشار الى مطالعها (2) ، ومنها قوله :

مضى عنى من نحبو وودع * ولهيب الشوق فى قلبى قد اودع
ثانيا : اطلق بعض المغاربة لفظ الزجل للدلالة على ماينظمون من شعر بالعامية ، فعند الشاعر الشعبي سعيد التلمساني فى احدى قصائده متحدثا عن نفسه :

اذا كنت زجال فيها كيف تريد (3)

وعند زجال آخر اسمه على يهجو ويفخر (4) :

انكمل زجلى ولى فالزجول * انكمل زجلى
قولوا للعكلى يترك لفضول * قولوا للعكلى
والاديب على ايفوق فى لغزول * والاديب على

وفى «نشر المثنى» لابی عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري لدى ترجمة الشيخ ابي عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفين تاسوت: «وخاطبه سيدي محمد الشرقي :

ياساكن ارض البوادي * لاتتعداشى الموارد
اصحب هداة الطريقا * تحصل له كل الفوائد
فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

تالله ما كان هذا * الا من مجدوب سالك

-
- (1) العاقل الحالى الورقة 22 وجه .
 - (2) المصدر السابق من الورقة 22 حتى 25 . ويبدو ان الحللى خلط بين الزجل والشعر الملحون الذى كان معروفا فى الاندلس والذى سنعرض له بعد سطور .
 - (3) مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 1644 صفحة 70 .
 - (4) من مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية فى مدريد غير مرتب رقمه 5307 .

يسقى خمر الرجالا * مملوك من الحق مالك» (1)

ثم قال بعد ذلك : «وما جلبه من قوله : يالساكن الخ ... هو زجل فى وزن المجتث» (2) • وعند ابن عسكر فى «الدوحة» لدى ترجمة محمد بن يحيى البهلولى (3) ان «له زجليات» (4) • ويقول محمد الكانونى فى «جواهر الكمال فى تراجم الرجال» فى ترجمة احمد بن على الغنيمى : «له قصائده ملحونة (ازجال)» (5) •

ويقول ابن زيدان فى ترجمة عبد القادر العلمى (6) : «وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حقيقة» (7) •

ثالثا : يبدو أن المغاربة على الرغم من ميلهم للتمييز بين الفنون ، وقعوا فى خلط بينها وتصور ان لم يكن خاطئا فهو على الاقل غير واضح • يقول التادلى فى «فتح الانوار» متحدثا عن أركان السماع واولها الشعر : «ان الكلام الذى يتكلم به الانسان من حيث هو اما معرب او ملحون ، وكل منهما اما منظوم او منثور ، لكن جرى فى الاصطلاح ان الموزون يطلق على النظم المعرب والملحون يطلق على النظم غير المعرب ... والملحون هو موشحات وبراول وقصدان» (8) • حيث جعل الموشح لونا من الوان الشعر الملحون (9) • كذلك نجد القادري فى «نشر المثنى» فى تعليقه على الابيات

1 الجزء الاول صفحة 47 طبعة فاس • وانظر المساجلة كذلك فى «ممتع الاسماع» صفحة 128 - 129 لدى ترجمة محمد بن مبارك الزعري •
2 المصدر السابق •

3 سنعود اليه فى الفصل الثانى من باب «الاعلام» • 4 ص 46 •

5 ص 26 وسنعود اليه فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة المدغرى •

6 سنترجم له فى الفصل الثالث من باب «الاعلام» •

7 اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكتاس ج 5 ص 340 •

8 صفحة 4 - 5 - 7 •

9 مع اعتبارنا ان هذا خلط نشير الى ان الموشح الملحون عرف فى اليمن على حد ما يذهب صاحب «سلافة العصر» من ان لاهل اليمن نظما يسمونه الموشح غير موشح اهل المغرب ، والفرق بينهما ان موشح اهل المغرب يراعى فيه الاغراب بخلاف موشح اهل اليمن فانه لا يراعى فيه شيء من الاغراب بل اللحن فيه اعذب وحكمه فى ذلك حكم الزجل •
صفحة (243) •

السابقة يذهب الى ان الزجل كلام مغرب وملحون حيث يقول : «هو زجل في وزن المجتث على طريقة الازجال من كونها ملفقة من الكلام الملحون والمغرب» (1) .

رابعاً : لم يطلق المغاربة تسمية معينة على شعرهم الشعبي وانما اطلقوا عليه تسميات كثيرة سنستعرضها ونمثل لها بعد قليل .

خامساً : قد تكون لتسمية الملحون الغالبة على الشعر الشعبي المغربي وما يوحى به الشبه بينها وبين تسمية الملحون التي تطلق على القصائد التي كانت تنظم في الاندلس خالية من الاعراب ، مايدعو الى الظن بأن الشعر الشعبي المغربي ربما كان امتدادا لهذا اللون من القصائد وبالتالي امتدادا للتسمية . ولكننا حين ننظر في الشعر الملحون الاندلسي والشعر الملحون المغربي ، نقيسهما بالزجل في الاندلس ، نجد الملحون المغربي في تعدد اوزانه وتنوع قوافيه وعدم خضوعه لبحور الخليل اقرب الى الزجل منه الى الملحون الاندلسي الذي التزم شكل القصيدة العربية لم يختلف عنها الا في ابتعاده عن الاعراب . فعند ابن سعيد متحدثا عن احد الشعراء بعد ان اورد له زجلا قال : «وله شعر ملحون على طريقة العامة منه :

صحبتي والعنق لمليح لمخلخل * حبي منك ثابت وديني لمخلخل
وعلام بعث ديني ابحك * لو عطيت مرغوبي فيك لس اتسال
فلقد عندك حلاوى لى منوع * وجمالا طوع الامر يخذل» (2)

سادساً : ليس من شك في أن اسم الزجل غدا في العصر الحديث وفي معظم البلاد العربية يطلق على كل ألوان الشعر التي تنظم باللهجات العامية المحلية ؛ على الرغم من بعد هذه الألوان شكلا ومضمونا عن الزجل الاندلسي الذي لم يعد ينظم، وليس من شك كذلك في أن الناطقين بالعربية في البيئات المختلفة يحسون الفوارق اللغوية التي تحول دون توحيد سنتهم ، وان حماة هذه اللغة يسعون جاهدين الى هذا التوحيد وخاصة في مجال المصطلحات

(1) الجزء الاول صفحة 47 - 48 .

(2) الجزء الثاني من المغرب صفحة 222 ومثل هذا الشعر هو الذي اطلق عليه الحلي «القصائد الزجلية» (انظر العاقل الحالي الورقة 22 وجه)

ونحن نرى فى هذا خطوة بعيدة نحو توحيد الرؤية والتفكير والتعليم فضلا عن نحو فوارق التفاهم والتعبير ، ونرى كذلك ان دراسة الاشعار العامية بصفة خاصة واللهجات العربية المحلية بصفة عامة هى السبيل الموصل إلى الوحدة اللغوية المنشودة .

لذا ، واعتمادا على هذه التعليقات ، فانا نفضل اطلاق «الزجل» على كل أنواع الشعر الشعبى المغربى ، وندعو الى هذه التسمية بدلا من أية تسمية اخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار . ويشجعنا على ذلك اننا لازلنا فى المرحلة الاولى للبحث عن التراث واستخراجه وتنظيمه ووضع معايير وتحديد مصطلحاته ثم دراسته والتعريف به ، وهى مرحلة اشبه ماتكون بمرحلة وضع الحجر الاساسى لاي بنيان . واذا كنا نقول هذا بالنسبة للتراث عامة ، فانا نلح عليه بالنسبة للتراث الشعبى خاصة ، لاسيما فى بلد كالمغرب لايبنى فيه بهذا اللون من التراث ، بل لانبالغ اذا قلنا انه لايعترف به مادة جديرة بالدرس والبحث او أى مظهر من مظاهر الرعاية والاهتمام ، وهو موقف يكاد يتساوى فيه العامة والخاصة من الناس اما الاسماء التى يعرف بها هذا الشعر فى المغرب ، سواء عند الجمهور أو عند الاشياخ منشئين ومنشدين فهى :

اولا : الملحون :

يقول بوعمرى فى آخر القسم الثالث من قصيدة له فى الاخلاق والطباع :

ملحونا اقتنادل تضوى فالداج ماخطا سرداق

والناس رايدا تطفى نور اقتنادلو افكل اغسيق

ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرى :

مليت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضب اعلى الشعر الملحون اللى ناظمو فاضها

ويقول المصمودى فى آخر قصيدة «الجار» :

انا حر افقلب كل اكريبه ازنجار

لويننظم بالذهبي انا لو عيار

بالميزان الرجيج نعرف غايت ملحوني

ويقول المدغرى :

فالملحون اعليه لننظار

واعلى اللفاظ والمعنى حق انظارو

نعنى جوهر تاج خنار

بها عل لعوارم تفخر خنارو

ويقول عبد الرحمن بن لقيه فى آخر قصيدة «للاحسنا» :

خذ الحافظ اتراجمنا

من اصميم لفكر عبد الرحمان بالميازن

خترعها فى اتراجم الملحون

ولعلنا ، قبل الانتقال الى الالفاظ الاخرى التى اطلقت على هذا الشعر أن نقف قليلا عند اصل التسمية بالملحون . والحقيقة أنا فى محاولة التعليل أمام افتراضين مصدرهما معنيان من معانى اللحن ، هما الغناء والخطا النحوى وقد استبعد الاستاذ محمد الفاسى ان تكون التسمية مشتقة من اللحن بالمعنى الثانى حين قال : «والحقيقة ان لفظة الملحون هنا مشتقة من اللحن بمعنى الغناء لان الفرق الاساسى بينه وبين الشعر العربى الفصيح أن الملحون ينظم قبل كل شئ لكى يغنى به» (1) وقال كذلك : «اول ما يتبادر للذهن انه شعر بلغة لاعراب فيها فكأنه كلام فيه لحن ، وهذا الاشتقاق باطل من وجوه لاننا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملحون ولم يرد هذا التعبير عند أحد من الكتاب القدماء لا بالمشرق ولا بالمغرب . والنذى أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ من التلحين بمعنى التنغيم لان الاصل فى هذا الشعر الملحون أن ينظم ليتغنى به قبل كل شئ . ونجد ما يؤيد هذا النظر من قول ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الخمسين فى أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد بعد ان تكلم على الشعر باللغة العامية فقال : وربما يلحنون فيه ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية» (2) . ونحن

1 مقال : «نظرة عن الادب الشعبى بالمغرب» - مجلة البينة - السنة الاولى العدد الرابع غشت 1962 .

2 مقال : «الادب الشعبى المغربى الملحون» - مجلة البحث العلمى - العدد الاول السنة الاولى (يناير - إبريل 1964) .

يرى على العكس من هذا ان التسمية اشتقت من اللحن بمعنى الخطأ النحوى ونعلل لذلك مناقشين رأى الاستاذ الفاسى من وجهات ثلاث :

الاولى : ان هذا الشعر لم يكن ينظم اول الامر ليفنى به وان اتخذه للغناء ثم فى مرحلة تالية ، وقد فصلنا فى ذلك القول فى المدخل .

الثانية : اننا حقا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام الملهون لان الفصاحة قد تكون فى الملهون ، وغير الملهون ، كما سنتعرض لذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وقد جانب الاستاذ الفاسى الصواب حين استعمل كلمة «فصيح» ليقابل بها كلمة «ملهون» وما نظنه يجهل ان الذى يقابل الشعر الملهون هو الشعر المعرب وليس الفصيح .

اما ثالث هذه الوجهات فهى ان استعمال هاتين التسميتين : المعرب والملهون متعارف عليه عند كل الذين تعرضوا للونين من الشعر . فابن سعيد يقول متحدثا عن بعض الشعراء : «وله شعر ملهون على طريقة العامة» (1) ، والحلى يتحدث عن الفنون المستحدثة فيقول «وهى الفنون التى اعرابها لحن وفصاحتها لكن وقوة لفظها وهن ، حلال الاعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام» (2) ويقول : «... وبعض البلاد لا يعتبرون هذا الفرق بل يسمون كل ما عرب موشعا وكل ما خلا من الاعراب زجلا وما اشترك فيه الاعراب واللعن مزنا فى أى فن قصد الناظم» (3) ثم يقول : «ثم تداوله العامة ومن لانس له بالقواعد ومن عجز عن الاعراب حتى صاروا ينظمونه ملهونا» (4) ، بل اننا نجد الشعراء انفسهم يستعملون الاصطلاحين على حد ما يقول ابن مقاتل فى نهاية احد ازجاله :

كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل * وكم ذا فى المحافل
قد انشأ غصن حافل * من حل بيت فى مريع * ملهون بألف معرب (5)

(1) الجزء الثانى من المغرب - ص 222 .

(2) العاقل الحالى - الورقة 15 ظهر .

(3) المصدر السابق - الورقة 18 ظهر .

(4) المصدر السابق . (5) روض الآداب لاحمد بن الحجازى مخطوط

آيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) رقم 4017 الورقة 101 ظهر .

أكثر من هذا ان المغاربة استعملوا الملحون في مقابل المعرب على حد ما نقرأ عند التادلي في «فتح الانوار» حيث يقول : «والملاحون يطلق على النظم غير المعرب» (1) .

اما استدلال الاستاذ الفاسي بكلام ابن خلدون فمطعون فيه من ثلاثة وجوه :

اولها : ان كلام ابن خلدون لا يقصد به الشعر العامي المغربي ، فهو يقول : «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات .. فأهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات .. وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحانا بسيطة» (2) .

ثانيها ان ابن خلدون لم يذهب الى ان اللحن الموسيقي والغناء من خصائص هذا الشعر ومميزاته اللازمة له ، وانما ذهب الى أنه قد يتخذ للغناء في بعض الاحيان ، وهذا ما يفهم من استعماله «وربما» .

ثالثها : ان ابن خلدون حين تحدث عن «عروض البلد» الذي استحدثه أهل الامصار بالمغرب ونسجوا عليه في أشعارهم الشعبية لفت النظر الى خلو هذه الاشعار من الاعراب ولم يشر الى أنها كانت تغنى ، ولو كانت كذلك لما أهمل مثل هذه الاشارة ، فقد قال : «فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا» (3) .

ثانيا : العلم الموهوب ، يقصدون انه هبة من الله مصدره الالهام :

يقول التلمساني يرثي المغراوي :

بستان الزهر صاحب السر المكنون * علم الموهوب ماتنهيه اقراطس (4)
ويقول المدغري في احدى قصائد «الساقى» :

(1) صفحة : 5 .

(2) المقدمة صفحة 510 طبعة بولاق .

(3) المصدر السابق صفحة 530 .

(4) الكناش ك 1644 صفحة 31 مخطوط خزانة الرباط العامة .

واسلام الله اعلى الشراف واعلى الطلبا ناس لحديث واعلى شراحو
واعلى من يتلى قول ربنا واقرأ بالترتيل
واعلى ناس الموهوب كافا، واعلى من قصد النبى اوزار افمر كاحو
واعلى ملت لسلام كلها يبنى جيل افجيل
ويقول شاعر لعله احمد ابجوات فى آخر قصيدة «الحب احرك لى
بجيوش» :

واسلامر بنا للشرفا والفاريين ❀ واعلى اهل العلم الموهوب
نأشأ : السجية :
يقول بوعمرو :

فامهامه انسجيا نفرس حرجات كلها روناق
بالنور والنواور والطيب والشجر لبسيق
والقلب فالسجى قوتو وامعيشسو اعلى نسق
والفاهمين طرز الغايا يدرىو قولتى تحقيق
ويقول حسون وتير من ابيات يعرض فيها ببوعمرو :
ملت امن السجيا ولى فيها العار والشنار
ويقول الجيلالى امتيرد فى آخر قسم من خلخاله :
ماضرت اعلى طلبا اولا مشى لى عمرو خلخال
غير ابدىوان اشطارتى وعقلى واكمال اسجيتى وترتيب اشغالى
جلست فى هذا الحلا ودرتها فرجا للعقال
ويقول ابن على فى آخر قسم من محاورته :

بنطافا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم
اذكى امن الزهر واحلا من سكر فقلوب اهل التسليم ولجود اتجيههم زقوم
وابعا : لكلام ، يقصدون انه الكلام الحق الصادق ، وكأنهم باستعمال هذه
التسمية على صيغة التعريف المطلق لايعتبرون ماسواه من الكلام .
يقول المخراوى فى آخر قسم من قصيدة له فى الاشتياق لمكة المكرمة :
ماهوشى من والى اللى ايجيب لكلام
واعسى اللى قاصر فى اهوى افنون الكذب

ويقول ابن على فى آخر الحجام :

وامشالى عند الناس يرحامو

يذكّار فى ابساط الملوك اكلامنا ويروى القلب الملهوف

ويقول محمد بن على بن ريسون :

واللى يحفظ هاذ لكلام * ينجا من كل اعذاب

ويقول المدنى التركمانى فى دريدكة فصيدته فى «السولان» :

وانهيت لكلام افختم السولان

خامسا : النظم او النظام :

يقول المغراوى فى «هول القيامة» :

نرجع لحدينا المنظوم * فتمام امشاهد لقصيد

ويقول كذلك فى قصيدة الشوق لمكة المكرمة :

يامن يهجرنى هكذا انصيغ النظام * نعت الدر المنظوم فى اسلوك الذهب

ويقول المدغرى فى آخر قسم من الزهو :

خذ طرز اختيم العنوان

للرواسخ فيه اعلوم لكتوب لانقصانى

لازيادا نظم اترجمان

ويقول ابن على المسفيوى فى آخر «المرسول» :

ياالحافظ نظمى بين لمحافل اتحول * كررو بلسانك بكرا مع لصلا

سادسا : الشعر :

يقول بوعمرى :

الشعر فيه اشفا لمريض ايلا افنا وزاد ارقاق

ايصيب فيه لونيس الناطق بالسكات والتحقيق

ويقول ابن على فى اول سولانه :

بسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

اللى ايعاتبك كنو عاتبنا * وغاتبك كنو غاتبنا * وهكذا فالشعر اكتبنا

ويقول فيه كذلك :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

ويقول في اول قسم من المحاوره :

افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين ترضاهم
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جبت اخصام الخودات في انهايت شعري منظوم
سابعاً : القريض :

يقول الحاج اعمارة في آخر قسم من فاطمة :
ياراوى لبيات عنى * غنى اوصول لاتخشى من عديانى
انظامى وقريض وزنسى * شلا ايطيق عنو مظموس اعدانى
ويقول ابن عمر الكفيف في حربة «الداعى» :
انا زنجار فى اعيون امن ادعيا * قول للايم الوغد الداعى
برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا
ويقول احمد ابجيوات في «عرصة الرضا» :
افلمواهب لقريض * ساسو طايح لهلا اينوضو

ثامناً : لوزان : اى الاوزان

يقول العلمى في آخر «المزيان» :
لو امدحت من لعجام ارديل فى لوزان * ايعود ساخى مهما فقصايد ينظر
ويقول كذلك فى ختام قصيدة «كأن اخلاكى هانى» :
واتهلا فوزانى * واكتم ابياتها عن هل لعقول لخشان
ويقول ابن على المسفيوى فى نهاية «الورشان» :
والحاضرين رحموا ناظم لوزان * فى بابكم ديسما مسؤول
تاسعاً : اللغا : يقصدون الكلام ، وهى فى الاصل اللغة .
يقول امتيرد فى «ضيف الله» :

قال افصيح اللغا الحبر الجيلالى * لفقت اجواهر النظام
ويقول ابن على فى اول قسم من الشمعة :
يستغرب من لاتحدثو بخطابك * لغريم فاللغا يسطابك
ويقول ابن سليمان فى آخر قسم من «خدوج» :
ولعبير اسلامى * لاهل اللغا اعمامت هامى
والجاحدين تحت اقدامى

ويقول ابن عمر الكفيف في آخر «الداعي» :

ياحافظ اللغا اتواضع * لاهل المعنى اتريخ
بل انا نجد عبد الله بن احساين في أول قسم من قصيدة له فسى
مدح الرسول عليه السلام يستعرض ثلاث تسميات هى : اللوغ واللغا
واللغوا ، فيقول :

مداح مادحو بلساني والشوق ليه من لکنان
والمادحو اذهب اكنانكو يرضاه ما اعياء بلسان
اللوغ واللغا واللغوا بين اللهامع لسان
والحب د الشفييع الشافع فالقلب او لدخال اتصان
وقد شرح لنا بعض الاشياخ هذه الاسماء فذهب الى ان المقصود
باللوغ العربية الفصحى وباللغا العربية الدارجة وباللغوا اللهجة البربرية .
عاشرا : العلم الرقيق :

يقول المغررى في آخر قصيدته في الخصام بين الزهور :
نهيت حلتى لارباب العلم الرقيق
الحادى عشر : لكريجة ، سموه كذلك لصدوره عن القريجة .
يقول محمد بن الوليد التنسيطى الدرعى في حربة احدى قصائده :
ناديت بكريحتى اصوتى * وارفعت اكفوفى الرب الملكوت وادعيت
اقلت فى ادعوتى * يامن نجيت يونس اقبطن الحوت
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى اقموتى

ثانياً : انواع الزجل

يقدم لنا عبد الرحمن الفاسى فى «الاقنوم فى مبادئ العلوم» تحت عنوان «علم ميزان الملحون» (1) انواعاً من هذا الفن يوصلها الى خمسة عشر ينظمها فى قوله :

علم بأنواع من الملحون * وردها لضابط المسوزون
له من الاوزان خمسة عشر * على الذى كثر فيه واشتهر
اولها الشرقى الكبير والثانى * شرقى صغير باختلاف الاوزان
والثالث الشرقى الذى قد طرزا * من وزن ذاك العروبي برزا
والرابع الشرقى الصغير صاحب * التاء فيه زائد يناسب
والخامس العواد والمرشوق * ثم المزوج الذى يليق
وبعد البهلون (2) والمسنوى * وبعده القفر كذا العذراوى
وبعده الحورشة العشارى * ثم العروبي والقصيد الجارى

ولكننا باستثناء العروبي الذى سنتحدث عنه بعد سطور ، وباستثناء القصيدة التى هى مدار هذه الرسالة ، لانعرف من هذه الانواع الا العذراوى، وهو من القطع التى تنشد فى الموسيقى الاندلسية ، وقد يكون موشحاً او زجلاً .

فمن التوشيح العذراوى مانجده ينشد فى صنعتى الدرج والبسيط من نوبة الاصفهان ، وهو (3) :

(1) من أواخر الجزء الثانى من «الاقنوم» مخطوط الخزانة العامة بالرباط D 24 11 والاقنوم عبارة عن دائرة معارف نظم فى حوالى خمسة آلاف بيت مقسمة على مائتين وواحد وثمانين علماً او باباً . وقد كتب عقب الابيات المذكورة «بياض قدره ورقة» مع ان الناسخ يقول انه نسخ من نسخة المؤلف .

فى نسخة اخرى من «الاقنوم» رقمها ك 15 : البهلون

(3) انظره فى «نوبة الاصفهان» ص 20 و 29 تنظيم * Arcadio de Larrea

==

يامن ملك عقلى رهين * رأيت على خده اليمين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

قلت له آش ذاك اعلى خدك * قال لى القمر
قلت له آش ذاك اعلى ثغرك * قال لى الدرر
قلت له آش ذاك اعلى شفرك * قال لى الحور
وما هو تحت الجبين * حاجبين امعرقين
قلت له انت المليح بالحق * قال لى مليخ
قلت له انت كحيل الحدق * قال لى وقيح
قلت هل بالوصال تشفق * قال لى شحيح
قلت له اما تلين * وتنيل العاشقين
الزهر والورد والسوسان والياسمين

ومما ينشد زجلا من العذراوى هذه القطعة (1) :

لسم المالك الديان * نعم المستعان * نبدا فى اطرين لوزان
نمدح سيد الثقلين * ذو النور والبيان * والآيات والبرهان
لسم الملك الاعلى * جل البسمل * نبدا فى النظام اولا
نمدح سيد الرسلا * مصباح العلا * احمد سيد الفضلا
من به نرغب المولى * يوم الزلزلا * ينقدنا من الوحلا
بدره لرسال * غدا يلى صولا
نرجا من المتعال * قوتى على الملا
وانقول غير محال * لارب غير الله

يبدأ على هذا النحو ثم تستمر الاقسام على حروف مختلفة فى

Palacin بمساعدة الفريد البستاني - نشر معهد الجنرال فرانكو
للابحاث العربية الاسبانية تطوان سنة 1956 . وانظره كذلك فى
كتاب «الحايك» ص 47 (مخطوطة الخزانة العباسية) وانظره بعد هذا
غير تام فى الكناش المخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1518
ص : 41 .

(1) الكناش رقم 2097 ص 1 - 2 (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) .
انظر بنفس المصدر نموذجا آخر مما يستعمل من عذراوى الحجازى
الكبير (ص 57) .

القافية مع التزام قافية النون فى البيتين اللذين يبدأ بهما القسم .
كذلك يقدم لنا ادريس الادريسي فى كتابه «كشف الغطا عن سر
الموسيقى ونتائج الغناء» تقسيما لالوان لكريجة يقول فيه : «فن لكريجة هو
الفن الشائع فى المغرب والمعمول به فى مدنه وحواضره وهو المعبر عنه ايضا
بالمحون وذلك لان جميع الاشعار التى تستعمل فيه ملحونة يعنى الاشعار
الجارية على ألسنة العامة والخارجة عن البحور الستة عشر وعن الاوزان
الملحقة بها ، وهذه الاشعار لاتقل عن أربعة فنون هى الزجل والكان كان
والموالي والقوما» (1) .

وهو تقسيم غريب وبعيد عن واقع المغرب وحقيقة الفن فيه ، بدليل
أن المؤلف حاول ان يخص كلا من هذه الفنون بفقرة فلم يجد غير نقل ماقاله
المشاركة ، دون محاولة للبحث عن نماذج مغربية لهذه الفنون — ان كانت
موجودة — باستثناء فن الزجل الذى مثل له بيتين للشيخ محمد النجار(2)
او محاولة للبحث عن شبيهه لهذه الفنون فى المغرب . ولسنا ننكر ان فن
الزجل موجود فى المغرب ، وهو المعروف بالمحون ، بل انا نعتبره شاملا
لكل الاشعار الشعبية ؛ ولسنا ننكر كذلك ان للفنون الاخرى ما يماثلها ،
فعندنا الموالي وكان حتى كان ، وعندنا اناشيد ونداءات ومرددات وألوان
مختلفة من الاغانى والاشعار ، ولكن هذا لايكفى لحصر انواع الكريجة فى
تلك الفنون كما لايكفى لجعلها فنونا مغربية خاصة وأنها غير معروفة بهذه
الاسماء .

والحقيقة أنه يصعب استقصاء كل ألوان الشعر الشعبى فى المغرب ،
والسبب ان له مواطن مختلفة وأدوات مثباينة ، فهناك المدن والقرى
والبوادي والجبال ، وهناك السهول والريف والاطلس وسوس ، وهناك
لهجات متباعدة ، الريفية والشلحية والسوسية والعربية مع تباين بين
البيئات التى تتحدثها سواء فى المدن او خارجها . ولكل لهجة من هذه
اللهجات شعر شعبى خاص ، ولكل موطن من تلك المواطن أدبه الذى يختلف

(1) صفحة : 108 الطبعة الاولى (مطبعة الرباط) سنة : 1935 .

(2) انظر صفحة : 109 — من المصدر السابق

شكلا ومحتوى عن أدب المواطن الأخرى • وعلى الرغم من أنا قصرنا هذا البحث على نوع واحد من الزجل هو القصيدة المنظمة المقننة المعروف منشئها ، فانا نرى - خاصة ونحن بصدد فصل تعريفي - ان نستعرض اهم ألوان الزجل الأخرى الصادرة بلهجة عربية ، لان قصد الى حصر او استقصاء ولا الى دراسة مفصلة وانما نقصد الى التنبيه اليها وتحديد أهم الملامح المميزة لها •

ولعلنا نستطيع أن نقسم أنواع الزجل المغربي الى شقين : احدهما يعرف منشئه وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث ، والثاني لا يعرف منشئه وقد وقفنا منه على هذه الألوان :

اولا : البرولة :

ولعلها أقرب الانواع الى القصيدة من حيث الميزان ونظام التقوافى والابيات ؛ وهي من صنائع (1) الموسيقى الأندلسية يغلب وجودها فى ميزان القدام والدرج (2) ، وتعتبر بالنسبة لهذه الموسيقى كالدريكة بالنسبة للقصيدة (3) • واذا كانت مجهولة المؤلف فليس لانها من انشاء جماهير الشعب كما هو الشأن بالنسبة لالوان الأخرى المجهولة المؤلف وانما لان اسم منشئها ضاع ولم يعن بذكره ، والسبب ان الكلام فى الموسيقى الأندلسية يأتى فى المرتبة الثانية بعد النغم ، بل لا يقصد منه الا الى حفظ اللحن ، وهذا ما يفسر ظاهرة انشاد القطع قبل عزفها بالآلات (4) • وقد اخترنا نموذجين من البرولة : الاول ينشد فى قدام الاستهلال والثاني فى الحجاز المشرقى :

- (1) الصنائع ج صنعة وهي القطعة فى الموسيقى الأندلسية •
 - (2) ميازين الموسيقى الأندلسية اربعة هي : أ) البسيط ب) القايم ونصف ج) البطايحي د) القدام • وزاد المغاربة عليها ميزانا خامسا سموه الدرج وهو غير معروف فى الموسيقى الأندلسية التي انتقلت لتونس والتي يطلق عليها (المألوف) وغير معروف كذلك فى الموسيقى الأندلسية التي انتقلت للجزائر والتي تعرف بالغرناطي •
 - (3) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من هذا الباب •
 - (4) وهو ما يطلق عليه «لجواب» فى الموسيقى الأندلسية •
- (5)

(1) برولة من قدام الاستهلاك

بالعنس طلعت بدر التمام * يادات المحيا الجميل
فاق اجمالك طلعت التريا * والشمس الواسم
حرمتم اجمالك ياقد لعلام * يامولات التهليل
زرنى يازيننت اسميا * بجمالك حاكما
اغزالى كان غشاك لمنام * مازال الليل اطويل
خدى راحا سندی اعليا * مولاتى فاطما
ربى اعطاك صولى * بالحسن ياغزالى
سمعى اغنا اسجولى * والنوم مازهالى
لاتنهري ارسولى * يا عنس لغوالى
حضرا اتقيم ياريم * يالحط الرشأ الناييم
سالى اسليم مانى اهميم * بين السرور والنعايم
فرح لكريم لنا ايديم * ايعود فرحنا دايم (1)

(2) برولة من الحجاز المشرقى :

غدر كاس الجريال * زار احببى واعطف وجاد هذا الوقت ازيان
احى الدبلا ياساقي واسقى جمع الغزلان * ارى لى كاس امكان
نشرب من كف اغزال * خمرا تضوى فالكاس لونها مثل الشمس اتبان
واتلوح اعلى خد المليح تشعل كيف العقيان * وتطرد كل احزان
نعت البرنسى الخصال * مول الهمة والسر ولها والزين الفتان
اغزالى الى خدو اشريف نحكيه البلعمان * او الورد افلفصان
فى اعيونى سحر احلال * رافعينى النوم احرام ما نرمش عمرى لجفان
طول الديجور انبات كانراعى للفجر ايبان * غير اموله حيران
يتبسّم عن الآل * بهوهر منظوم انفيس فى الماء احكىت المرجان
والمبسّم خاتم من اذهب صنع الله الرحمان * فيهم حارت لدهان (2)

-
- (1) كناش 8 صفحة 152 (مجموعة الجراى) .
(2) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2097 صفحة 71 ، وانظر كذلك
كناش رقم 17 صفحة 62 (مجموعة الجراى) .

ثانيا : العروبي :

ولعله تحوير لرباعي ، وكأنه كان في الاصل ينظم على شكله ، وهو في الواقع لايتقيد بعدد معين من الابيات ولايخضع لنظام ثابت للقافية ، كما هو الشأن في العروبي الذي يتخلل القصائد (1) وانما ينطلق في الالسنه قصيرا أو طويلا ، متعدد القوافي أو محدودها ، ولكنه مع هذا يمتاز بخصائص في انشاده أهمها أنه يستهل بـ «آنانانا» ويختم بالولاويل والزغاريد . وهو بعد هذا غناء خاص بنساء المدن يرددنه في حفلات التنزه حين يخرجن للحقول والبساتين ، وفي المواسم والاعياد والمناسبات وخاصة موسم «الطيش» الذي يقام في البيوت والمنتزهات طوال ايام عيد الاضحى، حيث تعلق «المطيشة» (2) لتركبها البنات واحدة تلو الاخرى ، وتأخذ المغنية في الانشاد ، وهي في الغالب أم أو جدة أو خالة ، فتستهل بمثل هذا القول :

آنانانا والمحبوب اللي اهويت

يبقى دينا قدامي

وبعد ان تستعرض بعض أوصاف الطائشة ومحاسنها تذكر اسمها

على هذا النحو :

هاذيك هي «افلانة»

لمضويا اعليا قلبي واعيانى

والمستعرض للعروبيات - بعد هذا - يجدها تعكس في الغالب وبصدق عاطفة الحب عند المرأة ونظرتها للرجل وتعلقها به ، وكأنها فرصة أتاحتها لنفسها لتعبر عما يخالج قلبها ، بعيدا عن أى حرج ، طالما أنها لاتنشد في غير الحفلات والمناسبات الخاصة بالنساء ؛ ومن نماذج هذه العروبيات :

(1) سنعرض له في الفصل الثالث من هذا الباب لدى الحديث عن بناء القصيدة .

(2) وتسمى في المشرق «المرجيحة» وينطقها أهل الرباط بفتح الميم وكسر الطاء . أما أهل فاس فينطقونها بضم الميم وفتح الطاء على صيغة التصغير .

- (1) اطريق سيدى مخلوف * واطريق سيدى داود
اتنزهوا يا لبنات * رالصغر مايتعاود
- (2) اوليد عمى اوليد عمى * ياوريدا فى كمى
كان الدى بينتنا * واش جابو لامى
اوليد عمى اوليد عمى * يا وريدا فالكاس
كان الدى بينتنا * واش جابو للناس
اوليد عمى اوليد عمى * يالله البرا
انعلقو المطيشة * فالليمون بوصرا
- (3) ارميت عينى الدراكم ولاصبت انجيكم
* وليت من وحشكم كيف المطعوما (1)
لو كان صبت طير ايحوم من جهتم
* وايقول شخبار ولكم وكيفانتما
وامحبتكم فى قلبى ملموما
* وامحبت غيركم اعلى محروما
- (4) الطير الطير ابنيت لوشباك احريز
* ولا انويتو ايطير بعد ما والف
اخوا قفزي وعمر اقفز الغيسر
* وارمانى فى لبحور خلانى تالف (2)
لاصارى لاقلوع لاباش انقاذف
- (5) الطير الحر شفتك فالدلالا
واش دوك العينين امكحلين ولا اخليقت مولانا
كنت فالما انصيفط لك (3) سبع اطيور عواما
كنت فالسما انصيفط لك زوج اطيور حواما
متى نبني اعليك زليجا وارخاما
ابقيت عايش ما ناخذك غيرانا
-
- (1) المسحورة •
(2) ضائع هائم •
(3) أرسل لك •

(6) قدك يسوا اميا

وخدك يسوا ثلث اميا

وادرا عك يازينت الوقفا

يسوا آلف

ألف فى غشوا

والف فى عشموم

والف من خادم تكدى فالنار

يامحبوبى ودنى نوبا فالشهر

واعطينى كلما من لحديث متمورا (1)

دخلت اعليك ابعينك واحواجبك يالبدرا

دخلت اعليك بالنبى زين انصورا

يما ياميمتى للا امنيين الزين

يغلب على لعمورا

وقد عنى الاستاذ محمد الفاسى بفن العروبيات فترجم منها الى الفرنسية نحو مائة وخمسين اخرجها بعنوان «الاغنسيات القديمة لنساء فاس» (2) ولكننا نأخذ عليه أنه لم يقدم النص العربى واكتفى بالترجمة ، فكان أن ضيع فرصة التعرف الى هذا الفن فى قلوبه ولفظه الاصليين .

ثالثا : المزوكى (3) :

يكثر انتشاره فى مناطق السهول ، وهو كالعروبي فى البناء لا يختلف عنه الا فى الاداء حيث لا يستهل بـ «آنا-آنا-آنا» ، وانما يغنى البيت او الشطر فتجيب المجموعة بـ «يوى» وينتهى مثله بالزغاريد . ويبلغ الشبه بين النوعين أن كلماتهما تختلط الى حد انه لا يفرق بينهما . أما التسمية فيبدو انها من ازگا اى صوت وصاح .

(1) جدية من التمارا بمعنى الجذ .

(2) « Chants anciens des femmes de Fès » Editions Seghers Paris 1967.

(3) سمعناه ينطق كذلك بتاء بدل الميم : ازوكى .

رابعاً : الموال :

وقد سبق أن رأينا (1) أن الموال عند المغاربة - سواء أكان مستقلاً أو تقديماً للقصيدة - غالباً ما يكون بالعربية الفصحى وقلما يكون عامياً .
والموال المغربي شبيه بالموال المشرقي من حيث الشكل لا يختلف عنه إلا في الأداء واللحن . ومن خصائصه أنه يستهل بـ «آنانانا» كالعروبي ، وهذه بعض نماذجه :

- (1) تـانـحـبـك ونـهـواك * وفي امسبتك (2) ايكـرهـونـي
ماراـحتـي حـتى نـلقـاك * واـعـليـك يـتـحـلو اـعيـونـي
- (2) مـصـابـني (3) طـيـر طـيـار * واـجـوانـحـي تـونـسـيـة
وانـطـير من اـبـلاد لـبـلاد * وانـيـعـود مـاسـارـبـيا

خامساً : السلامات :

جمع اسلام ، وهي في الغالب لاتتعدى بيتاً يتضمن التحية والشوق ، تكون أول كلماته «صفطت لك اسلامي» أي أرسلت لك سلامي ، وهي قريبة في أدائها من العروبي . ومن السلامات :

- (1) صفطت لك اسلامي فالشمأش
واش (4) احبيبي فالقلب ولما ابقاش
- (2) صفطت لك اسلامي فالتفاح
واش احبيبي اهنا ولا راح
- (3) صفطت لك اسلامي فالشموم
واش احبيبي فارح ولا مهموم

سادساً : العيطة :

بمعنى النداء من عيط اذا نادى . وقد تحدث عنها الادريسي في «كشف الغطا» فقال : «والعيطة نوعان : ملالية ومرساوية ، اما الملالية فمكانها بني ملال والجبال المجاورة لها وبعض النواحي من تادلا ، ونغماتها

- (1) انظر المدخل لدى الحديث عن انشاد الزجل .
- (2) سبيك .
- (3) ليتني .
- (4) هل .

دائما فى غاية العلو والارتفاع شبيهة بصياح الندب والبكاء ، والالفاظ المستعملة فيها فى الغالب ممزوجة بكلمات بربرية ، ويتولد منها السوسى ، وهو عبارة عن خفة الميزان وانصراف الدور ، وأما العيطة المرساوية فانها بخلاف ذلك تماما ومكانها بسائر قبائل العرب المتمدنة وهى تفوق الاولى فى كثير من المواد والتأثير كما انها اجملها فنا والطفها صناعة • وكثير منها بقبائل الحوز كعبدة ودكالة والرحامنة والشاوية • والمركز الاصلى لها والذى تنشأ فيه وتنظم هو عبدة • ثم من هناك تنفرق فى القبائل وتذاع ، ويوجد مركز آخر بالشاوية قريب من سطات يسمى قبال وبالوادي الاخضر ••• وتتشكل العيطة المرساوية الى أنواع تتردد فيها وتتحصر وهى اكباح ويؤخذ منه الثلثى وهو عبارة عن الميزان الحضارى ثم السوسى ثم الحريزى وهو خاص بقبائل الشاوية» (1) •

وقد حاول الادريسى أن يخضع فن العيطة الشعبى بكلماته وألحانه للشعر العرب على حد ماشرح فى حديث كان القاه بالمؤتمر الاول للموسيقى العربية المنعقد بفاس فى سادس مايو 1939 ، حيث قال : «من بضع سنوات وأنا أفكر فى فن العيطة وكيف يمكن لى اصلاحه ، والتقدم به سريعا السى الامم حتى لايبقى محتقرا فى نظر المتمدنين ممقوتا لدى الفضلاء وأرباب المروءة والوقار فوجدت الامر لا يخرج عن مسألة واحدة وهى ابدال الالفاظ المستعملة فى أدوارها بالابيات الشعرية فى الادب والاخلاق ، اذ كل ما نشاهده من التأخر والتقهقر الواقع بالعيطة وبالمشتغلين بها ليس الا من ناحية تلك الالفاظ الشنيعة والاقاويل المملوءة سفها وقبحا» (1) •

ويبدو هذا الرأى مشروحا فى مقال كتبه الاديپ العباس الشرفى مشيدا بما قام به الادريسى اذ «اعتبر أن مقام به اصلاح كبير على فن الموسيقى المغربية التى هى الطرب الوحيد الشائع بكثير من جهات القبائل المترامية الاطراف المعبر عنها فى لسان العامة بالعيطة ، وذلك باجراء ادوارها فى الشعر العربى الفصيح بدلا من الكلام العامى المبثذل المشتمل

(1) كشف الغطا صفحة 117 - 118 •

(2) المصدر السابق - 119 •

فى الغالب على ألفاظ يستحى من ذكرها ومن سماعها لما فيها من السفه والحث عليه • وقد يكون فى المجلس الرجل وولده والرجل وصهره والتلميذ وشيخه مثلا فيصير ذلك الطرب المقصود به التسليه والانشراح فى نظرهم وسيلة من وسائل الكدر والاتراح يجب نبذه والتنزه عن مجلس يحتوى عليه اذا المؤمن لا يقف مواقف التهم • اما الآن بعد أن ادخل عليها مولاى اديس المذكور هذا الاصلاح الكبير الذى تلقاه أرباب الفن بجزيل السرور والابتهاج فقد اصبح فنا أدبيا لا يستحى منه ولا ينهى عنه •••» (1)

ولكن المؤلف لم يورد لنا نماذج من هذه الاشعار التى أخضعها لادوار العيطة ، كما أنه لم يذكر ولو نموذجا واحدا من العيطة فى لهجتها المحلية • فكان أن ضاعت ، خصوصا وأن الاذاعة لم تحتفظ بشيء منها لانها لم تكن قد عرفت التسجيل الصوتى فى ذلك الوقت ، وخصوصا كذلك وان هذه العيطات لم تستمر طويلا على لسان المغنين البدويين الذين لاشك أنهم لم يستسيغوا الشعر العرب فهما واداء • وكان ممكنا تطهير كلمات هذا الفن فى اطار العامية ، فلعل ذلك كان سيخدم العيطة ويطورها ويطهرها من الشوائب • واذا كنا نقول مثل هذا الكلام فليس لاننا ننكر ادخال الفصحى الى العيطة أو الى أى لون آخر من ألوان الغناء الشعبى ، بل لاننا نرى أن الاحتفاظ بفن من الفنون يقتضى الاحتفاظ بأداته ، وأداة العيطة اللغة الشعبىة • ومن الممكن التطوير داخل هذه اللغة أو بالاحرى اختيار النقى منها والقريب الى الافهام فى البيئات المجاورة •

ثم ان عملا مثل هذا يحتاج الى دراسة موسيقية لهذا الفن يتعرف منها الى المقامات والنغمات التى يؤدى عليها ، ويحتاج بعد ذلك الى تأليف كلمات تناسب هذه المقامات والنغمات • ثم ان تأليف كلمات لغناء شعبى بدوى كالعيطة ينبغى ان يستوحى البيئة التى تطرب لهذا الغناء ، وتتذوقه حتى تنسجم الكلمات مع اللحن وحتى يتجاوب المطرب وجمهوره مع هذا اللحن وتلك الكلمات • أما أن يأتى أحد الى هذا الفن ويحاول اخضاعه للغة لا يستسيغها أداء واستماعا فتلك جناية على الفن لخدمة له •

والعينة كما سجلنا من أفواه المغنين نوعان : قصيرة وطويلة :
أما القصيرة فتتكون من بيت واحد يكون في الغالب قصيرا ومتضمنا

أمتالا أو حكما وعظات ، مثال ذلك قولهم :

- 1 - مادا بنا * كون اتاويننا (1)
- 2 - ياك اخونا * ابغلو ايفرقونا
- 3 - أنا انتمم * وانت تفهم
- 4 - ابقى فيا لكرين * اتوسدوه اخريين
- 5 - كملت لك الكليب * لا تخرج عيب

على ان سهولة نظمها جعلت كثيرا من الناس ينشؤونها الى حد خرج بها كثير من المتطفلين عن روحها الحكمى الوعظى بل خرج بها بعضهم الى انهزل والى ما فيه السفه وينكره الذوق السليم ، مثل قولهم :

- 1 - قلبك عامر * فيه لسامر
- 2 - الروزى (2) لحنين * تىخلى ديين
- 3 - الدرى مزوينو * شارب البينو (3)

وأما الطويلة فأقرب الى القصيدة من حيث نظام التقفية والتبسيط واللازمة ، وان كانت بعيدة عنها فى اللحن والاداء • ومن نماذجها ماغناه المرحوم بوشعيب البيضاوى فى نغنى المغفور له محمد الخامس وعودته الى الوطن :

- 1) وامن لقنيطر المكناس * تم اتحفر الساس
- لعمريين ولغراس * شبعوا عافيا (4) وقرطاس (اسيدى)
- اياخوتنا لسلام * هزوا بنا لعلام * سيرو بنا الكدام
- دابا مول الحق ايبان (5)

(1) معنى البيت : ليتنا كنا نتفق •
(2) النبيذ الاحمر والكلمة من الدخيل •
(3) الدرى بمعنى الصبى أو الشاب ، مزوينو اى ما اجمله • أما البينو فالخمر ، والكلمة من الدخيل الاجنبى •
(4) العافية بمعنى النار •
(5) سوف يظهر صاحب الحق • وهذا البيت هو لازمة العينة

وجدنا والريف * كل شئ اظريف * ابن يوسف يرجع بالسيف
سیدی سیدی تم اتصاب هو والدراری
أیا خوتنا لسلام ...

الملك امشی وارجع * العديان اقبضهم لوجع
لقلوب ابذات اتشفع * لگلاوی والمقری لقرع
(ياسیدی)
أیا خوتنا لسلام ...

ارجع احبیبی للرباط * والناس اتحيه ابلغوات1
حيو الملك الشجيع * هو والامرا اجميع
أیا خوتنا لسلام ...

الله ينصر السلطان * اولدو مولای الحسن
ويزين لوطيان * دابا مول الحق ابيان
أیا خوتنا لسلام ...

(2) انا زینى یازینى زینى فالحاما
سیدی مولای السلطان
نرسل لیه احاما
أیا خوتنا لسلام ...

رحموا الشهدا اللى امشوا * عبد الله والزرقطونى اقضاوا
والفدائيين اللى ابقوا * فيهم هماالرجالا اللى اسواوا
أیا خوتنا لسلام ...

أیا خوتنا لمسلمين * عينوا الفدائيين
ولو ابلکلام الزين * ينصرهم رب العالمين
أيانا يانا اوین اوین کلا (2) يلغى بلغاه

أیا خوتنا لسلام ...

والله مانتحسر ولانرد القلبی
خلی لهموم اتصرف

(1) ابلغوات ای بصوت مرتفع .
(2) كل واحد .

دأبا يفرج ربي

أياخوتنا لسلام

أيانا يانا أوين أوين أوين كلا يلغى بلغاه

ينشد المغنى البينين ثم تردد المجموعة اللازمة ، ويستمر كذلك مرتين
او ثلاث مرات أو أكثر تنشد المجموعة بعدها اللازمة مع عزف موسيقى قوى
وحاد - او كباحى كما يقال - وينتهى بذلك جزء من العيطة ليبدأ جزء آخر
على نفس الاسلوب والنظام . ويلاحظ انه يشد (1) البينين فى البداية أو
فى النهاية أو فيهما معا بكلمة يقبض (2) بها النغم (سيدى) أما فى نهاية
العيطة اى فى الجزء الاخير فالغناء كله كباحى وسريع مع ترديد كلمات
القبض (أنا يانا ٠٠٠) وأما العزف فيبدأ بجرات للكمات تعقبها موسيقى سريعة
تعتمد التعريجة والطارة والهندقة ثم يبدأ الغناء .

سابعاً : الطقطوقة (3) :

وهى نوع من الغناء الخاص بالجبل فى شمال المغرب ، ولكنها اخذت
تنتشر حتى فى المدن وتجد عليها كثيراً من الاقبال . وهى عبارة عن مقطوعة
تتكون من عدة مقاطع يتركب كل منها من بيتين بقافية واحدة ، والغالب
ان تختلف المقاطع فيما بينها تقفية ومعنى . أما الانشاد فيبدأه المغنى ثم
تتلوه المجموعة تردد المقطع بعده ، على انه تضاف عند الغناء فى نهاية
السطر الاول من كل بيت عبارة «يالولاد» او «ياسيدى» حتى يشد الميزان ،
كما أنه يفصل بين المقاطع بعبارة كهذه «أيامولات الدلال» يقصد بها المغنى
الى أن يسوى الميزان او «يخاويه» على حد تعبيرهم .

1 - 2) سبق فى المدخل ان تعرضنا للشد والقبض فى الانشاد
(ن) تجدر الإشارة الى أن الطقطوقة نوع من الاغانى الشعبية المعروفة فى
مصر . وقد قامت السيدة بهيجة صدقى رشيد بتدوين كلماتها
وأغناها فى مجموعة بعنوان : (الطقاطيق الشعبية) وقالت عنها فى
المقدمة (أن أصلها قطقوطة وهو ما يطلق على الشيء الصغير وانها نوع
من الاغانى الخفيفة بسيطة فى تركيبها الموسيقى انتشرت فى الربع
الاول من القرن العشرين) (ج 1 نشر اللجنة الموسيقية العليا -
سلسلة تراثنا الموسيقى) .

وقد اخترنا من الطقطوقة هذا النموذج :

ياالولاد) لسم الله ابدينا

وعلى النبي صلينا

سيدنا محمد

هو الشافع فينا

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) يالقايل قل الله

به عمر اوقاتك

(ياسيدي) ماتوجد غير الله

عند موتك واحياتك

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا نجوم القبلا

هاذى مورا هاذى

(ياسيدي) ارفعت عيني لله

يوفى لى مرادى

(أيا مولات الدلال)

ياالولاد) أيا جليل زرهون

فيه لحجر فيه الديس

(ياسيدي) الله ايقوى حرمو

سيدنا مولاي ادريس

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) جاني النوم وتكيت

فالظل دا لمسكيا

(ياسيدي) دوك لعيون الكوخل

حرقوا التوب اعليا

(أيامولات الدلال)

ياالولاد) أيا بنات العدو

لعدو دابر بكم

(ياسيدى)

سيدى علال الحاج

هو احجاب اعليكم

(أيامولات الدلال)

ثامنا : أعيوع :

وأصله الجبل عند بنى عروس وبنى امسور وجبل حبيب ، ولكنه انتقل الى مدن الشمال • وهو أقرب الانواع الى الطقطوقة بل هو مثلها من حيث أنه مجموعة مقاطع تتكون من بيتين بقافية واحدة قد يكون بينها رابط وقد لا يكون ، والغالب أنه لا يكون وخاصة فى الموضوع ، بل انه قد يفتقد أحيانا حتى داخل المقطع الواحد حيث يكون الشطر الاول او البيت الاول كله بعيدا فى كلماته عن موضوع بقية المقطع ، ولكن الامر عندهم لا يهم طالما أن الوزن يستقيم والقافية تتحد •

ولاعيوع مناسبات ينشد فيها ، هى :

(1) الصيف ، ويقصد به فصل الحصاد حيث يخرج الرجال والنساء والاطفال للحقول يحصدون ويعيعون (1)

(2) الزيار ، أى موسم زيارة الاولياء وخاصة مولاي عبد السلام •

(3) مناسبات الافراح كالأعراس •

اما انشأده فقد يكون فرديا او ثنائيا او جماعيا ، ولكنه حتى حين لا يكون جماعيا فان المجموعة تردد ؛ وفى كل الاحوال تلتزم اثر البيت او المقطع كلمة «آياه» ومن الامثلة على أعيوع :

(1) اجديدا السبينا (2) * اجديدا وماشى انبيعا (3)

ماتسالوشى اعلى الزين * سالوا على الطبيعا

(2) زوج دا المسمرات اجينود * فالحيط مارا موشى

وخا (4) ايجيونى عشرا * ابحالك (5) مايكونوشى

(1) يغنون أعيوع • (2) المنديل

(3) أصلها نبيعها ولكنهم يحدفون الضمير •

(4) ولو • (5) مثلك •

- (3) التففحات دا الحمر * بين لحزام لايبانو (1)
- ذوك لعيون الكوحل * هما اديالو كانو (2)
- (4) رانى افراس النخلا * ريح لهوا يدينى
- عيطت يا محمد * من دالعباد نجينى
- رانى افراس النخلا * ريح لهوا يدينى
- عينى اعلى كل اطريق * آش من اخبر ايجينى
- (5) يالله امعايا يالله * يالله امعايا نلحوز (3)
- الظل والما يجرى * والنزاهة تحت الجوز
- (6) صلوا على محمد * صلوا على نبينا
- سيدنا محمد * هو احباب اعلينا
- (7) ياىلى احبيبي العالى * عالى اوفيه انزاهة
- ياد العم ياخوتى * غالا (4) انساعف واهة
- سيدى مولاي عبد السلام * عالى اوفيه انزاهة
- الجلسة امع لحباب * عمرى مائسها

تاسعا : الدقة :

وهي خاصة بمدينة مراكش وتعرف بالدقة المراكشية ، والواقع انها من حيث الشكل والكلمات لا تختلف عن الطقطوقة او أعيوع ، ولكنها تختلف عنهما في طريقة الاداء حيث يسبق الانشاد ويعقبه «التكفاف» • اى الضرب بالاكف ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدقة • ومن الدقة هذه الاغنية التي تؤديها احدى فرق مراكش :

آش اداك (5) تمشى للزين

- (1) نهود البنات الحمر اما اضافة لا «فى لايبانو» فتفيد عندهم الحال والاستمرار •
- (2) اديالو بمعنى له •
- (3) يستعملون النون بدل لا م الجر •
- (4) تضاف غالا للمضارع فيفيد الحال والاستمرار وهي عندهم ك : «لا» السالفة الذكر فى «لايبانو» •
- (5) حملك وأخذك •

وانتيا راجل مسكين
والزمان يغلبك فالحين
ماسمعتشي آش اداني

كان فالاول حب ازوين
يجمع مايبين القلبين
واصبح العاشق مسكين
فالآخر اصبح نصراني

درتها (1) بيديا واعلاش (2) مانخمم (3)

كون ماجابوني رجلى ما نجى ليه
الى دارها بيديه ايفكها ايسنيه
درتها بيديا واعلاش مانخمم

عيني تبكي
دمعي يحكي
لما حبو ادمي قلبي
ادمي قلبي

تمضي ليام
وايمر العام
جسمي فنيان
يناس دا حرام

ولما العين شافت فالعين
قلت لو يازين أنا مسكين
قال لي صافي
صافي صافي

عاشرا : غيوان بن يازغة :

اي غناء بن يازغة ، وهو منتشر في مدينة صفرو ومنطقة البهاليل

- (1) عملتها (2) اعلاش بمعنى لماذا وأصلها على اي شيء •
(3) خمم بمعنى فكر •

ويازغة والمنزل • ومن اشهر مقطوعاته «فاطما وردا معروفًا» وهى تتكون من ثلاثة اشطار بقافية واحدة ثم شطر رابع بقافية مختلفة :

فاطما وردا معروفًا

هى السلسلا دالشرفا

ماصلحت لى نخطفا (1)

وانعبي لبنات فحوص (2)

ومنها هذه المقطوعة مكونة من أربعة أشطار بقافية واحدة ثم شطر خامس بقافية مغايرة :

خرجوا ياالشبابيا

لبلاد شدت الحريا

وازهور قبضت الصينيا

اتكب غير لك اوليا

كل واحد ايشد كاسو

وقد تكون المقطوعة من ثلاثة اشطار فقط يتفق الاولان فى القافية ويختلف عنهما الثالث كقولهم :

كانخيم والقيت الراس كاع (3) خاوى

كانموت وسلطان الزين كايد اوى

او ما الطبا (4) والو ماعرفوا اشيبا

ومثلها قولهم :

كانخيم والقيت الراس فيه لفوات (5)

اشحال من كيا فيها اديال حب لبنات

مايد اويها حد ابلا اطبيب تدوا

هذه ألوان من الزجل لم نقصد من ذكرها الا الى اظهار مدى انتشاره

-
- (1) أصلها، نخطفها ولكنهم يحذفون الضمير •
 - (2) انعبي بمعنى ناخذ وفحوص من حوص اى خطف وسرق •
 - (3) كله •
 - (4) الاطباء •
 - (5) لفوات بمعنى الزائد أى أنه غير طبيعى •

وتكيفه مع مختلف البيئات لغة ونغما وأداء ، وهو انتشار لو شئنا تحديد مداه لاضطررنا الى تتبع كل المرددات والاغنيات . واذا كنا قد قسمنا الزجل الى نوع يعرف منشئه ، وهو القصيدة التي جعلناها مدار هذا البحث وآخر لايعرف منشئه ويمثل بقية اللون ، فان هناك نوعا آخر من الزجل خاصا فى شكله وموضوعه يعرف منشئه ولكنه بعيد عن القصيدة وعن كل الانواع الاخرى ولايغنى به ، وهو «الحكمة» ويتكون من بيتين غالبا مايكونان مصرعين ومتضمنين لحكمة او اكثر . وقد اشتهر بنظمه الشيخ عبد الرحمن المجدوب (1) الى حد اصبح ينسب له كل مايردد من حكم بين الناس حتى ولو لم تكن له . ومن الامثلة على حكمه :

- (1) سافر تعرف الناس * واكبير القوم طيعو
اكبير الكرش والراس * ابنص فلس بيعو
(2) ولد ابنادم لا تريه * بعد ماتريه نادم

(1) توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة للهجرة ودفن بمكناس . انظر فى ترجمته وحكمه :

أ - مناقب محمد بن احمد الحضيكى ج 2 من صفحة 190 حتى 197 (الطبعة الاولى)

ب - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ ابي المحاسن لابي حامد محمد العربى بن ابي المحاسن الفاسى صفحة 11 - 13 - 18 - 19 - 20 43 - 189 - 190 (الطبعة الحجرية)

ج - كتاب ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع ومالهما من الاتباع من صفحة 101 حتى 107 (ط حجرية) .

د - ابتهاج القلوب بنهر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجدوب لعبد الرحمن الفاسى حيث خصص لترجمته الباب الاول (الباب الاول فى التعريف بالشيخ المجدوب رضى الله عنه) ويستمر من صفحة 14 الى 65 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 326 ك) وتوجد من الابتهاج نسخة اخرى بنفس الخزانة مسجلة تحت رقم ك 2302 ويبدو أنها متأخرة عن الاولى .

هـ - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب . تصنيف نور الدين عبد القادر المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و - Les gnomes du Medjdoub - H. Decastries Paris 896

ز - Les quatrains de Medjdoub - : le sarcastique, Poète

maghrébin du XVI^e siècle par J. Scelles-millie et B. Khelifa G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

- ياسايلنى اعلى الغول * الغول هو ابن ادم
- (3) المال يا المال * اليه لبنات مالوا
- اللى ما عندوشى المال * مايعمل حتى كلبى ابخالو
- (4) احفر السرك ودكو * فالارض سبعين قاما (1)
- خلى لخلايق ايشكوا * الى يوم القياما
- (5) من لا يطعمك عند جوعك * ولا يحضر لك فى امصايب
- لاتحسبوا من افزوعك * قد (2) حاضر قد غايب
- (6) الفرب امسريض * وابوذنى اسمعت انذيرو
- والله ما يتمنوا لمغاربا *
- غير اللى كان شميرير اعلى شمريرو (3)
- (7) ياسيلنى اعلى قرن الثالث عشر
- * اكحل مافيه مارا
- الكسوا اكسوت لمسلمين * ولقلوب اقلوب النصارا
- (8) يباذ الزمان يالغدار * ياكاسرنى امن اذراعى
- طيحت من كان سلطان * وركبت من كان راعى
- (9) اقبط الاجر اقبل الدوا * واترك اعليك احديث اللى هاوى
- لمسريض اذا ابسرا * ينسى خير لمداوى
- (10) البس قدك والعب امع ندك * واشرب او كل ماتريدو
- وماتخالط غير اللى يعرف * قيمة اباك وجودو
- كذلك اشتهر بالنظم فى هذه الحكم الشيخ محمد الشرقى (4) • ومن اقواله :

- (1) القامة من مقاييس الطول • (2) قد بمعنى سواء •
- (3) الشميرير القبة وهى كناية عن النصارى والكفار •
- (4) توفى سنة عشر وألف ودفن بجعيدان من بلاد تادلة • انظر فى ترجمته وحكمه :
- أ - كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر لمحمد ابن الصغير الافرانى صفحة 25 - 26 - 27 (ط حجرية) •
- ب - مناقب الحضيكى - الجزء الثانى صفحة 91 - 92 - 93 (الطبعة الاولى) •

- (1) احفظ العلم واقراءه * الجهل ظلما اعظيما
- من لا يقرأ ما يلو جاء * في ادنيتهو كالبهيما
- (2) حب الناس ريح افريح * من ريحهم اسقيت لمراير
- واللى ايكيل امن الريح * ماتمتللو اغراير
- (3) خلطت الناس تفسد الدين * ياصاحبى رد بالك (1)
- وايفرقوا بين لثنين * وايضيعوا راس مالك
- (4) لابد من يوم معلوم * ترتد فيه لمظالم
- أفرحت من كان مظلوم * أويل من كان ظالم
- (5) اطلع الفجر وعلا * يالغابطين فالنعاسى
- انبات نسجد ونركع * اياك (2) ننجا ابراسى

ج - مرآة المحاسن صفحة 266 (ط حجرية) •
د - نشر المثانى لمحمد بن الطيب القادري الجزء الاول صفحة 47 - 48
(الطبعة الحجرية) •

ه - ممتع الاسماع من صفحة : 110 الى 115 •
و - كناش مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم ك 3027

(1) خذ بالك وانتبه •

(2) علنى أنجو •

الفصل الثاني

اللغة و الفنية

مراحل التعريب

لا يخفى ان الفتح الاسلامى كان يستهدف أمرين : نشر الدين من جهة ، ونشر العربية أدواته ولغة القرآن من جهة ثانية • وكان طبعيا - واللغة تسائر الفتح وتواكبه - أن تستقبل بسهولة ويسر حيث يستقبل بسهولة ويسر ، وأن ترفض بقوة وعنف حيث يرفض بقوة وعنف •

لذلك تعرضت حركة التعريب فى المغرب لمختلف الهزات والانتكاسات التى تعرض لها نشر الدين (1) ، بل أكثر من ذلك نستطيع أن نقول انها سارت أبطأ منه ، خلافا لطبيعة الامور وما كان ينبغى أن يكون ، لسبب بسيط هو أن فاتحى المغرب لهذا العهد الاول كانوا فى أغلبهم جنودا «يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم فيفضون الوطر من فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب» (2) •

لهذا كان ينص على عدد رجال العلم الذين يصاحبون جيوش الفتح حين يوجذون على حد ما يروى من أن موسى بن نصير ترك فى البربر ،

- 1) لم يكن أمر الفتح الاسلامى يسيرا فى المغرب كما قد يظن ، ففي الوقت الذى استطاع المسلمون أن يقيموا خلال بضع سنوات دولة واسعة الرقعة فى المشرق ، فانهم ظلوا زهاء قرن من الزمان يحاولون تثبيت دعائم الدين فى بلاد الشمال الافريقى والمغرب خاصة • ويكفى للدلالة على ذلك أن نعرف أن البربر ارتدوا اثنتى عشرة مرة على حد قول ابي زيد القيروانى ، وأن اسلامهم لم يستقر الا بعد فتح الاندلس (انظر تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110) ، وأن نعرف أن الحملتين اللتين وجهتا لفتح المغرب أو بالاحرى لمواجهة تفشى المذهب الخارجى فيه سنة 122 - 123 لقيتا فشلا ذريعا حيث هزمت الاولى فى معركة طنجة وقضى على الثانية عند وادى سبو وكانت بقيادة كلثوم •
- 2) الاستقصا ج 1 ص 165 طبعة القاهرة •

«سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن والاسلام» (1) ؛ وعلى حد ما يروى كذلك من ان عمر بن عبد العزيز بعث مع اسماعيل بن أبي المهاجر «عشرة من التابعين أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمن بن نافع وسعيد بن موسى التجيبي» (2) .

ويذكر أبو عبد الله المالكي في «رياض النفوس» أسماء تسعة من هؤلاء الفقهاء العشرة هم :

- أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع (3) .
- أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4) .
- أبو عبد الرحمن الحيلي (5) .
- اسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله (6) .
- موهب بن حى المعافري (7) .
- حيان بن أبي جبلة القرشي (8) .
- أبو تمامة بكر بن سودة الجذامي (9) .
- أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير (10) .
- اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (11) .

وأغلب الظن أن ما يقال من أن حسان بن النعمان «دون الدواوين» (12) ونشر العربية وجعلها لغة البلاد الرسمية لا يخلو من مبالغة ، وأغلب الظن أن ما يقال كذلك من ان خطبة طارق بن زياد دليل على انتشار اللغة العربية بين البربر لا يخلو بدوره من مبالغة .

وربما كان تسرب المذهب الخارجي الى المغرب فى هذه الفترة (13)

- (1) البيان المغرب ج 1 ص 37 طبعة لبنان .
- (2) المصدر السابق ص 45 - 46 .
- (3) ص : 72 (4) ص : 66 - 67 (5) ص : 64
- (6) ص : 69 - 72 (7) ص : 73 (8) ص : 73
- (9) ص : 74 (10) ص : 75 (11) ص : 75 .
- (12) البيان المغرب ص : 29 .

(13) ما كادت حركة الفتح تبدأ فى المغرب حتى بدأت فئات الخوارج المنهزمة فى المشرق تفقد عليه وخاصة منها الاباضية والصفيرية تحاول الترويج لمذهبها الذى وافق طبيعة البربر الاستقلالية وميلهم الى رفض كل سيادة تفرض عليهم سواء كانت عنصرية أو دينية .

عاملا من أهم عوامل تأخر حركة التعريب عن أن تساير نشر الاسلام ، والسبب أن أمر الدين والمذهب غلب الخوارج وسيطر عليهم ولم يدع لهم مجالا لنشر اللغة ، فقد أغفلوا امرها ولم يكونوا ينظرون اليها سوى أنها لغة الكتاب المقدس ولغة العلم لاحاجة تدعو اليها فى الحياة العامة • ولعل هذا ما يفسر لنا سر بقاء كثير من المناطق التى انتشر فيها المذهب الخارجى على لهجتها البربرية لم تحاول ابدالها بلغة الدين الجديد •

وربما كان من الادلة على ان اللغة كانت لا تزال تتعثر أن العملة التى ضربت فى نهاية القرن الاول للهجرة والتى كان بعضها يحمل اسم موسى ابن نصير ، كانت مكتوبة باللاتينية ، على الرغم من أنها متأخرة عن حركة الاصلاح النقدى التى قام بها عبد الملك فى المشرق (1) ، بل انه توجد سبع رسائل بعثت من رومة الى رجال السدين المسيحى فى الاقاليم الافريقية مؤرخة فى منتصف القرن العاشر الميلادى ومكتوبة باللاتينية ، مما يدل على أن الذين تلقوا تلك الرسائل كانوا يعرفون هذه اللغة (2) •

ومهما يكن ، فقد استطاع المغرب على عهد الادارسة ان يعيش فى ظل نوع من الاستقرار ساعد على توطيد الاسلام ونشر اللغة فى مناطق غير قليلة ؛ ونستطيع أن نعزو توسع حركة التعريب فى هذا العهد الى خمسة عوامل :

1 - **حالة الاستقرار** التى سادت مناطق نفوذ الادارسة ، خاصة وأن مؤسس دولتهم لم يدخل المغرب غازيا وانما دخله لاجئا ، وخاصة كذلك ان البربر سعوا اليه وولوه أمرهم وباعوه عن رضى وطواعية •

2 - **عروبة الادارسة** •

3 - **انشاء جامع القرويين** الذى كان له دور كبير فى النهوض باللغة العربية والفكر الاسلامى فى المغرب • وربما كان ذلك الدور ضعيفا فى هذه

(1) انظر مقالا حول تعريب الشمال الافريقى لوليام مارسى W. Marçais « Annales de l'institut d'études orientales ». Faculté des lettres de l'université d'Alger T 4 1938 P. 8

(2) المصدر السابق ، ومن أهم ماتفيده هذه الرسائل انه كان يوجد سنة 1050 م خمسة قساوسة وأنه لم يبق منهم سنة 1076 الا ثلاثة •

الفترة ولم يقو الا فى الفترات التالية ، ومع ذلك لانريد ان ننكره حتى فى مراحلہ الاولى ، خاصة ونحن نعرف أن المساجد جميعها وفى كل ابلاد الاسلاميه كانت تعبر مدارس علم الى جانب انها مراكز عبادة * بذلك لاينبنى - ونحن نشير الى هذا العامل - أن تغفل اثر الجوامع الأخرى ، وخاصة فى سبنة التى ظلت نحمل مشعل الثقافة فترة غير قصيرة *

٤ - خروج المغاربة الى طرابلس عذية الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى بلادهم وقد صنعت السنتهم وزودوا بأفكار وعلوم جديدة سم ينهم بها عهد من قبل ، بدر منهم :

أ - دراس بن اسماعيل أيفاسى ، رحل الى المشرق والقيروان والاندلس ، دارسا ومدرسا ، وعاد الى فاس حيث توفى سنة 357 *
ب - أباجيدة بن احمد اليزنسى الفاسى ، رحل الى المشرق وكان عالما بالفقه المالكى والشافعى ، وهو صاحب كتاب «الفتوى» الذى الف فى الوثائق على المذهب الشافعى توفى بفاس سنة 365 *
ج - عبد الرحيم بن احمد الكتامى السبتي المعروف بابن العجوز ، رحل الى الاندلس والقيروان ، وكان من فقهاء المالكية ، توفى سنة 413 *

5 - كثرة انوفود العربية التى قصدت فاسا فى هذا العهد ، قادمة اليها من الاندلس ، والقيروان * أما القيروانيون «وكانوا ثلاثمائة أهل بيت» (1) فقد وفدوا حوالى سنة 189 وأقاموا فى العدو اليسرى ، وعمروها حتى عرفت بعدوة القرويين * وأما الاندلسيون «وكانوا جما غفيرا» يقال أربعة آلاف أهل بيت» (2) فنزلوا بالعدوة اليمنى وعمروها حتى أصبحت تسمى عدوة الاندلس ، وكانوا قد هاجروا من بلادهم على اثر ثورة الربض التى قامت على عهد الحكم بن هشام سنة 206 *
ويعرض ابن ابى زرع أسماء بعض القبائل والأشخاص الوافدين فيقول:

(1) الاستقصا ج 1 ص 73 *

(2) المصدر السابق *

«وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على ادريس رضى الله عنه وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الاندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبنى يحضب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر ليس معه عربى فاستوزر عمير بن مصعب الازدى وكان من فرسان العرب وساداتها ولابيه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والاندلس ومشاهد نى عزو الروم كثيرة ، واستنقضى منهم عامر بن محمد ابن سعيد القيسى من قيس عيلان وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مائث وسفيان الثورى وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدو فوفد بها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ؛ ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق فكثر الناس وصاقت بهم مدينة ويلي» (1) .

ولعلنا نستطيع أن نضيف الى هذه العوامل اربعة عوامل أخرى لاشك أنها ساعدت على التعريب :

1 - قرب اللهجة البربرية - وقد تأثرت بالفينيقية - من اللغة

العربية .

2 - عدم مقاومة اللهجة البربرية للغة العربية الا فى المناطق الداخلية النائية ؛ اما فى المدن والسواحل والمراكز الهامة فقد كان السكان لا يرون بأسا فى تعلم اللغة الجديدة طالما انها لغة الفاتحين ، فقد القوا اتخاذ لغة الفاتح ومزجها بلغتهم ، اذ ليس من شأن هذه الطبقة من السكان - وهى طبقة لها مصالح - ان تقاوم ، بل انها تهادن وتداهن وتملق لتبلغ اغراضها وتحقق مصالحها . ومن هنا كانت هذه الطبقة اسرع من غيرها الى تعلم اللغة العربية .

ولعل مما يعطى اهمية لهذا العامل ان اللغة لا توجد فى الواقع

(1) «الانيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابی عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن ابى زرع : مطبوع على الحجر بفاس دون تاريخ . صفحة (14) .

ولاتمارس ولا تنطلق الا فى المدن والمراكز المتجمعة حيث يتحرك الناس ويتحدثون ، على عكس البوادي حيث يغلب الصمت على الفلاحين الذين يفضون الساعات الطويلة فى الحقول متباعدين ساكتين •

3 - تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم واعجابهم بلغته واعجازه •

4 - تهجير اخواج من المغاربة فى شكل سبى الى المشرق وعودة بعضهم الى المغرب وقد تعلموا اللغة العربية فقد «قال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير الى افريقية قبل فتحه الاندلس ومعه جماعة من الناس اخرج ابنا له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابنا له آخر يسمى مروان الى ناحية اخرى فأتاه بمائة الف رأس ، ثم توجه بنفسه الى ناحية اخرى فأتى بمائة ألف رأس ، فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس • قال الليث فلم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير فى الاسلام • قال أبوشيبة الصدفى : قدم مروان بن موسى بن نصير من السوس الاقصى وهو يجز الدنيا جرا بالسبى ، فلما قدم رسوله على موسى خرج معه وجوه الناس تتلقاه فلما التقيا قال مروان بن موسى : مروا لكل من يلقانى مع أبى بوصيفة وصيفة ، فلما أمر بذلك سمع موسى للناس ضوضاء وصياحا ورأى لهم حركة فقال : ما هذا ؟ قالوا : مروان ابنك امر للناس بوصيفة وصيفة ، قال موسى : مروا لهم من عندى بوصيف وصيف • فانصرف الناس كلهم ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة» (1) •

وليس من شك فى ان المغرب - لهذه العوامل مجتمعة وخاصة قدوم الاندلسيين فى هجرة منظمة تضم كثيرا من الفقهاء ورجال العلم - قطع مرحلة فى التعريب لا يستهان بها ، كان من المنتظر أن تعقبها مراحل اخرى لولا انه تعرض فى أواخر أيام الادارسة وبعدها لاضطراب شديد ظل يعانيه حتى عهد المرابطين •

(1) ضمیمة فى بحث الدكتور محمود مكى :

Egipto y la historiographia arabico - espanola

صفحة 224 (مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمديره - العدد الخامس سنة 1957 عدد خاص بمناسبة مرور خمس سنوات على انشاء الصحيفة) •

وكان محتما ان يتأثر سير التعريب بهذا الاضطراب ، خاصة وأنه كانت لاتزال للبربر قوة ومنعة ومراكز لم تخضع بعد للإسلام . ومن غريب الامر أن تكون العوامل التي ساعدت - وكان من الممكن أن تساعد أكثر - على نشر اللغة العربية هي نفسها العوامل التي خلقت هذا الاضطراب وأضرمت ناره . فقد بدأ العرب - بعد أن عزوا وكثر عددهم - يستبدون بالامور ، ويوزعون بينهم المناصب واخذتهم النخوة العربية والعصبية القبلية فكان أن شق المغاربة لهم عصا الطاعة ، وكان أن دخلت البلاد في عهود مظلمة من الفوضى نتج عنها أن تأخر أمر اللغة وأمر الدين كذلك .

وبعد فرون من الاضطراب والخمول ، أتيح للمغرب أن يعرف على عهد المرابطين حياة مستقرة لم تلبث أن خلقت نهضة شاملة اثرت في مختلف مجالات الحياة وخاصة في مجالى اللغة العربية والثقافة الاسلامية . وأظننا نستطيع أن نعزو هذه النهضة التي شملت التعريب الى عوامل أهمها :

1 - **قوة الدولة** في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد ومانتج عن هذه القوة من استقرار بعث الطمأنينة في نفوس المغاربة وثبت العقيدة في قلوبهم وأتاح لهم فرص التعلم والدرس .

2 - **الوحدة مع الاندلس** وما حملت الى المغرب من روافد في جميع ميادين العلم والحياة فتحت للمغرب آفاقا حضارية وثقافية ، فقد اقبلت وفود العلماء والفقهاء والادباء من الاندلس الى المغرب في تدفق لم يكن له مثيل ، ووفد على ابن تاشفين «من كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم واجتمع له ٠٠٠ من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار» (1) . وكذلك فعل ابنه على ، فلم «يزل ٠٠٠ من أول امارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع للملك» (2) .

3 - **انشاء المدارس والرباطات** في مختلف المراكز بقصد تثبيت الوعي

(1) المعجب لعبد الواحد المراكشي تحقيق العلمي والعريان (ط القاهرة) صفحة 163 - 164 .

(2) المصدر السابق صفحة : 173 .

الدينى والاصلاح الاجتماعى ، وبقصد نشر التعليم وتعميم الثقافة •
وأهم هذه المعاهد كلها جامعة ابن يوسف التى أسسها على بن يوسف بن
تاشفين فى مدينة مراکش •

4 — **عناية المرابطين بالثقافة** ، فقد كانوا شغوفين بالعلم محبين لرجالهم فى
كثير من الصدى والتفانى والاخلاص • ولاعجب فالدولة قامت على
اساس من العلم والاصلاح • واذا كان يوسف بن تاشفين قليل المعرفة باللغة
والثقافة العربيتين ، فانه كان — باجماع المؤرخين — محبا للعلم مقربا لاهله،
ونقول قليل المعرفة ولانقول جاهلا — كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوه
— لانه لاشك نال من هذه المعرفة قسطا، ابان دعوة ابن ياسين ومرابطته معه
ومع ذلك فالباحث فى كتب الطبقات سواء منها الاندلسية او المغربية
لايلبث ان يكشف النقاب عن أسماء كثير من أمراء الدولة وكبرائها الذين
كانت لهم عناية خاصة بالعلم امثال :

زاوى بن مناذ بن عطية الله بن منصور الصنهاجى المشهور بابن
تقسط (1) •

خلوف بن خلف آله الصنهاجى (2) •

عمر بن امام بن المعتز الصنهاجى الملقب بالفقيه القائد (3) •

الامير المنصور محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجى اللمتوني (4) •

الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين المعروف بابن تعيشت (5) •

ابوبكر بن ابراهيم المعروف بابن تافلويت (6) •

ولعل حركة التعريب سارت بعيدا على عهد الموحدىن حيث نشط نظم

1 التكملة لكتاب الصلة لمحمد بن البار القضاعى ج 1 صفحة 89 طبعة
كودير •

2 الجدوة لابن القاضى صفحة 115 طبعة حجرية •

3 التشوف الى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن
الزيات تحقيق ادولف فور نشر معهد الابحاث العليا المغربية سنة
1958 صفحة 198 •

4 التكملة ج 1 صفحة 193 •

5 المصدر السابق ج 2 صفحة 616 ووفيات الاعيان ج 2 صفحة 488 •

6 مقدمة ابن خلدون صفحة 519 - 520 •

مسائل اللغة العربية ، وحفظ متونها ، وازدهرت ، دراستها ودراسة العلوم اللسانية المتصلة بها ، وشاعت في لغة التخاطب بين مختلف طبقات الشعب لدرجة أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب «لحن العامة» بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامة الا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من جراء انتقاله من بيئة الى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة .

ومع ذلك فقد لجأ الموحدون الى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتأثير عليها ؛ فالمهدي يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ويأمر بالنداء للصلاة بها على حد اتهام المأمون له (1) ، وعبد المومن يكتب لولاته بأن «يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرأوا التوحيد بذلك اللسان» (2) و «كانوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري» (3) . ولكننا نرى ان مجال البربرية كان محدودا لا يتعدى الدعوة الدينية ، وان العربية لانتشارها كانت قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمرافق .

ونستطيع أن نعزو هذا الانتشار الى العوامل الآتية :

1 - هجرات بني هلال وبني سليم للمغرب ، وكان قد اسبقهم المنصور (4)

- (1) الاستقصا ج 2 ص 212 (2) رسائل موحدية صفحة 39 نشر بروقنسال
- (3) القرطاس لابن ابي زرع ، صفحة 46 .
- (4) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في الاستقصا ج 2 من ص 145 الى 158 والقرطاس صفحة 154 وتاريخ ابن خلدون ج 6 صفحة 12 . ويبدو أن استدعاء العرب واستقدامهم للمغرب بدأ على عهد عبد المومن (انظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ص 172 - 173 تحقيق عبد الهادي التازي) وعلى عهد يوسف بعده (المصدر السابق ص 412 - 413 - 414 - 415) . ويقول ابن صاحب الصلاة ان يوسف امر في مراكش «بدخول اشياخ العرب والوفود للمبايعة واخذ العهد عليهم في ذلك فدخلوا ٠٠٠ وتمت بيعتهم» (ص 433) وكان قد امر «٠٠٠ بتمييز العرب المذكورين وان يحضروا بين يديه في رحبة قصره العتيق بدار الحجر داخل حضرة مراكش ٠٠٠ فابتدأوا بالدخول عليه ٠٠٠ على ترتيب توحيدهم اولا في قبائلهم السابقة لهذا الامر العزيز وعشائهم فكان الذي ابتدأ أول يوم قبيلة زغبة لتقدمهم في التوحيد وأمروا ان يدخلوا في كل يوم بعدد معلوم من

بعد أن قدموا الطاعة اثر انتصاره على حليفهم ابن غانية • وكان لهذه الهجرات اثر كبير جعل ابن خلدون يرى ان «العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى أواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هناك فكانت أخبارهم من أخبارها ••• وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة» (1) ومثل هذا يراه ابو القاسم الزياني حيث يقول انه « لم يكن بالمغرب كله أحد من قبائل العرب الى ان جرحهم المنصور الموحدى بمكيدة الجهاد» (2) •

2 - وفود جماعة من غز مصر (3) ، وهم طائفة من الموالى اترك الاصل

حالفوا بنى هلال وبنى سليم فى انضمامهم لثورة ابن غانية •

3 - وفود جماعة من عرب بنى معقل كانوا بدورهم حلفاء لبنى هلال (4) •

4 - زيادة توافد الاندلسيين على المغرب بعد ان تمغربت الاندلس •

كل هذه العوامل كان لها اكبر الاثر فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع شمل الحواضر والبادى والجبال والسهول حيث عاش الوافدون مع البربر حياة واحدة جعلتهم يتجانسون معهم ويتبادلون أساليب العيش والاعراف ، مما زاد فى تغلغل العربية وتمكنها من اللسنة لدرجة اصبح البربر كلهم على حد قول الفريد بيل يتقنون اللغة العربية فى جبال

القبيل المأمور له فتمادى تمييزهم على هذا الترتيب الغريب مدة خمسة عشر يوما يدخلون غدوة حتى صلاة الظهر ثم يرجعون بطائفة اخرى من بعد صلاة الظهر الى آخر النهار على ترتيب القبائل المذكورة والعشائر» (ص 434 - 435) •

- (1) ج 6 ص 4 من تاريخ ابن خلدون •
- (2) الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور برا وبحرا صفحة 69 نشر الاستاذ عبد الكريم الفيلالى (وزارة انباء المغرب سنة 1967) وقد علق الناشر على هذا الكلام برأى غريب قال فيه : «يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهى قبائل قدمت منذ الفتح العربى الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب» •
- (3) انظر المعجب صفحة 288 •
- (4) انظر الاستقصا ج 2 من صفحة 159 حتى 162 •

الاطلس (1) وغدوا - كما يقول كوتبي - يستنكرون الاصل البربرى ويرفضون الانتساب اليه ولا يكتفون باستعمال اللغة العربية فحسب بل يؤكدون انهم عرب وأنه لا تجرى فى روثهم نقطة من الدم ليست بعربية (2) وهو رأى يؤكده ماجاء فى دائرة المعارف الاسلامية من أن البربر «تغيروا تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم فى أغلب الاحيان (3)

A. BEL

(1)

LA RELIGION MUSULMANE EN BERBERIE

(établissement et développement de l'Islam en Berbérie)

P 204

F.F. Gantier (2)

LES SIECLES OBSCURS DU MAGHREB

P 410

(3) الترجمة العربية مادة : بربر *

نشأة العامية

لسنا نريد أن نذهب أبعد من هذا في تتبع مراحل التعريب ، فليس من شك في أن عهد الموحدين شهد تمام استعراب المغاربة ، وليس من شك كذلك في أن هذا الاستعراب سار في اتجاهين :

الاول : انتشار العربية الفصحى لغة للكتابة والعلم : وتتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والعلوم والآداب ، وهي لغة مشتركة بين أبناء العربية والاسلام في كل الازمنة والاقاليم . ولسنا بصدد التعرف الى هذا الاتجاه .

الثاني : انتشار العربية لغة للتخاطب والحياة العادية اليومية ، وهي لغة لم تكن معربة بأى حال من الاحوال ، وانما كانت لهجة دارجة (1) تختلف في المغرب عن غيره من الاقاليم ، وهي التي يهمنا ان نتعرف اليها . و «اللهجة في الاصطلاح الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ماقد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص» (2)

(1) كان علماء العربية القدماء يطلقون على اللهجة : اللغة واللعن . أما ما نسميه نحن لغة فكان يطلق عليه «اللسان» وبه ورد معناها في القرآن الكريم .

(2) «في اللهجات العربية» للدكتور ابراهيم انيس ص 13 الطبعة الثانية لجنة البيان العربى - القاهرة سنة 1952 .

وتتميز اللهجات داخل اللغة الواحدة بثلاثة عناصر :

أولا : طبيعة الاصوات •

ثانيا : مبنى بعض الكلمات •

ثالثا : معنى بعض الكلمات •

على أنه مهما اختلفت اللهجات فى الاصوات ، فإنه ينبغي ان تظل مشتركة - ولو الى حد - فى مباني الكلمات ومعانيها ، لانه متى اتسع نطاق الاختلاف فى بناء الكلمات ودلالاتها واصبح كبيرا ومبعدا للفهم ، استقلت اللهجة لتصبح لغة •

ونستطيع ان نعزو تكوين اللهجات الى عوامل أهمها :

أولا : توارث الكلام جيلا اثر جيل •

ثانيا : طبيعة الاقاليم •

ثالثا : الاحتكاك بالاعاجم والاتصال بهم ومدى هذا الاتصال وما ينقل

به من كلمات وتراكيب اجنبية •

رابعا : اختلاف الالسنه والحناجر قوة وضعفا وصلابة ورخاوة •

وقد تنبأ ابن حزم الى بعض العوامل حين قال : «... والعربية التى هى لغة مضر وربيعه لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها فحدث فيها جرش (1) كالذى يحدث من الاندلسى اذا رام نغمة اهل القيروان ومن القيروانى اذا رام نغمة الاندلسى ومن الخراسانى اذا رام نغمته • ونحن نجد من سمع لغة أهل فحس البلوط وهى على ليلة واحدة من قرطبة كاد ان يقول أنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة • وهكذا فى كثير من البلاد فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها بتديلا لا يخفى على من تأمله • ونحن نجد العامة قد بدلت الالفاظ فى اللغة العربية بتديلا وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون : فى العنب العينب وفى السوط اسطوط وفى ثلاثة دنانير ثلثدا • واذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة واذا تعرب الجليقى ابدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا اذا اراد ان يقول محمدا • ومثل

(1) الجرش الحك ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض •

هذا كثير • فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن ان اختلافها انما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة فى الاصل» (1) •
ويذهب الدكتور ابراهيم انيس الى أن تكون اللهجات يعزى الى عاملين رئيسيين هما :

« 1 - الانعزال بين بينات الشعب الواحد •

2 - الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات» (2) •

حقا لقد اتسع نطاق العربية باتساع رقعتها فى بلاد مختلفة فصلت بينها حواجز طبيعية وسياسية جعلت اتصال أبناء هذه البلاد محدودا •
فكان أن نشأت فى كل اقليم وبعد فترة ما - طويلة او قصيرة - لغة جديدة متطورة عن اللغة الاصلية تطورا يخضع لطبيعة البيئة والسكان وظروف الحياة فى مختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

وحقا كذلك ان الصراع بين العربية ولغات البلاد المفتوحة يختلف قوة وضعفا من اقليم الى آخر • ولكن من الخطأ الظن بأن العربية حين وفدت الى هذه البلاد كانت معربة ونقية بل انها كانت تتخذ شكلين :

الاول : اللغة المعربة المتمثلة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما حمل الفاتحون من علوم •

الثانى : لغة الفاتحين ، وتمثل لهجات مختلف القبائل والطبقات التى شاركت فى الفتح •

ولعله من الانصاف أن نقول ان الصراع بين العربية واللغات المحلية لم يكن صراعا بين لغة القرآن وتلك اللغات ، وانما كان بين هذه وبين اللغة التى كان يتكلم بها الفاتحون ويتخاطبون فى حياتهم اليومية العادية ، أى بين اللغات المحلية وبين مجموعة من اللهجات العربية ؛ اذ من الخطأ الظن

(1) «الاحكام فى اصول الاحكام» لابی محمد على بن حزم الظاهري ج 1 ص

31 - 32 الطبعة الاولى مطبعة السعادة • مصر •

(2) «فى اللهجات العربية» ص 18 •

بأن هذه اللهجات لم تكن موجودة ، بل انها كانت تعايش العربية الفصحى في موطنها الاصلى ومنذ أول عصورها حتى في غير التخاطب • فليس من شك أن العرب في جاهليتهم كانت لهم اشعار غير تلك التي وصلتنا والتي تمثل مرحلة نضج الشعر والتي يرجع تاريخها الى حوالي قرن ونصف قرن قبل البعثة ؛ وليس من شك كذلك أن هذه الاشعار التي لم تصلنا كانت بمختلف اللهجات العربية ولم تكن بلغة قريش وحدها لان قريشا لم تكن قد تمت لها السيادة • وحتى بعد ان أصبحت للغة قريش مكانتها في بلاد العرب — وهي المكانة التي عززها الاسلام حيث أصبحت لغة الدولة والدين — لم يقض على اللهجات القبلية الدارجة •

ومع ذلك كان العرب في صدر الاسلام يأنفون من الابتعاد عن النطق الفصيح • فقد كان اللحن على عهد الرسول صلوات الله عليه يعتبر ضلالا ، ويروى عنه أنه قال ، وقد لحن احد المسلمين بحضرته : «ارشدوا اخاكم فانه قد ضل» و «يروى ان عمر رضى الله عنه كان يضرب على اللحن • فأما العرب فاذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونزوله على طريقة السابلة سقطت عند اهل اللغة منزلته ودفعت ورفضت لغته» (1) • وكان بنو مروان يبعثون اولادهم للبادية حتى تنشأ السننهم مستقيمة ، فانه يروى أن عبد الملك الزم ابنه هشام ومسلمة بالبادية فكانا فصيحين • أما ابنه الوليد ومحمد فلم يخرججا فكانا لحانين • وكان يقول : «اضر بالوليد حبا فلم نوجهه للبادية» ويروى كذلك انه : «قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وانا أعرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ، يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من أمور» (2) •

-
- 1 «نقد النثر» لابی الفرج قدامة بن ابى جعفر الكاتب البغدادى • تحقيق د • طه حسين وعبد الحميد العبادى • نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة سنة 1938 •
 - 2 «البيان والتبيين» للجاحظ ج 1 ص 135 طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — سنة 1948 — تحقيق عبد السلام هارون •

وماكاد امر الدولة الاموية ينتهى - وهى الدولة العربية الخالصة - حتى تفشت العجمة وانتشر اللحن ، فقد غلب الطابع الاسلامى على دولة بنى العباس ، وهى دولة فارسية ما فى ذلك شك ، اتاحت فيها فرص المناصب الكبيرة ومراكز السلطة لغير العرب ، فلم يكن غريبا ان تتعرض اللغة لهزات عنيفة وتواجه انماطا من اللغات ومن اللهجات ، ولم يكن غريبا بالتالى أن يصيب العربية تغيير كبير أبسط مظاهره شيوع الاخطاء وتفشى اللحن وانتشار الاساليب المولدة * يقول ابوبكر محمد الزبيدى فى «لحن العوام» : «ولم تزل العرب فى جاهليتها وصدر من اسلامها تبرع فى نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين فاخطلط العربى بالنبطى والتقى الحجازى بالفارسى ودخل الدين اخلاط الامم وسواقط البلدان فوقع الخل فى الكلام وبدأ اللحن فى السنة العوام» (1) *

وبذلك دخلت الفصحى فى صراع مع العاميات كان من نتائجه أن بدأ الناس - وحتى المتعلمون منهم - يعتبرون العربية النقية التى لم تتأثر بالتيارات الجديدة لغة خشنة جافة ، واصبح اللحن يغتفر * يقول قدامة : «وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطأ للانسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وانه قد فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الاعاجم والاقباط وسائر الاجناس (2)» * بل اصبح يجب على المتكلم ان يلحن فى بعض المواقف وفى هذا يقول قدامة : «وأما المواضع التى يجب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له فى أمثالها ويكون ذلك مما يوجبه رأى فهو عند الرؤساء الذين يلحنون والملوك الذين لايعربون ، فمن الرأى لذى العقل والحنكة والحكمة والتجربة الا يعرب بين ايديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولايريهم أن له فضلا عليهم ، فان الرئيس والمملك لايجب ان يرى احدا من تباعه فوقه ... ومن ذلك مايحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون فلحن فعوتب على ذلك فقال : لو كان الاعراب

(1) صفحة 4 طبعة اولى - القاهرة سنة 1964 تحقيق د * رمضان عبد التواب *

(2) نقد النثر ص : 143 *

فضلا لكان أمير المؤمنين اليه أسبق (1)» .

لذا لم يكن عجيبا ان نرى انجاحظ يتحدث في «البيان والتبيين» عن لغة مختلف طبقات الناس ويجعل بابا للحن وآخر للحنين البلغاء ، ويذكر انه «قيل لأبي حنيفة : «ما تقول لرجل اخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، اتقيده به ؟» قال : «لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (2) وأن أبا شيبه فضى واسط قال : «أتيتونا بعد أن أردنا أن نقم (3)» .

ولم يكن عجبا كذلك ان نرى مجموعة من العلماء في حدود المائة انثالثة تؤلف في لحن العامة امثال أبي عبيدة وأبي حنيفة الدينوري وأبي عثمان المازني وأبي ناسم السجستاني والفراء والمفضل بن سلمة ، وان نرى مجموعة أخرى تؤلف فيما بعد عن لحن الخاصة امثال ابي هلال العسكري والحريري ، في وقت ظل آخرون يؤلفون في لحن انعامه امثال ابي بكر الزبيدي (ت سنة 379) وأبي منصور الجواليقي (ت سنة 539) .

يتضح لنا من هذا كله أن اللغة العربية التي انتشرت في المغرب كانت تنحد شكلين :

الاول : معرب تمثله النصوص المدونة والمروية ، وقد تكيف - ولو الى حد - بالاقليم الذي القى بظلاله عليه واكسبه طابعا محليا يميزه عن غيره .

الثاني : عامي ، وتمثله خمس مجموعات من اللهجات :

- 1 - لهجات الفاتحين الاول .
- 2 - لهجات الوافدين من الاندلس والقيروان .
- 3 - لهجات بني هلال وبني سليم وحلفائهما .
- 4 - لهجات المغاربة الذين كانوا يحاولون أن يتعلموا اللغة العربية في المغرب .

5 - لهجات المغاربة الذين رحلوا الى المشرق أو الاندلس والقيروان

وعادوا الى بلادهم .

-
- (1) المصدر السابق ص 144 .
 - (2) البيان والتبيين ج 2 ص 212 .
 - (3) المصدر السابق ص : 222 .

ولعلنا نستطيع ، مما نعرف من مواطن نزول مختلف الوافدين ، أن نذهب الى ان لهجات أهل الاندلس والقيروان كانت منتشرة في فاس والمناطق المتاخمة لها في الشمال ، وأن لهجات بني هلال وبني سليم كانت منتشرة في الجنوب . ومع ذلك فالواقع ان من كل هذه المجموعات ومن اللغة العربية الفصحى كذلك ، وبالتأثر لاشك باللهجة او اللهجات البربرية المحلية ، «نشأت بالضرورة لغة للتفاهم لايمكن ان نصورها بسهولة كافية الا اذا ضمربنا مثلا *Lingua franca* أو *Pidgin english* او غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة . وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطة المحصول الصوتى وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابى واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها كما ضححت بالفرق بين الاجناس النحوية واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام للتعبير عن علاقات التركيب (1)» .

(1) «العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب» تأليف يوهان فك : *Johann Fuck* ترجمة استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربى . القاهرة سنة 1951 .
وفى تعليق بنفس الصفحة ان *Lingua Franca* اصطلاح اوروبى يقابله في بلاد الشرق تعبير اللغة الافرنجية ، وهى خليط من الكلمات الايطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشاوفة في التفاهم مع الاوربيين . و *Pidgin english* اصطلاح على لهجة انجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية يجرى التفاهم بها بين الانجليز والاجاب على الاخص في بلاد الشرق الاقصى .
و *Pidgin* كلمة محررة عن *business* الانجليزية .

خصائصها

الاسف شديد أنا لانعرف حال العامية حين نشأت في المغرب ولاحين تطورت عبر الفرون - وما أسرع ما تتطور - طالما أنها غير مقيدة بكتابة او قواعد . ولسنا نجد من وصفها الا اشارات عابرة خفيفة كالتى قدم المقدسى حين تحدث عن اقليم المغرب فقال : «ولغتهم عربية غير انها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الافاليم ، ولهم لسان آخر يقارب الرومى ... والغالب على بوادى هذا الاقليم البربر وأكثرهم بكورة السوس وهم قوم على عمل الخوارزمية لايفهم لسانهم ولاترضى طباعهم (1)» .

كذلك نجد ابن هشام اللخمي في «لحن العامة (2)» يتعرض للغات العامية في مختلف الاقطار ومنها المغرب . وقد نشر استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهواني بحثا بعنوان «الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (3)» اختار منه بعض الالفاظ الاعجمية التى تسربت للهجة المغربية الاندلسية من البيئة المحلية كما اختار بعض الالفاظ التى اكسبتها هذه البيئة معنى جديدا .

ولو شئنا أن نعرف الى حال هذه اللهجة بعمق واستقصاء وتفصيل لاحتاج منا ذلك الى بحث مستفيض ومجال واسع لايتهيأ لنا فى هذا الفصل ولايتيحهما موضوع الرسالة نفسه . لذلك فأننا نكتفى بالقاء الضوء على بعض الخصائص التى من شأنها أن تقرب هذه اللهجة الى القارئ البعيد عنها وتسهل فهمها عليه .

وفد قسمنا هذه الخصائص الى قسمين : احدهما عام يشمل اللهجة

(1) «أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» ص 343 طبعة ليدن 1909 .

(2) مخطوط. بالاسكوريال حيث توجد منه نسختان رقم الاولى 46 ورقم الثانية 99 .

(3) مجلة معهد المخطوطات المجلد الثالث سنة 1957 .

إدارجة المغربية ، ونقصد اللهجة العامة المنشورة في أهم المدن والمناطق ،
والثاني خاص باللهجة الزجل ، وهي تدخل في نطاق اللهجة العامة لاختلاف
عنها إلا في بعض الجوانب التي حاول الشعراء تطويرها أو إضافتها تطويعا
للعنهم حتى تسعفهم في التعبير الفني .

أولا : خصائص عامة (1) :

1 - فتح عين اسم الفاعل فيقال في :

صالح = صالح (بفتح اللام)

عالم = عالم (بفتح اللام)

باستثناء لهجة الجبل فانها تحتفظ بالكسر .

2 - تسكين عين فاعله فيقال في :

جاريه = جأريه (بتسكين الراء)

قابلة = قابلة (بتسكين الباء)

نادمة = نادمة (بتسكين الدال)

3 - حذف ياء مفاعيل مع تسكين الميم وفتح العين ، فيقال في :

مفاتيح = مفتاح (بتسكين الميم وفتح التاء)

مزامير = مزامر (بتسكين الميم الاول وفتح

الميم الثاني)

4 قلب (ا ء) انتهائية الى تاء تانيث مربوطة فيقال في :

حمراء = حمرة

ثلاثاء = ثلاثة

صحراء = صحرة

5 - حذف الياء في وادي فيقال : واد بتسكين الدال

وكذلك في جوارى فيقال : جوار بتسكين الجيم والراء

-
- 1) انظر في ذلك : Louis Brunot ; a) Introduction à l'arabe marocain. G-P. Maisonneuve et Cie Paris 1950
b) Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain Mélanges W. Marçais Paris 1950 P. 56.
2 - G. S. Colin : Notes de dialectologie arabe Hesperis - T. X 1930. Fas I.

6 استخدام صيغة المثنى للجمع فيقال :

ويدان (ج واد)

فيسان (ج فاس)

7 - استخدام الجمع للمثنى فيقال في :

ضربتهما = ضربتهم ابزوج (تضاف ابزوج لتأكيد التثنية)

قرأتهما = أقرتهم ابزوج

8 - استخدام الجمع بمعنى المفرد ، فيقال في :

جنة = جنان

قبر = قبور

روض = رياض

خلق = اخلاق

عضو = اعضا

9 - نطق اسم الموصول : الـى = اللى ، وهو نطق تكاد تشترك فيه

جميع اللهجات العربية •

10 - التزام بعض الاسماء الخمسة لحالة واحدة ، مثل :

اباك - خاك

احموك

11 - خضوع الاضافة لاسلويين :

1 - مركب باستخدام كلمة متاع او ديال ، فيقال في :

كتابي = الكتاب اديالى

دارنا = الدار امتاعنا

2 - بسيط باستخدام انضائر والتزام الحركات على هذا النحو:

أ - النصب فى حالة الخطاب فيقال :

عمك - خالك - كتابك - دارك •

ب - الرفع فى حالة الغائب المفرد ، فيقال :

راسو - جدو - بيتو •

ج - السكون فى بقية حالات الغياب فيقال :

حبيبا - رجلها (للغائبة)

بلادهم - دارهم (للغائبين والغائبات)

12 - ورود اسم الاشارة على هذه الصيغ :

هاذوك

هاذول

ذوك

ذوكا

13 - نسهيل الهمز ، فيقال في :

رأس = راس

بئر = بير

14 - تشديد الضمير الغائب المفرد ، فيقال :

هو - هي

15 - نطق حرف الجر (فى) دون مد الفاء مع ميل الى فتحها ،

وكتابتها - ان كتبت - متصلة دائما بمجرورها : فالدار -

فالبيت .

16 - نطق (له) و (به) على حالتين :

1 - له بكسر اللام وتسكين الهاء (ومثلها به)

2 - لو بالضم والمد (ومثلها بو)

17 - ابدال هاء الغائب واوا فيقال في :

كتبه = كتبوا (مع تسكين التاء)

ضربه = ضربوا (مع تسكين الراء)

وقد تحذف هاء الغائبة كذلك فى لهجة الشمال ومنطقة صفرو

والبهايل فيقال في :

كتبها : كتبوا (مع تشديد الباء)

ضربها : ضربوا (مع تشديد الباء)

18 - تسكين أواخر الكلمات وعدم اتخاذ الحركات وجواز التقاء

الساكنين .

19 - ورود الفعل المضارع فى حالة المتكلم المفرد على صيغة الجمع ،
فيقال :

نكتب - نلعب (بتسكين آخر الفعل)

20 - ورود الفعل المضارع فى حالة الجمع على نفس الصيغة مع مد
آخر الفعل وضمه فيقال :

نكتبو - نلعبو

21 - حذف نون الجمع فى المضارع ، فيقال فى :

ياكلون : ياكلوا

يمرحون : يمرحوا

22 - زيادة حرف (الكاف) أو (التاء) فى أول المضارع للدلالة على
الحال والاستمرار ، فيقال :

كيخدم - تيقرا

ويلاحظ أن لهجة الشمال تزيد (اللام) وعبرة (غالا) فتقول :
لايلعب - غالا يقرأ

23 - اضافة حرف الشين للتعبير عن النفي فيقال :

ماتلعبش - ماتجريش - (بتسكين الشين أو كسرهما)

24 - استخدام صيغة افعال للدلالة على الصيرورة ، حيث تبني
عليها :

1 - افعال مشتقة من الالوان ، فيقال :

احمار : صار احمر

اصفار : صار اصفر

2 - افعال مشتقة من بعض الصفات ، فيقال :

اعراج : صار اعرج

ارطاب : صار رطبا

أطوال : صار طويلا

احماض : صار حامضا

اصلاح : صار صالحا

25 - استعمال صيغة مفعول (بفتح الميم وكسرهما) لمجرد الوصف ،
فيقال :

محساد - مغيار - مبراص - مزيان

ثانيا : ظواهر خاصة :

نظرا لان اللغة العامية لاتستعمل الا للشؤون العادية فانه «من الصعب على من يريد التعبير بواسطتها عن احساساته الخاصة وأفكاره أن يكتفى بمفرداتها المحصورة فيضطر الى الاقتباس من اللغة الفصحى ، ولم يتأت هذا بالطبع في أول الامر الا لشعراء كانوا من المثقفين الذين تعلموا العربية الفصحى وأجادوها مثل سيدي عبد العزيز المغراوي في القرن العاشر» (1)
فقد ادخل اشياخ الملحون - والمثقفون منهم خاصة - كثيرا من المترادفات وكثيرا من الغريب . وجاء الاميون منهم فقلدوهم في استعمال هذه الالفاظ . ثم ان هؤلاء الاميين كانوا يجلسون الى العلماء ويستفيدون من الدروس والمجالس مما قوى ثروتهم اللغوية . ومع ذلك لم يكونوا يبتعدون وكانوا يتصرفون في الصيغ والتراكيب . ومن هنا نلاحظ جملة ظواهر ، منها انهم :

(1) جمعوا قصيدة على قصدان وأئمة على نمول وكأس على كيوس
وحاجة على حيجان .

(2) لجأوا الى الصفات وسموا بها كقولهم للقلب الخبير والساكن ، وللبحر الزخار والمآلى ، ولشمس العشية الذهبية ، وللغزال الحذار أى الذى يحذر الصياد ، وسموه الجفال والشروذ . وكثر ذكر الغزال فى شعرهم لتشبيهه المحبوبة به فأطلقوا عليه الدامى والدروج والربراب والريم والزهام والزهزوم والمها والصياح والعراض والعمهوج وأنقرهوب والشادى وشارد العفا والشرشة والشريد والوسنان واليطلول واليعفور .

من هذا قولهم فى أسماء العيون : أبصار وأتماد وأحداق وأرماق

(1) مقال «لغة الملحون» لـاستاذ محمد الفاسى - مجلة البحث العلمى
عدد 4 - 5 السنة الثانية يناير غشت 1965 .

وأرماش وألحاط وأعيان وأغلاس وأغناج وتمود ورموق ورواق

ومقلات وانجال ونجلات ونواجل ونيام *

(3) اشتقوا من الاسماء صفات فقالوا : رجيل للرجل الشجاع الصابر ،

ورجول لكامل الرجولة * وقالوا : مبشور - مشتقة من البشر -

اي فرح مبتهج ، واشتقوا من الادب : مدوب *

(4) استعملوا المفرد بمعنى الجمع وخاصة في صيغة فعول ، فقالوا : حسود

يقصدون الحساد وجحود بمعنى الجاحدين *

(5) استعملوا صيغة تفعال في المصادر فقالوا :

التحقاق بمعنى التحقيق

التجفال بمعنى التيه والصد

التغراد بمعنى التغريد

التفرد بمعنى الانفراد

(6) استعملوا صيغة تفعيل في غير المعنى الذي تؤديه هذه الصيغة فقالوا:

التزهيد بمعنى الزهد

(7) استعملوا صيغة فاعيل بمعاني :

1 - فاعل فقالوا : جهيل بمعنى جاهل وحسيد بمعنى حاسد

2 - منفعل فقالوا : سكيب بمعنى منسكب *

3 - متفعل فقالوا : حبيك بمعنى متشدد *

(8) استعملوا صيغة افعال بمعنى استفعل فقالوا :

اسقام بمعنى استقام *

(9) استعملوا مركبات اضافية للدلالة على بعض الكلمات والمعاني ، فقالوا:

للقلب أمير الاكنان وأمير الحشا وأمير الاسيار (اي الدواخل) ،

وللخمر بنت الدوالى ، ودم العنقود ، وللمحجوبة ام التيوت (اي

الشعور السوداء) وأبو دلال وأبو دواح (اي صاحبة الحلق) وللفراشة

أم الوبرات *

(10) استعملوا بعض الالفاظ في معاني معروفة في العربية فقالوا :

الاحبار بمعنى الشعراء الكبار *

- البطارق بمعنى العلماء الراسخين •
الميز بمعنى الذكاء مع لباقة وظرف •
11) استعملوا كلمات عربية في غير معانيها المعروفة مثل :
الوسنان للغزال •
العانس للفتاة الجميلة
12) تصرفوا في بعض الالفاظ اخضاعا لها للوزن والقافية ، فقالوا في :
البنفسج : بلفجج وبلفجوج وبنفجيج •
اتماد : تمود •
13) أضافوا ياء الى بعض الكلمات ، مثل :
اطوادى : فى اطواد بمعنى الجبال •
كتمانى : فى كتمان
14) استعملوا التنوين فى بعض الظروف : قبل وبعد •
15) استعملوا التنوين فى بعض الافعال : ليس • وتكون بمعنى ما النافية
وبمعنى لم • وجعلوها تدخل على الماضى • ومع ذلك فكثير استعمالها
بدون تنوين •
16) استعملوا ذى فى هذه •
17) استعملوا اللذى فى الذى
18) استعملوا لان او لان (بنون ساكنة مشددة او مخففة) فى لان
19) استعملوا كن فى كأن
20) ثم انهم توسعوا فى لغتهم «فاستوعبوا أسماء الازهار والالوان
والاطعمة والطيور والحيوانات والاشجار والملابس والاسلحة وآلات
الموسيقى وأواني المنزل والاثاث وأدوات الصنائع فأدخلوا كل ذلك
فى لغتهم حتى صارت من أوسع اللغات وأغناها بل حتى صار ذلك
من العوائق عن تفهمها وتذوقها لكثير ممن ليست لهم ممارسة ومعرفة
خاصة بهذا الانتاج الادبى الضخم» (1) •

1) مقال «لغة الملحن» للاستاذ محمد الفاسى — مجلة البحث العلمى عدد
4 — 5 السنة الثانية — يناير غشت 1965 •

جوانب بلاغية

تنطوى اللغة العامية بطبيعتها على شفافية وفعالية ومرونة وحيوية تجعلها قادرة وباستمرار على امتصاص المعاني والافكار الجديدة واكتساب الالفاظ والتراكيب الوافدة ، يساعدها فى ذلك عدم تقيدها بقواعد وقوانين متجمدة تحول دون تكيفها مع الواقع واستقبال كل الروافد واحتضان اى جديد * .

ولكنها مع ذلك لا تكون صادقة وساحرة وجميلة الا اذا كانت متصلة بمنشئها محتفظة برهافتها وقدرتها على التعبير فى مستوى بلاغى رفيع * .
أما الاتصال فليس من شك فى «أن اللغة اذا كانت منفصلة أو شبه اجنبية بالنسبة للشاعر فقد بطل سحرها فى نفسه وسقط التجاوب العاطفى بينه وبينها فأصبحت عاجزة أو أصبح هو عاجزا عن أداء هذا التعبير الوجدانى فى صورته التامة الكاملة الدقيقة التى تشعر بالراحة وتزيح عن صدره ما يجثم عليه ويمتلىء به من انفعال وجدانى * . ان الشاعر لابد أن يمتلك أدواته اللغوية امتلاكاً كاملاً ليكون قادراً على تصريفها فى اغراضه واستخدامها فى نظمه» (1) * .

وأما البلاغة فان الحديث عنها قد يثير غضب الذين لايعترفون باللغة العامية اداة للتعبير الجميل ، وهم كثيرون * وقبل أن نكشف لهؤلاء عن جوانب البلاغة ومظاهرها فى شعر اداته اللهجة الدارجة ، فانا نرى أن سنعرض أقوالا لابن الاثير وابن خلدون لعلها أن تخفف من حدة غضب الرافضين للعامية وأدبها وأن تبعث فى نفوسهم بعض الاستعداد للنظر فى هذا الادب * .

(1) «ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار فى الشعر» لاستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الـهـوانى ص 16 - 17 - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة سنة 1962 * .

يقول ابن الاثير متحدثا عن الطبع والآلات ، وهى العلوم ، ومنها اللحن : «وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لاتغنى تلك الآلات شيئا ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه اذا لم يكن فى الزناد نار لاتفيد تلك الحديدة شيئا (1)» . ويقول كذلك مبينا أن اللحن لايقدح فى الفصاحة والبلاغة : «... أن الجهل بالنحو لايقدح فى فصاحة ولابلاغة ولكنه يقدح فى الجاهل به نفسه ، لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم ، والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ماجرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن فى اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة . ولهذا لم يكن اللحن قادحا فى حسن الكلام لانه اذا قيل : جاء زيد راكب ، ان لم يكن حسنا الا بأن يقال : جاء راكبا - بالنصب - كان النحو شريطا فى حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم فى الخطب والوسائل من الكلام المنشور (2)» .

والى نفس الرأى يذهب ابن خلدون فى قوله : «ان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو العمل ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة المهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه أو ذوى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الكلمة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لايحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولاشيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هى غير صناعة العربية وانها مستغنية

(1) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر «لابى الفتح ضياء الدين بن

الاثير ج 1 ص 8 طبعة الحلبي مصر سنة 1939 .

(2) المصدر السابق ص 18 - 19 .

عنها بالجملة (1)» .

ويضيف مدافعا عن شعر أهل امصار المغرب من العرب ومحددا معنى البلاغة : «... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها ، وهذا انما اتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان كان سليما في الآفات في فطرته ونظره ، والا فالاعراب لآمدخل له في ابلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والتصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت ابلاغة ، ولاعبرة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الاعراب في أواخر الكلم (2)» .

ومثل هذا يؤكد مخلصا في تاريخه حيث يقول : «... الا ان الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون أن الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك (3)» اما مظاهر البلاغة (4) في القصيدة الزجلية فيحصرها الاشياخ النقاد

- (1) المقدمة (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم) ، ص 492 طبعة بولاق .
 - (2) المقدمة (فصل في اشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد) ص : 511
 - (3) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 18 طبعة بولاق .
 - (4) يجدر بالذكر أن الشاعر الشعبي استعمل كلمة بلاغة . يقول ابن علي في أول قسم من «المحاورة» :
- افراجا مقصيا اكما اسمعت انعاود للسامعين برضاهم
برجاحت لعقل وابلاغت لجبار جببت اخصام الخودات في انهايت
شعري منظوم

ويقول كذلك في آخر قسم من «الحجام» :

غير ابلاغا فاتشعر وانظامو
عمري ماوشمت ولانعرف واشما ولانا داخل لكلوف

فى أربعة عناصر (1) :

اولا : التجنيس او الجناس ، ولا يكون عندهم الا تأما •

ومن الامثلة عليه قول الكندوز فى «غاسق لنجال» ، وهو اكثر الشعراء
براعة فيه :

بجفاك عمدا لى عدت انحيل

ماشفك تعذابى اولا محانى

سيف لجفا امحانى

لعباد لامحانى

فامحانى الاولى جمع محنة ، والثانية فعل معا فاعله السيف ،
والثالثة فعل ملح بمعنى رأى فاعله العباد • ومن الامثلة عليه كذلك :

دمعائك القلب الدامى ملو الحوف

واتمزق لكسا واكذاك الحافى

والردا وقماش الحافى

ازحفت من ذا القدم الحافى

فالحافى الاولى بمعنى الغطاء والثانية بمعنى الفراش والثالثة بمعنى
حافى القدمين •

ومن الجناس الوارد فى هذه القصيدة :

كمن امليح به اصيارى باتو اهتوف

واغضبت عن النفس وقلت اكتافى

انت اسباب اكبود اكتافى

وبلمليح احماوا اكتافى

فاكتافى الاولى فعل أمر من اكتفى ، والثانية بمعنى التقييد من كتف

أى كبل وقيد ، والثالثة بمعنى الاكتاف ج كتف •

ومنه كذلك قول ابن احساين فى قصيدة «فاطمة» :

كيفى يانا انهار ناموا * عينى فعيون موحرام

(1) تلفت النظر الى أنا سنعود الى هذه المظاهر البلاغية فى «الباب
الثالث» لنرى نشأتها وتطورها •

واعقلى من الهام هام * بالحال اللى اقلب شاما
فوق الورد الناسما
فالهام الاوى بمعنى الرأس والثانية فعل الهيام .
ويقول الزلايجى فى «الدعى» :
نهزم الدعى دون اتصال * حتى يرضى بالقهرا عن افعالى
وانفصلوا افعالى
فافصالى الاولى من الفصال والمفاصلة ، والثانية جمع فصلة ، اى
قطعة .

ثانيا : التصريف :

وهو فى الواقع نوع من الجناس حيث يتصرف الشاعر فى كلمة
باستعراض عدد من اشتقاقاتها ، وغالبا مايفعل ذلك باسم الحبيبة . يقول
المدغرى فى «زهرة» :

مانظرت اغزالى زهرا
انجمت الزهر
او لنظرت الخد فزهر
ابطيب ازهاروا
ويقول فى «مسودة» :

مكولوا المسعودا ياطلوع اكواكب لسعاد
انا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا
انت بدر السعود وانت لاهلال اسعود
ويقول ابن على فى «كنزة» :

ماكيف اوصالك كنز
وافضل من مال ايلا كنزوا
عاجنى ياشمس لحاسن ياكنزوا
ومن التصريف فى غير اسماء الحبيبات قول عباس بن بوسنة فى
حربة قصيدة له تأملية :

لاتغرب فالغرب امع لمغاربا * الغرب اغريب سايرا فيه اغريبا
من اغرايبوا عن اهلو غربا

ثالثا : التضمين او التلزم :

وهو أن يضمن الشاعر القافية اكثر من حرف ويلتزم ذلك في كل القصيدة او في بعض اقسامها. وهو ما يسمى في الادب العرب بلزوم ما لا يلزم. وقد برع فيه الحاج احمد الغرابلي ، ومن خير الامثلة على تضمينه قصيدة «ملكة» يقول في القسم الاول منها ملتزما حرفي اللام والكاف :

يامن اطلوع اهلا لك
يفجى اظلام لحلاك
نحكي اشموس لفلاك
لله جد لى بوصالك
ننكى ابزورتك عدالك
لنى اغلام حسن اجمالك
قبل اتصيام يامولاتى وناغلام مملوك
ومن لفراق مهلوك
ويلا تزورنى تتعافا ذاتى الهالك
لو تجفى قلبى ايواصلك
ويلادزتنى ابقى العار اعليك
وفى القسم الثانى منها يلتزم حرفى الراء والكاف ، فيقول :

امحاسنك واسرارك
فتنا الكل من راك
وابهاك ليس يدراك
لازلت نرتجى بشارك
ياتى المرسى بخبارك
وايفيدنى ابصح امزارك
وانقول سعد سعدى واكمل قصدى ابيوم مبروك
واضحى الرقيب متروك
انجدد لفراح ونغنم ساعا امباركا
وانقول لك الله اينصرك

من ارقى متواك مامعاه اشريك

رابعاً : النشيب ، وهو ثلاثة انواع :

1 - نشيب كلمة ، وهو ان يستهل الشطر بكلمة من الشطر الذى قبله والبيت بكلمة من البيت السابق عليه وغالبا ماتكون آخر كلمة فى الشطر او البيت ، وهكذا وكان القصيدة سلسلة مترتبة الحلقات • ويطلق على الاجزاء المنشوبة : «لطارش» (1) وقد برع فيه محمد بوزيان • ومن خير الامثلة على نشيبه قصيدة «المحبوب» التى يقول فى احد أقسامها :

محبوب خاطرى من فكندو عمدا لى * عمدا لى والنوم ضج من لنجال
لنجال على الخد دمعها سلسالى * سلسالى يهو اكما لمطر هطال
هطال امن افراك اللى زاد اهبالى * اهبالى من فكند امن اهويت اغزال
اغزال اقلبها غيرو مايحلالى * يحلالى وصلو ايلنا نعم بالوصال
ومن هذا النوع كذلك ماجاء فى قصيدة «الجار» للكبير بن عطية المراكشى:
امن اهواك هيچ وجدى وافنانى * وافنانى خلا امدامعى طوفان
طوفان فوق خدى والنوم اجفانى * واجفانى محبوب خاطرى ببيان
بيان ياهلى واش اعطف جيرانى * جيرانى لغذر عيب للجيران
جيران ماتدوز الجار * والجار ما بقى مهجور
مهجور بين صهه النار * والنار تتزيد اشورور
اشورور ماطغا بامطار * وامطار امن اماج ابهور
ابهور فايشا زادت تمحاننى * تمحاننى زاد بالتيهان
2 - نشيب كلمتين : على حد مانجد عند الحاج احمد الغربلى فسى

قصيدته «عين الرحمة» ومنها :

أعين الرحما الرحما ياقرت لنيام * ياقرت لنيام جد لى يابحر التعظيم
يابحر التعظيم والفضل ياعين الرحما

(1) لعلها من الطرش بمعنى القذف وكأنه يقذف بها من شطر لآخر • وعند بعض الاشياخ أن «لطارش» تطلق على كل الكلمات التى يقصد الى تكرارها حتى ولو على غير نظام النشيب كقول الدراز فى حربة «زهرة» : بمزارى بمزارى - جد لى بوصالك نبرا - يامولاتى زهرا

3 - نشب شطر ، وقد برع فيه التهامى المدغرى ، وخاصة فى قصيدته «فأرحا» التى يقول فى أحد أقسامها :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
ونا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

بايت من ليعت لجرايح * عقلى بهواك ما ارتاح
وانسبرد ابغير أح أح * بين التنهاد والجوايح
كاوى بجمار لافحا

بين التنهاد والجوايح * بالشوق اتكمد لجراح
اللى من دكست اللماح * والغالب مابقى ايسامح
ولايدري امسامحا

الغالب ما بقى ايسامح * سيفو مملوك اللكفاح
وخولوا تكلب لراح * بين المسمار والصفايح
كمن قومان طايجا

بين المسمار والصفايح * واسنون الهند والرماح
تزلغ من شوفها الماح * قولوا لصبيغت اللوامح
عطفى بخلاك فأرحا

قولوا لصبيغت اللوامح * ياغصن ايميس فالدواح
أمهر اشروود افلبطاح * رفدى ياللا الطايح
باللى سماك فأرحا

ولم يكتف الشاعر الشعبى بهذه المظاهر يكشف بها عن قدرته على التعبير الفنى الجميل ، وانما حاول اظهار هذه القدرة فى استخدام نوع معين من الكلام ، وهى محاولة لاتخلو من تكلف ولاتعنى غير تطويعه للغة وبراعته فى ذلك ومهارته . وقد وقفنا من ذلك على نوعين :

أحدهما أن ينظم الشاعر قصيدة كل حروفها مهملة (1) ، ومن الامثلة

(1) هذا قريب مما ذكره الرباط فى «العقيدة الادبية» لدى ذكره أنواع الصنعة فى الموال حيث قال : «صنعة المخزوم وتعريفها أن يجعل

على ذلك قصيدة للنجار يقول في حربتها :

ململا لعلا الصمد الاله

عل الماحي صلى واعطاه سر ملكو

ويذكرون أن الشيخ محمد بن الشليخ السلوى عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من فوق وأن الشريف البقائي المكناسي عارضها بقصيدة كل
نقط حروفها من أسفل ، والاسف انا لم نتمكن من الوقوف ولو على بيت
واحد من هاتين القصيدتين .

ومن الامثلة كذلك على الشعر الخالية حروف كلامه من النقط قصيدة
للكبير بن عطية تسمى «انناشعة» يقول في حربتها :

روم حرم الهادي واسع امكارم احماه

لمرام اموصل والود ولمكارم

مامسى محروم الساعى لوراد احماه

والثاني أن يستعمل الشاعر اسلوب «الخاتم» ، وهو ان يلتزم بسده
أبيات القسم او انتهائها بكلمات معينة ، على حد مانجد عند بوعمرى فى
قصيدته «زهرة» حيث يقول بادئا كل بيت بـ «زهرة»

زهرا زهوا للذات * مصباح الخودات

الناظم جميع أحرف مواله مهملة عدا آخر حروف القوافى معجمات .
ومثاله أقول :

أمحمد محمد رسول مرسل ومدحه لز

واعمل اكما اعمل العالم واهل العز

كم له مدد كم هلك ساحر وسهمه حز

ورمحوكم دحا حاسد واعدها دز» . (الورقة 149). (ظهر)

وتجدر الاشارة الى ان المغاربة عنوا باظهار مثل هذه البراعة حتى فى
غير هذا المجال على حد مانجد عند المرحوم احمد بن العياشى اسكيرج
فى رسالتين الفهما بالحروف المهملة هما :

أ) مطالع الاسرار لمدارك الاحرار فى شرح صلاة الفاتح لما اغلق
(مطبوعة على الحجر) .

ب) مدد الوصول لادراك السؤل على حل كمال الصلاة على رسول
الله على روحه السلام (مطبوعة على الحجر بفاس سنة 1332) .

زهرا عل لبنات * حازت لبها وثباتا
زهرا شمس انبات * بالحسن اتجلات
زهرا من عدات * زين عبلا وخناتا
وعلى حد مانجد كذلك عند الشريف محمد بن لحسن فى قصيدة «هنية»
فقد ختم كل بيت من أبيات القسم الاخير منها باسم «هنية» ، يقول :
خذ ارأوى روض لفنان * فمديح للا بوتيتين اهنيا
بها زال الهول واهوان * صعبى واشهدت باللحطين اهنيا
وقد برع فى ذلك التهامى المدغرى الذى يقول مثلا فى قصيدة «طامو»
بأدئا كن شطر بكلمة : «مال» =

مال جفنى ساهر طول البهيم * مال جفناك فسرور امقيما
مال خدى ساقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
ويقول فى قصيدته «مير لغرام» بأدئا الفراش بكلمة «أنت» والغطا
بكلمة «أنا» :

أنت اغلا وزين من الياقوتا الضاويا
ونئ بزین غالى مملوك اولاً يلى احميا
أنت ابها من الشمس المرفوعا الغاليا
ونا بنار شمس خبودك كاوى بنار حيا
ومن اروخ ما نظم الشعراء على هذا الاسلوب قصيدة ينتهى كل بيت منها
بـ «اقفل» فى الشطر الاول و «قفلو» فى الشطر الثانى . وقد ذكر لنا منها
الشيخ بن عيسى الدراز هذا البيت :

ياحاضى (1) باب افلخلا من غير اقفل
مايحضى باب غير من كان ابقفلو
وأخبرنا أنه عاوضها بقصيدة على نفس الاسلوب لم يذكر منها
غير بيت واحد يقول فيه :

عندى مفتاح به نفتح كل اقفل
لو يجتمعوا جميع لقفال ايقفلو

فنية الاسلوب

لسنأ نريد أن نختم هذا الفصل عن لغة القصيدة الزجلية وفنيتها دون

أن ننف عند بعض خصائص الاسلوب فيه ، وهى :

1 - التشبيه والمقارنة •

2 - الحركة والحيوية والتشخيص •

3 - الحوار •

4 - القصة •

5 - الرمز •

والحقيقة أنا سنبسّط الحديث عن هذه الخصائص فى «باب الموضوعات» عرضاً وتمثيلاً ، ونتتبعها فى مختلف المواطن التى وردت فيها بما يعطى عنها صورة واضحة الملامح مكتملة الاجزاء ، ولكننا مع ذلك نرى لزاماً علينا فى هذا الفصل أن نقف عند تلك الخصائص وقفات قصيرة تكون بمثابة اشارات تنبيه لما سيأتى مفصلاً فى ذلك الباب ، وهى وقفات نراها ضرورية لاسيما وان تتبعنا فيه لهذه الخصائص ، رغم ما سنعمد اليه من تفصيل ، سيجىء خاضعاً لتقسيم الموضوعات وتابعا لسيرها وما يقتضيه تسلسلها •

أولاً : التشبيه والمقارنة :

لم يترك الزجال المغربى أى شىء لم يخضعه للتشبيه والمقارنة ، مستعينا بكل ماحوله فى الحقيقة والواقع او بما وجود عليه به خياله ، سواء فى ذلك باستعمال أدوات التشبيه أو عدم استعمالها • فقد شبه المرأة بالغزال واطائر والياقوتة والقمر والزهرة والمصباح ، وتتبع جميع ملامحها فشبه الشجر بعقد الجوهر ، والقدر بالراية وغصن الآس ، والخذ بالوردة ، والخال بالغلام ، والغرة بالبرق ، والانف بزهر السوسان وعصفور صغير ، والصدر بقطعة رخام ، والبطن بقماش صائف مرقوم ، والنهدين بالتفاح ، والذراعين

بالسيوف ، والاصابع بالاقلام ، والسرة بالكاس سالت عنها الخمر ، والافخاد بأعمدة من ذهب ، والسيقان فى حمرتها بقطعة من البلور اشعلت فيها شمعة كبيرة ، واللون الابيض بالعاج ، والاسمر بالخمر او ماء الذهب ، ثم عكس فعمد الى هذه الاشياء المشبه بها فشبهها بمفاتن المرأة •

ونظر فى مظاهر الطبيعة والكون وتأملها فشبه الشمس حين تغرب بفرس شقراء ارخى عنانها فغدت تغير على الروابى والسهول ، وحين تتجلى فى كبد السماء كعذراء فى عنفوان النمو وعز الجمال • وشبه الفجر عند الطلوع ببدر مضى وعروس برز من الحجاب وحوله الكواكب كالفاتنات وشبه الليل بسultan من السودان يقود جيوشا من الفرسان تمتطى خيولا دهماء • وشبه الارض فى حلتها الربيعية الجميلة بعروس سلطنة ، واديها المنور بزرابى مفروشة من نسيج الخالق • وشبه النخلة بعروس بكر وعناقيدها بالياقوت والجواهر والعقيان ، فى حين شبه عناقيد الدوالى بالثريات • وحين تأمل الدنيء وجدها كالحسناء الفاتنة يعشقها كل الناس • ولم يكتف الشاعر الشعبى بالتشبيه المجرد فحسب ، وانما عمد كذلك الى المقارنة فاعتبر جمال محبوبته يفوق الشمس والقمر ، وأن البدر يغار من نور جمالها فيحتجب ، وأنها ياقوتة يتضاءل أمامها الجواهر والذهب والفضة • وحاول أن يقارن بين حاله وحال محبوبته فقابل بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر الذابل ولونها البهى الجميل ، بين سهره يرعى النجوم ونومها الهادئ ، بين سلوها وانشغاله ، بين قوتها اللذيذ وقوته المر ، بين صحتها ونشاطها ومرضه ووهن عظمه ومزاجه •

وقارن كذلك بين حاله المعذب وقد فارقتة الحبيبة وبين بعض الاشياء الاليفة لديه كالشمعة المحترقة لفراق مملكتها ورعاياها ، والحمام الباكى نهجر انثاه ، والرسم الخالى من الاحبة •

وقابل بين الصبح والليل ، بين الصبح فى قدومه كسلطان ارخى ذيل ازاره لابساً حلة من الديباج وبين الليل فى توديعه كغراب أسود شابته عذاره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه وبين الليل سال دمع غرابه • وقبل كذلك بين نفسه ومظاهر الطبيعة فبعث فيها من ذاتيته ما جعلها

تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى تجاوب وامتزاج مع هذه المظاهر
كتشبيهه الشمس فى غروبها وذبول لونها بالحبيب الذى هجرته محبوبته
فاصفر لونه •

ثانيا : الحركة والحيوية والتشخيص :

يكاد هذا العنصر فى الواقع يطفى على القصيدة الزجلية ، فالمحبة
ليست نائمة فى خدرها او محجبة ، وانما هى دائمة التحرك تصول بجمالها
فى توه واعتزاز ، وتنبخر فى ثيابها وتميل بقدها مع هبوب النسيم •
والمحب فى حاله المضنى كسفينة تتقاذفها الامواج ، وهو لايفتا عن الحركة
سعيًا للوصول الى حبيبته ، يذهب الى المنجمين ويقصد الاضرحة ويزور
محبوبته ليلا متنكرا فى هيئة «ضيف الله» فتنهض من منامها ، وتسدله
ونكرمه ؛ وقد لايتهى له ذلك فيتنكر فى صفات أخرى يحاول بها ان يفرى
محزرها ؛ ثم انه دائب الحركة فى البحث عن التذكار الذى اعطته محبوبته
اياها يوم جادت عليه بالوصال فضيعه •

والحب سيف قاطع وسلطان طاغية يهجم فى جماعة من الابطال ،
وأمر جائر مروع يقود الجنود للقتال وقد لمعت اسلحته وخفقت أعلامه ،
وبحر هائج لانهاية لحدوده ما مخرت عبابه سفينة الا اغرقها وشتت الواحها
وشخص مايعانى المحب من التيه والضنا والشغف والهيام فجعلها
ملوكا للعشق تطفى وتجور • كذلك بعث الحياة فى الشمعة فجعلها تتكلم
وتحاور ، وفى الدوالي فصورها تتمايل معربة بل جعلها تتزوج وتنجب
بعد أن شخصها وشبهها فى نموها بصبيات يكبرن فى حجر امهاتهن
وصونهن • والحركة فى مجلس الشرب لاتفتقر ، فمن العربة الى الوقوع
على الارض الى النهوض الى الموسيقى والغناء والرقص •

أما الطبيعة والكون فحاول تشخيصها وإبراز اوصافها فى صور حسية
ملموسة نابضة بالحركة والحياة ، فالليل يهجم والشمس تروح وتشرق ،
وضوء الصبح يطرد الظلام ويزيحه ، والربيع يقبل ويحيى الارض بعد موتها،
والطر يتزوج الارض فتحمل منه وتنجب •

وينعكس هذا العنصر حتى على الهجاء حيث يستوحى الشاعر معانيه

من المعارك الحربية فينظم قصائد «البوغاز» و «الرامي» و «المهرارز» (أي المدفع) والقرصان (أي السفينة الحربية) والغطاس (أي الغواصة) ، وهى قصائد لاتشم منها الا رائحة القذف والضرب والتحطيم •

ثالثا : الحوار (1) :

وهو نوعان :

- 1) حوار قصير يمكن أن نقول انه يأتى عرضا غير مقصود لذاته ، كالذى يجريه الشاعر بينه وبين محبوبته يشكو اليها فيه مما يقاسى فسى حبها عارضا لحاله المعذب ، فنحييه لاشفه عن أوصافها من خلال مدارنه مع حاله هو ؛ ومثله الحوار الذى يديره مع انشعة والحمام •
- 2) حوار طويل يقصد الشاعر اليه كالذى نجده فى قصائد «الحراز» حيث يتندر المحب فى هيات مختلفة ، وفى كل مرة يدخل مع محرز حبيبته فى حوار •

ومثل «الحراز» المرافعات كقصائد «القاضى» التى تصور لجوء المحب الى ممثل القضاء عساه ينصفه من جور محبوبته ، وكقصائد «الخصام» او ما يطلق عليه «المحاورة» • والحوار فيها قد يدور :

أ - بين اناس كما بين الحضرية والبدوية ، والخدام والحر ، والزمنية والعصرية ، والشابة والعجوز ، والسمراء والبيضاء ، والطويلة والقصيرة ، والسمنية والنحيبة •

ب - بين نباتات كالورود والزهور •

ج - بين طيور •

د - بين جمادات كالقطة والغراف •

هـ - بين مظاهر كونية كالليل والنهار •

- و - بين أشياء وهمية يشخصها الشاعر كالحوار الذى اجراه المدغرى للتيه والضنا والشغف والهيام مع محبوبته التى رفع اليها المحب دعوى ضد هذه الاطراف ، وقد جعلها ملوكا للعشق اغتنمت فرصة غياب محبوبته فاستقرت فى قلبه ؛ وتستمتع المحبوبة الى شكوى حبيبها والى
-
- 1) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة الجيلالى اميرد •

دفاع خصومه ثم تجيب لتثبت في الامر وتحسمه .
وقد كانت تتخذ بعض هذه القصائد لادوار تمثيلية او ماكان يطلق عليه «البساط» . والحوار في كلا النوعين يتعدد مجاله بتعدد الاطراف المشتركة فيه ، وهو في الغالب حوار مباشر يقدم له بفعل القول .

رابعاً : القصة (1) :

يبدو الشاعر الشعبي مغرماً بالسرد والقص مستوحياً في ذلك الخيال أو الواقع أو التاريخ .

- 1) فمن القص الخيالي ما يحكيه في قصائد «الحراز» و «الخصام» و «الخلخال» و «الدمليج» وقصائد «الحجام» و «الفصادة» و «الوصال» .
- 2) ومن القص الواقعي ما يحكيه عن الخمر متتبعا مختلف مراحلها منذ غرست الدالية الى أن نمت ونضج عنبها وعصر وعثق ثم عرض للشرب .

- ومنها كذلك ما يحكيه مثلاً في قصيدة «المطر» (2) عن الفقير ومعاناته من البرد والمطر في فصل الشتاء .
- 3) ومن القص التاريخي نظمته لصفحات من السيرة النبوية في قصائد «لخلوق» و «الوفاة» و «المعراج» او نظمته لنكبة الحسين أو لبعض الحوادث والاحداث التاريخية على حد ما فعل الكفيف الزرهوني في هزيمة ابي الحسن المريني في القيروان .

ويدخل في هذا النوع ما يطلق عليه «القصائد الايوبية» أو «الغزوات» وهي التي تحكى قصص الانبياء والاولياء ومحاولات ابراز مافيه من خوارق وكرامات . ويقول الاشياخ ان المغراوي كان اكثر الشعراء نظماً في هذا الباب ، ويذكرون له أسماء قصائد منها : «المسودة» و «الشداذية» و «جرير بن جرير» . ويذكرون كذلك «النباش» للجيلالي امتيرد و «العيواجية» للكبير بن عطية و «الكهفية»

-
- 1) انظر الفصل الثاني من باب الاعلام لدى ترجمة محمد بن عبد الله بن احساين وكذلك الفصل الثالث لدى ترجمة الجيلالي امتيرد .
 - 2) انظر تحليلها في الفصل الثاني من باب «الموضوعات» (ملاحظة) .

لغانم القصرى و «النمرودية» للغرابلى و «البغدادية» للمكى —
القرشى ؛ ولكنه لم يبق من هذه القصائد الا الاسم ، والسبب أمران :
أولهما : انها قصائد طويلة يمكن ان يطلق عليها : «ملاحم» ومن شأن
القصائد الطويلة أن يقل حفظها والا يقبل على سماعها فتضيع .

الثانى : مذكره الاستاذ محمد الفاسى حين قال : « وقد كان رجال
الاستعمار أيام الحماية يمنعون انشاد هذه القصائد فى الاسواق ، وكان
المراقبون اذا تقدم لهم أحد المداحين يطلب الاذن فى السفر للتجول فى المدن
والقبائل قصد ترويح بضاعنه اول مايسألونه عنه هل يحفظ «الغزوات» فان
أجاب بالنفى اعطى الاذن والا منع لانهم كانوا يخشون بعث العاطفة الوطنية
والدينية فى النواحي التى كانت ماتزال بعيدة عن اثر الدعة الاستقلالية» (1)
خامسا : الرمز (2) :

ويتمثل فى ثلاثة جوانب :

(1) رسوم الوشم ، وتصور حيوانات وأسلحة وإبطالاً وبساتين ، وهى
وغيرها أشياء يقصد الشاعر أن يرمز بها الى مختلف حالات المحب ،
فالغزال للهجر والنفور ، والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ،
والاغراس والورود للوصال .

(2) الجفريات : وهى القصائد التى تأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع
والناس واستعرض المناكر والعيوب ، ولكن فى رمز وإشارة وتلميح .
وغالبا مايلجأ فى ذلك الى الحيوانات ، فيمثل بالضفادع والذئاب
والبوم للسفلة الذين غدوا سادة وبالسباع والنسور لكبار القوم
الشرفاء الذين أذلهم الدهر .

(3) بعض قصائد الخصام ك «النجمة» للفيلسوف (3) ، وهى تمثل خصاما
بين الليل والنهار وصراعا من أجل الفوز بالنجمة ، وهى قصيدة

-
- (1) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى - عدد 1
سنة اولى . يناير - ابريل 1964 .
 - (2) انظر الفصل الثالث من باب «الاعلام» لدى ترجمة العميرى .
 - (3) انظر تحليلها فى آخر فصل «مع الناس» من باب الموضوعات .

وطنية رمز الشاعر فيها بالنجمة الى الحرية وبالليل للاستعمار
وبالنهار للوطن •

والجدير بالاشارة أن الشاعر لا يلبث في قصيدته أن يفك الرمز
ويخرج منه الى التوضيح والتصريح بالرأى والفكرة وهو ما يطلق عليه
الاشياخ النقاد «الدسميس د المعنى» كأنه يدس المعنى للسامع حتى لا يظل
يبحث عنه ويحاول الوصول اليه او ما يسمونه «تيحسس على المعنى» ومن
الامثلة على ذلك ماورد في قصيدة جفرية لعبد الله اعلى يقول في أولها
رامزا الى أن الاحوال تغيرت وأن الدنيا صفت للسفلة فغدوا سادة :

فرعنت اليوم اعلى البيزان اتولت •

بينت انيابها ودركت الصولا •

والسبع اخشى امن الضبع بعد الزهرات •

لزم التحدير خاف من ولد الغولا •

ويستمر كذلك في رمزه بالحيوانات ثم يكشف في الآخر عما يقصد

اليه من نقد لواقع الناس والزمان فيقول :

لمساجد كتعود افلنعات •

ترجع لقوام عن القبلا مشغولا •

يقوا لبنى عند لتجار لطعات •

ويكثر المال ولثياب المشكولا •

الى جانب هذه الفنية وتلك البراعة والمظاهر البلاغية نلاحظ عند اشياخ

القصيدة الزجلية لمحات نقدية مختلفة نستطيع أن نجعلها في فرعين :

أحدهما خاص بالشعر والثاني بالشاعر •

أما ما يخص الشعر فيتمثل في تقسيمهم له من حيث جودته ووضوح

معانيه وأفكاره واستقامة وزنه الى الاقسام التالية :

(1) كلام بالغ : بمعنى بليغ

(2) كلام مرصع : بمعنى منمق جميل (مرصع)

(3) كلام ابيض : بمعنى بسيط واضح المعاني لاغموض فيه

(4) كلام اكحل : بمعنى معقد وصعب

- (5) كلام امسلس : بمعنى مستقيم لا كسر فى ميزانه
ونظروا الى الشعر بعد هذا من حيث لغته فاعتبروا من عيوبها استعمال
الاعراب والكلمات الفصيحة أو ما اطلقوا عليه «البرص» (1) .
- وأما ما يخص الشاعر** فيتمثل فى تفريقهم بين السجى والوهبى أى
بين صاحب السجى والموهبة . وعندهم أن السجى هو الذى ينظم شعرا
فيه عواطف ومعانى وأفكار . وفرقوا فى السجى بين أنواع ثلاثة :
- الاول** : المنقول وهو ان يروى الشاعر ما فى الكتب وينظمه كما هو
الشان فى قصائد مولد الرسول عليه السلام ووفاته ، وهى
قصائد تحكى ماورد فى السيرة النبوية .
- الثانى** : الهىض وهو أن يصف الشاعر الواقع وينقل الحقيقة كما فى
المحاورات .
- الثالث** : الغيظ وهو أن ينقل الشاعر احساس نفسه وانفعالاتها كما
فى القصائد التى تملأها العاطفة سواء كانت عاطفة حب أو دين .
- أما الوهبى فهو الذى له قدرة على النظم فى سهولة ويسر ، دون أن
تكون له عواطف ومعانى وأفكار . ومن هنا قالوا «لامعرب على وهبى» أى
لاجدوى من مناقشته فى المعانى .
- ويذكرون أن من الشعراء الوهبيين أحمر المريق وهو من كبار أشياخ
مراكش المعاصرين (2) . وكان يملئ على حفاظ شعره فى وقت واحد خمس
قصائد أو أكثر ، وكأنه المدرس يملئ آيات القرآن الكريم على التلاميذ فى
الكتاب . وذكر لنا الشيخ محمد بن عمر المراكشى أن من الامثلة على شعره
الوهبى قوله فى قصيده من باب (السما فوقنا والارض تحتنا) :
- شوف اولاد اليوم من كثر لحرام اعموا
ماقبطو فيمانهم غير الله ايداوى

(1) وهو كالتزنييم بالنسبة للموشح والزجل (انظر العاظم الحالى الورقة
17 ظهر و 18 ظهر) .

(2) كان من جلساء السلطان المولى عبد الحفيظ . توفى سنة 1365 هـ ،
ولقب بالمريق لانه كان دائما فى حالة جذب يبلل الريق لحيته .

وايلاغب الصبح لاطبيب ايداوى بدوا
واش المركب دون رايس وقومانو بر ساوا
واش لغنم ابدون سارح ترعى لخطاوى
ويعتبر الشيخ محمد الجابرى فى فاس كالشيخ المرياق فى مراكش ،
اذ يحكون عنه أنه كان درازا وكان يملى على صناعه اكثر من قصيدة فى
الوقت الواحد وهو امام منواله ينسج •
وكما فرقوا بين السجاي والوهبى فكذلك فرقوا بينهما وبين نوعين
آخرين من الشعراء ، هما : السلاخ والمساخ •
أما السلاخ فهو الذى يسطو على شعر غيره فيحتفظ بالمعاني ويبدل
فى الالفاظ ، ويطلقون عليه كذلك «الخياط» أى الذى يخييط ويربط بين
مايأخذ من هنا وهناك ؛ وقالوا فى أمثالهم عن عمله «اخياطا مزيانا احسن
امن اسجيا امذبرا» يقصدون ان خياطة متقنة خير من سجية غير ناضجة •
وأما المساخ فهو الذى يسرق شعر غيره ويمسحه بمحاولة القلب فى
المعاني والالفاظ •



الفصل الثالث

العروض

البحرور

يظن كثير من الناس انه لاحد لبحور الزجل ولا حصر لها ، وأن «صاحب ألف وزن ليس بزجل (1)» . ويظن آخرون أن عروض الزجل محدود لا يخرج عن نطاق بحور الخليل ، وأن من الممكن تطبيق تفعيلات هذه البحور وأوزانها عليه .

أما أن بحور الزجل غير محدودة فقول لا يخلو من مبالغة وتهويل وتعجيز . حقا ان الزجالين - سواء في المغرب أو غيره - نظموا اشعارهم على أوزان لا نجد لها مثيلا في العروض العربى الذى حدده الخليل ، وحقا كذلك انهم مزجوا فى الزجل الواحد بين اكثر من وزن ، وهى ظاهرة تبدو معها بحور الزجل كثيرة وجديدة وبعيدة عن العروض العربى ؛ ولكننا مع هذا لانرى لا نهائية لتلك البحور ، بل على العكس من ذلك نحس ونحن نستمع الى ما ينشد عليها - مهما كان جديدا - أنه لا يختلف عما الفنا سماعه فى الشعر العرب ، تكييفه نفس الروح ويضبطه نفس الايقاع ، بل نحس - فى ظن غالب - ان الذوق العربى العام يستسيغ موسيقاه ويطرب لها ويرتاح حتى عند الذين لا يفهمون كلماته .

وأما أن أوزان الزجل محدودة فى نطاق العروض العربى لدرجة امكان تطبيق تفعيلات الخليل عليه ، فقول نراه بدوره جانب الصواب ، والسبب أن الذين يذهبون اليه يغفلون أمرا لعله أهم عنصر فى هذا الشعر ، الا وهو موسيقيته التى لاتتيح مثل ذلك التطبيق ، بل تتكسر وتضيع لمحاولاته . وليس يخفى أن فى تفعيلات الخليل وما نشأ عنها من أوزان جانبيا صناعيا أساسه الاسباب واللاتاد وما تتعرض له من علل وزخافات . وقد بلغ هذا الجانب عند الفراهيدى - وهو جانب تأثر فيه بعلم الصرف ومقاييسه -

(1) هو قول شائع ، وقريب منه ماورد فى «العقيدة الادبية» من ان «الحافظ لآلف وزن فشلان» (الورقة 24 ظهر) .

درجة جعلته يعتبر «مستفعل لن» و «فَاع لاتن» تفعيلتين مستقلتين عن «مستفعلن» و «فاعلاتن» مع ان الابقاع واحد • بل اكثـر من ذلك نجد العروضيـين يفترضون لبعض البـحور اصولا تطورت عنها كقولهم فى المديد أن اجزاءه ثمانية هى :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتين)

ولكنه لم يرد فى الشعر الا مجزوءا حيث سقطت التفعيلة الاخيرة ، وكقولهم فى الوافر ان أجزاءه ستة ، وهى :
مفاعلتن مفاعلتن (مرتين)

ولكنه لا يرد صحيحا حيث تقطف عروضه فتصير مفاعل ، ثم تحول الى فعولن •

ومثل هذا وذاك يقال فى الهزج والسريع والمضارع والمقتضب ، بل انه لا تكاد توجد قصائد على الوزنين الاخيرين ، ولم ترد فيهما الا ابيات متفرقة ، لعلها بقايا أوزان عربية قديمة ، مثلها فى ذلك مثل الشواهد الشاذة فى اللغة أو النحو أو غيرهما ؛ ومن يدرى فقد تكون من اختلاق بعض الرواة العابثين الذين كانوا يحاولون اثبات سعة روايتهم وارضاء الامراء والخلفاء واتحافهم بالطريف النادر ولو باختلاقه • ومع ذلك نجد الخليل يعتمد هذه الابيات المتفرقة القليلة ويعمل فيها صناعته ويضع لها وزنا وأصلا لهذا الوزن •

لذا ، فانه ليس من السهل القول بأن الزجل يسير على التفعيلات العربية ، او بالاحرى انه يسير عليها فى تناسقها المعروف • ومع ذلك فمن المؤكد انه يخضع لابقاع العروض العربى وليس الى أوزانه وتفعيلاته ، فأوزانه تختلف ، وتفعيلاته تتباين فى العدد والمقدار • وهذا ما يجعل من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نزعـم أن هذه القصيدة او تلك من بحر الكامل أو الوافر أو غيرهما • ولو هيء لـلاوزان المجزأة من يحيـيها ويدرسها وينظمها لامكن ارجاع بعض قصائد الزجل الى أنماط من هذه الاوزان •

ويزيد فى خطأ الرأى الذى يذهب الى ان اوزان الزجل محدودة أن

اتخاذ مثل هذا الرأي يقتضى بادئ ذى بدء حصر كل النصوص الزجلية ،
اذ عملية تحديد الاوزان لا يمكن ان تتم الا بعد جمع هذه النصوص واستقراء
ما تسير عليه من بحور * ومادامت هذه العملية غير ممكنة ، طالما ان ما بين
ايدينا من نصوص لا يمثل الا نسبة ضئيلة مما انتجه الزجالون ، فمن العبث
والخطأ أن نسطر احكاما مسبقة ونحاول اخضاع الازجال لها ، وانما العكس
هو الصحيح والصواب ، أى أن نستقرى ما عندنا من ازجال ونحاول أن
نستنبط منها احكاما ونستخرج قواعد *

ثم انا لانرى جدوى - ونحن نريد أن نتعرف الى عروض القصيدة
الزجلية فى أن نثبت مطابقتها أو مخالفتها للعروض العربى المعروف ، طالما
أن لاشياخ الزجل النقاد ميازين تعارفوا عليها ، نرى من الانفع والاجدى أن
نعرضها ، بعيدا عن أية مقارنة بالبحور العربية أو حتى مقاييسها وحركاتها
الموسيقية ، لان ادراك نسب الايقاع وابعاده فى الزجل يقتضى الاستماع
اليه ودراسته ملفوظا ومغنى به ، وهو شرط لا يتوفر لنا الا فى حالات نادرة
معروفة *

وللزجالين المغاربة تفعيلات خاصة يزنون بها أشعارهم ، أساسها النغم
والايقاع (1) ، يطلقون عليها «الصروف (2)» وهى نوعان :

(1) لعبها لاتخرج عما ذهب اليه اخوان الصفا فى الرسالة الخامسة من أن
«قوانين الغناء والالحن ... ثلاثة أصول وهى السبب والوتد
والفاصلة * فأما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون ، مثل قولك :
تن ن بن تن ، ويكرر دائما * والوتد تقرتان متحركتان يتلوها
سكون مثل قولك : تنن تنن تنن * يكرر دائما والفاصله ثلاث نقرات
متحركة يتلوها سكون مثل قولك تنن تنن تنن فهذه الثلاثة هى الاصل
والقانون فى جميع ما يركب منها من النغمات وما يركب من النغمات
فى جميع اللغات من الالحن وما يتركب منها من الغناء فى جميع
اللغات» (رسائل اخوان الصفا وعلان الوفاط صادر - بيروت -
الرسالة الخامسة من القسم الرياضى فى الموسيقى ص 197 - 198)
وقد استعرضت الرسالة بعد ذلك جميع أنواع الايقاع المركبة من هذه
النقرات وانتهت الى أن منها ثلاثة مفردة وتسعة ثنائية وعشرة
ثلاثية *

(2) يطلق هذا الاسم اساسا على القطع المعدنية التى تتخذ مقاييس لوزن
الكيل أمثال الكيلو ونصفه وما اليهما *

1 - الدندنة : وهى قائمة على «دان دانى» وهو مقياس موسيقى صرف . ومن الامثلة على تطبيقها قولهم بالنسبة لهذا البيت من شمة ابن على :

الا باكيا بسقامك شوفى استقام حالى
من قيس وارثو بعد افناه اغرام حب ليلى
أدان دان دانى دانى يادان دان دانى
أدان دان دانى دانى يادان دانى
وقولهم بالنسبة لحربة «المزيان» للعلمى :
حن واشفق واعطف برضاك بالمزيان
لا اسماحا ميعاد الله يالهاجر
دان دانى يادانى دان دان يادان
دان دانى يادانى دان دان دانى

2 - مالى مالى :

ويبدو أنهم وجدوها لا تكفى وحدها لضبط الايقاع الموسيقى ، فأضافوا اليها بعض الكلمات مثل : «الرادا - العادا - سيدنا - للا مولاتى للا ٠٠٠» أو ما اليها مما يشد به الميزان ، كما سبق أن رأينا فى الانشاد (1) . والغالب فى قياس الميزان أن يبدأوا بهذه الكلمات ثم يختتموا بـ : «مالى مالى» . ومن الامثلة على ذلك قولهم فى هذا البيت من «وردة ابن سليمان» :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى
ياعدولى فالمرت اسبابى خد الورد
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
للا يامولاتى للا ويامالى مالى
ومع ذلك فالشعراء حين ينظمون لا يقيسون بهذه «الصروف» ، وانما يقيسون ببعض القصائد المشهورة التى غدت نماذج أو شبه نماذج لهذا الوزن أو ذاك . ومثل هذا نلاحظه حتى عند المنشدين ، فانهم لقلة معرفتهم

(1) انظر المدخل

الموسيقية لا يدركون ميازين الانشاد الا بهذه الطريقة ، كقولهم ان «فضيلة»
للحاج ادريس لحنش من قياس «الباكي» للتهامي المدغرى ، وكقولهم ان
«وقت الزهو» لمحمد بن على على قياس «الزهو فبنات وشبان» للمدغرى
كذلك .

والعروض عند الزجالين المغاربة يقوم على بحور وعلى أنواع من
الميازين داخل كل بحر . وأطلقوا على البحور «لزمات» جمع مزمة ومعناها
المنوال وهو الآلة الخشبية التى يستعمل النساك والدرار ، وأطلقوا على
أنواع الميازين داخل البحر الواحد «قياسات» جمع قياس (1) .
ويمكننا تقسيم بحور هذا العروض الى اربعة أنواع هى :

1 - المبيت .

2 - مكسور الجناح .

3 - المشتب .

4 - السوسى .

اولا : المبيت (2) : أى القائم على عدد معين من الاشطار فى البيت وعلى
عدد من الإبيات يلتزم فى كل قسم من أقسام القصيدة ، وهو الغالب فى
استعمال الشعراء . وربما كان أقرب من غيره الى شكل بحور الشعر
المغرب ، ويتفرع هذا النوع الى أربعة أشكال من حيث عدد الاشطار التى
تكون البيت :

1 - المثنى : أى الذى يتركب البيت فيه من شطرين ، يطلقون على
الاول «الفراش» وعلى الثانى «الغطاء» (3) . وله «قياسات» متعددة لاسبيل

(1) أى القياس .

(2) واضح أن التسمية مأخوذة من البيت . ونجدها عند ابن على فى
آخر «الم رسم» حيث يقول : «من حبر معلم» * يا حمام اروي المعنى لمبيتنا»
ونجد عند الحاج عمارة فى آخر قسم من فاطمة :

«ياراوى لبيات عنى * غنى اوصول لاتخشى من عديانى»

(3) من عجيب أنا نجد مثل هذه التسمية معروفة فى فن الموال المصرى على
حد ما نقرأ عند ميلاد واصف فى «قصة الموال» حيث يقول : «أما
مواويل الفرش والغطا» وينشدها أكثر من مغن فهى تنظم على طريقة
«الموال النعمانى» فى أسلوب التقفية الا ان كل قطعة تتكون من ثلاثة

==

الى حصرها ، أسأسها النسب الايقاعية فى موسيقى البيت • ومن نماذجها:

أ - قصيدة «الحجة» لابن احساين ، وحربتها :

ياحضرا قولوا بالسر والجهار ❀ الصلا والسلام اعلى النبى المختار
وهو أسهل «قياسات المثنى» ، سواء فى النظم أو الاداء ، ويطلقون
عنه «قياس لشركى» (1) ويصفونه بأنه «نحويظ لقصير» أى الحائظ
الصغير القصير ، وهى عبارة تقترب فى مدلولها من قول العروضيين فسى
بحر الرجزانه «حمار الشعراء» •

ومنه كذلك قصيدة «الهاوى» لابن على ، وحربتها :

ياهاوى تهوا من لا ايليه سطوا ❀ تب ياراسى وارجع للغنى القوى
ومثلها قصيدة «فروح» للمدغرى ، وحربتها :
مانروح اللفراح ولاانروح بالراح ❀ دون راحت روحى حور اللوامح افروح
ب - قصيدة «زهرة» لبوعمرو وحربتها :
زورينى قبل الا نقبار ❀ ياهلال الدار زهرا
ج - قصيدة «الوردة» لابن سليمان ، وحربتها :
لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

يااعدولسى فالموت اسبابسى خد الورد

د - قصيدة ابن على «صلوا على الصديق الصادق» ، وفى حربتها
يقول :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين
امام تنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان
ه - قصيدة «الساقى» لامتيرد ، وحربتها :

مواويل كل موال على حدة يتحد الشطر الاول والثانى والثالث
والسابع فى قافية وينشد كل موال من القطعة احد المغنين • يبدأ
المغنى الاول بالموال الاول وهو «الفرش» عارضا مشكلته فى الحياة
فيرد عليه المغنى الثانى بـ «الغطا» شارحا رأيه الخاص فى قضية
زميله • أما المغنى الثالث فيعقب عليهما بـ «القفلة» او المغزى العام •
(انظر صفحة 57 - 58) •

(1) انظر الفصل الثانى من باب الاعلام لدى الحديث عن الحاج اعمارة •

الساقى وكض لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها
كـب ياساقى راح الليل

ويلاحظ أن «الفراش» أطول من «الغطا» .

و - قصيدة «الديجور» للمدغرى ، وحربتها :

شف الشكايـا شى اشكا ابهجرو شى بالتيهان شى ابعشـقو واغرامو
شى بالفرگـا شى جايب لهديا يرحل ويكـيم
وفيها يلاحظ كذلك أن «الفراش» أطول من «الغطا» ، بل أكثر طولاً
من «فراش» القياس السابق .

ز - ومن المثني ما يبدو رباعى الاشطار ، وهو فى الواقع ليس أكثر من
من «فراش» و «غطا» ، وأن قسم كل منهما قسمين ، على حد مانجد عند
امتيرد فى «انعيد اصيامى» حيث يقول :

انعيد اصيامى ، وانكلم كفارت لوزر
عنقت اغزالى ، فالدجا حتى بان الحال
وعلى حد مانجد كذلك عند اتشاوى فى قصيدة «صارم الطعن»
وحربتها :

آش را من لاجرد صارم الطعن ، ويركب سفن لحروب وايغيط دانى
هاحنا هنا ، ويكون ادراعو ابحال السانو

فالفراش هو قوله «آش را ٠٠٠ دانى» ، وهو مقسم قسمين :

والغطاء هو «ويكون ادراعو ابحال السانو»
أما «هاحنا هنا» فمجرد «تفريشة» شد بها الميزان كان يمكن الا يضيفها
الناظم ويترك «الشدادا (1)» يقولونها او يقولون غيرها من العبارات التى
يشد بها الميزان .

2 - الثلاثى : اى الذى يتكون البيت فيه من ثلاثة اشطار ، ومن

«قياساته» :

أ - قصيدة «عبله» لبوعمرى ، وحربتها :

(1) انظر المدخل حيث الحديث عن الانشاد .

ايلا تعذبت اعذابى من انواجلى * ويلايانا اهنت واسعدنى فالسى

اسبابى افلها اغزالى عبلا

ب - قصيدة «دابل لعيان» للعلمى ، يقول فى حربتها :

روف ادابل لعيان * يابو حجين امعرقا اوزينا

زور نعشيق يزك امن التيهان ياغزىل

ج - قصيدة الحمري فى «التصلية» ، وحربتها :

صلى الله اعليك يلهادى خاتم لرسال * عد ادواب البر والاسماك اللى فالمالى

العايش واللى امضى ومن هو مازال اكبيل

د - قصيدة «زينب» لابن على ، يقول فى حربتها :

يابدر ماغطاك احجاب * فى ادجا ياشمس النهار السعيد يازنوبا

فاين العهد يازينب

ويلاحظ أن الشطر الثانى أطول من الاول والثالث .

ه - قصيدة «راحا» للمدغرى ، وحربتها :

ياعيون المهرا ياسالف الظليم اجيد الصياح

أطاوس بين ادواح ، ياقر ساحى

اقطيب الياس أخذ الشقيق ياراحا

ويلاحظ أن الشطر الاول طويل وان الثانى قسمان ، وهو تقسيم

التزمه الشاعر فى القافية ، أما فى الانشاد فالشطر واحد :

و - قصيدة «الباكى» للمدغرى ، وحربتها :

شهدوا بين ايلا فنيت وامضيت من الوجنا وخالها واخدود الجلار

والشاما والخال والشفر * لهوا خدوج ولغزال السعديا

ويلاحظ أن الشطر الاول جد طويل .

3 - المربوع أو الرباعى : أى الذى يتكون البيت فيه من أربعة أشطار .

ومن «قياساته» :

أ - قصيدة «باها» لحسون وتير ، يقول فى حربتها :

غاوى الباهى * من ابها من لالها اشبيه

مولاتى باها * الحايض اصغر وزين وجاه

ب - قصيدة «آمنة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، يقول فيها :
أمینا حبك نیران * اعلی نیران * کادیا فاصمیم الوجدان
فاصمیم اکنانی

ج - قصيدة «طامو» للعلمی ، حربتها :

طامو یابهیج الخدادا * الحر المسرارا یاغایت لمجید
دیری اللعاشق امرادو * ینکی بک کل احسود

د - قصيدة فی «التصلية» لابن احساین ، يقول فی حربتها :
صلی الله امع املایکو عل لحیب الساری * وامر هل لیمان افلبشر
بصلات الهادی امع اسلامو یایات اسوارو * صلی الله اعلیه وافرأ
ویلاحظ أن الشطرين الاول والثالث أطول من الثاني والرابع .

ومثلها قصيدة فی «التصلية» للغرابلی ، يقول فیها :

لسم الله الواحد لعظیم الحی الجوادی * نشد حلا طیبها اشدا
لسم الله اسما امعظما بها یبدا البادی * وینال امرادو افما ابدا

هـ - قصيدة «فارحا» للمدغری ، يقول فی حربتها :

دسنی تحت لخلال بین ادرو Eck مللاح * واللبا والسدواح
انهیداتک تفاحا * انا خایف امن اعیونک ایجرحونی یافارحا
ویلاحظ أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

و - قصيدة «حجوبة» لابن علی ، حربتها :

یاللی زینک فآقی الشمس والقمر افلحجاب * صلتی بحروف اعجاب
صغ لوجابی * عالجنی بوصالك یالسریم حجوبا

ویلاحظ كذلك أن الشطرين الاول والرابع أطول من الثاني والثالث .

4 - خامس لشطار أو انخماسی : ای الذی یتكون البیت فیہ من

خمسة أشطار . ومن «قیاصاته» :

أ - قصيدة «فاطمة» لابن احساین ، وحربتها :

قالت یما اتقول طامو * قلت وأبیك یالطام
یاقد اعلام فاللطام * قالت ترا یقول طاما

ترات ایقول فاطما

ومنها قصيدة «فارحا» للمدغرى ، وفي حربتها. يقول :

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
أنا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

ب - قصيدة «أساداتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، وفي
حربتها يقول :

أساداتى اولاد طبه * برضاكم عالجوا الحال
ياناس الجود ولفضال
آنا فى عار للافاطما * الزهرا الطاهيرا
وقد يختلط مع الثلاثى اذا ما ضم الشطران الاول للثانى والرابع
للخامس ، ولكنه ليس ثلاثيا .

ومنها قصيدة الطيب الواسترى المعروفة بـ «تاج لملاح» ، وفيها يقول:
رغبوا تاج لملاح فيا * ايجينى غير بالسلام
ويراعى صلت لكرام

لاخير فاللى اجفا احيبو * واغندر بعد لموالفا
ومن هذا القياس ماقد يختلط مع الرباعى اذا ما جمع الشطران
الاولان كقصيدة «زهرة» للغرابلى ، وحربتها :

أنا فى عارك أهلال الدارا * ياكوكب السحار
يازهرت دوحى لزهار * أما قاسيت امن امراير
وانت لليوم هاجرا

ثانيا : مكسور الجناح :

وفيه يتكون قسم القصيدة من أربعة اجزاء :

1 - **الدخول** : وهو عبارة عن شطر فى استهلال القسم لاغطاء له ،
يبدو كالمطائر الذى كسر احد جناحيه . ويؤكد هذا التعليل فى التسمية
أن الاشطار التى تأتى بعد الدخول غير مبيتة ولاغطاء لها فكانها هى الاخرى
مكسورة الجناح .

2 - مجموعة من الإشطار القصيرة تسمى «لطيلعات» أو «لكراسا(1)»

3 - بيت على وزن الحربة وقافيتها كأنه تمهيد لها .

4 - الحربة أى اللازمة .

ومن الأمثلة على مكسور الجناح قصيدة «المزيان» لابن على ، وهذا

أول أقسامها :

1 - الدخول : ته بجمالك عل لقمار .

2 - لطيلعات : الشمس اتغير ايلا اتشوف زينك .

لبدر امن اجبينك والبان غار منك

اسبغ من الظليم الوفرا

واضوا من لكواكب غرا

والحاجيين فوق الطرا

نحسابهم نونين

وامعرقين باثنين

واشفار فوق وجناتك ناموا

3 - البيت :

اصوارمو استلو من لجفان * واجفانك غلبو يافهيم شوف اجفانى

ولخدود اسبغهم الجار * عل لبياض احمرار

4 - الحربة :

ليا قال المزيان * وصف هذا الحسن يالى تهوانى

قلت يا دابل لشفار * توصافك لايحصار

ومثلها قصيدة «غيثا» للحاج ادريس ابن على ، وقد بلغ من براعته

فيها أنه التزم قافية التاء فى كل القسم بل فى كل القصيدة ، والعادة أن

تنوع القافية داخل القسم وان تختلف من قسم لآخر كما سنرى بعد .

يقول فى القسم الاول منها :

1 - الدخول : عمدا اعلى لعشيق الكاوى كيفى ابنار لبنات

1) ولكنها غير لكراسا التى يقدم بها للاقسام كما سنرى فى الجزء الثانى

من هذا الفصل .

2 - **المطيلعات** : مهما تقول نارو بردت واطفات

حين ينظر زين الخودات

كيرها زندت واكدات

حتى عاشق مسكين ماسطاب امنام اول قوت

غير ايشاهد لبنات كيشاهد بيان الموت

والزين اعلى المملوك ليس يرثي

سلطان كيجور ويعدل وياامو اعطاتو

3 - **البيت** : ونافساير اوقاتي * نسعى ارضاه واقف ولانقول مليت

4 - **التعربة** : قولوا للاغينا مولاتي * رف بوصالك عل لعشيق يام الغيث

ثالثا : المشتب :

ويتكون القسم فيه من بيت يفصل فيه بين أول أشطاره وبقيتها
بمجموعة من الاشطار القصيرة تسمى كذلك «لمطيلعات» فكان داخل البيت
محشو بهذه الاشطار الزائدة ، وهذا هو الاصل فى التسمية اذ المشتب
ما تملأ به «اللعوف» و «المضربات (1)» .

ومن الامثلة عليه قصيدة «التوبة» لابن سليمان ، وفى أول أقسامها
يقول :

1 - **اول البيت** : مافيها مايبقى

2 - **لمطيلعات** : غير نعم الباقي

ياغفيل مائك شاقى

لاين تاتزيد احماقى

وين من غرتهم بالمال والنصر

مافازوا غير ابلقبر

مانفعهم فيها تدبير

آسعادت من دار الخير

نسال سلوان

واعليه ماصعاب هان .

(1) جمع «مضربة» وهى المرتبة فى اللهجة المصرية .

3 - بقية البيت : وانت ارمتنى لهلاكى فى ذا الاسواق

نلحقها مخلصا

اولا وجدت اعمارا

ويتصح لنا البيت بشبهه وقربه من الحربة التى تقول :

ياراسى لاتشقى

التاعب لايد من لفراق

لاتامن فالدنيا

ابناسها غرارا

ومنها قصيدة «قمر الدار» لعبد السلام الجربى ، وحربتها :

واجب لى نعدار * لاتلوموى فى حال لغرام * اناسى مابيا

غير قمر الدار

وفى القسم الاول منها يقول :

1 - اول البيت : صاك ابعسكر جرار

2 - لطيلعات : للطام اتانى

مايخن من تمحانى

ونانجيل وفانى

غير نرتى وادموع العين حايفا

من فوق الوجبات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا وجدت الدايا راقى

اعجز طبى

والجسم صار امهيبى

اكسانى الظما ياناسى

3 - بقية البيت : جسمى اسقام

واخلاكى كطعيا

اولا وجدت ايمارا

رابعاً : السوسى (1) :

ويتكون القسم فى قصيدته من ثلاثة اجزاء :

- 1 - بيت من شطرين يستهل به القسم .
 - 2 - مجموعة من الاشطار المرسلة دون تقييد فى العدد والوزن والقافية
لايخضع لغير تسلسل الانشاد .
 - 3 - بيتان أو ثلاثة أبيات على نفس الوزن والقافية ، تكون كالتمهيد
للحربة التى تتحد واياها فى الوزن والقافية .
- ومن الامثلة عليه قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى ،
يقول فى أول أقسامها :

1 - بيت من شطرين : يالحضرا سمعوا ماصار

بين زوج ابنت افلكحار

2 الاشطار المرسلة : شابا عصريا بكرا

والاخرى زمنيا عذرا

فرجونى بين الحضرا

وكنت حاضر

نصغى لخصامهم

نسمع العصريا

اتقول للزمنيا

يا جارتى اهنيا

سمعى منى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا

وانتيا فاشفار

ياحسبى لله سألنا بخصامك جمع لفكار

عمرى ماشفت اتقول شئ مدرسا

ولا احضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

(1) بعض الاشياخ يطلق عليه «المزلوك» ومعناه فى الاصل الخيط الرقيق .

ايلا اهواتك

بك اغوار الناس

جارحا بلسانك فات لقياس

مشغولا بيا

ولا العنت شيطانك الشرير

خوذيني نصفاك تتشتمى فيا

جهرا بلا خفيا

فالتا ساعى لعشيا

عند اغروب النهار

قالوا للشتام النار

بلسانك قلت اعلى الشكارا

3 - بيتان : أ - مصحوبا ديما امعايا مملو ابلكتوب عل لفتخار

سابقا بالمعيار

كابرا أميا فالسب القتب والزورا

ب - لالك المدرسيا فايقا عل لبكار

ياتسمعى لخبار

بالزمنيا غشيا اموخرا للورا

4 - الحربة : آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار

زوج هيقات اصغار

شأبا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

ويكثر السوسى فى قصائد «المحاورات» مثل «الحراز» و «الخصام»

بل يكاد يكون خاصا بها ، ولكن مع ذلك نبدى ثلاث ملاحظات :

الاولى : أن بعض قصائد «الحراز» نظمت فى غير السوسى مثل حراز

الشاوى ، وحربته :

شف حراز الريم حجوبا *

بارت احيالو واطفرت ابدات لجمال بعد العز ولحجاب

وحراز مولاي الحسن ، وحربته :

شف حراز الدامي كيف صار لو * حتى بارت حيلتو وحزت ام ادلال
وحراز خديجة للفلوس ، وحربته :

حراز اخديجا سابغ الشفر حرزها يامن اتسال عن شوف انجالي
واغلبتو: بغيالى او حزت وفى سابغ لنجال

الثانية : ان بعض قصائد «الخصام» نظمت فى غير السوسى مثل
«العربية والمدينية» لمحمد بن على ، وفى حربتها يقول :

ما بين العربية امع لمدينيا حاضر افلخصام وامعاهم
حتى اتعايرو ودار المعيار من بعد اخصام الباهيات فالصلح اجريت لهم
الثالثة : ان قصائد نظمت على هذا الوزن ، وهى ليست من المحاوره

كقصيدة «الربيعية» لمبارك السوسى ، وحربتها :

يوم الجمعا خرجو اريام من بهجت فاس البالى

سربات ايحيروا لعقل نهكيهم غزلان

يوم الجمعا خرجو اريام

ومثلها قصيدة «الجدول» للحاج الصديق المسفيوى ، وحربتها :

لله يارسول سال الدامي واش ماعند خاطر ياس

أما بعد هذا فيقال فى أصل تسمية هذا الوزن بالسوسى قولان :
(1) انه نسبة لمبارك السوسى لتسبقة الى النظم فيه ، مع ان الراجح لدينا
أن الشيخ امتيرد هو الذى سبق اليه (1) .

(2) انه شبيه بالفرد السوسى المنسوب لمنطقة سوس ، ومعروف أن سكان
هذه المنطقة مشهورون بالتجارة والاقتصاد ؛ ووجه الشبه ان الجزء
المرسل فى هذا الوزن - على الرغم من عدم وجود تبين وتقفية
لضبطه - يحتوى على مراكز يقف عندها المنشد فى ايقاع معين كأنه
يعد الفلوس على طريقة السوسيين .

(1) حسب ما انتهينا اليه فى البحث .

بناء القصيدة

اسم القصيدة :

يسمى الزجال المغربي قصيدته «لقصيدا» أو «لقصيد» ويجمعها على «قصدان». يقول الجيلالي امتيرد في آخر قسم من «خلخال اعويشا» :
والى سالك عن ناظم لقصيدا ❧ قل افصح اللغا الجبر الحيلالى
ويقول ابن سليمان في آخر قسم من «الرعند» :

أحافظ لقصيدا زد الثقلا اعلى لبهايم
احضى اعقول لهل الدعوات الذاكرين لحسان

ويقول المغراوي في آخر «التوسل» :

وامدحتك فى باب روضتك ابهاذ لقصيد

ويقول المدغرى في آخر بيت من «أم كلثوم» :

أنت ليا مملوك واغلامى ❧ ونا كذاك لك احببنا خدى الحدها وقصيدى متموم

ويقول ابن على في آخر بيت من «القرصان» :

وعلى الجاحدين حجا افقصدانى

ويذايجول فاسلوع يلقاها اموضعا بشهور وتبيان

ويقول العلمى في أول القسم الاخير من «كان الخلائى هانى» :

أحافظ قصدانى ❧ سلى اجوارحك قبل ايعموك لكفان

ويسمىها كذلك «القطعة» على حد قول ابن على في آخر قسم من «المحاوره» :

بلطفنا واسجيا جبت هذا القطعا بالفاظها ومعناهم

اذكى من الزهر واحلا من سكر فقلوب هل التسليم ولججود اتجيههم زقوم

مقدمة القصيدة : السرابية :

يقدم الزجال المغربي لقصيدته بقطعة قصيرة تكون في نفس البحر

يمهد بها لضبط ايقاع الوزن الذى سينظم عليه ، تسمى «السرابية» (I)

والغالب أن تكون من هذه الاجزاء :

I - أبيات تمهيدية يطلق عليها «الدخول» (2)

(I) لعل أصلها من انسرب وتسرب بمعنى دخل .

(2) انظر «الدخول» بعد سطور لدى استعراض أجزاء القصيدة .

2 - « ناعورة » (I) وهي أبيات قصيرة نادرا ما تكون أكثر من ثلاثة .

3 - بقية الابيات

4 - « الردمة » (2) وهي الشطر الذي يختتم به ، ويكون كالفصل

بين السراية والقصيدة .

وعند الاشياخ أن الذي لاينظم السراية لقصيدته لا يستطيع ضبط ميزانه بل لايعتبر شيئا ، وقالوا في ذلك «من لا يوزن بسرارب ميزانو يبقى عايب» . ومع أنها تتفق مع القصيدة في الوزن والموضوع فانها تختلف عنها في الانشاد ، وقد سبق أن رأينا (3) مختلف أنواعها في الانشاد ، وهي :

I - السماوى .

2 - الحضارى .

3 - الكباحى .

4 - المزلوك .

ويلاحظ اليوم - نتيجة ضعف مستوى النظم والرواية - ان الشعراء لم يعودوا يقدمون لقصائدهم بالسرايب وان المنشدين لا يمهّدون بها كذلك ، وان فعلوا فانهم يخلطون ، حيث ينشدون سراية هذه القصيدة لتلك ، حتى ولو لم تكن منسجمة معها في الموضوع ، فكان أن تعطلت هذه المقطوعات وضاع أكثرها ، وما بقى منها ينسب في الغالب لغير أصحابه أو لا يعرف قائله . ويطلق على السرايب التي يجهل اسم منشئها اسم «اسرايب أحرأمين» ، وكان بعد هذا أن بدأت السراية تنفصل عن القصيدة وغدت تعتبر عند البعض نوعا مستقلا من الزجل .

وكنموذج لهذه المقدمة نمثل بسراية لمحمد بن على جعلها تمهيدا

لقصيدته «دامى لجدار» يقول :

1 - الدخول

أقلبى كن عن امصابك صبار ❖ الصبر مفتاح الكنوز والدخيرا
محبوبك لا تعاتبو ولو جار ❖ وارتجا وصلو بعد السوايع لعسيرا

(I) انظر « النواصر » في الحديث عن مقدمات الاقسام

(2) انظر « الردمة » بعد سطور عند ذكر العروبي (3) في المدخل

لو طال الهجر لا غنى من لزار * يا لى ما جبت لهل لغرام سـيرا
انشوف اجمالى واقفا انجيرا

2 - الناعورة

يا عمهوج لجـدار * ما هو عمهوج الراتسع لقفار
يا شنيار الصغار * يا بدر اتجلى فكمال دارا
يا كوكب السحار * يا من حبو فى ساكنى اتوارا

3 - بقية الايات

يا سالب مهجتي ولاجاب اخبار * لا تشوق بصرى فى ذاتك لنيرا
لا مان اطلبت امن الحال والشفار * جرحوا ذاتى جرح اليلوا جبيرا
ازديت الكى عن اجراحى بالنار * آش يطفى نارى واغصايصى اكثيرا
واهوايا ما ستار * لهوى طالب يفدى الثار
هذا عشقى ولا وجدت ما نختار * عشقى فاسميتسى تفتنار
اللا وقت اتجور على القلب نارو * يشتد القلب امن اكدارو

4 - الردمة :

(توجدنى كانقول يا ستار)

أجزاء القصيدة :

يقسم الزجال المغربى قصيدته الى عدة اقسام ، ويطلق على عملية التقسيم اسم «لفصلا» (I) والغالب أن تبدأ القصيدة بمطلع يسمى «الدخول» ولا يعتبره من الاقسام ، تتلوه «الحربة» ثم تتوالى الاقسام بعد ذلك تفصل بينها الحربة فى الانشاد . والعادة أن يضمن القسم الاخير اسمه والصلاة على الرسول والدعاء للاشياخ والعلماء والمنشدين والهجو للخصوم ، وقد يشير فيه الى تاريخ النظم .

وبعض الشعراء لا يnehون قصائدهم باآخر قسم منها وانما يضيفون له جزءا يختمون به قد يطول وقد يقصر ، ويطلقون عليه «الدريكة» . وفيما يلى نتتبع كل هذه الاجزاء التى تتكون منها القصيدة :

(I) اشتق منها فعل «فصل»

أولاً : الدخول (I) : ويطلق على أول جزء من القصيدة (2) ، وسيتضح لنا من خلال النموذجين اللذين سنمثل بهما لبناء القصيدة في آخر هذا الجزء من الفصل ، وهما قصيدة «هنية» من المبيت لمحمد بن الحسن و «الذهبية» لانبجار من مكسور الجناح .

والجدير بالاشارة ان الشاعر الشعبي كثيراً ما يستهل الدخول بالبسملة أو الخطاب يوجهه لنفسه أو غيره ، والغالب أن يستهل بالبسملة في قصائد المدح النبوى والتوسل والتصلية والمعرّاج وما إليها مما يعبر عن عاطفة دينية . من ذلك قول محمد بن احسان في أول «تصليته» :

بسم الله ابديت حلتى يامن صاغ اشعارى * محلاها مفتاح للشعر
ومنه قول المفراوي في اول قصيدة له في مدح الرسول عليه السلام :
بسم الله الجواد * به ابديت السلام * عليك فى دالمقام
ومنه كذلك قول العلمى فى توسل له :

بسم الفتح المعبود رب الوجود الودود الدايم المرشاد
ومثله عند الفلوس فى أول قصيدته فى «سيدنا الحسين» حيث يقول :
ابديت باسمك يا من هو اعليم لسرار * فى امديح الماحى نور لعضا وليقين
وعند عبد القادر الجرارى فى «المعرّاج» اذ يقول :
ابديت بسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكوان الحق الدايم لحقيق
اما الخطاب (3) فقد يوجهه لنفسه أو غيره .
ومن الخطاب الذى يوجهه لنفسه قول المفراوي فى قصيدته «فى الشوق لمكة المكرمة» يحدث عينه وقلبه :

ابدل نومك ياعين بالسهر ولنواح * احمل يا قلب اكسدارى

(I) نشير الى ان اصطلاح الدخول معروف فى الموسيقى الاندلسية وهو البيت الاول من الصنعة الحماسية والسباعية اى التى تتكون من خمسة أبيات وسبعة .

(2) ويطلق كذلك على أول بيت فى القسم .

(3) سنرى فى الفصل الثانى من باب الموضوعات ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب (انظر الملاحظة الثانية فى آخر هذا الفصل) .

من هم الغربا والجفا وبعد لملاح * أين عرفا يا نصارى
هطلوا بالدمع ابصارى

ومنه قول المدغرى يخاطب «اللايم» :

الايم لاش اتلوم * روح سسالهم
دعنى كف لملام * ما حجت امن اغرام
بين خال وشاما

ومنه قول امتيرد يخاطب السائل فى «مصباح الزين» :

اسايل لا تسال ترك اجوابى واسؤالى * وانظر حالت حالى
وجهى يوريك ما فقلبي من غير اغشاشا
ومنه كذلك قول الفلوس فى «حراز خديجة» يخاطب المولع بالزهو :
يا من هو مولوع بالزهو اتراجم لغرام صغ لبيات اسجالى
واتأمل كيف اجرى القصت الحراز الختال

ومثله قول ابن على يخاطب «الشعمة» :

سلتك لله عدلى شجرالك * واعلاش باكيا مادالك
واش كان قصتك واش انهوداك

ثانياً : الحربة : وهى اللازمة ، وبها تعرف القصيدة وتتميز عن غيرها من القصائد التى قيلت فى نفس الموضوع ، ومكانها من القصيدة بعد جزء «الدخول» ثم تكرر فى نهاية كل قسم وبها ترد المجموعة على المنشد .
ويزعم بعض الاشياخ ان اسم الحربة تحريف لـ «خروبة» ولكنّه افتراض لا يفهم منه ما يوحى باللازمة أو التكرار او حتى الانشاد والغناء .
وربما كان أقرب الى القبول الافتراض الذى أبداه أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى من انها قد تكون تحريفا للخرجة المعروفة فى الموشحات والازجال الاندلسية .

والمفروض ان تكون الحربة على «قياس» ابيات القصيدة اى من نفس

الوزن ، مثال ذلك حربة قصيدة زهرة لبوعمرو وهى من المثنى :

زورتنى قبل الانتقار * ياهلال الدارا زهرا

فان ابياتها تسير على نفس «لقيام» حيث يقول فى أول بيت من

القسم الاول :

مال قلبى يرمى بشرار ❖ شاعلا فى قلبو جمرا
وهذه حربة قصيدة «فاطمة» لابن احساين من البحر الخماسى :
قالت يما تقول طامو ❖ قلت واييك يالطام
يا قد اعلام فاللطام ❖ قالت ترا يقول طاما
ترات ايقول فاطما

وفى أول بيت من قسمها الاول يقول على نفس «القياس» :
قولوا لى اقوا ملامو ❖ لو كان انظرت بالنيسام
مولاتى باشت الريم ❖ ما تلقى افلهوا املاما
ولا تصغى املاوما

وقد سبق ان رأينا فى الجزء الاول من هذا الفصل انه فى «مكسور
الجناح» يختم القسم ببيت يكون على وزن الحربة ويمهد لها ، وكذلك رأينا
بالنسبة «للسوسى» حيث يختم القسم ببيتين أو ثلاثة على وزن الحربة وتمهيدا
لها . ومثل هذا يقال عن «المشتب» الذى يكون فيه البيت على وزن الحربة .
ومع هذا فانا نصادف «حربات» لا تتفق مع أبيات القصيدة فى عدد
الاشطار ، ويطلق عليها : «الحربات المثنية» حيث يضيف لها الشاعر شطرا
أو اكثر . ومن النماذج على هذا النوع ما نجده عندالمغراوى فى «هول القيامة»
وهى قصيدة مبيتة من فراش وغطا ، يقول فى أول اقسامها :

نعم القيوم خالق اكوان الكونين ❖ وسير امسيرها على وفق امرادو
ولكنه أضاف فى الحربة شطرا ثالثا فقال :

صلوا وسلموا على شارق لنوار ❖ محمد شافع لسلام

انهار البعث والقياما

ونجده كذلك عند الكندوز فى قصيدة مبيتة من فراش وغطا يقول
فيها :

ياحباب انشالو صدوا مع الطريق ❖ كيف يزها لى عاد العيش

فقد عمد الى حربتها واضاف لها شطرا ثالثا فقال :

ياللى قبلتو الصادق الصديق ❖ خبروه ابحالى بكمال جودكم

سيدنا محمد سيدى وسيدكم

بمد تمجد المجد اوضح خبر * اعلى المعراج اصاح افيلت السرا

الصلاة اعلی الہادی راكب لبراق سیدنا محمد لمشرف الصديق

وقد يضيف الشاعر أكثر من شطر إلى الحزبة على حد ما فعل ابن علي في قصيدة «الذرة» وهي مبينة من قياس لمشركي ، يقول في أول «الدخول» :

يا ساهي من نومك فق سبيع الرب ۞ لما وانت تايه افغرور لواب

ثالثا : الأقسام : وسننظر فيها من جانبين أولهما عددها وعدد آياتها

1 - عدد الأقسام والايات :

والغالب ان يتراوح عدد الاقسام من اربعة الى عشرة ، وكذلك يكون عدد الابیات داخل القسم الواحد . ومع ذلك فان عدد الاقسام قد يرتفع في بعض القصائد التى تكون مادة موضوعها غزيرة متوفرة ؛ وقد وقفنا من هذه القصائد على اربعة هي :

صلوا وسلموا علی شارق لتوار * محمد شافع لسلام

انهار البعث ولقياما

ب - القصيدة «الفياشية» لمحمد الشرقى ، وتشمل تسعة وعشرين قصما ،
وهذه حربتها :

انسا مالى فياش :: آش اعليا منسى

ج - قصيدة فى التوسل لعبد القادر العلمى تعرف بـ «الجمهور» بلغ
عدد أقسامها اثنين واربعين ، وهى التى يقول فى اولها :
يا من يشفى اضرار عبدو بعد السقم :: ويفرج من اقوات فالصدر احزانو
د - قصيدة «سيدنا الحسين» لمحمد العيساوى الفلوسى ، فان عدد أقسامها
خمسة واربعون ، وفى حربتها يقول :

يا حضرا سمعوا وفات نور لنوار :: ولد فاطما الزهرا سيدنا الحسين

أما بالنسبة لعدد الابيات فى القسم الواحد فانه قلما يزيد على عشرة .
وقد بلغ فى قصيدة «الشمعة» للشريف مولاى التايك ستة عشر بيتا فى
القسم الاول واحد عشر فى الثانى وثلاثة عشر فى الثالث واربعة عشر فى
الرابع والاخير . ومثل هذا الاختلاف بين الاقسام شاذ ولكن الاشياخ يعلنونه
بـ «السبب والمعنى» كذلك . وسنكتفى بعرض القسم الاول وهو يحكى
قصة النحلة على لسانها حيث تقول :

بلسان حالها قالت لى نحكى لك :: اشخى عما حملت من لـدراك
ويلا اتصيفشلا توصف فوصافك :: عن حالى وماكان لى اقبل لحراك
وانت اغرايى عاودها بلسانك :: وضح ليفادا واشرحها بلغاك
واخبر بكرحتى فالناس الى سالك :: لا تكتم سولان حدث امن اصغاك
ازمان كنت فقصر محبوبك امشابك :: واكذك انايا فصورت التشبهاك
بكمال صورتي صورنى صوارك :: شهدا معلوما افملك من لـملاك
بعمالتي انصول اسلطانى ما لك :: واجناد ابطالى اتروح التيباك
وظفرت بالسعادة فزمان امبارك :: ما ضاها ملاكتى املك لتبراك
وامنين راد ربى بالوعد السالك :: كسروا جندى ماتلا اتفع لـسراك
وابهن فى ابساطى بهاز ابخالنك :: كانوا يعتادوه ناسنا فقتلناك
بعد لهلاك عصرونى عصرا محابك :: واهدت اعسولى اولواوجدت افكاك
ولاوا دويونى بالصهد الهالك :: طرحونى حتى اصفيت للتدلاك

واصفات لوضايح وارجعت اسبابك * ولي داي يا شيخى اكثر من ذاك
كألوا انت اعروسا لفتيلا تاجك * بها يشرق نور مهججك واضيالك
بها افكل حضرا يعلا مرتابك * واعلى الزاهى ماتلا ايفيد اغلاك

2 - مقدمات الاقسام :

من براعة الشاعر ان يقدم لاقسام قصيدته بأبيات قليلة يمكننا تقسيمها
الى نوعين : احدهما «العروبي» والثانى «الشواعر» :

أ - العروبي :

وهو غير «العروبي» الذى تغنيه النساء والذى اعتبرناه نوعا مستقلا
من الزجل (I) . ويقولون انه كان فى الاصل يقدم به لاقسام المبيت المثنى
ولكنه لم يعد كذلك ، حيث نصادفه حتى فى غير المبيت . ويتركب من عدد
من الابيات تنتهى بشطر يتيم يطلق عليه : «الردمة» و «التدييرة» و «التدييلة»
وهى كلها كلمات توحى بمعنى الختم والانهاء .

وعند الاستاذ محمد الفاسى ان العروبي الذى يقدم به للقسم يتكون من
بيتين كل واحد منهما بشطرين يضاف اليهما شطر خامس (2) . وهذا تقييد
لا أساس له . حقا ان العروبي قد يكون محصورا فى قالب الذى ذكره الاستاذ
الفاسى ، على حد ما نجد عند الشيخ !متيرد فى «فاطمة» اذ يقول مقدماتا
للقسم الاول :

أنا يا فاطما احسانك ما نساء * وانت لحسان من تليتو من ناس
اكشفتى سرنا ولو حتى بغطاه * عيار الحب طابعك كشف انحاسو
حتى بنيان ماعلا دون الساسو

ولكننا وقفنا على «عروبيات» يتعدى ابياتها هذا التحديد، واثبات الدليل
يقتضى منا ان نعرض نماذج من هذه العروبيات ، وهى مكونة من :

I - ثلاثة ابيات والردمة كما فى «التطوانية» للحاج ادريس لحنش على
حد قوله فى عروبي آخر قسم من القصيدة :

ايا حماة دينا لعنو الشيطان * هذا الغفلا اعلى اعداكم حتى ليسن

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الاول من باب «الشكل»

(2) انظر مقدمة «الاعانى القديمة لنساء فاس» .

ما تنفكروا انهار دخلوا التطوان * وخرج فيها الكافر المسلمين
وابقات الناس حائرا بين الطرقات * وهل ليمان كاتقول ابصوت احنين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

2 - اربعة ابيات والردمة ، ونجدها عند العلمى فى «التوسل» حيث

يقول فى عروبي أول اقسام القصيدة :

يا من رسى اجبال وارصدها بصخور * وابحور الطاميا ابقهر و محصورا
ما يرشفها حفير ما يمنعها سور * وافراتن موجهها افماها مكسورا
واحجب ضو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلفجر باهى الصورا
يا عالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

3 - خمسة ابيات والردمة كما هو عروبي احد اقسام «الجمهور» للعلمى،

وفيه يقول :

عبد القادر وصاحبو مول الخلوات * بو وحشيا ومن افقربو من لسياد
وعلى والحاج والاسعد باهى الخصلات * سيدى عبد العزيز لمام الاستاذ
يصرخ ويغيث ويحمى عند الخزات * ويحل ابقدرت لمهيم كل اعقصاد
والشيخ الى ابراهنو كالشمس اضوات

مول البركا الظاهرا سيدى عياد

وارجال اخريين فى امانزلها اختفات * اسألت ابحق جا هم خالق لعباد
يوفى قصدي ولا يخيب لى مراد

4 - ستة ابيات والردمة على حد ما نجد فى نفس قصيدة العلمى السالفة

الذكر حيث يقول :

يابن عزو يا لكوكب الصدرى * الحاج الطيبى اتوافى مظنونى
العدويا وجارها سيدى بصرى * والخزيو الصالحا والقرموسى
سيدى النجار والاشقرتم البدوى * والشبلى طيب الشذا زهر افنونى
سيدى الجزار طلعت البدر الزهرى * بوطيب منو شمس قلبى واعيونى
والوالى ابن عبود والشيخ الحضرى * والشيخ الجنان لا تجهل ملحوسى
عطفوا عطفنا مختنرا تشرح صدرى * وادعوا بدعوتى الله وعينونسى
عبد ارضاكم ما نظن اتهينونى

5 - احد عشر بيتا والردمة كما فى قصيدة «سيدنا الحسين» حيث يقول
الفلوس فى عروبى آخر قسم من القصيدة :

مهما دخلوا اضريح لحبيب المهتاد * قالوا يا جدنا الهادى محمد
لوريت شين صار بنا دون افناد * فى كربلا امع اجيوش الا تنحس
قتلوا الانصار والاصحاب مع الاولاد * وابن هاشم كلها يا محمد
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد * واحا فالشوم واعطش يا محمد
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد * تركوا لشيخ افلوطا يا محمد
سفكوا دم لشراف واعصوا الاحد * سبوا على المرتضى يا محمد
لوريت شين كان دار ابن زياد * هو واهلو وشيعتو يا محمد
طعن الحسين كل من كان افلجناد * ولا رحموا اطفالنا يا محمد
قطعوا راسو ولا اخشواو من التجواد * داسوا بالخيلى مهجتو يا محمد
كشفوا حريم دون لعدا والحساد * وبعدها اسبونا يا محمد
داروا لنا احبال واغلال ولكيانات * ما شفقوا من احوالنا يا محمد
وجهناهم للقوى يا محمد

6 - ثلاثة عشر بيتا والردمة (I) على ما نجد عند العلمى فى «الجمهور» حيث
يقول فى عروبى أحد اواخر اقسام القصيدة :

اللهم ارضى اعلى خلایف عز الدين * قد انجوم السما قد احماس الديجان
قد اعداد لشجار واعشوب البحرين * وما فالبحر امن اعجايب عل للوان
قد اعداد لرمال فاقفار الارضين * وما من هايمه اتسيح اعلى لوطان
اللهم ارضى اعلى ملوك الحرمين * اعداد ما فكل تربا من بستان
واعداد انسيم زهرها بعد الفجرين * وانغام اطيورها اتزبرج اعلى كغان
قدما سبحو السمارس وامقنيس * والحرمل والسرند والطير الحسان
ما غنى اليتروك وارقص بالجنحين * مهما شاف لهزار لحسن بالثرنان
وما بات لحمام اعلى البرج اينين * باصوات امرخما اتبكى بالتحنان
واعداد النحل والنمل وادوا باخرين * وانوار اعلى لصناف بارزامن لغصان
(I) لا توجد فى النص الذى بين ايدينا ردمة لهذا العروبى ولكننا عرضناه
على بعض كبار الاشياخ فدلنا عليها .

اللهم ارضى اعلى اهل السر المبين * رضوان الا ينتهى عن طول ازمان
ما حملت امن اخلايق اجواف الثقلين * بملايك طايعا اوحش وانس وجان
اللهم ارضى على كوكب هل ليقين * ابا بكر الزكى وعمر وعثمان
وابن ابى طالب الافضل قوم الشجعان

ابن عم المجتبى الشافع فالعصيان

وانصر يا ذا الجلال لماس السلطان

ويلاحظ أن بعض الشعراء التزموا نفس «الردمة» فى كل عروبيات
القصيدة على حد ما فعل الحاج ادريس لحنش ، فانه إلتزم قوله «الله ايجود
بالنصر لعالم الدين» فى كل عروبيات قصيدته «التطوانية»

ب - **النوع I** : ويسمى كذلك السويرحات ولكراسا (2) :

I - الغالب ان تكون مكونة من ثلاثة ابيات قصيرة مكونة من شطرين
أو ثلاثة أو اربعة فمن الامثلة على ذات الشطرين ما قدم به الشاوى فى
أول قسم من قصيدة له فى «التصليية» حيث قال :

وجلدو من هو حى واجــــــد * قبل لوجود وظهر للخلق اوجدادو
جعلو محبوب احبيب ماجــــــد * كرمو وفضلو واهدى به اعبادو
ويح من اعصاه وكان جاحــــــد * جهنم اجزاء فيها مقعدادو
ومن السويرحة ذات الثلاثة أشطار قول المدغرى مقدما لاول قسم من

«الساحى»

(I) من لطيف المصادفة ان نجد عند الرباط فى «العقيدة الادبية» ذكرا
لناعورة تكون فى الموال يقول عنها : «صنعة الناعورة وتعريفها ان
يجعل الناظم اربعة أغصان مواله رتبتهم كل غصن خمس كلمات مطلع
كل كلمة ميم ويجعل الميم حلقا فى الوسط ويطالع من الحلق مجرى
كل كلمة فيصير الموال مثل الناعورة (الورقة 149 ظهر 150 وجه) .

(2) ج كرسى. ولكراسا فى مقدمات الاقسام هى غير الكراسا التى تكون فى
مكسور الجناح والمشتب كما سبق أن أشرنا الى ذلك فى الجزء الاول من
هذا الفصل .

وتجدر الإشارة الى ان الكرسى فى الموسيقى الاندلسية هو الشطر الاول
من البيت الثانى من الصنعة الثنائية أى المكونة من بيتين ويكون ميمــــزا
فى تلحينه .

شف البدر الواضح :: بين نجومو رايسح
لغروبو رخف الجناح
وانجومو لوضايح :: بالفرح تدايسح
حست بنسبم الصباح
والديجور الجانسح :: نلقى اسريع اجونسح
وهرب بخيالو وراح
ومن السويرحة ذات الاربعة اشطار ما نجد عند امتيرد في «الكاس»

حيث يقول في تقديم أول قسم من القصيدة :

طاب اشراب كاسي :: بوجود لعناسي
واحبابي وناسي :: اجميع بالوجد ايميسوا
مصباح الغلاسي :: داحت عن اسياسي
واتفاجا اكباسي :: اكل عاشق بونيسو
رتخا كل كاسي :: واذهب شر باسي
انصبج انماسي :: الكل سلوان اعريسو

2 - وقد تكون مركبة من اربعة أبيات ، كل بيت :

أ - من شطرين كما عند عبد السلام الزفري في «خلخال يامن»

حيث يقول في تقديم أول اقسام القصيدة :

ابقات جوالا :: لفكار وين تعمل هذا الخلخال
اهميم لا حالا :: خوفى عليه من لعبو والعدال
عدت بمقلا :: عندي اخرايني فالصونا بففال
دون لبالا :: بالزرد ولقنا وسيوف العسال

ب - أو من ثلاثة اشطار على حد ما نجد عند العلي في «الساقى»

حيث يقول في سويرحة ثانی قسم :

راح الليل اولا ابقى :: الا وقت المعانقنا
كبه ورا وارخي الرواق
والاطيار الناطقنا :: عل لشجار الباسقا
عمرت بلغاها اسواق

كـب الخـمر الخـارقـا * فـى كـيسـان اـبنـادقـا
مـن زـاج اـبـلـاد العـراق
تـظـهـر خـمـرا بـارقـا * فـنـالـاوانـى شـارقـا
كـلـون اسـحـيق الرـماق

3 - وقد تكون مركبة من خمسة أبيات كما عند المصمودى فى مقدمة
أول قسم من قصيدة «الجار» وفيها يقول :

ما يشبهنى عاشق الجـار * بالحـب سـرت دـيوانـى واخـلاـئـى اصـفر
نـار الحـب اقـوى اـمـن النـار * مـنـها اعـذاب قـلـبـى يـاصـاح يـنـزـبـر
مـن قـوتـها سـارت اجمـسـار * بـين لـحـشا اوـسـط المـهـجـا وامـع الصـدر
نـار اتمـادى فـيـه بـشـر * واعـيـيت مـانـلاـهـى وانـكـابـد فـالصـبـر
جـيت انـزور احـمـامـت الـبـدر * لا حـى لا مـوتـس لا غـاشـى لا خـبـر
القـسـم الاخـير :

قد يطول أكثر من بقية الاقسام ويتضمن فى الغالب اسم الشاعر
وتاريخ نظم القصيدة واهداء السلام والصلاة والدعاء وهجاء الخصوم :

اولا : ذكر اسم الشاعر : وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن الذكر الصريح للاسم قول المغراوى فى آخر مرثيته للمنصور
السعدى المعروفة بـ «لعزو» واصفا نفسه بالفصيح :

وارحم المغراوى الناظم افصيح لعراب * بالبـلاغا غـير الجـحـاد اـلـفـحـو
ومنه قول الحاج ادريس بن على فى «فضيلة» واصفا نفسه بالاديب
وقصيدته بعذراء متوجة :

وختمت القطعا ايقول لاديب الحاج ادريس بن على بهاجر الذيل

حـلايا حـفاظ صـايـلا * كـعـدار تـاجـها امـكـلل تـكـليـلا

ومنه قول الحاج اعمارة فى «فاطمة» مشيرا الى أنه مقيم فى مدينة فاس:

والاسم على اسألنى * الحـاج بـن الحـاج اعمـارة ومـكانـى

ارض الـياقوتـا السـاطعـا سـلسـالت لـكـرام

مولانا يدريس بن ادريس البدر الضاوى

الرضوان عليه عد مازاروه امن اقوام

ومنه قول عبد الرحمان القرى فى «زهرة» داعيا الله ان يحفظ.

مدينته مراکش :

واسمى ما يخفى القـرى * عبد رحمان طالب لغنى فاشعاره
يحفظ بهجتنا الحمـرا * ابجاه النبى وازواحو واصهاره
ومنه قول الحاج عبد الفضيل المرينسى فى «جهور الخودات» واصفا نفسه
بالذكى وبأن خبره مشهور ومصرحا بتلمذته للنجار :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسى الا اخفات اخباره
الذكى تلميذ النجار

2 - فما الرمز للاسم فقد يكن بالحروف أو بالأرقام أو بهما معا :
أ - فمن الرمز بالحروف قول الجيلالى امتيرد فى «طرشون» رامزا الى
الجيلالى بالجيم واللامين وواصفا نفسه بأنه أفصح الاشياخ ورئيس الشعراء :
قال أفصيح لشيخ جيم الامين رايس لخبار
ومنه قول امبارك السوسى فى «زهرة» مستعرضا حروف مـبارك
ومصرحا بالسوسى :

واسمى لى يقرأ انبينو ميم وباللعارفين تفسارو
والرا امورخا والكاف افتشهار
والكنواسوسى

ب - ومن الرمز بالأرقام (I) قول محمد بن على ولد اريزى فى «الطاهرة»
واسمى اثنين وتسعين بالحروف ظاهرا * واصحاب ابجد حاضرا
والحرف الاول رفعو مشهور

(I) بناء على قيمة حروف أبجد ... وترتيبها عند المغاربة كالآتى :

80	70	60	50	40	30	20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ف	ع	ص	ن	م	ل	ك	ى	ط	ح	ز	و	هـ	د	ج	ب	ا
90	100	200	300	400	500	600	700	800	900	1000						
ض	ق	ر	س	ت	ث	خ	ذ	ظ	غ	ش						

وقد ورد فى القاموس المحيط للفيروزبady أن «المشاركة» يكتبونها على
الترتيب المعروف فى اللغة الآرامية والعبرية وهو :
أبجد هوز حطى كلمن سعنص قرشت تخذ ضظغ .

فائنان وتسعون هى مجموع قيمة حروف م ح م د .بالاضافة الى انة
ذكر رفع الحرف الاول .

ومنه قول مولاى على البغدادى فى «خدوج» :

واسمى ظاهر فاميا اشرح منهاجى تسبى البدهاج

فالعين بسبعين واللام بثلاثين ومجموعها مائة .

ومنه قول محمد بن على المسفيوى فى «المحبوب» :

واسمى فبجد محسوب يالمحبوب اربعا والخمسا والزوج فى احسابى

فكتابة الاربعة والخمسة والاثنتين متتابعة (4 - 5 - 2) تعطى رقم

اربعة وخمسين ومائتين وهو مجموع قيمة حروف م ح م د ا ب ن ع ل .

ج - ومن الرمز بالارقام والحروف قول المدنى التركمانى فسى

«الزهو» :

واسمى ما يخفى اشهير فبجد المن اقراه

(صين جب) والجليل من لا يسها وينام

فقد رمز بـ «صين جب» فالصاد بستين والياء بعشرة والنون بخمسين

والجيم بثلاثة والياء باثنين فيكون مجموعها خمسة وعشرين ومائة ، وهى

قيمة حروف ا ل م د ن ومنه قول احمد بن رقية فى «الشمعة» .

فى رمز النون اسمى يا سالك ي زد جيم لى سالك

فقيمة النون خمسون تضاف اليها ثلاثة فيصبح المجموع ثلاثة وخمسين

وهى مجموع قيمة حروف ا ح م د .

ومنه ما نجد عند محمد العيساوى الفلوسى الذى كان يخفى اسمه فى

قصائده الوطنية بمثل هذه الرموز :

I - اسمى للل والبا امضمنا

أى بثلاثة لامات وباء ومجموع قيمتها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف

م ح م د

2 - اسمى كعب

فالكاف بعشرين والعين بسبعين والياء باثنين فيكون مجموعها اثنين

وتسعين . ومن هذا ما نجده كذلك عند الشيخ محمد بن عمر المراكشى الذى

يرمز لاسمه فى الغالب بـ : «بمن» والياء باثنين والميم بأربعين والنون

بخمسين ومجموعها اثنان وتسعون وهى قيمة حروف محمد .
يلاحظ أن بعض الشعراء سكتوا عن اسمهم ولم يذكروه لا رمزا
ولا تصريحاً ، وهؤلاء هم المدغرى والعلمى والسلطان سيدى محمد بن عبد
عبد الرحمان والسلطان المولى عبد الحفيظ العلويان .
ويقولون عن السبب فى ذلك بالنسبة للمدغرى وسيدى محمد بن
عبد الرحمان ان المدغرى كان صديقاً لهذا الامير الذى كان بدوره ينظم ، ولكنه
لم يكن يريد ان يعرف عنه ذلك . وحتى تنسب قصائده للمدغرى طلب
منه ان يعدل عن ذكر اسمه فى قصائده . ومثل هذه الظاهرة لو ثبتت -
ستجعلنا نشك فى القصائد التى تنسب للمدغرى ، فان بعضها - على الاقل -
من نظم سيدى محمد بن عبد الرحمان . ويذكرون من هذه القصائد -
«عزبا وشابا» التى يزعمون ان الامير نظمها حين شاهد «بزقاق لحجر»
فتاتين تطلان من الشباك ، وكان فى طريقه لزيارة الاضرحة بفاس على
عادة الامراء والملوك العلويين ، وهى عادة لم تنقطع الا بنفى محمد الخامس
سنة 1953 .

اما العلمى فانا وقفنا على قصيدتين يصرح فيهما باسمه ، هما :

أ - قصيدة «الشافى» وفى آخرها يقول :

والباحث عن اسميتى بعد السولان * عبد القادر اعلام رب الفوقانى

ب - قصيدة «سم الفتاح المعبود» ، وفى آخر شطر منها يقول :

وارحم نساج لقصيدة العلمى

واما المولى عبد الحفيظ فيعلن فى قصيدة «الزين» ان من عادته اخفاء

اسمه :

والناظم طبعو يخفى اسميتو فسجلا * خذ صافى در وعقيان

ومثل هذا يقول سيدى محمد بن عبد الرحمان فى «الزهو» :

الحافظ ويلا سالك تالف العنوانى * اسمى صونو بالكتمان

كذلك يلاحظ ان بعض الشعراء أشاروا الى اسمهم فى اول القصيدة أو

وسطها وليس فى الآخر . فابن سعيد فى «التوسل» يذكر اسمه فى البيت

الرابع من «الدخول» فيقول :

ابن سعيد السرى جد يالسلطان * غر عنى يانجل ابن الديبح طاها
وامتيرد فى «لفصادا» يذكر اسمه فى وسط القصيدة على لسان الفاتنات:
قالت اريام الحضراوين عز لشيخ * لفصيح الجيلاى شندك لغزارا
على أن ذكر اسم الشاعر فى الزجل تقليد معروف (I) حتى عند المشاركة
على حد ما نجد عند ابن مكاس فى وسط زجل له حيث يقول (2) :
يوم وهو جاني بضجـة * وجبين معقود وعابس
قال لى والله مانت حجة * فى الهوى يابن مكاس
تبقى تشكى لاي من جـا * وآخرو ما قلت امس
وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن مقاتل فى آخر زجل له اذ يقول (3) :
كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل
وكم ذا فى المحافل * قد أنشأ غصن حافل
من حل بيت فى مربع * ملحون بألف معرب
وهو تقليد معروف كذلك عند شعراء أهل امصار المغرب من العرب
اذ يذكرون اسمهم فى اول القصيدة كقولهم :
قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حرا اشكت من ازفيرها (4)
.....
تقول فتاة الحى ام سلامـة * بعين اراع الله من لارثى لها (5)
.....
يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صواب (6)
ثانيا : تاريخ نظم القصيدة :

-
- (I) فى «بلوغ الامل فى فن الزجل» ص 9 لدى الحديث عن ابتداءات
الزجالين : «ذكر اسم الانسان نفسه فى آخر زجله ويسمونـه»
الاستشهاد ويثنى فيه على نفسه الشاء البالغ .
(2) روض الآداب للحجازى مخطوط آياصوفيا رقم (4017) الورقة 103 وجه .
(3) المصدر السابق الورقة 101 ظهر .
(4) مقدمة ابن خلدون ص 511
(5) المصدر السابق ، ص : 518
(6) المصدر السابق ، ص : 517

وقد يكون بالتصريح أو الرمز :

1 - فمن التصريح بالتاريخ ما سجل به المغراوي قصيدته في

«المدح والتوسل» حيث قال :

الشريف ورخ هذا القصيد السعيد * ليلة عشر والحاد
سنة خمسة عشر والـف عام * سلمك لله جود

2 - ومن الرمز اليه قول النجار في «الخلق» :

تاريخ انظامي ما اخفى اثلاثين المن يقراه

القاف ونصف الرا * زد الف تكمل حساباتو للهادي نهديه

فاذا أضفنا الى ثلاثين قيمة القاف وهي مائة ونصف الرائ وهي مائة

كذلك اذ الرائ بمائتين ، وزدنا كل ذلك على الف يكون تاريخ نظم القصيدة

ثلاثين ومائتين والف .

ومنه قول الفلوس في قصيدة «سيدنا الحسين» :

خذ تاريخ النظم افعام شرق بجيار * ورمز حا و -الف وبعدهم ستين

فقد رمز ب -شرق و -حا و -الف فالشين بألف والرائ بمائتين والقاف

بمائة والحاء بثمانية والالف بواحد ، ثم زاد عليها ستين ، وبذلك يكون

المجموع تسعة وستين وثلاثمائة والف .

ثالثا : اهـاء السلام والصلاة والدعاء :

يقول ابن علي في -التصليـة- مهديا سلامه للعلماء الفاهمين للقرآن

الكريم والاشراف والطلبة وأهل الوفاء والاحسان :

واسلامنا اشلى ناس العلم الماهرين فالمبين

واعلى لشراف واعلى الطلبة وهل لوفاء وهل لحسان

ويقول العلمي في «طامو بهيج الحداد» يطلب من حافظ القصيدة ان

يهدى سلامه للمنشدين واهل المعاني والطلبة .

أهدى سلامنا للنشادا أهل المعاني والطلبا يامن احفظ لقصيد

ويقول محمد بن الوليد في قصيدة له في «مدح المصطفى» عليه السلام

مهديا سلامه للخلفاء الراشدين ولأصحاب الرسول العشرة وازواجه

وللمهاجرين والانصار والابناء فاطمة ، ومصليا على الرسول الاكرم ، ثم

مسلماً على الشعراء .

واسلام ربنا يتهيا فى كل حال دايم

اعداد ما فعلمو سبحانو ربنا العالم

وارضا على لخلافا

ابوبكر الصديق اعثمان اعلى اعمر

الى ايجهد فالسبيل امعاك :: والرضى للعشرا المهاجر الانصار
واعلى اسيانا لعرب التياك :: والازواج ابجيلا والطاهرين لقمار
اولادلا بهم الاستمسك :: الصلاة والسلام افكل ليل وانهار
اعليك يالهادى طيب لمسك :: قد لرياح قد ارعدها المطار
واعداد القلم واللوح الفلاك :: والعرش والكرسى وكندامياه لبحار
واعداد ماخلق فالدنيا من ياك :: دايم مادام الملك لغنى القهار
بالطيب ولعير وعنبر وامساك :: والسلام انهيبو للمهدين لحبار

رابعاً : هجاء الخصوم :

ويطلقون على القسم الاخير اذا اشتمل على الهجاء «الزرب» تشبيها له
بالسياج الذى يحيط بالحدائق والبساتين ويحميها ، فكان هذا الزرب
يحمى القصيدة ويرد عن صاحبها الخصوم .

يقول ابن على فى «صلوا على الصديق الصادق» واصفا قصيدته بأنها
ديباج ودرة تضىء لم يملك مثلها سلطان ، وطالبا من حافظها الا يخشى
المدعين العاجزين :

خذ ادباج يا حافظ لدرار فى اسلوك الجين

درا على التراكى تضوى ماضم زيتها سلطان

يا حافظ اللغا لا تخشى داعى اعليه هاذى دين

لعديم عرفو مدياسى والى اعديم ما يودان

فعسى الى انعرفو ما فجيا بو الجين ولاعين

فخلاص ابن على ماد الوييقى ايجول كل اوطان

ويقول اميرد فى «خلخال اعويشا» يطلب من الراوى أن يصـوـل

بقصيدته التى شبهها بالابريز وان يهمل الجهلة الجاحدين الفارغين الذين

لا يفقهون رمزا ولا يدركون معنى ، ومتألمًا لحال الفوضى الذي أصبح عليه
الشعر بعد ان كثر مثل هؤلاء المدعين الذين لا موهبة لهم ولا فهم :
خذ ارأوى يبريز منظوم ❖ غنى اوصول بين ارباب اليضمار
والغنى من لا لو قول مفهوم ❖ عقلو اكفيخ دمر ماجاب اخبار
قولو ما بين الناس مدموم ❖ ولا يشبهو متمد نكار
الجاحد اعماه ولادا يفادا ما بين اقماهر اللغا جبجو خالى
ما يفقه رمز ولا يحق معناه عكلى هرتال
اولا هى ساب لكلام وامضوا اهلوا واتفرقوا وليس اجبر والى
واقوات البدعا ولججود كثره والفن اقسال
قل للداعى عادم لمواهب لو فيد كرفت لوغا ما يقوالى
وقت اما شلا فى اعطاء يصدف دكت لنبال

الدريكة (1) :

وهى حين توجد تتضمن ما يتضمنه القسم الاخير فى الغالب ، وقد
تكون طويلة او قصيرة .
فمن الامثلة على الدريكة القصيرة ما يقول ابن على فى آخر «المزيان»:
ما تخفانى طرغان * سالك فيها ببيان * شفتها بعيانى
بالبكا والصوم اتكدار ❖ والفرثا والتفكار
والوهم امع الجولان ❖ والفرغ مع الصومان ❖ والسقام اكسانى
رقت النفس امثيل اشعار ❖ اسر الذات اشهار
والسانى كترجمان ❖ ولا مثلى ندمان ❖ والطبع سيسانى
مايشح العاشق بمزار ❖ ايوصلو لو يهجار
ولا ينكر سولان ❖ ولا يرحم رقبان ❖ فالقضا والدانى
عفت لصحاب النوار ❖ مازالوا فى لقطار
والاسم فالتبيان ❖ ابن على فالعنوان ❖ شاهر عنوانى
والسلام اللامت لجبار ❖ مافاح انسيم ازهار

(I) من دردك اذا ضرب برجله سريعا على الارض ، وربما سميت كذلك لانها
تنشد بسرعة .

ومن الامثلة على الدريكة الطويلة قول الشاوى فى نهاية «التصليصة»

مشبها قصيدته بعذراء يستعرض اوصافها :

صلى الله اعلى المهــدى	✽	امام من ادنى وسيد امن اتنادا
واعلى الخلفا هل المجدى	✽	واعلى الصحاب واعلى الالاف ليعادا
اصلاة نولديها افنشدى	✽	للصادق لمصدق كهف التوادا
من عشقى واشواقى اوجدى	✽	وامحبتى وغيوانى وامعن هذا
نتهاى العدى افرصدى	✽	فبساط هل المعنى دايرا وقادا
تسقى هل لمحبا اصرخدى	✽	واعلى اعشيقها تفجى كل انكادا
بتيوت اتبيح نار فكدى	✽	واكمال قدها يشبسه للطرادا
واجبين ايلوح ونار تكدى	✽	غرامع لحواجب واعيون اسرادا
والانف احكىتو طير فردى	✽	والمرشفين قرمز واخود اورادا
والشعر اجواهر امن افرندى	✽	والجيد جيد مهرا تاكت شرادا
وامعاصم كبرقين تزدى	✽	واضعود كانعوت اصوارم لهنادا
واصدر عشق المغروم يبدى	✽	حقين فيه تنمايح خرق العادا
والسرا من راها ابدى	✽	فمحاسن البطن تسلب هل لعبادا
والخصر من خسران يفدى	✽	واردافها اتردف والورك ازىادا
وارفاغ افلون ارخام هندى	✽	سيقان والقدام امن اوطاوه سادا
بها رفرف فالجر بندى	✽	فمنازل السعادا تاكت سعادا
لرباب الفن السلام نهدى	✽	بالصدق ولوفا وامعاني وايفادا
والجاحد منا يقوى الجهدى	✽	ايلا اطفى ابجهدو باقى يتادا
ويح الداعى من نار وقدى	✽	خلات فى اعضاه املاهب لهادا
ويلا شال يمسى افكيدى	✽	شدهام للمضايق عرت لوغادا
امقلد بحسامى وزردى	✽	يوم لوغى انهد امن ابغى يتمادا
يعرفنى وامعايا وعندى	✽	ليس نمشى انعرو كيف المرمادا
لفظ ارباعى انظام امسدى	✽	فمنازل الصفا برضات النشادا
افحصن احماهم فاح ندى	✽	واكملت بالرضى واثباتا وانجادا
واصفا شربى من هل الودى	✽	حبر الزمان حاشا مثلى يتعادا

اراحم ترحم صغف جسدی ❖ يوم النشور من زفرات الكهادا
كمل لی یا کریم قصصدی ❖ «هزمم» (I) دوزو فزمام السعادا

نمودجان الايضاح :

وهذان نموذجان لبناء القصيدة احدهما من المبيت والثاني من مكسور
الضاح :

أولا : قصيدة «هنية» : للشريف محمد بن الحسن ، وهى من
المبيت المثلث ومن أربعة أقسام :

1 - دخول القصيدة :

يحسن عون العاشق لبها من حر الغبوان ❖ يحسن عونو كل حين نيرانومكديا
بين الثلج امع الصهود واجمار الولفيا
يحسن عونو بالمصادفا واصدود الهجران

كيف ايبات يصبح مايلوراخا قطعيــــــــــــــــا
يتشكى من ملقاه وادموعو مجريا
يحسن عون العاشق لبها والزين الفتان

يحسن عونو مايلواوقات يوجد اسليــــــــــــــــا
ياك الزين السيوف له بالهجر مسقيا
يحسن عونو لوايتيه تيه اشروود الغزلان

يلقى تيه الزين بالهجر للقاء اتهيــــــــــــــــا
هذا حالو مايليه فاحكامو شرعيا
كيف املكنى من اصباى واترك لوئى يرقان

قبل انشوف ابهاك الريم امامن كيــــــــــــــــا
لسعتنى قبل لوصال الغزال اهنيا

2 - الحربة :

نصر الله اجمال صورتك اذابل لعيان ❖ أمبروم التيت لال لغزال اهنيا
بك اغنمنا يالباهايا بشرا واهنيا

(I) رمز بذلك لاسمه فالهاء بخمسة والزاي بسبعة والميمان كل منهما
بأربعين فيكون المجموع اثنين وتسعين وهى قيمة حروف م ح م د .

3 - لكراسا :

اما من كيا ابنيـــــران * بشواظها اضحييت انصارع نيراني
نصبح كيف اثبات سكرـــــران * من غير خمر هايم والوجد افناني
واخبيري من هول ولهـــــان * انراقب لوصال اهنيأ يوفاني

4 - القسم الاول :

وماعن كهلى املت واحمول الحب ارزان
يدريهم من به كان بالفركا مابيـــــا
ايسلم عشقى اولا يزييد املام اعليا
ومابحت ابما اخفى ودمع اعيونى طوفان
وما ندهل ساكنى اروح الذات افهـــــيا
فمسايغ لغرام صاك لى بجنود اقويا
وما حرمت لمنام باشواقى من لجفان
وما حرب بالحوش مير العشق اعليا
وما من ليعات فالحشا منو مكيا
وماغرد فالبهيم طرفى ونا يقظان
وما راقبت لالهال فغروب الذهبيا
يطلع كوكب هلتي امعاه ابغير اخفيا
وما بحدث لوصال بعد انحدث ادهان
تنزهى وانقول ياهلال الزين انتيا
مالكاونا غلام يابوتيت اهنيأ
ثم تتوالى الحربة والاقسام الباقية كل قسم بكرسیه ، ونذكر منها
القسم الاخير وهو خال من الاسم والدعاء والهجاء نظرا لان بالقصيدة دريدكة.
الصدر مرمر به يوصـــــان * وانوابغو اتفافح زهوا ترضانى
والضعدين ابروق لمـــــزان * اكفوف من الكمخا وارطب من فانى
وامقاييس زندين البـــــان * بخويتم الذهب تكليل اعقيانى
والبطن الطاوى اعلى اقماش الهنـــــداروان
والسرا طاسا اوصافها فتناء امزيا
من لوريق انعوم فى اعتيق من الحميا

والرديف المالى امع لخصر وافخاد السيقان
 كن اسوراي فى اوصافها نفها كليـ
 والساق المدعوج عن اقدم الوصف اهـ
 لجمالك نهدي اعشور لوصاف ابـ وشان
 وماوصف ابهاك ما اتحد اثناء اسجيا
 لازلت امسلى ابصورتك صباحا واعشيا
 نصر الله ابهاك ياوداد القلب اللفهان
 ياقد اعلام المبارزا يوم المشليـ
 يامن لازلت اعلى اوصاف الحسن اصبيا
 كب واملا الرايقا بالخمر الكيسان
 هات لى حتى انقول فتمام الخمرىـ
 بشرا واهنيا اعلى اقنوم الريم اهـ

5 - التريـدة :

خذ ارأوى روض لفنان * فمديح لال بوتيتين اهـ
 بها زال الهول واهـوان * صعبى واشهدت باللحظين اهـ
 بها سعد الفال وازيان * سعدى وراحتى بعد البين اهـ
 ولفى من نهوا افتيهان * وناكبها فى تحصين اهـ
 واتماضت اهموم لحزان * بوجود مالكى بدر الزين اهـ
 بودواح اسبيخ لجفان * ذات لبها وحمى الرشفين اهـ
 بهنيا لازال فرحان * قلبى اولايلى اعليها فين اهـ
 لاهنيا للذات سلوان * هنو الريم كحل الشفرين اهـ
 اهـ بها العنوان * مختوم فى انهايت تضمين اهـ
 واسلامى من غير بهتان * لهلالها ولها فالحين اهـ
 اعقب اشدها افكل بستان * يهدى انسيم طيبو من طيب اهـ
 قال ابن الحسن يعـلان * مملوكها افزوج اتسعين (I) اهـ
 اشريف النسب المضمـان * لازال فى امحبـتو تمكين اهـ
 واهل الجود احباب واخوان * يتوادو ابطيب التفنين اهـ

(I) يشير باثنين وتسعين الى مجموع قيمة حروف اسم محمد .

رادف اساقى املا الكيسان * بوجود مالكى بدر الزين اهنيا
ياربى وانت الرحمان * اجعل لختام حسن ليقين اهنيا
ثانيا : قصيدة «الذهبية» لانجار وهى من مكسور الجناح :

1 - دخول القصيدة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا
بوجود لامتى والقوم اللى لامسوا
ماجاوا لنا اخبار
قرب لى نسطاب فرجتى بعقيق الحميا
بشرا اعلى الرضى كاس كب امدامو
واحنا ما بين الاشجار
فى بستان ارفيع امحتفل وادوات الحسنيا
فوق الروض امع الورد راها ترقص قدامو
واتكلم فرغت لطيار

2 - الحربة :

غدر كاسى يامديم قبل اتروح الذهبيا * شف لبهيم حين اتمكن بظلامو
واغلب عن ضى النهار

3 - عربى :

اساقى ساعت الزهو تحيى لقلوب * واتسلى بالفراح بالشوق الجالسى
اساقى صاحب لهوا عقلو مسلوب * مولوع بالريام والكاس المالسى
شف الحودات حين تاكت من لحجوب * هاذيك الذى اتصول بالذكر السالى
ولا فاتو ابحال ساعت اليوم اليالى

4 - القسم الاول :

أ - دخول القسم (مكسور الجناح) :

لله فين توجد هذا الفرجا اليوم

ب - لطيلعات :

لما امحضر برباب وعيدان

بين لتشين امع الرمان

جالسين اريام اشبان

تحت لغصان

هذا الذاك سكران

ج - بيت ينتقل به للحربة :

واريامنا ايرقصو من غير اخفيا ٭ هاجوا وهيجو قلبي صاب امرامو
وارشفنا كاس لعقار

وتستمر الاقسام الثمانية على هذا النحو ، ونقف عند الاخير :

خذ من الدر ولزمرد عقد انفيس ٭ يحيى روض لعشيق ويشرح الجلاس
به انهد لجحود والى كان اركيس ٭ لنى حبر النظام معنوى قياس
واسلامى للشيخ دهاث التجنيس ٭ بالندا امع لعبير عن ساير لجناس
من لاطاع لشيخ لابد يمساس

خذ لقماش يامن لاتدرك له سوم

محال اتوجدو فخزين اتجار

هدبه القوم الفجار

قل لهم قال انجار

هيت انجار

نغما الكل فجار

الى ادعا ابجهلو مافيه امزيا ٭ شيخ الكلاب حدو ينسج فخيامو

ما حملوه اهل لجدار



نظام القافية

ويطلقون عليها «القافية» و «الحرف» .

يقول الجليلي امتيرد في سرابة له :

قالت ناس الشعر والقوافي « الزين ابلا تيه صورتو تعدا ف

ويقول ادريس المريني في ثورته (I) على قيود الوزن والقافية :

أنا بغيت ننظم والحرف ابدا يغور

اعلاه مايكون الشعر ابلا حرف

وقد كانت القافية فرصة للشاعر الشعبي ان يظهر براعته . واجماع

الاشياخ أن هذه البراعة تظهر في امرين :

أولهما : استعمال القافية على حرف واحد ، ووصفوا القافية التي

تكون كذلك بأنها على «مخها» اي لم يدخلها حرفاً آخر . وسنرى ان غير

قليل من القصائد سارت على هذا النوع من القافية الصافية اذا شئنا أن

نترجم المصطلح الشعبي .

ثانيهما : استعمال قوافي داخلية في البيت ، ويذكرون لذلك نماذج

فريدة ؛ منها مانجد عند المدغري في «الحاجة» حيث جعله مكونا من سبعة

حروف حيث يقول :

من بك قال قلت الحاجا

حاجا

بحواجب نقشات خرقفت لهـاج

واخدود طاهجا

واغوانسج

واجعا بها افروج

(I) سنتحدث عن هذه الثورة في الفصل الثاني من الباب الثالث لدى
ترجمة المريني .

اعلـوج

ومنها ما نجد عند هاشم السعداني في «الساقى» حيث جعل البيت
مكونا من أحد عشر حرفا ، يقول :
غـدـر يـاسـاقـى
مـن اـمـدـامـك نـسـقى
يـا طـيـب لـخـلـوق
اـسـقـيـنـى بـالـرـيـق
وـالـرـحـيـق
واشـفـق
مـن ذـاتـى الشـايـقا
واـرحـم مـن شـاق
لـلـمـلاق
يـاك المـعشـوق
حـق يـومـى لـعشـيقـو

ويقول الاشياخ ان عبد الهادي بناني زاد فنظم البيت في «الساحى»
مكونا من ثلاثة عشر حرفا. والاسف انا لم نوفق في العثور على هذه القصيدة
أو حتى على جزء منها .

القافية في الأقسام :

أولا : البيت :

- 1 - المثني : يسير فيه نظام القافية على هذا النحو
أ - التزام قافية واحدة في الفراش والغطاء (١ - ١) ، وقد تكون :
I - بنفس الحركات كما عند الحاج ادريس لحنش في «المرحـول»
وحرـبـته :

الغـادى للـربـاط هـاك اسـلامى لـسيـادى اـولـاد الـولـى بـن لـمـهـيـدى

- 2 - بحركات مختلفة كقول الشاوى في حربة «الوصية» :

يـا لـنـايـم فـق اـمـن النـوم راقـب الفـجـر الطـالع

قـم تـغـنـم رـبـحـك واـتـفـوز اـبـلـغـنـايـم واطـاعـسا

- ب - التزام قافية في الفراش وأخرى في الغطاء (١ - ب) كما عند

الجلالى امتيرد فى قصيدة «ضيف الله» وحربتها :

اضيف الله رد لجواب اصغى لى * لا تحشم رد السلام

وكما عند ابن على فى «الهجران» :

ايلا تهجرنى اخيلتى مصبرنى لجفاها

ويلا تاهت عن اوصالها مانقطع لياس

ج - قد تسير أبيات القصيدة كلها على قافية واحدة ، وقد تخضع

لبعض التغيير ، وخاصة فى «قياس لمشركى» حيث تسير أبيات القسم على

قافيتين ، وتكون قافية الحربة على حرف الابات الاخيرة فى القسم ، ومثلها

قافية الدخول ، وتتخذ هذا الشكل :

1 - الدخول : ب ب (فى عدد معين من الابات)

2 - الحربة : ب - ب

3 - القسم الاول : ا . ا (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

4 - القسم الثانى ج - ج (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

5 - القسم الثالث : د - د (فى عدد معين من الابات)

ب - ب (فى عدد معين من الابات)

وهكذا يبدأ القسم بعدد من الابات على قافية جديدة ويعود للقافية

الاصلية التى تسير عليها الحربة ، ويسمى هذا التغيير أو بالاحرى هــ

الانتقال من قافية الى أخرى ثم العودة الى القافية الاصلية «السراح والرواح»

واشتقوا منه «اسرح وراح» (I) .

ومن الامثلة على ذلك «العرصة» للتهامى المدغرى .

يقول فى دخول القصيدة :

حل عينك واتنزه زرد شوف واسطاب * فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا

اغصانها بالفرجات اتعانقوا بتزحاج * كيف عنق الحبيب احبيب بعد غيبا

اتمايلو وعربطو فرياضهم بشراب * من اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا

الزهر يضحك والطل بيكى افتنحاج * كن عاشق تضحك لبكاه شى احيبا

ولو تار اتجاوب بانغام عود وارباب * فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا

(I) كذلك أطلق الاشياخ «الرواح» على نهاية القصيدة او نهاية القسم .

ويقول فى الحربه

يا لعرصا صول فرحى ابطيب لطياب
طيبك سيدى ولد الساكنين طيبا

ويقول فى القسم الاول

شف لبلنا صانت فى احضان سلطان
قدها واقدرها بانين زين فى زين

عاليا فسمها لها من لبها شان
فى احجاب احجبان مارات كيفها عين

غرسها ما حاط ابوصفو البيب فوزان
لو يزول اقمعى انعوتوا سنين فسنين

فى ارياض الملك امرى ابصور واصحاب
ولمياه النلسا فجداولو اعذيبنا

امخت انسيم الصبح بنسيمها الهيا
كابرا افتربت طيبا طيبا اخصينا

ويقول فى القسم الثانى :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات
من ابناات العربان الصايلات بالتييت

بالعقيق اعقيان امخمسا اكلادات
ابطالها من بهم ستغات دايم اتغسنت

دى اتيه اعلى هاذى كابرات فخنات
زايدات اعقول الى شافهم تشتيت

الرحيل اعجبوك الراشكات لهدا
فالهودح وهمارو رايدا انجيبنا

حايطابهم اسود السروت لنجاب
ويح من شاط ايعاود قصتو اغريبنا

وهكذا يستمر فى بقية الاقسام يبدأها بثلاثة أبيات على قافية جديدة
ويعود فى البيتين التالين لقافية الباء :

وليست كل القصائد تقتصر على ثلاثة أبيات ثم اثنين ، بل أنا نجد بعضها يسير على ستة بدل ثلاثة كما عند الجراري في قصيدة «المعراج» مع ملاحظة أنه في قافية الابيات الستة لم يلتزم حركة واحدة، ونمثل لها بالقسم الثاني حيث يقول :

حين وصل للقدس وعاد في احماه
ادنا الحلقت لنبييا بعد شافها
ثم ربط البراق اخلفو اوراه
زاد للمسجد احضرتو اينالها
ثم صلى ركعتين ونال مبتغاه
بعد صلى ترك البقعا وفاتهها
بعدها جبريل اباء باش جاء
من خمر والانا لخرا اختارها
من لحليب اروى الساكنو اظماء
قال جبريل الفطرا حزت فالها
ليه نصب المعراج وقال في الغاه
عول الجولا لا مخلوق جالها
لى حضرت من اختارك دون من اسبق
امن الرسال الى نورك عنها اشريق
ازداد شوق المحبوب اشاق للملاق
حين صعد وجبريل امرسو ارفيق
أما الحربة فعلى حرف القاف كالبيتين الختاميين .
وكما لاحظنا أن القافية في الابيات الاولى مختلفة الحركات فـ
الفراش والغطاء فانا قد نلاحظ مثل هذا «القياس» ولكن بقافية مختلفة على
هذا الشكل :

أ - ب

أ - ب

أ - ب

ج - ج

ج - ج

مثال ذلك قصيدة «الذرة» لابن علي ، وهي على حرف الباء في الحربة

والدخول

ما يتقصو في ملك الله ما يزيدو

أولا يليهم في ملك رب لشيئات تصراف

كيف شا يفعل ماشا ولحكام بيبدو

أولا حدث افساير لشيئا غير باش يعرف

كان فالملك اعلى درا بجل جودو

أولا تحملو درا ولا بحمل يوصف

غير احمل القدرا والقدرا من الرب

افلشيئات اقدرتو واعلى لشيئات غالب

كون الكونين وما من لكوان يوجب

افرض امن الدرا ما شا رب لرباب

على أنه ليس كل قصائد «قياس لمشرقي» على هذا النمط في القافية

حيث نجد بعضها التزم قافية واحدة في كل القصيدة ، مثال ذلك قصيدة

للعلمي في «الحكم» يقول في حريتها :

زال تقليدو من صلي افخلف لمام ❖ ايلا ايكون افسر اضميرو ايفين جازم

فقد التزم الميم الساكن في كل الابيات والاقسام .

2 - **الثلاثي** : ويسير نظام القافية فيه على هذا النحو :

أ - التزم قافية واحدة في كل الاشطار وان اختلفت الحركات على حد ما نجد

عند الفقيه العميري في «زهرة» حيث تتخذ القافية هذا الشكل :

أ - أ - أ

وهكذا في كل ابيات القصيدة ، وهي التي يقول في حريتها :

انت مكمولت لمحاسن زهرا ❖ يارياض امزخرف بشمار

وانت زهرت الزهور وانت لغزال ازهيرو

ب - عدم التزم القافية في كل الاشطار ، وتتخذ ثلاثة أشكال :

١ - أ - ب - ب

وهكذا بأن تكون الاشطار الاوائل من حرفه واليهطرين التاليين من حرف آخر . مثال ذلك قصيدة «الزهو» للمدني الترمكاني ، فانه التزام حرف الهاء في الاشطار الاولى وحرف الميم في الشطرين التاليين ، على ما يبدو من الحربة التي يقول فيها :

الزهو افلكتوب الرقات افاقال الله ❖ واصلات المختار والفجر في رقد والصوم
والحج الجهاد فالنصارى يوم المعلوم
وعلى هذا النمط يستمر في كل أبيات القصيدة .

٢ - أ - أ - ب

ومثاله «الساقى» لنفس الشاعر ، وفي حربه يقول :
أساقى رادف الرحيق اعلينا ليام راضيا ❖ بوجود الريم راضيا
سلطان ارضى اعلى الرعى والزين الله ينصرو

٣ - أ - ب - ج

وهكذا يكون كل شطر بحرف في كل أبيات القصيدة على حد ما نجد عند امتييز في «هشوما» ، فقد التزام اللام في الشطر الاول والراء في الثاني والميم في الثالث ، يقول في حربة القصيدة :

غدر كاسى هات نوبتى يا ساقى واسقى الباهيا زينت نقط الخال
لا تغفل عن رايت النصر ❖ مصباح الوالعات ولفى هشوما
ومثلها قصيدة «أم الغيث» للحاج ادريس حنش ، فقد التزام فيها الثاء فى الشطر الاول والميم فى الثانى والسين فى الثالث ، يقول فى حربتها :
كيف اجرى لى ياهل لهوا فى حضرت سلطانت النساء لغزال ام الغيث
اشريف العذرات فاطما ❖ ملوك الزين بينهم ضعت افكاسى

٣ - الرباعي : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :

أ - التزام قافية واحدة فى كل الاشطار على هذا الشكل :

١ - ١ - ١ - ١

كما عند مولاى عبد الواحد فى «البتول» فانه التزام اللام فى كل الاشطار مع اختلاف فى الحركات كما يبدو من الحربة التي يقول فيها :

أجى بوصالك ما سخيت واتعالى * يعدار صاحب الحال
داوى اجوايح عليلا * أشوم لبعنى من امراق البتول
ومثلها قصيدة «فارحا» للمدغرى حيث التزم الحاء مع خنلاف كذلك فى
الحركات :

دسنى تحت لخلال بين ادروك لملاح
واللبا والسدواح
وانهداتك تفاحا

خفت ايشرفنى اعيونك ايجرحونى يا فارحا
ب - اختلاف فى قافية الاشطار كالتزام الاشطار الثلاثة الاولى لحرف
والرابع لحرف آخر على هذا الشكل .
ا - ا - ا - ب

ومثال ذلك قصيدة «طامو» لامتيرد ، فقد سار فى الاشطار الثلاثة الاولى
على حرف الجيم بحركة واحدة وفى الشطر الرابع على الميم ، يقول فى حربة
القصيدة .

طامو يا طامو الحجاج * بك اقوى عشقى وهاج
واسكن وسط اسيار لمهاج * وارضىيت احكامو
مع ملاحظة أنه يسرح ويروح ولكن ملتزما بحرف الحاء فى أول ابيات
الاقسام على هذا النحو من قوله فى القسم الثانى :

فالبهجا بين لملاح * بها كل اعشيقى داح
طاب ارياض اشدها وفاح * وعبقت ادواحو
ويستمر كذلك بضعة ابيات ثم يعود للقافية الاصلية فيقول :
بحرى لام ادلال ماج * عذبنى مارات اغنجاج
نردع بها قوم اللجاج * من لا يولامو

4 - الخماسى : ويسير نظام القافية فيه على هذا النمط :
أ - التزام قافية واحدة فى الاشطار الخمسة مع اختلاف فى الحركات
على هذا الشكل :

ا - ا - ا - ا - ا

مثال ذلك قصيدة «فاطمة» لابن احساين ، فانه التزم فيها الميم ، يقول
فى حربتها :

قالت يما اتقول طامو * قلت وايبك يالطمام
ياقد اعلام فاللطمام * قالت ترا ايقول طاما
ترات ايقول فاطما

ومثلها قصيدة «لغزال» للجيلالى امتيرد فانه التزم فيها الكاف ، يقول فى
حربتها :

هل لى بالفارخا ايلاكى * ويبوح جيها لخليك
لاين بوصيدها اغليك * لغزال الشاطنا اخلاكى
ما هو فنجوع خالكا

ب - اختلاف القافية فى أشطار البيت ، وتتخذ مثل هذا الشكل :

أ - ب - ب - ج - د

مثال ذلك قصيدة «أسادتى اولاد طه» للحاج ادريس بن على ، فانه جعل
الشطر الاول على حرف الهاء والثانى والثالث على اللام والرابع على الميم
والخامس على الراء ، يقول فى حربتها :

أسادتى اولاد طاهى * برضاكم عالحوا الحال
يا ناس الجود ولفضال

أنا فى عار للا فاطمى * الزهرا الطاهىرا

ومثاله كذلك قصيدة الطيب الواسترى «تاج لريام» فانه جعل الشطر
الاول على حرف الياء والثانى والثالث على الميم والرابع على الباء والخامس على
الفاء ،

يقول فى حربتها :

رغبوا تاج لملاح فىا * ايجينى غير بالسلام
ويراعى صلت لكرام
لاخير فاللى اجفا احبيسو * واغدر بعد لموالفا

ثانيا : مكسور الجناح :

تخضع القافية فى هذا الوزن لنفس تقسيم القصيدة ، كما سبق أن رأينا ، وتسير على هذا النحو :

١ - دخول القصيدة - ان وجد - يكون على حرف قافية الحربة (أ)

2 - الحربة : على نفس القافية (أ)

3 - دخول القسم : (مكسور الجناح) على قافية مختلفة يلتزمها فى دخول كل الاقسام (ب)

4 - لمطيلعات : وهى لا تسير على نمط معين داخل القسم الواحد ، وتختلف حروف قافيتها من قسم لآخر .

5 - البيت المهد للحربة ، يكون على نفس قافيتها (أ) .

ويمكن الرجوع الى النماذج التى مثلنا بها لهذا الوزن فى الجزء الاول والثانى من هذا الفصل ؛ ونضيف اليها هذا النموذج ، وهو قصيدة «الجلار» للمدغرى ، وقد بدأها مباشرة بدخول القسم ، فانه التزم حرف القاف فى كل الاشطار التى دخل بها للاقسام وجعل للمطيلعات قوافى دون تقييد داخل كل قسم وجعلها تختلف من قسم لآخر ، وسار فى قافية البيت الختامى على نفس قافية الحربة وهى الرء ، والتزم ذلك فى البيت والحربة فى كل القصيدة . يقول فى القسم الاول :

أ - الدخول : مهما اتخاصم العنبر والمسك العبيق

ب - المطيلعات : واهلال عيدو البرنى والغرار

ولمدام أكاسى البلار

والموبرا شغل الحرار

واكداك فوق زخار

صارى اقويم

ج - البيت :

والطماج اعليها اتكأبحوا بجهارا * ايشمروا الحرب اسقارا

بينهم اعلى تاج الزين افلمضامر * شلا نحكى اليوم صار

د - الحربة :

بين الورد والزهر والجلال * والظليم والحداد
والرخام اتفاح اقوس والشنابر * خرجوا على عانسي الحار
ويقول في القسم الثاني

أ - الدخول : واسباب ما حكيت اخرجت افداج لغسيق

ب - المطيلعات : نسر في ارياض امفتح لكمام

صبتهم ايشيروا بكلام

في احروف امعاني واخصام

دون تدمام

عن عانسي ام احرام

جالو او جولو

ج - البيت

دخلوا الميدان كاخول الغار * دالذا يعييط ورا
بالمعاني واخصام اكثر ولمعاير * ما حشمو ماتقاوا عار
على أن من الشعراء من التزم في هذا «القياس» حرفا واحدا في قافية
كل القصيدة سواء في الدخول أو المطيلعات أو البيت والحربة ، مثل الحاج
أدريس بن علي لحنش في قصيدة «أم الغيث» ، فانه التزم التاء في كل الاشطار
والايات ، وقد سبق أن ذكرنا جزءا من قصيدته .

ثالثا : المشتب :

يلتزم فيه الشاعر نفس القافية في البيت والحربة ، أما المطيلعات التي يحشو
بها البيت فلا تنقيد بقافية سواء داخل القسم الواحد أو من قسم لآخر . وقد سبق
أن مثلنا بقصيدة «التوبة» لابن سليمان و «قمر الدار» لعبد السلام الجربى
في الجزء الاول من هذا الفصل وهما من خير الامثلة على ذلك ، ويمكن أن
نشير لنظام القافية فيهما بهذا الشكل :

القسم : أ (- - -)

أ - ب - ج

الحربة : أ - أ - ب - ج

رابعا : السوسى :

تسير فيه القافية على هذا النظام :

- 1 - تلتزم فى كل الاقسام قافية البيت الذى يبدأ به القسم .
- 2 - لا تخضع الاشطار المرسله لاي تقييد سواء فى القسم الواحد أو بين الاقسام .
- 3 - تلتزم قافية الابيات التى يختم بها القسم فى كل الاقسام .
- 4 - تلتزم قافية هذه الابيات فى الحربة أو بالاحرى تكون هى على حرف الحربة ، فهى تمهيد لها وزنا وقافية . ويمكن تحديد شكل هذا النظام كالاتى :

البيت : أ - أ

المطيلعات : دون تقييد

الابيات الممهدة للحربة : ب - ب - ب - ب - ب

الحربة : ب - ب - ب - ب - ب

ويتضح ذلك من خلال القسم الذى مثلنا به فى الجزء الاول من هذا الفصل من قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبى .

القافية فى المقدمات :

أولاً : السرابية :

سبق أن قلنا فى الجزء الثانى من هذا الفصل أن الكثير من «السراب» ضاع ، ولم يبق منها الا القليل . ثم ان السراب الموجودة لا تعرف قصائدها فى الغالب ، ومن هنا كانت صعوبة النظر فى قوافيها وتحديد النظام الذى تسيير عليه سواء فى أبياتها أو بالنسبة للقصيدة التى تقدم لها . وزاد فى هذه الصعوبة أن الشعراء اليوم قلما ينظمونها ، وان فعلوا فانهم يجعلونها مسغلة .

ومن فحص السراب التى وفقنا الى جمعها - وهى جد قليلة - نستطيع أن نذهب الى انها تسيير فى القافية (I) على شكلين :

(I) نلفت النظر الى أن ارتباط قافية أبيات السرابية بقافية النواصر التى تتخللها شبيه بالارتباط القائم بين قافية أقسام القصيدة وما فيها من سويرحات (انظره بعد سطور لدى الحديث عن القافية فى السويرحات)

١ - أن تكون على حرف واحد فى القافية ، ومن الامثلة على هذا الشكل
سراية ابن على التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الراء :

أقلبي كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والذخيرا
ومنها كذلك سراية المدغرى التى يقول فى أولها ، وهى على حرف الحاء
أنا الى ابلغرم قلبى مجروح * ولهوى منوفانى ماجبرت راحا
- أن تختلف قوافى أبياتها ، ويبدو لنا أنها لا تخضع فى ذلك لنظام معين ،
وتسير مع طبيعة النغم والايقاع ، وان كنا نلاحظ أنها تكاد تكون فى التقفية
قريبة من العروبي ، ويظهر ذلك من أول جزء فى سراية لامتيرد ، يقول فيه :
اعلاش أمحبوب خاطرى تجفينى * الجافينى واعلاش دالجفا
حببتك من خاطرى ولارديتنى * كاتمنينى يا شاردا لعفا
خالفت فالقول باش وعدتينى * ولا وصلت رسمى قاسيت ماكفى
قالت ناس الشعر ولقوافى * الزين ابلاتيه صورتو تعدا
والخير صاحبو يعرف

ثانيا : العروبي :

ويسير نظام القافية فيه على هذه الاشكال :

١ - أ - ب

أ - ب

ب

حيث تكون «للفراشات» قافية و «للغطاوات» قافية مختلفة ، وعلى حرف
«لغطاوات» تكون قافية «الردمة» . ومن الامثلة على ذلك «عروبيات» قصيدة
فاطمة لامتيرد ، ومنها عروبي القسم الثانى من القصيدة :

كان اسهيتى اتقضى من حال اسهوك * ويلاتهى التيه اتعريك ايامو
نظرى بلامح لبصار الى سبةوك * كما فرغوا يفرغ سوقك وازحامو
سيرى حتى يشرب عودك بالجامو

ويلتزم ذلك مهما كثرت أبيات العروبي على حد ما سبق أن مثلنا فى
الجزء الثانى من هذا الفصل .

2 - أ - أ

أ - أ

أ - أ

أ

حيث تكون كل الاشطار على نفس القافية ، ولكن مع ملاحظة أن حركة حرفها في «لفراشات» تختلف عن حركاته في «لغطاوات» وإن حركة قافية «الردمة» تتفق مع حركة حروف «لغطاوات» ونمثل لذلك بعروبي القسم الاول من القصيدة «التطوانية» للحاج ادريس لحنش حيث يقول :

نسعاوا الله فالنصر نعمم الرحمان * والفتح الايزول والظفر وتمكين
واجب نتوجهو ونحتالو ببيان * لقتال الكافرين ونسألو المعين
افلوفق امع ليمان وينصر السلطان * نعم المنصور سيدنا سبط الحسنين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

وهنا كذلك لافرق بين أن تكون الابيات قليلة أو كثيرة . والملاحظ أن العروبيات في القصيدة الواحدة لا تلتزم قافية معينة حيث يستقل كل عروبي بنظام معين للقافية .

ثالثا : السويرحات :

يكون نظام القافية فيها كالآتي :

I - ان تلتزم ابياها نفس القافية وان اختلفت الحركات، وفي هذه الحالة اما أن تتفق هذه القافية مع قافية القصيدة أو لا تتفق ، لا فرق في ذلك بين أن تكون السويرحة كثيرة الابيات أو قليلتها .

أ - من نماذج الاتفاق سويرحات «تصلية» محمد الشاوي ، وهذا مثال منها يمثل سويرحة القسم الرابع :

يعجز فوصافو كل ناشد * وافضايلو لكثيرا شلا ينعدادو
لو كان البحر امداد نافند * والارض كالواح افتمثال انشادو
والخلق اوصف فالشواهد * لا وصفو اعشور افضايل امدادو
فهى على حرف الدال الذى قفيت به كل القصيدة على ما يبدو من

حربتها التى تقول :

صلى الله اعلى الشفيـع نور الحق المرشـاد
عين الجود الطاهر الزكى ربحى واسنادى
طه مول التاج واللوا والحوض المورود

ب - ومن نماذج الاختلاف سويرحات قصيدة ادرسية للغرابلى نذكر منها
«سويرحة» القسم الثانى ، وهى :

نور اجدينك نور وهـاج * يوهج فى ادخال امهاجى فادباجو
يعلا ويفوق نور لتـواج * يصرع كل غاوى يفصم باعجاجو
به الحق اشهير لبـلاج * والى اىكون كاره هو بعاجو
فقافية السويرحة على حرف الجيم فى حين أن القصيدة دالية كما
يتضح من الحربة ، وهى :

غثنى واحمنى من اعدايا بدر الوقاد
واتشافع فعييد عاصيا تاهت موكودا
أمولاي ادريس يا هلال العز السعود

2 - ألالتزم أبياتها نفس القافية فتتخذ شكلين :

أ - قافية موحدة فى «لفراشات» واخرى «للغطاوات» لا علاقة لهما
مع قافية القصيدة ان كانت ثنائية الاشطار :

أ - ب

مثال ذلك سويرحات قصيدة «خديجة» لامتيرد ، وحربتها :

لوصول اتصول * صولى يامولاتى اخديجا
صولت عبلا وجازيا صولى ياسلطانـت الريام

وفى سويرحة القسم الثانى يقول :

عتنـون أغبت الصـلاح * جيد أرغبـا رغبـة شـاد
واضعود اصوامم لكفـاح * والصدر امحصل النهاد
ابطن واعكون للفسـراح * سرا وارداـف للعنـساد

ب - على الشكل الآتى ان كانت رباعية الاشطار :

أ - أ - أ - ب

ومنه سويرحات «الدمليج» لمحمد الدمـناتى الناصرى على حد قوله

في سويرحة القسم الاول من القصيدة :

يا مسرار اللذات . . بك احيات اجسادات
فخلوفاك لذات . . فهايمها راح اصوابيح
ما مثلك فختبات . . كابررا عامحنات
نظرا ميك عرسات . . سالبها لاهل تسابيح
صول ابر نجلات . . برصافيك نجلات
لمحاسن واجبات . . صوراك كل امصابيح
واللاحتف بعد هذا امرين :

احدهما أنه قد تنفق جميع سويرحات القصيدة الواحدة في نفس
القافية كما في قصيدة «لتصلية» للشاوى وقد سبق أن أشرنا اليها .
الثاني أن يكون لكل سويرحة - دخل القصيدة الواحدة - نظام معين
للقافية يختلف من واحدة لآخرى على حد ما تكشف عنه قصيدة «خديجة»
لامتيرد ، وقد سبق أن أشرنا اليها كذلك .

القافية في الدريدكة :

نظر فيها من وجهين :

1 - قافية أبياتها : والغالب أن تكون موحدة في «لفراش و لغطا» ، وإن
اختلفت الحركات ، وتكون على هذا الشكل أ - أ
وعلى هذا النحو سارت أغلب الدريدكات التي مثلنا بها .
وقد تختلف قافية «لفراش» عن قافية «لغطا» فتتخذ هذا الشكل .
أ - ب

ومن الأمثلة عليها دريدكة قصيدة «هنية» لمحمد بن الحسن ، فهي تسير
على هذا النحو :

خذ أراوى روض لفان . . فمديح لال بوتبتين اهنيا

وقد سبق أن اوردناها .

2 - من حيث علاقة قافية أبياتها بقافية القصيدة وما فيها من سويرحات ،
ويكون على ثلاثة أشكال :

أ - أن تنفق دُعيها مع قافية القصيدة بما فيها السويرحات ، مثال

ذلك دريدكة «تصلية» الشاوى فانها على حرف الدال اكبقية أبيات القصيدة.
ب - أن تتفق قافيتها مع قافية السويرحات وتختلف مع قافية بقية
أجزاء القصيدة . مثال ذلك دريدكة «مسعودة» للمدغرى ، فانها على حرف
اللام ، وكذلك السويرحات ، أما بقية أجزاء القصيدة فعل حرف الدال .
يقول فى البيت الاول من الدريدكة :

مسعودا تشفى الملال * عشقى افحبها عمرو مايتبالا
ويقول فى البيت الاول من آخر سويرحة :

الزين احكامو اعلى حال * حب الله فاز ابهيا واجلالا
ويقول فى الحربة ، وعلى قافيتها سارت كل حروف القصيدة :
تولر المسعود ياطلوع اكواكب لسعاد
أنا من سعدى اسعادتك وانت مسعودا
وانتيا بدر السعود وانت لهلال اسعود

ج - أن تختلف القافية فى الدريدكة عن قافية السويرحات وسائر
أبيات القصيدة ، مثال ذلك دريدكة «الذهبية» للتهامى المدغرى ، فانها
جاءت على حرف الحاء فى حين جاءت قافية السويرحات ميمية وقافية
الاقسام رائية ، يقول فى أول بيت من الدريدكة :

خذ العشق بين لفصاح * درتو امقابل الصبورحى بفصاحو
ويقول فى أول بيت من سويرحة أول قسم :
شف الشمس ارخات لكمام * عولت للروح افتيها واقياما
ويقول فى حربة القصيدة ، وهى على قافية الاقسام :
شوف الذهبيا اخدود هامن ذهب التشحار
وارخات اصروع اللجام فوق الوطيان اتغير
نعنيها شكرا امختنا من خيل المنصور

عيوب القافية :

وقفنا منها على ثلاثة :

أولا : القوافى «الصيدية» :

جرت عادة شعراء الزجل المغربى أن يستمدوا قافيتهم من موضوع

من اجفاها جمری اصلاح طعنتنی دون اصلاح

ثانيا : اتخاذ الهمزة قافية :

على الرغم من أن شعراء الزجل نظموا قصائدهم على قوافي من مختلف الحروف ، فأننا لم نعثر لهم على قصائد في حرف الهمزة . وتبين لنا بعد بحث هذه الظاهرة أن العامية تحذف الهمزة وأن استعمال الهمزة فيها يعتبر من «البرص» الذي سبق أن تحدثنا عنه (I) ، وأن اتخاذها قافية يعتبر بالتالي برصا كذلك

ثم حدث سنة 1965 أن ولدت لجلالة الملك الحسن الثاني بنية سماها «أسماء» فأخذ الشعراء ينظمون قصائد في التهنئة على قافية الهمزة :

من ذلك قصيدة للشيخ الجيلالي من سلا ، يقول في حربتها :

بنت اهمام الشعب سيدنا حسن الاسماء

الاميرا أسماء

مناى امع ارجائى

قمرت عين احبيبتنا وراحت لقلوب املاها

ومنها قصيدة لعبد الحميد العلوي ، يقول في حربتها :

نفحت لعبير العاطر الذكي نور النور الا يطيق يشفاه الرائي

راحت سلطان اوطانا وفرحت شعبو أسماء

ومن الامثلة كذلك قصيدة لحسن اليعقوبى يقول فيها :

آش را من لا را لوطان يوم لنبساء

بالخلوق المبروك ابقرت لمرائسى

أرض من بعد ماكانت كنها البيداء

من ارمال الصحرا صبحت روض مائسى

كلها حرجات وعرصات امن الرياء

امياها دفاقا واشجارها افيائسى

ولطيّار اعليها من زينها ابغنىاء

هيجت الصاحي بانغامها اغنائسى

(I) أنظر الفصل الثانى من الباب الاول .

وصار شعري ينساب امن الصميم كالماء
فى اجداول الحراج اصاح امن احشائى
كيف مانشدى شدو الطير وسط بطحاء
بين ناسى واهلى واخططو املائى
وكيف ما يرقى شعري اعلى اللغا الخنساء
ولبشاير بالسعد اتتنا اصدائى
وكيف ما نطهج كيف طهجو ارجال ونساء
ونطفح كيف طفحو لبساتن لظمائى
وكيف ما نستوحى ونانرى الايحاء
لهم الكاتب والرسام والروائى
من خوق المصاح الى احلا الظلماء
طيب لعبير العابق ساير لجوائى

ثالثا : الخلط بين الحروف المتشابهة المخرج :

والسبب راجع الى أن العامة لا يفرقون بين هذه الحروف فى النطق ،
من ذلك خلطهم بين الدال المهملة والذال المعجمة ، يقول محمد بن الوليد
فى قصيدة فى «المدح النبوى»

لولاك لا ايغاتا لاجفا لانار لاجسر صراط امعدى

لانهار لا لمل خلف ذا افهاذا

ومنه خلطهم بين التاء المثناة والتاء المثناة ، يقول محمد ولد افريجة

فى أول قصيدة «خنائة» :

ياذت الزين الوارث ❖ امنين امجيك أمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك أقد الرمح الصقيل ارايا فى تشجيع بن شجعان ازناتا

ومنه خلطهم بين التاء والطاء ، يقول محمد بن عمر المراكشى فى حربة

«السردة» :

وامضيغ افراسا ملا ايليه ضرسات ❖ كيملوج فمضيغو عاد تيسرطو

ومنه خلطهم بين الضاد والطاء ، يقول احمد ابجيوات فى حربية

«عرصة الرضا» :

سولتك بالفاظ * مدرا زعما ياعرصت الرضا * مازلت فالعز ولظا
واحجابك لغلبيظ * والا ماك الغير خوضو
ونجد عند الحسن اليوسى فى «المحاضرات» نموذجا من الخلط بين
الضاد والظاء فى زجل لآحد شعراء هوارة لم يذكر اسمه ، لعله عروبى ، وهو
قوله :
ايلا ابرك لى الزمان واركت اعليه * والى راد بى المولى نلقاه اعراضا
برك لى مركوب مانى ضاربـه
ما نحساب ايامى اعليا مقتاضا
نصبر لحكام المولى حتى تتقاضى
وقد علق عليه اليوسى بقوله «قوله مقتاضا من الغيظ وابدل من الظاء
هنا ضادا» (I) .

(I) كتاب المحاضرات ص 49 طبعة حجرية .

وعند الحل فى «العاطل الحالى» ان الخلط بين هذه الحروف من
الممنوعات فى الزجل . وقد أشار فى الورقة (53) ظهر ، الى شعر لابن قزمان
فيه استعمال الظاء مع الضاد والذال مع الذال ، كما أشار فى (54) وجه ، الى
استعمال الذال مع الذال فى زجل لابن حسون المغربى .

الباب الثاني

الموضوعات

الفصل الاول

المرأة

يعتبر الغزل بالمرأة أكثر الفنون إحياء لشعراء القصيدة الزجلية بالتعبير ، فتح قلوبهم وعيونهم وأطلق مواهبهم وقرائحهم وأخصب ذهنهم وخيالهم ، فنظروا الى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها ، ورسموا لها لوحة واضحة الملامح زاهية الالوان ، ونحتوا تمثالا متحرك الاطراف مكشوف الملامح دقيق القسمات ، كل ما فيه رائع فتان ، يحرك القلوب ويهيج الخواطر ، اودعوه تصورهم للجمال كما تهواه نفوسهم وليس كما هو فى الواقع ، فجاء بذلك مثالا لا يعنى امرأة بعينها ، وانما نموذجا نسجوا جميعا عليه ، ولكنه مع ذلك تصور ان لم يكن منبعثا من البيئة فهو متأثر بها الى أقصى حد . فقد وضعوا المرأة فى مقام رفيع ، ونظروا اليها مخلوقا متفوقا ممتازا هو جوهر الحياة ومحور الكون . وهى نظرة مقدسة للجنس الآخر ما نظنها وليدة البيئة الحضرية التى ازدهر فيها هذا الشعر ، وانما هى وليدة البيئة البدوية الصحراوية التى نشأ فيها كما سنرى بعد . (I) وليس من شك فيما افادت دراسات البيئات من ان سكان المدن أقسل تقليدا للمرأة من سكان الصحارى والارياف حيث تتمتع المرأة بمركز اجتماعى لا يقل عن مركز الرجل ، وحيث ترتفع الى مستوى المشاركة فى العمل وتحمل أعباء الحياة .

ووصفوا حالهم محبين ضعفاء ، يعانون من عشق هذا الجمال أنواعا من الجوى والشجن والشوق ، وألوانا من اللوم والهجر والنفور ، ويسعون الى الوصال بالرجاء والاستعطاف تارة ، وبالعتاب والوعظ أخرى ، ولكنهم حين يفشلون يلجأون الى القضاء عندهم ينصفهم مما يقاسون او الى الحيلة لعلها تقربهم من الهدف الذى يسعون ، وكأننا بهم فى اصطناعهم تلك المظاهر واجتيازهم هذه المراحل لا يقصدون الى غير تعميق الجرح وتهويل الموقف والبلوغ بالمأساة الى ذروة تتعدى الترغيب والتشويق الى استدرار العطف والاشفاق . وحتى هذا الجانب النفسى من الحب بدأ

(I) فى الباب الثالث .

عندهم متشابها ، فجاءت حكاياتهم وقصصهم واحدة ، وكذلك جاءت آلامهم وأحزانهم وما يتخذون لشفائها من علاج . ومن يدرى فعل هذا الشعركان فرصتهم للتعبير عما يعتمل في نفوسهم من أدواء ليس مصدرها الحب وإنما مصدرها ظروف خارجية أخرى لا نعرف عنها شيئا .

ومن خلال كل ذلك يبدو تمثلهم للحب قويا طاغيا متجبرا لا سبيل الى فل سلاحه أو هزيمته .

وفرقوا بين الشعر الذى يغلب عليه وصف الجمال وبين الشعر الذى تملأه العواطف ، فاصطلحوا على الاول العشق ، ومعظم قصائده تحمل أسماء الحبيبات ، ولم يتركوا اسم امرأة لم ينظموا فى صاحبته ، وتعتبر زينب وزهرة وفاطمة وخديجة أكثر الاسماء لهم الهاما . واصطلحوا على الثانى التغزل ، وتعرف قصائده بالمحسوب واللائم والجافى والعاشق والمرسول والشمعة والحمام والمرسم ، وهى كلها أسماء توحى بحال من أحوال الحب والهيام .

ولم يعتبروا من الغزل قصائد اطلقوا عليها « تراجم » ، اعتبرناها نحن من صميمه ، وهى كما يبدو من تسميتها قصائد ترجمها الخيال الى حبكها ونسجها دون ان يكون لها حدوث فى الواقع ، مثل الحجام والفسادة والحراز والقاضى والضيف والخلخال والدمليح ، كما سيتضح من خلال الفصل ، وكانهم غلبوا فى التسمية الشكل على الموضوع ، وكثيرا ما يفعلون .

اولا : المحبوبة

نظر الشاعر الشعبى الى المحبوبة فوسمها **بالقاب وأوصاف** تنم عن بعض ملامح جمالها أو تكشف عن عاطفة من العواطف المتأججة فى قلبه .
فزهرة بوعمر و « هلال الدارة » :

زورينى قبل الا نقبر ❁ يا هلال الدارة (I) زهرا

(I) الدارة الشئ المستدير أو الجماعة من الناس تتخذ مجلسا دائريا وتتعلق ، وبهذا يحتل وصف « هلال الدارة » مفهومين : اولهما هلال مدور مكتمل وثانيهما هلال مضيء فى جماعة الفاتنات .

وهي عنده « سلطنة الابتكار » :

للا سلطانت ابتكار * ما يلي سواك امرا
وخديجة امتيرد «سلطنة الريام» يطلب منها ان تصول صولة
عبلة وجازية :

لوصول اتصول * صولى يا مولاتى اخديجا
صولت عبلا او جازيا * يا سلطانت الريام
وجمال حجوبة ابن على يفوق الشمس والقمر والبرق :
ياللى زينك فاق الشمس والقمر والبرق افلحجاب * صلت بحروف اعجاب
عالجنى بوصالك يالريـم حجوبا
وجمال طاهرته يفوق جمال حور الجنان :
صولى اعلى الريام ابديك الغرا الزاهرا * ما تشبه ليك الطاهرا
حر يا تسبى امن اجنان الحور

أما زينبه فبدر غير محجوب وشمس النهار السعيد :
يا بدر ما غطاك احجاب * فالدجى يا شمس النهار السعيد يا زنوبا
شايق انشوفك يا زينب
وحبيبة ابن سليمان تاج كل جمال ومؤدبة :
لوقات احالات * جادت لى حبيبا
حبيبا تاج كل زين * اصبغت لهـداب
حبيبا فوصافها امأدبا

ولابن سليمان خديجة هى قمرية البروج وياقوتة فى تاج وريم :
يا قمرية لبروج * أياقوتا فى تاج
يا لريم خديجا * زورينى يالخط الدروج(I)
امولاتى خـدوج

وخديجة المدغرى - زعيم شعراء الغزل بلا مدافع - لها بهاء وهاج،
وهى كنز ربحه وشمس ضحى مشرقة :

اسباب كيتى واهجرتى واكرايخى او تهياجى * ذات لبها الوهاج

(I) الدروج : الغزال .

سلطانك الريام اغزالي بوسالفين خدوج

شمسك واضحا * شارقا في وسط الضحى
وانقلب اضحى

ايدوب يا كنز ارباحي * طيبك نفحا
وفاطمته راية الكفاح وياقوت الروح :

نصرو رايت لكفاح * بووجنات الوضاحا
والشاما والخال والشفير والغنج الدباح * طامو ياقوت الروح
وزهرته قد الخيزرانة جميلة الاسم وراية النصر وتاج العوارم :
دام الله ابها امحاسين ازهيرو * قد الخزران زيت لاسم زهرا
وهشومته سلطان كل حسن :

نصرو اسباب غيواني (I) * سلطان كل حسن
شاما اهشيمتي هشوم من عزها اعليا
وحليمته ذات دلال :

انناس كلها باش اكوانا سباب اعدامي

كي اكويتها من عند بودلال احليم
وزينبه ذهب التذهيب وسلطان الموالات :

انا زكت فيك اذهب التذهيب * اسلطان الوالات زنوبا
وفروحه همام الخودات :

ياسباب الصمد ونكلاح (2) * ياكمال ازهو ولفسراح
يا همام الخودات (3) افروح

وفارحنه غصن مائس ومهر شرود :

قولوا لصيغت اللوامح * ياغصن ابميس فالدواح
يامهر اشروود افلبطاح

رفدى ياللا الطايح (4) * بالي سمالك فارحا

(I) الغيوان غير محدد المفهوم ، ويحتمل الغواية والغنى .

(2) الكلاح : الضنا .

(3) الخودات : الجميلات

(4) الطايح : الواقع ، من طاح اذا وقع على الارض ، ورفده انهضه وأقامه.

أما كلثومه فترياق لسقامه وياقوتة في سلسلة من ذهب معروف
العيار وشمس تضيء أماكنه لم يسطع عنثرة بلوغها بشجاعته وسلاحه :
في كلثوم ترياق استقامي *

كلثوم كنها ياقوت في سلسلة امن اذهب تشجارو معلوم
كلثوم شمس اضوات فرسامي *

كلثوم ما ادركها عيسى فضخامتو اشجع اسناحو (I) مقبوم
وللرجاجي « حبيبة » هي مزاج الخاطر وباشت الابكار والبدر
الساطع وتهليل العز والنصر وتاج الجمال والمحاسن :
نصر الله بهاك يامراح الخاطر * يا توكت لبدر * ياباشت لبكار
اتهليل العز والنصر * تاج الزين والمحاسن حبيبا
وللشيخ الشاوي راضية هي مصباح دجاء وضياء عينيه ، وهي مالكة
له ببهاؤها المكتمل :

نصرو المالكتي مصباح ادجاي * مولاتي لغزال راضيا
مكمولت لبها اضيىا عينا

ولمولاي على البغدادي خدوج هي روح راحة مهجته :
زوريى ياروح راحت امهاجي * بهواك ساكني هاج
ام اسوالف ازباجا (2) * نستاهل انصر مولاتي خدوج
وللشيخ علال الكحيل زهرة هي باشت الصوارم والريام :
اباشت لعوارم خناري * امعاك شرع الله اعلى كل حال يازهرا
مغروم بك لا اتجفيني * اباشت الريام ازهور
وللفقيه العميري زهور هي تاج بنات النهوى :
هل تعطف بالرضى اسبغت نرجال * مولاتي سلطانت الريام
تاج ابنت لهوا ازهيرو

ولعبد السلام الجربى محبوبة هي قمر الدارة :
واجب لي نعدار * لا تلوموني في حال لغرام
اناسي ما بيا * غدير قمر الدارة

(I) يغلب على المغاربة قلب لام السلاح نونا .

(2) سوالف ازباجة اي سوداء .

اما مبارك السوسى فله زهرة تفوقت عن عبدة وجازية وكل الابكار :
سلبت عقلى زهرا * ابلبها والحسن المكمول حازت اسرارو
بشمايل لبها فاقت عل لبكار * فاقت عن عبلا او جازيا وامحاسن لبكور
وملكة الغرابلى راية المملكة ومالكة وفى حماته الملك :
أرايت لملكا يامولاتى المالكا * نك العبد او كسل ما املك
نصرو ملكا احمايت الملك
وفطومة المكى الصويرى تاج الريام ومصباح الموالعات وراحة الروح
وزهو الانظار :

نصرو تاج الريام لغزال الطام * عانس (I) الفرج زهو انيامى (2)
مصباح الموالعات راحت روحى فطوما
وفاطمة عبد الهادى العامرى راية الهمام وزينة الريام و «بودواح» (3)
انا فى عار قامتك يا رايت لهمام فاللطام * لوجيب (4) زينت لرسام
رفقى بى اوحن واعطف يا بودواح فاطما
وتكاد تشبهها طامو ابن عمر الكفيف :
مدرا (5) اتزور رسمى بوسالف طامو * مولاتى لغزال فاطما
بودواح اروامك الزهزاما (6)
وفضيلة مولاي احمد بن عبد السلام العلوى هلال انجمال المكمول :
روفى ياضى انجالى * ياهلال الزين المكمول
ذات لجمال افضيلا

I العانس البكر الجميلة ، وهى من الكلمات التى استعملت فى معاني غير معروفة بها فى الفصحى حيث تطلق العانس على المرأة التى طال بها المكث فى بيت اهلها دون ان تتزوج فخرجت من عداد الابكار .
2 النيام : العيون .
3 البدواح : الخرسنة أو الحلق .
4 لعلها الشمس من وجبت الشمس وجوبا اذا غابت او لعلها من وجب انقلب وجيبا اذا اضطرب وما نظنها تصغير وجبة بمعنى الصدفة الحسنة .
5 مدرا كلمة للتمنى لعل اصلها : من درى او من يدري او من يدريك .
6 الزهزاما : الغزال ، والروامك : العيون ، وأصلها من رمق اذا نظر .

ومارية الفلوس مشموم الورد والزهر وسلطان الباهيات :

نصر الله ابهاك يا هلال الدار * يارايت النصر يا سابغ لشفار

يا مشموم الورد والزهر * سلطان الباهيات ولقى مريا

ولعبد الهادي بناني «زهور» هي تاج العوانس :

كولوا لدواحت لزهار * تاج لعوانس ازهور

رفقى ابعاشقتك ونعمى بالزورا عل لوكار

وله «فاطمة» هي الغزال ومشموم البنات وجميلة الاسم ومصباح الجمال:

ايا مشموم لبنات لغزال زيننت لاسم * جسد اعلى المغمروم

يا مصباح الزين فاطما

وبشئ من التفصيل ، ولكن في أوصاف عامة ، تناول شعراء الزجل

جمال محبوباتهم على حد ما يعرض لنا الجيلالي امثيرد في «خدوج» ، فهي

بديعة الجمال رقيقة الملامح ، وهي فاضلة وعاطفة ، ذات حسن جميل ساطع ،

ليست لها مثيلة في بنات جيلها ، يوافقها خليلها وتوافقها في طاعة متبادلة :

خدوج ابديعت لجمال * خدوج ارققت لحسروف

خدوج امنارت لفضال * خدوج انهايت لعطوف

خدوج مالها امثيل * فبنات اليوم ابلجميع

اخليلا رايا اخليل * طاعا وخليها امطيع

ومثل هذا يقوله ابن سليمان عن خدوجته التي لا يعرف لجمالها شبيها

في أى زمان ومكان :

زينك ما هو فعلوج (I) * ولا هو فمدون او لفلاجي (2)

فاللى امضى او ماجى * ما شاهدوا اغناجى (3)

لو صبت ملتقاها بعد التهجيح

(I) العلوج : الاعجام ، والكلمة واردة في الفصحى بصيغة علوج
واعلاج جميعا لعلاج بكسر العين وتسكين اللام .

(2) الفلاجى : البوادرى

(3) الاغناج : العيون ، والكلمة واردة في الفصحى غنجا بتسكين
النون وضمها .

وعند المدغرى أن جمال زينبه معروف فى الشرق والغرب ، يشهد لها به
البدر والكواكب بل ان ضوء البدر تعجب له فاحتجب :

زينب زينها فالشرق أقالغرب * شاهد لها بدر الدجى واكواكب
زينك فيه ضى لبدر اتعجب * حتى ادخل امن اغشاه فاحجابو
وتفنن المدغرى فى وصف زهرة فاعتبرها زهوا لذاته ومصباح الفاتنات،
حازت البهاء والثبات ، وظهرت شمسا تتجلى بحسنها وتفوق بجمالها عيلة
وخناثة ، وفيه يزهى بها مزاج حبيبها ، تصول وقد اجتمعت فيها ثلاث خصال
هى الحياء والطيبة والظرف . ثم انها تنتسب لاحرار أهل الجود ، فلا غرو أن
يراهها تاج فاتنات الحضر ومصباح البساتين وقررة عينه وزهرة الورود والرياحين،
وسلواه وغاية ما يتنزه فيه أولو النظر الفاهمون :

زهرا زهوا للذات * مصباح الخودات
زهرا عل لبنات * حازت لبها واثباتا
زهرا شمس انبات (I) * بالحسن اتجلت
زهرا من عادات * زين عيلا واخناثا
زهرا من وفات * واخلاكى زهات
زهرا بالصولات * حازت توصاف اثلاثا

لحيا والطيب امع الظرافا من نسب احرار هل الجود الكبرا
زهرا تاج اعوانس لحضر * مصباح لغراسات قرت عينيا
زهرا زهر الورد والزهر * والسلوان أغايت منازة لهل النظرا
وقريب من هذا ما وصف به الحاج ادريس بن على لحنش ياسمينته ،
فهى ياقوتة فريدة يتضاءل أمامها الجوهر والذهب والفضة ، علا شأنها على
جميع بنات جنسها وغدت شمس الضحى تستحى من خيالها وتغيب :
انت اجواهرك مكنونا وامعلقا اثنيين

وانت ياقوتا والياقوت اقليل فى امثالك
والجوهر الصافى والذهب واللجين

قدام صورتك تتلاشى واينظرو اقبالك
(I) انبات : ظهرت ، من نبا الشىء نبوة ونباوة اذا برز وارتفع عن
الارض .

انت الذى اعلا شانك عل لبنات كامليين

المشمس فالضحى تستحيا واتغيب امن اخيالك
وعنده كذلك حبيبة هى هيفاء ناعمة ، فازت بانهمة والسر والطيبة
والذكاء والظرف والجمال الحقيقى والوقار والهيبة ، يشيب ارويتها شباب
أهل الغرام ، وقصته معها أغرب من كل الغرائب ، لو حكاها للجبال لاندكت:
هيفا اونا عما حازت هما اوسر اوطيبا

والميز والظرافا والزين الى اعلى ترتيبو
سبحان امن انشاها واكرمها ابلوقزوالهيبا
لوشاعدوا بهاها شبان هل لغرام ايشيبو

اغربتى امعها عدات اجميع كل اغريبا
لوجيت يا عدولى نحكيها للجبال ايريسو
ويخاطب عائشة بأن بهاءها غير موجود عند سلطان لأفى المغرب ولا فى
الصين ، وبأن جمالها عربى وأخلاقها حضرية ، وان أى جمال او خلق غير ذلك
ليس بشئ :

ابهاك الا هو عند سلطان ولا افغربنا ولا هو فانصين (I)

يزها قلبي بجمال صورتك سبحان امن انشا
والزین الى ما كان زین عربى واخلاك امديننت لحضر ماهوشى
أما بنعيسى الدراز ففاطمته ليست ياقوته محصنة لا تدرك بقيمة فقط،
ولكن مقامها عال رفعه رب السماء ، وهى ليست متفوقة بجمالها على جميع
المفاتيح ليس غير ، وانما هى تفرض عليهن الحكم والطاعة فيخدمنها ويقبلن
أقدامها . ولكنها رغم الصولة تمتاز باللطف والذكاء والفهم ، يكفى حبيبها أن
ينظر اليها ليحس الفوز والنخوة والاکرام ، ثم انها تسبى العفول
بكياستها وحسن منطقها . واذا كانت تشغل الاذهان وتحير الالباب ، فانها
تسلى عند المنادمة وتفرج الكروب :

آياقوتا امحصنا ما تدراك ابقينا ❁ مرفوعا فمقام

علاه ربى رافع السما

(I) الصين كناية عن اقصى مكان ، أما الغرب المقصود به المغرب .

لك جميع الريام طاعوا بالقهر اخديما * واتقبل لقدام

واعلى ساير نغياد حاكما

والصول ولما لطفاً واعيقا (I) وافهما * من شفت المنيام

فزت بالشخو والمكارما

تسبى لعقول ابلكياس واماظ احكبا * كتدهى لفهما

واتسلى فوقات لمنادما

وينظر الدراز الى زهرة انها ذخيره وراحة خاطره ومصباح نصره

وينبوع كل خير ، بحجر الكسر بوجودها الذى يشهد لها به الكهول

والصفار ، وهى عنصر صاف اذا سفت روضا انبت وانصر :

ياراحت لخواطر * يا مصباح لبصار

انت اذخيرتى أينبع الخير * يا جبرت من كان اكسير

يدأر الجود عالج اضرارى * جودك كتحقو كهل واصفار

يا عنصر الصفا من تسقى روضو استخار (2)

ونا ابغيت روضي يطفح بزهار * بعد زهرو ينعم بشمار

وغالبا ما تكون مثل هذه الاوصاف العامة تمهيدا لرسم صورة المحبوبة

مفصلة الاجزاء مكتملة الابعاد ، لم يترك الشاعر جزءا واحدا من جسدها

لم يطل النظر اليه ، مبتدئا بشعرها الفاحم وعينيها الفاترتين ، ومنتھيا

الى ساقها الذهبى الممتلىء وخلقائه ، متتبعا ما بين ذك لم يترك ملمحا

الا توقف عنده ليمعن فى وصفه وتشبيحه .

وقد برز المدغرى فى تقديم لوحات رائعة كهذه التى رسم لطامو

وهنية حيث يبدو الميسم عمدا من الجواهر تصوبه الشفاه الحمر ، والقنود

مائلة يمنة ويسرة تسابر انسيبهم فى عيوبه ، والشعر مظفرا ومسدلا

نفوح نسماته الذكية وقد لمع فيه الياقوت الرفيع ، والغرة لامعة كالبرق

أو الهلال او الشريا والنجم ، والحاجبان مقوسين كحرفى نون فى سطر

(I) العياقة : قوة الادراك .

(2) اسخر انتج ، ومنه قولهم : «الله ايسخر» فى الدعاء بالتوفيق

والنجاح فى عمل من الاعمال .

وقد مالا على عيون ساحرة ذباجة كالسيوف تغطيها اهداب عالية الريش ،
والخد في حمرة طبيعية غير مصطنعة بالمساحيق كالوردة يحرسها خال
في لون الغلام ، والانف كزهر السوسان ، والذراعان كسيوف يحمدهما
عنثرة يوم الوطيس ، والرقبة تذكر بظلي الفيافي النافر الحذر ، والصدر
قطعة من الرخام الصافي برزت فيه تفاحتان ، والبطن يأخذ قلب العاشق
في طياته ، والسرة ككاس سالت عنه الخمر ، والافخاذ أعمدة من ذهب
في قصور العمالقة واللخميين ومن يفخر بهم من الاقوام ، تعلوها قبة تفوق
قباب السعدين ، والسيقان حمراء كلون الجمر شبيهة بقطعة من البلور
أشعلت فيها شمع كبيرة ، يسقى من لونها كما سقى ابن الملوح
دون خمر :

والمبسم جوهر فالشعر * عقدو مصيون فاشفوف العكريا (I)
واسبابى يوم انظرت لقدود اتميل اتساعف النسيم ايمين وايسار
واسوالف واظفاير الشعر * والياقوت الرفيع بنسوم ادكيا
والغرا واجبين لاح فوق الوفر ابرق اهلال والتريا والغرار (2)
والحجبين نونين فاسطر * عطفو عطفًا اعلى السيوف المسقيا
والشفير الدباح بالصوارم واهداب امريشين فوق الغنج السحار
والخد العكرى ابلا اعكر * والخال اغلام فوق وردا محضيا (3)
والمعطس سوسان نيل اركوبوا للسلطان عكرو من ذهب التشحار
والضعدين (4) اميوف تنشكر * عند ابن عبس في انهار المشليا
والركبا عراض في افيافي مايا من حى ما يروم الغاشى حدار (5)
وانوابخ تفاح فانصدر * والصدر ازخامتو اصفاه امر مريا

-
- (I) العكرية الحمراء ، ويطلق العكار على مسحوق الوجه وقلم الشفاه.
(2) الغرار نجم لامع .
(3) محضية أى محروسة وفعلها : احضا ولعل اصلها فى الفصحى
حطو عند فلان اذا اصيحت له مكانة عنده .
(4) الضعد : العضد (مقلوبة) .
(5) الحدار : الغزال ، ومثله العراض ، اما الغاشى فهو الغريب ولعل
أصله فى الفصحى غشيه غشيانا بكسر الغين اذا جاءه .

والبلطن الطاوى اعلى لطاوى يطوى قلب لعشيق طى الالو تحكار
والسرا بالكاس تنعمر * والكاس اجرات فى اطرافو حميا
وافخاد اسوارى امن الذهب فمنازه لعمالق او لخم اقوم التفخار
صانوها فى قبت النصر * ولا توجد فى اقبوب السعديا
والساق اسقانى اكم اسقى قيس ابن املوح من دون اعقار
ساق احمر من واضح الجمر * نحكى بلار فيه شمعا رطليا (I)
ومثل هذه اللوحة يرسمها الحاج ادريس بن على لحنش لحبيبتيه
لا يضيف اليها الا بعض اللمسات كتشبيبه القد بغصن الآس وتصويره
ضفائر الشعر ملقاة على الاكتاف تفوح نسمات طيبها كانها تفوح من روض
السوسان ، ووصفه العيون بفتور لا يفتو معه تعذيب العشاق ،
وتنوينه الخد بلون الفضة المصقولة بالذهب ، وتشبيبه
الانف بعصفور صغير ، والرقبة بالكافور وعنق الغزال ، واضافته الشنب
الى الثغر والخضاب المنقوش الى الكفوف ، واعتباره وجود التفاح على الصدر
فى كل المواسم حكمة عجيبة بالغة .

قدك خزران فى روض ناعم اخصيب *
ولا اغصين من الياس هن السسيم اقطيبيو
واضافير الشعر عل لكتاف اهوات فى تطيب *
نحكيه فى ارياض السوسان ايلوح فى ترجيو
وانظرت حاجبين اوشهدت اشفاه فى تهذيب *
واعيون فاترا ما يفتنر لعشيقها تعذيبو
واخدود لون قلب الفض لمشلل ابتذهيب *
وجنا تحت سيف اللحظ الى هدنى تهديبو
غنجدور كطوبير يربى مشروح فى تركيب (2) *
واثغر فيه جوهر منظوم امزين تشنبيبو

(I) يقال شمعة رطلية او شمع الرطل للشموع الكبيرة ، ولعل
الصفة مأخوذة من الرطل الذى يعنى فى الفصحى المنا الذى يوزن به
وكأنهم كنوا به عن ثقلها .

(2) التركيب : الترقب ، ولأحظ ان القاف فى غير المدن
(14)

ركبا اشقيقت الكافور فالتجراد واستلهيب *

اتقول عراض امشوش خايف امن اطلبيو

درعين صافيا وامعاصم واكفوف في تخضيب *

مكتوب فيه جدول له اجميع لعقول اينبيو

وارخامت الصدر فيها حكم بالغ واعجيب *

طول لفصول تنظر عينك تفاحها واتصيبو

وهكذا تكاد تكون الصورة واحدة عند كل الشعراء لا يختلفون قليلا

الا في تتبع اجزائها وتلوينها على حد ما نجد عند محمد بن عمر الكفيف

الذي لم ينس ان يرسم الاصابع كالاقلام ، ويشبه النهود بتفاح على قدر قبضة

اليد ، والبطن بقماش صاف مرقوم ، والسيقان بسمك الشابل (I) الا انها

لم تمس الماء :

اصباع كنهم قلوب

وانهود كتفاح للكمشا راموا

• • •

ابطن امن اقماش صافى مرقوم

• • •

وافخاذ كاشوابل فالما لا عاموا

ومن لطيف تقديم اوصاف الحبيبة ما لجأ اليه التهامي المدغرى من

عكس التشبيه وجعل الاشياء التي اعتاد الشعراء ان يشبهوا بها لتحديد

ملامح المرأة ، تسعى في خصام ومنافسة الى التمثل بهذه الملامح والتشبه

بها واعتبارها رباطا جميلا يصلها بالمرأة . ولم نجد شاعرا غير المدغرى

نجا الى هذه الطريقة المعكوسة في وصف المرأة ، بل لم نجد له فيها غير

قصيدة واحدة هي التي يقول في حريتها :

بين الورد والزهر والجلار والظليم والحدار

والرخام اتفاح اقوس ولناير خرجوا اعلى عانسي الكحار

بالمغرب ينطى جيما مغنقة كسطق المصريين في امدن للجيم ، وجرت

العادة بكتابه كفا بثلاث نقط . اما برنى فلعلها من رنا في الفصحى بمعنى

أطال النظر .

(I) الشابل نوع من من سمك الانهار كبير الحجم ، لا يظهر في غير فصل

الشتاء . ويعتبر من احسن الانواع واغلاها .

قصدت هذه الاشياء الشاعر لتثبت الشبه الذى يربطها بحبيبته
فادعى الورد انه شبيه بخدها ، وادعى الزهر ان شذاه قريب من نسيم
نغرها الباسم ، وادعى الجلنار ان لونه كلون شفاهها ووجنتها ، وادعى
الظليم ان لونه من لون شعرها وشفائرها التى تعدت القار :

وادعى الورد قال الحد اشقيفى اشقيفى

وادعا الزهر قال التمر الميسوم

امن اشده انسيمو مسموم

جاوب الجلار المفهوم

قال بقيوم

شفا بريق مختوم

لوني ولونها واحد

والوجنا اشقيقتو بتمارا

شامتو اعليه ايمارا

والظليم ادعا قال الشعر والضفاير

من لوني فاق اعلى القار

وتدخل كوكب الزهرة والبدر المشرق والقوس والمنائر فادعوا

قرابتهم مع غرة حبيبته وجبينها والحواجب والعيون ، وكذلك المسك

ادعى أخوته لخالها العنبرى الطيب :

واكذلك نجمت الزهرا والبدر الشريق

القوس ولناير قالوا غرا

ولجبين احاجب بترا

ولعيون اجصاب النحرا

عل العذرا

فقلوب هل الهجرا

والمسك فى اجياب الملوك ادعا انجالها بجهارا

طيبت شامت المسرارا

قالت ذلك العنبر هي اختو او ساقتر
عن خيتو غايت لكجار

وادعت الغزالة شبه جيدها وزعم التفاح الشبه بنهدها وزعم الموبر (1)
شبه اديمه ولونه بصدرها وساقها ، وكذلك ادعى صارى السفينة شبهه
بفدها :

وادوات قالت الحدارا دون النطيق
الجيد والصدر وكذلك التفاح
والموبر شغل الرجاح
قل يفصاح
قالوا جميع ياصاح
انهود فالصدر اساق لمغيون جهازا
حقين على لختيارا
ريت حتى صارى قرصان بانظواهر
فى قدو وقدها احتار

ولم يعجب الحبيبة ان تتسابق هذه الاشياء الى جمالها متخاصمة
ومتنافسة فشكتها الى التساعر متهمة اياها بالزور والبهتان السافرين :

وادوات قالت اصغا ياذا الحبر اللبيق
هاذوا اتخاصموا عن حسنى بجميع
كلها طمع ابلا تطميع
من ابها خدى حسن ارفيع
دايم سطيع
فحمای اطمع ايريع
ادعاوا ابلفجور
او قالوا من صورتى اداوا ايمارا
شوف لامت القرقرارا

(1) القماش الذى يُطْلَقُ عليه فى مصر القطيفة .

واش شبهوا في زيني زورهم ظاهر

لامت لبهوت ابلجهار

وأخذ يبحث القضية ويقارن فوجد قدها ناعما والصاري عودا
يابسا ، ووجد ريش الظليم قصيرا وضوء القمر والنجم يتسوارى ولا يدوم ،
وكذلك ضوء المنائر ، اما جبيها والغرة فنورهما يسطع في كل وقت
وحين .

زكيت في ابهاها وابهاهم نلطريق

واجبرت قدها ناعم والصاري

يابس اعلى عود باري

شفت ريش اظليم اصحاري

ابعيد شاري

فاسواق لمشاري

ريش اقصر

ونظرت الكمرا

اموضحا امع الغرار

نور زينهم اتسوارى

ولجين اغرتها فاقت لمناين

يسطع بالليل والنهار

ونظر الى الحواجب والعيون فوجد رميها أقوى واشد مما ترمى به
الاقواس والرماح والسيوف حين تكون في يد الابطال الشجعان ، وكذلك
نظر الى لون خدها فوجد في لون الورده :

وانظرت حاجب العذرا واللحظ الرشيق

اجبرتهم يخجل منهم حمري

امن الرما فالوكدا عذري

بالرماح اسيف اسقطري

ابسم يسري

شدو شجيع دهرى

ماكيف دكت العين اجوايحتها على لعشيق ابارا

بالنشاشب البتارا

سلم للوجنا والورد ظل حاير

فى خد اهمامت لبكار

ونظر الى المسك والخمر - مهما تكن صافية فى البلور - فوجدهما من

سلع التجار ، اما خالها وشفاهاها وريقها ففاقت كل تجارة :

زكيت بالنظر فالمسك أخمر الرحيق

مهما يكون صافى وسط البلار

صبتهم سلعا للتجار

. . . .

الخال والشفافى أريق عانسى المسرادا

فايتين كل اتجارا

آش جاب البلار أمسك والعواطر

لوصاف اسبيغت الشفار

ونظر الى الصدر والنهد والساق فوجدها أصفى من الذهب والفضة ،

ووجد الرخام صخرا أصم والتفاح فى الشجر عرضة للعب الاطفال ،

والموبر سلعة عند باعة الحرائر ، أما البطن فمنيذ فاق كل حرير مشهور :

مكنت فالصدر والنهد يشوف لحديق

اوساق صبتهم زهوا للنظرا

اصفا من العسجد والنقرا

والرخام اجبرتو صخرا

اصميم حجرا

تفاح فوق شجيرا

به الطفال تلعب وموبر فى احوانت الحرارا

بين لامت السمسارا

والبطن فى حسن طيو رفيع ناير

يغلب لحرير مشتهار

ولم يلبث الشاعر بعد هذا البحث المقارن في المزامع المقدمة له (I)
أن دعا كل اصحابها واتهمهم بالزور والتهجم على حبيته ، واخبرهم انهم
ليسوا غير جوار لها يحق عليهم ان يخلجوا ويكفروا عما صدر عنهم ،
ونهاهم عن التخاصم اذ يكفيه أنه يسمع مثل تلك المزامع عند الشعراء :

وانطقت فلت لهم سمعوا قولي احقيق

نتهاوا كلكم اجميع احشمو

يا صحاب الزور اندموا

لاش عن بوتيت تهجموا

اكتثتموا

ولوا لا تخاصموا

يكفا الى نسمع من امثلكم كيفها بشطارا

بين لامت الشعرا

ياك لها حسن التقويم سر ظاهر

وانتما تحتها اجوار

وقد يتخرج شاعر كعبد القادر العلمي من تتبع كل اطراف الجسم
ويكتفى بالتشبيب العف الكريم ، يصف فيه بعض الملامح الظاهرة لا
يتعدها ، وفي نطاق المعروف من الاوصاف والتشبيهات ، يقول مثلاً في
البتول وقد شبه قدها براية او سجر كبير :
امثيل قامت شئ رايا قدها العالى *

او ابلنسزا احكيت فالروض المكحول (2)

زليعتني (3) بشفار امضى من لعوالى *

والحجين لعطاف وانشف المصقول

طال عشقى واهواى فى ابها اغزالى *

ذات الحسن ليهيج والزين المكمول

(I) يلاحظ ان المدغرى لم يتتبع الادعاءات بدقة وغلبت عليه سجيته
فاندفع فى الوصف والمقارنة غير ملتزم بها .

(2) المكحول من اكдал فى البربرية بمعنى البستان الكبير .

(3) زلع : لسع .

ومن اللطيف ان نجد المحبوبة تطلب من حبيبها ان يصفها على حد
ما طلب «المزيان» من العلمى الذى رد بأنه لا حصر لوصافه :
ليسا قال المزيان * وصف هذا الحسن يالى تهوانى
قلت يا ذابىل لشفار * توصافك لا يحصار
واكتفى فى الوصف ببعض الملامح الظاهرة على عادته فبدأ بقوله :
ته بجمالك عل لقمار * الشمس اتغير
الى اتشوف زينك * لبدر من جبينك
والبان غار منك

وختم مؤكدا على ضرورة ستر ما عدا ذلك :
والغير ما اتجيبو هدرا (1) ولا عليه تبين
ويواجه العلمى نفس الطلب من مزيان آخر :
قال المزيان اتصيف لى زينى *
امدح امحاسنى كيف ايمدحو ناس لغرام ابدور لحسان
...

ولكنه يجيب بنفس الرد ويضيف أن الهلال ونجوم الليل شاهدة
بأنه جميل :
شيحد (2) اوصافك يالدهينى *
لهلال قلت وانجوم الديجور شهدوا بين انت مزيان
ومثل هذا نجده حتى عند بعض الشعراء الذين لا يتخرجون من
الكشف عن المرأة ، امثال الحاج ادريس لحنش الذى تطلب منه عائشة
أن يصف جمالها فيصبر لها عن عجزه :
قالت لى بوسالفين وصف زينى يا عاشق لمحاسن وانما شى (3)
قلت لها مانقو انصيف ذاك الزين اعيشا
اعيشا ما نقدر افلوزان * انصف ذاك لبها وابديع الزين

(1) الهدرا : الكلام

(2) شيحد اصلها أى شىء يحد .

(3) الانماش النقطة تكون فى الوجه ، وهى فى الفصحى النمش بفتح
النون والميم .

أما شاعر كالفلوس فتطلب منه مارية ان يصفها فيفعل :
لكن يا عاشق لبها وصفنى فمناهج اللغا وامواهب لشعار
قلت لها يا طلعت نبدر أمر تعمال فيك روحى مسبيا
وكذلك تطلب رشيدة فيلبى طلبها :

قالت يا عاشق لبها وصف زينى افطرز لنشباد
ومن براعة بعض الشعراء انهم لا يعرضون اوصاف حبيباتهم في
أسلوب مباشر فقط ، وانما يقدمونها لنا كذلك من خلال مقارنة بين حالهم
وحالهن ، وقد تكون هذه المقابلة بسيطة على حد ما نرى عند بوعمرى فى
« زهرة » حين يقارن بين قلبه المشتعل وقلبها المرتاح ، بين لونه الاصفر
الذابل ولونها الباهى الجميل ، بين نومه الطائر من عينيه وبين نومها
المغمض لعينين شبيهتين بعينى مهرة :

مال قلبى يرمى بشرار * شاعلا فى قلبو جمرا
مال قلبك ما جاب اخبار * واش ما وصلتك هدرا
مال لونى باهت مصفار * امن اضرار اعذاب الهجرا
مال لونك باهى مسرار * يالى ما مثلك كمرا (I)
مال نومى من عينى طار * امن التنهيدا والزفرا
مال نومك نيم لشفار * بشفار اعيون المهرا

وقد تبلغ المقابلة غاية الحبك والاتقان كما عند المدغرى الذى يقدم
لنا فى حوار رائع يتبادل فيه الشكوى مع حبيبته ، ومن خلال مقارنة بين
حال كل منهما ، وصفا لـ «راحة» على لسانها حيث جعلها تصف نفسها
فى ردها على شكواه . فاذا شكا جمر نار قلبه ذكرت له جمر خدودها ،
واذا شكا سواد الليل وطوله ذكرت له شعرها الاسود الطويل ، واذا
شكا سيوف الهوى ذكرت له سيوف عينيها ، واذا شكا قلائد دموعه الهطالة،
ذكرت له قلائد جيدها ، واذا شكا هموم صدره الظاهرة ذكرت له التفاح
الناتئ فى صدرها ، واذا شكا نحوله ذكرت نحول خصرها ، واذا شكا ثقل

حملة ذكرت له ثقل وركها ، واذا شكا غرقه في بحر حبها ذكرت له
سيقانها السابحة كسمك الشابل ، واذا شكا قيود هواه ، ذكرت له
خلخال رجلها المصياح :

امين اشكيت اجماري قالت لبدر حتى جمرى لاح
فوق اخدودي لجلاح (I) * زاد تلحاحي
نار قلبك واخدودي ما تزول للاحا
الى شكيت اكمال الليل الطويل قالت زين الدواح
حتى نادون امزاح * ليلت اشباحي
من اشعور السالف اكحل اطويل فجباحا
الى شكيت اسيوف اهوايا اتقول حتى نا عل لكفاح
عندي سيفين اوقاح * غايت اسلاحى
فوق خدى تدمى بهدا بها الجسراحا
الى شكيت اقلايد وادموع هاطل بالدمع الكفاح (2)
قالت راحت لرواح * صيغ توضاحي
شوف حتى نا فاللب اقلايدو امراحا
الى اشكيت اغدايد صدرى الناتك ووقوفي لجلاح
قالت نهدي تفاح * لاح وضاحي
واقف امبند (3) شف اغدايدو الطفاحا
الى شكيت انحولى نشكى انحول ذاك الخصر افلوشاح
واتقبل يارجاح * تيه ومزاحي
دابداك اولا صايب امن اقيومها راحا
الى شكيت اتقال احمولى اتقول وركى فاق ابترجاح
عمر لقميص او داح * افهمت اطراحى
اخلاكك اوركى من تقل الحمول مضاحا

(I) لجلاح : ملتهب .

(2) الكفاح : السائل المنهمر ، ومنه كفح الماء اذا اهرقه .

(3) امبند : بارز ، ولعل أصله في الفصحى من البند بمعنى العلم .

الى اشكيت اغروقى فبحور حبها قالت لى يا صاح
عندى شابل سباح * فالبجر ضاحى
دايم احشاك أساكى فاللجوج سباحا
الى شكيت اقيود اهوايا اتقول اسمع الخلخالى صاح
كيف اكيودك صياح * قال يالاحى
اسوا لكيودك واسوايا فالنغم صياحا

ومثل هذا نجده عند عبد الرحمن بن الفقيه المراكشى الذى يبدأ
شكواه لخديجة بقوله :

اشكيت لها من طول اشكايتى اللبدور افداجى

قالت انظر شعرى كحل اطويل وابدور اسريجا
واذا كان جسم المرأة فى القصائد التى تصف الجمال يبدو مجردا
عن اى تزيين مضاف ، فان الشاعر الشعبى فى القصائد التى اطلق عليها
اسم «الحجام» والتى وصف فيها حفلات **الوشم** ، **زِين جسم المحبوبة**
بألوان من الصور والرسوم تمثل حيوانات واسلحة وابطالا وبساتين
وخياما وهوداج وغيرها مما يوحى بالتعبير عما يكن من عواطف الحب
وما يحس من آلام الفراق وما يتمنى من سعادة اللقاء ، وكأنه يرمز بوشم
هذه الاشياء الى مختلف حالات المحب والمحبوب ، فالغزلان للهجر والنفور ،
والخيول والاسلحة لمدى القوة والمقاومة ، والاغراس والورود للحظات
الوصول ، وهكذا تبدو مخيلة الشاعر ذهبت بعيدا فى تأمل أحوال المحب
المختلفة .

فهذا ابن على العمرانى يخاطب الحجام ويطلب منه أن يختار للبياض
الوشم المناسب ، وان يرسم بين حواجبها خمسة الكف لترد نظرات
الحاسدين ، وعلى خدها خالا كالنون المتصل بنقطه ، وفى صدرها وحوشا
عظيمة وخيولا ملجمة واغراسا لاشجار الفواكه وطيورا متسرنة وبسطا
وقصورا من الخزف تكون أبوابها من الرخام تفرش بأرائك الحرير
والزرابى واسرة النوم ، تضىء ذلك كله شموع يخسف الهلال لضوئها :
شوف الليياض اونااسب اوشامو *

بين لحواجب اعمل خمسا تلقى الا ايبارك فيها وايشوف

شوف الورد الوجنات فكمامو *

وفخدها اعمل خال اوشاما نون متصل بالنقط معروف

. . .

فصدرها دير (I) اوحوش يعظامو *

لرخاخ ولفيال وعنقات وما اعمر الخلوات ولطروف

. . .

فصدرها دير اخيول قيامو

لولا اللجومات ايطيروا لكن كلها بلجامو ملقوف

. . .

فصدرها دير اغراس تنعامو

لوزات بين شى جوزات وخوخات والنكاص ابنسمات ايروف

دير التفاح ايفوح بنسامو

ولمزح وصفرجل متضلل بينهم ضل الا هو مسقوف

فصدرها دير اطيبار ترنامو

دير العصفور افصيح لكلام

دير البوح الى باح بكتامو

فصدرها دير ابساط لمرامو *

من لبديع ابني اقصور امن الرخام رامت له ادفوف (2)

دير افراشات احريير فرسامو

الحواف والزرايى دير اخوامى امعروجا واتسارح واقتوف (3)

دير النمسيات (4) لمنامو

ديما اقليل نوم العاشق من حرما القاه امنامو مخطوف

دير اشماع للداج واظلامو

اشمعت ايلا قابليها لهلال امن اضياها يضحي مخسوف

I) دير امر دار اى عمل .

2) الدفوف والدفيق ج : دفة وهى الباب .

3) اللحواف ج لحاف وهى متكآت محشوة بالصوف تعتبر أساس أثاث البيت المغربى ، اما الخوامى فجمع خامية وهى الستارة ، واما التسارح فما يسرح فوق اللحواف ويطلق عليها .

4) الناموسيات : الاسرة .

ومثل هذه نجده عند الشيخ محمد بن موسى في حجامه الذي
يقول فيه :

أحجام لغزال ولقى لوجيب للا الطام * فصدرها نيل لوشام

واعمل بين النهود عرص واركمها غايت التركيم

ويوصى ابن على حجام محبوبته بان يعنى بالآلاته وأدواته من منديل
مرقوم وطاس مذهب ومشارط أحد من السيوف مصنونة في اغشية رومية
ومناشف للتجفيف :

معونك يا حجام فعوامو *

للناس انوصفو فالميآت البالغين من لبلاغ موصوف

منديلك من القماش تركامو *

الزردخان ما يشبه ليه او بنهم من كل امثال اصنوف

طاسك حتى سوام ما سامو *

من خالص الذهب يا حجام اولاً ايخلصوه (1) اعداك ابمصروف

وامشارط بالخزانات ينقامو *

وامنبتين بتقات الاكيفو انقات وافرغ من كل اسيوف

واغشاهم رومي صان فروامو *

واجفاف لبحر منزولا تحساب من البحر الى مكفوف

سادى يوصى الحجام ان يكون منتبها حتى لا يؤلم الحبيبة :

يا حجام اوشم للزين * كن عايق فايق فالحين

رطب يدك لا تمصح اغزالي (2) بودواح

أما المدغرى فيغضب لعدم حضور العملية وعدم استشارة الحجام

له فيما رسم ويدعوه المقاضى ولكن تندخل المحبوبة وتطلب منه ان
يسامحه :

وجابك يا حجام لغزال *

لله باش من موجب اجرحت الباهيا طامو بوخلخال

(1) ايخلص مضارع خالص الشيء اذا دفع ثمنه .

(2) قصح - ألسم .

لو كان كنت حاضر ما تمنع لي *
كيف تجرح زهوت نجلى * يالحجامة وتفلت لي
... .

هذى اكزاييت الى منلك يدعى افلمسايل من غير اشوار *
اجى بلا اخفا للقاضى مداعين
قالت الخنار اسمح لو ...
وارضيت الحجامة بريال من بعد ما اسمحت افجقى مهما اسمعت رغبت
دابل لشفار

ومثل قصائد الحجامة قصائد الفصادة ، وهى التى تصور الحفلات
التى كانت تقام لاجراخ الدم حيث تجضر الحسان متزينات على حد ما
يقول اميرد :

آش را (I) من لا احضر امع اوجوه لريام *
يوم حنطو فثياب العز للفصادا
ريت ذاك الدم الوردى ابشوف لنيام *
زنجفور افيلار اصفا من لعقادا
ويحاول ان يقارن بين جراخ الحبيبة وقد فصدت ، والجراح التى
أحسها الحجامة فى قلبه وهو يقصد :
اجرح الحجامة وانجرح من غير اجراح *
عدت جراهمم فالقلب اجراحو
هما تجراحهم اهطل ادماء ساج *
اهو فالضمير دكات ارماحو
اما المدغرى فيجعل الحجامة ترتعد يده لرؤية ذراع الحبيبة ويفقد
وعيه لجمالها :

امين شاف الدرعين اترعد ايدو غاب من زينت الخدادا

لمعلم عاد فشدا * ما قدر عنهم يتعدا

به فاقوا لعوانس وتنهدوا

(I) آش را أصلها اى شىء رأى ويقصد بها الاستفهام الانكارى .

له قالت وحدا وحدا * مهل اعلى ديك الخودا

لا اتشوف العينين الى ايحكدو

ومثل هذه المناسبات تكون فى أيام الربيع ، وتقام فى البساتين ، وتستعد لها الحسان يبرزن فى اجمل الحلى وافخر الثياب ، يقول فضول النمريسى :

اواه يامنين اتجمعوا لريام * فى ازمان النوار (I) وانواو الفصاذا

لبسوا من الديام(2) انواع العجان * فى ارياض امحتفل هزيان
كيف راحوا ما بين اغصان

حازوا الريام اشمايل المظرافا وحروف الزين *

كل اغزال تقطف فالنوار ايسار ويمين

ثانيا : المحب

يعانى الشاعر من حب هذا الجمال الوانا من الآلام والاضراء لا تنقطع منها شكواه . وقد سبق ان رأينا عند بوعمرى والمدغرى وعبد الرحمن بن الفقيه مقارنات بين حال المحب والمحبوب كشفت عن أسقام الاول وأوصاف الثانى ، ونريد ان نضيف اليها مقابلات أخرى محصورة فى نطاق معاناة المحب وعدم مبالاة المحبوبة على حد ما نجد عند المدغرى فى مقارنة بين سلوها وهنائها فى مراکش واغترابه وانشغال باله ، بين انطلاقها فى سرور دائم والتهابه على الجمر حزينا باكيا سجيئا مريضاً لا يجد طبيبا يعالجه ، بين نومها الطيب الهادى وسهره الدائم فى رعى النجوم ، بين قوتها اللذيذ وفوته المر ، بين زهوها فى صحة ونشاط ، ووهن عظمه ومزاجه :

انت امسليا فالبهجا ونا غريب لوطانى * مفروق عمن ابغاني

انت مهنى ونا بك احوارحى تشطنو (3)

انت اعلى اسرورك ونا فوق الهيب مكوانى * نصلى ابدمعت اعينانى

انت معافى وناقلبي فى اكياد (4) سجنو

(I) ازمان النوار كناية عن فصل الربيع .

(2) الديام الثياب واصليها فى الفصحى الاديم .

(3) اتشطنو احوارحو فهى مشطونة اى مشغولة ومهمومة .

(4) اكياد : قيود .

انت اعلى الزهو والفرجا ونا مريض لكنانى * ولا اطبيب دوانسى
انت ازيان حالك ونا حالى ازداد حزنو
انت افطيب نومك ونا نرعى انجوم ديجانى * مارام نوم لجفانى
انت امسكنا ونابك ادواخلى اتسكنو
انت الذاذ قوتك وناقوتى امرار بمحانى * حتى اشفاو عديانى
انت امختنرا ونا عظمى ولخلالك وهنو
ومثل هذا يخاطب به طامو :

مال جفنى ساهر طول البهيم * مال جفنىك فسروور امقيما
مال خدى ساقط ورقو اسقيم * مال خدك ففراح انعيما
مال حالى ناحل فانى اهميم * مال حالك فنزايه ديما
مال كبدي من هجرنا مال جعيم * مال كبديك كاسى ياريمما
واذا تركنا مثل هذه المقارنات - وسنعود الى نوع آخر منها بعد قليل -
نانا نجد الشعراء عبروا مباشرة عما يقاسون من احوال الحب ، فابن سليمان
يشكو السهر والقلق ونار خدوج وسلطانها الذى سل عليه الحسام
فأحس بالفالج يشله :

نارك فالقلب اتروج
واخيالى ما يخفاك عن امهاجى
سهران طول داجى
واعييت (I) مانراجى
اهواك صاك لى سلطان احريج
زادنى فالخاطر تهجيج
سال احسامو للتوديع
سرت مفلوج من زينها المفلوج (2)
والشاوى يشكو بدوره من خدوج ان طرفها رماه بسهم سام ، ويطلب
الناس ان يكلموها لتعالجه :

(I) اعبييت اى اعيانى .

(2) مفلوج الاولى من المفلج والثانية من فلج الأسنان .

جمرى من لهوا مسروج (I) * والحب ياعدو لى ارمى لى وسط لمهاج

حربا مسموما حر سنها وداج

. . .

قولوا اللا خدوج * روفى اعلى العشيق المجروح من لغناج

ابقى مسكين اينوح ما ظفر بعلاج

والملكى الصويرى هجم عليه سلطان حب فطومة بطغيان وأبطال زعماء

فتركه نحىلا يبكى ذاته السفيمة وحاله المذموم :

سلطان الحب صاك ببطال ازعام * ما قصد دونى راد اللطام

وناحلى انحيل ذاتى معدوما

والحب اطفى واتركنى يافوهام * كانغرد عن طول ايام

لا حالا اتشابه الحالى حالا مدموما

والحب كما عند امتيرد فى «بحر الهوى» اصم وابكم واعمى ، نحيل

مقيم لا دواء لدائه ، يختلط عليه الليل والنهار ويضيق به الفضاء الواسع :

مولاه اخريس اللسان واعمى من بصر الماحو *

زيزون اطرش ما يلو اسمع (2)

تراه افلوقات افقه ادجاه امن اصبحو *

ترابه ايضيق لوسع

ناحل ساقم ساخف (3) لعضا من تمكين اجراحو *

ما رامو فالدوايا اربع (4)

وهو كما يصوره عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» فى محنة دائمة

(I) مسروج : مشتعل .

(2) هذا تكرار من الشاعر لان الزيزون هو الاخرس وقد ذكره . اما الاطرش وهو الضعيف السمع ، فهو كذلك فى الفصحى اذ الاطرش بفتح الحاء الضم القليل .

(3) ساخف اى مرتخى وهشى عليه .

(4) اربع تحوير لربيع اقتضته القافية ، والمقصود به العشب (الدواء) .

نحيل فان نواح ، دموعه منهمة كالسواقى ونيزان قلبه هائجة ملتهبة ،
غليل لا يجد علاجاً لجسمه المنهك ، وقد بدا غير قادر على تحمل الحب او
على مواساة نفسه بغير البكاء ، بل انه لم يجد طبيباً لدائه العضال :

. . .

ونانحيل فانى

غير نرتى وادموع العين حايقا (I)

من فوق الوجنات ساجفا

نعنى لسواقى

وهيجت نيران اشواقى

اولا اوجدت الداياراقى

اعجز طبى والجسم صار امهيبى

. . .

ونامالى مقدار عل لهوا ياناسى

ولا اعرفت انواسى

بالبكا اجرحت احساسى

لا اطبيب ايزى كيتى امخالفا

. . .

ويشبه العلمى حاله المتقلب فى « المزيان » بسفينة تتقاذفها الامواج

ركائها طائر مكسور الجناح :

مثلى امع لغرام اسفين ما بين موج

موجا تلوحها موجا ترفدها

ولا اقدر رايسها يرصدها

غاديا فالبحر وحدها

اعلى جهدها

مثل الطير الى اجناحو واتى

ولا اشفق من تمراتى (2)

(I) حايقة : نازلة . (2) التمرات : المحنة والعذاب .

اما المدغرى فيشبه نفسه فى «البترول» بقمرى سكران فارق طير
جنسه ، واسير قيده نصرانى لا يمل من الجفاء ، وطفل فطم قبل الاوان
يفوق نواحه نواح جميع الاطفال :

نحكى قمرى اعلى اسطاحو سكران ايظل حالت الى مثمول
فارق طير اعليه ما نزل
ولا شى ميسور فى اكبالو واحل والى اميسرو ليس يطول
نصرانى وجفاء ما ايمـل
ولا صبي اصغير قبل احليبو مفطوم عن انهود معزول
تنواحي ما نوحو اطفال

لهذا فان هواه عنيف لو حكاك الحجر لتكلم ودعا له بالشفاء وعذر
حاله وقدر قصته التى فاقت كل قصة ، او للغراب لشباب واصفر لونه
وجرت مدامعه وبكت عليه أمة الطير ، او لجبل رضوى لاغمى عليه وذاب
وغداً بحراً هائج الامواج :

لو عدت اهوايا اعلى الحجر يتكلم وايقول لى الله ايشافى لضرار
حالك من حال الى اينعذر * عدات اقصيتك اعلى كسل اقصيا
لو عدت اهوايا اعلى الغراب ايشيب اتبكي اعلى امشيبو لامت لطيار
ويولى فى حالتو صفر * يرقان المدامعو من الوجد اسخيا
لو عدت اهوايا على جبل رضوى يسخف ويضحى ايدوب ابصحت لخبار
ويولى بشكايتى ابحر * موجو طوفان ما تسلكو بحريا
ويعتبر بهذا حاله كقيس ويدعو الناس الى رؤية صورة ابن الملوح
محسمة فيه :

هذا هو قيس يالى ما شافو اجدى اتشوف قيس ابعينك ما صار
قيس اغبر فى ساير الدهر * ونا بعد افناننى لهواويا
ومن لطيف الشكوى ما قدم عبد الرحمن القرى المراكشى متألماً من
النيه والضنا والشغف والهيام حيث اعتبرها ملوكا للعشق استغلت غياب
حبيبته « زهرة » لتستفر سهاما فى قلبه بعد أن قسمته بالقرعة ديارا

ومنازل ، حيث نصبت الخيام ودقت الطبول وصوتت الرعود فسالت
جفونه مدرارا :

ملوك العشيق اتمكنوا فقلبي جعلوه اقرار

عاد انزل التيه والضنا والشغف الهيام كلها الزم اقرارو

عن لسهام ابقرعت الصبايا قسموه اديار

نصبو لخيام ازامت الطبول ازكلمت ارعود هل جفنى مدرارو

وعظم الامر عليه وسعى الى الطبيب فأشار عليه بعلاج وحيد هو

وصال المحبوبة ، وارسل لها فرقت لحاله وحضرت ، فرفع اليها دعوى

ضد هذه السهام انها جارت عليه وتكتلت ضده :

لك ادعيت التيهان والضنا والشغف الهيام لبلهوا عنى جارو

اتحموا على افغبتك يا زهرت لزهار

ولكن السهام حاولت الدفاع عن نفسها فردت لتكشف عن حالها ،

وهى فى الواقع تتحدث بلسان حال المحب اذ جعلها تنطق بما يحس

وتعبر عما يكن . تقدم السهم الاول فشكا شر سلطان التيه يعظم حين

تغيب ، ورجاها ان تسكن لواعجه وتفك اسره وتعالجه بعطفها من الاسقام:

وابغيتك يازهرا اتشاهدى سلطان التيهان حين يعظم بشرارو

وقت ما غبت كيزيد بعد اللعات اشحار

. . .

وابغيتك يازهرا اتسكنى رعدى واتفكى اجوارحى من تيسارو (I)

واتدونى ابمدت لعطف تنج من لضرار

فأجابته زهرة بان التائه فى حسننها ينبغى أن يساعد ويلين ، والا

يعتبر نفسه متعب الفكر ، وبان طالب العطف والوصال ناج ، وان من شكا

لنغالب ظهر حقه ، وان العاشق الذى لا يبحث عن دوائه ليس جديرا

بالعشق :

وادوات ازهور قالت الذى تاه ابحسننى لا يظن فالتعب افكارو

يسعف غرض التيهان كان لاموا حالو يعدار

(I) التيسار : الاسر ، وفعله يسر

من طلب العطف انجا او من اشكا للغالب حقو ايبان واضح تشهارو
من لا يبحث فدواه ما يلسو فالعشيق افتخار
وتقدم السهم الثانى يشكو في كدر وحسرة ما اصابه من الضنا بعد
أن انقضت لحظات البرور والسرور ، ويأمل ان تعجل له بعلاج ناجع
ينقطع به السهر ومراقبة الطيف وتكف به الدموع المتهاطلة كالامطار تسقى
اقحوان الخدود .

زاد السهم الثانى افحسرا * شاكى امن الضنا متكدر تكدير
قال أزهررا بعد لمبارا * واسوايع الزهو وليت افتحسير
راشف من خمر اضاك غمرا * نبغى اتبادرى لى بعلاج اجدير
وابغيتك يازهررا اتمهلى عن صور الدمع لغزير هاعم بمطار
غرس الكحوان اعلى الخدود واسقاه امن المدرار
وابغيتك يازهررا اتنولى عطفك لى فاندجا امراقب غرارو
هاجر لهجوع الطيف صورتك متشخص لبصار
فأجابته زهرة بأن من واجه ضنا القدر والشعر الاسود وسهام العيون
وغرة الجبين الساطع فان تقبيل الخد يوافقه علاجاً يريح أعضاءه ويزيل
كسره :

قالت زهررا من صادف الضنا بين القدر اتيت ليل غاسق تعكارو
واسهام العين اغرت الجبين الساطع بنسوار
تقبيل الخد وافقوا ايلا عظم اضمناه طردوا من اصميم اسيارو
اصيب السراح فى اعضاء يرتاح من التكدار
وتقدم السهم الثالث شاكيا نار الشغاف التى تذيب جسمه شر اذابة،
ثم لا يلبث بعد احتراقه ان يجد الثلج يحيط به والزمهير ، ويطلب منها أن
تعالجه باطفاء جمره وتبريد جسمه :

والسهم الثالث دون فترا * زاد اشكا امن الشغف ابقول اجهير
قال ازهررا نارو الزافرا * بها اينوب جسمى تدواب اشير
بعد ايولى فالنار قاترا * يلقي الثلج حايط به وزمهير
وابغيتك يا زهررا اتعالجى من ولى مثل الحديد مهلى فجمارو

والثلج احذاه (I) ايلا القى من الشغف تبرد اجمارو

(I) احذاه بجانبه ولعل اصلها فى الفصحى هذا حذوه .

فاجابته زهرة بان من طغى عليه الشغف واسره وجعله يشكو
الاضرار لا بد واجد علاجه فى خمر الشجر :
قالت لوجيبا امن اطفا عليه الشغف اجعلوا يسير واشكوا بضاروا
لا بد اعلاجو ما يكون فمصالى من الشغار
وتقدم السهم الرابع فى النهاية فرجاها ان تؤمنه حتى لا يفتك به
الهيام عقابا له بعد ان شكاه ، وهو غير قادر على مواجهته :
وابغيتك يازهر انا ائمانى خوفي من فتكو امنائى افشيت اسراروا
لا ايعقبنى بعد السكون ونا مالى مكدار

وكان جوابها أن أمرت بنصرة الشاكين :

وادوات المحبوبا او-آمرت اسهام الشكيا ابود لعطف يتصاروا
كل سهم انظرتو ابعين لعطف سرا واجهار
وكانت النتيجة ان اسر امير العطف ملوك العشق وانتصر على ارباب
أهل الجور ، فلم يجد للتيه والضنا والسقم والهيام اى وجود وزال عن القلب
همه وكدره :

جاوا ارباب هل الجور عند زهرا طلبوها افلمكار يبقى تكداروا
فى قلبى حاربهم مير لعطف بوفى لمزاروا
ملوك العشق اضحاوا يسرا * فسنبسل لعطف يسرهم امزاروا
ما باقى للتيه جرا * وكذلك الضنا متضمحل اثاروا
والشغف اجنودوا افكسرا * جند لهيام كاشف لعطف عياروا
...

زالت عن قلبى الكسرا (I) * فبساطسلطنى اضخام فى تسواروا
ولم يكتف الشاعر الشعبى فى التعبير عن حاله بمقارنته بحال
محبوبته او عرضه فى نوع من الشكوى وانما لجأ الى لون طريف من
المقابلة جعله يدخل فى حوار رائع مع بعض الاشياء الاليفة لديه على حد
ما تجد عند امتيرد فى « الشمعة » التى يقول فى حربتها ، مستفسرا عن
سبب نواحها :

(I) الكسرا : الغمة :

لله يا لشمعا كرى واعلاش د النواح والناس افلفراح
وانت اجواهر ادموع ابكساك الا اهطيل
وعلى حد ما نجد كذلك عند محمد بن الوليد فى شمعه مستفسرا عن
نفس السبب :

واعلاش يا لشمعا تبكى مالك * عدلى واشيرو اسباب ابكاك
ونقف قليلا عند شمعة ابن على العمرانى التى يقول فى حربتها :
لله يا لشمعا سلتك ردلى اسوالى * واشبك (I) فالليالى تبكى مادالك اشعيل
فهو يطلب منها أن تخبره بحقيقة أمرها مؤكدا لها أن أمره أعظم وأخطر :
ليا دون اخفا اشكى إيا فخالك وإحكى قصتك نصغى لك
وناقصتى بها نتعداك

وقبل أن يتركها ترد على سؤاله يفترض أنها تبكى من نار أو سقم أو
فراق ، ويقارن بينه وبينها مبينا أن نار قلبه فاقت كل نار فى جسمه العليل ،
وأنه ورث سقمه من قيس بعد أن أفناه سقم حب ليلي ، وأنه مفروق عن حبيبته
صابر على الفراق . ويتساءل عن سر حالها ما دامت لم تفارق خليلا أو خيلة:
إذا باكيا من نارك نيران فى ادخالى

عدات كل نار افذاتى واجوارحى اعليلا
ويذا باكيا بسقامك شوفى اسقام حالى.

من قيس وارثو بعد أفناه اسقام حب ليلي
ويذا باكيا بفراقك مفروق عن اوصالى

واعلى لفراق صابر شيصبرنى اعلى لعقيل
ونت امنين جاك احكى لى اللولى والتالى

ما فارقا اخليل ابحالى ما فارقا اخليل
وتجيبه بأنها كانت فى الاصل نحلة تصول فى مملكتها محجة لا تخرج
الا فى أيام الربيع لقطف الزهور ، ولكنها هوجمت فى عقر دارها ، وأخذت
للمعصرة حيث صفيت ليتخذ شهدا قوتا ودواء ، وليلف شمعا على فتيل
ويوضع على حسكة (2) ويشعل ليلقى عليها قطراته ودموعه . ولكن الشاعر

(I) واشبك : أصلها اى شىء بك . (2) الحسكة : الشمعدان

يصبرها بانها ان فارقت مملكتها وبنات جنسها فهي في صحبة قوم آخرين
أفاضل ، حيث تسهر مع أهل المال والعشاق وفي مجانس العلم وبيوت الله .
وتضطر الشمعة في الأخير الى الاعتراف بأن ما تقاسيه من نار ليس غير عشر
ما يحسه ، وأن قصبتها ليست سوى احدى قصص عشقه وهواه :

صبرنى يا حبر اللغا بشعارك ليا ايخبروا بخبارك

يدريه امن ايكون اسوايا واسواك

نارى نحيكها كم لعشور افنارك واسرارى اتجى لسرارك

قصا امن اقصىص عشقك واهواك

وكما توجه المحب الى الشمعة فكذلك توجه الى الحمام ليبيته شكواه
مما قاسى من الجفاء ومن هجر المحبوبة لرسمه بعد أن نصبت لها الشباك ،
كما نصبت لانشى الحمام . ويسأل الرسم فلا يجيب فينسكب دمه لان كل
حبيب يزوره محبوبة الا هو والحمام فانهما لا ينعمان بهذه الزيارة . يقول ابن
سليمان مخاطبا حمامه بهذا الكلام :

فرب نحيكى لك يا حمام اعلى ما قاسيت بالجفا

كيف اجرى لك هكذا أجرى لى نعتاد الطير ما يزوم الغيرو خواف

نصبو ليه الشبكات عديانى كانت فيه حالفا

ونابهم كنت ما نبالى مايحصل عندهم لولا صادفوه اصداف

طيرى ما هو طماع غير الوعد الغلاب ما اعفا

خلى رسمى ياحمام كيف اخلات التنا ارسامك بعد التولاف

سولت المرسوم لا اخبار اعطانى والدمع ساكفا

بالتغراد ايقسم الليالى غير انا يا حمام وئت في ذا التشغاف

راكل احبيب ايجيه محبوبو ويزورو عل لوف

واييات افراحا اسليم سالى فاش ايجيه الرقيب لودار الفشواف

وقريب من هذا ما نجده عند ابن على الذى وجد المرسوم خاليا من

المحبوبة فقال :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك خالى مهجور

سكانك جابونى انزورهم لله وايسن ساروا

واعطنى لخبار

ومثله الكندوز الذى يقول فى رسمه :

جيتك يا رسم الباهيات صبتك حاجب لبدور

حجبهم عنى او شوقهم زاد القلبى نارو

مكوانى صبار

واذا كان ابن سليمان قد قابل بين حاله وحال الحمام فان ابن على أدخل

الم رسم فى المقارنة فجعل يبكى على الشمعة يقول :

أنا والمرسم يا حمام ثالثنا فالز هو انت

الم رسم يبكى اعلى الشمعا وانت تبكى اعلى النتاونا عل لغزال

فقد ألف المرسم الشمعة وطنها لا تغيب ينظر الى ضوءها كلما حضر

المحبيب ، وألف الحمام أنثاه كما ألف المحب حبيبته فى رسم لا يطأه أحد

غير هذه المجموعة الاليفة وغير القدر المحتوم ، والفراق الذى شئت شملها

وتركها فى حال يبكى له الجماد كما بكى لسرورها الاعداء والعدال :

والفت المرسم يا حمام الشمع تحساب نابتيا

وقت ما تارك لغزال اضياها شعال

ونت تننعم كيف تننعم لعقول المحدثا

والفت انتاتك كيف والفت انا لجمال

فى رسم امعظم ما اوطاوا اوطانو خيل لعت اعتا (I)

غيرانا وانت والنتا والشمع ولغزال

والوعده امحك ولغراق اللى غيرنا امثالنا

كيفى كيفك يا حمام كيف المرسم فالجمال

لنايبكى الصم ولقصا وانبيكو اللى صامتا

كيف ابكاوا اعلى اسرورنا لعدا والعدال

ومع كل ما يعانى المحب من آلام ، فهو لا يتردد فى تقديم الطاعة عبدا

مملوكا لمحبوبته عساها أن تكون راضية عنه . فامتيرد يرى الطاعة أمرا واجبا

فى الغرام فيخاطب فاطمة بمثل هذا القول :

(I) خيل لعتا اعتا : لعل المقصود بها العاتية

. طاعتك لازم عنى واجبا افلغرام

وابن على يتساءل عما اذا كانت ستقبله زينب مملوكا لها يلزم الباب :

يا ترى تقبلتنى مملوك لازم الباب

والمدغرى يتعلق بحرم فاطمة ويرجو ألا ترفضه خادما وعبدا على الطاعة:

زاوك افحرمك قبلتنى اخديم الاك طيما اعبيد اعلى الطاعا يا طيما

وهو يشهد الناس أنه غلام أم كلثوم دون ما بيع أو شراء لا يرى

فى ذلك أى لوم :

شهدوا باين وديت فختامى أنا اغلام كلثوم دون البيع والشرا مافيهامشى لوم

وهو فى «لعشيق ديم» يغلب مملوك يخدم ركاب سيده يسير أمامه

أن ركب عارفا بشروط الركب وآدابه :

مملوك سرت نخدم من تحت اركابو سابق كدامو ايللا اركنب

حافظ فضميرى اشروط الركب

والعلمي يتمنى لو أن المزيان يبادل نفسه الحب حتى تتساوى العواطف

ويرتاح من الجفاء مقابل مضاعفة الطاعة والخدمة دون ما تقصير :

لو كان اكما نبغيك تبغينى تنقاد (1) لمحبا تسخر للجانبين سر الصدق الامان

انتيا من لجفا اتنهينى * ونا انزيد فالخدم والطاعا اولا اتشاهد منى نقصان

والمزيان بدوره يوصى محبه أن يصبر على جفاء كاسبه وسلطانه وأن

يخضع ويركع بين يديه ويتأدب لجمال صورته فى همة وشان ، وهو بعد

هذا لا يريد مالا أو غنى وانما الطاعة ، وهى فى مكانه :

تصبر لجفاى ايللا اعشقتينى *

عشاق لبها مكسوب المليلج ابلتھر ولبها سلطان

واخضع بين ايدي واهدينى * بندق (2) اكيالتي واتأدب لجمال صورتى بالهما والشان

وامتاع الدنيا ليس يغوينى * لكن طاعتى تملكها يا عاشق لبها بالخير والحسان

والعلمى فى «توكت لهلال» مملوك لا يخرج عن طاعة سيده ويستبشر

لاوامره ونواهيته ، ويرى ان الغلام لايد أن يطيع مولا كما يشاء ويرضى :

مملوك مايلي عن باب الطاعا اخروج

(1) تنقاد : يصبح لها قد واحد أى تتساوى

(2) بندق : طأطأ وركع للسلطان

نرضى المن يكسبني ابهاه
نستبشر عن أمرونهاه
ولغلام ايطيع المولاه كيف يرضاه
ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش لام الغيث :
مانا الا عبد قلت لها وانت يا مولاتى ابساين (I) ترضاي ارضيت
بل هو حين يستغيث بها ويطلب منها أن ترحمه بقبلة قبل فوات الاوان
بؤكد لها أنه عبد موروث:

قولوا الال غيث رنابك كانستغاث
روفي اعلى افريد اهواك وغيثيه
يا للى ببهاك اسبتيه
لاش على الجمار ارميته
احميه ابقبل بالغالبا قبل ايفوت الفوت
ياك اتعرفيه الالا اعبيد عندك موروث
ويرى الحاج احمد امر يقق نفسه مكسوبا لزينب بحكم القدر المحتوم
ولكنه راض بما كتب له :

بالحكم الواجب * عبدها متملك مكسوب
راضى مكتابى * شفت العين اجنات كما اكتاب
أما الفقيه العميرى فخديم لزهيرو صابر على هجرها :
صابر صابر العجبها اشحال ونى مملوكها اغلام
وعاد صابر اعلى اهجيرو

ورغم كل هذا التفانى بظل المحب يعانى من الفراق والهجر والنفور
والغيب الطويلة ويخبر العلمى عن فراق محبوبه الذى جفاه وتركه فريدا
بلا عقل ، يراوده طيفه وخياله ، فيقول :

كيف ايواسى اللى افرق محبوبو وابقى ابلا اعقل فى لرسام افريد
كيف اجفانى احبيب قلبنى
ظل غير صورتو وانعوتو واخيالو

من لاعمرى انظرت زين اقلبدور ابحالو

ويصور لحظة الوداع وقد ذهل وثقل لسانه وارتخى جسمه وانهمرت
دموعه ولم يقل شيئا لمحبوبه :

ماصبت حين ودعنى ولفى ما نقول

دهلوا اجوارحى واثقل السانى

وارتخاوا اعزوق ابدنى

وهطلوا بالدمع اعيانى

ولكن محبوبه حياه وجلس اليه وجعله يستمتع بقربه قبل أن يودعه
وبمنحه قبلة الرضى ليركه مسلوب العقل :

أولا اسباني حتى جاني اقلون قانى

واحيانى بالسلام واجلس واسطبت (I) اكادو

امنين شافنى امسلى نيم شفرو وقال لى ودعتك يا سيدى

قبل بعد لوداع راضى باش املكنى

اوهاز عقلى وامشى فى حالو

ويستعظم المدغرى فى «الكنائى» يوم الفراق ، وقد تركه أحباؤه مكويا
ينوح فى حالة تدعو الى الرحمة والاشفاق .

معظم ذاك اليوم فاش صدوا ناسى وامشاوا

تركونى نواح فى ارسيم اضميرى كارى

يحسن عون اللى امشاوا ناسو من بعد اكوا

وهو كالعلمى لا تتركه المحبوبة فى «الفراق» دون أن تسلم عليه ، ولكن
ليس بقبلة وانما بعناق كاعتناق حرف اللام ألف :

لا اعيد افراق المعشوق يالعشاق بعد ما عنقنى تعناق لام مرشوق

وتطول الغيبة بالعلمى ، فيشتد غرامه ويقوى عزمه ويطول كتمانته حتى

كأنه مسحور سحره راهب رومى يستحيل أن يحن قلبه فهو أقسى من الحديد،

ويتساءل عن هذا السحر أهو طلسم او تعزيز فى الجدول بخط عجمى :

اشتد غرمى واقوى عزمى

(I) اسطاب : استمتع ، وأصله استطاب

اعيتت نكمتى

كيف الذى داخلوا سحور اعلى قلب اجواه
والى سحره ارهيب رومى امحال يحن ليه قلبو اقصى من لحديد
ما تعرف داسحور طلسم او اعزيم ابخط عجمى .
وهو قد اشتاق الى جمال محبوبه ولم يعد قادرا على تحمل الفراق رغم
صبره الشبيه بصبر قيس على غرام ليلي وصبر عنتره على غرام عبلة ، خاصة
وانها لم تبعث له رسولا أو مكتوبا ، مما حيره وجعله يسأل عنها كل من لقيه :

طالت أسيدى هذا الغيبا

واتوحشت ابها

اولا قدرت للفراق امعا

...

نصير اكما اصبر قلب لعشيق النكيب

قيس لغريم فهوى ليلي

واشواق عنتر من عبلا

...

لاكتب لارسل اقدم من عند الحبيب

اجميع من القيت انسالوا

وانقول احبيبي مالو

ما بان ما ظهر بخيالو

وهكذا يبدو الفراق على حد قول المدغرى مزهقا للنفوس مجفقا للريق
مشيبا للشباب مروعا لسرور العاشقين بخيول جيشه وأعلامه ونباله الممزقة
انفتاكة ورماحه المريقة للدماء :

ريت لفراق اوعدى بالنفوس زهاق ❁ افلحلقم ريق اهل الشوق به مسروق

ريت لفراق ايشيب بالصبا ولشواق ❁ كن عاشق فصباء امن الفراق مخروق

ريت لفراق بسرور العاشقين ملاق ❁ ابليخول افجيشو واعلام ليه موثوق

ريت لفراق انبل سهمو اسريع مزاق ❁ من اسنون ارماحو دم لعشيق مهروق

فلا عجب والبين بهذا الاثر أن يتخيله ابن سليمان حجابا بينه وبين
حبيبته فى شكل سور رواقى من الحديد عرضه خمسون ميلا ، له باب يسمى

باب الرضى ، لكنه فى الطرف الآخر قد أغلقتة الجببية :

سور البين ارواكى امن الحديد عرضو خمسين ميل فوتاكو (I)

هذا انظن به اغزالى تضريك (2)

بابو اسميتو باب الرضى من عندو مغلوک

وعلى عادة الشاعر الشعبى الشغوف بالثشبيه والمقارنة والرمز فقد
تخيل المحبوب الهاجر طائرا نافرا خصه بقصائد أطلق عليها «الطرشون» ،
وهو اسم لنوع من الطيور . يقول ابن على العمرانى متحدثا عن طرشونه الذى
غاب وهو يخاف أن يصطاده أعداؤه فيتشفوا فيه وينتقموا منه :

طرشونى مزلى فالصيادا ماريت ابخالو لله واش ما شفت لى طير غاب لى
خوفى ايصيدوه اعدايا ويقطعو احبالو يقدوا فيه ثار المغلوب الا ايقدى
ويقول ابن على المسفيوى عن طرشونه الذى غدر به وجفاه فانهكه فراقه ،
وهو يطلب من الله أن يجمع به الشمل ويحقق الامنية :

طرشونى غاب ياهلى واغدرنى واجفانى وافراكو رشانى

نسعى لكريم به يجمع شملى وامنايا

والمحب لا يعانى من الهجر والنفور فقط ، وانما يعانى كذلك من اللائم .
ونجد المدغرى يعذر لائمه لانه لم يذق من كؤوس شراب الحب ولم يجرب
انهوى وأهواله وكياته وآلام الفراق والهجران :

لو ذقت يا لايم كيسان اشراى تعذر من روحى الشاربى

واتجرب لهوا وجمر اشراىو

واتشوف كيتى وهجرتى واشغابى واجنود الهجرا الشاغبا

وامحاور لهوا او حر اشغابو

ونجد العلمى مثله يلتمس العذر للائمه الذى سلم من الجراح والظعن

واللسع ، فيقول له :

سر أمن لام

ذاتك من لجراح سالما

(I) اى فى وثاقه ، والمقصود الاساس

(2) تضريك : تستر .

ما طعنوك اشفار نايم

ما بهضوك انيام

مالسك امن الصدغ شى ارقيم

ويقول للائم آخر ينهاء عن اللوم حتى لا يبتلى ، ويؤكد له انه لو ضمن

سلامته من الهوى لما مل من سماع لومه أبدا :

كف للام

دعنى يالايم

حالى بلام يكفاك مشتغل

سلم يامن لام لا اتبلا

لو اعرفت لهوى بلامك يتراك

ما نقنط بلام

ما نمل من قولك هيهات ما نتخلى

ومن عجيب أن احمد ابجوات استطاع ان يؤثر على اللائم ويجعل قلبه يرق وينذهب رسولا الى فاطمة . فهو بعد أن نهاء عن اللوم وحذره من الوقوع فى الحب ، طلب منه أن يسأل ويجول ويستفسر عن الباب الذى يمكنه أن يدخل منه دون خوف . فاذا كان يريد أن ينظر فليتنظر الى حال جسمه العليل ينبئه بالخبر اليقين ، واذا كان شجاعا من الابطال فليقف الى جانبه ليحميه ، واذا كان حكيما منجما فليسلب له عقل محبوبته مقابل ان يهديه نفسه ، واذا كان يوالىها فليذهب اليها ليلومها وينهاها كما جاء يلومه وينهاها حتى تجود له بالوصال ، وسيقيم له اذ ذاك ليلة زهو-وسرور مقابل ما قدم له من مساعدة . فلم يلبث اللائم أن أخذ فى البكاء وذهب الى فاطمة يحمل لها رسالة الحبيب :

ألايم لا تلوم سلم

واعذر ناس لغرام

ليديك الله أتزطم

بالنعل افلمقام

من لا يوزن ولا يخمم

محسوب من لغشام
والناس احوال
والحال امن اهلو ماتحول
نبغيك اتسال
واتسقى (I) بعد ما تسول
وتجول اشحال
وتعرف الباب امناش تدخل
ياك العقل نور من صنعت العالى
سر به الحكماء حاكما
القلب ايشوف والنظرا للعين السرديا
ويلا كنت اتشوف شوف اخیالى
شوف من حال الدات الساقما
لعل اىخبروك بالكتم فالسريا
.....
ويلا كنت اشجيع من لبطالى
.....
أجى فكتافى اوكون لى فانتحزار احميا
ويلا كنت احكيم
نزل اشكال اسرار العاطما
واسلب ليا عقيلها ونالك اهديا
ويلا كنت اعلى للمليح اموالى
سير بعدا لوم اعلى فاطما
وانهيها كيف جيت اتنهينى وارغب فيا
مضر اتجود لى بوصالى
الى اتجنى بالزورا عازما
نفرح بمجيك واتقيم ليلا زهويا
شفيت لايمى وابكى من حالى
.....
وارجع حتى ادى امعاء ابرا (2) بخط ايديا

(I) تستفسر ، واصلها فى الفصحى تستقصى . (2) البرا : الرسالة .

والشاعر الشعبي لا يكتفى بالشكوى مما يعانیه وانما يحاول أن ينفذ إلى قلب حبيبته والوصول إليها بشتى الوسائل ، يحاول بالرجاء والاستعطاف على حد ما نجد عند العلمى الذى يلتمس من محبوبه أن يحن ويشفق ويعفو عنه وينبهه وينهاه ويطلق سراحه ويفديه ويزوره ، وهو مستعد لقبول كل الشروط :

قابل اشروطك حن واشفق واعطف لى اهاوك زورو ويزورك
نبهو وانهيہ اينهيك سرح مسجونك يالجافى وانعم لى ابلفكاك
وافدى ميسورك لن حالو محسوب اعليك واعلى مغلوبك جد واصفح
وعلى حد ما يسمعننا الطيب الواسترى الذى ضيع اوقاته (I) وافنى ذاته طمعا
فى رضى المحبوب وتفانيا فى حبه :

ضيعت فيك اوقاتسى ❁ راضيت فيك واراضيت

واعييت ما نطمع ذاتسى ❁ رضاك يا من اهويت

رفا ياضيا مقلتسى ❁ رنا ابحبك افنيت

وهو لا يطمع الا فى أن يندكره ويزوره :

أنا افعارك مسطاني نومي ازيارنى واتفكدنى يا عنايتى

يامن طاعوا ليك بالقهرا تينات

وابن على المسفيوى كذلك لا يطمع من محبوبه فى غير الزيارة :

ياهلل الزين المهيوب ياالحبوب جدلى بقدامك ياضيا اهدابى

والمدغرى يطلب من الله أن يجمع بينه وبين حبيبته فى اعتناق على النهدي

حميل :

المولى لاقى لاقى ❁ اقريب لاقى

لائى لاقى ❁ انعاود عناقى

اعلى النهدي مازين التعناق

والكندوز لا يرجو من حميل نحال الا أن يزوره ويصله بعد ان عذبه بنيهه :

أيا سابغ نجال ❁ عدينى بالتيه يا شملاى

در زسمى يازين الخال ❁ كم لى نرجو لوصال

(I) نعهه يفصد اوقات الصلاة كناية عن الدين

أما سيدي العربي مول الغربية فهو يوجو من أمير الهوى بعد ان ملك
عقله وشوى كبده ان يجرود على أغصانه بغيث يروى غرسه ونباته :

يامالك عقلى بكلكبادتشمواوا جد باعطارك لغصانى انبات راوى
وقد ترق المحبوبة وترد ولو باعتذار كما فعلت مريا التى زادها الفلوس
نارا بشكواه ، فخافت عليه أن يذوب من كثرة السهر ، ولكنها أكدت له مايعرف
من أنها تحت حكم أهلها ، وأنهم لا يرضون العار ، وأن المحكوم لا يبد وان
يخضع لقدره :

وادوات اغزالي اهلل عيى قالت لى يا عشيق حسنى زدتنى نار
خوفى غير اتذوب بالسهر ذات العشاق دايبا بالولفيا

...

قالت لى يا عاشق لبها تدرينى تحت لجكام واهلى ما ترضى عار
والمحكوم ايصرف لقسدر هذا عذرى احكتلك دون اخفيا
وسألها عن الحل فى هذا انوضع فدعته الى الصبر لما فيه من حكمة خفية ،
فما كان منه الا أن قبل الارض ورجاها ألا تحرمه من رؤيتها ، وأخبرها انه
سيلازم الابواب صباحا وعشية :

قلت لها يا رايت لملك كيف المعمول فدنى يدامى (I) لوكار
قالت لى مصقولت الصدر الصبر املح فيه حكما سريا
طحت وبست الارض قلت لها ما عندى ما انقول يا من حزت توقار
لا تحرم جفنى امن النظر هانا عند لبواب صباحا واعشيا
وقد لا تلتفت المحبوبة فيلجأ الى بعض العتاب كما فعل امتيرد وهو يصارح
طامو بأن الافاضل يستحون من العيب وانها لم تستح ولم تكافىء ولم تكرم
ولم تجاز ولم توف أو تواف ، ويحذرهما فتنة الجور ونهاية الظلم ويذكرها بفناء
الدنيا وأهلها وبرحة الله التى تشمل الجميع ويدعوها الى أن تغتنم شبابها
وتزوره قبل فوات الاوان :

والعيب يا بدع الصورا به لفضال تحشم

وانت ما احشمت

ما كافيتى

ماكرمتى

(I) الدامى : الغزال

ماجازتى
ماوافتى
ما اوفتى
الجورفتنا
والظلم انهايتو الضنا
نهجو نهج اظليم
والدنيا كيف اترايها ابهلها راحل وامقيم
عنمى صغرك ربى ارحيم رحمان
فضلو اكثر
وارحمو منشورا لعل اعاده
بها اجميع يرحامو
زورى احبيب قلبك والمولى يالريم غفار
ومثل هذا يقوله العلمى لمحبوبه بطلب منه أن يرحمه بعد ان اهلكه ،
ويلبى طلبه لكى يجزبه الله ما دامت نجومه مضيئة وهلاله ساطعا بين الافلاك
قبل أن تحجبه غيوم الزمان وتطفىء نوره :
وارحم بعد لهلاك
واطلق مطوبك
ناجر لكريم ايكفيك
ما حد انجومك ضاويا واهلاك بين نفاك
من قبل اغيومك
اينطف ضو ويخليك
وباعنف من هذه اللهجة يؤنب امتيرد فاطمة (I) فى عتاب ممزوج بوعظ فيأخذ
عيبها أنها تنكرت له بعد عشرة طويلة حسنة ويكشف نها عن عيبها وقد تجلى
أثره فى سقام جسمه، ويلفت نظرها الى أن أهل الحياء لا يصدر منهم عيب مهما
طال بهم الحال ، وأن الجميل يساعد لنساعده الايام وأن القبيح يصادف
سائج أفعاله :
I) يطلق الاسباح على قصيدة فاطمة هذه : «اتراي فاطمة»
أى ترينها .

بعد حسن العشرة واكمال طيب المرام زام رعدك واهطل بفراثنو اسكيبو
بان عيبك واغشاني فالجوارح اسقام وناس لجيا لوطال الحال ما ايعيبو
لمليح امساعد وامساعداه ليام ولمبيح افعالو وامصايو اتصيبو
ولا يكتفى بهذا بل يزيد في وعظها عساها ترق وتدين ، ويحاول ان
يفهمها ان لكل شىء نهاية مهما علا وعظم ، وانها لو كانت قصرا ضخما على
الحيطان لانهدمت اسواره ، ويدعوها الى أن تستيقظ من سهوها وتيهها
وتنظر في حال من سبقوها لتعرف انها منتهية مثلهم :

كان كنت اقصر اتلى او حاز تضخام لو اعلات الحيطان اسوارها ايريبو (I)
كان اسهيتى اتيقظي من حال اسهوك وبلا تهتى التيه اتعريك ايامو
طرى بلامح نبصار الى سبقوك اما فرغوا يفرغ سوفك وازحامو
ويختم تانيبه بمصارحنها بانها ان رفعت قدرا صغر ، وان الادب
يدل على النسب الطيب ، وبان شمسها مهما اشرقت فان الليل لا محالة
حاجبها ، وبان عمرها مهما طال لا بد وان شيب الكبر يصيبها ، وبانها
مهما حكمت واستبدت في الحكم فان ساعة الظلم لا تدوم وصاحب الظلم فان:
ايلا اترفعي قدرك يصغسار لاداب ايدل اعلى اكمال طيب النسما
واشرقت ولاحت فالجوشمسك اعلام لاغنى الليل ايدى خلفها احجيبو
لو اتعيشي ما عاشو فالزمان لهرام لا غنى من لكبر اتبك جند شيبو
ولو احكمت واتحكمت يفرغ لحكام ماعت الظلم تفوت وناسها ابغيبو
وهو لا يحاول ان يعتذر عن هذا العتاب وانما يلج عليه تانيبا لها لو
عقلته ، ويطلب منها أن تنخلي عن الصد رجاء وتنظر اليه وان تصون
عرضها وتكنم عيبها وان تقي بالقول الصادق . ولا يترك خطابها الا ليؤكد
لها عتابه وانه سيعود اليه :

حدثك الحديث للعاقل تنبيه تركسى صد الجفا اوصولى فوصالى
عرضك صونيه وعيبك الناقص كتميه ما احلى من فا بالصدق والقول الوافى
حافيتك ابلحفا او ما زال انحافى (2)

(I) ايريب مضارع راب اى انهدم (2) انحفا : العتاب وعلمه حافى .

وقد يلجأ المحب في محاولاته الى ارسال مبعوث يخبر المحبوبة بحاله وبناته بها ، وقد اطلق الشعراء اسم «المرسول» على القصائد التي تحكى ذلك. ومن اروعها مرسول الحاج احمد الغرابي الذي بعثه من مراكش الى فاس بعد ان أخذ منه العهد انه سيحضر له محبوبته ، ولكنه عاد بمفرده ولم يحقق الغاية من سفره ، فاسقط في يد المحب وتاه عن عقله وانهمرت دموعه ، وسأل المرسول اول ما ساله عن المحبوبة التي وعد باحضارها ضدا في العواذل ومقابل مكافأة سخية ، تلك المحبوبة التي اشتاق الى خيالها وفارق من أجلها احبابه ووطنه ومنزله وعشيرته :

ليه ارسلت ارسول اعلى او عس يبلغ قصدى امناه وايتوك اهلallo
وايسلنى بعد لفراك كيف اتسلت ازمان
قاولنى مرسولى ايحضر و امسكت العهد لوثيق واحصرت امقالو
من البهجا لمدنت لحضر صفتو (I) عجلان
امشى وارجع بعد حين وانويت جابو كيف قال وفا فقوالو
وانصيب ولى افريد واعلاش امشى ما بان
مهما سلمت اعليه طاش عقلى واخرجت عل لحوال وادموعى سالوا
اول فكلامى قلت له واين دابل لعيان

. . .

ياك امرسولى قلت ما تولى حتى ياتى امعاك ضد افعدالو
ونا نسخى ببشارتى (2) انهار اتجى بالمزيان
ارسولى واين لحبيب وين (3) ادى اتينكت اخيانو
وافرقت احبابى ولوطان ورسمى والعشيران
وما زال يلح على المرسول ان يخبره بحال المحبوبة وسيرتها وهل هى
سالية او مثله مهمومة شاكية ، باكية منكدة ، حتى أنباء — بعد ان مهد له بان

(I) صافت وصيغت : ارسل .

(2) البشارة في الفصحى التبشير ، وهى هنا المكافأة التي تمنح لمبشر .

(3) واين بمعنى اين ومثلها وين .

لا غنى عن الصبر لكى يهون الصعب - ان اعداءه حاموا حول محبوبته
وانهم لا شك حرزوها ومنعوها عنه ، ولكنها تشكو افتقاده ناحية حزينة
بالليل والنهار ، فقد استطاع المرسول أن يصل الى دارها ويبلغها كتاب
حبيبها الذى عظم فى عينها ، فقبلته وقراته بكثير من التحقيق ودمعها يسيل .
فكان جوابها أنه من المستحيل أن تنساء ما دام لم ينسها وانها تشفق عليه
من المحن التى لا قبل له بها وان القدر هو الذى فرق بينهما وان لكل قدر
كتابا واجلا وان ايام الهجر لا محالة منقلبة الى سلو وسرور ، وهى تريد منه
ان يمهلها حتى تصادف غفلة الحسود او تضلله فتلحق به ليغنى ساعة زهو
يرتشفان فيها الكؤوس ، وتؤكد له ان ذاتها وبهاء حسنها وصورتها
وجمالها وروحها وكل جوارحها ملك له وانها ان تخلت عنه تكن خائنة :

امرسولى لله فدنى واخبرنى عن سيرتو واحالو واحوالو

سالى ولا كيفى اهميم شاكى باكى نكدان

قال المرسول اعاشق الزين اصبر لا غنى والصعب يهوان
محبوبك دارت به اليديين لا ريب حرزوه اعليك العديان
لكن من فقيدك ناحب احزين نواح فالضيا وعكاب (I) الديجان
محبوبك اوصلت المنزلو بكتابتك وارفع ملتقاه ابتقبالو

واقراء اوحق اشواهدو اودمع انجالو هتان

قال احبيبي محال ينترك من بالى ونا ما اتركنى من بالو

حاشا حتى نرضى انمحنو ما يستهل لمحان

غير الوعد افرقنا بهكذا قدر مولانا او كل وعد بمجالو

وايام الهجر لا غنى اتعود اسرور وسلوان

قلو ايمهل عنى حتى انصيب نغفل لحسود او منى ينضالو

وانجيو انغنم ساعت الزهو برشيف الكيسان

ذاتي وابها حسنى اوصورتى واجمالى والروح ولعضا مكسوب لو

الى دزت ما دمت افلحييا يحسبنى خوان

ولكن المحب يرد على المرسول بانه يخاف ان تطول مدة الهجر التى

(I) عكاب : اى عقب .

تعد ساعاتها في حسابه يوما واليوم زمانا :

جوبت ارسولى قلت له خفت ايام الهجر اعلى اخبيرى يطوالو

عنى ساع فى عوض يوم واليوم فى عوض ازمان

كذلك قد يلجأ المحب الى القضاء عساه ينصفه من جور المحبوبة ،

وقد اطلق الشعراء على هذا اللون من انقصائد اسم «القاضى» :

وقد ذهب امتيرد الى القاضى ليفصل بينه وبين حبيبته بعد أن غابت

عنه وهجرته وتكررت له ، وهو من حبها مروع مسحور ، ويرجوه ان ينظر

فى حاله ويطرد عنه الاكدار :

وهو ياودى جيتك يالقاضى تفرقنا ابلفصال

الى الحق فى قبضو منى * مال ونفى تاهت عنى

القاضى يحسن عونى * ما افطنى ولفى اتغيب عنى

من حبها ادهانى * سحر ادهانى

...

اهجرتنى ميلافى اخيبتى صالت عل لبسور نكرتنى ياحسرا

شوف من حالى يالفيفه طرد اغيارى

ويتوجه القاضى الى المحبوبة يطلب منها أن تجيب فتزد بان المدعى لا

يسعى لغير العار ، وانها لم تكثرث لامره لانه فابلها عند باب هارها يوم

كانت خارجة للزيارة ، ونظر اليها وطلب منها أن تصاحبه فى فسحة

فرفضت ، وهو اليوم بدون حياء يفاضيها بعد أن زور فى الشهادة ، وهى

تؤكد أنه مجنون وأنه لم ينظر بعينه الى جمالها ولم يظفر منزله بها ولا

اشتعل شمعها من اجلها ، وما تظنه الا يقصد المزاح :

قالت اسيدى هذا جا ايحارب العارى * ونا يالقاضى ما جبت اخبار

غير اجبرنى فى باب دارنا يوم اخرجت انزور (I) * وارمقنى بالنظرا

قال ياديك الهيفا ارواح تتسارى * ونا ما ابغيت انتبعو للدار

وادعانى يالفقى ابلا احيا دار اشهود الزور . * اشنهو دا الحكرا (2)

...

(I) المقصود بالزيارة زيارة المقابر وامرحة الاولياء والصالحين .

(2) الحكرة : الاحنقار .

وهو ياسيدي قالت بالقاضي هذا به لهبال * عمرو ما نظر زيني بالمأحو
اولا ظفر بي مركاحو (2) * اولاً شعل عني مصباحو
الحب لاحو مهما اضوا امراحو *

عنوا ابغى امزاحي * ما هو ساحي
وغضب القاضي لهذا الرد ، ورمى المدعى بالغدر كأنه يريد ايداءه ،
وطلب منه أن يفارقها وان يترك الفجور والا يفوه بأى كلام :
دار لفقيه ابغيظ رايد اشراى
وانطق قال لى ياذاك الغدار
فارق عنك مكمولت لىها لا تدعى بفجور
ما نقبل لك هدرا

وحاول أن يعرب عن حقيقة حبه فطلب منه القاضي أن يحضر الشهود،
ولكنه رد بالأشهود له غير الخليفة وطائر الحساني وكؤوس المسطار وبعض
انواع الخمر ، ولكن له ما يثبت به دعواه وهو الوشم الذى رسمته بين
نهديهما ، ويمثل طيوراً احمراراً وليثاً وليوة ، وقصوراً ومنازه ، وطلب من
القاضي ان ينظر بعينه حتى يتأكد :

كلت لو ما حضرى حتى اشهود فوكارى
الا اخيلتى وكؤوس المسطار (2)
والحساني والكاس كيظل عكب الديجور
وانواع من الخمر
وهو ياودى واسمع بالقاضى وانظر زين لنزال زكى املا محك
فبديع اصدرها
فيه دارت ما يعجبها
اكما ابغت اعلى خاطرها
تاج لبها
سبحان امن اخلقها

I) المركاح : المنزل .

2) المسطار كما فى الفصحى نوع من الشراب حامض ولعله لم يقصد
به غير الخمر رغم انه ذكرها .

فحروفها انزاهها ما ننساها ها ايمرتها

نورها صيغ ياقارى

بين النهود نزلت اطيور احوار

واعملت الليث امع البيتو وامنازه واقصور

وانظر زين العفرا

واراد القاضى أن يباكد من هذه الامارات فرفضت المدعى عليها لافتة نظره الى أن كشف العورة حرام فى المذهب وان ما يقوله لم يرد فى الكتب :

قالت اغزالي للقاضى انبين اعوارى

هذا حرام فالمذهب ما يذكر

شبن قلت محذوف يافقيه ما جابوه اسطور

واغتاض القاضى ، ولكن المدعى طلب منه أن يحكم بالمشهور ، ونظر القاضى الى وشمها فتاه عن عقله وغدا خصما للعاشق واعتبره ظالما . ولكن المدعى حاول ان ينبه ضمير القاضى وان يخوفه الله : قلت لو خاف امن المولى واشف لضرار

انا اعشيق كيف اجرى لى نهجسار

فعاد للقاضى وعيه وحكم له بان طلب من المجبوبة ان تسامحه ونترك هجره .

واذا كان كذلك حكم قاضى امتيرد فان قاضى المدغرى حكم له حيث طلب من المدعى عليها ان تغفو وتصفح ، وخوفها انشعور بنفس الاحساس اذا ما حضرت مجلس الحسان ، وكأنه اراد ان يحرك غيرتها ، وكذلك فعل اذ امر خدامه ان يقودوهما للدار :

قال لفقيه سامح يادلبها الواضح

خوفي اتذوق ما ذاق الى شفت اريام تتمايح فمكاني

قال لفقيه فالحين الخدامو اقوام

زيدو ابدوك قدامى للمركاح

ليه سرنا من غير اشحاح

والدمع عن خدى سياح
بالسرجاج
ونا انجى ابلقصوح
سرنا اجميع دون اوقيع
لبساط شارق افتوضيح
شل انصيف بالتصحيح
سرخنا اعلى ابطاحو
واريام فيه صاحوا
بنغام رايقا تشرح من قلبو اظلام وافجا هول احزاني
شاف الشرود (I) عند القاضي حر الخيام
وادهاه في ادهانو كيف ادهاني
اتوازن اهوانو واهواني
اوافق هجره هجراني
اوقال هاني
نكويت ليس هاني
والى اكواوا بالنيزان
واعذاب ليعت التيهان
ما ضرهم شين كان
امين شفتو راني
اعطفت عل العاني
عاد لخصام صلح ابطلعت بدر التمام واختمت العنواني
أما قاضي مولاي علي البغدادي فيكي من شدة التأثر لحال المحب حتى
أغمى عليه :
لفقى ابكى بدموع لنيام
من حر لهو الهيام
حتي اغشى اعليه الجال وغاب لعشيق عن قصد امرامو
I الشرود : الغزال .

ولاحد اشياخ مراکش - لم نهتد الى اسمه - قصيدة فى خصام بين
شابة وزوجها العجوز رفع أمرهما الى القاضى فمالت نفسه للزوجة وحكم
بطلاقها ، ولكن الزوج استنجد بالامير فرد له زوجته ، وهى القصيدة التى
يقول فى حربتها :

اشهدت اليوم اعجوبا

شايب ظل امع شابا فمعاير واخصام

كان اتسالو يا حاضرين

واذا ما فشلت هذه المحاولات فان **المحب يلجأ الى الحيل** يسعى بها
للوصول .

ومن الحيل ان يقصد الفقهاء والمنجمين ويتخذ الحروز والتمائم
والتعاويذ على حد ما فعل الشيخ الجيلال حين عجز عن الوصول الى طامو ،
فانه لجأ الى طالب من اولئك الذين يسطرون الجداول حاذق للفلسفة والحكمة
وعلم التنجيم ، فاخبره بعد أن تعمق فى سر بحور علمه ان حظه من حظ
محبوبته ، وان نجمه ظهر فى برج من ابراج النصر تلوح اضواءه :

ناديت قلت فاجى كرى يامن ايرى او يعلم

بلى اهويت ساعدنى بانوارو

شوف مالو واش اغيارو

كان يعطى حد اخبارو

القيت طالب خطاط افلافسى اعرفو مدوب احكيم

شرح معنى فى كل فن قارى علم التنجيم

غرق سرو فبحور سر وعلان

وانطق قال لى محبوبك سعدك امن اسعادو

نجمك تاك فقوامو

فى برج امن ابراج النصر يرمى اضياه سيار

وكشف له الفقيه عن سر هجر محبوبته وانها تخشى من الرقيب
لكنها قادمة بعد الصدود ، واعطاه حرزا طلب منه أن يعلقه ويحجبه
ويصونه ، وسوف لا يلبث اثره ان يظهر بمجيء الحبيبة ، مؤكدا ان للاسماء

سرا عظيما :

بفقيه قال لى محبوبك بعد الصدود يقدم
هو أحبيب واثت له احبيبو
لكن ايخاف امن ارميبيو
ها حرز التجليبيو
علقو تنظر لو برهان
الاسما لها سر اعظيم
حجبو واحضيه اعلى الدوام
تنج من كل ارجيم

وسرعان ما ظهرت نتيجة الحرز فجاءت الحبيبة تطرق الباب وتم
الوصول .

كذلك لجأ ابن على المسفيوى الى مثل هذا انفيه حين فاب عنه
الطرشون وظل يبحث عنه دون جدوى فى كل احياء مراكش ، ولكنه لم
يلبث ان سمع هاتفا يناديه ان اذهب الى باب دكالة عند الفسقية فستقضى
حاجتك . واسرع الى المكان فى غاية الشوق والظما وشرب من ماء الفسقية
وزار ضريح الولى سيدى نحسن ونام فى مقامه ، لكنه لم يحس الا ورجل
يوقظه يبدو عليه من الاعيان ، فقيه نجيب شيخ منجم ماهر داهية ، فاخذه
المحب الى بيته حيث استنحضر النجوم واستفسره عن حاله . ولم يلبث
أن ظهر سره عجيبا اذ سطر جدولا بالهندية وعزم عليه بالسريانية ، وما
أن انتهى منه حتى حضر الخديم (I) فاوصاه ، وغاب ليعود فى الحين
وخلفه الطرشون ، فما كان من المحب الا ان دفع المقابل بان اقام حفلة
فى غسق الليل دارت فيها الكؤوس وعزفت الموسيقى :

اسمعت السان حالى جاوبني يابنسانى * بعد ما ندانى
الحاجاشور باب دكال فالسقايا
سرت ابشوقى الشورها او قنبى غلماّنى * القوس الفوقانى
اشربت والقيت حاجتى مقضيا فالغايا
زرت الولى الشاهر السر افكل اوانى * اشفا ضر احزانى
سيدي لجسن هبتى ولى من لولايا

(I) المقصود به الخديم الجنى .

فمقامو نمت ما فقہت اصاح من جاني * يقظني نوم اجفاني

اجلسمت واقريمت ما كتب امن الحب اقرايا

سلم اعنيا ارسول مارات ، اعنياني * ظاهر مسن العياني

شير (I) عني او قال زبد اللهيا

افقيه انجيب شيخ ناجم ماهر دهقاني * ضايفت فمكاني

حضر لنجوم تم والقلب امعاء ادوايا

اشكيت اعليه فصني بعد داسمسماني * وراني كنماني

واظهر سرو اعوجج رانعم لي بنمدايا

اكتب جدول عمرو بالهند ملائي * عزم بالسسريسياني

حتى جاء حديم وصاه اكل اوصايا

غاب ولي اسريع فالحين ابلا جنحاني * فخلافو سلطاني

طرشوني عز مرسومي تربيت لسودايا

واعلي وجب لبشارا حضرت اواني * فاعسيق الديجاني

قبساط ارفيع محتفل والسطعا والمايا

ونجد العلمي حين ظالت غيبة محبوه يقصد الى ضرب الفال

وفراءة (2) الخط لبشر بانه سينقاه بعد سبعة ايام :

بعد ان طرحت اشكانو

واضربت سورت الفال

الخط قال لبشارا ليك اقريب

محبوبك تلفاه بعد سبع ايام اترجاه

ومن الحيل ان يتنكر المحب في صفة شخص يطلب الضيافة على حد

ما فعل امنيرد في « ضيف الله » حيث طرق باب دار المحبوبة في الليل

فنهضت من نومها وفتحت له ورحبت به واكرمته على أنه ضيف الله ،

ولكنها لم تلبث ان كشفت امره فعاتبته - مداعبة - انه كذب وانه يقظها من

نومها دون اشتفاق ، وطلبت منه أن يسألها لتبادله السؤال مستغربة من

امكانه التحفي عن عيون الاعداء والعواذل الذين وقفوا له بالمرصاد ، ودعته

(I) شير : اشار . (2) يبدو انه فعل ذلك بنفسه .

الى الصفراء وخمر الشجر بعد ن اكد لها انه لا وقت للنوم فى هذه الليلة
المهادئة الصافية التى تعادل ليالى بما فيها من متعة ونعيم :

انت هو الضيف ما شفق حل التذوي السببنا احرام
فالت لى سالتنى انفيديك بسؤالى من بعد ممسوت لمنام
واخفيت اتلى اعيون اعدا وانكالى حمرنك شمدو احرام
هات الصفرا وزبد غدر فمصالى فلت ليها ما بقى امنام
ليلا فى ليالها المنعوم اليالى لا ربح ايهب لا اغيام
اما احمد بن الحاج فبعد ان قضى ضيفا على محبوبته عشية مكتملة
المتعة ليس لها مثيل نادته للوداع ولنجهيز ركابه حتى لا يشعر اهلهما
بشيء ، فقد آن وقت الرواح ، والمسافر عابر لا امل له فى المقام .
وافترقا فى عبرات منسكبة وجذوات مضرومة بعد ان اكدت له انها لن
تنساه مهما طالت الايام :

واغنمنا فرجت لعشيا ❁ مكدول ما لها امثيل
نادت الباهيا اعليا ❁ قالت لوداع يا خليل
خفت اهلى لا اتفيق بيا ❁ هات المركوب للرحيل
هذا وقت الرواح * لمسافر رايح * ما ارجى امكام
حافوا عبراتنا اسجام

قلت تبقى ابخير جذوت ضرمت افقلبنا اضريم
قالت حاشا اندوزك اقطع واجزم نو طالت ليام

ومن المحيل ان يتنكر المحب فى صفات مختلفة يحاول فى كل منها ان
يكسب ثقة الحراز ، وهو الشخص الذى يحرز محبوبته اى يحسنها وبحول
بينها وبين الآخرين ، ويكون فى الغالب زوجها ، ولكنه يرده ويطرده فى
كل مرة الى أن يتمكن من خدعه فبدخل بيته ويتصل بمحبوبته فى غفلة منه .
فالشاوى جاء متنكرا فى هيئة عالم فقيه مؤدب من أبحار الطلبة ،
عارف بعلم النحو لا ينطق بغير لغة معربة فصيحة ، فى يده صحيح
البخارى ، وخطب عليه متعنا فى خطبته بعد أن سلم عليه ، واخبره
أنه قصد حماه ليكرمه ويحسن ضيافته ، وان لاهل العلم اسارا مرهبة ،
وكل من اكرم عالما فكأنما اكرم النبى . وظل يحدثه بهذا الاسلوب حتى

طن انه سلب ليه ، ولكنه فوجئ ، ويطر انه يعيون مغلوبه ويسته الى ان
مكان الفقيه هو بيت الله حبر بجر به ان يقم حجرا وانه الساس
وبنعهم بعلمه لتكون به مرتمة ومكانة ، اما بيه فليس له فى دخوله اية
مصلحة ، وطلب منه أن يمتد دون ما حاجة الى اللجاج والعباب :

جيسو طاب بفعال مدوبا

حبر امن احبار الضلعا دهرى فقيه قارى علم البعرب

نقط بالعلم بالفاض معروبا

فيدي كتاب امام المخارى ارحلنى بعجب من لداب

احطبت بمسوى المنسوبة

بعد السلام قلت اسيدى حماك حيث فاصد زايك رعب

ليك الروح ابع الذات مكسوب

فمقامك السعيد كرمنى وحسن اضيافتى بلطافا وصواب

لصحاب العلم اسرار مرهسوب

واجمع امن اكرم عالم اكرم المسمى اكم فحديث المجتاب

ودويت معاه شحال من نوبا

حتى اطمعت فيه وقلت اسلمتو ابغايت اللطافا والتلاب

وانظر فيسا يعيون مقلوبا

لفقيه قال فى ارحنى بمسنى البيت ربى يعمل محراب

وبعيد الناس ابكل موحوبا (I)

يبيع الناس ابعلمو وابفعو وايدز لو مرتاب

يتشت فامحال واصعوب

دارى ادخلها ما لك فيه اصلاح سر بعد وانف لعتاب

وجاءه فى صفة ناجر يحمل معه صاديق الذهب والفضة والاقمشة

يريد ان يصاحبه ويودع عنده سلعته ولكنه رفض صحبته واشار عليه بدور

السلعة حيث يمكنه ان يحفظ بضاعته . وجاءه فى صفة عبد سودانى يعرض

نفسه للخدمة ولكنه طرده لكرهه السواد ولان اهله اوصوه بعدم اتخاذ

(I) ابكل موحوب : اى بكل الواجبات الدينية التسي يجب على الناس
معرفها .

الوصفاء . وجاء في صفة فارس معه شباك للصيد وخلفه عبدان ، واهداه عزالا وطلب ضيافته ثلاثة ايام ، فهدده وطرده ورفض قبول هديته لان عنده في اغراسه غزلانا احسن منه . وجاء في صفة باشا ترافقه الفرسان ونصب قبته واعلامه وأوهمه أنه يحمل كتابا من السلطان ، ولكنه رده بحجة انه ليس بوزير او قائد أو أحد المسؤولين حتي ينزل عنده الباشا ، واخيرا جاءه في صفة هيفاء بعيون واهداب جميلة سوداء وخدود وردية وجمال يصد التائب عن توبته ، وصافحته بايد مخضبة بالحناء منقوشة فذهل لهذا الخضاب والنقش وغربت شمسها ، وسالها هو رقم على اليد ام كتاب ، فاجابته بانها تستطيع ان تخطط روضا عجيبا ابهى واجمل ، وله ان يسأل العجائز والشابات حتى يتأكد ، فمسك بها والحن عليها في أن تنقش يدي حجوبة ، وأدخلها الى الدار في غاية الفرح وهو لا يدري من ادخل ، وخرج مسرعا لاحضار لوازم الحناء . وعرفت حجوبة سر حبيبها الذي جاء في صفة هيفاء نقاشة ، فخلع زى التنكر بعد ان خدع الحراز ، وهدم كل بنائه ، ونعم بقرب حبيبته واخذها عنده وباتا في غاية الزهو والسرور يتساقيان الكؤوس على ضوء الشموع ونغمات الاوتار :

جيت هيفا بشفار مهدوبا

واعيون غاسقا واخدود اورد اوزين يكسر توبت من تاب

صافحت بينديا المخضوبا

بشمايل لبها وانقش الحنا امنين راه نبهض وارطاب

شمس العكلى ولات مغروبا

وادوا اوقالى ياغيما هادر اتراكم ايدبت او اكتاب

فدت اندير اريضات معجوبا

ايها اوسر ما شافت عينك سر اسأل اعكايز واشواب

شبر فيا بيدو المغضوبا

انت بختك اتورنى فيدين لال شى صنعات اعجاب

واتشوفى بدر الزين حجوبا

للدان ابعزم دخنى فرحان ما عرف ياويجو ما جاب

واخرج يجرى باخلاك مرهوبا
وايجيب لى اشروط الحنا وما ايخص وايوالم باستجباب
عرفتنى لوجيبا المحبوبا
فالحن طارت التنكيبا (I) افرغ لقمم والكل جالو لكتاب
واسلاب اعضاي المرغوبا
واديت عارمي وارشحت (2) ابجرزها او كل ما شيدراب
نتنا فالزهو واسرور اطيوبا
نتودو اكيوس الخمر فبساط حارساه اصوارم واجباب
لا واشى لا حساد مركوبا
غير لغزال والصفرا والكيسان والوتر والشمع اللهاب
ومثل هذا نجده عند ابن على الذي تنكر للحراز فى صفة عذراء وعالم
وبدوية وعبد وبطل وتاجر ، ولم يوفق الا فى هيئة حكيم .
وربما كان حراز البغدادى اشهر ما ينشد فى هذا الباب حيث قصده
المحب فى صفة باشا ومجنوب وعبد ولم يوفق الا فى صفة الفقيه ، وهو
الحراز الذى يقول فى حربته :

مال حراز الدامى ما ايشق بيا هيهات * حارس فى كل اوقات
اعلى الدوام ايجنب ولا ايرومنى قطعيا
وهكذا وبمختلف الوسائل والمجاولات ، يتم الوصال بعد طول عناء
ومرارة صبر ، فالطيب الواسترى جاد عليه الدهر وارخى له الزمان عنائه
مكمل سلوه وزهت ايامه يوم زاره محبوبه جودا وانعاما دون سابق اعلام ،
قاطعا اوصال التيه والجفاء ومنكلا بالرقباء :

الزمت الصبر ما كفى واخفيت ما فكنانى
حتى جاد الدهر بالزهو وكمال السلوان
والوقت ارخى لى اعنانو
وايسامى ولات ناشطا
بوجود الى اهويت يوما وصلت لمكانى
من غير انويا قصر فالجفا والتيهان

(I) التنكيبية : النقاب والحجاب . (2) رشح به : خدعه .

جاد اعلی بحسانو

وانعم لی من بعد ما اوطا

محبوب القلب یامس زارنی یاعشرانی

وانعم لی ابلوصل وانکا جمع الرقبان

صایل عن جمع اکرانو

ابدیع الوجنا لمنقطا

وكذلك تزور حبيبة محمد الشاهد السلاوي فينعم بالوصال ، ولكنه
لا يقنع بمجرد اللقاء ومشاهدة الحبيبة ويريد ان يستمتع بحبه كاملا ، اذ
عنده ان النظرة وحدها لا تطفى لهيب القلب ، وان من العبث اطلتها ،
وان كل من شاهد الجمال يضطرب لا مجاله :

معلوم الشوف ما اطفى نار الجوف * غير باطل قوى تشوافو

والی شاف لمليح عمرو ما يتفا

والعلمی يتم له الوصال فيحمد الله ويشكره ان عافاه من سقمه ،
فقد زال غمه وظهر نجمه بين الابراج كالهلال ، ونال المقصود ودان لسه
وقت السرور فزهت أيامه وازهرت اغصانه بعد يبس وذبول ، وظهر بدره
ساطعا مضيئا ، فلم يبق له الا ان يستمتع بالاعتناق والارتشاف :

لله الحمد والشكر زال اغتامي *

واطلع بين ابروج ناير نجمی كن اهلل

عافانی ربی أبریت امن اضرار اسقامی *

والمقصود الی اطلبته وفانی به الحال

واعطف لی وقت السرور وازهات ایامی *

والقح عصنی بعدما الوی وایبس واذبال

واتيقظ بدری اوتاق مسراج اهمامی *

ما باقی غیر لمعانفا وارشیف الکیسان

وعند ابن علی المسفيوی أن الوصال متى تم فانه سيلهج دون انقطاع ،
وتحنو كاسه ، ويلند شرابه ، ويطرب قلبه ، وتتحسن علاقاته مع أهله
وأحبابه ، ويخصب روصه ويزهر ، وتنمو أغصانه وتزهر ، ويفنى طائرہ ،

وينشد أنغاما حلوة شبيهة في التعبير بـخطاب المحب ، ويطهر بدنه مخنرفا
حجبه ليضيء السهول والروابي ، وبحلو الزمان ، ويسنريج الببال ، ويهنا
المحب في مكانه :

بـبك نلـهـج ضـى اعـيـهـوب الـحـبـوب بـك بـحـلا كـاسـى وابلـذ لى شـرا بـى
بـسـاك قـلـبـى رـاهـى مـطـرـوب الـمـحـبـوب بـك زهـرت نـاعـمى واهـلى امـع احـبـابـى
بـك رـوـصـى لـا فـح مـخـصـوب الـحـبـوب بـك طـهـج اغـصـانـو الـفـيـض و الخـصـابـى
بـك عـنـى طـيـرى فـسـهـوب بـوب بـك يـنـمـس مـيـات ايشـابـهـو اخـطـابـى
بـك بـدرى نـك اـمـن احـبـوب الـحـبـوب بـك صـمـوى فـوق الـوطـيـان والـروابـى
بـك اـزـيـان الـزـمـان يـارـاحـت لـكـنـان احـبـوب الـل يـهـواك بـك يـهـنا فـمـكـانـو
ويـقـدم مـبارك الـسـوسـى عـرضـا لـلـحـفـلة الـتى سـيـقـيم انـزـارـته زهـرة والـتى
سـنـسـتـمـر يـوما كـامـلا فـى رـيـض مـزـدهـر مـعـطـر بـشـنى ألـوان الـورود والـاشـجـار ،
تـعـزف عـيـه المـوسـيـقى وتـدور كـؤـوس الـحـمر عـلى الـحـسان :

يـوم اتـزور العـدرا

بـالـزهـو يـتـبـاشـر قـلـبـى بـيـوج بـكـنـارو

وانـقـيم فـى ابـسـاطى لـيـلا و نـهار

بـالـآل (I) و افـنـاجـل تـخـمر عـل لـريـام اتـدور

وانـوار مشـتـهـرا

فـى ارـيـاض امـعـطـر

والـورد فـاح بـازـهـارو

والـيـاسـمـين طـهـجـت ما بـين اشـجـار

...

ويـسـنـمـر فـى وـصف الـرـوحـى نـم يـنـقـل الـى وـصف جـمـهـور المـدعـويـن بـل

الـمدعـوات بـقـوـنه :

جـبـت اوـصـاف النـوار باقى وـصف الجـمـهـور

ثم يـأخـذ فـى اسـتـعـراض أسـمـائـهن عـلى هـذا النـحو :

نـبـدا ابرـاضـيا او هـشـوم الخـنار و امـهـنى و افـضـيل او فـارحـا او مـحـلا و اطـهـور

...

(I) الـآلة تـطـلـق فـى المـغرب عـلى المـوسـيـقى المـعـروـفة بـالـانـدلسـية .

ومن لطيف الوصال ما تم لامتيرد مناما فى شهر رمضان حيث أفاق
بعد الفجر ليجد نفسه مضطرا الى القضاء والكفارة :

انعيد اصيامى ونكلم كفارت لوزر
عنقت اغزالى فالدجا حتى بان الحال

وقريب من هذا يحدث لابن سليمان اذ زاره محبوبه فى رمضان فذاق
من شهده وجنى من ورده ، فاتهم بالافطار ، ولكنه يستفهم محاولا أن يلتمس
لنفسه عذر المريض وأنه لا شىء عليه :

أصاح زارنى محبوبى يامس كنت صايم
شهد اقطعت واجنيت الورد قالوا كلت رمضان
مهجور قلت ماذاالى
أحببب خاطر واش لمريض يفطر

واذا ما تم الوصال فان المحبوبة تخلده بتذكار تقدمه لحبيبها يكون
فى الغالب حليا ، سوارا او خلخالاً ، ولكنه لا يلبث أن يضيع له فيبحث
عنه فى عناء الى أن يلقاه .

من هذا ما يخبر به امتيرد فى «خلخال اعويشة» ، وقد اودعته اياه
على اثر الزيارة أمانة أوصته بأن يصونها ويحفظها ليحضرها يوم الوصال.
وخبأ الخلخال فى جيبه ولكنه ضاع منه ، فاحتار فيما عسى يجيب به
صاحبه ان سألت عنه :

مهما ودعت الزيم شاق شوقى من تشواقى واهواوا بالدمع انجالى
يوم اتودعت امع لغزال مدت ليا خلخال
هذا أمانا ياعشيق قالت صونو واحضيه وجدو يوم اوصالى
فى مكتوبى درتو اعلى الرضا واتوضر وانشال
خلخال اعويشا درت لبها فى مكتوبى يا فهيم درتو وامشى لى
كيف المعمول ايلا اتسالنى مولات الخلخال

ثم أخذ فى تقييم الخلخال وانه ثمين لا يقدر بمال ، وبدأ فى البحث
عنه فى كل مكان فلم يعثر له على أثر ، واضطر اخيرا الى فقيه منجسم

استطاع بكتابة الجدول وعن طريق الخديم الجنى أن يحضر الخلخال .
اذ ذاك أرسل للمحبوبة فحضرت على التو وأقام لها حفلا مضيئا مطربا
بألوان الغناء والانشيد ، يتساقى فيه مع محبوبته الخمر والرحيق . وفى
هذا الجو المنعم الممتع حكى لها قصة الخلخال فأشفقت عليه وضمته اليها
وقالت له : ان النظرة فى الحبيب خير من ألف خلخال ، فرجع أمامها
ليبادلها القول بأن وصلها لا نفديه الاموال ، وانها كنزه وكمال فرحته
وربحه وذخيرته وهناه وغناه وغاية رأسماله :

وارسلت المولاتى اوجات تنهد تهليل لبيكار عراض الفالى
بمحاسنها وابها اجمالها تضرب لمثال
واعملت افراجا عن اوصولها ما بين الصفرا والرحيق والضو ايلالى (I)
والغاني ينشد باشعار وارقايق كل اسجال
واحنا نزها بزوا وخذ (2) واغزالي تدرج فالبساط واتكب المالى
سقطت ولفى دوك النجال مدت ليا قمصال
ارويت او طحت اعلى انهودها واحكيت لها اقصيني اللولى والتالى
يوم امشى لى خلخالها اوشفقت منى لغزال
حازتنى مولاتى اعلى اصدرها قالت لى ياعشيق حسنى واجمالى
النظرا فالمحبوب. خير لى من الف خلخال
بندقت اوقلت اجد يالعدرا ياتاج القاصرات حرت لغوالى
وصلك عندى يادرت لبها ما تفديه اموال
انت كنزى واكمال فرحنى وانت ربح اذخيرتى وغايت رسمالى
أنت لهننا والفرح ولغنا واكمال الرسمال

ويحدثنا الفلوس عن دمليج (3) ازهيرو الذى ضاع منه ولم يعثر عليه ،
وبعد أن بحث كثيرا عنه فى أحياء فاس قابل فتاتين أخبرته احدهما أن
الدمليج موجود عند هيفاء سمراء عثرت عليه يوم كان يزور السلطان ،

(I) ايلالى : يتألأ

(2) براوخذ أى بهات وخذ .

(3) الدمليج بالميم والباء سوار يكون غليظا فى الغالب.

فقبل الارض بين يديها ورجاها أن توافيه به ، فودعته بعد أن ضربت له
موعدا عشية يوم الجمعة بحديقة «جنان السبيل» عند الصهريج الكبير :

قالت وحدا يا عاشق لبها دمليجك موجود عند هيفا بركيا

قالت لى صبتو انهار كان ايزور اتسلطان

اوطحت اوبست الارض قلت لها لاقتى به يالريم العذريا

قالت دبا ياتيك ابلوفا واطمئنان

قلت لها ياتاج لبدر وين ايكون الميعاد ابشارا دون اخفيا

قالت يوم الجمعا الجايا تلفانا وكدان (I)

اجنا لجنان السبيل قدام الصهريج تكبير وقت الذهبيا

تم ارجنا (2) ولا اتصبنا نرجاوك يعلان (3)

والتقى معهما فى الميعاد المحدد ولكن سوداء العينين شرطت عليه اذا

اراد الدمليج أن يذهب معهما لرشف الكؤوس ، فأخذ يلتمس منها العذر

لانه لا يقدر على خيانة محبوبته بعد عشرة طويلة ، ويرجوها أن تراقب فيه

وجه الله . فلم تلبث أن أخرجت الدمليج ، فدعا لها ان يجزيها الله بكل

خير ، وردت على شكره بأنه لا جميل وأن مثله لا يهان . فودعهما فرحا

ناسيا كل ما فات :

قالت لى سود النجال دمليجك عندى دون ريب ولا شكيا

لكن ايلا تمشى العندنا تسطاب الكيسان

قلت لها ياعز لبنات مالى قدرا حتى انخون بعد الولفيا

راقبى فيا وجه لكريم نعم الحى المنان

جبدت لى دمليجى اوقلت لها ايجازيك ا بكل خير خالق لبريا

قالت فالحين ابلا اجميل ماشى مثلك يهان

تم ودعت الباهيات وافرح قلبى وانسيتم كل ما فات اعليا

والقانى باندمليج رب لورا خالق لكوان

(I) وكدان اى بكل تأكيد

(2) ارجنا اى انتظرنا .

(3) يعلان اى علنا .

وللحاج محمد العوفير « خاتم » يقول في حريته :

خاتم ولفى تاج ليها اتوضر وامشى لى
كيف المعمول ايلا اتسال عنو درت لجمال
ربنت لاسم ليل

وفى القسم الذى يعثر نيه على الخاتم تكشف له المحبوبة ان بالخاتم
نفسه أسراراً تجعله مرصوداً عليها مهما ضيعه المحب فهو يرجع اليها
تلفائياً :

قلت لها يا سلطانت لعوالم شمالى
صيغى بعدا لقصيتى اتحير جمع العقال
اغريباً وطويلاً
وابديت انعيد البودلال عن شين اجرى لى
يسوم خاتمها ضاع لى
وصرت افقدو معلال
واعضاي افتنخيلاً
ثم ضحكت الباهيا اضيا نور اهلالى
وادوات وقالت ريع امن احوالك واغنم لوصال
وازها دون ادبىلا
الخاتم عندى يا عشيق فخرزين مالى
واسبابو يا محبوب خاطرى يا عاشق لجمال
فيه اسرار اجزىلا
مرصود اعلى اسمى اباسم الحي العالى
وين ما خلينو ايجى العندى من غير ابدال
بالحكمما لوصيلا
وامنين اعرفتك يا علاج قلبى وادخالى
عن حبى ومن افراق خاتمى تبقي فى تدهال
لك ابعثت ارسىلا

ثالثا : الحب

لعلنا من خلال هذا الاستعراض لوصف جمال الفائنات وحال المحبين
نستطيع أن نستخرج الصورة التي رسمت للحب في ذهن الشاعر الشعبي:
فامتيرد يراه سيفا يقطع قبل الطعن ، ويرى فسادا أكثر من صلاحه
لا ينفع ولا يحمل غير الشقاء والتعب :
هذا حال الحب ولهوا ياطامع بنجاحو *

سيفو قبل الطعن ينقطع
وافسادو بنهايت لفعل أكثر من تصلاحو *

اشقاه اتعبو ابلا انفع
وهو يتخيل الحب أميرا طاغيا جائرا حاقدا مروعا يقود جنوده لقتاله ،
وقد لمعت أسلحته وخفقت أعلامه ، وعامت خيله على خيول المحب وقهرته
يوم المقاتلة بالسيوف والرماح والسكاكين والاشواك :
مير الحب اطفأ اوجار عنى جاب اجنود اعلى اقتالى حاكك لكلاك
لطرارد واعلوم شاكا
عامت خيلو اعلى اخيولى لكلاك
بالضركا (I)

والسيف ولقنا والرمح أسكين كل ستل جاني دكاك
قهروني يوم لمدكا

ويتخيله كذلك بحرا لا نهاية لحدوده ، ما مخرت عبابه سفينة الا شمت
ألواحها ، لا تنفعها فى مواجهته الاعمدة والقلاع :

لهوا بحرو مايلى انهايا توصاف اكلاحو * حتى عاشق به ماطمع
أما من قرصان سار فوقو تشتات الواحو * مانفعو صارى اولاً اقلع
وللحب عند ابن سليمان سلطان على رأس عسكر كبير يضم جيوش
كل القبائل جاءت مستعدة لخوض معارك من أجل الموت أو الحياة
متعطشة للقتل :

(I) الضركة نوع من النبات الصلب له اشواك حادة .

من كل اكبيل جاتنى اليوم محلا (I) *

جابهها سلطان الغيسوان

ينويو الموت امع لحيا افكل امقاتلا *

كيف شور اما للعطشسان

وهو كذلك عند مولاي على البغدادى فى « خدوج » سلطان طاغية

يروع مزاج المحب ، وقد استقر فى قلبه بخيوله المتحفزة المدربة :

سلطان الحب اطفى اوروع امزاجى *

رسمى افمير لمهاج

خيولو تظسل حدراجا *

ديما امحربا عنى غير اتروج

ومثل هذا نجده عند عبد السلام الجربى فى «قمر الدارة» حيث

هجم عليه الحب بجيش جرار قاصد لصراعه دون ما عطف أو اشفاق

عليه من محنه ونحوه وفناء جسمه :

صداك بعسكر جرار * للطام اتانى.

ما يحس بمحاننى * ونا انجيل وافانى

وهو يرى الحب راكبا فرسا ملاليا جاء يقصد قتاله وقد استعدت

خيوله وفرسانه ، كل متقلد سيفه ، وخلف هذه الخيول فرق أخرى

لا يستطيع أحد أن يواجهها . ومع هذه وتلك جيوش الهوى الذى بدا شجاعا

كميا شبيها بعنترة أو ابى زيد ومعه خيول شقراء قوية :

والحب اعلى جار راكب الملالي (2)

عنوا ابغا لقتالى

وامر لخيول اتشالى

كلها متقلد سيفو عل لوفنا

وامحال اخرى امرادفا

صاكت مراهم

(I) المحلة الجيش

(2) لعله نسبة الى بنى ملال .

ما يطيق قادر يلقاهم
ولهوى بجيوشو امهم
اكسى عذبي
بركاب له ذهبى
يشبه عنترا ولا بوزيد لهمام
له اخيول اقويا
اوكلهم اشقارا

وحاولوا من معاناة تجربة الحب أن يستخرجوا حكمة او ما يشبه
الحكمة . وكان العلمى - شاعر الحكمة دون منازع - أكثر الشعراء طرقا
لهذا الباب ، اذ حاول فى هدوء الحكيم المتامل أن يستنتج بعض الافكار
ويقدم بعض النصائح . وعنده أن عشق الجمال طبع غريزى فى كل شخص
ليب لا يفتقر عن أوصاف حبيبه يعتبرها المسك الذكى فى جيبه يتغناه
النفس بطيبه . أما الالفة فريحتها غلبة لا داعى فيها للعتاب ، والشراب
يعذر فى حال غيبوته ، يسرح به الهوى فاقتدا لوعيه لا يميز داءه من دوائه :

عشق لجمال طبع اغريز افمن هو البيت
ديما امعاء نعت احبيبو
كالمسك الذكى فى جيبو
متعاهد النفس ابطيبيو
والولف زيح غلاب
متروك فيه لعتاب
مول الشراب يعذار افحال الغيبا
دايع به اهواه
ما يميز داه امن ادواه

وهو يرى ان التمسك بالصبر ضرورى والتمهل لازم لبلوغ المقصود
ونكاية الحسود ، وان من ألح فى طلب الرضى لابد أن يدركه ، وان محبا
لم ينل مراده دون تعب ، ويرى الا خوف من هيجان الحب ، فالرعد يكون
له صوت يرهب القلوب ولكنه فى هديره مبشر بغيث يعقبه :

من لازم الرضا او طلبو لا بد ايصييو
والى ابغا ايغيط احسودو يتبع ابلهل مقصودو
حتى ينكمل معدود

ما نال صب امرادو الا ابتعب وجهاد
صوت الرعد يترك لقلوب ارهيبا
بعد هدير الغاه اينبشر بانغيث امن اوراه

وهو لا يستغرب من تغير أحوال المزيان يقبل ففتحسن حاله ويدبر
فيخسر حظه ، يزور فيشرق المكان من ضيائه ويهجر فلا يبقى لبهائه اثر.
ويستشهد بثلاثة امثال شعبية ، يقول الاول ان الجمال لا صديق له ولا
معاشر ، ويقول الثاني ان الذى لا يصبر للمحن لا يبلغ السلو ، ويقول
الثالث ان الذى لا يعطى دنانير كثيرة لا يستطيع أن ينعم بالجمال (I) :
تروف حتى يبدا حالى امعاك يزيان *

اتفر منى يبدا سعدى امعاك خاسر
اتزور حتى يشرق امن اضياك لمكان *
اتفر حتى ما يبقى امن ابهاك اثر
كلما قالوا اصدق افلمثال اهل الزمان *
مايل الزين اصدق ولا ايلو امعاشر
ما ابلغ سلوان الى ما صبر لمجان *
ولا املك مزيان الى ما ارخى ادنانر

(I) يبدو غريبا أن يستشهد العلمي بهذا المثل وينهض لهذا الرأي
لأنه لا أثر لعنصر المال في العلاقة بين الرجل والمرأة كما رأينا ، بل
العكس هو الصحيح . وقد صادفنا مثلاً في خلخال امتيرد أن اعويشه تؤكد
له أن النظر الى المحبوب خير من الف خلخال ويبادلها الرأي فيذهب الى أن
وصلها لا يقدر بمال . بل ان العلمي نفسه يقول له المزيان :
«وامتاع الدنيا ليس يغوينى » ، ولعل العلمي عبر عن واقع المرأة
في الحياة وميلها الطبيعى للغنى والثراء ، ولعله كذلك يقصد ما تكلفه
حفلات زيارة المحبوبة من نفقات . ومهما يكن فان مثل هذا الرأي يظل
غير واضح .

وفي روح يبدو عليه بعض التشاؤم يذهب العلمى الى أن ورق المحب
ساقط ، فهو دائما نحيل عليل ، يصفر لونه يوما عن يوم ، لا يجد راحة
لاعضائه ، يهيم فى النهار ويقطع الليل بالسهر والزفرات :
ورقت مول الجب ساقطا ديما ناحل كل يوم تنظر لونو يصفار
كنو اعليل ما يوجد راح فى اعضاءه
وايظل ايهوم بالنهار وايبات ايقطع لبهيم ابزفرات
وايراعى لوقات
والسوايع حتى يفجى النهار ضو وايمد اجوانح الليل ويزهر
بنجوم فى اسماءه
وينامو كاع (I) لبصار
وابصارو ساهرين مسكين ايبات
ولكنه يتراجع قليلا عن هذا التشاؤم ليرى فى « طامو » أنه لا دوام
لاى حال ، فكما أن الرخاء لا يدوم ، فكذلك لا تدوم الشدة ، فيوم حلو
كالتمر ويوم مر كالحنظل :
معلوم كيف ما دامت رخفا ما اتدوم شدا
هذا امواجب احكام اصروف الدهر
يوم احلا من طعم التمر
ويوم كمثل الحنظل مر
ويرى ان طريق العشق والزمان والايام واحد ، فمن سعدت أيامه تهيأ
له كل شيء ووجد كل ما يريد ، واذا حسن حظ العاشق وصل سريعا ،
واذا ساء نفر بنفس السرعة .
العشق والزمان وليام 'طريقهم وحدا
والى اسكامت ايامو ياسعدو
كل شى يسخر بين ايدو
كلما يبغيه ايوجدو
ولا يبعاد

إذا اسكام سعدو دغيا (I) اتراه يوصل
والى اعوج لو ميمونو (2) دغيا اتراه يجفل
وعنده في «اللائم» ان بحر الغرام عميق وملآن ، يفيض كل يوم ،
وأن بحارة كثيرين ضاعوا في قعره ، وان ربح الهوى يذهل العقل ويبث
داء السهر والغفلة :

بحر لغرام غارق واعميق اومالى
كل انهار ايفيض ويحمل كم من رايس في تخمونجلا
نوريك طبع لهوى يامن يصغى لى
ريح اهواه ايشوش لعقل وايقيق ضر السهر والغفلا
وكذلك تجد عند المدغرى بعض النظرات التأملية كهاته التي يرى فيها
أن أحدا لا يستطيع أن يهزم العشق والهوى وان كل المحبين مغلوبون ،
وليس لهم الا أن يرضوا بالهزيمة :

لعشق الهوى مارينا غلابو * والعاشق ديما ينگلب
كيف ايدير اللى ما ارضى بالغلبا
وعند المدغرى في « للا اصفية » ان قتيل الحب لا دية له :
من مات امن اعيون المولوع ما يليه ديا
ويرى ابن سليمان في «حجوبة» ان صفات الحب عجيبة وان أحدا لا
يقدر على اخفائه :

صفات الحب اعجوبا * يكذب من قال اغرامو يخفيه
ويرى في « عطوش » ان عاشق الفائنات مجنون ، يفقد العقل
واستدبير ان واجهته جيوش رامية ، وهو لا يستطيع ان يعمر الاوطان :
عاشق لريام اهبيـل ريت رسمو ما ياوى
عقلو مثل الكدرى (3) ايلا ايجيه الرامى بجيوش ما تعمر به اوطان
وعنده في نفس القصيدة أن أساس سور الجمال مغشوش :
اركبت اعلى سور لبها اوصبت الساسو مغشوش

I دغيا : بسرعة .

(2) الميمون الحظ .

(3) الكدرى : الحمار .

كذلك يرى الحاج ادريس لحنش فى « فضيلة » وهو يحاول ان ينسى قلبه همومه ، انه لا يشق بالبنات ولا يامنهن الا مجنون ، مواثيقهن باطله ، لا تقى بالعهود منهن الاقليلات ، يعرفن ميل قلب العاشق اليهن دون تغيير او تبديل فيجازينه بالهجر والتهيه والجفاء والصدود ، ويكسرن القلوب من الجور ، ويبخلن بخلا لا مثيل له ، واذا ما اختار أحد من يراها منهن عاقلة فانها نسقيه المرارة فورا دون امهال :

وانقول ألقبي انس همومك ما يامن اقلبنات غير اللى كان اهبيلا
امواثيقهم حق باطلا * من توفى منهم فالعهد اقليل
وايعرفوا قلب لعشيق يبغيهم ويعرفوا محبتو ما فيها تبدين
وايجزوه ابلقبلا * بالهجر والتهيه ولجفا والتنخيلا
ويكسرو لقلوب جور منهم ويبخلوا بالدوام بخل الاليه امثيل
من تختار وتقول عاقلا * تسقيك امرار خرقا لا تمهيلا

رابعاً : ملاحظات

لا نريد أن نختم هذا الفصل دون أن نبدى بعض الملاحظات المتصلة
بالغزل عند شعراء الزجل :

أولى هذه الملاحظات ان بعض الشعراء يتغزلون فى نفس النص فى
أكثر من واحدة ، وخاصة امتيرد والمدغرى والرجراجى ولحنش ، فانهم يبدون
متعلقين بمحبوبتين فى آن واحد وفى أكثر من قصيدة .
يقول امتيرد فى هنية وهشومة :

سر احمان

كل للريم اهنيا ولغزال هشوما لوصول اتصول

كل اصل يجسد لصلو

ويقول فى تاجة واختها زهرة :

دام الله الحسن ولحاسن فغزالى تاجا * تاجا هى اوختها زهرا بودواح

ويقول المدغرى عن طامو وهنية :

شهدوا بين ايلا افنيت واضنيت من الوجنا او خالها واخدود الجلار

والشاما والخال والشفر * واسمبابى فالريام طاهو وهنيا

ويقول في مينا والبتول .

الله اينصرك ياميننا وايدوم عزك يا الغزال البتول

ويقول الرجراجى فى طاهو واختها ازهيرو :

عازم بوصالك يامرحت الطام * ام النواجيل الطام

انت اوخينك ازهيرو

ويقول الحاج ادريس لحنش فى أم الغيث وفاطمة .

كيف احرى لى ياهل لهورى فى حضرت سلطانت النسا لغزال ام الغيث

اشريف العذرات فاطمة * مارك الزين بيهم صحت انكاسى

وليسست هذه الطاهرة عربية ما دام الشاعر حنى وهو يتغزل فى

امراة واحدة لا يقصدها بالذات وانما يقصد المثال والنموذج . فاذا كان

هنا هو القصد ، فليس يهم أن تكون الوسيلة اليه واحدة او أكثر .

الثانية : ان غزل الشاعر الشعبى لم يكن دائما بالمرأة وانما كان

يتجه فى بعض الاحيان الى المذكر على حد ما نجد عند محمد بن موسى فى

«لغزال» الذى قابله أول مرة بباب الكتاب ، وهو غزل لا يختلف عن الغزل

بالمرأة فى شئ من الحديث عن اللوم والحساد والهجر والوصل بل حتى

أوصاف الجمال لا نجدها تتغير وان كانت لا تتعدى ملامح الوجه والاصاف

العامة ، بل ان الشاعر يرى ضرورة اخفاء بقية الاوصاف .

من يوم فاش صدفتمو فى باب لمسيد (I)

وانظسرت حاجبو واتمساد

تمثيل شى اجعاب اهناد

وجبين فايلى الفرقاد

واحدود كن ورد افنح من لغمد

والخال المعبرى والساما من فوق اخدود

والقد امجرد غنجور باز قرنس ونغر جوهره انضيد

واشفوف كمثل عسجد

والريق كمصر لشهاد

(I) لمسيد هو الكتاب القرآنى ، ولعلها تحريف للمسجد .

والجيد كن جيد الشاد

حد لوصاف هذا عن قصد امرادى

والباقي واجب نخفيه اعلى جمع لحسود وانزید انمجد

بل انه يصرح باسمه فيقول :

يا هلى رغبوى اتمادى * ينعملى ابلوصال يسعد رسمى بوجود لغزال محمد
ومثل هذا نجده عند المدغرى الذى يقول فى حربة « غزىل » :

دام الله اجمال صورتك يا شادى * انت اعنايتى وامرادى
اغزىل يسلب من جا ايصيدو * زنجار فى عين سيدى محمد
وكذلك عند العاج ادريس لحنش فى « المهجـسـور » حيث يصف
محبوبه شابا عاتما شاعرا ظريفا فصيحاً وفيما صادق القول :

محبوبى ولد الرضا انظيف * واكذلك اخلاقو امنظفا
عالم قارى شاعر اظريف * بفصاحا والصدق ولوفا
شلا افلحسان ما نصيف * ما فيه الكل غر لجفنا

. . .

شاب رضى واعذارو اىلا اهجرنى محبوبى انعود بالكشر

ويلا جاد برضاه نستبشر

وقبل هؤلاء جميعا تغزل امتيرد (طرشون) فى طالب حافظ للسور
اسمه محمد وكان قد غاب فخرج يبحث عنه فى كل مكان الى أن قابل
بعض أصدقائه فأخبره انه موجود بالمدرسة :

ها هو قالى فالمدرسا طائب حافظ لسوار

يتبساها توكت لقمار

ميمين اوها او دال وضع لهل المعنى اسميتو

زدت انصيبو اكما احكى لى * سلمت اعليه يا كرام

قلت التاج لبها اغزالى * ما لك ياناكر الطمام

انت بزھوك به سالى * ونا للتعب والسقام

وقد يتبادر الى الذهن أن مثل هذا الغزل يدل على انحراف عند هؤلاء
الشعراء وشنوذ فى الجنس ، او ثنائية وازدواج فيه على أقل تقدير ، ربما

كان ذلك صحيحا ولكن الى حد ، ذلك ان مثل هذه الظاهرة قد يكون لها تعليل آخر يجعلها مجرد تنفيس عن ضغط المجتمع على الشاعر وكبته لجماح عواطفه .

ثالثة هذه الملاحظات تتصل بما يقال من أن بعض هذا الغزل رمزى لا يقصد منه الى وصف جمال المرأة او حبهما وانما يقصد منه الى تعبیر اسمى .

من هذا ما قالوا عن «فاطمة» الحاج عمارة من أنها لا تعنى غير فاطمة الزهراء ، ولكن لنستمع اليه يقول فى حربتها :

أنا فطمونى اعلى اهواك اباشت لريام
ونت مفظوما اعلى اعذابى يافاطما
والى فرقنا ايلمنا ما طالت ليام
وفيهما يقول :

فاطما يا باقة البان * ياسائف الظليم اشعوروا وفيانا
يا لهلال ادعيد رمضان * بقواس حاجبك اهدابك طعانا
أفاطما سود لعيان * ادخيل بك لك خد السوسانا
افاطما خاتم الشفوف ايتيه من لام
أفاطما طاستو ابخمر الريق اختيما
واتغارو عقدين امن الدر افغايت لنظام

لعله لا يعقل أن تخاطب فاطمة الزهراء بهذه الاوصاف .

ومن هذا كذلك ما قالوا عن «طامو ابهيح الخدادا» للعلمى من انها لا تعنى هى الاخرى غير فاطمة الزهراء ، ولكننا حين نتمعن فى القصيدة نحس ان الرجل كان يقصد الى التغزل فى محبوبته ، اذ ليس من المقبول أن يقول فى بنت الرسول مثل هذه الابيات :

بتنا اوبات الخمر يتزادا
لا اعدو لا واشى لا حراز احسيد
فبساط امحتفل مركاتو
الكاس والشمع موقود

لى ادراعها بات اوسادا
اوريقها بات اشراىى انرشفو ابطعم الذيدا
ايشربو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود
ولكن ليس معنى هذا أن الشاعر الشعبي لم يرمز باسم المرأة الى
معنى اسمى ، بل انا نجد الشيخ أبى ابراهيم (I) ينظم قصيدة فى
« مباركة » يرمز بها الى مكة ، يقول فى حربتها :

حرمت نعم لغنى المالك
ديرى ياللا امعاك
شرع المولى ايلا اهداك
نستحسن فى ابها اجمالك
أمولاتى امباركا
ولهذا علق المدغرى عليها فقال بأن مباركته (2) لا تصلح خادمة
لمباركة ابن ابراهيم .

ومثلها مباركة الكندوز التى حربتها :
جودى يا طلعت لبدر برضاك
حرم ادخيل من سماك
لبها اعطاك كيف ابلانى بك ربنا يهديك
أمباركا
وفى آخر بيت يخل الرمز فيقول :
واسمك ميم او كاف لغنى سماك
واحذف باور اللى ادراك
يعرفنى جبت لاسم للذى هويك
أمباركا

(I) وهو معاصر للتهامى المدغرى .
(2) وهذه حربتها :

نادى نادى اليوم فالك * واخصب بعد الجفاف لأك
واهلالك تاك افلاك * والوعد اعلى الضيا اصفالك
باللى ترضى امباركا

أما آخر الملاحظات فحول مدى صدق الشاعر فى هذا الغزل وبالتالى فى حبه ، ولعلنا لن نتردد فى الشك فى صدقه وهو يتغزل فى عشرات افغائنات وبنفس الاوصاف والاسلوب . ونخشى ان يكون الحب الذى عبر عنه مصطنعا لا حقيقة له فى الواقع وان يكون نظمه فيه مجرد صنعة ومهارة وتقليد . بل انا فى بعض قصائد « التراجم » نجد الشاعر يصرح بذلك ، فابن على يعترف فى الحجام بانه لا يعرف من أمر الوشم شيئا وأن المسألة بلاغة ومهارة :

غير ابلاغ فالشعر وانظامو *

عمرى ما او شمت ولا نعرف واشم ولا داخل لكلف

والفلوس يقول مثل هذا فى دمليج ازهيرو :

ليس عندى دمليج يالسايل ولا شفتو اولا اقبضتو فيديا

الا ترجما امن اتراجم الوهب اولوزان

ولكننا لا نريد أن ننفي عن الشاعر صدق الحب وبالتالى صدق التعبير، أو بالاحرى لا نريد ان نقطع بهذا النفي . فمما لا شك فيه أن اغلب هذا الغزل من النوع الاباحى المادى الذى لا يكاد يكون لصدق العاطفة فيه وجود ، وقد كانت حياة معظم الاشياخ تساعد على هذه الاباحية من سهر وشرب وما يتبعهما ، وهو جو موبوء لازال بعضهم يتنفس فيه حتى اليوم ، ولعلمهم اتخذوا الحب وشعره ذريعة لستر شهواتهم ونزواتهم واحاطتها باطار عاطفى عذب جميل وربما كان بعض الشعراء يقلدون ناسجين على موال غيرهم دون معاناة للحب او تجريب للاباحية ، ولعلنا بالنسبة لمثل هؤلاء نستطيع ان نذهب الى تعليل نفسى مصدره الكبت الذى كان يسيطر على بعض الاوساط والذى كان ينفس عنه الشاعر بالقصيدة أو القصائد ينظمها دون ما تخرج من مجتمعه . وقد ينطبق هذا التعليل ليس على الشعراء فقط ، وانما على الحفاظ والمنشدين كذلك . ونكاد نميل الى تفسير آخر اساسه اتخاذ اوصاف الحب وحكاياته وسيلة جميلة للتسلية وملء جزء من الفراغ الكبير الذى يحسه الشاعر فى ذهنه وقلبه . ولعلنا لن نغفل فى نطاق هذا التفسير انتقال الشاعر الشعبى الى بيئة القصور ومحاولته امتاع الكبراء والامراء والملوك .

ومع ذلك فلا نستبعد أن يكون بعض الشعراء غير هؤلاء وأولئك تغزلوا عن حب صادق في زوجاتهم . وقد صادفنا فكرة الزواج عند أكثر من شاعر ، فبوعمر و في «زهرة» يذهب الى انه لا داعى لحيرة العاشق ، وبالصادق — وهو كناية عن الزواج — تتم العشرة ويلم الشمل :

والذى عاشق ما يحتار * بالصادق اتم العشرا

وكذلك يذهب المدغرى في « طامو وهنية » الى أن كسب الجمال رهن بصحة الملكية ، اى بعقد الزواج يوثقه القاضى :

ما يثبت قاضى اهل النظر * للزين اكسبتو ابصح الملكيا

وقد أكد لنا أكثر من شيخ ان قصيدة امتيرد المسماة « اترابى فاطمة » والتي سبق ان مثلنا بها لعنصر التأنيب والوعظ فى مواجهة صلود الحببية ، لا يعنى فيها غير زوجه ، بل ذكروا لنا أن فاطمة هذه نشأت معه فى البيت تحت رعاية أهله الى أن بلغت سن الزواج فزوجوها له ، ولم تكد تمر سنوات معدودة حتى تغيرت عليه وأذاقته الوانا من العذاب فاضطر الى طلاقها ، ولكنه لم يقدر على الفراق فنظم فيها أزيد من عشرين قصيدة ، ومع ذلك لم ترق لحاله فما كان منه الا ان أنشأ هذه القصيدة المليئة بالعتاب والتأنيب والوعظ .

ومثل هذه الاخبار والحكايات كثيرة على لسان الرواة والحفاظ ، حتى انهم يكادون يجدون تعليلا ونسبة لكل قصيدة وخاصة قصائد المدغرى ، فانهم يجعلونها قيلت فى سيدات القصر ووصيفاته ، وينسجون لذلك قصصا وحكايات أقرب الى الخيال الشعبي منها الى الحقيقة والعقل . والواقع انه قد ينطبق ذلك على بعض قصائده لا سيما وأنه كان مقربا لسلطان المولى عبد الرحمان وولده سيدى محمد ، ولكن ليس بالدرجة التى تروى عن الحفاظ . واذا انطبق هذا الراى على المدغرى فانه لا ينطبق على غيره حيث نستبعد مثلا ما يقال عن «فضيلة» الحاج ادريس لحنش بأنها زوجته هجرته ولجأت الى قصر السلطان فنظم فيها القصيدة ، وعلم السلطان بالامر من القصيدة نفسها فطلب منها ان تكف عن الهجر وتعود الى زوجها ، فمثل هذه القصة يبدو عليها لا شك أثر خيال الرواة .

الفصل الثاني

في الحياة

الحياة طواهر وأوضاع وتيارات ، تكيف المجتمعات وتطبعها بسمات مميزة خاصة ، وتلزم الناس بالسير في ركابها راضين عنها أو كارهين . والشاعر الشعبي ، كإنسان يعيش في مجتمع ، مجبر على التزام نمط الحياة الذي تفرض معطياتها عليه ، ولكنه كفنان مرهف الحس عميق الإدراك ، ربما رفض هذا النمط وثار عليه ، وإن فعل فإن مظاهر الثورة تبدو فسي الصراع الذي يعتل في نفسه يكشف من خلاله عن ردود فعل تمردية تختلف باختلاف نظرة الشاعر إلى الحياة .

ونستطيع أن نلمس نظرة الزجال المغربي إلى الحياة ، مع ما قلده يكون فيها من وجوه التمرد ، واضحة في جانبها التجردى والحسى ، فيبدو في هذا راغبا في الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، مقبلا على الشرب في ولع واسراف دون اعتبار للتحريم الدينى وتقاليد المجتمع ، ويبدو في ذاك ساخطا على الدنيا رافضا لمتعتها ، في استسلام لقضاء الله وقدره ، وفي غير قليل من من الشؤم والقسوة على الناس ، يستنكر سلوكهم السيئ يعزو إليه كل المصائب والنكبات ، ويحاول وعظهم وارشادهم واقناعهم بأن الدنيا تافهة فانية ، وبأنها ليست غير دار عبور لا داعى للتعلىق بها ولا جدوى .

ومن عجيب أنا قد نصادف التيارين يختلجان في نفس الشاعر الواحد ، وكأنه بتجرده وميله إلى الزهد يحاول التكفير عن إفراطه في الحس والمجون . وليست هذه الظاهرة غريبة كما يبدو لأول وهلة ، فقديما عرف الشعير المعرب نماذج حية لها تجلت في اثنين من أكبر شعرائها هما أبو العناهيصة وأبونواس .

ولعلنا في غير حاجة إلى البحث عن مدى صدق الشاعر الشعبي في سلوكه لهذا الاتجاه أو ذلك ، إذا ما اعتبرناهما ظاهرتي تمرد على المجتمع والحياة ، وهو تمرد لا ريب يطل في الجانب التعبيري اللسانى على جانب الممارسة والسلوك ، فليس ضروريا إذن أن نعرفه إن كان الشاعر يعبر عن واقع حق حين يرفض الحياة أو حين يتشبث بها ، وإن كنا لانخفى شكنا في واقعيته كما لم نخف من قبل شكنا في صدق حبه للمرأة والجمال . ومن يدري فلعله في مجونه إنما يكمل اطار هذا الحب . وحتى بهذا الافتراض

فاننا نظل فى نطاق التمرد والتنقيس عن كبت المجتمع ، دون اغفال لعامل
التسلية وملء الفراغ من جهة وعامل امتاع الملوك والكبراء ووصف ترف
حياة القصور من جهة ثانية ، وعامل التقليد والصنعة من جهة ثالثة ، وخاصة
عند الشعراء الاوساط الذين لا يعبرون الا من خلال تجارب الآخرين ، وان
كنا لا نستبعد عن بعضهم صدق الممارسة والمعاناة ، سواء لهذا التيار أو ذاك.

الخمر والطبيعة

وجد الشاعر الشعبي لذته ومتعته في الخمر ونفسه كذلك ، فأمعن فيها النظر والفكر ، متفنناً في تسميتها ووصفها وحكاية قصتها ، ومتحدثاً عن الساقى وأوائى الشرب ونظامه وأدبه وجوه ورفاقه ، محاولاً اغراء من لم يشرب بعد في حث على الاستمتاع بملذات الحياة واغتنام متعها ، مادام الله يغفر الذنوب ويعفو عن الزلات . وكان الحديث عن وقت الشرب ومجلسه سبيله الى النظر في الطبيعة والكون اطاراً جميلاً لهذا المجلس .

أولاً : الخمر :

وتعرف قصائدها بأسماء «الدالية» أى الكرم و «الكاس» و «الساقى» و «الساحى» و «الخمرية» و «الخمار» .
لم يترك الشاعر الشعبي اسماً من أسماء الخمر المعروفة لم يستعمله ، فهي مدام عند امتيرد :

آش من فرحا دون امدم

وهى الراح والصفراء عند ابن على :

كب ياساقى كاس الراح لعتيق

. . .

كب ياساقى هات لنسبا * طيب لمدام واسقنا بالكيسان

. . .

داروا بالصفرا يا نديم ايجاوبو القا فى لبهم بالكاس اولاحوا

وهى الرحيق عند ابن سليمان :

كاس الرحيق داير * عقلى حايير

امعاه طاير * ندرى رشقاتو

وهي دم العنب عند المدغرى في «الكاس» :

دم العنب الصالح * فيه اعلاج أجوارح * ناس المعنى والصلاح
وعنده كذلك في إحدى قصائده «الساقى» أنها بنت الدوالي ودم العنقود :

هاك دم العنقود افطبت لمساقى (I) * بنت دوالي امخت فحدايق

اعلى السفا واسراير توثق

بل انا نجد المدغرى = وهو شاعر الخمر الاول - يستعرض معظم

أسمائها في «الساقى» الذى يقول في حربه :

قلت أصاحى هات لى الكاس اغفل وارجع لى اجحاً ونخلنى يا حضار

طاح على القمصال ابلبتر * سلك راسو وسار هربان اجهار

فيذكر منها المدام والسلافة والخل والقهوة والمسطار والمخلتم والنزيف

والفرقف والجرحون والرحيق والخندريس والنشوة والبرنيس والشتايا

والشموس والشمول والمثولة والراح والمعتقة والحميا والصارعة وبنت

الدنان والرموز والقيارة والصهباء والصافية ودم العنقود وفاجية الهول ومفشية

الاسرار والجريال والعجوز والحمراء والمقدمة والهرمزية والمذهبة والقسيسية

والشربة وحليب الدالية ولبن العصارة وقنالة الاحزان وبنت الطرب والخمر

وراحة الافكار والمشعشعة والعراقى والصرخدى والجوهري والصنسدلى

والمزايجى والاصفر والعدراء والماحيا (2) والغضنفر والطاوسى والفتاك وعصار

الخدود وبوغليا والخمار واللامح ومراح البصر وبنت الكروم :

واصغ نشرح لك لمدام أوصفو وسميتو نحسبها لك اسطار

كن الطيف اظريف امشتمس * سلفك عرضى انزيد لك دون احزارا

نحسب لمدام والخل والقهوة والمسطار والمخلتم (3) وانزيف اتجار

قرقاف اجرحون مشتهر * ارحيق اخندريس نشوا بتارا

برنيس أشتيا والشمول امتمولا اوراح ومعتق للتخممار

حميا والصارعا اذكسر * بنت الدنان والرموز اقيارا

الصهباء والصافيا اودم العنقود امفاجى الهول افاشى لسرائر

(I) لمساقى الطعم .

(2) أى ماء الحياة والمعروف فى المغرب أنه مشروب خاص باليهود .

(3) فى م 2 ص 4I بالخاء وفى ج 108 ص 4I بالخاء .

والجبريال العكوز ابلكبسر * غارت من جاريا اعروسا فمناارا
الحمرا ومفدما وهموزيا وامذهبا وقسيسيا تذكر
الشربا لدا المن اسكسر * احبيب الداليا ولبن العصارا
قتالت لحزان دارت اقلاید فی لبأ اعلی ابساط احمر من عكار
بنت الطرب الكل من ازهر * والخمرا افلبريق راحت لفكسارا
شعشعا وامشعشعا واعراقى وصرخدى اجوهري ما كيفو دكار
الصندلى وامزايجى الصفر * والعندرا ماحيا اسريعا فالغارا
واغضنفر والطاوسى وفتاك اعصار لخدود بوغليا ياخمار
واللماح امراحت لبصر * هادو اسميات بنت لكرم اجهارا
والخمر فى أوصافها على حد ما نجد عند محمد بن الوليد فى
«الصفرا» بديعة الحسن المكمول، ودرة أسرار كأنها قمر اشرق بضياثة أو نجم،
فرحت بها الخلاعة وبلغت منها ، يطلب منها ، أن تصول ببهاثها وقد
ايدها الله بالقبول ، وبجلها وأثنى عليها ورفع شأنها ، بها صال الكرام،
وفيهما وبالهامها نظم الشعراء وكل من لم يزه بها يهجر ويضيع عمره ، ثم
انها حازت رضى الملوك وتزينت لها الفاتنات وذاع صيتها فى كل بلاد الله :

صولى صولى ببهاك يا بديع الحسن المكمول

فرحت لخلعا بك يا الصفرا وابلغت امناهها

يادرت لسرار

قال يانا سيدى واث كن قمرا

شرقت بضياها وايلا غرار

صولى يا الصفرا صولى ربى اعطاك

اعطاك ربنا لجيل

حسن لقبول والتبجيل

واسنا مراتب التفضيل

بك لكرام صالوا حتى نالوا

اعليك قالوا لكلام أوضحوه لشيأخ هل المعقول

ضاع ازمانو من لازهى امعاك

ايا موعياها مبعثا اينهجار
وانت أرضاوك ملوك ارفعو ائناك
غنمو افصورتك ووانك
وبنات الزهو قدامك
برزوا زينو لوصالك
ونت الله شكرك وارفع قدرك شاع خبرك
غرب اصحرا أفايجا وامداين واتلسول
بك اسجيت لكلام ساقى المايا وانشدناها
بوجود المسرار
ويصفها ابن على فى «الصبوحى» بأنها فى لونها ذهبية كالسما ، وحبابها
كالشهب ترمى بها الرقيب :
والراح كالسما ذهبيا * يرمى اعلى الرقيب اشهابو
وقريب من هذا نجده عند المدغرى فى «الديجور» حيث يشبهها
بالهلال :
والصفرا تسطح كهلال واكواعبها مثل النجوم فالخمرا عاموا
وهل الخمرا فبساط كل عذراوى حايى ريم
وهى عنده فى «الزهو» معتقة من عهد الهرمزان :
صف لى تدراح الكيسان * من امدام اصرخدى ذوقى امعتقو دهقانى
افعاهد اقديم الهرمزان
وبحكى المدغرى قصة **الخمى** فى «الساقى» فيبدأ بالترحم على البستانى
الذى غرس الدوالى فى روض مزهر ، وغمرها بالمياه الى أن برزت اوراقها
واغصانها ، وبدأت فى ابتهاج متطلعة للعلو ، واعتنى بتربيتها وكأنها صبيات
تربيهن أمهاتهن يحملنهن فى الحجر ويرضعهن من لبان ثديهن المدار ، ثم لا يلبث
النمو أن يسرع بهن فيصبحن شابات بالغات تطل نهودهن وتنسرب شعورهن
على الصدر ويلبسن ثياب الحرير . وما أن اكتمل نمو هذه الدوالى حتى خطبتها
ريخ الصبا للريخ الغربية (I) وتزوجتها فى حفل بهيج ، انطلقت فيه مياه
(I) الريخ فى اللهجة المغربية مذكر

الصهاريج والفسقيات وعزفت موسيقى اصداغ المطر الغزير ، وحضره
الهازار ، وقدم الفجر هديته نسيما طيبا طربت له الاطيار ورقصت أغصان
الشجر . ثم حملت بعد ذلك وتوحدت على ثريا ضريح سيدي بلعباس ، كان
أهداها له السلطان اثناء زيارته ، فأنجبت عنقايد شبيهة بهذه الثريا ،
فاقت الذهب في صفاء اللون ، ما كادت تنضج حتى جناها ولد الغرام ،
وعصرها في ثوب الهوى وصفها وعتقها في صون الى أن عبت نسمايتها
تبعث على النشوة وتنفي الهجر والصد والاسقام والاكدار ، ثم خرجت
لحضور مجلس الشرب صفراء منيرة تحيط بها الكؤوس ، وكأنها البدر يوم اكتماله
قد التفت حوله النجوم :

ارحم اعلى الغراس يوم غرس ادوالى فى ارياض امنع بنوار
واسقاها بمياه تنهمر ۞ ولقحت ادواحها وتأكت مسرار
ربها تربيت الصبيات فحجور امها اعلى تهدين المدرار
بتشرغين افغيت الصغـر ۞ طلقات اضفرتها اعلى غيظ الجار
وبعدها بالرضا رجعت اعزييات احكيته ابنا المجد الجدار
عن لبلوغ اطفحت للنـر ۞ ديك الهادى الوات بالتيه اكرار
بلغات اطلو انهودها واسوالفها جات حايفا عن ليمن وايسار
لعبو فوق ارخامت الصـر ۞ ولبيت اقماش سندسى عند اذكرا
اخطبها ربح الصبا الريح الغربى عقدو أزواجها بحضور الهيزار
فبساط الفرجات والزهر ۞ واخصوص اتفور والصهارج همـار
بشهود الآلى وصيغت الآلا صدف الجواهر أمن المزن الغزار
راحت فى عبروقها اخضر ۞ من فوق اسيرها زهوا للنظـار
جـاب الفجر اهدينو ابطيب انسيمو غنات لو انزايه لامت لطيار
ورقصت القطبان فالشجر ۞ وارخات اكمامها اعلى الفرج ابشار
تكلت اصاحى افروضها واتوحدت اعلى اتربت الطرشون الصرصار
سيدي بلعباس يندكر ۞ أهداها لو اهمام لشراف ازيارا (I)
ولدت شى اعناقد كفها تسطع بضياها اولا مثلها ذهب افتشاح
(I) تطلق الزيارة على الذهاب الى الضريح وتطلق كذلك على مايقدم له من
هدية أو نذر ، وهى فى البيت بالمعنى الاخير .

صنع الله المالك لكبير * احكمو بسرار لعقول احيارا
 اميدها ولد لغرم اعصرهما في توب لهما وسعدنا المنطار
 عمقها في نابت لخبير * وعبقت اتسومها اينشوا بتسار
 انما المجر اصد والبين اضيق الهم والجفا واغصايص لمرار
 والسفما فالنس والكندر * زالت بشعاع نورها عن لخصارا
 حضرت الصغرا اكم البدر لبنت واج اكواكبو اكيوس اضياها ستنار
 كيسان الفجر امع لنبيير * منسم لبساط عل الحضرا سيارا
 وهو في «الساقى» الآخر يرسم صورة الدالية منعمة في الحدائق دائمة
 السعى ، وقد النوت أعصانها في حلقات على سرير موبق باب ، مائلة معربة
 في كسل وعنفون ، وقد تدلت منها عناقيد كثرات في السماء علقت
 بأسلاك من الذهب :

هاك دم العنود افطبت لساقى * بنت ادوالى امخت فحدايى
 اعلى السفا واسراير توثيق
 اغصانها عربطت والتوات افلحلاقى * فكساويها امكسلا واعبـارق
 امشرغنا بخراس التحليق
 ولعنقاد مثل اتريات فالافاقى * واقمصلها امعلقا بتعالـيق
 امن اسلوك الذهب افتوريق

أما الساقى فيراه امتيرد مولها حيران ، ويسأله هيرد بأن السبب كامن في
 الخمر وفى الجمال الفاتن الذى ينظر اليه :

ياساقى مالك ولهان * عدلى لا تكتم سولان * مال حالك مالـو
 قال لي مكوانى حيران * خاطرى والساكن دهشان * والى به قتالـو
 لدام أحسن الحسن * والنظر والعشق الفتان * والهوا واهوالـو
 ويطلب منه ابن على أن يكون مطبعا للفتانات ، وأن يلبى طلبات
 الحاضرين وأن يكون منتبها

أعمل فالحضرا ما بغينا * طع لبها اوكن فى حالك يقظان
 ويريده المدغرى أن يكون لبيبا واعيا منتبها ، وأن يتشد مواويل
 وأشعارا حلوة رقيقة ، وأن يوظف السكرارى عساهم يفيقون ، وأن ينحنـى
 امام سوداء العيون ودجل الارض بعينه بين يديها ، وأن يزهى الغلوب وبحركتها

بالوتر والطبوع الشيقة :

كاس دم العنقود من لبريق ساقى * وابغى ساقى اليبب دهرى فايق
فى اغزىل الموالم ارقىق

شم أساقى واسقى غسق ارماقى * وانغم بشعار كن حربى عاىق
وكض الطايح ياك ايفىق

بندق أكبل الارض بشفر لىداقى * وازها صحى لقلوب من لعلاىق
ابلوتر واطباع التشوىق

وقرىب من هذا يقوله العلمى لساقىه يوصيه بأن ينحنى أمام الملىح :
طار اغراب الداج ولخمر فاللاوائى باقى * يا ساقى
أهدى كاسك الملىح واخضع لوبىبندىقا * وافهم معنائى اوعىق
ويريد المدغرى من ساقىه كذلك أن يشمر عن ساعده وأن يسقىه
ورفاقه بفراصة حتى يفرج عنهم الضيق والهموم :

قرب الصفرا هات الكاس

امن ايدىك اسقنا يا صاحب الخمر بكياسسا

مزق اضنانا والتكبيس

شممر اكمامك . للتشواتر

طوف واسقى واهدلنا افناجلك بفراسا

ما بحالك فالزهو اوتيس

ويطلب محمد بن الوليد من الساقى أن يكون خفيفا سريعا فى الصب
غير بطىء :

الساقى ضيف الله ضيف * غدر الكاس أكون اخفیف

باش تطفى هذا اللهفا

وعند محمد الشلىح فى «الكاس» أن حببته هى التى تسقىه وتسقى
جلاسسه :

كبى يا باشا رادفى كاسى من خمر لمراش

فاجى تشواشى * يا هلال الخودات اعبوش

كبى الكاس * واسقى جلاسى

طالت الفرجا يا سلطانت النسا * بوجودك واكدنا اتنسا
من كان باس * ففسق حناسى
بعد تكت ليلت لوصال غالسا * غابو اهل لفجور ولحراسا
ومن نظام الشراب وأدبه ما يلفت اليه امتيرد نظر الساقى، حيث يريد
أن يوقظ الحسان ، وأن ينتبه لدور كل شارب والا يكف عن الصب طالما
الليل مسدل ستاره .

الساقى وكفى لربام * رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها
كب واسقى مازال الليل

ويطلب منه ابن على أن يسقى ويشفع ، ففى ذلك علاج العاشق :
كب ياساقى الراح لعتيق واردف للعشيق هاداك اصلاحو
بوجود ابنت الحى كب ياساقى كاس الراح
أما ابن سليمان فيريد منه اذا عريد ووقع أن يوقظه بانشاد الاشعار،
وأن يعيده للسكر من الرشف بمجرد صحوه :

اذا نطيج وقظنى بشعار النظام
ما نصحا حتى اتردنى بالمرشف سكران
ومن أوانى الشرب يذكر ابن على الكاس والابريق :
كب ياساقى هات لنا * صب لمدام واسقنا بالكيسان
حتى طار اغراب لغسيق وارفع فوق كاس لبريق فرجا بصباحو
ويذكر كذلك فى «الصبوحى» أوانى البلور :
كب لمدام ياساقى من بلار * اصغ اوطف بالخمـــــارا
ويذكر ابن سليمان الكؤوس والفناجين الملونة :
كب اكيوس افناجل لخمـر نشهد عل للوان
ونجد ذكر الفناجين عند المدغرى كذلك :

فق أصاح هات افناجلك واغنم نشوت راحى
ويزيد عليها الطاسة :
كنت امهنى اسليم ما نعرف ياخنارى * كاس اولاً طاساً اولاًخمـــــر
اولاندرى اشروطها فحضرت الخمارا

وعند محمد بن الوليد في «الصفراء» أن أواني الشرب أكواب مختلفة،
منها قرفية فخارية ومنها صدفية وخزفية ومنها زجاجية وبلورية ، ومنها ذات
ألوان صفراء وزرقاء :

وأكوابو المشترا

أعلى الصناف داروا

أكداك أوجاروا

أحبب حار

لض أرفيع الشراب بهم وانزاح الهول

قرفي واصداف زاجي والودع والخابوري انزاها

والعلاج أبلار

وعند العلمي في «الساقى» أنها كؤوس من زجاج عراقي (I) شفاف :

كب الخمر الخرقا * في كيسان إبنادقا(2) * من زاج ابلاد العراق

تظهر خمرا بارقا * فالأواني شارقا * كلون اسحق الرماق

بل انا نجد ابن سليمان لا يريد من ساقية أن يقدم له الخمر فسـي

الكؤوس ، وانما يريده أن يملأ فمه ويسقيه ، ويكفيه الريق بلا خمر :

أنا ابلا اكيوس اسقيني * عمر امراشك واعطيني * الريق ابلا اخمريكميني

والوقت المفضل للشرب عند امتيرد في «الساقى» هو الليل :

زد غدر كاسك واملاه * ليلنا بالعز اغنمناه

بعد قالو ليلتنا ياالشيخ لا تنساها

وعند ابن علي أنه يمتد حتى الفجر اذ يبدأ ستار الظلام يرتفع كأنه
غراب طار وركع فوق الكؤوس والابريق ، ايذانا بالصبح حيث بدت خيوط
الشمس الاولى مشعة تضيء غرة الفجر السدى بدا كسلطان جميل تبايعه
الاشجار وتنحنى له ، وقد هب نسيم البستان طيبا وألقى جبين الفجر
ضوءه على الكواكب وأخذت الطيور تغرد فوق أغصان الشجر المائل ، وفاحت

(I) يطلق في المغرب هذا الوصف على زجاج الملون .

(2) لعل المقصود بها كؤوسا مستوردة من مدينة البندقية الإيطالية .

الازهار المختلفة من ورد أحمر وسوسان منير كالمباهى بسلاحه، والخابورى (1)
 يخبر بحكم العاشق ، والياسمين البهى الكاوى والخيلى (2) مشمرا للكفاح
 بخيله ، والنرجس ترعى عيونه زهر «الزين والبها» فى الغدو والرواح ،
 والخيزران تتمادل قضبانته تمس مع الرياح :
 حتى طار الغراب الغسقى ، اركع فوق كاس البريق فرحا بصباحو
 وليستان اعلى انسيم الحضرا طيبو فـسـاح
 واحبين الفجر ضرى اعلى لكواكب واطبار ادواحن اعلى ضيو صاحوا
 فوق امنابر لغصان كل طير يغرد بفراح
 واهمام القبلا كشرىف حاكم دار العجلا غرت مصباحو
 أمر لشجار ايباعوه لحسن بجمال الصباح
 مالت لشجار وفاحت لزهار وغنات اطيوار اعلى لفجرو تلقاحو
 ضحكت بالفرح اتغاير الزهر فى ظل اللقحاح
 شف الورد العكرى ايفوح شف السوسان فى امصباحواتبها ابسلاحو
 شف الخابورى اىخبر الحكم لعشيق الفضاح
 شف ابها حسن الياسمين كيوخلانى فى حالتى امكثرتجياحو
 شف الخيلى خيلو امشهرامشهور اللقحاح
 شف اعيون النرجس كتراعى لبها والزين فى اغداه وفرواحو
 واقوام اقضييب الخيزران يتمايل بين اريـسـاح
 وعند ابن على فى موضع آخر أن الليل قد أقبل سلطانه يسدل
 الظلام بأجنحته ، ويملا الفضاء بعساكره وينصب خيامه كأنه فارس سودانى
 شجاع يمتطى فرسا أدهم ويسل سلاحه ؛ وتجاوبت معه النجوم فـسـاح
 ضياؤها فى الجو ، وتحت علمه أخذت بدور الجمال طريقها للمكان وكأنهن
 عرائس لم تنظر العين مثلهن ، وفى المكان مدت فرش ملونة بين الاشجار
 والروض البهيج وجداوله المنسربة :
 حضر بالك باعاشق لبها شف اهمام الداح مد بالظلام اجناحو
 عمر لفضا بعساكرو ودق اخباه افلبطـسـاح

(1) هو النوع المعروف فى الفصحى بالخابور .

(2) لعل أصله الخيرى وهو الزهر المعروف بهذا الاسم فى الفصحى

نحكي سوادني اشجيع يتبختر بغفارتو اعلى ادهم سل اسلاحو
وانجوم القبلا لاجلو فالجو اضياهم لاح
وابدور الزين القاصرات تحت اعلامو يامن اتسال للمرسوم راحوا
همان اعرايس كل ريم شلا شافت للمساح
لبساط ايحير لعقل بفرشات عل للوان ما بين ادواحو
والرياض امهيج بغرايسو اجدول بين ادواح
أما ابن سليمان فيستمر مجلس أنسه يوما وليلة ولا ينتهي الا في
العشي وقد اصفرت الشمس ، وهو وان لم يشف لوعته فان الوقت الحلو
الذي أمضاه على قصره خير من مائة عام :

هذا انهارنا جوزناه (I) اعلى التمام
شمس لعشي راحت صفرا * فالزین ما اسخت ابنظرا * باقى ماشفت الحضرا
ليلا او يوم عندي فعواض اميات عام

وأما العلمى فى «الساقى» فيفضل الفجر :
راح الليل اعلم لفجرتناك الصبح الراقى * يسا سساقسى
دوز اعلى الحضرا بفناجلك تزيان الموسيقى * وازرع (2) للساهى ايفيق
وكذلك يفضل المدغرى فى «الصباحى» :
اغنىم الصباحى يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افمناها
لاترتى للبرنيس كب ورا (3) ربي غفار

(I) جوز بمعنى قضى ومضى ، وهى من -تاز بمعنى فات ، لاتستعمل الا فى المنطقة الشمالية من المغرب اما فى الجنوب فيستعملون دوز وداز. ويبدو غريبا أن ترد عند ابن سليمان الفاسى
(2) ازرع هنا بمعنى صب له أو قدم له الخمر ، وهى توحى - سواء فى هذا الاستعمال أو غيره - بالحركة الخفية السريعة .
(3) أرا بمعنى هات لاتستعمل الا بهذه الصيغة كاسم فعل الامر ، ولعل أصلها ارى مضارع راي فى المتكلم كأن الطالب يريد أن يعطى الشئ حتى يراه بعينه .

والوئمت عند الحاج 'دريس' لحنش في «الساقى» هو العشيّة عند

لغروب :

درفى اعلى و عدى لنا عن فرجت لعشيا امدام المباح

أسافى عتف النهار هذا فرز ابوقت السرور واستقنا بين ادواح

شف الساهبا الرايحيا * لست ثوب لغروب والليل اغشاها

ومثله يريد انجاز في «الذهبية» أن يقتنم لحظات الغروب نيشرب :

سدر كادى با مدبم ثبل تمروح الذهيبيا

شف لبهم حين اتمكن مظلامو عت على النهار

ويرسم متيرد في «الساقى» اطار طبعيا لجلس الشرب فى عايكة

الروعة والجمال ، فالطيور تغرد وتسبح والحسان ينشدن اعصائد والعروبيات

والاغنيات ، والاغصان تتمايل والنسيم يهب :

شعاع لخمرفينات الحى باح وافشا مكنون اسرارها وطار احياها

لاح طير الحسن الكسيل

ذك فقصايد تنشد ذك بعروبها تلفظ والخرى بغناها

كنعت المايا والذيل

تالى الفجر والليل انشال ولطيّار اتسبح المن انشاهها

ولقصان اكساها تبجيل

هب من جو لفلاك انسيم بعد طرلت لمقام البين للوداع ادعاها

كينادى بالعزم ارحيس

ويقول امتررد كذلك فى «فرجة لعشبة» :

بالصفرا والكيسان خمرا نشوا معصورا

ما بين العرسان ولعرايس وكيوس اتروج وعلى حضرت لملاح

هاذى تسقى واتزيد

والنوبا ماتنسها

ديك اتجاوب بنشيد

يامحلا صوت الغاها

لخرى ترقص واتميد

بغرايح شف اهوها

هادى تسحر لدهان

لخرا تفنن مبشورا

ديك اثريا ديك كمنارا فغساق اديوج

شرق اضياها وضاح فى حرجا عل للوان

بخلاعتهم مشمورا

يتمكن ويروح امن انظرهم تايه مفلوج

يتشكى دون اجرأح

مايفدهم ثمان

هل لخدود المعصورا

ملا لتقهم مانتج ماشلا فنتوج

يوم اوقرها يشحاح

ويستعرض المدغرى فى «الساقى» أنواع الطير التى اعتلت أغصان
الاشجار مفردة مسبحة لله فرحة طرية ، ويشير الى المغنى ينشد الاشعار
وعازف العود ينقر برفق فتزهى لنقره الريام ويقمن للرقص :

شف يا ساقنا لغراس * خاطبين اعليهم لطيار قاطبا عساسا
ايسبحو . من له التقديس

شف لمام ! بشوقو مـاس * ولبشيقايغنى بفصحتو الغاه اتواسا
جاوب الحريل والسمريس

شف كمري يترنى فهواس

امجاوراه امقين بصوتها الهول اتناسا

شف كلال امثيل اعريس

شف لطيار افطيب اغراس

اكما ازهنا لاريب ازهاوا افرحوا دون اعكاسا

كل طير افملاه اوجيس

شف غانى ينشد عساس

شف مول العود ايزهى اريامنا بسياسا

له قاموا فرحا وارقيس

ونجده كذلك في «الساحي» يصور جو المجلس الساحر فيذكر المغنى
ينشد بأنغام وتواشيح يصاحبها العود والرباب ورقص الفاتنات :

ماشفت أساحي ارحيق ينظم فالكاس اعقود ويضحك فالشمع النواح
والغاني بنغام فاصحبا * لوتاه احباك من الخمر الكفا
ماهزك توشيح * والبستان القيس
والعيدان انصيح * والرباب الى نايح
لو شفت ابتليح * فنجات افتليح
بنغاييم واشطيح * ولقايس وادواح
ويضيف المدغرى في «الصبوحى» الى هذه الآلات الجناح والجنك
والكمين والسنترى :

شف العود والقانون والجناح والجنك اكمنجا واسنترى احدها
وارباب امع الآلى ايجاوبو بنغاييم لوتار
سف الآلى موسيقنو سهات اعلى حسن انغاييمو في ميزان احضاها
واكمل اصبوحننا على الرضا ماغزلو حرار (I)

ولكنه لا ينسى التعريجة

كب الخمر الكافح * أصاحي واتراوح * بالتعريجا واكباح
ومثل هذا التصوير البديع لآطار مجلس الشرب تجده عند الرجراجى في
«الساقى» حيث يقول :

شف البستان ارفيع مبهاج
موجود فيه كل ماكنحتاجو

شف اغصان الروض كعرايس داحت بدواح
بخلخل وادبالج اعقود الجوهر لوضيـح

وادواوح واكامها ابلعطر تهجى واتفوح

شف البان ايبان كهفيف الزين المياح
يتمهنا بنسايم لعطوف امرح تمرـيح
متمنع فطفاحت الشباب امورد واجموح

(I) يعنى قصيدة «الصبوحى»

شف السفرجل شامخ النهود ارخى لدواح
بالفرحات اتعاقوا بعشيق الالوتيريح
ولتشين امقابلو امع الفرصاد الممدوح
شف الليمون الشط والرنج من عطر وفياح
والورد القانى ابطبتو يجلى كل اطريـح
والورد النسرى امع الورد العكرى منصوح
شف الجار افدوحتو امعكر قدونصاح
وامعمم بعبارق السبانى للفرح اجنيح
والياس انوار املون بوشامو مسروح
شف اليزيدى شف طمـحـاج : وامدلسك اكف لقصور فطهاجو
شف السوسان ابطيب نفاج : والخزان ومضل الملك ابتاجو
وانظر للخابورى افتبهـحـاج : والزين ولبها مترونق فدباجو
شف المعسوق اشف عاشقو بغرامو نواح
والنمنام ارقبهم فى قلبو جمر الفيح
والديدى والديدحان والخطما واليربوح
شف الشكوكى انقول عشقى شاكى لحلاح
والخيلى خيلو امسرجا فالميدان اطمـحـح
والباغ ابخالو وسامتو للعكرى مجنوح
شف الجمر طاهجا البهر شاخص بلمـح
يتزها فالغالب ايجول ابنظر واطمـحـح
والحكم افحكمو ايجور ما يشفق من مكروح
شف اليرقان اهوا ازرقا حنى انحل اوجاج
والبهجا والفن افلمحابق زاهر وانصيـح
السوسان امع لقرنفل واشكرنط ملقوح
شف اجداول فهدرها سر امن الفتاح
فخلخل لدواح جاريا تلـحـ بالتسيـح
واترضع فنواور حواض ابماها عذبي مسيوح

شف اترايع افكل منهاج * وارياضنا امزخرف زاهى تفواجو
شف امشاوات الساج والعاج * والياسمين واسرايرها انهاجـو
شف افرشمت حرير وادباج * وامخاد واخذادى بالذهب انساجو
شف اطيوار النعام كنمربط مما سربت راح
صبحت نشوانا ابلهوا تفجى هول التلليح
بالسر المكتوم كل طير ابما فيه اينوح
شف الحداد ابمايتو ايحير عقل الرجاء
والسمريس اتقول شى اصبى يقرأ بالتوضيح
والنحاف ايجابوب الزطوض ايشكى للروح
شف الزرور ايتيه ويرقص وخفك ابلجناح
يتهد ويبدل النعام اسجول اتوشيح
ما مثلو نشاد رايق المعنى بالموضوح
شف الهيزار ابلغتو ايحير فمسا واصباح
ويغرد فالليل والنهار ابصوتو لفصيح
والكلال ايروج افلقفز بنشيدو ممدوح
شف ازرويال ايتروك يفصح فوق الفصاح
ومقنين اخادم الجنان اتوضح توضيح
والحضرا فى غايت الزهو والعز المنصوح
وانظر للصبح امطرده الساج * ضوا ابرايتو بيضا من تبلاجـو
والشمس امعالمها اقلبـراج * نقحت كل روض ازهرت احراجو
وازهنا ما بين لتـساج * لا وعد لارقيب ايروج بهراجو
شف القانون امع الرباب شف الجنك الجناح
وانظر نكمنجا اوسوف العود رجـيح
ينغم بالموال والرصد والسانو مصلوح
شف اصبهان امع الحسين والمايا فى تنقـاح
شف العشق الصافى الزم العفا باش اتريـح
والتوفيق من لكريم نعم الحى الصبوح

وفى الرفقة يرى ابن على أن يكون كل واحد مصحوبا بخيلته
يزهى بها ويتسلى فى صفاء ، بعيدا عن العواذل والحساد :
كل اخيل اقبلتو اخيلا * بالعز والرضا فى ساعته لوصال
يتسلوا فى حضرا اجديدا * بقلوب صافيا رغم اعلى العدا
كل خلية قد لبست افخر الثياب وعلا جبينها تاج كالبدر الوضاح
مرصع بأغلى الدر والجوهر ، وقد شرب حتى عربدن ووقعن ، ولكن لم يلبس
أن أفقن مترنمات بأحسن الاشعار :

لبست لبسا واعلى اجبينها تاج ايحير الضمير من متع الماحو
بالجوهر والدر النفيس تعنى بدرا وضاح
رشفوا كيسان الخمر وعربطوا واطغوا الوالعات فالحين اوطاحوا
ثم قاموا واتنغموا واصاحوا بشعار افصح
وكذلك يرى المدغرى فى «الديجور» :

والصفرا تسطع كهلال واكواعها مثل النجوم فالخمر عاموا
وهل الخمر فبساط كل عذراوى حايذ ريم
ولكنه لا يلبث فى «الساقى» أن يهوى الشرب مع جماعة الفاتنات :
شف حضرا تسحر لغساس * شف خودات اهواويات افلهوا وناسا
راخفات شعر داج اغليس
ويود ابن سليمان أن يشرب مع حبيته فى جمع أحبابه وأهله :
يحلا امع القاك اشرابى * ما بين لا متى واحبابى
تنسى امحايى واعذابى

أما أنجار فيريد فى «الذهبية» أن يفوز بالشرب مع أبكار المدينة :
أساقى فوز بالنزاه والفرجات * وازها بعوانس لضر وافخر بهم
نبهم للسرور وازرع الطاسات * ساعف غرض الريام لك ساقهم
أش من فرجا اتلذمن غير الخودات * زهوا للعاشقين فرحا بمجيهم
وقد يعرف الشاعر الشعبى عن الخمر الى غيرها ، على حد ما تصادف
عند الرجراجى الذى لا يرغب فى غير الاتاى والسكر من عيون حبيته
وخدها :

الساقى بين ملأح كب اتأى الفراح * ترك الخمر او لا تقربو بالتصحيح
واسكر بعيون لمليح * ومن الخد المرضوح
وعلى حد ما نصادف كذلك عند الحاج ادريس لحنش الذى يريد أن
يشرب من الخمر المباحة .

رف اعلينا يامديم واهدى لنا عن فرجت لعشيا امدم المباح
ولكن مثل هؤلاء الشعراء سرعان ما يجدون من يغريهم بالشرب ؛
فهذا امتيرد فى «فرجة لعشية» قدمت له الفاتنات كأسا مليئة بسائل أبيض
مصفر شك فيه أن يكون ماء ، وادرك أنه غير مباح واعتذر عن شربه ، فعجب
لامره وضحك ، وألححن عليه فى أن يشربه حتى تظهر له آثاره ، فهو زهو
بنى عذرة المشهورين وسلواهم ، شاربه أكثر بطشا من السيف وأحد من
أسمة الرماح واسرع من ريح البحار ، ينطلق لسانه وتنتشى جوارحه وتحمر
وجباته وبزاح عنه ستار الحياء ، وكل من لم يذقه لا يرتاح :

رفعوا لى كأس املان * ابيض وامعاه اصفورا
هذا لماشكيت قلت لهم للعقل اخروج * ما هو ليا مباح
قالوا لى خذ اشرب * تنظر واتشوف اعمالو
قلت لهم ما نقرب * منا فى حالت حالو
واضحت لهم اعجب * ضحكوا الريام وقالوا
هذا زهو لسلاو * لبنى عذرا المذكور

مولاه ابطش من اسهام واسرع من ريح الجوج

واقطع من سن ارمـاح

فوق اجوارح سـوان * واعلى الوجبات احمورا
ايسرح للسون واكشف لـحيا للمهروج

من لاذقو ما ارتاح

وهذا المدغرى فى «الكاس» يغرى صاحبه بالشرب منكرا عليه - فى
استفسارات - جفافه ، فهو لم يطرب للغناء ، ولم يشرب كؤوس الفرح ،
ولم تصبه سهام العيون فى شغاف قلبه ، ولم يعض تفاح الصدر ، ولم يذق

وحقيق الشفاء ، ولم تهزه ربح الهوى ، ولم يهزمه جيشه القوى بخيولـه
المتوثبة وسيوفه القاطعة ، ولم يسهر الليالى متأوها متوجعا جريحا ، فليكف
عن الجولان والهيام فى صباحه ومساءه ، وليشرب كأسا مترعة تمحو الهموم:

غدر كأس الراح لتأونت عقلك ساحى * يا صاحى
اسمع ما قالوا الناس فالكأس ابغير امزاحا * واقبل منى ذا النصيح
وانت عقلك رايح * ماهزوك اكرايـح (I) * مادقت اكيوس لفراح
ما عكروك الوامح * وسط القلب الجارح * مانكويـت امن الماح
مماضيت اتفافح * فوق الصدر اطوافح * مادقت اشغوف لجباح
ما هزك ربح لهوا وغيوانو بين ارياحى * يا صاحى
ماهزمك جيشو امع انصـالو بخيول اطفاحا * تبرى بسيوف الذبيح
ما هزك فالنوم من اسنـون انشاشـب وارماحى * يا صاحى
ما خلاك اعلى لفراش اوجاعك تداحا * ولا قاصك شى اجريـح
...

يكفاك اصاحى اتجول هايم فمسا واصباحى * يا صاحى
غدر كأس الراح ابلقداح اهمومك تنماحا * تغلغل فى مراطيح

بل يذهب الى أبعد من ذلك فيعد الذى لا يشرب من الدواب :

من لاعربط سارح * فمراتع واتسارح * عدو من كسب لمراح

وماكاد يقسدم على الشرب تحت تأثير الاغراء حتى رأى فى الرشـف

صلاحه وعلاجه ، وأقبل عليه بلهفة عساه يعوض ماضع من عمره :

اسقيه اسقيـه قال لى فالقمصـال اصلاحي * يا صاحى
أرا لى نفدى الى امضى من عمرى واتماحا * وامالى حتى انطـيح

بل انا نجده فى «ساح» آخر يغرى صاحبه حتى يلين ويستجيب ويرغب،

ولكنه يتعامى عنه ولا يلـبى رغبته ، ويتركه يتحرق الى أن يضيق به الحـال

فيعـرى رأسه ويكشف عن رغبته الجامحة ويطلب مباشرة من الساقى أن

(I) ج كـريـحة وهى الغناء عامة وتطلق خاصة على النوع الذى يقوم على
قصائد الزجل .

يصب له في الفدح الكبير حنى يغنم ويعوض مافات ، وأن يرمى الفدح الصغير
 الفناء ؛ وما كاد يشرب حتى غاب وغابت معه همومه ، ثم أفاق وأتى على
 كل لخمير ، بل أن مغريه خافه على نفسه أن يشربه لكثرة ما أبدى من لهفة :
 فاق الساحى امن اسهوه جدد فيا الشوفا وهزنى واغمزنى بالمح
 نخلتو (1) وارجعت لو اجحسا * جاينعما اعليه درتو برجاحا
 وبعدها ضاقت به حالو عرا راسو زاد للصفرا دون امزاح
 وانطق للساقى فى امكابحا * قال اسقنى امن الرحيق لفراحا
 كب ارالى ابلكبيرياك انغنمو مافات والصغير ارميه اللمرح
 صاح اساح اغاب ما اسحسا * واصبح هو ابكاس لمدام اتماحا
 فاق ارقص ابلاخفا واضرب الرش (2) ادوا قال لاسقيه اوسقسقيه اصاح
 واضغم فالصفرا الشارحا * وادوالى قال لى مرتك (3) لاراحا
 شفت الساحى اشرب كل شى سلكت انهارى وخفت لايشربنى يا صاح
 وعنده أن الذى لا يشرب مصاب ، حياته فارغة ، وهو وغد شحيح
 بخيل :

من لا اشرب ارزيج * عايش ريسح افريج
 كابر وعسد اشحيح * عاش فزمانو كالح
 ونجد المدغرى نفسه يتحدث عن مغريه بالشرب فيعترف - فى
 مزح بين خمر العنب ومدام الحبيب - بأنه كان يجهل كل شىء عن الخمر وأنه
 كان سليم الجسم مرتاح البال الى أن رآها فى عيون سكرى ، وشاهد
 عصيرها على خدين جذابين . وكان قبل شرب المدام - ويقصد مدام العيون
 والحدود التى كانت مطيته للمدام الاخرى - حرا مرتاحا مزهرا روضه ،
 بعيدا عن طريق الهوى ومشاكله ، لا يشرب كوؤوس الهجر ، ولا يشتعل الجمر
 فى قلبه ، ولا يعرف اللوعة والسهر ومرارة الغرام :

-
- (1) لم أجبه من نخل نخالا
 (2) لعله الزق ، وضربه أى شربه عن آخره
 (3) مرته والمرأة التعب والمحنة .

كنت امهني اسليم مانعرف ياخنارى * كراس اولاً طاساً اولاً خمسر

ولاندرى اشروطها * فحضرت الخمارا

أنا سيدى حتى انظرتها * من اشفار اسكارا

أنا سيدى واعصيرها * اعلى الخدين المسرارا

أنا سيدى قبل لمدام ما داخل تحت احكام غير مرتاح

ما عرفت اللهوا جرا * اولاً شربت اكيوس الهجر * اولاً شعلت افقلبي جيرا

مطلوق معذرفى اعدير * زهو امگدل بازهارى * ما نعرف ليعا ولاسهر

فى طيب النوم ما عرفت اللغرام امرارا

وكان الاغراء بالشرب سبيل الشاعر الشعبى للتعبير عن رأيه فى

الاستمتاع بملذات الحياة فامتد يد ينصح ساقيه الحيران الموله أن يستمتع

بالحياة حين تتاح الفرصة ويفرح والفرح لا يتم بغير الشرب ووجود الحسان،

وينصحه أن يتمتع بصره ويتنزه فى هذه الوجوه على ضوء الشمع ونقرات النغم،

فقد فات أمس بسروره وشقائقه ، وقديما نصح بالايستبدل الانسان ساعة

الهناء والسعادة بالتعب والشقاء ، ويطلب منه ألا يكون بخيلاً :

قلت للساقى شد احزام * لاتعائب نفسك بملام

خذلك ايفسادا

افعل ما فعلو هل لغرام * حين تعطف عنا ليام

فرحها يتزادا

آش من فرحا دون امدام * واش من حضرا دون اريام

للقلوب الـاذا

متع ابصارك واتزهى افوجه لحباب او ما يدوى لقلوب واشتهاها

بالنغاييم واشمع اشعييل

آش باقى لك من تنكاد ليلت البارح معلوما ابفرحها واشقاها

ما يحضر امعاها تهويـل

قول فات اصحيح اسمعناه لا اتبدل ساعت لهنـا ابتعبها واشقاها

اولاً تكون عل لجواد ابخيل

كيف يذهل عقلك ويغيب ولاءك قدامك كلها ابما عتناها
 هب نفسك للطوع اتميل

وابن علي يريد أن يفوز بالزهو والسلوان مادام الله سيعفو ويغفر :
 دبا ربى يعفو اعلينا :: ازها إوفوز هذا حد السلوان
 وهو فى «الصباحي» يدعو ساقيه الى أن يغتنم شرب الفجر مادام
 الزمان فى غفلة ، وأن ينسل مصباحه بالهناء ، فمن لم يفز وبغتم لن يتسلى .
 اغنم امع للميح اصموحك :: أما ترى الزمان ضغفلا
 واشمل ابلهنا مصباحك :: من لا يفوز ما يتسلى
 أما المدغرى فبدعو الى تنزيه النظر وترك الهموم بالاخذ والعطاء واغتنام
 وقت المنادمة بالشرب فى الطاسة فليس فى لحظات السرور والصفاء ما يقلق
 ويزعج ويبعث فى القلب الوسواس ، وليس مثل الخمر نشوة ولا فى
 شربها باس :

نزه ابصارك لوح الباس
هاك ورا اغنم ازمان لمنادما بالطاسا
ما فساعت لهننا تهويس

لا يروم اخبيرك وسواس
كب وانشط واتزهي ما عليك فالوسوسا
ليس يهوانا غيرك ليس
ارادف اعلينا بالونساس

ما يخال الصهباء نشواً أولاً فخمرك بأسماء
كب وفض من كان انعيس

وهو يرى في «الزهو» أن متعة الحياة في البنات وسكنى القصور
والفروسية والموسيقى والغناء واللباس والتنزه في الطبيعة وشرب الخمر:
الزهو فبنات اشبهان * ولمازله والخيل اميت لوتر والغاني
ولقماش روض اكيسان

وأما محمد بن الوليد في «الساقى» فيشرب ليطفىء لفته :
الساقى ضيف الله ضيف : غدر الكاس اكن اخيف
باش نطفى هذا اللهفا

وعنده في «الصفراء» ان الخمر تذهب الوسواس والاهوال ، والله
لا معنى لحياة الذي لا يروى منها ظمأ ولا يحيى نفسه بأنغام الاوتار ، بل
ان النفس تحاسب صاحبها ان لم يجعلها تزهى وتستمتع ، وعنده ان متسع
الدنيا كامن في الكتب والخيال والبنات ، ثم ان الله غفار :

طاب الزهو ولد الشراب وذهب وسواس الهول

فرجا بيام العز ولهنا فرجا لمن ابغاهما
بشر يا بشار

آش را من لاکب ارو اوهاج افدولت لفحول

آش را من لاجاد وسخاوزها نفسو حياها

بنغاييم لوتار

من لازهى نفسو اتحاسبو قالوا هل لعقول

زهو الدنيا لكتوب والسروت البنات انزاهما

والمولى غفار

وقريب من هذا نجده عند العلمي في «الساقى» حيث يرى سرور

الدنيا وزهوها في الجمال والخمر ، ويرى الصولة والعزة في الغنى
والفروسيية :

اسرور الدنيا وزهوها فالزين العراقي * يا ساقى

والصولا والعز في اركوب الفرسان احقيقا * وادم الفضا ولوريق

وعند أنجار في «الذهبية» ان لحظة الزهو تحيي القلوب وتسل بالافراح :

أساقى ساعث الزهو تحيي لقلوب * واتسل ابلفراح بالشوق الجالى

والشاعر الشعبي في اقباله على الشرب واغتنامه للذات لا ينسى وبسه

ويأمل في عفوه وغفرانه ، يقول ابن على :

دابا ربى يعفو اعلىنا * ازها اوفوز هذا حد السلوان

ويقول المدغرى .

قل للساحى ايفيق امن النوم يسمع انصاحى * يا صاحى

بمعالم وارياح لهوا تهدي طبيب الراحسا * مولانا غانى اسمييح

ويقول كذلك في «الساحى» :

فق اساحى هاك فنجالك والقاه ارشفو ارشيف ياك المولى سماح

قالت هل لوفسا السامحا * من لا اشرب لمدام ها فيه اسماحا

كما يهون في «الصباحي» :
عم 'الصباحي' يانديم واسطاب ارضيع الكاس ولطيار افمغناها
لا تترتي للبرنيس كب ورا ربي غفار
ويجري العلمى في «الساقى» ان الله كتب السعادة للسعيد والشقاء
للمشقى ، وانه لادعى لاستنكار الذنوب أو محاولة تجنبها ، ثم ان الله غنى
مشفق رحيم :

غدر لى نسطاب فرجتى يتحقق روناقى * يا ساقى
خل الخل وهات لى الصهبأ فالكاس احديفا * وامل لى ذك لبرسق
كاتب مولانا السعيد ساعد والشاقي شاقى * يا ساقى
لا تستنكر امن اذنوب اولاتنكل عن نيفا * مولانا عانى اشفيق
والامل عند انجار فى «الذهبية» أن يمحو الله ذنوبه ويقبل توبته بجاء
الرسول صاحب الشفاعة :

وانهايت لحديث انطلبو من لاينام يمحي اذنوبنا وايتوب اعلىنا
بجاء محمد نبينا

اشفيق فينا

حشا ايهون بنا

ربى اكريم من لاتخفاء اخفيا

معلوم ابلوفا وعبيدو يرحامو

بعد النكد امع لوزار

على أن بعض الشعراء لا يقصدون من الخمر حين يتحدثون عنها غير
الخمر الصوفية ، وأبرزهم ابن رموية والحراق وشقور ، يقول ابن رموية
فى داليتة يخاطب المريد السالك :

اشرب لازم الكيسان ووصال لسلاتوان

لقد ضاق الزمان عن الجاهل لعتود

قد شربنا كؤوس زالت بها البوس

غيرنا مات اس (I) ولاعرف مقصود

(I) كلمة غير واضحة ولعله يقصد مات أسى .

خذ العسل الصافيا امن اجباح الصوفيا

واسقه للروحيا ولا تكن احقود

ويقول الحراق :

اغنى كاس الراح * هاجيبك زار
سبق اودور * انى الشور * طول الدهور
سبى الشرب * فالنكد غاب * والخبر صاب
رشف لكواب * امع لحباب * عين الصواب
فازها فيامك * لو اتعيش انهار
نظرا فلحبيب تمحى كل اجرايم * والرحمان اكريم يالى نرجاه
اذا ماضى ماتنفع اعزايهم * لو بعمال الخير كلها تلقاه
ويقول شقور .

من عند الغنى تغيننى * واتنهنى امع لحبيب ابلا فخرى
اسق يا ساقى الخمرى * هذه ساعى لرضا
اظنبت فيك ابلا تفدىنى * واتنزلنى فى امراتب لعملا
ايا الساقى كب واسقنىنى * وشربنى امن اكيوس الخمرى
هز لقلوب هزهم هزا * يالى بيدك كل عزى
داوى لقلوب باش تبرى * يالى بيدك كل قدرا
ياسادتى يا موليا * نظروا نظرا خالصا فيا
انظرت فيكم نظروا فيا * شرب شربا حقيقيا
سعدى بك وارضى اعليا * يا محمد شرك فيا
كذلك نجد ذكر الخمر الصوفية عند الفلوس الذى يبدو مغرما بحب
المختار شاربا من خمره ، وأية خمر هى ؟ ما أحلاها دون ساق أو كاس ،
وجدت قبل ان يخلق الكرم ، تسرى فى روحه ومهجته وعروقه ، وهى
سابقة عليه فى الازل :

محلا خمر الحب دون ساقى من غير اعراقى * خمر قبل الكرم خالقا
واسرات افزوحى ومهجتى واعروقى واسفاقى * ليا بالازل سابقا
بمدام الرسول الاكرم سقيت اوراقه وتفتحت أزهاره وفاح شذاها ،

وبهواه أئنتعت أشجاره وبالحب ترنمت الاطيار مغردة بأصوات سماوية تنشد
تواشيع الفنون والاشواق ، وتسبح بالسنة ناطقة لايفهم تسبيحها غير
الخالق الكريم :

بمادامك ياسيد الرفاقى نسقات اوراقى * وازهارى بشدائدك وارقا
واشجارى بهواك طافحا فالبستان الناقى * واغصانى فالجو خافقا
وانهارى بشناك فسواقى ماها دفاقى * وادواحى بالعشق باسقا
واطيارى بالحب كتلاغى ما بين احداقلى * بصوات الكريم طالقاً
بتواشيع لفنون ولشواقى تنشد كزواقى * واتسبح بلسون ناطقاً
مايفقه تسبيحهم الا نعم الخلاقى * من ودك بسرار خارقاً
وقبل هؤلاء جميعاً كان المدغرى فى «الكاس» قد وصف الخمر بأنها
معتقة لم تعصر ، وبأنها سبقت فى وجودها الكرم وبأنها أطف من
الهوى وارق من النسيم ، يكفى شم عطرها الفياح لكى تسكر وتلف العقل
وتسيل الدموع :

خمر اقديم ابلا عصير من قبل الكرم افلاحى * يا صاحى
الطف من لهوا اوراق من لرياح لياحيا * يتلف عقلى الى ارجيح
من شمو تكفيه طبتو ابلعطر الفياحى * يا صاحى
يضحى ما بين لقطار سايع دمعو سياحيا * ما بين الحضر اسبيح
ولكننا لا نخفى شكنا فى أن يكون قصد الخمر الصوفية رغم النغمة
الفارضية التى تطفى على هذه الابيات والتى يبدو أنها مجرد صنعة ومحاكاة،
وترجح هذا الشك بقية القصيدة التى يغرى فيها صاحبه بالشرب كما
تقدم . ومانقوله عن المدغرى نقوله كذلك عن العلمى الذى سبق أن مثلنا
ببعض شعره .

ثانيا : الكون والطبيعة :

إذا كان الشاعر الشعبى قد اغرم بجمال مظاهر الكون والطبيعة
فاتخذها اطارا لمجلس الشرب ، فانه ظل يتعشق هذه المظاهر حتى بعيدا عن
جو الخمر ، فوصفها وصفا رائع التصوير بارع التعبير يكشف عن سلامة
دوق ، وصحة . وجدان ، ورقة احساس وشعور بالجمال ،

و«ستجلاء» لتحقيقته حيث وجدت . وهو نى وصفه يقارن ويشخص ويبسّر المعانى فى صور حسية ملموسة نابضة ، يبت فيها الحركة والحياة ، ويبعث فيها من ذاتيته ما يجعلها تعكس حال نفسيته وحيوية عاطفته فى امتزاج وتجاوب مع تلك المظاهر . وأطلق على قصائده فى ذلك أسماء «الذهبية» أى غروب الشمس و«الصباحى» و«الديجور» أى الليل ، وهو عندهم الداج والبهيم ؛ وأطلق عليها كذلك أسماء «الربيعية» و«العريضة» و«البيستان» و«المشموم» و«النحلة» ومالى الى ذلك مما يوحى بمظهر من مظاهر الطبيعة والكون .

1 - الكون :

وصف المدغرى الشمس «الغاربة» صفراء ذهبية ، وشبهها بفرس شغراء أرخى عنانها فعدت تغير على الروابى والسهول :
شف الذهبيا اخلاودها فى ذهب التشحار
وارحات اصروع اللجوم فوق الوطيان اتغير
نعنها شگرا امختنا من خيل المنصور
ويرى الحاج ادريس لحنش أن الشمس فى لوتها الذهبى لبست ثوب الغروب وقد هجم عليها الليل :
الساقى عجب النهار فوز ابوقت السرور واسقنا بين ادواح
شف الذهبيا الرايحا . لبست ثوب لغروب والليل اغشاها
ويسبح لله الذى جعل الشمس تشرق فى كل أرض ، تزهى وتروق فى أول الضحى ، وتعلو لتلقى أشعتها على الجدران ، ثم تنجلي فى كبد السماء يخطف منها الابصار وكأنها اندراء فى عز غوها وشبابها ، لا يستطيع أحد ان ينظرالى جمالها ؛ وإذا ما حان الغروب بعد ذلك يصفر جبينها فى لحظات لتروح له لابسة أردية حمراء :

أساقى سبجان ربنا هذا الشمس افكل أرض تنجلي عل لبطاح
واتزهى فى أول الضحى . تنشر فوق لجدار بيروز اشاهها
تبدأ بها بعد ذاك تنجلي نى كبد السما اسناها يخطف للماح
كعدرا فاصغر طافحها . لامن يقوا يشوف فجمال ابهاها
ايلاخان اغروبها افسعا يصفار اجبينها اللغروب اثروح ارواح

يكساوى يا صاح ناصحاً : عكسرى مغلول فيه تغرب فى ماها
وهى فى حالة الغروب - وقد احمرت خدودها وغدت معصورة -
شمسية بالبكر النى تربت حتى ثملت وغابت عن وعيها ، فاختطفها عاشق
كان مريضاً لها وعطاها بأجنحته ، وترك أهل الغرام يتوادعون وينوحون
ببكى نغم الطيور والأشجار ، ضارعين الى الله أن يعيد لهم اللقاء .
وكذلك فعل حبيبه الذى أغمض جفنيه استحياء وهو يودعه، معتذراً ومصافحاً
ومسماً أن يزوره نامة ليسزها وإياه :

والشمس احمارو اخدودها ونصرو نحكى اعوبفا زرعت كاس المراح
وامنسن اتغاثاب طايحاً : جار اعنيها اوصيف عاشق وداهها
عس اعليها ابعيان حنى عابت عن حالها اوغطاها تحت احناح
واترك هل لغرام نابجا : تنودع ابتفراق ولوقت ادعاها
واطبور السنان ناحث على الفرقا بصوات حالها واكذلك لدواح
رندت العشاق فاتحاً (I) : كفوف ارزاقها يولى ملقاها

شف الى نهواه نيم اشفارو واستحيا وقال لى ودعتك يا صاح
واستعانر لى ابلمصافحا : واحلف حتى ايجى وننشو انزاهها
وعند المدغرى فى « لذهبية » أن الشمس فى غروبها تذبال وتصفر
كالحبيب الذى هجره حبيبته بعد أن وعده بالوصال ، فظهرت على خده آثار
الفراق ، ولبس ثوب الضنا الاصفر ، وسكب الدموع ، وذبل لونه وفقد
الصبر ، وحارت العقول فى أمره ، كلما انحدرت شمس العشية للغروب
زاد لونه تغبرا خشية من الليل وطوله وما يكثر فيه من فزع وتنهذ وانسكاب
الدموع ، يبوح اصفرار خده بصادق خبره ، وتزيده شمس العشية تذهيبا
وكأنها عذراء تدور على أفلاك المحبين :

رمت اغروب لشمس ابلهوا تذبال وتصفار
كن احبيب امفاولوا احبيبو وارجع للغببر
خلاه افوكر ابلا رفيق امفرد مهجور

(2) رمد م تيجة اى رفع كفية ليقرأ الفاتحة ويدعو الله .

وظهرت افخدو اعلامت الفرثا من لضرار
والبس خابورى امن الضنا واسكب دمع اغزير
بسموا سيوف لفرآك جرحودىما معكور
وادبال اخيالو اوحالتو طاحت من لغيار
فغرامو واشكايتو وعشقو لعقول اتحير
يحسن عونو عادى الصبر بالفرثا مقهور
ما حد لعشيا تغرب ألونو فالتكدار
من خوف الليل الطويل والفرعا والتغيير
والتنهاد أكيت الصبر وامدامع لبحور
فوق الخد اصفورتو اتبوح ابصحت لخبار
والذهبيا كاتزيد فوق اخدودو تشحير
نعنها عذرا اعلى افلاك الغوائ اتدور
ومثل هذا الربط بين الغروب والوداع نجده كذلك عند علال الصدراتى
فى ذهبيته حيث يقول :

الشمس اغروبها اعبارا
راحت مشمورا
وانبات اكوكب السيارا
كانت محصورا
والبدر انبا ودار دارا
ليلت عاشورا
والبين جار
تفرقنا من بعد لمزار
واتودعنا من لوكار
واقد واجمار
قلبي واش جا يصبرو .

ويبلغ هذا الربط عند الحاج محمد النجار حدا يجعل شمسه لا تغيب
فقط يوم ودع أهله فى الصحراء للسفر الى فاس ، ولكن تصاب بالكسوف

فتظهر النجوم فى وضوح النهار وتنتشر الظلمات :

لله يا هلى سمحوا فى شى فات

وادعيوا لى انصيب امنايا

فى بلد فاس كنز اغنايا

عند الشراف هل لعنايا

يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا

تبسط لكفوف ضى وادجا للخالق ساير لخلایق يغفر الواتى

فجميع السيات

الين آوين الشمس فالسما ريناها كسفات

حتى ظهور النجوم فالنهار الكهار العاتى

والظلما سدات .

ويصف المدغرى الليل فى «الديجور» فيدعو لرؤيته، مال ظلامه وأطلق
كواكبه فى هالة وهمة كأنه سلطان من السودان أقبل فى حلة فخمة راكبافرسا
ضخما أدهم ، بيده أمان الملك وضمانه ، وخلفه جيوش من الفرسان ملأت
الافاق تحيط به من كل جهة ، يمتطى جنودها خيولا دهماء ملجمة مائجة كأنها
البحر الزاخر لابسة حلا من ريش الغراب والظليم :

شف الديجور ارخى اكواكبو من شور القبلا ايهيل ويميل اظلامو
سلطان امن السودان ينتقل فى هما وازكييم
لابس برناطا فوق امن ادهم متكلم كورى افشان صولت تضخامو
قابط لمان امن الشريف واكبل فى زى افخييم
شف اجيوشو تاكو اوعمرو لافاق اييمين اشمال خلفو ومامو
فاق اهيكل دهما اتموج نحكى زخار اطييم
شف اخيامو فالكور كوروا بعساكر فرسان كلها قابط الجامو

بكساوى من ريش لغراب وارياش اجناح الظليم
والليل بسكونه وهيبته وغموضه ملجا يأوى اليه المحبون ، بثونه
هموم وأحزانهم . وانطلاقا من هذه الحقيقة اتخذ المدغرى وسيلة لحوار يقصد
منه الى تحقيق غاية وتبليغ رسالة، فهو بعد أن شبهه فى «الديجور» بالسلطان،

تخيل المحبين حضروا يقدمون له شكواهم مصطفين فى ساحة قصره ، منهم
من يشكو الهجر ومنهم من يشكو التيه ، ومنهم من يشكو العشق ومنهم من
يشكو الفراق ، وآخرون جاءوا يقدمون له الهدايا يرجونه ان يظل مسددا
ستاره عليهم لينعموا بملذاتهم ويستمتعوا :

شف المشور فالحين عمروه ارباب الغوان وامر اعلى خدامو
دارت بالشكاي اصفوفها فى حرب اتحزيم

شف الشكاي شى اشكا بهجرو شى بالتيهان شى ابعشقو واغرامو
شى بالفرقا شى جايب لهديا لليل ايگيم

تقدم المهجور يشكو هجر الحبيب بعد طيب الوصال اسيرا باكبسا
رائيا ، وقد طال صبر قلبه وأقسم الحبيب الا يفك أسرہ ، وهو يرجو الليل
أن ينظر لحاله ويتدخل بلطف لديه ليكشف له عن حقيقة حال البين ، لعله
يلين ويقبل استعطاف محبه فيرد عليه السلام ؛ ويود منه أن يجمعهما فى
مجلس أنس يستمتع فيه بالنظر الى جمال حبيبه والاستلذاذ بكلامه ، عساه
يرفو خرق قلبه الكلیم . ويجيبه الليل بأن عليه - رغم الهجر - الا يئأس ،
وأن يظل بأبواب حبيبه وفى خدمته ، وأن يلأين ويسعف هواه فى غير شؤم ،
وانه مهما طال به الهجر لابد وان يلتقى مع حبيبه فى مجلس شرب وأنس ،
فكل من لازم باب الجود لابد داخله :

زاد المهجور اشكا ابهجرو •• من بعد طيب الوصال ارجع مهجور
قال اداجى حبيبى . امبرو (I) •• هذا الشحال ونا نرتى مهجور
والهاجر خلانى اميسره •• بشمايلو احلف لاطلق الميسور
ابغيت ياللى تشوب من سائى واترغبو الى انجى نسعى ادمامو

يقبل تدمامى لايردنى بالقهرات اهميم
ابغيتك ياللى اتقول بلطفا لله عاشقك رد اسلامو
واتبين لוחال الصدود من بعد الوصل ادميم
ابغيتك ياللى اتمنا فبساطى نشفا ابها ونسمع اكلامو
يرفى ماقطع يادجورنا من قلبى لكليم

(I) ما أكثر صبره .

قال المديحون الى اطول هجرى يخدم لحبيب لايزول عن مقامه
 وبساعف غمرص اهواه لا يكون اغرام اشقيهم
 من لازم باب الجود لاغنائو من مدخل لو اتطول بالهجر ايامو
 يتلاقى بالمحبيب بين كاس اساقى ومديم
 وتقدم التائه يشكو حائرا مرارة الهوى وجور مالكة وتيهه بشبابه،
 ويرجو الليل ان يكفه لعل أن يطفى نار قلبه ويعالج سقمه ، ويطرد
 محبزيه ، رعب الماء الى مجراه ، ويقفل الباب بقلب سليم ، ويود منه أن
 يلم سملما حتى يرتاح قلبه من اللوعة ؛ وعساه بعد ذلك أن يقبله خادما
 وعبداه . ويجيب الليل بأن من صبر وتحمل الهجر والجرح لابد - مالم
 يمل - أن يفوز بصيده مهما طار ، وينصحه بالامهال والمسايسة والطاعة
 حتى يفوز بالنظر الى جمال حبيبه ويشرب معه :
 شف التيهان اشكا ابضرو * من تيه مالكو حارت لولمور
 قال اداجى لهوا امرو (I) * من تيه امن اهويت ارويتم امن الجور
 هو تايه فشباب صغسرو * ونا امتبعو واين دار انسودور
 ابغيتك ياليلي اتكلمو ياك ايعالج نار ضر قلبي وسقامو
 تغنم اجر الملهوف ابلهوا ياليلي لبهيسم
 ابغيتك ياليلي اتقول للمحبيب ايرد لحرور الكسامو
 والما للمجرا والرتاج اللباب افقلب اسليم
 ابغيتك باليلى تنم شمل بفرغ قلبى ابلعتو من تخمامو
 لعل من بعد الصدود يرضانى عبد اخديم
 ادوا لبهيم اقال من اصبر وتحمل حمل الصدود وعكتر اجسامو
 يقبط صيدو ولو طار لاتمل اصدود لغريم
 ارخى عنو حتى ايوالف اتبعو بسياسا اولا تخالف لكلامو
 حتى تشفا فجمال صورتو والكاس افتعويم
 وتقدم العاشق يشكو السهر ، تكشف صفرة لونه ما فى قلبه من
 داء وتكفى الفاهم للقضاء والحكم ، ويرجوه أن ينظر الى حاله مكويا

(I) ما أكثر مرارته

بمفاتح حبيبه ونظرات عينيه ، ما نظرت اليه الا زادت جراحه آلاما ، متلهفا الى الماء وهو
يجرى متوفرا فى مكانه ، ويستفسره عن وسيلة لاطفاء عطشه ومعالجة رشق
سهام حبيبه . ويرد الليل ليؤكد له أن العاشق فى حيرة مستمرة يقضى
ليله بين الخوف والرجاء ، ويخشى الفراق حين يتم له الوصال ويظل مشغول
البال عند الهجر دائم البكاء والالين :

زاد المعشوق اشكا ابسهـرو * واصفورتو كتبت اعلى الخد اسطور
واظهر فوق الوجنت سرور * كيف يخفى اخبار القلب المضروب
والى عايق يقضى ابنظرو * ايجود ويصفح عن حال المعذور
ابغيتك ياليلى اتشوف حال المكوى بمحاسنو وخزرات انيامو

وقت ماريتو كيزيدنى تجراح اتعيدم
ابغيتك ياليلى اتشوف حال الملهوف أمام ما اخطا وسط ارسامو

صبرو راحل بغرام امن اهواه امع العشق افهيم
ابغيتك ياليلى اتقول باش اتبرد لله رشكات اسهامو

لنى عطشان الحب ولهوا شربى شرب الهيم
ادوا لبهيم اقال ذاك حال العاشق مشغول طول عمرو فعظامو

ما بين ارجاء أخوفو كايكسم داجو تكسيم
ايلا كان احببوا معاه يخشى من لفراق الصعيب من بعد امكامو

ويلا فرقو يبقى امعلق الخاطر غير ايزيم
وتقدم المغرم يشكو القهر وأهواله الكثيرة ، ويشكو أوصاف حبيته
التي لاحد لها ولا حصر ، ويريد من الليل ان ينظر الى من اسود حاله
وادلهم وطال ، شبيها بحاله وبشعر الحبيبة الطويل المرخى على الاوراك فى
سوالف ملتوية كالثعابين تاركة باله فى كدر وسواد ، وقد الهبته نار
الخدود ولسعته الحواجب والعيون لسع الارقم ، وكأنها فى نظرتها سيف
ابن عبس يغرس فى قلبه ، وهو بعد هذا يشكو زندق حبيته يلهبان نثار
حشاه وقد انهمرت دموعه غزيرة كاللزن شبيهة بالآلئ ثغر الحبيبة وجوهر
جيدها . ويجيبه الليل بأن من اكتوى بنظرة العيون مصادف اعدامه ، ولكن
الله يجود بالصحو بعد الغيم :

زاد المغموم اشكا ابقهـرو * وادمعو امزون اعلى الخد اتفور
قال اداجى لهوال كـشـرو * شلا انعيد من رمكات اليعفور
توصافو عندى ما نحصرو * بهم جيت شاكى من غير افجور
ابغيتك ياليلي اتشوف من هو حالو اكحل اطويل او حالك تدهامو
مثل اشعور الباهى اطويل وعلى الوركين افخيم

واسوالفها مثل التعابن الملويا فى خاطرى اكحـالـو واهامو
والقوس السعنى من الحاجب القايس لسع ارقيم

سيف عنترا فدواخلى امن الخزرا فى يوم الحبـاح جرد صمصامو
والهيبو من لخدود باهى والوجنات اجحيم

وادموعو مثل اجواهر الثغر ولاجوهـر جيدها اعلى حسن اقوامو
والزند زند نارى افلحشا من برقو لوسيم

وادوا لبيهم اقال امن اكوا من خزرت لعيون ذاك صادف تخدامو

لكن الله ايجود بالصحو من بعد التغييم

وتقدم الذى هجره احبته يشكو حر نار الفراق فى قلبه وغدرهم به
بعد أن وعدوه بالوصال تاركين قلبه ملتهبا لايعرف الطبيب له علاجاً ،
ويسأله عما قد يفرج حوله وهيامه ، ويريد منه ان ينظر اليه بفراصة وعقل
ويعالجه ويخبره بمكان احبته ان كانوا تحت جناحه ام فى خصب ينعمون .
ويرد الليل بأنه ينبغى له ان يسأل ويجول ويقتفى أثر رحلتهم ، وان لم
يقدر على ذلك فليصبر على الضيم ، فكل من يعمل يصل ، وليس أمام العاجز
الا أن يصبر ولايشكو اذ عجزه هو سبب ما يقاسى ، والذى يتمسك بالامل
بفوز لابد بغوث من الله :

زاد المغموم اشكا ابغـدرو * قلبو ابجر نار الفرتا مدعـور
قال اليلي لحباب غـدروا * بعد التفاق عن لودا و اشهور
تركوا قلبى كاوى ابجـمرو * عكز الطبيب ما عرف الداياشور
ابغيتك ياليلي اتفدى بفاد تفجى احوال قلبى واهيامو

وانظر فيا بفراست لعقل لك جبر احكيم

ابغيتك ياليلي اتعالج الصب الى رحلوا احباب قلبسو فيامو
واداوا امعاهم خاطرى اولا باقى له احليم

ابغيتك ياليلي اتكول لى واين صدوا لمتى واين حامو
لاينهم تحت اجناحك السعيد اوفى خصب انعيم

ادوا لبهيم قال سول اوجول اتبع ارحيلهم فى أثرو هامو
كان انت ما قديت يالداعى اصبر اعلى الضييم
من اخدم اوصل والعائز يصبر لايشكى عكزو اسباب هجرو واعدامو
والى ما قطع اياس لاغناه ايغيثو لكريم
وهكذا قضى الليل وحكم بفكره لارباب الهوى ، وفصل بالحق حتى
شاع خبره فى كل مكان وجد فى العمل ساهرا يشهد له الشمع والخمر .
أمرو احكم واقضى ابكسرو ۞ لرباب لهوا بالحكم المشهور
وافصل بالحق أشاع خبـرو ۞ الشكل فج بين امدان وادشور
واجتهد فالخدمما ابسهـرو ۞ بشهادت الشمع والخمر المعصور
أما الذين قدموا الهدايا - وهم أهل الانس - فجاءوا يطلبون منه
ان يطول وقد حلا النغم وشعشعت الخمر وأضاء الشمع :

جاوه ناس الفرجات ولخلاعا واهداه اراودوه عن طول امكـمو
قالو لوياسلطان هل الحب ابغيناك اتقيـم
احلات الصيغا ولمدام شعشع والشمع ازهى اولاح فخدود اريامو
والكيسان اقميدان حربها تجرى فى تعويم
ويدعو المدغرى فى «الصبوحى» للتمعن فى **طلوع الفجر** ورؤية البدر
مضيئا كهروس يبرز من الحجاب وحوله الكواكب فائنات يرعاهن تحطن به
يمنة ويسرة، ويدعو كذلك - مستغلا أسماء الكواكب فى تلاعب لفظى رائع -
لمشاهدة المشتري ولوعا بشراء العاشقين ، له سوق عامرة بهم ، وزحل
باعثا حمرة على الخدود كعصير الخمر ، والزهرة زاهرة خدودها يزهى
المحبون بجمال ضوئها ، والكيوان يكوى القلوب بلانار ، والمريخ مرخى
لثامه ، والثريا متملية من سناها بعقد والنجم يزهى العاشق بغرته ، ويبشر
بضياء مناره ، والنسر ين يسرى فى الرياض بعسكره والنسيم يفوح عطره
منبئا بطلوع الفجر :

شف البدر المضاوى اعريس تاك افحجبا واكواكبو اعوانس يرعاها
دارت دور المقياس به عليمين وايسـمار
شف المشتري لسه سوق عامر برقاب العاشقين والع بشراها
شف الزحل ارقى اعلى لخدود اعصير المسطار

شف لزهرها زهر اخدودها وتزعمى اصحاب ليهوا عين حمدين صباها
شف الكيوان كوا ابكتو لوه ، اولا نسا

شف المريخ ارحى النسا شف الشربا لابسا اغويد امن سناها
شف السرى سرى على الرياض بعسكر حرم :

شف الخمر ابررى ابهر العاشق وامارتو اتبشر بضياها
شف النسايم اطلعت لعجر يعطوك لخبـار

أما لفجر فكسلطان راكب فرسا أشهب ، وقد مسك فى يساره مسحة

حاد ، يركض خلف وصفائه فى كل مكان مشمرا عن ساعده بحزم :

شف لفجر احكىتو اشريف راكب اشهب اولا اعلى ايسارو ممضاها (I)
يجرى على وصفائه تكن جبه 'بحزم تنسـر

وهو قد أشرف على الاطلال منوب كانه المولى اسماعيل ، ناسر عمه

المنصور وضاربا بسيفه المصقول فى حيس الظلام ، سسر حلقه شمسـر مسن

الخيول الشهباء النجبية الصاهلة :

شف الفجر اركب فوق لطلال : قايـم نعيمه مولـى سـماشـيل (2)

شف اعلامو منصور فنـال : سـنـور اعلى حـبـوس الـديـجان اصقـيل

شف كم من اشهب ارفع مازل : شـبـان خـاطـف لكـنا له اصـهـيل

ويقارن ابن على بين الصبح والليل ، بين الصبح كسلطان أرخى ذيل

أزراه لابسا حلة من الديباج ، وبين الليل فى توديعه كفراب أسود شابت عناده

وأضاءت مناره ، بين الصبح كنسر يعلو فى تحليقه ، وبين الليل سال دمع

غرابه وقد بدا الضوء من خلال ذلك متجليا يطرد الظلام ويزيحه ، وظهـر

حمام القبله كالامام فى المحراب ، ودار الفلك بمشيئة ربه قاخعت انكواك

ونهب النسيم من بين الظلمة والنور يحرك الاشجار :

الصبح كشرى ذيل ايزارو : والبس امن الديباج اغـفـر

والليل كفراب اسود شاب اعذارو : واشعل امن ضياء امـسـار

الصبح كالنسر يتعلـى : والليل سال دمع اغـرابـو

(I) ما أحدها .

(2) فى رأى استاذنا الجبل الدكتور عبد العزيز لاهوتى أن ذكر اسم

السلطان فى مثل هذه القصائد ربما يدل على أن بعضها كان مدحـ

للمديح ولكن البروة لم يحفظوا هذا المديح .

والضوء فى السماء اتجلى * رسل اعلى الظلام اعقابـو
انظر اترى احمام القبـلا * مثل ليمام فى محرابـو
الفلك كيف دار ابصنعت دواو * واخفى اكوابـو سيارا
هب النسيم بين الداج وانهارو * شوش ادواحنا المسرا
وعند المدغرى فى «الذهبية» ان الشمس أرخت أكامها معولة على
الرواح ، وقد أحست بالليل فارسا حازما مشمرا يجمع جيشه يريـد
الهجوم ، فركضت هاربة من بين الاشجار تبدو أشعتها كأسمك الشابل
تلمع وتضىء :

شف الشمس ارخات لكمـام * عولت للرواح افتيها واقيامـا
حست بالديجور لغلام * جمع لجيوش راد الحركـا بزعاها
وهربت وعرت لوهـام * خلالت لو الركب اشقرا بسلاـما
...

والشقرا تجرى اعلى اجهداها ما بين اشجار

والفارس تبريمتو اعجب محزوم افتشميـر

وامزارج شمس لعشى اشوابل تلمع واتنور

واذا كان كذلك موقف الشمس أمام جيش الليل الجرار ، لم تطفئ
مقابله - وما كان لشيء أن يوفق بينها وبين عهد أسير - فان النهار قسـد
اختطفها وحملها بحزم على أكتافه وغاص بها فى الغروب لتزف اليه فى عرس
يشيع خبره فى الصباح ، ولم يترك لجيش الليل غير الضباب ، وحاول هذا
الجيش أن يعثر عليها ولكن دون جدوى ، وظل الليل يعض الندم يرمى
بحره بالموج والظلام ، وشكت اطياره فى اوكارها باستثناء أم الحسن التى باتت
متنغمة ، وحز فى نفسه أن يختطف النهار المشرق نجمة الانارة ويتزوجها ، وان
يتكرر ذلك كل يوم :

شف الشقرا شافت المظلام ابعسكر جرار

واعرفها مثل الظليم ما طاقت لو بعثيـر

واش ايلاقى بينها اويين الميسور

حوصلها جيش النهار عن كهلو فالتشهار
واغطس بها في اغروبها محزوم افثشمير

خلى غير الركب والضباب الجيش الديجور

طلق الليل اعساكرو اعليه ايمين وايسار

شرق اغرب اعيا ومايوكد ومن دير الديسر

ماوجد وجرا اول الكاو المنزلها شور

...

حوصل خيتو ولد لهمام * وابقى الليل بات افغصا وانداما
يرمى بحرو موج واضلام * بسواد فوق برناطا دار اعلاما
واشكات اطيرو افلرسام * من غير أم الحسن باتت نغاما
وابقات الغصا افخاطر السديجور الغوار

حين اخطف لو شارق النهار انجمت التنوير

واعمل بها عرس كان فالصبوحي مذكور

وابقى جيش الليل فالنهار ايعوم ابتكار

يخطف شمس اعشيتو ايفادى تارو بهديسر

واتروح اعروسا امثيل جيش الفجر المجهور

ويصور المدغرى الصراع على النجمة بين الفجر والليل ، وكان كلا منهما
سلطان بعسكره وجيشه ، أحدهما - وهو الليل - راكب فرسا أدهم ،
والآخر - وهو الفجر - راكب فرسا أشهب . وبينهما ظهرت النجمة
بهية مضيئة بارزة كأنها عذراء منعمة . وتقابل الجيشان ، جيش الليل بسلاحه
وخيوله ، وجيش الفجر بالقمر المضيء . وادعى الليل أن النجمة ملكه طوال
الاجيال ، وزعم الفجر أنها زوجه بالعشق الحلال وانها دائما فى رعايته
تلازمه لاتحيد عنه . وماكاد الجيشان يلتحمان ، فى قتال مرير حتى انتصر
القمر وحاز عروسه وليس رداء غدا يرفل فيه :

يقظ جفئك شف شف حرب الفجر مع الليل

كن اهمام امع اهمام بين اعساكر وامحال

واحد عن ادهم لحر اعلی اشهب مشمول
فاليدن اتحاربوا اعلی نجما حرب اطویل
والنجمننا بناتهم حسن ابهاها شعال
نعها عذرا امخننرا تاكت بين افحول
الذجا انط مجملها بالعدا والخیل
والفجر دغم فيه بالکمره حربو قتال
واتلافت الخیل ابلتتر والسيف المسلول
لذجا دعا وقال دك ملكی من جیل الجیل
والفجر دعا قال دك زوجی العشق احلال
فی حوزی دیا املازما جنبی لیس اتحول
اتلظمت لخیر افلكفاح بعیط واصهیل
عامت الکمره اعلی اجیوش الدهم لبطال
حاز الفجر اعروستو ولبس ایزار مرفول

2 - الطبيعة :

وبنفس "الاسلوب الذي وصف به الشاعر الشعبي مظاهر الكون ،
ذاتياً نابضاً بالهوية والحركة والمقارنة ، صور مظاهر الطبيعة ، فهذا حماد
الحمري في « ربيعته » يصور انهزام جيش الشتاء أمام الربيع الذي أقبل
كسلطان منصور حاز كل فخار ، فصفت السماء من الغيوم ورمت ثوب الحزن
وبدا في لائق قوس قزح بألوانه المختلفة كأنه على خصرها حزام (I) :

سارت شدي كالجيش ايلا انهزم افلكحار
من بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير
اوجا اهمامنا لسمى الربيع حازن التفخار
وصاب ما يصيب المنصور ايلا امشى اعساده احقير
ارمات السما ثوب حزنها ولبست الافتخار
واتحزمت بالسبع الدوان اللي اهداهما لخير

(I) يطاق في المغرب على قوس قزح : حزام للا فاطمة الزهراء .

وهذا اميرد يرى في « ربيعته » أن الربيع أقبل بأنواره ، وعمت
البركة والهناء والخير ، وغدت الأرض في حلتها السندسية المنقوشة كعروس
سلطانة منورة أحيائها بعد الموت بغزير الأمطار ، وبدا المطر في تباه زوجها
الأرض تسرد بحاسنه ؛ ويوم ضمها وسقاها حملت منه ووضعت للسرور
ذكورا وإناثا ؛ فأزهرت الأنوار من كل صنف بقدره الله ، وخرج الناس
للتنزه من كل مكان :

فصل الربيع كل بنوارو

✽ عامنا عام البركا ولهنا والخير

من بركت النبي صلى الله اعلى باهى الصورا

انقش الأرض ابحكمت اسرارو

✽ صبحت اعروسا سلطانا امنوراتنوير

واثيا بها اسندسى وانراورها افراش منضورا

من بعد موتها احيائها ✽ بعوارض لمطار اسقاها

سبحان ذا الثنا والعظم والجود

لمطر كابعا يتباهى ✽ والأرض زوجتو فحضاها

بحاسنو ابدعت جمال اتسود

فنهار ضمها واسقاها ✽ منو اجملت فوق افضاها

وضعت للسرور اذ كورا واغيو

لنوار كل صنف اتصوارو

كيف صور واصنع من هو الكل ذنب اغفير

من طبت الجنان الساعد للساعدين بالزورا

هاج الربيع وافتح نوارو

فيه لخلایق تهدي كافا اكهل واصغير

لنزايهو اتكبل من كل ارسام له واقطورا

ثم اخذ في وصف الاشجار والطيور على حد ما سبق ان رأينا في اطار

مجلس الشرب .

وعند الطيب الواستري في سرابته الربيعية أن في قبال الربيع

سعادة الايام وانتشار مظاهر الخير ، فقد جاد الزمان وضحك
وانفرجت الاكدار وزالت الاحزان ، وظهرت الزهور المختلفة
اليها ، وبدت الارض كأنها من حور الجنان ، طاب عليها السرور
وهي بهذا عروس زفت اليه فجاء عليهما الزهو وغدت بارزة
وأجمل الحلل :

فصل الربيع قبل الوقت ازيان * واعلامات الخير للو
جاء الزمان واضحك ثغر السلوان * والنكد اتفاجا اوزال
وابطايح الزهر اعلى كسل الوان * تسبى من راها ابث
والارض زى حوريا من رضوان * واعليها طاب لله
نحكي اعروس واعروسا فى اوان * اعليهم جاد الزه
صبحات بارزا فكساوى حسان * دام الله اجمالها وا
ومثل هذا نجده عند غانم الفاسى فى «ربيعية» :

ومثل هذا نجده عند غانم الفاسى فى «ربيعية» :

الربيع اقبل فيأمو الريح غلاب * وانكسات اليبدا بكة
كعروسامن كل اقماش زايداديباج * حانظا بشباب الكبر
هايجا عدارويا امن احراج لغناج * ابلحاسن تسبى فـا
جات ايام الزينا بالزهو ولغراح

اقبل فصل الربيع وايام السلمون

الزهر أتى وانشرح ١

وعنده أن الربيع من فضل الله ونفحة من نفحات الجنة
 حال أيام الربيع من جنت رضوان ❖ بانث لوراق والزهر
 سبجان الوحيد عظيم الشأن ❖ بدع اجميع لشديات
 جاد اعلمنا برحمتو والسلوان

أما ابن علي فيرى في «الزهو» أن وقت الزهو يدعو للنظ
في أيام الربيع والاستمتاع بجماله كسب :

وأشجارها ، تتعانق أغصانها فى ترحاب كما يتعانق الإحبة بعد طول غياب ،
تتمایل معربة من شراب كؤوس الندى الرائق السكيب ، وقد ضحك الزهر
وبكى الطل ناحباً كأنه عاشق تضحك الحبيبة لبكائه ، تنجاوب معه نغمات
أوتار العود والرباب المطربة تنقر عليها أيدي العذارى :

حل عيبك واتنزه زد شوف واسطاب
فى ادواح العرصا وازهارها اعجيبا
اغصانها بالفرجات اتعانقو ابتراحاب
كيف عنق لحبيب احبيب بعد غيبا
اتمايلو وعربطوا فرياضهم بشجار
امن اكيوس انداهم امرونقا اسكيبا
الزهر يضحك والطل ابكى افتنحاب
كن عاشق تضحك لبكاه شى احبيبا
ولوتار اتجاوب بنغام عود وارباب
فيد عدرات اصوات اوتارها اطربا
وهو يشبه أشجار البرتقال والليمون محملة بفاتنات من بنات العرب
الذين يسرع أبطالهم لانجاد كل من استنجد بهم ، وهن يصلن بسمرتهن ،
تزين أجيادهن وصدورهن قلائد العقيان :

شف رنج اللتشين اليم كن خودات
من ابنات العربان الصايلات بالتيست
ابلعقيق أعقيان امخمساً الغلادات
ابطالها من بهم استغاث دايماً اتغيث
ويشبه اشجار الرمان المصطفة بعرائس لابسات حللا حمراء متوجة
الرؤوس :

شف صف الرمان ابهيح كالعرايس
لابسات العكرى فعراشها اعلى الراس
ويشبه أشجار التفاح بأبكار أطلت نهودهن الصغيرة ، وماكادت تطل
حتى اخذتهن الحيرة والدهشة من اكف العشاق وتملكهن الحذر والرهبة :
(21)

شف صف التفاح اربا افأرض لامير

كاعزبات اضحت انهودها اصغيرا

كيف طلوا وانبهضوا حازهم تحيير

من اكفوف العشاق راهبا احديرا

ويشبه الورد بخدود أبكار المدينة عائدات من الحمام ، شعورهن مبتلة

تقطر على ماء ورد الخدود العنبرى الطيب ، يعتدلن ويملن فى ربح غلابة

كأنهن سفن تمخر العباب :

شف صف الورد اياكى اخدود لبكار * ساكنات البهجا (I) البيضاء ابنا لحضر

حايات من حمام اشعورهم قطار

فوق ماورد الخدين طيب عنبر

.

كايعدلو وايميلو ريحهم غلاب * كاقراصن فالبحر امانزهو اسجيبا

ويشبه النخلة بعروس بكر تمتلذذ الياقوت والعقيان والجواهر

تتمايل مع هبوب الريح من العريضة والسكر ، وقد أرخت شعورها مسدنة

ومضفرة ، وهى من بنات الحضر زاهية كريمة يفوق جودها الوافر جودحاتم

شف ديك النخلا نحكى اعروس ~~بكر~~

امقلدا ياقوت وعقيان والجواهر

كتعربد فى اريوح احوالها ابسكرا

اشعورها مسروحا وامضفرا اضفاير

من لبنات المزيانا زاهيا وحضرا

غالبا حاتم طى ابجودها الوافر

ويشبه أحواض الزهور تكشف عن ابتسامتها من النقاب كوجنات

السكرارى :

ولحواض بنوار امبسا امن انقاب

كن وجنات السكرنات بالصهيبيات

(I) البهجا من أوصاف مدينة مراکش .

ويشبه أديم العرصة بزرايى مفروشة للتنزه متناسقة ، زائه رقم
حريرى يفرج الكروب ، ليس من نسج الانسان ولا كتابته ، ولكنه من نسج
لبارى جلت قدرته ؛ أما جداول الماء وسواقيه فكالثعابين تجرى ملتهبة
الاجواف :

شف ارض العرصا ماكيفها ازرايى :: امفرشا لنزايه هذى الذى ابنسها
ابلحرير امرقم يفجى ادجا كرايى :: ماتنسجو بصباغ اولادخل الكتبا
بيد مول القدرا منسوج يا حبابى :: اتفكروا واعتبروا تلقاو كل رغبا
شف ذاك لما فسواقى انسج صباب :: اكما التعابن تجرى واحضانها الهييا
ونجد عند المدغرى كذلك وصفا غير مباشر للزهار والانوار فى «النحلة»
حيث يستعرض مختلف الانواع التى تمتصها ، يقول مخاطبا اياها فى حربة
القصيد :

صولى ياشاما الظريفا وازهاى أغنى ودندنى وقطفى منى لزهار
اترياق اعلاج كل ضرر :: أبنت الملك ملك هما واتمار
وفيهما يرحب بالنحلة ويهنيها على الصولة التى تتمتع بها فى أمة
الطير ، ويطلب منها أن تغنى بين الورود والزهور وخدود الجميلات وعيونهن
الذباحة ؛ أوحى الله لها فى كتابه وألهمها للتجول فى السهل والوعر
وبطاح الندى لقطف الانوار ، وجعل فى شهدها دواء وحكمة وكسبا :
سهلا واهلا بك يا النحلا واهنيا يا صايلا صلتى عن لطيار
غنى بين الورد والزهر :: واخدود الزين ولعيون النحارا
اوحى لك الله فى اكتابو لهمك لبطايح الندى ولقيط النوار
والجولا فالسهل ولوعر :: واجعل فيك الدوا وحكما واتجارا
أما ابن على المسفيوى فى «المشموم» فيدعو العاشق الى قطف الزهور
وضمها فى باقات لتفديهما الى احسان :
يالعاشق قطف النوار بين لريام :: كل وحدا رخم لها افنوع مشموم

ويستعرض أنواع الزهور التي تضم الباقة وكأنها عرائس النيل
فيقول :

من افنون النوار اجنى اعريس النيل
والزهرقان انسرى والشقيق والياس
بابنوح اطماج اقمرمزي امتخبيل
ولبهر والسوسان امجاور واسكلماس
ياسمين اغنبار امع لبها افتتاحيل
ولعشيق اعاشق والرنج والنجاس
اقرنفل والخلى والورد فاح بنسام
ولحكم دون اشريع ابلغرام محتوم
خد الجوار اشكى اشكا ابلغرام
باح سرو من عشق الباهيات بقيوم
امشرقا اوشامها يسحر لعقول
وفزين ازويول الراحا اللقال
والباغ وابنفجيج والديدى متمول
نشوان اغايتو وعنها ما يسلا
ولعقيون الددحان اصبح معلول
شاف الزين لبهيج من فايق عبلا
ولم يكن الربيع وحده الذى يتيح فرصة الخروج للتنزه والاستمتاع ،
وانما كانت غير قليل من المناسبات تنيح مثل هذه الفرصة لاستعراض جمال
الطبيعة والفاثات كشعبانة وعاشوراء ويوم الزيارة ، يقول امتيرد فى
شعبانة :

يوم لتنين افشعبان السعيد يامن ييغانا
لنزايه تملت اعوانس لمدين الحمرا (I)
آش را من لارا لريام يوم داروا شعبانا
كعرايس نحكيها بارزا افحضرت كسرا
(I) الحمرا من أوصاف مدينة مراکش .

ويقول الحاج محمد النجار في عاشوراء :

أجى اتشوف يامن لاشاف الهايجات يصادروا

كيف شافت عيني حسن يوم عاشور

ويقول الشيخ العربي الفاسي في خروج الفاتنات للزيارة يوم الجمعة :

خرجوا لبيكار

يوم الجمعة لسواحل لبحر

بالآل وانغايم لوتر

حاموا الزخار

شفه امديننت سلوان (I) زاهرا

خرجوا لبنات للزيار * واجى يامن ابغا ايزور

تهنا واتشوف دالعبارا * خرجوا فى افراثن لبحور

قالوا يزهاوا بالتمارا * خرجوا برا لقصور

ملاحظة : شعر الفكاهة :

قبل أن نترك هذا الجانب الباسم المقبل على الحياة الى الجانب العابس الجاد ، نود أن نقف وقفة قصيرة عند فن من الشعر الشعبى لاشك انه تعبير عن روح الاستمتاع والابتهاج ، وهو شعر الفكاهة ، وتعرف قصائده بأسماء كـ : « الزردة » أى الوليمة ، و « الطجين » و « الفار » و « الكلب » ولكن الاسف أنا نبحث عن هذه القصائد فلا نعثر منها الا على بقايا قليلة . وقد أكد لنا الاشياخ انها ضاعت فى اغلبها بسبب ما كانت تثيره بينهم من شغب وشنائع جعل المنشدين يتحاشونها وكذلك الجمهور .

من ذلك ما يحكى من أن الناس كانوا يطلبون من المنشد قصيدة

« الفار » فيقولون له :

« أنه تيجى اخلو من فمك » فيرد : « اعلى اوجوهكم » ؛ ويقولون انه كان

للغالى الدمناى قصائد فى « الكلب » وكان الناس يطلبون الاستماع اليها

بمحضره بمثل قولهم « قولوا لنا الكلب دا الغالى » وكأنهم يشتمونه ، فتضايق

من ذلك وأحرق كل انتاجه فى الموضوع ، وحرم على حفاظ شعره أن ينشده .

(I) مدينة السلوان يقصد بها مدينة سلا .

ومن القصائد الباقية قصيدة «الزهو فى طبلا حسن» ، وهى تنسب
للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان ، وفيها يرى أن الزهو فى مائدة
أكل جميلة وصينية شاي عليها برادان ، وكؤوس ملونة :

الزهو فى طبلا حسن

لبرارد زوج وكيسان

لونهم يهوانى

احكيتهم خرجت بلعمان

مهتل فوصاف الكيسان

عين علجا والخابورى (I) امع لخضر يهوانى

شمس لعشى يسحر لدهان

وفيها يقول مستعرضا اوانى الشاي وملحقاتها من صينية وبرارىسه
وكؤوس وزنابيل (2) وبقاريح (3) وبابور (4) وقوالب سكر ومرشات «5»
ومبخرة «6» :

ولبرارد نحكى شابات يافهيم اوزانى

امحزمين بهمام السلطان

ولبقارج مثل الفرسان

راكبين اسروتا وامحزمين لمدانى

...

در بابور اصفر فلوان

شعل نار على كلب ابلمحبا فانى

-
- (I) العلجا هو الازرق السماوى والخابورى هو الاصفر .
(2) هى فى الغالب اوانى ثلاثة احداها لحبوب الشاي والثانية لقطع لسكر
والثالثة للنعناع .
(3) بالباء أو الميم ج بقرج بفتح حرف الراء - ومد نطقه فى البوادى -
وهى آنية غلى الماء ، وتعرف فى المشرق كذلك بهذا الاسم .
(4) جهاز غلى الماء ويطلق عليه فى المشرق السامور .
(5) مرشات تملأ بماء الورد والزهر للتطيب وهى فى الغالب من الفضة .
(6) مبخرة احراق العود .

عشق الطبل والكيسان

ولقوالب مثل الشبان

...

والزنبيل مثل البيزان

ولمراش نحكى غزلان

بارزين افطبل والعود افلمبخرافاني

عبق التسم بالدخان

ويقول عن الحلويات والمأكولات ذاكرة البسطيلة (1) وكعب الغزال (2)

والغريبة والمحمرات والمحشوات والمقليات والمشرملات (3) ، من ضلعة (4)

ومروزية (5) وشواء وطواجين وكسكوس بالفراخ والحمص والبصل :

در بسطيلا فالغطران (6)

واطباصل (7) من كعب اغزال من شغل مخزاني (8)

واغريبا من شغل اليمان (9)

(1) ورقات رقيقة من العجين محشوة باللوز المطحون أوقطع الفراخ والبيض .
تطلق وتجمع على شكل دائري .

(2) قطع من الحلوى محشوة باللوز على شكل الهلال .

(3) نوع من طبخ اللحوم يشترط فيه قبل طبخها أن تشرب بالتوابل
وخاصة الفلفل الاحمر .

(4) لحم محمر فى السمن والغالب أن يكون قطعة واحدة ومن لحم الصدر .
ومن هنا كانت التسمية .

(5) ويطلق عليها «لمسل» وهى نوع من اللحم المعسل يوضع عليه اللوز
والزبيب

(6) ، (7) هى الصحون .

(8) نسبة الى المخزن أى الحكومة والسلطان ، وهو وصف يقصد به الشيء
المتقن الرفيع سواء فى مأكلا أو ملبس او غيره .

(9) تبدو هذه النسبة غريبة ولعله قصد أن أشكال هذا اللون من
الحلوى فى اختلافها ودفنها شبيهة بأشكال الوشى أو الرقم البمانسى
المعروف

امحمرات اثلاثا فيبيان
امحمرات اثلاثا ومقليات اثلاثا ثانی
امشمرات ادجاجات اسمان
حمر الضلعا فالفران
لمرزيا لمقليا ياكل الشبعاني
واشبو امن لحم الخرفان
والطواجن مثل الوصفان
ولفرارج مثل الصبيان
فوك لكسكسو بالحمص والبصل رويا نى
والسمن مدوب تزمان

ومنها كذلك قصيدة «الزردة» للحاج محمد بن عمر المراكشي ، ويرى فى
حربتها أن المضغ فن وفراسة وأن الذى لا أضرار له يظل يلوك الاكل فى
فمه قبل أن يبتلعه :

ولمضغ افراسا من لا ايليه ضرسات ❧ كيلوج فمضيفو عاد تيسرطو
وعنده فى دخولها أن الصديق الذى لا ينفعه بخبزتين لا يعول على
طجينه ومرقه ، ويكتفى بشد حزامه ، مقنعا بطئه بالشبع من طعام لم
يطبخه بنفسه ، ناسيا اياه ليعود الى قوته الذى اعتاد ، ولكنه وجده غير
ذى طعم ولم يسغه فلفظه .

ولحيب الا ينفعنى ابزوج خبزات ❧ مانعول عن طجينو اولا مرقطسو
انشدكرشى وانقنعا انقولشبعات ❧ امن الطعام ملاطيبنتو اولا نصبنتو
انظن كرشى عمرات اولا عتيق حدجات

وانسى من بالى قوتسو اولا قبلتسو
كان لى قوتى وابدانى به نسقات ❧ ما نسيئو به امبالى اولا تركتسو
امين دقتوصبتو مافيه شى النسقات ❧ ملفاه ارميتو من بعد ما مضغتسو
وفى عروبي من القصيدة يتحدث عن الوائم التى يذهب اليها فى
غاية الزينة حيث يجد كل ما يشتهي من موائد رصت فوقها الطواجين
وأصناف الاكل المشبع الشافى للأمراض :

كس من زرد! امشيت فيها ليس اجلست
والقيت اللي ابغيت فيها عن لنعسات
وادخلت الدارها امقيب وزينت
قربت لصحونها اللي قبلت
واطواجنها امعمرات جات وحضرت
فوق اميادي امبرجا زهوا للبدان
وما وجدت امن اطعام اصناف اعملت
يشفى ضر لبدان من هي زردات
واليوم ابطون منها شبعنا واراوت
وهي قصيدة تبدو مستوحاة ومقتبسة من قصيدة فى «الوصاية»
للعلمي يقول فى حربتها :
اللعب من غير اشطارا فوق روس حريات
هكذا مثلث ابندام فى اعشرتو

وفى اولها يقول :
لحبيب الا ينفعنى افيوم حرات * ما نحمل عن قلبى غل امن اكلفتو
ننساء ونترك حسو انحسبو مات * وانعود ياراسى زليت امن اعشرتو
ولعله واضح أن «زردة» ابن عمر ليست غير قلب لموضوع «وصاية»
العلمي . على أن قلب القصائد ومسئولها يشكل نوعا خاصا من الشعبي النكاهي
برع فيه أشياخ مراكش ولاسيما الشيخ أحمر الراس ، وهو أن يأخذ
قصائد جدية فيمسخها ويقلبها الى موضوع هزل ، ومن الامثلة على ذلك قوله فى
الابيات التى أصلها (I) :

ألا زهور ازهر وازهارو * بك الزهر اللا ازهر
صولى صولى يا غزالى زهرا
فهو قلبها الى ماأتى :
سكران ريت يامس يلفظ بشعارو * اسكر وطاح فى دولت لكار
ماضاق حتى اتكون العشرا

(I) من قصيدة : «زهرا» للتهامى المدغرى .

ومن ذلك أنه أخذ «حراز البغدادى» :

مال حراز الدامى ما يتق بياهيها * غير حاضى لوقاات
بالدوام امجنبنى اولاً يرومنى قطعيا

فقلبه الى الخراز :

مال خراز البالى ما يتم الكلبات * شابات وعزبات
كل من جات يبطش بها * ويقضى لها اربع وخطينا
وفيه يقول مستنكرا حال الزمان وما تفشى فيه من انحلال خلقى :

اوصل الزمان فاش ابغوا اميا ملعرج قتالا

ويلا اعيوا ايولوا ايقرجطو (I) ابلا جنوى

ولكن هذا النوع ضاع كذلك بسبب ما كان يشيع فيه من فحش وعبارات
نابية ، بعد أن ظل تداوله محصورا فى نطاق خاص .

(I) ايقرجط أى يخنق . وهو هنا يشير الى واقعة كانت حدثت بمدينة
مراكش ، مجملها أن خرازا يسمى الحاج الاعرج كان ورعا متدينا ولكنه كان
يتصيد النساء الباغيات ويحتال عليهن حتى يأخذهن الى دكانه ، وكانت له
فيه مطمورة ، فيذبحن ويلقى فيها بمجنهن . ولم يكن أحد يعرف كيف
يختفى هؤلاء النساء الى أن وقع ذات مرة أن طمر احداهن وأخذ قفطانها
وباعه فى السوق ، ولم يكن هذا القفطان ملك القتيلة وانما كانت قد استعارته
من احدى صواحبها ، وحين اختفت المرأة وانتظرت صاحبته القفطان فلم
يصل ، أخذت تبحث وتساءل ، وصدفة وجدتة فى السوق فتمسكت به ،
وانتهى البحث والتحقيق الى أن الذى باعه هو الحاج الاعرج فحكم عليه بعد
أن اعترف بجرائمه ، وطوف فى المدينة قبل أن ينفذ فيه الاعدام ، وكان
يصيح أثناء تطويفه بأن الفساد كثر ، وانه لم يكن يسعى لغير الاصلاح ،
وكان يقول بأنه لو أطلق سراحه لبضعة أيام لما بقيت باغيه واحدة فى مراكش

الزهد والحكمة

يتمثل جانب التجرد عند الزجال المغربي فى شعري الزهد والحكمة ، يقصدهمهما الى الكشف عما يفعل فى نفسه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، والى وعظهم وارشادهم عما هم يحسنون هذا السلوك . وقصائده فى ذلك تعرف بـ «الوصاية» و «التوبة» و «القلب» و «الطبايع» و «الموعظة» و «النفسية» وما اليها مما يوحي بروح التأمل والتنبيه . ولا تكاد نجد قصيدة لا يملأها الوعظ المباشر المقصود بعيدا عن حديث الشاعر عن نفسه وتأمله لحياته فى حسرة على مافات منها ومحاولة استخلاص العبرة له وللآخرين ، وكأنه نظر الى المجتمع فوجد الاوبئة تنتشر من مجون وانحلال ، والى الناس فألفاهم منشغلين بمفاتن الدنيا عن الدين ، فتحركت عاطفته الاسلامية واحساسه بمسؤوليته الاجتماعية ، فتصدى يعبر عما يفعل فى نفسه وما يراه السبيل الى الاصلاح . وعلى الرغم من أن الوعظ غدا غرضا مستقلا قائم الذات ، فانه لم يتح الفرصة للشاعر أن يطيل النظر ويتعمق ويحلل فى جدل فلسفى او اقناع منطقي ، وظل مجرد حكم وعظات تتسم بالبساطة والسذاجة ، وان لم تخل من بعض التعليل وخاصة فى ذم الدنيا والتزهيد فى الحياة والنظر الى الموت ، ولكنه تعليل مصدره العقيدة فى صورها البسيطة . وكان يمكن أن ينطلق الشاعر الشعبى فى ذم الدنيا من تجربة صوفية تجعله يخلق بروحه فى أجواء العشق النبوى — ولانقول العشق الالهى فهو لا يكاد يوجد كما سنرى (I) — لا يرجو غير الاتصال بحضرته عليه السلام ومشاهدة نوره لينعم بمتعة حبه الروحى بعيدا عن متع الدنيا وملذاتها ونزوات الجسم وأهوائه طالما أنهما غائبان ، ولكنه لم يفعل حتى فى أضيق حدود هذا النطاق ليتأمل الكون ويدرك كنه أسرائه وما وراء حجه أو لينظر اليه ولو مشدودا الى اطار الطبيعة لا يتعداه ، واكتفى فى ذم الدنيا بنبذها والتزهيد فى

(I) فى آخر الفصل الرابع من باب «الموضوعات»

متاعها مادامت دار فناء زائلة ، ومادام الانسان مجرد عابر لها الى السدار الآخرة . وانطلاقا من هذه الفكرة المتأثرة بالدين ، رسم الشاعر الشعبي للحياة الدنيا صورة بشعة منفرة خسيصة لا يغتر بها الا مغفل مجنون لا يعتبر من الماضين ، وهى صورة نجدها فى القصائد «الجفريات» (I) التى يستوحى فيها الشاعر واقع الحياة والناس ليتنبأ بما سيقع من أحداث ؛ ونجدها كذلك فى القصائد التى صورت الوقائع ، وهى قصائد يغلب عليها الاستسلام لقضاء الله وقدره .

أما الموت فنظر اليه الشاعر الشعبي نتيجة حتمية للانسان والحياة، لاقدرة على تجنبه والفرار منه ، وسبيلا للخلاص من متاعب الدنيا ، ووسيلة الانتقال الى العالم الآخر حيث نعيم الجنة الدائم والسعادة الحق، واعتبره مقياس التسوية بين البشر . جديرا بالتأمل وان لم يكن بالشئ الغريب ، فقد طالت ألفسة الانسان له وهو ينظر فى التاريخ فيرى فناء الدول وموت الانبياء والعظماء، بل يرى الناس حوله يموتون وكذلك الطبيعة ، حقا انه يأتى بغتة ، ولكنه على ذلك سهل كالنوم .

وقد ظلت فكرة الموت وضم الدنيا سطحية عند الشاعر الشعبي لم يتعمقها ولم يفلسفها ولم يتأمل جزئياتها ودقائقها ليكشف عما يعتمل فى نفسه وكل انسان ، وعما يتطلع اليه دون أن يعرف كيف يصل اليه أو يدركه او يعبر عنه .

يقول المغراوي فى تنبيه الانسان الى أن الدنيا فانية وان الدوام لله وحده ، ودعوته الى أخذ العبرة من الفناء مادامت الصحة لاتدوم والشباب يخون :

مادام الملك غير للدايم لمعين * وماسواه افلورا كلو فانى
خالق لشيآت كلها رب الكونين * نفنا واكداك بامرو نعم الغانى
الصحا ماتدوم والصغر تخوين * اسمع منى الصبح وافقه تبيانى
عبر من ذاتك فالزمان * واش لبـدان

(I) نسبة الى الجفر وهو جلد ماعز كان يستعمل فى الكتابة ويزعم الروافض أن جعفرا الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث الى يوم القيامة .

ما زالت مالديسان * كيف كانت اكسيل
واعلم بان الرحمان * رب جمع لكوان
غانى مغنى منان * ليس ليلو لمثيل
واعلم بان البقا المن يحيى لعظام * من له الملك حق دايم بدوام

ويحاول أن يبته العبرة من الغابرين على هذا النحو :

وين نوح فسلام

وين لفضيل سام

وين يدفت أحام

...

وين أيوب افلر صام

...

وين صالح وحام

...

وين داود لهمام

...

وين ابراهيم وين اسماعيل لمجد * وين يسحاق وين يعقوب اولادى

وينو الياس وين دانيال اهل الجد * وين ذا النون اسرور قلبو واعبادو

وين ادريس زال به اغيار النكد * اذ القرنين من ابلغ فسى تجهادو

وين موسى المعهود

...

وين شعيب أهود

...

وين النمرود أصولتو

...

وين جالوت ادنيتو

...

وين فرعون الامتو

...

وهو يرى ان الدنيا ليست غير دار مزاح وشقاء وبكاء، من تبعها ذهل عقله

وغدا فى تعب دائم :

الدنيا ما تصلح غير دار لمزاج

. . .

دار التعب الكلاح

. . .

ولبكا والنواح

واتبعها عقلو جاح

عمرو ما يريح

مثل الدنيا عنده كمثّل نزل يحط به المسافر أو قنطرة تعبّر نهرها أو
سوق تعمّر بأموال التجار ، فواحد يربح وآخر يخسر ، من ضحكته له بشعرها
لا يلبث أن يبكي شاكيا من الفقر والغدر :

الدنيا كيف شئ انزلا بين امصار * والاقنطرا اتدوز عن شئ نهر
والاسوق عامر ابدال التجار * واحد في اسلعتو اربح والثاني اخسر
لاتمن ضحكها ايلا ضحكته بشغار * من ضحكته لو ابكا من اشكاها بلفقر
غدارا ما تدوم منى خذ لخبر

وهي عنده حسناء فاتنة ، يحبها كل من يراها وتحلو في قلبه ، ولكن الذي
يفوز بها ويذوق عسلها لا يلبث أن يسقي منها المر :

هذا الدنيا احكيته الا طفلا * حاطت بيها اشمايل الزين المكمول
من راها دون ريب في قلبو تحلا * مهما يطمع في ازمان كل اوصول
من واغاثو اودار منها شئ خصلا * بعدن يسطب اعسلها تسقيه اذفول
وعنده أن الدنيا لا يامنها الا مجنون أغوته بالكذب ، وان شرابها الحلو
يعود مرارة وغصة ، وأنها سرعان ما تسترد ما تمنح :

الدنيا ما تدوم يا صاحي هيهات * من يامنها اهبل اسلبتو بعد اعطاتو
لو تسقيه لصال ترجع بالغصات * أما من امر سلبتو بعد اعطاتو
والدنيا عند النجار دار شقاء ونكد وغرور :

دار الشقا ودار النكد ودار لغرور

أويح امن اغواتو امال * عقلو امع الطمع والمال
ولا اتفيد فيه اعمال * الزاهدين دركوا فيها نهج لفلاح

بلسان الذكر والصوم ❖ واصلات النبی المعصوم
وعند ابن علی ؑ «الوصاية» ان الفجار يرونها جنة وأن الصوفية يرونها
جحيم المومنين ، فما أسعد من تركها وتخلي عنها :

جنا الكل فاجر واجحيم المومنين شافتها الصوفيا
ياسعدت من سلم فى اهواها وخلاه

وعند ابن سليمان فى «التوبة» أن البقاء فيها لله :

ما فيها من يبقى ❖ غير نعم الباقي
يا غفيل مالك شاقى ❖ لين تاتزید احماقى

وعند العباس الحرار فى «وصايتهم» انها دار الغرور مليئة بالآفات، سلوانها
أحزان وسرورها غصات وضحكها بكاء وصدقها كذب .

امن اكثر دار لغرور بالآفات ❖ تركوا الفانيا منها لغدر مورو
سلوانها احزان واسرورها غصات ❖ اضحكها ابكاواصدقها افشروابھوت
سبحان امن اخلقنا واهمنا بالموت

ومثل هذا يقول علال العلوى فى «الراس» :

. . .

عمرها ما عطأت العاهد الحد الاولا خشات عار

دنيت لغرور ولقرار

. . .

ياماضحك عن ابنادم

. . .

وبعدها اتغبررو

. . .

ايلا تضحك غير مرا تنكد مرات ابلكدار

. . .

وتقول أوام كيف صار

. . .

ما ظنى فى ازمان يفدر من شاقو عاد ناكرو

ومادامت الدنيا كذلك ومادام الفناء محتوما فلا داعى للتفكير فى الموت

فهو سهل كالنرم ، ذلك ما يراه ابن حماد ويدعو نفسه اليه :

أرأسى يامشوم كيف ايجيك النوم * من هم الموت ما تخم يالعمما
ما تعرف كان ترحل الليلا واليوم * تحمل واتشوف للطريق اتعاما
أما ابن سليمان فلا يريد فى «الطبيب» أن يموت ، ونحس عنده رهبة
من الموت لانكاد تجدها عند غيره لعل مردها الى شبابه (I) :

الطبيب يعرف دايا والدوا سومو غالى

عالجونى ياناسى لا نموت موت الغفلا

وكما أحس الشاعر الشعبي الضيق بالدنيا فكذلك أحسه بالناس ،

وهكذا يرى العلمى فى روح من التشاؤم ، أن كل أبناء جيله مطبوعون
بطابع واحد ، فشافيهم النفاق والتحايل والمصانعة والخداع ، وهى كلها
علامات الخراب :

هاذوا شروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

بالحيل والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

منهيههم ندرية خممت اولاد جيلنا شاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الرياء ولم يعد وجود لاحسان والصدق والحياء والعرض

والحسب :

شاع الريا ولحسان اغبر والصدق غاب

وارتفع الحيا والعرض والحسب

وغدت الصعبة وسيلة للاغراض ، فالذى يخالط أحدا يريد أن

يشمت فيه ، يغدر به بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصعبا اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

غير تركزن لو يغدر فيك

مايخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

ومن أجل هذا فهو يدعو الى معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلطف ويصانع ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حتى رايف فالرخفا والشدا ابخاوتو يستعان

(I) أصيب ابن سليمان بداء القلب ومات وهو دون الثلاثين .

والغنى عندهم عزيز فى كل مكان ، لو ظلم وقف الناس يحمونــــــــــــه
ويخوضون فى سبيله الحروب ، يتزاحمون لتقبيل يده ، ولكن ليس حبا فيه
وانما فى أمواله ، واذا ما افتقر انفض عنه الناس حتى الاقرباء منهم إليه :

مول الدنيا عزيز اقلقرا ولمدون * واملل ذاكايرفعوا بجانبو اهل البيد
لو يظلم يوجد من يكون فحمامعون * وعليه القوم ايصارعوا الحرب الشديده
ما بهم فيه امحببتو احسن الظنون * واين كان يتزاحموا اعلى بوس اليد
ويلا افتقر واحماق به فقر ايهون * واقريب فالنسبا ايعود منو ابعيد
فالغنى تخضع له الهامات وتعتبر سياآته حسنات ، أما الفقير فيبغضه
الناس بلا سياآت ، سواء عندهم موته وحيآته ، اذا سكنت فليسوا عنه
انه ختال واذا نطق استعاذوا من صوته :

مول الدنيا يخضعوا له الهامات

سياآتو عند هل الخدع حسنات

وقليل المال ايبغضوه ابلا سياآت * اسنوا عيشو اسوا موتو
ايليسكت ايصير ختال وبهات * ويلا يدوى القوم تسعاض من صو و
وفى نفس الروح وميل الى القوة يرى العلمى فى قصيدته فى «المولى
عبد الرحمان» أن الاعمى لا يبصر جمال الضوء ، وان الاصم لا يصفى لرائع
لافكار ، وأن الحق ليس له صديق يذكر فى هذا الزمان ، غير السيف يصلت
فى وجه الطغاة والبغاة الجائرين :

ما يميز حسن الضوء انوجل العور

ولا ايهز الصمك طيب انغا افكــــــــــــــــارو

فى ماله اصديق اعدا الزمان يذكر

دون صدر السيف الاثنت اصماير

من اطفى وبقى واتنوى وحالف اوجار

ابراهن الهند ابخسران لعدا اتبادر

وهو يرى ان قلب الجاهل البليد لاينبهه غير الحسام ، أما غير ذلك

فمستحيل كما يستحيل أن يسك الذهب من القصدير ، أو يزول طعم المرارة

من الحنظل او يغزل خيط الحرير من الدوم ، أو يحارب بشوكة السمسمار ،
أو أن يعصر الزيت من الرمل ، أو يتخذ العسل من اعشاش الزنابير :

ما يلين فلوب الطامس تذكير

لحسام ايودب ويعلم التماسارا

ما ينفرع سك لبريز من القزدير

اولا تزول من الحنظل طيبب لمرارا

اولا ينغزل من عرق الدوم خيط لحرير

اولا تكون الحرب من شوكت السمسمار

كان محال امن الرملا الزيت يعصار

اولا تكون لعسل امن اعشائش ازابر

وعنده أنه يستحق المكروه كل من لم يؤد زكاته وبغى بالفساد ، وان

الصبيان يذهبون ضحية الكبار والنساء ضحية الرجال :

يستهل من لايسخا بسزكا ولعشار

واستهل من يبغ لفساد واضرورا

راح ذنب الصبيان اعلى ارقاب لكبار

وراح ذنب النسوان اقدمت الذكورورا

والسبب أن الدنيا بهرت الناس وأعمتهم عن الحق والصواب ، وأنها

بدأت تغرى حتى ذوى البصيرة :

بهجت الدنيا تركت كل واحد مسحور

عاد حسن ابهاها يسبى هل لبصيرا

ويرى أنه لا لذة في حلاوة تخالطها المرارة ، ولافضل في مدح يعقبه

الندم :

لاصلح فاللذا بعدن احلات تحرار

ولا افضل فالمدح المعكوب ابلمعاير

وعنده في «المدار» - وقد بدا عليه لاعتدال في الرأي - أن الحياة لاتخلو

من الحلاوة والمرارة :

يوم 'شلق' او يوم اكلو 'او يوم زقوم' ❖ او يوم مستعدل بين الطيب والزهامة
وبمثل هذا المنطق يعبر في «طامو» :

معلوم كيف مادامت رخفا ماتدوم شدا

هذا مواجب احكام اصروف الدهر

يوم احلا من طعم التمر

'ويوم كمثل الخنظل مر

ويصل هذا الاعتدال عند غير العلمى الى حد الدعوة لعدم التأفف من

لزمان فبالخير والشر دائما موجودان ، وليس من داع للبكاء طالما ان كتاب

الله محفوظ في الصدور ، وطالما أن رحمة الله تمحو أوزار المذنبين :

يقول الشاد :

لا تقولو شى يا حسرا اعلى ازمان ❖ الخير والشر افكل ازمان كايينين

ما حد اكتاب الله فالصـدور ❖ لاه نكيـوا اعلاه

ما قاطعين باس من رحمت الله ❖ واحبيننا الشافع رسول الله

فاش جا ذنب المخلوقين ❖ عند واسع الغفران

وبهذه النزعة يدعو الى ضرورة المعاشة والمعاشرة ، مادام الناس اخوة

يعيش بعضهم لبعض ، ويخدم بعضهم بعضا حتى يكو توكا البنان المرصوص

خوك عبدك وانت ديمـا لخوك مملوك ❖ لاتأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كتعيش ❖ لاتكونوشى طوبافشى ابني اهشيش

عيشوا بالله والنبي ولقرآن امع لحديث

وفيم السعى الى غير ذلك وقد جعل الله الناس طباعا مختلفة كما يقول

محمد بن الصـدور :

سبحان الله بالطباع للناس ❖ ما بفى من لاهاج اغرامو

والناس احوال كل واحد فى حالت حالو

وشبيه بتشالوم العلمى تشالوم النجار الذى مل الحياة ومحنها ولم يعـد

يرجو غير الموت فهو طوال حياته يعانى من الحزن :

مل قلبى من دنيا كلها امحان ❖ اولـا بقى يترجى الايموت هانسى

امن اصبايا لشبابي وسقى لوزي * ومن اشبابي لازلت أليعنى نعان
وهو قد خبر الناس فلم يجد فيهم غير الذئاب والثعالب الخسيســــــــــــة
متنكرة في صورة خرفان وأحمال ، كل منهم يكيّد للاخر ، يبعدهم عن الادمية
بعد ما بين السماء والارض :

غير الذيب الخاه وتعالب الخسان * في ابطاين لغنم هذا الذاك جانى
بين لادمى واقوام هذا الزمان * قد ما بين الارض امع اسما الغاني
ويحس الغربة في مثل هذا الجو ويتساءل هل هو من هؤلاء الاقوام
أم أن وقته فات أو لم يحن بعد :

وبش انا من هذا القوم يا لعرافان * اوباقى وقتى ولا امضى زمانى
وقريب من هذا الروح التشاؤمى نجد عند غلال العلوى فى قصيدة
«المجد» حيث يرى أن «المجد» - ولعله يقصد به الخير - لا وجود له ولا أثر ،
سأل عنه فى السهول ولجبال فقبل له غاب اسمه وخياله ، وسأل عنه
العلماء والعارفين فى كل الملل فأكدوا له غيبته وأنهم يبحثون كذلك عنه ،
وسأل عنه الذين فتنوا عنه فى كل مكان وقصدوا من أجله الاولياء فقالوا
انه غاب حين صادف العراقل ، وسأل عنه رجال الفن والنوق ، فأجابوه بأنه
غاب حين كثر الكذب والبهتان ، وسأل عنه التجار وأصحاب الاموال فقالوا له
لقد ذهب بعد أن فشا البخل ، وسأل عنه أرباب الصناعات فى مدينة فاس
القديمة فأكدوا له أنه لن يعثر له على أثر :

اسألت اعلى اشريف لاسم ما بين اوطا مع لجبالى
قالوا لى غاب له الاسم وكذلك اخيالىـــــــــــــــــ

واسألت اعليه ناس لهوا واهل التنبيه افلملالى
قالوا لى غاب حقا وكذلك اعليه انسالو

وسألت اعليه امن اتجول واقصد اعليه كل والى
قالوا لى غاب بعد وصلو صادف عرفالى

واسألت اعليه ممن اتفننوا والى بدعو الفن دلى
قالوا لى غاب حين كثر الهوى بسجالى

وابتلى عليه اقلمتاجر والنهابا وهل المالى

قالوا لى غاب لاتسول لرذل ابخالو

واسئل عليه فالصبايح وابحتت اماننا البالى

قالوا لى غاب ليس توجد منهم قلالو

ومن خلال هذه النظرة للحياة والناس يحاول الشاعر الشعبي أن

يكوني انبانيا فيقدم بعض النصائح لتي يمكن أن تحنب الوقوع في مخالف

الدينا وماوى الزلات . من هذه النصائح عدم مطاوعة النفس والهوى

والشيطان فهم أعداء ، يقول ابن على في «الوصاية» :

والنفس ولهوا والشيطان احدا لاتطاوعهم قطعيا

واش من عاقل يامن يافهم فعنده

ويقول الشماوى :

لعن الشيطان * يالغافل كما لعنوا الله مولانا * مهما ايدور بك اخزه ولعنوا

ويقول عبد الوارث في «الفياشية» :

خالف نفسك واقطع * كل علافا عنك

واشتموها (I) لاتنبع * واسقطها من ذهنك

واعروق احوالك قلب * عمت نفسك منك

ومنها التفتش في اللباس وعدم الزهو به ، يقول ابن احساين ينهى

عن لبس الحرير وما يبهز الابصار اسوة بالرسول الذى نزع «الفروج»

لاتملك افروج من احريير وتبهز لعيان * واعظم بين ايمان الانبيا نعم العدنانى

زعمو نزع البغض بعد جاه اهديا فالحين

ويقول كذلك .

لاتبختر فكساك واتفايش واتانى

ولكنه لا يريد ان يتمسكن ويكون ذليلا ، فالمسكنة والذلة لليهود في

كل وقت وحين :

لاتتمسكن بالحيات ما فالدين اتمسكين * والمسكنا لليهود افسايرلزمانى

ومنها الدعوة الى عبادة الله واقامة الصلوات ، فعبد الله بن احساين

(I) اصلها اى شىء تهواه .

ينبه الى وجوب أدائها مع المحافظة على الصلاة الوسطى ، وهى العصر عني
المشهور :

قم الصلا حين وقتها لاتنفس مديار ❖ والعصر عندك ايفوتك وقتوسانى
حافظ عن جمع الصلا وهاد الوسطى تمكين

ويحث المغراوى على عبادة الله :

اعبد مولاك رب وحدانى ذا العرش ❖ اعبد مولاك لاغنى ذنيك يمحيه
ويرشد الشاوى الى صلاة الفجر وضرورة اغتنامها ، فهى ربح وفوز
بالغنائم والطاعة :

يالنايم فق امن النوم راقب لفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعة

ويلح كذلك على الصلوات الاخرى :

ابغيتك اصلات الظهر تلتقاك سابق للجامع

لا اتفرط فيها واجعل اغناك تقوى واقناعا

ابغيتك اصلات العصر لا تفوتك اوبها دافع

اهوايل الفاقا والمغرب صونها دون اضياعا

ولعشا ودها فى اوقتها بتضـارـع

والشفع الوتر زد لعضاك راحا وارياعا

ومثل هذا يقوله الحاج ادريس لحنش :

اتلها فالدين كن رجل ثبت اقدمك ❖ صلى بالخشوع امع الناس اوقاتك

وانجد فى بعض نصائح السلوك الصوفية ، كما عند مولاى محمد الزبـادى

المنالى ، حثا على المحافظة على الصلوات وملازمة الزاوية وتلاوة الاحزاب

ولايراد :

لوقات احفظها والزوايا اتلازم ❖ ابلحزاب ولوراد امرتين بيسان

يافقير اصنعتك هى الذكر دايم ❖ والصلا والسلام اعلى النبى العدنان

أو كما عند محمد بن رموية فى داليته اذ يقول :

خذ طريقنا معهودا واشيوخها موجودا

ولسرار منها تبدا للعجب السعود

...

انجرد عن الحس وعن الحب للجنس
واقصد حضرت القدس لبي باسم المقصود
يا طالب الالهام امن اصدور لعلام
افنا طول الدوام فى اشرايع اهل الجود
بالسهر والصيام والعزلا والقيام
والتصديق ابدا القوم انت بهم اتسود
وعند المدنى التركمانى أن الزهو فى قراءة الكتب وأداء الصلوات
والمحافظة على وقت الفجر وفى الصوم والحج والجهاد :
الزهر افلكتوب أوقات ❖ واصلات المختار فى وقتو والصوم
والحج ألهاد فالنصارى يوم المعلوم
ومن النصائح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول ابن احساين
فى «اللقمانية» يدعو الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شدة لاتلين
وفى أى مكان وزمان :
وامر بالمعروف فىن ما كنت لاتليان
وانهى عل المناكر لقباح افكل ازمانسى
ومنها الحث على التوكل ؛ يقول المغراوى :
اعمل تكلك فالله ❖ لاتترجى سواء
ويقول بوخريص فى «المدونة» :
دير تكلك ياقانط افلغنى السلطان ❖ اتوجدو وقت ما تدعيه سامع احنين
ويقول ابن على فى «الوصاية» :
اياك لفلاحا والرزق الضامنو ايجيبو لك اوليا تولو كيفيدير فدنيتو ورساء
ويقول علال العلوى :
أنا تكلى فالله يوقينى ❖ لقديم الديم من لاينام ولاتراه اعيان
جيد لجواد الا ايحافينى ❖ المالك لكريم الغانى من لاتنطرد من بابوسعيان
وتتضح الدعوة الى التوكل وترك التدبير عند عبد الوارث فى «الفياشية»
حيث يقول :

نقنط من رزقى لاش * والخالق يرزقنى
 أنا مالى فياش * وبش اعلىا منى
 ...
 منى آش اعلىا * ونا عهد مملوك
 والاشيا مقضيا * ما فى التحقيق اشكوك
 ربى ينظر ليا * وناظرى متروك

 والارزاق اعلى الله * ناكل من رزق الله
 يا قلبى لاتهتم * واصرف هم الباطن
 المقدور لو محتتم * كيف اترى واتعاين
 سلم تسلم واعلم * أن المقضى كاين
 .
 خذ الرفق ادليلك * واترك عنك التدبير
 واستقنع بقلبك * ياتك الله بكثير
 ذا التعب الكل اعلاش * وقل الشى يغنى
 .
 قالوا لى وقتك ضاق * والنقيا ما تكسب
 قلت ارزق الرزق * من دا يقوى يحسب
 قالوا امنى للاسواق * واتمول واتسبب
 قلت افراخ لعشاش * خالقهم يرزقنسى
 ومنها طاعة الله والرسول والوالدين ، يقول حنشى :
 بادر ابطاعت الله اوقوى زادك

طع الله اوطع النبى واخدم والديك * تظفر بالنجاح ويتنور حالك
 ومنها اختيار الرفيق الذى يطيع الله ، يقول ابن على :
 واختر من اترافق شف الى طاع خالقو جعلو ولفيا

اعسى ايجلبك واتولى للوحيد وحده
 ويقول غانم الفاسى فى «التوبة» يدعو الى العزلة وعدم اتخاذ الرفقاء
 اذ لم يعودوا صالحين :

أقربى ما بقى :مع من اتصـادق * ويكون اليبب 'محتفل وعشير صادق
عش هانى وحدك وكل فاجر انفيه * وكل من حب اولاد اليوم زايد اشقاء
عش وحدك خلى لهل البلاء ابلاهم * كان مبى من لظه ربيع مقسم
كل من دازك دوزو هون به وانكيه * بعد ما يعمر سوقو لاغنا امن اخلاء
ومنها صون للسان وفرج ، يقول ابن على :

ونحضى السانك وفرجك واعرف من انشاك ناظر فيك وفيها
ويقول لحنش .

لا شتم مخلوق آدب السانك لا يدك

عبان ،السان ايلومك فى امهالك

ومنها غض الابصار عن المحرمات كما عند ابن على فى «الوصاية» :

غض لبصر اعلى المحرم وافشوفت المحرم كل خطيا

اقليل من شاف وضربو الشيطان ولا اخطاه

واتسع نطاق التوصية عند الشاعر الشعبى حتى غدا ارشادا الى

ما قد يعود على الانسان بالخير فى دنياه أو الى ما يمكن أن يعتبر أدب سـالـوك

ومهاجمة ، ونصيحة العلمى أن يتحلى المرء بخمس خصال ويتجنب خمسـا

أخرى اذا أراد ان يكون سعيدا ، ان يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة ترك

الملام ولقناعة وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من حفظ خمسـا دالحسات حفظ محكـام

وفيه رسخوا كرسخ نونهم اسعدهم

الصمت والعزلا ولهدا ترك الملام

ولقناعا من كسـهم من ابادم

يعندل ميمونو ولسعد له يسفام

يرتفع بعد الخفض لهمت الضـرغم

ومن اترك خمسـا دالسيات ترك عزام

من اجملت المحروم الى اعليه حارم

لحسد والكبر ولجفا وضيق لشيـام

والطمع بيت الدل اناصب لحشايـم

كل سميا من ذا لسميات ضر سام

فاق سم الحيات الرقط السنوادم

ومن النصائح التي نكاد نجدها عند كل الشعراء : صلة الرحم ، يقول
ابن احساين يوصى بصلة الرحم ولو بعبور البحار والوديان :
و'صل رحمك وين كان شگ لو ابجور اويدان

ويقول ابن على :

او'اصل الرحيم ولا تقطع صلتو اقرب'اولا بعديا

وصلو لا تقطعو'اولا يصلك اخطاه

ومنها المحافظة على حسن الجوار ، يقول ابن احساين يوصى بالمحافظة على
مال الجار وعرضه واعانته ، مشيرا الى أن الرسول ظن أنه سيورث من كثرة
ما أوصى جبريل عنه :

أما وصى اعلى الجار جبريل افكل اوان

حتى ظن الزمزمى على الجار فمكاني

يورث ورث الدم لون ما أتاه التبيين

مال الجار احضيه كن مالك صونو تنصان

واعلى عرضو كيراقب لجليل الغانـى

واختصار القول كل جار الجيرانو عين

ومنها الصدق والوفاء ، يقول ابن على :

الصدق ولوفا فالكلمة واعاهد ولقبول من الوهبيا

من اقبل عنو رب الكاينات هنسـاه

ويقول الحاج ادريس لحنش :

شد احزام الصدق ولوفا اعرف مايعنيك

ومنها لتخلي عن البخل والاسراف ، يقول ابن احساين :

لا'بخل لا سرف كيرضى رب العالمين

ويقول ابن على :

الرفق افلمعيشا قالوا افضل من التجارا بالف ميا

ومنها تمجيد الكرم ، يقول الشاوى فى «الجواد ولبخال» :
يا لمولى عمر نعم لجواد لفضـال * ولبخال اعطهم لخلا اوتـم لخـلا
ومنها الحث على التواضع ، يقول لحنش :
لا ترفع هما اعلى لعباد اذا رفـعوا بك * بوس لقدم لاتحسب اكبر شانك
اياك العجب يخطر لك ببالك
اذا عظمت نفسك كل لها مالك
اذكر لها الموت تنهزم الذات وتهنيك
وابقى اتجول فاللى فاتوا قدامك
ومنها عدم الفخر بالآباء ، يقول بوخرىص :
لانقول أنا بويا كان سيد لكران * شف ماتغرس من بعدو انت ابتحسين
ومنها الحث على الصمت ، يقول العلمى :
الصمت كيقولو لعرب حكما * مجدوه اشعار القدمـا
اسكات عام احسن من كلما ابغير ندما
ويقول لحنش :
وانعود بالصمت فيه سر اكثير ايقويك
واتصب غايت الراحا من شيطانك
ومنها تجنب الغدر والشبهة والتجسس والغيبة والنميمة والمزاح واللغو ،
يقول ابن على :
اياك لغدر والشبها وامواقف لشيات الى سويـا
خوك فالناس الى وتاك كن لوخـا
نوصيك لاتجس لاتغتـب لاتنـم لاتجهـل ازليا
واعظ الخلق افوجهو لاتسبو فقفسا
ويقول الحاج ادريس لحنش :
واترك قيل اوقال ولمزاح اوشين يلـهيك
خوفى اعليك تمضى فاللهو ازمانك
لاتدخل ما بين زوج بالشر احرام اعليك
واتشتت لحباب ابتزويق اكلامك

ومنها فعن الجبر دون انتظار الجزء ، يقول ابن احساين :

اهل الخير اولتعاينو يرجع لك تانى

ومنها عدم الرد على الشر بالشر ، يقول ابن احساين داعيا الى عدم الرد

على الشرير معللا بأنه يكفيه جزاء أنه خفف معاصي المظلوم :

من غتبك يكفبك فيه خفف عنك عصيان

ومنها الصبر على المحن ، يقول ابن احساين :

اصبر ياراسى اولا تكون عل لحان احزين

ويقول ابن على فى سرابته .

أقلبى كن عن امصابك صبار * الصبر مفتاح الكنوز والذخا

ومنها معاشرة أهل العلم والدين ، يقول ابن احساين :

واهدي وتهدا وعاشر اهل الدين وليقبن

ويقول لحنش

واصحب ناس الدين لاتخالط من لا يوريك

ومنها الرفق بالصبيان والايام وتوقير الشيوخ واغاثة المحتاجين ، يقول

ابن احساين :

وارفق بالصبيان وليتيم رحمو باللى كان

والشايب نوصيك وقرو ولو نصرانى

تب اللى استنات بك كن ابنى لصعب اعوين

وكافحت « الجفريات » ثم حمة اخبرى الجبر الشاعى الشعبي عن نظائره

« تشبه اذمة للوفى الذى يراه ينكر للمستغفرين » صفو لسمعة ، ومع ذلك

بذمها فيها احوال المجتمع والناس ويذكر العيوب والماكر المنسرة ، « منم

فى الغالب على الرمز والتلميح والاشارة والتشبيه والمقارنة . ومن خلال تأمله

يتنبأ بما ستفضى اليه هذه الاحوال من ظروف ووقائع وأحداث

ويذكر لاشياخ للفقهاء العميرى لامية جفرية يحفظون منها قوله :

ذاك الولد المهبول * أصلو من أناضول

الفرخ يشبه احوالو

وهو يدل عليه الناس مطابقا لوضع المولى عبد العزيز (I) بعد أن هزمه
أبو المولى عبد الحفيظ (2) ، إذ أن أمه تركية ، مع أن الشاعر كان يعيش في
عهد أبي عبد الرحمان (3) . ومن هذا سئل عن زازية الموقت التي أولها :

أسألتك الفدك بكافى ناردين : استفد أكن = بق واتبع الفزرا
واعلم ما ذكره فيها عن هزيمة فرنسا تبوأ بها تعرضت له الأمة
الحرب العالمية لثامة مع أنه كان يعيش في أواخر القرن الماضي . **وللموقت**
صوفي جفم يستغرب فيه المصنف عسا بناء الربيع خربعا ، وفد تكلسم
الطهور - كذبة عن طلق الجراد وصدمة الفارغان - وهذا لباس في ضيق ،
و شمر لواء المخار وفشت المخدرات ، وكثر المهب والحظف - ولم تعد
البراهم عبر رعية في البلد لا قيمة لها ، وانعدمت البركة ، وأحدثت الأرض
علا نتيج نبي صيف أو شتاء ، وتمكن الحرص من القلوب ، وهبت ريح الكساد
عصفة على لاسواق ؛ وهو زمان ليست للوالى فيه سطوة ، وإنما هو الدهر
ينصرف في العباد كيف يشاء ، تارة يقل ويرضى وأخرى يسخط ويعاف ،
وليس أحد وزير يتبين شكوى المظلوم لينفها دون خيانة أو مقابل . وليس
غريبا أن يرى كل هذا بعد أن غدا الدين رحوا ولايمان صعبا في نفوس
المغاربة ، وبعد أن علا شأن اليهود (4) وأصبحت لهم سطوة ، وأذلوا المسلمين .

(1) تولى من سنة 1311 إلى 1325 هـ . (2) تولى من سنة 1275 إلى 1330 هـ .

(3) تولى من سنة 1238 إلى 1276 هـ .

(4) تجدر الإشارة إلى أن موضوع اليهود أثار غير قليل من شعراء
«الجفریات» لاسيما في هذه الفترة . ولا يبدو ذلك غريبا فحدث في التاريخ
تفيد أن الجمعية اليهودية في بريطانيا كانت قد أرسلت سنة 1286 هـ
أحد أعضائها اسمه روشاويل تطالب حكومة المغرب بمنح حقوق وامدانات
اليهود ، وأن بريطانيا ساندت هذه المطالبة بواسطة سفيرها في المغرب ونشر
السلطان سبدي محمد بن عبد الرحمن ظهرا أعلن فيه رأى الشرع ومما
يوجب لدمود من حفظ الذمة وعدم الظلم ، فاتخذ اليهود هذا الظهير ذريعة
للتجسس والطفان مما اضطر السلطان إلى نشر ظهير آخر يبين فيه القصد
من «ظهير الحقوق» ، ذهب فيه إلى أن الإيضاء إنما هو في حق أهل المشرقة
والمساكين منهم المشتغلين بما يعينهم وأما صعايلهم المعروفون بالفجور
والتطاؤل على الناس والخوض فيما لايجنى فيعاملون بما يستحقون من الأدب
(انظر الاستقصاء للناصرى ج 9 ص 113 ط دار الكتاب سنة 1956) ولكن
اليهود استمروا في سلوكهم محتمين بالدول الأجنبية وسفاراتها وقنصلياتها
في المغرب .

وغدا المغرب يتخبط في متاهات العمى والغواية :

سبحان الله صيفنا ولى شتورا * وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف
ملى فالغرب عندنا طنبور ادوا * والناس افضيق حال ملغلا والصيف
ثم اتششا الكيف وكثرت النشوا * وافششا فينا النهيب والهيف ولخطيف
وادراهمنا اضحات فيدينا رغوا * لابركا ابقات لاشتوا لاصيف
والحرص على اقلوبنا لنالقاوا * وادفع ريح لكساد على لسواق اعصيف
فزمان ما تشوف للولى سطوا * والدهر بين لعباد كي قبل واي عيف
ولا تلقى اوزير كي قبل شكوا * ويبلغ ما يخون ما يرضى تكليف
قلت اوعدى اضحات فالدين الرخوا * ولى ليمان عندنا فالغرب ضعيف
ليهود قصدت لعلو دركوا سطرنا * واقبلنا دلهم عاد الغرب اكيفيف
وقريب من هذا قصيدة الشيخ محمد بن عمر فى «الهرج ولفتان» ،

يقول فى حريتها مؤكدا ان الهرج والفتنة - كما اخبر الرسول عليه
السلام - مسجلان على هذا الزمان حيث يكثر الجور والفوضى والاهوال :

الهرج ولفتان به اخبر طه ايماننا * حدثنا عن ازماننا
اي جُور الزمان * يقوا هول اتفرتنو
وفيها يذهب الى ان الناس فتنوا بالدنيا وشغلوا بهومها فغدوا كالذواب
لا يحسون محنها ، فقد انقلب الزمان ، ولم تعد للعيش متعة او هناء ، وعمت
الفوضى ، وكثرت الفتن وانعدمت الاستقامة ، واقتقد العاقل الذى يرشد
الناس للخير وينبهم للشر :

يا اخ الولهان * بهوم الدنيا الفاتنا
من شطنت لنا اقلوبنا * عشنا كالحيوان
لا من فاق ابتمحانو
وانقلب الزمان * لا لذا فالعيش لا هنا
والدنيا راهبا امقدنا * من كثرت لفتان
لا من غادى فيمينو
لا عاقل يقطار * ينهنا عن سر افعاننا
وينهنا ويفيدنا * ولفساد ايمان
واعوان الوقت اتعينو

ولم يلبس لحسن وعلى قصيدة يتنبأ فيها باحتلال فرنسا للفرس.

وفيها يصف حال الزمان كما أخبرت به الاجفار ، فقد كتبت في ألواحها أنه في السنة الحادية عشرة ستكدر عيون المياه ويتفرعن الضفادع في الوديان ، وتتقوى الذئب ، وتضعف السباع ، وتصول البومة على النسور ، وتنزل مكانة ذوى الهمة ولشان ، وتعلو مكانة السفلة ، ويصبح الفجار في قرار مكين ، ويغدو الوجهاء والشرفاء كالحيوان ، ويظهر القول الحق تخبر به الاجفار معلنا دخول الفرنسيين : (ل ف ر ن ص س)

بعد الصلا على الرسول انوضح ببيان
شرط الساعا نوصف حال الزمان
بها لاجفار خبروا باقى السنين

نظروا فالواج باحووا بالكتمان
فى عام احداث غتخوض العيين
ويتفرعن اجران فى اجمع الويدان
اتقوى الذياب والسبع ارجع مسكين

حتى موكا اتصول على اجمع اليزان
واهل الرفعا تخمد ويعلو من شين
ناس الرفعا تعود خافضا بعدد الشان
تضحى قوم لفجور فى اقرار التمكين
واهل الجاه يضحوا مثل لحيوان
يا اسفا الحق يبقى باين انسان

خبروا به لاجفار لام وفا ورا ونون وصاد وسين
وهو يرى - من خلال الجفر بالطبع - انه فى السنة الثامنة والعشرين
ستخرج الجيوش ، وتكثر الاهوال والمحن والفتن ، ويضيق العيش على
الفقر والمساكين . ويتولى الحكم قوم طاعة ، وتقسو القلوب بعد السن .
ويبسم الحظ للاغنياء ، ويكثر البنيان ؛ ويرى أنه ستشتد الازمة فى العام
الرابع والثلاثين ، وتدمع العيون فى السنة السادسة والخمسين حيث
سيموت الناس خلال شهرى شعبان ورمضان ، ولكن لن تلبث البشرية أن

تظهر فى العام التاسع والستين لتهب ربح النصر على العام الرابع والسبعين:

تخرج لحررك (I) فى عام اثنا عشرين

تكثر لهوال ولمحان امع لفتشان
ويضيق العيش على لفقير المسكين * ويتولوا الحكم القوم الطغيان
ترجع لقلوب قاصدا من بعد اللين * ايخرجوا هل المال ويكثر البنيان
وما يقع عام ربحا وثلاثين * بعد شد اتدور واتعم البليان
تدمع العين عام ست اوخمسين * واتموت الناس بين شعبان ورمضان
يظهر بشار عام تسعا وستين * فيه لبشر ايبان ما بقى تمحان
ربح النصرف عام ربحا وسبعين (2) * خبر الاجفار فيه يرتاد الولهان

ومن «الجفرات» قصيدة «لطف الله الخافى» للحاج أحمد الغرابي
وفيها يعزو الى ضعف الايمان فساد الزمان وتولى الطغاة بالقهر والجور :

لولا ضعف الايمان * ما يضعاف ازمان
ويولوا الطغيان * بالقهر جايرين
فقد شاعت المحرمات وكثرت المعاصى وغفلت القلوب عن المروت ، فكان
طبعيا أن تظهر العلامات دون خفاء ، فتطغى الظلمات ويفشو المكر والكذب ،
وتغر الحياة قوما يطغى عليهم حب الشهوات ، يأكلون السحت ويفسدون
صناعيا :

بحنا بالمحرمات * ولمعاصى اقوات
واقلوب الناس اضحان * غافلا عل المسوت
العلامات انبات * للورا ماخفات
واقوات الظلمات * والمكر البهوت
قومان صمت واعمال * غرتهم الحيات
تبعوا حب الشهوات * وقت سحت اسحوت

(I) لحررك ج حركة وهى الغزوة وخروج الجيش للحرب .

(2) تجدر الاشارة الى ان تاريخ نظم القصيدة كما باخرها هوالف ومائتان
وأربعة وسبعون : «تاريخ عد شر يالفهم» فالعين بسبعين والدا
بأربعة والشرين بالف والرء بمائتين .

فلم يعد شيء يحب في هذه الدنيا وقد عم النفاق فلا عهد ولا ميثاق
ولا صديق ، صعب الوقت وضاق وكسدت الاسواق ، فلا بركة في الارزاق ،
وكيف والناس حادوا عن الطريق ، فأصبح الدين غريبا وكذلك أهله ،
وانعدم الرغق بالضعفاء والاخوة والجيران ، وتنكر الدم لفصيلته :

ما باقى ما يعشاق * فى ازمان النفاق
لا عهد لا ميثاق * اتوجدو لا اصدقاء
الوقت اصعب وضاق * كسدت لسواق
لا بركة فارزاق * خارجين الطريق
الدين اغرب وانساق * فى بعض الآفاق
واهلو فقدو الرفاق * ما بقى ما يليق
والدم من دمو جافى * ما يرفق غانى بضعيف خو اوجار
وهو يرى ان مثل هذه الشدة طبيعية طالما ان الناس لا يتجنبون المعاصى ،
ولا يلجأون للاحسان ، ولا يحالفون الشيطان ، ولا يحسون باليقين :

ما جنبنا عصيان * ما فعلنا احسان
ما خالفنا شيطان * ما حسنا يمين
لذلك يلزم الاستغفار فى الليل والنهار ، وفى خشوع وذل واحتقار ،
وتلزم التوبة الى الله عساه يجبر الكسر ، ويمحو الاوزار ، ويقلل من
العثرات ويجود بخيره وفضله الذى لا حصر له :

لزمنا الاستغفار * فالضيا ولسحار
بالذل والاحتقار * والخشوع لكبير
وانتوبو لتقهير * كافا ابلجهار
وانقولو يا جبار * اجبر اللى اكسير
امحى عنا لوزر * أمقيل الاعنار
فضلك شلا يحصار * جد عنا ابخير
وهو لا ينسى ضعف الامة وقضاء الله وقدره ، فيرفع يده اليه بهذا
الدعاء :

يا نعم الحى الكافى * اكفنا شر الوقت ما نشوف اعيان
(23)

يا مول الفضل الوافى * فضلك مايتها ولا اتحدو إسطار
عجل يدواك الشافى * وارحم ضعف الاما الغارقا افلوزار
قادر تبلى واتعافى * تنسخ الشدا ابلغفو اكما فليخيار
يامول اللطف الخافى * الطف بنا افما اجرت به القدرا

كذلك كانت الاحداث الحربية السياسية والازمات الاقتصادية والاجتماعية تبعث الشعاعر الشعبي على التأمل ومحاولة البحث عن الاسباب والمسببات واستخراج العظة والعبرة، يغلب فيها عليه أن يعتبرها قضاء وقدر من الله ، وأن يقف منها موقف الضعيف العاجز متألما باكيا رافعا اكسف الضراعة الى الله أن يفرج الكرب ويوجود بالعفو .

فالكفيف الزرهونى فى القصيدة التى يذكر فيها خروج أبى الحسن الميمنى الى القيروان وهزيمته يرى أن الله مالك عقول الامراء وشاد نواصيتها كل زمان ومكان لا يدبرون الا بأمره ، وان النصر رهن بطاعة الله ، وان الهزيمة نتيجة حتمية للعصيان :

سبحان مالك اخواطر الامراء * وانواصيتها كل حين وازممان
ان طعناء عطفو لنا نصرا * او ان اعصينا غضنا اكل اهوان
ويرى أن قلب السلطان كالجزءاء، وان قلوب الرعية تجرى مجراه، وتتبعه وتستنير به ، ان عدل فاح نسيمها يخترق الآفاق بعيره الذكى ، وانكشف الحجاب وبدا نوره يسطع كالمصباح بضياؤه يعم أثره على الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وان جار ساد الفقر وحل الران فى القلوب :

قلب السلطان يقال كالجزوا * وقلوب الخلق جاريا مجسراه
ان كان عادل ابرأفت العزا * بطلع منها انسيم ايشق اذكاه
اذا يعدل قد فتحت الفسرا * كنو مصباح وهو اتصير لضباه
حتى فالسنبلا أفتلبرى * يظهر عدلو انعم وفالحىوان
ون كان جابر بنا قترا (1) * يطلع منها عل لقلوب الران

والشيخ الاكل فى قصيدته التى يتحدث فيها عن وضع المغرب

والمسلمين فى القرن الثالث عشر واحتلال الجزائر (2) ، يرد الامر الى قدر

(1) من القتر والاقتر بمعنى الانتقار او من القتر ج «قتره بمعنى الغبار»

(2) كان احتلال الجزائر سنة 1246 هـ (1830م) ومعروف ان المولى عبد

الله ومشيتته واذنه ، فقد قضى أن يرتد العرب ويفشل المسلمون ، وان يحذل الكفار هذا الجزء من بلاد العروبة والاسلام :

العرب ابقدرت الله اتعود مرتدين
اتعود باذن الله سكان للكفرا

ويستشهد على ذلك بقول ينسب للرسول يؤكد أن كفة المسلمين ستقلب في آخر الزمان ، وان القرن الثالث عشر سيشاهد قهرهم وذلمهم :
قال الرسول مناج دولب لخيار : يا بن خلوفه (I) راقب شف ما يطرا
آخر الزمان ينكسر وتنقلب ليام : قرن ثالث عشر فيه ابني مبرا
بتفقوا اعل ابلاد تسمى ناكسرام : هاذك زاويا فالزمان مذكسورا
فيها الولي لمخصص وينذكر بعلوم : جعلو الله عساس اقبالت الكفرا
سبحان مالك الملك الواحد لعظيم : آخر الزمان ماذا تحوز من قهرا
هذا القصاص مذكور عامامن اسنين : فى قرن ثالث عشر ابلا عبرا
وفى استسلام لقدر الله وقضائه ينتقل للحديث عن الموت والفناء :

لرواح فانيا ولجنات مرميسن : مالك الملوك يبقى اولا بعدها عبرا
سبحان امن اخلقنا بعد العدم كان : من بعد اوجدنا نضحا والثراب مدفونين
سبحان امن اخلقنا امكون لكوان : واجعل اوكيل عنا عزرائيل
ويؤكد فكرة القضاء والقدر فى قوله :

يا مالك السما يا عظيم يا جواد : واجميع ما جرى بسبب القادرا

الرحمن كان يساند الامير عبد القادر الجزائرى فى حربه مع فرنسا ، وهى حرب استمرت من 1246 الى 1264 هـ فقد قادم الامير الطاعة لسلطان المغرب على أن يتيح له محاربة المحتلين من ارض المغرب خاصة بعد ان هزموه سنة 1259 . ولكن فرنسا لم ترض عن ذلك وارادت ان تعاقب المغرب على موقفه ، فقامت بحملة سنة 1260 فى «اسلى» من اعمال مدينة وجدة عند الحدود المغربية الجزائرية هزم فيها المغرب واضطر على اثر الهزيمة أن يعقد معاهدة مع فرنسا كان من أهم بنودها نفى الامير عبد القادر من المغرب ، وهو بند اضطر السلطان المغربى الى محاربة الامير الجزائرى وارغامه على التسليم ، فما كان منه الا أن سلم نفسه سنة 1264 .

(I) يخاطب الشعائر الجزائرى الاخضر بن خلوف . ونخشى أن تكون القصيدة ليست للاكحل كما يرويها الحفاظ وانما لابن خلوف .

ووعده أن المومن الذي يعبد الله يهون عليه تحمل قضائه :

إذا عبدت ربى اتناى خىر اكثير ❦ اتسلم القدرت الله اولاترى قهرها
وهو لهذا يوصى بالايمان وبلاستسلام للقدر فى رضى وعلاية :

احذر اوكون مومن واخوذ التمهيل : سلم اجميع ماكان بالرضا جهرا
فمن علامات هذه الفترة ان يترك صوم رمضان ، ويدل المصلون ،
والا ينهى عن المنكر ، وأن يشيع الحرام ، ويخضع المومنون لاسياد كفار،
صابرين باكين منتظرين أن تحين آجالهم :

ثم اتنوح الخلق فيه بالتعراج * رمضان ينهجر ولا تبقى لوجرا
فيه اهل الصلا مذلوليــــــــــــن * ايرخصوا ولا يبقى في اناكر نكرا
أكل واحد اباحرام يلها املــــــــــــو * والمومنين تظهر اعليهم الصبرا
اوكل واحد ينظر لاجلــــــــــــو * يرضوا ذوك لسياد ابسكب العبرا

ولهاشم السعداني قصيدة في احتمال مدينة وجبة «دخول وجبة»

يقول في حريتها :

بِالاسلام ابكو اعلى ادخول وجدا ۞ دون حرب اغنمها لعدو اونال المراد
وفيها يرى أن ذلك نتيجة ضعف القلوب وفقدتها لحرارة الايمان وقوة
الجهاد :

وَعِنْدَهُ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَزِيْزًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَعْشَى ذَلِيْلًا :

موت العز فنهار اللقاء وبرزوا * خير من عيش الذل افكل حين مبرور
فلم تعد للحياة لذة ، وقد عز من حافظ على ايمانه في قلبه ، والامل ان
تمر سحابة الازمة وتنقشع ليغيب نجم النحس ويظهر هلال السعد :

ما بقات افعيش الدنيا اليوم لدا ❦ عز من دينو ويما نو افقلب لـفؤاد
اصرفين لوقت فعسى اليوم اوغدا ❦ اغيب نجم النحس وينبا اهلل لسعاد
ولكن فيم الخضوع والصبر على الذل حبا في البقاء وتعلقا بالحياة
وهي مهما طالت فانية ، ليست بدار مقام وانما هي دار عبور ، كل من حل
بها راحل ، والافواج سائرة ونحن على اثرها بأمر الله وقدره .
لنا واحدا اقفاتنا تصبر للسدل ❦ اعلى حب لبقا ولفنا بعد ايطول

ما هي دار لكلام من جاكيرحـل ٭ شف القومان سايرين اكقول اكقول
واحنا فاتباعهم ابلقدر الموصول

وليس يموت أحد دون أجله المعلوم ولو احاطت به الاخطار والمصائب،
ومن حان أجله فلا يستطيع تأخيره مهما كان غنيا ذا مال ، وليس في مقدور احد
ان يهرب مما كتب له الله وسجل له وحكم به عليه :

مايموت افلورا مخلوق دون أجل ٭ لوايكون اوسط الغضب مايوصلو
ومن اكمل محسوبولو كان كاسب موال ٭ ماينفعو الا دغيا (I) ايما رجـلو
كيفيمنع من مكتوبو او كيف ينصـال ٭ من احكم الرب اعليه وسجلـو
حقا ان مشيئة الله قد نفذت ، ولكن لابد من لطف منه يفرج الكروب،
فلا شدة الا وبعدها فرج ، وتلك حكمة الله حتى يذكر ويحمد في كل
الاحوال :

كل من راد الله عل لورا اتودا ٭ اولازم لطفو ايفاجي هم ضيق لنكاد
كيف معلوم الرخفا بعد كل شدا ٭ باش يذكر الله افكل ضيق وارغاد
ثم ان لقاء الابطال ومقابلتهم شرف ، ومن لم يلقيهم محتقر مهما علا
شأنه :

من لايلقى لبطال لو يعلى محقور

والذي يغفل عن الاعداء ويسكت عنهم اويهادنهم مغرور :

والغافل فالزمان عل لعدا مغرور

ومثل هذا نجده عند الحاج ادريس بن علي في «التطوانية» (2) حيث

يوصي الغافل الساهي أن يستعد للجهاد بعد ان جار الاعداء :

اساهي خذ اخبـار ٭ وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك ياغفيل احتال لامر لجهاد لعدا جاروا

واذا شاء الله رحم الضعف ، وجبر الكسر ، وأتى بالفرج ، واتساح

للمغاربة غزو الكفار وارغامهم على الرضى بالغلب ، وبدد شملهم وكسر

سيفهم :

(I) حيننا وبسرعة .

(2) قامت حرب تطوان مع اسبانيا سنة 1276 هـ (1859) في اول عهد
السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن .

ايلا راد الستــــــــار ❖ ايفاحى عل لسلام اد لكــــــــدار
يرحم ضعفا وايعاملنا ابلفراح فعسى تجبارو
ونغزو فالكفــــــــار ❖ حتى يرضوا الغلب بجهارا
ويبدد لكريم اشلهم وسفونهم لهم يكساروا
وعنده ان الرومى - والمقصود به الكافر - مكر ، وهى حقيقة تسيها
بعض الناس ، فمجنون كل من يغتر به ويامن لجواره ، فهو فى مكره مثل
النار ان لم تخدم فى الحين تزيد اشتعلا ، لا مثيل له فى الغدر ، فهو
يطمع بجذ فى مدن المغرب ، ولكن الشاعر يدعو الله الا يحقق طمعه :
وبعض انساوا ما صــــــــار ❖ ما يعرفوا بين الرومى هل امكارا
مهبول كل من يتغرا فهذا الزمان والكافر جارو
الرومى مثل النــــــــار ❖ قالوا ناس التشبيه ولعبــــــــارا
اذا ماطفتها فالساعا اتزيد هذا تمكارو
ليس ابخالو غــــــــدار ❖ طامع فمدون الغرب بتمــــــــارا
لهلا ايوصلو ولا يوفى له ظن هو وانظارو
واذا كان المغاربة قد أصيبوا بهذا العدو فلانهم شغلوا بالدينار وانهمكوا
فى الاخذ والعطاء وقوى بينهم البغض والحسد كبارا وصغارا ، لم يعدوا
ينهون عن المنكر ويوقرون السادات ويزورون الاولياء ، وقليل منهم من
لا يؤذى جاره :
أيا اولى لبصــــــــار ❖ اعتبروا نظروا افسد العــــــــارا
واتأملوا فهذا لقول اللى بان ياسيدى اثارو
لتهنا بالدينــــــــار ❖ واغبطنا فالدنيا ابلخوذ ورا
واقوى البغض والحسد افهذا الجيل فى اكبارو واصغارو
لانهى اعلى المنكــــــــار ❖ لا توقير السادات فزيــــــــارا
وقليل من اتصيبو فى هذا الجيل ليس كيدى جارو
وهو تعليل نجده عند الموقت فى «الزازية» حيث يقول :
سكان الغرب كلهم عباد اللــــــــيز ❖ فيهم الى باع دينو بالخبز
ويرى الحاج ادريس ان الامل فى الجهاد ، ولكن لا جهاد بدون تقوى

وصبر ، فهما كالاساس للبنيان ، وليس يكون حصينا اى بنيان بـسـسـون
أساس :

ليس ايقوم لجهاد يالامت لخران ❖ دون لفوى امع الصبرهاذو باثنين
تمثيل الساس للذى رايد بنيسان ❖ اشمن بنيان دون ساس ا يكون احصين
وما حدث ليس غير تنفيذ لحكم الواحد القهار ، فعسى الله أن يعفو
ويطهر وينصر دين الاسلام على ملة الكفر بجاه رسوله المختار :

من نساعوه لعفو امع اطهارا ❖ ينصر ديننا عن ملت لعدا ا بجاه طه مختارو
وللشيخ اسماعيل المراكشى قصيدة أنشأها حين فرضت حكومة الحماية
اول ضريبة على المغاربة يقول فى حربتها متوسلا الى الله الا يلجىء الناس
للمخلوق ، وأن وجود عليهم بعفوه ويجيرهم من الضيق :

لاتولجنا للمخلوق ياخالق ❖ جد لنا بعفوك اوجرنا امن الضيق
ويقول فى دخولها متوسلا اليه بحرمة البسمة واسرارها أن يفرج
كرب الزمان المظلم ، ومتوسلا اليه كذلك برسوله الا يحاسب الناس على
تقصيرهم لانه مشفق رحيم :

حرمت البسمة واسرارها افلاناق ❖ فرج اعلينا من هذا الزمان لغسين
لك زكنايا الاهى اقمول لبرافى ❖ لاتحافنا بالتقصان لك اشفيق
ومنها هذا العروبي يرجو الله فيه أن ينظر الى ضعف الناس وقته
ضاققت الاحوال ، وكلت العقول ، واوتقت الصدور ، وذابت الاكباد محترقة
بنار الشدائد ، وبكت القلوب مخفية دموع العين ، وغدت الاجسام كسفن
غارقة :

انظر من حال ضعفنا ضاقت لخلاف ❖ كلت لعقول افلصدور الموثوقا
والبعض اكبادهم دابت من لحراق ❖ من نار الوقت والشدائد محروقا
وقلوب اتنوح خائفا دمعت لرماق ❖ وامثيل اجسامنا اسمايين مغروقا
وللشيخ ابن عمر المراكشى قصيدة فى أزمة «البون» اى بطاقة التموين
ايام الحرب العالمية الثانية ، يرجو الله فى حربتها أن يحن ويجير من الزمان
وفتنه ، والا يترك الناس فى الصف بالوسائط :

حن يامولانا فيننا ❖ اوجرنا فالزمان

اوجرنا من لفتان ❖ ولا تخلينا في سربيس (I) بالوجهيا
وفيها يؤكد فكرة قضاء الله الذي قدر الغلاء، ويرجوه أن يعين الناس،
ويفرج ما نزل ، فهو وحده العاطف المشفق :
كل شيء ابقدت المسولى ❖ من اعلينا قدر لغلا
ايينا بقدرتو رب لعباد ❖ عالم بنا يفجى ما تصدر بنا
نعم المعين ❖ من غيرو مالنا احنين
ويرى أن ما قامت به الحكومة من جمع للقمح وتنظيم لتوزيع الخبز
الهام من الله ، وهو الذى امر ولاية المراكز أن يعينوا رجالا يشرفون على
العملية ، يساعدون الضعيف والعاجز والمرأة والمريض والكفيف والطالب
والشريف :

لهم المخزن من لا ينام
ايجمع الزرع افكل عام
حتى يامر به لكريم
الى محتاجو افكل يوم
ايقبضو طايب (2) منهم
ومر الولايات كل مركز يعملو لو ارجال
رياس ايعرفو اللفصال
وايساعدوا ضعيف الاما
والعاجزين والى حرما
وايميزو الطالب ويرفعوا بالشريف
والى مضرور امع لكفيف
ومثل هذا يقوله فى قصيدة اخرى فى الموضوع :
جاد المعين برحمتو وافجا كل ضيق
بالهام من المولى قام المخزن

(I) سربيس أى الصف ، او ما يطلق عليه فى مصر «الطابور» ، ولكلمة
من الدخيل الفرنسى .
(2) طايب أى ناضج .

بالزرع الى كان اخزن

بيعان المسكين احسن

افكل مسكن امرا كز دارها

للمساكن أفقرا

او ماعملها لصحاب الزرع افلمطامر

الشحاتا هل لقطار

ولمحمد لخلو قصيدة فى نفس الازمة ، يرى فيها أن الزمان أصبح مرا

والمصائب كثيرة ، وماذا عسى يفيد ؟ فقد خاض الناس فى المناكر ، وعمرت

الاسواق بالمعاصي ، وظهرت علامات كثيرة وعجائب تحير العقول ، فلا الكبير

يهاب ، ولا الصغير يحترم ، ولا الجار يوقر جاره ، لاهياء ولاعهد - وشغل

الشیطان الناس عن أداء صلواتهم وعن كل ما يهمهم :

هذا الوقت امرار :: ولصايب كثرو شنهو ايفدنا

خضنا فالمنكار :: ولعاصي بها عمرو اسواقنا

علامات اكثار :: ولعجايب فيها تفها اعقولنا

لا رهبا لكبار :: لا صغار ايحشمو فى جيل وقتنا

الجار امع الجار :: لا احيا لا عاهد حجرات باينا

لهننا الغرار :: عن اصلاات الخمسا والى ايهمنا

شف الوقت احرار :: من افعالنا هذ الوعيد صابنا

ويذكر بعض مظاهر الغش المتفشى فى اوساط التجار ، والجزار يخلط

لحم الغنم بالماعز ، واللبان يضيف الماء للحليب :

شف الى كزار :: كايبيع :لنعجا غلنى (I) افسوفنا

شف الى بكزار :: بالمياه ايخلط لنا احليينا

ويستعرض بعض مناكر الوقت فيذكر منها كثرة النساء وتبرجهن فى

جلاليب وأحذية ملونة ، يزين عيونهن وخدودهن ، وبلون أظفارهن ويكشفن عن

اساورهن وقفاطينهن الجميلة ، وقد بدت الخراطم والايدي المخضبة بالحناء :

(I) تقلب بعض الالسنه نون الغنم لاما .

لعيالات اكثـار ٭ ٭ بجلاب واسبابطها املونا
ويصبغو لظفـار ٭ ٭ والدمالج فوق الكبوط باينا
والعينين اكـار ٭ ٭ ولخدود الحمرا تلمع باينا
بقفاطن تشكـار ٭ ٭ ولخواتم وحنانيها امزينا

وفى الوقت الذى يبقى الرجل فى الدار تخرج المرأة بهذا التبرج ،
وتأتى بالسكر والدخان لتكيف مزاجها به :

الرجل فالـدر ٭ ٭ ولما فالزنقا تمشى امشرغنا
واتجيب السكرار ٭ ٭ والدخن هذا هو ارشوقنا
وليست الشابة وحدها التى تعرض زينتها وانما العجوز كذلك تضع
المساحيق على وجهها ، وتصبغ شعرها ، وتظن نفسها جميلة فتأتى المنكر ،
ثم ان الساحرات كثيرات :

لعكوزا ثـوزار ٭ ٭ كاتعكر وتقول أنا امزونا (I)
تفعل فالنكار ٭ ٭ والشعر اتصبغو ما هو افدينا
السحرات اكـار ٭ ٭ كايـحرو ويقولو ياخدينا

ويعطينا صورة لحال العيش الضيق الذى نتج عن أزمة البطاقة ، فلا
أقمشة موجودة ، ولا صابون للتنظيف ، واوقية السكر التى تسمح بهـا
البطاقة لم تعد كافية ، وليست فى الدار مؤونة فلا سمن ولا زيت ولا فحم ،
وليس فى السوق لحم الغنم او البقر أو الجمل ولا سمك «المرنا» المعروف
وهى حياة جعلت ربة البيت تقلق وتعرب عن هذا القلق فى قول لزوجـها
بأنها ضاقت بطبخ الخضر كل يوم وخاصة البطاطس ، وكأنها موصى على
أكلها من طرف الطبيب :

لا كـان اظهـار ٭ ٭ لا صوبين باش انكلعو اوسخنا
أبـون السكرار ٭ ٭ ولوقيا ماباقشى اتقدنا
لا عـولا فالـدر ٭ ٭ لا سمن لا فخر لا زيت كاينا
لا غلمى يذكـار ٭ ٭ لا جمل لا بـرى لا حوت مرنا
لمرا بالمعـار ٭ ٭ كاتقول للرجل طابو اقبونا

(I) تصغير مزيانة بمعنى جميلة .

عينا لخضار * كل يوم الخضرا هي اطيابنا
بطاطا فغطار * واش لبطاطا نعتينا اطيابنا
ومع ذلك فكل شيء متوفر في السوق السوداء يباع في الخفاء :
تحت الكونطوار (1) * كل ما تبغى من لسلوع كايئا
جيب المرشى انوار (2) * كل سلعا مخزوبا ليس باينا
وهو لا يرى في ذلك كله الا تنفيذا لحكم الله وقضائه ، فيرجوه ان ييسر
الامور وينشر رحمته لتعود الاسعار كما كانت ، حتى تزهر الايام وتزدهر
الحياة :

تصريف القهار * ولقضا يتصرف بحكام ربنا
يا عالم لسرار * يالمولى يسر لنا أمورنا
ربى يا غفار * ليس عيبت فالى مخلوق كيفنا
حامل من لوزار * لكن ارحمتك ياربى اتعمنا
يا رازق لعمار * يا لغنى من لا يخفاك حالنا
ويرخصو لسعار * كيف كانوا تزهر لنا ايامنا
يا نعم الستار * جد برحمتك يالكريم غتنا
ولللحاج محمد بن عمر قصيدة في نفى محمد الخامس يقول في حربنا:

قولو يا هلى معظم يوم السبت افلمدين الحمرا يذكار
عمنا لطف الله وخمد لفتاين
وفيها يرى أن كل شيء بقدر الله ، ولا بد من تحمل هذا القدر والصبر
عليه الى أن يفوت ، ولن يفوز بالنصر الا من رضى بقضاء الله وقبل مصيره ،
اذ لا ينفع الهرب منه فى شيء وليس للعبد أى اختيار ، فماله الا أن يسلم
الامر لمولاه ويذعن :

سبحان امن اقضى بقدرتو واحكم * ابما اجرى فى جمع البشر
قدرو مولانا واعلم كل كاين

(1) مدرج البيع والمائدة التى يقف خلفها البائع، والكلمة من الدخيل الفرنسى
(2) السوق السوداء ، وهى من الدخيل الفرنسى كذلك .

يقوز امن اصبر للشداحتى اتقوت * وارضى . واقبل ما صـار
انقضا ما ينفع لهروب يالفاطن
ليام دايرا والفلك امعاها ايدور * ما للعبد اختيـار
سلم الامر المولانا اوكون داعن
وفى قصيدة اخرى له فى نفس المناسبة يدعو الله أن ينصر المغاربة
ويفرج الكرب ، وان يخلصهم من يد أعدائه العصاة الحاكمين الذين رضوا
الدنيا وكرهوا الآخرة ، فالفلك يدور ولايد لكل شدة من فرج :
ربى ينصرنا عنهم لايد الفلك ايدور والسوايع هذا حال الزمان
قالوا لدهات ما تدوم الشـدادات
باللطف يتصرف لقضا فالازليا
يالعالم فرج كربنا ياغيـات * ابجاه سيد السـادات
سيدنا محمد طه خاتم الانبيا
لاتخلنا ياربى فيدهاد العصات * من اعليها حكمـات
لاخرا كرهوها وابغوا غير الدنيا

وكما نظر الشاعر الشعبي الى الاحداث المحلية (I) ، فكذلك نظر الى

القضايا العربية الاسلامية (2) وتأملها من خلال ايمانه بالقضاء والقدر

(I) ليس من شك فى أن حرب الريف التى قادها محمد بن عبد الكريم
الخطابى لتحرير البلاد من مختلف ألوان الاستعمار تعتبر من أهم
احداث المغرب المعاصرة ولكن الاسف اننا لا نعثر لها على أثر فى الزجل
على الرغم من الشعبية التى يتمتع بها ابن عبد الكريم وعلى الرغم كذلك
من الصدى القوى الذى خلفته هذه الحرب فى النفوس .

وقد ذكر لنا الاستاذ ابراهيم الكتانى أنه حضر مرة موسما لاحد
الاولياء فى الشمال - لعله موسم سيدى عبد السلام بن مشيش - وكانت
تقام حفلات رسمية حتى المساء يحضرها مسؤولون عن السلطة وحكومة
الحماية تنفض اثرها جموع الناس . ولكنهم لا يلبثون - بعد اطمئنانهم الى
انصراف هؤلاء المسؤولين - أن يعودوا للاجتماع حتى الفجر ينشدون قصائد
شعبية بالعربية والبربرية الريفية فى تمجيد هذه الحرب ، وقد حاولنا فى
احدى رحلاتنا للشمال أن نعثر على بعض بقايا هذا التراث ولكن الاسف
انا لم نوفق لذلك . ويبدو انه ضاع بسبب عدم الاعتناء بتدوينه كتابية
او تسجيله بالصوت ، وبسبب موت الحافظين له كذلك ، وهم فى الغالب
من الشيوخ الذين شهدوا الحرب مع ابن عبد الكريم .

(2) تنسب لابن على ولد ارزين قصيدة طويلة تسمى «المصرية» نظمها
فى دخول نابليون الى مصر ، ولكننا لم نعثر لها على اثر .

فى النصر والهزيمة على السواء . وقد كشفت حرب فلسطين الاخيرة (I) عن تجاوب شعبى صادق مع هذه القضايا ، نحسه عند الحاج محمد بن عيسى الذى طغت عليه عاطفته الوطنية المتأججة فحالت بينه وبين النظر الى هذه الحرب من خلال حقيقة النكبة التى أصابت العرب والمسلمين ، فهو يحمد الله على أن تألق نجم الاسلام مضيئاً فى الآفاق دون حد لنوره ، وعلت كلمة الله يسر خبرها جميع النفوس ، وظهرت أمة الاسلام فى برج النصر يؤيد عا الله ، وقد توحدت جيوشها ووقفت مترابطة على طول الحدود ، ونادى حشد النصر وظهرت بشائره فسعد من كان قريباً منه؛ وهو يأسف لبعده المسافة؛ لو وجد لقطعها أجنحة لطار:

وبعدها يالامت لسلام الحمد لله اطلع النجم السانى

واتجلى فالافاق بان ضيو ما هو محـ

وارقات الكلم العاليا واخبارها سر النفوس ياجمع اخوانى

وظهر شعب الاسلام ايدو لحليم المعبود

فى برج النصر شهدوه اجيوش لسلام جات من كل اوطان

واتحدت الاما الواقفا فمناهج لحـ

نادى قال النصر وبانت ابشائرها يا سعد من اضحى داني

ونا ماصبت اجناح ولوصال اعليا مبعـ

أليست دولة اليهود فانية منذ العهود الاولى للتاريخ ؟ تنقصهم القيادة

الواعية ويخذلهم الله فتنهم فى الحياة وأذلهم فى كل مكان ، وجعلهم ضعفاء

جبناء :

مبطولا دولتهم ياهلى خلاهم طورا فى اماج طوفانى

لا رايس واعى الفاوا لامن بهم 'بـ

واخذلهم مولانا افلحيات افتنهم أدلهم فى كل امكانى

واجعلهم فالدنيا اكراف (2) لكراف الجنود

(I) حرب الستة أيام (يونيو 1967)

(2) الكرفا تعنى البخيل حين تطلق على الرجل وتعنى القبيحة حين تقصد بها المرأة ولكن الربط هنا بين الكرفا والجنود لا يجعل الكلمة تعنى غير الضعيف والجبان .

ثم ، أليست شوكة المؤمنين قوية ؟ وعدهم الله بالنصر والغلب على اليهود مهما انتشروا قى الآفاق ، فما كادت تسمع بشاراة الفتح الالهى تعم الامة الاسلامية ليهلك الطغاة كما هلكت ثمود من قبل ، حتى سطع نجم الاقبال وبدت علامات الفرح والسرور والسلوان تحيى النفوس والبيس ، ونهضت سائر الامم والاجناس لحماية بيت المقدس مطلقة اعنتها مستعدة للقتال :

شوكت هل ليمان قويا وعدها ربى بالنصر على لجبانى
تغلب سائر ليهود لو اكساو القفر الممدود
مهما سمعت بشار السعادة عم لسلام بالفتح الربانى
يهلك جيش امن اطفا ربنا كيف اهلك تمرد
ها نجم اليقبال بان شف اعلامات الفرح والسرور اسلوانى
شاع اذكرها واحيات به لمهاج امع لبدود
قامت سائر جناس ناهضا جات اتحامى اعلى البيت طلقت لعنانى
محتالا على لقتال واكدا بطرارد وبنسود
واليهود لا يؤمنون ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، والأحقق هو الذى
لا يحناط من أعدائه ولا يحذرهم :

بالك تامن من خالفو الحد ونقضوا لعهود
وكذاك الميثاق ليس فيهم الى بنا ايثق يقرأ لمانى
لحمق من يامن فى اعداء ماينجأ من لنكود
وقد بدأوا يطفون ويتجبرون ويسعون للفتن منذ مدة غير يسيرة ، ولكن
الله سيهزمهم ويصون منهم البيت ويحميه :

هاذى مدا ليهود باش زاغوا واطغوا افرعنو ورادوا لفتانسى
ربى يهزمهم من البيت ويصونو من ليهود
فأرض الشام شرفها الله وأمنها من قديم ، لذلك فهو يرجوه أن
يحميها من اليهود الاجلاف :

الارض الشام الله شرفوا من قادم للآن فيه ساير لمانى
يامولانا حرسوا امن اجلاف الاما لهـــــــسود

وإذا كان ابن عمر قد نظر الى الازمة بمنظار غير واقعي فأشاد بوحدة صف المسلمين وقوة جيوشهم وبتخاذل اليهود وتشتتهم وما نتج عن ذلك من انتصار أصحاب الحق وانهزام الاعداء المتعصبين فان الشيخ ابن الكبير المراكشي كان اكثر واقعية فى النظر الى الازمة ، وتأمل أحداثها والاعتراف بانكاس المسلمين ولمس أسبابه الحقيقية . فالمسلمون مشتتون متنازعون ، فى حين أن العدو الى جانبهم يتربص الفرص للانقضاض ، يسانده اخوته وأصدقائه بزودونه بالسلاح :

النزع ادهانا امع بعضنا بعض العدو افجنبنا يتسنانا
وامعاه لخوت سلحوه بفنا بل للتخــــــــــــــراب
والمسلمون فى حاجة ملحة الى الاتحاد وتوحيد الصف ماديا ومعنويا ، ومتى كانوا متفقين متراضين فان أحدا لن يستطيع مواجهتهم :

لازم للصف انوحدوه حس امعنا نتاحدو الامن يفوانا
إذا كنا متوافقين ما يلحقنا كذاب

أما اليهود فطغاة متجبرون ، وليس من يهلكهم ويمحقهم غير الله ، وهم أقوياء مستأسدون ومتحدون لمحاربة المسلمين ، وقد نجحوا بالغدر فى اهانتهم وتشريدهم ، وإذا كانوا أقوى منهم فلان اخوتهم وحلفاءهم يمدونهم بالعون

ليهود اطغوا اتجبرو اولامن يهلكهم غيرك العاظم مولانا
امحقهم ابلقوا القادرا والسهم الرعــــــــــــاب

ليهود اقواو اتنمرو واتحدوا عن قتل اخوانا وقصدوا لهانا
هانونا هملونا اشردونا غدرنا لكلا ب

ليهود القاوا اخوتهم عانوهم ابقاوا اقويا عن اقوانا
قوتنا هو انت اوقتك ما تحناج اجعاب (I)

وهم لم يستحووا من انتهاك الحرمات سعيا الى تحقيق أمنيتهم ، سموا النساء ، ومكروا بالشيب والشباب ، واتخذوا المساجد مراقص ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، ونهبوا وشردوا وقتلوا :

ليهود انواو ايحققوا امنيتهم اينكونا ايسبو نسوانا
بنواع الفحش ايعاملو الشايب منا والشاب

(I) الجعاب : البنادق ويقصد أى سلاح .

امساجدنا للرقص هيؤهم اولاد الفاجرين قصدوا منقانا

قتلوا نهبوا لخوت شردوهم افكل اهضاب
وهو يرى ان المسلمين خدعوا فى المعركة حيث نكل بهم العدو
وتحداهم ، فكان مصابهم عظيما ولم يشاركهم فيه أحد ، لذلك فهو يلجأ
الى الله يرجوه اللطف بعباده الاسرى والانتقام من العدو وحلفائه ، فمتى
نزل الضيم بالعبد فليس ينجيه ويغيثه ويفرج كربه غير خالقه الذى
يرعاه بالليل والنهار :

لمصاب اعظيم أهل الدين لمتين اتخدعنا اولا امن ابكى لبكنا
اربى ياربى لطفك نرجارك يا وهــــــــــــــــاب
عجل باللطف اعبيدك اسرى شوه بهم لعدو أراه اتحداً
والقى من يحميه واحنا فاحما احماك الغلاب
العبد الا ينضام الا من اغيثو يلا خالقو اولا سواه ايفاجى لكراب
ولكن لابد من التعجيل بالتوبة والاستغفار حتى تكشف الغمة ويشفى
المصاب :

الله أهل لسلام بادروا بالتوبوا واستغفروا وطلبوا مولانا
يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصاب
ولا بد كذلك أن يتخلص المسلمون من كيد الشيطان ، ويشكوه الى
الله وقد عجزوا عن محاربته ، فهو سبب كل ويل ، أغراهم بالطمع ، واستحوذ
عليهم فغدوا له أعوانا ، وبعدوا عن الصدق ، لذلك فهو يطلب الله الا
يحاسبهم وان يعفو ويسامح ويصفى مآهم ويجعلهم اخوة متحدين :
اجعلنا من هل اليخلاص واحفظنا من كيد يبليس من قصد انكانا
لمن نشكوه غير لك ما طفنا له احــــــــــــــــراب

هو السباب الكل ويل خدلو يارب راه يطمع كآع (I) اداننا
كهربنا ولينا اعوان عندو واصدقنا غاب
ياربى ياربى اولا تحافنا يالكريم سامح اصفى مانا
بك اجعلنا نتحدو ونضحاو للخوت احباب
(I) كآع بمعنى جميعا ، ولعل أصلها فى الفصحى القاع ، وكان الوصوى
الى قاع الشئ يفيد جمعه كله .

وقد أوصى الله المسلمين وأنبأهم بعداء اليهود لهم ، ونبيههم الى ان
من اتخذهم أولياء فهو منهم ، ولكنهم خالفوا قول الله ، وخضعوا لاهوائهم ،
واتخذوهم أحبابا وأصدقاء وتزوجوا منهم ، فكانوا بذلك عوناً لهم على الغلب:
لنا قال المولى الكريم راليهود إعداكم ابهذا وصانا

خالفنا قول الله كلنا درناهم احباب

من ولاهم الله قال هو منهم ابلا احيا اخضعنا لهوانا

وتزوجنا منهم غلبهم كنا له اسباب

ولكنه متفائل طالما أن كل شدة لابد وأن يعقبها الفرج :

الشدا يتبعها الرخا احنا نترجاو تحقيق نصرك يوفانا

رب اللطف الخافى أنت المعطى من دون اسباب

ثم فيم الخوف والجبن ، مادام الموت حقا على الناس ، ومادام الاستشهاد

ضمانا للجنة ؟

الموت اعلينا حق يالك من مات اشهيد اهنا اوفاز ما يحتج اضمنا

راح اعريس الجننا افلاخرا يا سعدو يسطاب

ملاحظات :

نود فى نهاية هذا الفصل أن نسجل بعض الملاحظات ، عساها تكمل
الجوانب التى قد تبدو ناقصة فى نظرة الزجال المغربى الى الحياة .

الاولى : أنه على الرغم من أن الشاعر الشعبى عاش فى حياته وفنسه

متجاوبا مع مجتمعه مهتما بمشاكله وما يتعرض له من وقائع وأحداث ، فإنه

يبدو وكأنه لم ينظر الى هذا المجتمع الا من علو وبعد ، لم ينزل اليه ولم

يقترب منه ليختلط به ويرسم حياته اليومية ليعرض لوحة مكتملة الملامح

والابعاد . قد يكون ذلك صحيحا ولكن الى حد . حقا ان الشاعر الشعبى ظل

وهو يعالج مشاكل المجتمع والحياة محصورا فى نطاق خاص ، هو نطاق

القضايا الكبرى التى تشغل رأى العام من انحلال يصيب المجتمع

او آزمات تعترضه ، ولكننا لانريد أن نفى عنه النزول الى الشارع والاتصال

بالحياة فى ابسط مظاهرها واصغر مشاكلها ، ونكاد نجزم بأن هذا الشعر

ضاع بسبب عدم رغبة الجماهير فى سماعه وترديده ، وبالتالى عدم اقبال

المنشدين على حفظه وتداوله . ونكاد نجزم كذلك بأن مثل هذا الموقف يتخذونه الجماهير والمنشدون من شعر لايسيفه الذوق الجماعى للترديد والغناء جعل الشاعر بدوره يحجم عنه ولا يقدم عليه الا حين يقوى الانفعال فى نفسه ويضغط عليه ويجبره على القول وفى الحدود التى لا تزعج الذوق العام . ويبدو أن رجل الشعب - شاعراً كان أو منشداً أو مستمعا - لا يرى فى الحياة اليومية العادية موضوعاً للامتاع طالما أنه يمارس هذه الحياة ويعيشها بكل الابعاد والجزئيات . ومع هذا فإن الباحث لا يلبث أن يعثر على نماذج - ولو قليلة - تثبت تجاوب الشاعر الشعبى مع مشاكل مجتمعه ومعالجته لقضاياها . من ذلك قصيدة «المطر» (I) التى تصور قسوة فصل الشتاء على الفقير الذى لا قدرة له على الاحتماء من البرد والمطر . فالقسم الاول منها وصف لحال الجو الطبيعى ، لقد هبت الريح ، وصوتت الرعود ، ولعت البروق ، وتهاطلت الامطار ، وراح كل الى مقره ملتفاً فى جلبابه ، وغدا الحى بمشيئة الله وقدرته خاويًا بعد أن كان عامراً بالناس ، ووقف الشاعر يطل عليه من سور سطح بيته ومعه كاتبه :

حسيت بالرياح الصرصارا * والرعود افلكوان ايزيم صوتها بهدير
لبروك من القبلا شـاروا * خطفوا المن انظر لبصـور
وابدات شى امشأتى غزارا * صابا من لسحاب الواسقا الما لكثير
والناس كلها لقـرارو * سرى وراح فالغـبـور
طلبت عل الحى امن اسطارا * بانلى فاضى بعدن كان فيه جمع اكبير
كلا امشى اسريع السـدار * يضحى من لمطر مستور
سبحان امن اقدرتو جبارا * جل شان الى كيخلى الكون بعداعمير
ويلا ايريد لو تعمارو * يضحى افساعتو معمـور
لمطار ما عملت الفتازا * وناكما اصبحت افبيتى ظلت ما قدرت انسير
وامعاى كتابى مختارو * يدري الشعر والمنشـور
وفى القسم الثانى يطلب الشاعر من كاتبه أن ينبه الاغنياء الى أنهم

(I) سجلناها من المذيع غير منسوبة الى صاحبها، وسألنا كثيراً من الاشياخ فلم نهتد الى معرفة اسمه والغالب أنه معاصر .

مصاييح التنوير وراحة المتألم ، يجب عليهم الا ينسوا مواطنيهم الضعفاء ؛ ويرسم صورة للعامل الاجير يكدر الشتاء صفو حياته حيث يظل يدور طول النهار يبحث تحت المطر عن عمل يكسب منه قوت يومه فلا يجد . ويعود فى المساء الى المغارة التى يسكنها ويفترش فيها مع أسرته الحصى ، فيدخل خاوى الوفاض فارغ اليدين وقد تعثرت قدماء من شدة الكدر والهم ، ويلتف حوله الاطفال ، وتحس زوجته بحقيقة حاله ، وتحاول تصبيره على ما قدر الله ، فهى من أسرة نبيلة كريمة راضية بعيش الحلال مهما كان قليلا ؛ ووجود مثل هذه الزوجة فى بيت الرجل الفقير عمارة له :

قل ألكاتب لهل لغارا * عار لفكار اعليكم يا مصايح التنوير
انتم افشعينا دكسارو * وانتم راحت المعكـور
الى اىظل يخدم بجارا * انهار تاتيه الشتوا كيظل فى تكدير
من حيث مادرك مسوارو * او يظل افمطار ايـدور
وايعود افلعشى اللمغارا * فين يوجد لطفال وزوجتو اعلى لحصير
ويشوك اللحم واشعارو * لوصاب لرض به تتغور
ويزيد ابلقيدام العشارا * والدرارى به ايدوروا اكبيرهم واصغير
واتحس زوجتو بكدارو * واتقول هكذا مقـدور
بنت لجواد نسل الخيارا * راضيا بالعيش دالحلال لون كان اقصير
اعمارت لفقير افـدارو * زوجا ومنها مسرور
ويستعرض القسم الثالث نماذج من الغرباء المشردين الذين يفدون الى المدينة ، وليس لهم فيها مأوى يجدون فيه الدفء ، منهم من يختبئ تحت الاقواس وقد ستر جسمه بازار أو لبس ثوبا قصيرا أو ممزقا يكشف عورته ، ومنهم كثيرون يذهبون الى المقبرة عساهم يحتمون من الامطار ، ومنهم آخرون يتسولون فى الطرقات يسعون الى جود الاغنياء ، ولكن هؤلاء فى دورهم وقصورهم مدفأون بى البطاطين والازر لا يحسون بشيء ، وقد نسوا الكون والخلق :

ما ريت من جاوا اللعمارا * امشردين ولمشاكل كطيح بالتدبير
ما ريت من جاوا اللعمارا * امشردين وصابوا الشتا ولا لفانصير

والدفع ما لقوا اثارو * بين لقواس داروا *
فيهم امن اكساتو دزارا

فيهم يالغنى من لابس ثوب عل الجسم اقصي.

فيهم امن اتبان اعوارو * من شرگ افوسط المحصور
واشحال متهم فالمقبـرا * امكشين امن امشاتي كطيح بالتبدير
وابخرين فالزناقي سـاروا * يسعاوا جود هل لقصور
وانت اكما لبخيل افـدارو * ناسى الكون والمعمـور
وانت افيشك وتفشارو * بين لبطاطن وليـزور

وغى القسم الرابع والاخير يكمل اللوحة برسم ارملة لا قوت لها
ولا كساء ولا نور ، تظل تدور فى البساتين تلتقط الفاسد من الخضر ، ولكن
جسدها طاهر اشترت بالجوع طهره ؛ وها قد اقبل الشتاء بمطاره ، وهى
تعلل اطفالها ، وتفكر فى وسيلة للتصرف فيما قدر الله ، فى حين يظل الغنى
فى تعاليه وتعاطفه ناسيا كون الله وخلقه :

لو كان ريت كمن صبـارا * مات لها والد اولادها افيوم اعسير
اولا بقى لها تدخارو * لا خبز ولا كسا لا نـور
واتظل فى ابساتن خضـارا * تلتقط الطايش والعيان والجسد اطهير
بالجوع شاريا تطهارو * واليوم جاتها لمطـور
صبحت للدرارى حزارا * وكتخم كيف المعمول فى اقضا القدير
وانت افيشك وتفشارو * ناسى الكون والمعمـور

الاحظة الثانية : ان الشاعر الشعبى لجأ فى الوعظ الى الخطاب ، وهو
خطاب صريح مباشر قد يوجهه الى نفسه او الى غيره . ولعل مخاطبته لنفسه
تعتبر من قبيل التجريد المعروف فى علم البديع حيث يجرد المتكلم من
نفسه شخصا ثانيا يخاطبه ، بل انا كثيرا ما نجد الشاعر يوجه الخطاب
لراسه وقلبه ؛ ففي خطاب الرأس يقول ابن احساين فى «اللقمانية» :

لازلت نوصيك ولو صايعلم وعرفان * راسى ياراسى ايلا اصغيتى لبدانى
واعملت بوصايتى اتنال الدنيا والدين

ويقول ابن علي في «الوصاية» :

اراسى نوصيك يالزايد تعبى واشقايًا * من خلطت هل جيلنا اعزل

ويقول ابن سليمان في «التوبة» :

تب ياراسى لا تشقى * التاعب لابد من لفراق

لا تامن بالدينيا ابناسها غرارا

ويقول شقور :

بسم لكريم صفت انحاسى ياراسى بسم لكريم خلصتنى تخلص

ويقول المدني التركمانى في «الزهو» :

اراسى تنها من لمزاح ابناسو شواه * والقى هل لفساد وخطا والفعل المدموم

ويقول علال العلوى :

اراسى واش ادلعيميا * يزاك اخايب لفكر

الشيب اجرا اعلى الصغر * وانت مازال افلعيميا

مطموس القلب ولبصر

وفى خطاب القلب يقول ابن علي :

يالقلب اتفكر مافات اللول والتالى * كيف شافوه اخرين اولادرا واليا كيف اجرا

ويقول العلمى :

عدتى يالقلب الغافل تخطا الصواب

الصمت كيقولو لعرب حكما

مجدوه الناس القدا

واسكات عام افضل من كلما

ابغير ندمما

وقد يخاطب الشاعر غيره على حد مانجد عند المغراوى فى خطاب

الغافل :

يا غافل حضر بالك * لاتامن اقدار لغرور اسمع نوصيك

ويقول الشاوى :

حضر لدهان يالغافل اصفى لوصيتى المزيانا

ويقول الحاج ادريس لحنش :

أغافل مثلى اعلی اصلاح اسمعنى نوصيك * بادر تب لله وحضر بالك
وفى خطاب الساهى يقول بوخريص :

يالساهى عما يعنيه والعمر فان * قم واعزم واخدم يكفا امن اتفرعين
وفى خطاب النائب يقول الشاوى :

يالنائم فق امن النوم راقب الفجر الطالع

قم تغنم ربحك واتفوز ابلغنايم والطاعنا

وفى خطاب الفاظن يقول العميرى :

يالفاظن مغرور الواهيا افطن

وفى خطاب محبى الدنيا يقول العباس الحرار :

أغابطين فالفانيا ام السيات * غنموا اتوابها قبل الايفوت الفوت

وفى خطاب ابن الدنيا يقول ابن على :

لك يا ابن الدنيا خذ اوصايت الدهات الى مرويا

قول مومن لك اعطاها اوخوك فالله

وفى خطاب قبيح الافعال يقول محمد ولد سيدى بوعمرو :

زال حكمك من صرفك يا قبيح لفعال * يالى عن منهاج السالكين ما يل

وفى خطاب الواله يقول الحاج محمد بن عمر :

يا أخ الولهان بهموم الدنيا الفاتنا

من شطنت لنا اقلوبنا

عشنا كالحيوان

لا من فاق ابتمحانو

وفى خطاب الصاحب يقول الشاوى :

رد بالك يا صاح اوصغ طرز لقوال * كن عايق فايق خذ لشيئا بمهلا

وفى بعض نصائح السلوك الصوفية نجد الخطاب يوجه للمريد كما

عند ابن رموية اذ يقول :

يامريد وجه قلبك واقرا لوح الشهود

أو الى الفاهم كما عند الشريف المرباط محمد المنالى اذ يقول :

يا فاهم صغ لنظامى اوكون فاهم ۞ ردت نوصيك أوصايا فى طريق لخوان

الملاحظة الثالثة : ان فكرة تنبيه الغافلين المتهافتين على الدنيا جرت

بعض الشعراء الى تخصيص قصائد للتذكير بقدرة الله وعظمته على حد ما فعل

المغراوى فى قصيدة له تناول فيها تكوين الانسان وخلق ، ومختلف أطواره؛

يقول فى أولها .

سبحان المهي خالق الانسان ۞ من ماء مهين والاصل صلصال

لآدم أبو البشر امعزوجتو صنوان ۞ منهم ذا النسل افلزواج نسل

سبحان امن اخلق جميع لوجود شاهد ۞ لله بالشنا والحمد والتوحيد

سوى امن اكفر بجهالت لاحد ۞ عن نهج لهذا ضل اشقاء اعني

شان الله اعظيم كيف ينكر الجاحد ۞ واشهود اقدرتو فى اصنعتو ترشيد

وفيه يقول :

كم قد اتى افمحكم القرآن ۞ تطوير انشيت من حال الحال

نظفا ثم علقا افأول النشيان ۞ مضغا ثم لحم اعظم اوصصال

وعلى حد ما نجد كذلك عند ابن على العمرانى فى «الذرة» التى يقول فى

حزبها :

يالساهى من نومك بق سبح الرب ۞ لمتا وانت تايه افلغرور لسواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب ۞ سيدنا محمد طه اشفيغ لعراب

وفى عروبي منها يقول متحدنا عن الذرة وكيف قسمها الله أربعة

أقسام ، الاول للرسول عليه السلام ، والثانى للقلم ، والثالث للعرش .

والرابع للكرسى :

من نور اقبط قبضا واقسمها ۞ اعلى ربعا اكما امن الدار حادث

القسم اللولى اللحبیب اجعلها ۞ وقال لها كون محمد كانسم

والقسم الثانى لقلم انشامنها ۞ ومن القسم الثالث العرش الثابت

والقسم الرابع للكرسى ورثها

الفصل الثالث

مع الناس

لكل انسان فى مجتمعه علاقات تربطه بالاناس الذين يشاركونه الحياة فيه أفرادا وجماعات ، وهى علاقات تتسع وتضيق بمدى اتساع وضيق النطاق العددي لهؤلاء الناس ومدى متانة وفتور الروابط التى تشده اليهم أو تشدهم اليه . ويمكن اعتبار هذه العلاقات عند الشاعر الشعبى من خلال مستويين ، أحدهما عام والآخر خاص . اما العام فيتمثل فى نظرتة الى الناس كجماعات واهتمامه بمشاكلهم وقضاياهم وتجاوبه معهم فى رضى عن سلوكهم أو نفور منهم فى سخط على هذا السلوك . وقد عرضنا لهذا الجانب فى الفصل السابق لما رأينا فيه من تكميل لرؤية الشاعر الى الحياة وبلورة هذه الرؤية وتوضيح لاتجاه الحكم والعظات التى نتجت عنها .

وأما الخاص فينحصر فى العلاقات التى تربطه بأفراد معينين ، قد تكون لهم فى نفسه أو فى المجتمع مكانة تقدير واكبار ، فيثنى عليهم احياء وأمواتا ، مدفوعا بالحب الصادق حينما والتقرب والتملق احيانا كثيرة ؛ وقد لا يكون لهم فى نفسه غير الشعور بالمنافسة والخلاف والخصام ، فيصب عليهم جام هذا الشعور ذما وتعييرا فى غير هوادة او لين . وهو الجانب الذى سنتناول فى هذا الفصل ، نقصد به فنونا ثلاثة هى : المدح والرتاء والهجاء .

أولا : المدح

من عميق ادراك الشاعر الشعبى لما هية الشعر ودوره انه ابتعد عن فن المدح انشاء وانشادا ، وفى غير قليل من الاهمال والازدراء ، وكأنه أحس بما فيه من فتور العاطفة وتكلف التعبير وزيف الدوافع ، وخلوه نتيجة ذلك من امتاع الذهن والشعور ، فلم تفتتح قريحته للنظم فيه ، وجاءت قصائده لذلك قليلة ، وهى على قلتها لم تجذب الحفاظ اليها والمنشدين ، وكان أن ضاع أكثر انتاجه فى هذا الفن ، الا ما كان منه فى مدح الرسول عليه السلام (1) ، فانه انطلق فى أجوائه ، تسعفه عاطفة خالصة اساسها

(1) خصصنا له الفصل الرابع من باب الموضوعات .

العقيدة الراسخة والحب الصادق ؛ بل انا نجد الاشياخ - شعراء وحفاظا حين يطلقون تسمية المدح او «المداحي» لا يعنون بها غير المديح النبوى • وبين ايدينا نص يفيض بهذا الروح ، يعيب فيه بوعمره على الشعراء الذين تخلوا عن تمجيد المكارم والفضائل ، وغدوا يمدحون الناس ويصفونهم بما لا يحلون به ، وهو يفتقد فى الممدوحين خصال الثناء ، ويرى ألا أحد يستحق المدح غير الرسول الكريم :

قال الاديب عمرو * اه اعلى الشعرا

اسمعنا عن الاعيان * فقديم الزمان * كانوا يمدحو الاحسان
واليوم تمدح الانسان * وتقول ذا فلان * ساعا توجدو عجزان
اصغ غايت الرقيب * يامن هو البيب * لك فالناس اعدو وحبيب
تمدح ياأخى لنجيب * وتقول دا اريب * وترى السعد فيه ايخيب
امن هو البيب احسب * فى ذا الجيل اغريب * هذا صح ابلا تكذيب

نجم الثنا قد غاب * عنا حقيق واغبا

وانبطلت لنساب * رجعوا لكرام تربا

وكذلك الاصحاب * لاتامن الصحبا

نحلف لك اعظيم ايمان * حقيق بالبيان

ما تمدح ولا انسان * سوى سيد الثقلان

تذلك نجد الشاعر العباس الحرار يعتز فى بيت من قصيدته الفخرية

أنه لم يرفع بقوائم شعره سطوة ملك أو طاغية جبار :

أنا اللي ما رفعت بقوايم شعري * سطوت مالك شامخ او اطفى جبار

ومع ذلك ، فقد وفقنا الى تدوين عدد من القصائد ، وعن أهمها مجموعة

مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1) ، والمولى أبوبكر بن

السلطان الحسن الاول (2) وكان خليفة فى مراكش للمولى عبد الحفيظ(3)،

والملك محمد الخامس (4) ثم ابنه الحسن الثانى

(1) تولى من سنة 1238 الى 1276 هـ •

(2) تولى الحسن الاول من سنة 1290 الى 1311 هـ

(3) تولى من سنة 1325 الى 1330 هـ الموافق 1912 م •

(4) تولى من سنة 1927 الى سنة 1961 م ، حيث خلفه ابنه الملك الحسن

الدانى

أما الموثى عبء الرحمن فيمدحه ابن سليمان ويذكر استعداداه فى
مراكش للخروج الى حرب فى الحوز لم يشهد لها مثيل ، زادهـا وجود
السلطان بهاء وهناء ، فابتهج الناس وانطلقت ألسنة المنشدين تلهج بشجاعته
وجوده وعفله ودكائه :

فرجا يا بهجت لحضر وانزها * زاد سيدنا فنهاها
اعلى اسرور الملك ايفرحو كل اعقول * اتبشرى يا بهجت لمدون
وهو ياسيدى وعلى ازهوك ناسك تنشد بفصاحت السون
وهو ياسيدنا لهما بن الامام لمجد بن سيدى هشام
اشريف امن اسلام ضى لنيام

اشجيع امن الضراغم والجواد عل الخلايق
فالحوز غنمت به طيف امنها * صاحب لعقل وانباها
قام حارك بها جميع لحروك امثول * ما شأفت عوضها اعين
ويخبرنا الشاعر بتقليد للسلطان يقضى قبل الخروج للحرب ان يزور
على عادة أسلافه ، رجال مراكش السبعة (1) ليفوز بذخيرة أهل الكمال
ويال مقصوده :

وهو ياسيدى ومنين وجد الحركا واسكاد الشور
افعل ما فعلت اسلافو لفضال
طاف عن سبعتو رجـال
فاز بذخيرت هل لكمال
حاجتو نال

ونجد العلمى يدعو له الله أن ينصره ويهزم اعداءه الطغاة المتجبرين :
غث لهما ابريح النصر يانقهار * ونفد ادعوتو فالطغات ولجبابر
ويتوسل اليه تعالى أن يحفظه من كل ضرر :

يامن رسى اجبال وارصدها بصخور * وابحور الطاميا ابقهر و محصورا
واحجب ضو النهار بظلام الديجور * واهزم لغسيق ابلقجر باهى الصورا
ياعالم ما بدا وما تخفى لصدور * سلتك بملايك لحجوب المشهورا
احفظ ذات لهما من كل اضرورا

(I) هم أولياء هذه المدينة المشهورون : يوسف بن على والقاضى عياض وأبو
العباس السبتي والجزولى والتباع والغزواني والسهيلى .

ويرجو الله ويسأله أن يكسوه حلة من نور هيئته ويؤيده بالنصر
والحكمة ويحجود عليه بما يبهجه ويسره ، وأن يسعد حظه أينما حل ، وببارك
فى عمره ، وأن يجعل دعاءه على أعدائه كدعاء نوح على أصحاب الطوفان :
يا جليل اكسه حلا ابهيتك نور * وايدوا بالغلب وكرموا ابما ايسرو
وظفرو بالحكما اوله سكم الشور * افكل بقعا بارك ياربنا افعمرو
اجعل ادعوتو دعوت نوح النبى المبرور

اعلى اصحاب الطوفان بدعوتو انبترو
ويطلب الله أن يفتح له باب التيسير وأن يجعل الاولياء والصالحين
جيشا لحمايته يدافعون عن كلمته ويغيرون ، وأن يعينه ويحفظ جيشه
ويؤيده علمه بالنصر ، وأن يهزم قوم الفساد والزور المخالفين :

افتح لمام غربنا باب التيسير * والصالحين جيش لحماه ايصيروا
حق اعلى اكلمتوا يوكدوا ويغيروا

نعم المعين عن لهما المنصور * واحفظ جيشوا وايد علمو بالنصر
واهزم قوم لفساد واهزم قوم الزور * وافن قوم لمخالفا بسنون السمر
وقد عم الازدهار عهده فربح التاجر والمتعلم ، وغدا الصبى الصغير فى
الكتاب يتقن تجويد القرآن الكريم :

انزايه ايامو ظهرت لو افجمع لقطار * نال كل من اقرا واربح كل تاجر
توجد الصبى فالمكتب اصغير محضار * ايجود الآى تجويد لفقيه الماهر
ورى فيه الفقيه العميرى أميرا للمؤمنين شجاعا رفيع الشأن شريف
النسب من قریش ، يتوسل به الى الله أن يعم الامة بالاحسان :

رفيع الشأن * ماتهمو شجعان * فحروب امدان

نسبتو عدنانى * من قریش مير المومنين

أيا رحمان * كن لى مستعان * بمن تلا القرآن

ودنى واعطانى * اعطاء من خير الدارين

بوجود السلطان * مولای عبد الرحمان * عمنا بالاحسان

انمجدو فزمانى * من احكم فالبرين وبحرين

انتقاد له الزمان وارضى له الدهر عنائه فاصلح احوال البلاد واعز
الله به الاسلام :

اعطاء ازمان * الدهر ارضى لو لعنان * اصلح به البلدان
حقنى وارضانى * الله بحكامو عز الدين
وعند عزوز اللمتوني انه اعز الملوك ، نادت مدينة مراكش بصولته
ونصره ، فهو سلطانها ومولاها وسليل الرسول :

لك البهجا تدات * يابن هشام السلطاني
صول اعطاك الله النصر يا عز الملوك * مولاي عبد الرحمن
انت هو السلطان * وانت هو مولاها
مولاي عبد الرحمان * نخبتم لمفضل طه
وهو خلاصة الاشراف ورأفة الله بالعباد ، أمن الخائف وأغاث اللهفان
فغدت الايام حلوة والاوقات ضاحكة ، كما ضحكت ثغور الذين احبوه
بجوارحهم حب الظامى للماء :

هيا خالص لشراف * يالهام الهشامى
بك الله عنا راف * يامول القدر السامى
أمن بك الخواف * ياغيث الشرب الظامى
ايام الدهر احلات * واضحكت اوقات ازمان
كيف اضحكت افواه واجوارحها حبوك * حب الماء للظمان
وأما الخليفة المونى ابوبكر فيمدحه محمد بن لقزيز بأنه هلال ساطع
سعدت بنوره كل المدن والقرى وجميع أركان المعمور واقطاره ، وهو
كريم وفارس وشجاع بل هو أسد الاسود ، ومن سلالة الافاضل النجباء
ذوى السر والعز والمكانة العالية ، وعدهم الله بالنصر وايدهم بجيوش قوية
تبادر فى الجهاد للانقضاى واخذ الشار :

لهلال الزاهر * به سعدت واهنات امدينت لحضر
جوف اقبلا امع لعمارا * والتل وسائر منازل فى كل اقطار
ضرغم لقساور * صيلت النجبا تفضال اهل السر
من بهم العز والتجارا * ناسى الدرجا العليا هما هل لسرار

سطوا وادخاير * ودهم المولى بالعز والنصر
واعدهم لجهاد فالنصارى * بر زاييم (1) ولقواس وقنا اورمچ بتار
توكند واتكابر * فى بحر النهوشا وفحومت السقر
وقت اماركبو من ليغارا * بفديو ائتار بالعزم ابلا توخار
صال بعساكر * ولمدافع وارجال وخيل تنشكر
والشجعان امقلد ازكارا * ابامر الله ربنا لجليل الستار
حلت لبشار * بالخليف سىدى مولاي بوبكر
يم القرا فارس لغزارا * مسعد لسلام كافا بالليث الغزار
وهو بعد هذا شريف النسب ، بحر فى العلم ، خطيب على المنابر
تزهي له الارواح وترقص اغصان الشجر ويفوح طيب نسمات الازهار ،
ثم انه لايفتا عن ذكر الله ينفى به الهموم والاكدار :

النسب الفاخر * يم لعلوم الفالح صاحب الذكر
نافى شغف الهول ولكدارا * به ازهاات الرواح جن او انس واطيار
مايين امنابر * ابلعطوف رقصت القطبان فالشجر
هب انسيم الروض ابلبشارا * ونفح طيبو امن الرضا بنساييم لزهار
وعند عبد الرحمان ابن الفقيه الحاج الطاهر انه خليفة السلطان المولى
عبد الحفيظ نعم الخليفة ، بمثله تفخر الخلافة فى كل عصر ، واذا كان
السلطان سعيدا فى كل مناطق مملكته فهو بخلافة المولى ابى بكر اكثر سعادة
اخليفت المالك فى ذا الجيل * على الهما بالتجليل
جل ونعم لخلافا به فالعصر تفتاخو * ضمها العز الوافر
من اسعادت مولاي حفيظ ايساير لقطار * اسعد بخليف تو اكثر
بتمام شفائه (2) استقام الحظ وعم السرور مدينة مراکش ، وقند
دعا الاشياخ للحفلات التى اقام فلبوها فرحين مبتهجين :

بكمال راحتو متسقم لنا الشور

تلقى السرور بالراحا فالبهجا * انحمدو مرفوع الدرجا

- (1) ج رزامة وهى الصخرة الكبيرة او القطعة الثقيلة من الحديد .
- (2) يبدو أن القصيدة قيلت فى تهنئة الخليفة بالشفاء من مرض .

كايناديننا للفرجا

فالسلا ما لبات اقلوبنا القول الذاكر * فرحنا اضحى متكاثر

ايجاب التلبيا بسرورنا اتبشر

وتوضح غايت لخبر

وهو محروس بالسبعة بدور رجال مراکش

محروس عز لخلایق بالسبع ابدور

منهم سيدنا يوسف مول الفار

والذى بالشفأ (I) يذكأر

ولهمام السبتي غيار

له سندا مركز الاوليا ابيدو داير

...

والمجد صاحب الدليل (2) اعنصر ايفور

فكفالتو يجعل احراكو واسكون

وحرم سيد التبأع ايكون

له رقا واحجاب ايصون

سر وعسلان

الغزواني ايقققوا ببشائر

جالين كل ادخاير

ابسيدنا السهيل يسهل جمع لامر

فقصد مولاي بوبكر

ومثل هذا وذاك نجده عند الشيخ عمر المراكشي ، لا يضيف الا انه

نجل السلطان مولاي الحسن ، وأنه جزيل العطاء للقريب والبعيد ، وفريد
عصره في الكرم :

نجل الملك طلعت البدر السانسي * ياسيدنا * سيدى مولاي بوبكر

...

يانجل الماجد الشريف الحساني * ياسيدنا * ياغايت كل امن اتضر

(1) كتاب «الشفأ في أخبار المصطفى» للقاضي عياض *

(2) كتاب «دلائل الخيرات» للجزولي *

معطاك اجزىل عل القاصى والدانى * ياسيدنا * فالجود فارد العصر
ومن المدح الذى قيل فى محمد الخامس مانجده عند محمد المودن
التطوانى يصفه فيه بأنه الهام نور عينيه ، نصره الله واعطاه سطوة
فاقت سطوة كل من سبقوه ، شبيهة بسطوة هارون الرشيد وعبد الملك
ابن مروان ، به يفخر العصر ويباهى ، حاز الادب وحسن الخلق والتواضع
والدين الممين . ثم انه من ذرية الرسول عليه السلام وسلالة الملوك :

نصرو ربى يستاهل النصر * سيدى محمد لهام نور اعيانى
اعطاه الله سطوا عطلت سطوات * دوك اللى فايئين فى لزمانى
كسطوت هارون الرشيد * ومالك بن مروانى
اعلى لعصور اتباها عصرنا * واستفخر بذا لهام يافاهم لوزانى
حاز الادب وحسن لخلق * امع التواضع مايحجا الانسانى
ثم الدين لمتين * زاد خاصو به الرحمان
ملك بن الملك ولد ملك * دار الملك يا فهم التبيانى
من ذريت عين لوجود * الشافع فالعصيانى
ويتوسل الى الله ان يصلح رأيه بحرمة اسمه العظيم :

تصلح ريق يا كامل لسطعا * حرمت اسمك لعظيم يا رحمان
ولادريس الزمورى قصيدة خلد بها حفل (I) وضع الحجر الاساسى
لمدارس باب شالة المعروفة بمدارس محمد الخامس ، يمدحه فيها بأنه نهض
بالعلم وانشأ المدارس وأقام المساجد ، فأتاح للشباب أن يتفقه فى الدين
والعربية واللغات وعلوم العصر :

يحيا يحيا ملك غربنا سيدى محمد الشريف الحسانى
كيف احيا لمدارس امعا العلم وامساجد للدين
فى ايامو المبروكا لسلام العصريين اتفقوها فكل لديانى
حنى العجم وعرب اقراوهم دركوا جاء امتين
بوجود نعم الملك لمشرف واقف احريص ابقلب ذاتو يقظانى
اعلى لمساجد وامدارس للقرايا واشيات اخريين

من علوم التوحيد وعلوم العصور واقراوا القرآن

يتفقهوا في دين لسلام واقواعدو المثبتين

فحياتو المبروكا اتزادت امساجد وامدارس اللقرايا ببيان

واتجددو لمساجد اللي اقدام ببني في تحصيلين

وبعد استعراض مظاهر الاحتفال ، وصف وضع الحجر الاساسي لهذه

المدرسة التي ستكون فاتحة خير كثير ، دون ان ينسى اكتتاب سكان الرباط

لاقامتها وافتتاح الملك لهذا الاكتتاب بمبلغ مليون ونصف من الفرنكات :

من بعد هذا الخطبات وقف لهما حجت الساس فارح قلبو هاني

نزلها بلطافا في ساسها بالفتح المبين

تحقيق دا المدرسا افغربنا فيه خير اكثير للسلام بالبيان

آذن عنها ملك غربنا نجل الحسين

هو الاول معدن الجود اكرم من مالو الخاص دون الكتماني

مليون ونصف مليون اهداه سيدي ولا تونين (1)

وامر هل ارتباط كلها تغنم دالاجر ولفضل يالحساني

لاين هذا هو الخير هذا ارباح الدارين

وهو في مدحه للسلطان يذكر انتسابه للرسول الكريم ولسلالة ملوك

هو ياقوتتها المضيئة ، وهبه الله الحكمة والعقل ، وأحبه فغدا محبوبا عند

الشعب ، لم يتقدم مثله في المغرب سلطان :

بوجود هذا الملك ونعم ملك اصل الملوك نسب طه المداني

هذا ياقوتا منهم اضوات ابنور مبين

هذا الملك اتله فيه اوضع حكمت واعطاء اعقل نور نوراني

هذا حاز الملك الشميخ والسعادة للمسلمين

هذا ملك محبوب عند ربي وعند العباد افلحضر والعرباني

هذا سلطان مافات في غربنا مثلو بعقل افطين

وعند العيساوي الفلوس انه رمح في الحروب مهند يجدد ثوب العز ،

وأنة صاحب المجد ووارث العلوم من الاجداد ، وأنه أسد تسعد بصولته

(1) دون من باعطاء المبلغ .

العباد ، اختاره الله وجعل ثناءه مخلدا في القلوب ينقذ فيها حكمه ، وقد
سعد من جعله عماده وسنده ، فهو ينبوع الفضل والجود ، من لم ينظر الى
عرشه بعينه يظل بصره عليلا وقلبه متجمدا يعاني من جراح لالتئم :

العز بك تآك امجدد

رمحك افلحروب امهند

واثناك افلقلوب امخلد

يا صاحب لمجد

يا وارث لعلوم ولعنيا من جد الجد

يا ضرغم لحميا سعدت بك لعباد

واختارك لجليل الجيد

حكمك افلقلوب امنفد

يسعد امن اعليك امسند

ايبلوج نكدو

يا ينبوع الجود ولفضل شلا ما ينعد

من لاشاف افعرشك ياسيدي ابلنماد

بصرو ابلا اشكوك امرمد

قلبو عل لبدا متجلمد

لازال افلجراح ايكمد

ويراه قد فاز بالانتساب للنبي الكريم وحاز جميع المزايا والمفاخر
والامجاد ، ويدعو له الله أن يذيم صولة نوره المحمدى الذى اضاء نجم
المغرب :

دام الله ايام صولت النور المحمدى ❦ من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتدى ❦ سلطان المغرب نورنا سيدى محمد

ومن مدحه بعد هذا ماقاله مولاى احمد العلوى متغزلا فى جمال صورته

وعينه الشبيهتين بعينى الغزال :

نصر الله اجمال صورتك يانجلات الشاد ❦ اتهليل الزين ولبها سيدى

محمد

ويقول كذلك :

الله ينصر احسان اجمالك * يا ذات الادب والطفافا يانور اتمادي
ولعله كان متوقعا أن تكون وفيرة حصيلة القصائد التي مدح بها محمد
الخامس ، لما كان يتمتع به من شعبية نتيجة مساندته لكفاح الامة من اجل
التحرر ، وما عانى من جراء ذلك ، ولكن كثيرا من هذه القصائد ضاع بسبب
منع حكومة الحماية لثريد المحفوظ منها وبسبب اتلاف الشعراء لما دونوا ،
خوفا من عمليات التفتيش التي كانت تقوم بها سلطات هذه الحكومة في
البيوت . وقد ذكر لنا بعض اشياخ فاس أن العيساوي الفلوس كان اكثر
الشعراء مدحا لمحمد الخامس ، ولكنه اضطر تحت ضغط مضايقات السلطة
والخوف من البحث والتفتيش الى دفن مجموعة كبيرة من قصائد هذا المدح
في احدى المقابر .

حقا ان عهد الاستقلال أتاح للشاعر الشعبي ان ينطلق في مدحه ،
ولكن اسراع الاحداث وتوالي المناسبات ورغبة اجهزة الاعلام ، والاذاعة
خاصة ، في أن يواكب الشعر الشعبي هذه المناسبات وتلك الاحداث ، كل
ذلك جعل الناظمين - وهم قلة معدودة - يتكلفون مدحا يغطي عليه التقليد ،
خاليا من كل روح ، بل يبدو في أغلبه وكأنه ليس غير مسخ وسلخ
لبعض قصائد الغزل او مديح النبي وآل البيت والاولياء . وهو احساس
نشعر به ونحن نستمع الى القصائد التي تذاغ في مدح الملك الحسن الثاني
كهااته التي يقول مولاي احمد العلوي في حربتها :

الله ينصر سلطان هل لبها الحسن * راحت اعضاء روح الروح سود
لعيان
ومنها قصيدة لسلام الفاسي يقول فيها :

حياك الله يالبدر الساني ياهلال نور اعياني

ياالحسن الثاني يارفيح لاسم تاج المغرب سيدنا

ومنها كذلك قصيدة للشيخ عبد القادر مدحه فيها بمناسبة استعراض
الجيش ، يقول في حربتها :

فرحوا بالخوان بالجيش الملكي اديالنا * قايدعم الكبير سيدنا مولاي الحسن
من له لجنود طايعين

وسلها فصيدة لعلها لاحمد سهوم هذه حربتها :

تأيده الجيش اهامام الشعب نور لتمام * تاج تيجان العصر اوسيد. لسيادي
على اننا الى جانب هذا المدح الذي استعرضنا أهم نماذجه ، نجد
ثوباً آخر من الملح «جماعياً» اذا صحت هذه التسمية ، على حدما نصادف
عند الحسن بن شقرون في رجال الطريقة الفتحيه (1) يمدحهم بأنهم نور
وسماع وضياء للعيون وعلاج للعقل والروح ، من شرب خمرهم ارتوى في
حضرة الرضوان ، تسعيه تؤوسها أيدي محبيه ، وغدا متجلى في بساط
السلوان ، يسلك طريقا تغمره الافراح ، وجعله الله في مقام العز ومنحه
السر والفضل والفتح :

ناس الفتح اللقوب نور واشماع اضيا لعياني
واعلاج الروح ولعقل منهم امن اسقياه
باح ابخمرت لحباب وارتوى افحضرت الرضواني
بكواب الى اتناول ببنان امن اهواه
فيه اتجلى يشراع في ابساط البسط السلواني
واسلك منهاج ابلفراح ايوا في من راه

ثانيا : الرثاء :

ويطلقون على قصائده تسمية «لعزو» او «لعزا» ، وهو مثل المدح في
نظر الشاعر الشعبي ، لم يقبل على النظم فيه ، بل انه كان اكثر منه عرضة
للضياع لعدم مناسبة موضوعه للانشاد والترديد . ولولا ان بعض المعتنين
دونوا في كتابينهم نماذج لهذا الفن لكان ضياعه كاملا .
ومن أقدم هذه النماذج قصيدة للحاج اعمارة في رثاء الشاعر عبد الله
ابن احسائين ، يبكيه فيها ويطلب من الشعر ان يبكي على أبيه كالمرأة
الشكلي وينوح كالطائر الغريب في الليل وأن يسقي من دموعه جذور النخلة
التي كان يجلس في ظلها لينظم ، فلن يحلو له العيش بعد عبد الله ، ولن
يعرف كيف يتصرف في الشعر ويخرج من مأزقه :

(1) احدى فرق درقاوة منسوبة لشيخها فتح الله بناني الرباطي .

ابك اعلى اباك اشعري ابكا دشى امرا ثكلى

او نوح كينوح ورشان اغريب بوحودو فالليل

ابك اعلى اباك اشعري واسقى اجذور ذا النخلا

اللى اشحال (1) من شعر احداها رصعوا باك اكبيل (2)

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحلا

ونايلا امشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

وللحاج اعمارة كذلك قصيدة فى رثاء الشاعر **بوعمر**و يتساءل فيها

عن شعره لم لاينطلق ، وعن دمه لم سال على الخد كالنهر ، وعن ذاته لم

ارتعدت ، وعن فكره لم تجمد وقلبه لم خفق وقد جرحته الهموم :

مال دمعى عن خدى واد* مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاذ (3)* جرحتو الف غدا

مال عقلى يا ويحى باد* مال شعري ما يتسدا

وهو يتألم ويتأوه لفراق حبيب قلبه الفذ النبيل المنير الذى بوز فى

النشدو والغناء فغدا لايعوض :

آه اعليا يالعباد * من افراق احبيب الكبدا

النبيل الفذ النشاد * سيد من غنى او اشدا

بوعمر و لمنير الوقاد * لحبيب الا ليه افدا

ومن أهم قصائد هذا الفن واشهرها **مرثية المغراوى فى المنصور**

السعدى (4) ، وهى كلها حديث عن فراق الاحبة والبكاء عليهم ، لم يتعرض

فيها لذكر شئ عن الرجل ، بل ليس فيها مايوحى بالموت غير حربتها التى

أخبر فيها بأن عام موته عام حزن وأنه لم يعد للسعديين (5) مايرجعون به

كفتهم :

(1) اشحال بمعنى كم

(2) من قبل

(3) من فدفاذ بمعنى طار

(4) توفى سنة 1012 هـ .

(5) دامت دولة السعديين من 961 الى 1069 هـ .

عام شايب مات الذهبى اخيار لتراتب * مابقى للسعديين باش ايرجحو
فعد رمى الفراق الشاعر بسهم غاصب من قوسه أصاب قلبه وزاد
فصر به بسيف ضربة هدت كيانه :

لفراق ارمانى قوسو ابسهم غصاب * ماخطانى مكن قلبى او لوحو
بعد ما مكنى جانى ابسيف غلاب * هذنى واهزم ديوانى وجيحو
ولم يكتف فى الرمز لقوة الفراق بالقوس والسيف ، وانما جعله أميرا
يصول فى حزم وشدة ، يقود جيشا ماكاد يصل حتى أطلق عليه سهام وتره
الشديد وضربه بالحسام ضربة قاتلة :

جانى مير لفراق صايل متحزم * واقصدنى للفنا ابجيشو واعلامو
بوصولو لاحنى ابلبساط امسهم * من وتر اشديد ماخطانى بسهامو
واضربنى ضربت لمقاتل بسهامو

وهو من اجل هذا يحق له أن يسهر ويبكى بالليل والنهار ، وينوح
نواحا تتعجب له الغربان وتشيب :

ايحق لى نبكى للفرقا النهار والليل
* انقطعوا ساهر وانجدد اعلى اصباحى
وانكثر من دمع المهرق كالسيل

* اتعجب واتشيب الغربان امن انواحى
ويلومه الناس على البكاء فيطلب منهم أن يتركوه فى حاله وقد بان
عنه احباؤه ، وغدا من وحشتهم كالتائر الذى قص جناحه بعيدا عن أهله
ووطنه ووضع موثقا فى قفص ، طأل فيه سجنه وكثرت محنه :
دعنى يالايمى اعلى لفراق نبكى * غابوا عنى احباب قلبى مابانوا
رانى من وحشتهم فى حالا نحكى * طير امقصص فارق اهلو وطانو
فى قفص اوثيق طال سجنو وامحانو

وعنده أن فى البكاء راحة للذى التهبت قروحه ، وأن الدموع تطفىء
ناره ، ولولا البكاء لذاب قلبه وضلوعه من لهيب الجمر المشتعل فى مهجته ،
أما تنهده فتنهد له الشواحق وتنحطم الاشجار :

لبكا راحا للمقروح من الهيبو * عندما يبكي تخمد بالدمع نارو
اشواهق لو بانو بالنهد ايريو * وارياض الناعم يتحطموا اشجارو
مهجتي واضلوعى لولا لبكا ايدويو * اعلى الهيبو شاعل فالقلب من
اجمارو

ولكنه القضاء الذى جعل الفراق يعز عليه أن يرى روضا يانعا مزهرا
فأبيسه واحرقه :

لقضا فرقنا والبين عند ماصاب * روضنا متنعم حرقو وكلحو
وتلك هى الدنيا تدور دواليها ، ممتلئة وفارغة ، محزنة ومفرحة ،
جامعة ومفرقة ، مشغلة ومعطلة ، يكثر رزقها ويقل موقوتا ومحدودا ومقدرا
كما يشاء الله :

هكذا الدنيا كدولاب اتحول ويتدور * دورها يملا ويفرغ فى كل حالا
تارا بالحزن وتارا بفرح واسرور * واجتماع وفرقا وشغال ولبطالا
وارزقها المضمون ابوقتوا يفور ويفور * كيف قدر بحكامو ربنا اتعالى
وللحاج محمد النجار هروية فى الفقيه حمدون بن الحاج (1) يترحم
فيها عليه راجيا أن تظل البركة فى ابنه :

رحمت ربى اعلى لفقيه السى حمدون * والبركا فخليفتو عز اولادو
ويرى واجبا أن تراثه فأس وغيرها من المدن وان ينوح عليه المحبون :
واجب تراثه فأس واقراها وامدون * واكثير الحب فيه يقوى تغرادو
ويذكر أن الفقيه كان معروفا بطبعه الحلو وبالجود والحياء والعلم
والانشاد والاطلاع الواسع والتضلع فى الحديث وسنده ، وأنه ألف كتابا
يحيى النفوس فاق فى أسلوبه ابن زيدون ، لو رآه ابن عبدون لانبهر :

(1) هو ابو عبد الله حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السليمانى
المرداسى توفى سنة 1232 هـ . وقد ترجم له ولده ابو عبد الله محمد
الطالب بن الحاج فى كتاب «رياض الورد الى ما انتمى اليه هذا الجواهر الفرد»
وهو مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 396 . أما قصيدة النجار
فى رثائه فواردة فى ديوان فى الثناء على ابن الحاج اسمه «روضة
النيلوفر ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التى هى اعطر من الادفر»
مخطوط بخزانة الرباط العامة تحت رقم 383 D

غاب الشيخ الشهير بالطبع الممدود* والجد امع لحيا وعلمو وانشادو
وانشا حلا لشافها تنشط لبدون* واتحلى ابلحديث واسما باسنادو
يبهت لوراه فى احياتو بن عبدون* سبحان اللى عطاء وارضاء وزادو
وارقى بالفاظ رايقا عن ابن زيدون* واعلى من باد فالحقيقا جنتهادو
كذلك نجد للكندوز قصيدة فى رثاء المولى عبد الرحمان يرى واجبا فيها
عليه أن يرثيه بدمع لا ينقطع كالمنطر المتهاطل ، وأن يبقى طول عمره هائما
حزينا عليه ، ويرى واجبا عليه كذلك أن يبكيه كما يبكي الذى فارق حبيبته
فغدا بيته خاويا مهجورا ، ولم يعد له من حبيبته غير الخيال ، وأن يبكيه
بكاء الذى فقد أهده ضائعا فى السهول والجبال ، يبكي تارة وبنية اخرى ،
وأن يبكيه بكاء العليل الذى فقد الصبر والعلاج ، يسهر مرة ويغيب ثانية
ويستيقظ ثالثة :

أنا الواجب نرثى بدمعتى عن خدى طول الدوام كالودق الهاوى
ونا الواجب نبكى طول عمرى هايم نكدان
ونا الواجب نبكى مثل من فرق احبابو افلورى ابقى رسمو خاوى
باقى غير اخيال لحبيب وما وجدو ما بان
ونا الواجب نبكى ابكا المفقود اعلى ناسو وتاه فربا واسهاوى
تسرا يبكى تسرا يتيه بين اجبال او طيان
انا الواجب نبكى ابكا المعلوم الى صبرو امضى ولاصاب امداوى
تسرا ساهد تسرا يغيب تسرا طرفو يقظان
فالمصاب جلل والرزء عظيم ، لذا فهو يعزى المسلمين فيه ، فقد كان
ينبوعا للحلم والعلم ، اديبا نبىلا راجح العقل ، يعرف كيف يجرح ويداوى
فذا فى كل شىء ، ليس فى اقطار الارض من يعوضه ، حجابا مسدلا على
رعيته ، كم رد عنها من اخطار وأطفأ من نيران ، وكم انعم على رجال حكومته
وحاشيته ، وكم فدا من قوم فى لحظة الموت ، وكم رقى رجال العلم ونهض
بمجالسهم :

نفقد لهمام الا انصيب عوضو فقطار الارض كان يجرح ويداوى
أديب انبيل ارجيح افكل اشيا فذ اوديوان

كم من صهدات (1) اطفأ اعلى اترعيا فالبحر ويرو لمهامه واعداوى
وابقت احجاب الستر اعلى الغرب واللفظ ولمان
اما لطف من قوم افلحكوما بالخير ايفوز كل من حرمو ياوى
وما من قوم افدا افساعت الموت افكل اوطنان

وما رقى من قوم افلمجالس دا العلم الا ايحد سامع والداوى
واحيات امجالس العلم بين اكهول وشسبان
وموت السلطان لم يترك اثره فى نفوس الرعية فقط ، وانما تركه فى
خيول الركب التى غدت كالايام مكوية بلظا جمر الفراق ، وفى المظل (2)
الذى عاد ينوح من اليتيم والهجر بعد ان كانت أيامه هناء وسلوانا ، وفى
البنود والاعلام ، ونفوس الجنود الابطال الذين كانوا يسيرون خلفه لابسين
افخر الثياب كأنهم عرسان :

خلى خيل اكاد اكم ليتام هاداك الداىروم كالليث الكاوى
بلظا جمرت لفراق ماقوا افراق السلطان
خلى لمضل اينوح عن افراقو بلسان الحال صاب شلا ماناوى
عساد اميتهم مهجور بعد لهنا والسلوان
خلى لمزارك ولعلوم والرايات ولبطال كلها بندو طماوى
كانوا فتخلاف المير ليخرجو امثل العرسان
وترك الموت أثره كذلك فى نفوس جوارى القصر النائحات وعبيد الدار
التائهين وفى العلماء والقواد والوزراء ، وغدا المشور خاليا والاطيار نائحة
على الاعصان ، وسكت صوت المغنيات اللائى كن يسرن خلف السلطان
منطلقة اهازيجهن وزغاريدهن كاترعد :

خلى لجواد اعلى افراكو * ترئى اكما ارثيت اننا عل لفراق
واعبيد الدار ابقاوا تايهين امع كل طريق كلها عقلو كاوى
ويقولوا فالغاهم سيدنا غمتو لكفان

(1) ج صهد بمعنى الحر .

(2) يعتبر المظل من أهم مظاهر الموكب السلطاني .

والطلباء والقياد واتباعها داك الدا اينوح بالدمع القاوى
والوزرا فالغاهم كيقلو كنو ما كان
والمشور فاضى عاد بعد توكت سيدى بن لبطل فات العلقاوى
واطيار عل لغصان كينوحو جهر وكتمان
خلى لغياد اصواتهم خجلو ابعده اصوات لكوان مافيهم داوى
كانوا خلف السلطان كن رعد اقمدت حيان
وبلغ اثر الموت حدا ادرك خف السلطان وحذاءه اللذين باتا يشكوان
الهجر والاهمال :

وابقايات امحائى اتماكو * مهجور ما يوالم لطلوعو ساك
والشربيل الباهى امساكو * مهمول عاد كيدرك (1) تدراك
والشاعر يتمنى لو استطاع ان يفديه بروحه ، ولكن عمره انتهى
ولامناص لاقربائه ومحبيه من الصبر :

واسكن نعم السلطان قبرو * لوكان ابلفدا برقبتى نفديه
لكن نتهى حد عمرو * الصبر واجب اعلى اللى دانى ليه
تلك حال الدنيا الغرور ، اين هم الاقوام الماضون ، اين كسرى والظاهر
والرشيد والقوم الشجعان؟ كلهم ذهبوا ولم يبق الا الله سبحانه ، خالق
العباد وقاهرهم بالموت وانحاكم عليهم بالقهر :

هاذى هى الدنيا الغارا وين القوم اللى امضاوا وين الكسراوى
وين الظاهر وين ارشيد وين القوم الشجعان
ولا دامت الا المن انشاها من قبل الا ايكون العامر والخاوى
سبحانو جل اجليل ربنا سبحانو سبحان

سبحان امن اخلقنا وبالموت اقهرنا بعد لحيات الجليل القوى
واحكم بالقهرا اعلى اعبادو نعم المنان
وربما كان من جميل الرثاء واصدقه ماتحبي به ذكرى بعض العظماء
على حد مانجد عند الفلوس فى قصيدة عن «مقتل الحسين» يقول فى حربتها
يالحضرا سمعوا وفات نور لنوار ولد فطيم الزهرا سيدنا الحسين

(1) يختبىء ويختفى .

وهي استعراض للاحداث الاسلامية منذ وفاة الرسول عليه السلام حتى حادثة كربلاء ، يختتمه بعروبي يحكي شكوى كان آل الحسين قد تضرعوا بها عند قبر جدهم :

مهما دخلوا ضريح لحبيب المهتاد * قالوا يا جدي الهادي محمد
لوريت شين صار بنا دون افناد * في كربلا امع اجيوش الا تنجد
قتلوا لنصار ولصحاب امع لولاد * وابن هاشم كلها يامحمد
قتلونا دون حق فامهامه لوهاد * واحنا فالشوم ولعطش يامحمد
وقطعوا روس آل بيتك هل لعناد * تركو لشباح افلوطا يامحمد
سفكوا دم تشراف واعصاوا الاحد * سبوا على المرتضى يامحمد
لوريت شين كان دار ابن زياد * هو واهلو وشيعتو يامحمد
طعن الحسين كل من كان افلجناد * ولا رحمو اطفالنا يامحمد
قطعوا راسو ولاخشاو امن الجواد * داسو بالخيول مهجتو يامحمد
كشفو الحريم دوك لعدا والحساد * ربعدها اسباونا يامحمد
داروا لنا احبال واغلال ولكياد * ماشفقوا من احوالنا يامحمد
وجهناهم للقوى يامحمد

ونجد كذلك عند محمد حسن التطواني قصيدة في ذكرى المنظرى مؤسس مدينة تطوان ، وكانت قد احييتها جمعية «عباد الرحمان» ، يقول في أول أقسامها :

نشأت هذا الذكرى السعيدا * السيد المنظرى امجد تطوان
فامت نخباً جادا وكيدا * فيام سيدنا مولاي الحسان
بادات ابداء الحفلا الرشيدا * واعلى راسها عباد الرحمان
وهو يغتنم فرصة اقامة هذه الذكرى ليقتراح تكوين ثلاث لجان ،
الاولى لترميم ضريح المؤسس ، والثانية لجمع المال ، والثالثة للعناية
بالتاريخ يرأسها السيد التهامي الوزاني (1) :

لاتخيبننا يا كريم افهذا المشروع لعظيم بجاه سيد اعجام وعربان
اوقفنا لجميع كل خير * وبأرك فالجميع اتخص اللجاني

(1) احد علماء تطوان الافاضل ، ويشغل فيها حالياً منصب عميد كلية أصول الدين التابعة للقرويين ، وهو مؤلف «الزاوية» .

لجنة الترميم للضريح عنها بالتوفيق لاغنى يترسم ينصان
نضحوا بالضريح نفتخر * فرحا لهل البلاد ببلوغ الامانى
ولجنة جمع المال عمها بالتأييد ولعنا سرا واعلان
ولجنة التاريخ تذكر * ابفدوة سيدنا التهامي الوزاني
ومل هذه وتلك القصائد التي تحيي بها ذكرى محمد الخامس ممثلة
في «ثورة الملك والشعب (1)» ولعل احدث ما نظم فيها قصيده للحاج محمد
العوفير يقول في حربتها :

أمن اعظمها ذكرا يامن اتسال تاريخ امخلد
ثورة الملك امع الشعب يوم الاستعمار انفاه
لكن المولى جاد اعليه ايدو واكرم مثواه

ثالثا : الهجاء :

ويطلقون عليه «لهجو» و «الشحط» او (الدق) عند اشياخ مراکش ،
وكلاهما بمعنى الضرب . وهو اكثر انتشارا من المدح والثناء ، بل هو من
اكثر الموضوعات التي الهبت قريحة الزجال المغربي وجذبت المنشد
والجمهور ، لما يبدو فيه من صدق الدافع وانطباع شخصية الشاعر عليه ،
ولما سرك في نفس الجمهور من احساس بالمتعة وهو يشاهد عروض المنافسة
والصراع والخصام في أقوى وأحد مظاهرها ، وهي مظاهر غالبا مايكون
سببها السجال الفني الصرف بعيدا عن النزاعات الشخصية ، وان كانت
لاتخلو منها في بعض الاحيان .

واذا كان الهجاء يأتي في قصائد كاملة غرضا مستقلا قائم الذات ،
فانه يأتي عرضا كذلك ، اذ لانكاد نجد قصيدة مهما كان موضوعها لم تختتم
بأبيات هجائية ، على حد ما سبق ان بينا لدى الحديث عن بناء القصيدة (2)
وتعرف قصائد الهجاء باسماء مثل «الدعى» اى الذى يدعى مالىس فيه
و «المطموس» اى البليد ، و «الديب» و (الرامى) و «المهراز» اى المدفع و
I الواقعة في العشرين من اغسطس وهو اليوم الذى نفى فيه الى جزيرة
كورسيكا مع اسرته عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة والى
2 انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل»

«البوغاز» و «القرصان» أى السفينة الحربية ، وهى كلها أسماء تدل على أن الشاعر الشعبي كان يستوحى هجاءه من المعارك الحربية والبحرية خاصة .
ويلحق بالهجاء الفخر وما يتصل به من محاولة تعجيز الخصم فى قصائد اطلقوا عليها «السولان» أى السؤال ، وهى عبارة عن احاجى والغاز يعرضها الشاعر على خصمه يطلب منه فى تحد ان يحلها

كذلك تلحق بهذا الفن قصائد تعرف بـ «الخصام» او «المحاوره» ، وهى قصائد مفاخرات ومنافرات على نحو «المدنية والعربية» او «الشابرة والعجوزة» او «الخادم والحره» او «الزمنية والعصرية» .

ومن أروع الهجاء قصيدة «صارم الطعن» حيث يتعرض الشاوى لخصومه (1) ، يراهم مجرد حثالات ، يصيحون كالذئاب العاوية ، يلقون بأنفسهم فى المخاطر وهم دون مستوى مواجهته ، ويشبههم بالبومة التى تصطنع القوة والبراز ، وبالذجاجة التى تشد الباز من جناحه :

ريت موكا خرجت متصنعا اللكفاح * والدجاجة شدت فالباز امن اجناحو
ظهرت ادياب الغابا عرسو اقلبطح * ولحتايل بعد الكلبا اليوم صاحوا
ولكن انى لهم الهرب وقد وقعوا فى قبضة الباز ، كبلهم بسلسلة
مهندة غدوا يرزحون فى قيودها ، وسيفترسهم كالاسد ويتركهم مجرد شظايا :

لين تهرب قوم الضبعا اوشاق لمراح
* صادهم باز اغنمهم تحت من ارياحو
لهم اصنعت سلسلا من شغل الهند
* من عشر ادروع مالكيها معدودا
بكعوب امن النحاس واخراص اعلى الوجد
* واميا فيها من لعنائق موجودا
دالهادا يتجبد فالغلال واحديد
* بين خرص لكعوب اعدابها اتزادا
طاح فيهم ضرغم لوحوش فارس البيه
* اتركهم اشظايا مهما ارقى ونادا

(1) الاسف انا لم نوفق للتعرف الى اسمائهم .

وهم عمى ومدعون ومن احط المستويات واقبحها ، ولكن الايام سلطته
عليهم فأصلحت فيهم سيفه ، وهم يعرفون انهم متى وقعوا فى قبضته فلن
يصلق سراحهم :

امن الزبالا للطيفور (1) او مجرا اتبالا

✽ ماشفوا القوم العميا ابشيين فعلوا

سلطتنى ليام اعلى اقباح لقباح

✽ كل داعى بالزور ابصرمى انجرحو

كلهم ايعرفوا خبرى افكل مركاح

✽ امن احصل فيدى عمرو لالقي اسراحو

ومهما بكوا باندم وناحوا بالليل والنهار فانهم لن يرتاحوا ولن يخرجوا

من سجنه الا بالموت :

اسناسلى عنهم مطبوخا افليل وصباح ✽ كل واحد يبكى ويقول يا جياحو

مايخرجو سجنى حتى اتغيب لرواح ✽ لو ابكاوا دموع امن الدم لارتاحوا

وعنده انه خير للجاهل بالشعر والعاجز عن خوض المعارك ان يعذر

نفسه ويترك الامر لاهله والا يحاول رفع رأسه ، فان المغلوب لا يقدر ابدا

على معاندة غالبه :

من لا يدري الغا او لا يقوى لحروب

✽ يعدر راسوا ولا يخرج امن اترابو

يخمد خمد الدياب بين اوطا واشعوب

✽ وينارق فاللغأ اسيدو و دحبو

واس المغلوب كايعانده غلابو

1) الزبالة انزيلة الطيفور يقصد به شيئان متقاربان ، ففي لهجة اهل الشمال يعنى مائدة الاكل ، وفي غيرها يعنى مائدة صغيرة مقعرة يحمل بداخلها صحن الاكل أو الحلوى أو التمر والحناء أو غيرها . وغالبا ماتستعمل فى المناسبات والولائم الكبيرة . وقد استبدلت فى معظم الاوساط بالصوانى الفضية . وفى كلا المعنيين يدل التعبير على الانتقال من المزيلة الى الموائد التى تعرض أمام الضيوف ، وهو بعيد الانتقال السريع من مستوى وضع الى مستوى عال رفيع دون استحقاق . ونجد سار كالمثل بضرب فى هذا الباب .

ويمزح الهجو بالفخر فى أسلوب غير مباشر ، فيرسم صورة مثالية لاشك أنه يقصد بها نفسه ، يبدو فيها دائم السهر من اجل التحصيل والغوص على المعانى والافكار الزاخرة ، يبحث جهد الامكان لارضاء غيره واسكات طنين المتفرعين ، يتجنب الجهلة وأصحاب الضغائن والاحقاد ، ويرافق أهل الفائدة ويجالس العلماء ويصاحب العقلاء يصيئون له الطريق، له اشياخ فى كل مكان يطيعهم ويروى عنهم ، وهو بعد هذا يتقلد السيف ويركب السفن معلنا عن استعدادة لخوض الحرب ، وقد ساوت قوة ذراعه قوة اللسان ، أما خصمه فعلى عكس هذه الصورة ، كما يبدو من استنفهاماته الانكارية :

آش را من لابات امساهر الجفن * والفكرا جاىلا افزاخر لمعانى
بالمفاتنا * باش ايسود اعلى لوشا فزمانو
آش رامن لايبحث افجهد مامكن * واعمل مايرتضى القاصى والدانى
والفراعنا * يقطع زيار عيظها بورانـو
آش را من لاهل الطايلا اركن * واترك فازوايت لهمل هل الضغاني
والمراكنا * واعمل هل لعلوم من رفقانو
آش را من لاليه اشياخ افلوطن * واروى منها كما اروينا يعلانى
من اشياخنا * اقليل الطاعا امزدرى شانـو
آش را من لاجرد صارم الطعن * ويركب اسفون لحروب وايعطدانى
ها حنا هنا * ويكون ادراعو ابحال السانو

ولا يكتفى بهذا بل يزيد فيصف خصمه فى أسلوب مباشر ويشبهه بالنخاعة الملقاة على الارض تدوسها الارجل فى مقت ، بلغت به الخيبة والفشل أن بدل جلد دفه بعد تسخينه ، وتقلد للطعان عصى ظنها رمحا ، وتدرع بالجلد ليقية ، كل همه مصروف ملء بطنه ، لايفتر لسانه عن الشتم والكذب ، لا يصول مع غير المفتابين المدخنين ويتملق الحثالات :

كتنـخيما فالطين * معفوسا بالرجلين * والمقت اعليها باين
فذك جلد اكوالو بعد ما اسخن * قلد كلمـا وظنها رمح اثمانى
للمطاعنا * واعمل جلد ابني القيط اعوانو

همتو مصروفا فعمارت لبطن * والسانو بالشتيم يصنع وايباني
به ماهنا * واصوابو نعيم زاد امهانو
صولتو عند اصحاب الناب والدخن * يلحس لعماش للحتايل بالعاني
كان شافنا * يكشر ويعرى اعلى تبيانو
ابلكدوب اقلبو طاوى اعلى لخون * تكن مها ايتوك حر البيزانى
بالمعينا * يتلف فرك البوم عن جنحانو

فهو من قوم الخداع والشيطنة والكبر ، مثلهم مثل الخنافس تسكن
خرائب وتمسك بالاوانى البالية ، وقد حنت قفاها وهى تدب يدوسها
الناس ، او مثل الذباب يتجمع على جلد لبن فاسد مطروح :

هل لحدع واسيين * وانفعا واتعرين * لهم اموجد تمونى
زيهم زى اخنافس بعضها اسكن * فالخرب ابعضها ادرج بين اوانى
باليا احنا * للتعفيس اقفاء من دبانو
او دبان اعلى شكوا من الرغن * بات البنها وظل من ليهاءانى
عافها اغنا * عنها وارماها اعلى عديانو

وبحاول ان يستمتع من الموقف بعض الحكم فيرى فى احياء بالمقارنة
بينه وبين حصمه ، ان الزر دخان لاينسج فى الاماكن العفنة وان نبات
لخنفه لاينسج لحرير اترقيق ، وأن من عمى عثرت رجله فى قب برنسه :
ماتنسج الزردخان فامنازل لعفن * والحلقا ما شبعت لحرير الفانى
من اعمات ايامو قالوا هل لوزان * تعمر رجلو اققب سلهامو هانى
جيت لاغنا * نبطل للكهان سحر اكهانو

ويروى ابن حمدوش فى قصيدة هجائية يخاطب بها ادريس لحنش
أن كل من دق بابه واستفزه لابد وأن يجيبه ويرد عليه ، وأن كل من آلمه
ضرسه يسرع لقلعه ، وأن مايقدمه الانسان من خير وشر ليس غير سلفة
لابد وأن يرد ، وأن لكل قول جوابا :

عن دق الباب * مايلو غير اجوابو * غر به من جابو
من ضراتو الضررسا جا الكلاب (1) * قالت لعراب
الخير والشر اسلوفا كل قول بجوابو

(1) آلة قلع الاسنان .

ويرى محمد الزلايجي ان قول «الدعي» باطل ، وأن سجيته لاتساوى
بصلة ، وأنه بالجهل يصلى نار الجمر ، وأن سور الدعوى لا أساس له ،
وانه لابد ان يهزم جند الجهاد ، مهما كثروا ومهما حاولوا الفرار :

قول الداعي بطل * نهزم جند الجهاد اجمعهم لو طالوا
لويهرب لى عرض او طول * من صادفتو مبطل
وما سجيته ماتسوا بصلا * بالجهل فوق الجمر اصلا
سور اندعوى مالو الساس ضايع قالوا

صح عنى خذ المعقول

مروى عن هل لعقول

وهو لايعبأ بادعائه وانما يتقن مقاله ليصيب به المقل ويثقل كاهل
الجاحدين :

مايشوشنى قولت قال * اولا نعبا بوجوه لمغالى * امطرز امقالى
زنجار افلمقالى * والجاحدين لفظى عنهم ثقلا
ويهزمه دون قتال ويرغمه على الرضى بالقهر والغلب ويقطعه اربا :
نهزم الداعي دون انصال * حتى يرضى بالقهرا عن افصالى
وانفصلوا فصالى

وهو لا يهيمه الارذال مادام سوره عاليا ، وكل من حفر حفرة لابد وان
يقع فيها :

مايهمنى شى لردال

سورى سور عالى

والحافر كايوقع افما احفر فمدالو

أما عباس بن بوسته فسور دعيه منهدم وشمله مشتت :

سور الداعي مهدم وشملوا مشتت * راب سور الداعي واتشتت الشمل
كلما اشتعلت نار الحرب أصابه شرارها بسبب سوء أعماله :
كل ساعا نيران الحرب تنشعل

اعلى الداعي تزند من قبح افعالو خاب فاعلو

سعيه يخيب وغزله ينحل ، وقد بعث الله له من يجزيه عن افعاله :

خاب سعى الداعى واتحل ماغزل

عن فعلو جاب ربنا من جزالو يوم دازلو

وقع بين اوقايح الزلزلا

وأما محمد بن عمر الكفيف فقد فاز برضى الشعراء ، وغدا لذلك

شجاعا بارعا وعودا فى عين «الدعى» الوغد اللثيم :

أنا زنجار فى اعيون امن ادعا * قل لليم الوغد الداعى

برضا ناس لقريض حزت اشجاعا وبراغا

وقد كثر الاشياخ التأفهون الذين لايبعث كلامهم على غير المقت والمثل

يحطون به من شأن الفن ، ولو سكتوا لكان خيرا لهم :

كثروا فزمانا اشياخ الربعا * اكلامهم ايقوى تصداعى

مهما نصغاه كانمقتو وانمل افساعا

والهرتلا امبخسين السلعا * اعلى الغاهم اصمكت اسماعى

لو سكتوا خير مايقولوا معنى مبشاعا

ولم يعد فى هذه الصنعة مايليق بعد ان نزل الميزان ، والسبب هؤلاء

البغال الذين فضحوا سوق الشعر فى كل مكان دون حفظ أو رواية او طبع:

مباقى مايليق فى ذا الصنعا * اكلام بالميزان الكراعى

. . .

فضحوا سوق اللغا ابغال الرتعا * اشحال منهم املاو ابقاعى

ماحفظوا ما رواوا ماطبوعهم طباعا

ومثل هذا نجد عند مولاي احمد بن عبد السلام العلوى فى القصائد

التي كان يهجو بها خصومه (1) ، منها قوله :

يالداخل بحر المعنى ابغير تبججال

صغ طرز ابيانى وردات افلخججالى

وقوله :

لاتقى لاشراراك * يالداعى سيف السانى اطوال

واكشفت اسراراك * بالمواهب رمحي شظاك

(1) ذكر لنا أنه هجا كثيرا من الاشياخ وخاصة الغالى الذماتى .

وقوله كذلك :

نداك احوولك * يالداعي مالك منو اسلاك
قطعت احوولك * افلعضا نارك تكبت لك

وهي الهجاء المتبادل مانجده بين ابن علي وتلميذه ابن سليمان . ففي
«بين الزهو» يخاطب ابن سليمان خصمه يخبره في تحد ان بساطه في
قلعة عصاه وفراشه خير ولكن لاتطأها غير أقدامه ، فهي نفمة على كل وغد
قبيح لا يستطيع الاقتراب من العساكر التي تحميها والرقباء :

ابساطنا في قلعا ماتوطاها اقدم

الا اقدمنا توطاها * صعب اجبالها ووطاها * الخير افراشها واغطاها
نقما الكل داسر * فيها حاصر * ابلعساكر مادام احياتو
مايتعدى شى احدودها من دون الرقبان

وقد داس بقدمه على ففا الظالم العاجز الذي غدا كالبومة يخمد صوتها
الما صرصر الباز الحر :

رجلى اعلى افغات الظالم * من لا يكون فارسى ناجم * رانى اعلى لحروب
املازم

آسى اذاه لسقارا * يوم الغارا * ابقى اعبارا * موهون افداتو
يخمد فرخ البوم كان صرصر حر اليبزان

ويستغرب لجدول الماء يعاند بحر الطوفان ، وللضفادع تترك المستنقعات
وتخرج للصحراء تقصد غار الشعبان ، ولاهل الوقت يرفعون شأن الكلاب
النايحة مثلهم ويهملون الاسود :

كيف اجرا للساقيا اتعاند بحر الطوفان

. . .

او الله رببت الجران كيتعدا مرجاتو

اخرج للصحرا ابغى ايروم الغار الشعبان

. . .

اهل هذا الوقت لقباح مثل الطاروس انبجحاتو

رفعوا له اتجاه والسبع ماداروه افشان

ويورد عليه ابن علي في «الديب» يذكره بفضلته وجميله عليه ، ويكنى
عن ذلك بصفة يحكى فيها أنه خرج ليصطاد غزالا اذا به يصطاد ذئبا ،
فاحده نذره وعظمت غيبه حتى حمر واشتدق واطلقه فى روض الازهار وأطعمه
وسقاه ولئن لم يرض بالنعم الغريبة احلال التى قدمها له وظلت نفسه تتوق
نحيبه لدهنها فى خربة ، فلم يلبث ان هرب من الدار :

وخرجت انبرى (1) اثماحيات الصيدا غرضى انصيد اغزال
حبحت لصياد برنى مصطاد ما يجيب الوجبا * ما جاب غير ديب وشديتو
الموسمى اديتو فالروح ارتيب له بعد الغلبا * حنيت لو واشفقت التمريتو
فى روض ازهارى انلت هذا النديب اشميق الميوث واشبال
وجبتلو لحم الضانى نحساب فى امكانى * يرضى بانعايمى اطعمتوا واسفيتو
وترنى دخرى ما ارضا بانعايسم واللى احلال توكال
ما كان عيشتو غير الحيفا كان صابها * فى خربا خلى لك المقلى فى زيتو
اهرب من وكرى واش وكرى باى للديب يالعقال
ولكنه نه بالمرصاد يبحث عنه ، وقد وضع له مصائد كثيرة لن يستطيع
الافلات منها مهما حاول الجرى والحيل والفرار ، والويل له ان وقع فى
قبضه ، فهو يبشره بحرب لن يفوى على خوضها :
وانبشروا بحرب الا يقوى له فى اهمومو يغبا * واشفايت الدياب افتشتيتو
تعرفنى نبرى جرتو ويلا جيتو له لهوال
اشحال امن امصايد عندي فامخابعى وكمن خشبا * للديب ويل بوه ايلا
جيتو

آش جهدو يجرى ينقطع جهدو واتبور اعليه لحيال
لم يعترف بالجميل ولم يعرف ان احسانه اليه هو الذى سيحكم
وينصرف ويأتى به فى الحال ، اذ ذلك سيسجنه ويقيده الى أن يموت :
ما يعرف خيرى فيه يحكم وايجبو لى الزمان والحال
واندير له ساجور الهند ابسلسلا اتقلها كورا * حتى ايموت فالسجن ابغيتو

(1) مضارع برا بمعنى بحث .

ويستأنف ابن سليمان هجاءه لابن علي فيوجه له «قرصانا» يقول في
حربته :

هكذا قول للداعي ايدير قرصن ويخرج ✽ كيف من سافر بين امواجو
واغنم وانجا

ويرد عليه ابن علي في «قرصان» آخر يغلب عليه الفخر هذه حربته :
حجب القرصان السبع لمثاني

من عين كل معيان اذا يفها ابحسن اجمال القرصان
ونقف وقفة قصيرة مع ابن علي في قرصانه الذي خاض به غمار
البحور عارفا بالخارطة والبوصله ومختلف الرياح والكواكب فاهما منتبها ،
ميزانه النظر الذي لايمثله ميزان :
راكب فوق اللجات قرصاني

فابحور لمعاني صاب الواري وجال فوق الجوج الطوفان
ونا مدوب وقابض ادماني (1)

ندري انكارطا وامعلم فالبوصلا او حافظها على لتقان
وارياح اتميز ليس تخفاني
وكذلك لكواكب ندرها مانشوف اتراكم لمزان
ابفسطاسي وادماني وديواني

واعلى كل ربح انسافر ماني اغشيم (2) دهرى حاضى لوزان
عايق فايق بالشوف ميزاني

قالوا هل اللغا فالغاهم ولا ابحال شوف العارف ميزان
فقد اطلق قلاعاه وقصد عمدا بلاد العجم والديلم والعراق واليمن ،
وجال في البحور السبعة ، وغاص بحثا عن المرجان والياقوت في مختلف
ألوانه :

نهضو لقلوع وجلت بالعاني (3)
لبلاد العجم والديلم واكداك لعراق وبلد اليمان

(1) المقود . (2) الغشيم : قليل التجربة .

(3) عمدا .

والسبع ابسحور ادخلهم عانى
ندرى احسابهم وامخير باللى ايزيد واللى فيه النقصان
جوال عل الوجبات فازمانى
غواص بين لجات لبحر اصاح صنعتى نصاد المرجان
والياقوت الوهاج يرضانى
من كل لون عدت انصيف لبيض والزرق وكذاك اليرقان
واللون الرابع شابه القانى
هذا مناصف اخلاكي وقت مانصيف لك اصدور الغيوان
لم يشاهد أحد مثل ماشاهد وهو يبحث فى أعماق البحار عن الجواهر
والعقيان والدر واللؤلؤ واللجين والزمرد والزبرجد والعقيق والحجر
اليمانى ، وقد اجتمعت له فى خزائنه من هذه الكنوز درر مسلوكة فى خيوط
من الذهب ، كما اجتمعت له ألوان من الاقمشة والحلل والحلى . ثم عاد
الى شاطئه بلاده فدوت طلقات المدافع يتجاوب صداها فى كل أركان الفضاء:
من لاشاف اكما شفت باعيانى
بين اللجوج غير انبرى برجحتى اعلى الجواهر والعقيان
والدر امع اللؤلؤ شهانى
واللجين والزمرد والزبرداج والعقيق وحجر اليمان
واللى يشبه هادوا فتبيانى
فاخزائنى امد خر من كل ادرار ناصح فاسلوك الذهبان
من كل انواع اوسقت حجانى
اوسقت امن اقماش الهندى اوما يماثل فانواع الحجان
كسبت البر ابلاد عشرينسى
بامدفع شلا ماجوبت او جاوبو انفاضى من كل ارکان
وما أن وصل الى الشاطئ حتى رفع السنجق ولف القلاع ومد الجبال
فجاء التجار للقائه وجاء آخرون لايعرفونه يسألون عن المرسى التى قدم
منها ، وتم البيع والشراء ، وعاد الى مكانه وقد ناداه وقت الفرح والسرور :
وارفعت السنجق بعد جولانى
انقيت لقلاع واجبدت احبال مركبى واقلعت النيشان

جأت اجميع النجار تلقانى

واخرين عاد سمعوني جاو ايسولوا شمن مرسى اخرج فلان

بنعوا واشراو اورحت لمكانى

واللى ايريد حاجا خلصها (1) من اخزاي نو بلغها ثمان

هذا وقت الفرجات نادانى

بالعز ولها والسطوا والفرح ولنا واسرور وسلوان

هذا فرصان الا ايلو ثانى

فالبجر المحيط اخبارو عند الدهات من يدريو القرصان

ومثل هذه المساجلات الهجائية ماتبادلها ابن ريسون والغرابلى ،

يبدأها الاول فيوجه لخصمه «الرامى» بعد ان اتقن الرماية وحضر سلاحه

مزودا بالبارود والرصاص وخرج للصيد متوسلا بالمولى ادريس يدعو

الناس للتفرج :

جال عقلى فى ترميت بآرياسا واتمزج * ساكنى منها فى تهايجو

زايد درجا

درت شيمخى مفتاح الغرب صاحب الطبع لبهيج * هبت الواخد عن منهاجو

فى ذا البهيجا

درت رنا مقيو ماياها امن ازناد امزبرج * فى ايمىنى واللى نحتاجو

من مانرجا

درت بارود امشعر صنعت ايفادا وسنطرج * ابلحساب وتعبير اصناجو

عقلى صنجا

درت مايكفيه امن ارضاص فى اوجه لعدا يخرج * لوخرجت الميدان اهراجو

تكفى خرجا

هكذا قول الهن ابغى بالرمي يتفرج * شارتو يسقطها فابراجو

حاضى مرجسا

لقد شمر عن ساعده وخرج للصيد ، فويح للغراب ان صادفه فى الجو

فسيصبه بما لن يعالج منه ، وهو غراب اسود القلب والريش ، دعا عليه

(1) دفع ثمنها .

لمرى ادريس فلايستطيع الاقتراب من أسوار البرج ، وان حاول فانه سيقع :
عن اطرافى شموت اخرجت للصيد ستدرج * عل لبدا نرعى من راجو
كنتبجا

...

ويح نغراب اللي فالجو صار ريشو سار امدج * لادوا لا راقى لعلاجو
طير الخلجا

فيه دعوب مولاي ادريس مايروم السور ان * غالس القلب امثيل ازباجو
وعند لفجا

طاح ويقتال المذكور الذى شانو يوهج * صيدو من عنقو بافلاجو
نالسج فلجا

ويرد عليه الغرابلى فى «بوغاز» انشاء يحول دون خروج القرصان (I)
وقد اختار لانشائه بقعة على الشاطىء بين التبال والفجوات ، وأقام مرسى
بنى أسوارها من الحجر المنجور ، تحيط بها البساتين ، وأبوابها ثمانية
ليست عند عجم أو خزرج ، وحول الاسوار أطلق الاسود والاشبال والنمور
التي ستفتك بأظافرها فى المعاندين :

درت بوغازى للقرصان وقت مايزعم يخرج * تلتقاء نفاض امن ابراجو
يصدق وهجا

اخترت بقعا على حرف اليم بين اشوامخ والفج * حلق مانع بفرائن هاجو
ليس اتنفجا

انشيت مرسى وابنيت الساسا بنيان المدرج * نلصعود اترقات ادراجو
عر ونتجا

من لحجر المنجور اسوار فاقت المرمر لبلج * واشرارم كدور افتاجو
ترمى وهجا

وليساتن عن ربع اركان وانفاض الكمن برج * درت خلف السور وتبهاجو
دور افبهاجا

1) يبدو أن «بوغاز» الغرابلى رد على «قرصان» لابن ريسون وليس على
«الراهمى» ولكننا لم نعثر له على قرصان .

دوت بېان الاهى افېر لعجام وخزرج ❁ كل باب افتقويم ارتاجو
خزنت خوجا

واحفير اعلى السور ودور ولسود اعلى المنهج ❁ ولشبال افرادو وازواجو
سكنت ولجا

والنمور فقلوب هل لعناد بامظافر تبعج ❁ من القاوه لتقاه اسماجو
قطع المرجا

ويجيب ابن ريسون على خصمه فى «المهراز» الذى اقامه فى مواجهة
البوغاز ، مرفوعا على سور منيع من الحديد ، يصعد له بألف درج ،
لتنطلق منه على البوغاز قذائف ثقيلة تنسفه وتزعج قلب الجاحد وتنزل
كالصواعق عليه :

فى اعراض البوغاز انشيت سور مرصود اعلى اللج
طالع من لحديد ادراجو
ألف درجا

سور مهرازي سور امنيع سام فالبحر امزبرج
ضن واجزم من راد احراجو
تركو نهجا

قابل البوغاز المخدوع بلعماير يتفرج
من البومب (I) ايضاى لرتاجو
حتى يفجا

كل بومبا فيها قنطار لججينه اتزعج
صاعقا تنزلوا فامهاجو
وقت الخرجا

ولكن الغرابلى يرى أن خصمه بليد جاحد جاهل ، أتلغه الشيطان ،
فغدا عاجزا عن التفكير والانتاج ، ووقع من أعلى الجبل على حجر صلد
فتكسر :

(1) القنابل والقذائف والكلمة من الدخيل الفرنسى .

ريث قلب الداعي مطموس غلف ابلجحد اسمج

* عايم افجهلو من تسماجو

حلکو ربجا

نلفو شيطانو واحكم اعليه عمرو ماينتج

* لوحو بين احياف احداجو

يبهيم ادجسا

طاح من جرف اعلى منداف فوق من صلده امزدج

صادف اهراسو من تزداجو

وادلج دلجا

واذا كان يظن انه بالمهرار سينسف له البوغاز فهو مخطيء اذ قد صنع

له «غطاسا» يغوص كالسمك في البحر ، زوده بالمذافع والقذائف والمناشر ،

يهلك كل من صادفه أو اعترضه •

درتلو بابور الغطاس ضد مهرارو لعرج

* زى سمك ايغوص ابتمواجو

بين اللجا

ابلمهارز واصواعق والنفاض وامناشر تودج

* من القاوه خرقوه اوراجو

فوق الموجا

هكذا من ينشى غطاس تحت لمواج ايموج

* كل من صادفو قلب اصناجو

وابقى كرجا

سام بوغازى وارقى فالصعود واخنق كمن فج

* اعفارت الجن ابخرق امواجو

خرجت حرجا

من زعم يدخل تحت ارمائتي ابمهراز امكرج

* مايم ابطالى كجكاجسو

دون المرجا (1)

(1) ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز أن لهأشم السعداني قصيدة سعى بها

ومن أشهر الهجاء المتبادل مادار بين الغرابلي والتركماني ، وهــو هجاء أساسه خلاف موضوعي حول الايمان والعمل ، وهل الايمان وحده يكفي أم لابد من العمل ؟ ويطلق عليه «لعراض» أى المعارضة ؛ فالغرابلي يرى فى «الدعى» أن الشهادة وحدها ليست كافية وأن العمل واجب ، فى حين يرى التركماني فى رده عليه أن فى الايمان بالله ورسوله كفاء وخيرا فى الدنيا والآخرة ، وأن نية المؤمن أفضل من عمله * ويبدو أساس الخلاف واضحا فى حربة كل من القصيدتين ، يقول الغرابلي :

يالداعى بالعرف اصغ الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ويقول التركماني :

الداعى شهد والشهادا بالله ابالرسول تكفى واكفات وكافيا اوخير

فالدنيا وافلاخرا اكشر * والمومن نيتو افضل من اعمالو

يبدأ الغرابلي فيرى أن خصمه دخل فى بحر لا يطيق هول أمواجه ،

وأنه سار مع هوى نفسه ، وأنه بلغ من الهبل والعمى حتى غره الايمان وزين

له الشيطان سوء الاعمال *

ويرى أن كل من صفا قلبه يعمل ، وكل من غدا قلبه مشوبا يستحلى

الآثام * لقد أمر الله بانفروض ، فكيف يريد أن يتساهل فيها ؟ ثم ان

الشهادة لاتكتمل بغير شروط لابد ان تستوفيها * انه يريد أن يطلق عنانا

شده الله ورسوله ، فهو ناكر شمس العلياء التى أنشأها الله من النور ،

الى الصلح بين الغرابلي وابن ريسون يقول فى حربتها :

الصلاة اعلى الماحى سيد كل مافالحى ادرج * لمفضل طه وازواجو

زين الفلجا

وذكر لنا كذلك أن ابن ريسون كان السابق الى هذه الخصومة وأن

الغرابلي لم يكن يكتفى فى الرد بالقصائد فقط وإنما كان يلجأ الى

التمائم ووسائل السحر - وكان بارعا فى ذلك - فتصدى لخصمه بها

ويقال ان ابن ريسون ظل من اثر ذلك مدة اثنتى عشرة سنة مقعدا

فى بيته مكتوف الايدى الى أن قال السعداني قصيدته فى الصلح والتمس

من الغرابلي أن يذهب عند خصمه ويقبل رأسه * فذهب وماكاد يمسك

بيده حتى نهض من مكانه سليما *

هزينيد فيتهمه بعدم التمييز بين الحلال والحرام وبأن حياته كلها سمه وفجور
ويهتان وبأنه لم يجالس العلماء قط :

بالداخل في بحر الا تطبيق لمواج احوالو
بمساعف لغراضها افغيوان احوالها
من اهبالك غرك ليمان بالمطموس انجالو
لك زين شيطانك سوء اعمال وبهاك
من اصفات امرايت قلبو ايدير مايجير حالو
والذي مارايم لصفا امتمو يستحلاها
أمر فرضو ربى شد فيه وتبغى تسهالو
والشهادا لهاكم من اشروط لاريب امعاها
كيف ترخف من شد الحق بعد رشكك مرسالو
النا كر شمس العليا اللي امن النور انشاهها
يأللى مايفرق بين لحزام حتى واحلالو
عشتك فالدنيا الا افجور وافشر واسفاها

. . .

تعتاب قول اللوام حين نصحك باقوالو

ياللى ماجالس عمرو هل لفوايد وانباها

ثم أخذ في شرح وجهة نظره والتدليل عليها مبينا أن العمل أصله
النية ، وأن كل من سمى لشيء يناله وقد خاب من لا يبحث في شريعته ولا
يعرف مقاصدها ، وأنه ينبغي معرفة مايجب في حق الله تعالى من صفات
الكمال ومايجوز وما يستحيل ومعرفة قواعد الاسلام ، من صلاة وصوم حتى
يقوم الدين ويكمل ، وترد عن النفس مخالب المنكر والفحشاء ، بل انه يطلب
منه أن يردھا وينذرھا ويقهرھا ان طغت بحديث الموت :

لعمال أصلو النيا ومن اطلب شى اينعطالو

خاب من لاخبر فاشريعته وحقق معناها

جيب مايوجب في حق الجليل صفات اكمالو

او مايجوز او مايستبح كيف نبأنا طبه

جيب اوصاف اقواعد ليمان يامضيع رسمالو

اوجيب اوصاف الاسلام كان كنت (1) تقراها

فالصلاة والصوم اتها ولا قوم دينك واكمالو

اورد نفسك عن فعل الفحش قبل تفرق فاختاها

لومها وانذرهما فعسى اتنال زى اللى نالوا

الى اطغات اقهرها بالموت حق تدخل لجواها

حقاً أن الشهادة مفتاح الدين وبدءه ولكن الفرض تمامه وكماله ، والبادئ
للعمل دون انهاءه كالخارج للحرب وفي يده قبضة دون سيف . فالمسلم
يقول بلسانه ويعتقد بقلبه وينفذ الفروض بجوارحه ؛ ويخشى على كل من
فرط في الدين اذا ما حان أجله أن ينسى الشهادة ، فلا احد يضمنها عند
الاحتضار الا من جاد الله عليه وذكرها وحافظ عليها :

الشهادا مفتاح الدين والفرايض لكالو

من ابتدا نشيا دون اكمال سار حجا فابداها

زى من راد ابقبطا دون سيف يلقي عدالو

واش من مرا للبطا دون سيف تقضى بامضاها

القول باللسان والاعتقاد افلحديث اكما قالوا

ولجوارح تمتاثل من افرض عنها مولاها

كل من فرط فالدين لقويم يوم ايجى اجالو

اعليه ايخاف ايلا يحتاج للشهادا ينساها

ماضمن حد الحد افساعت لمنيا تعطالو

غير من جاد اعليه الله وافتكرها واحضاها

ويستفهم في انكار عن تارك الصلاة او الصيام أو الزكاة أو الحج ان

كانت تكفيه الشهادة فينجو أم لا تكفيه فيحاسب ويعاقب :

جول واسأل فالخمس اوقات امن اتركها مدالو

كان فيه القول او اشهادتو اكفاتو معناها

(1) كان كنت بمعنى لو كنت .

جول واسأل من اترك الزكا ولا زكى مالو
عاش فحرام او اشهادتو اكفاتو معناها
جول واسأل من اترك الصيام واشروط اكمالو
كان يتعاقب او اشهادتو اكفاتو معناها
جول واسأل من وجب الحج بعد زادو فاحللو
كان بتحاسب او اشهادتو اكفاتو معناها
ويطلب منه أن يتوب ويرجع عما مالت اليه نفسه ، وأن يتمسك
بالتقوى والطاعة حتى تصفو ذاته ، وأن يتخلى عن هواه ويطرد الشيطان
اللعين الذى يغويه ويزين له المساوىء ويلذذ الشهوات ويتسرب الى داخل
الانسان ويسرى كسريان الدم فى الجوارح :
تب وارجع واترك ماريت له لجوارح مالوا
ولازم التقوى والطاعة اتفوز ذاتك بصفائها
لهوا والشيطان اعداك يالتابع عدالو
ايبين لك لفضل حتى اتغيس نفسك فيلاها
اللعين ايلذذ للمومنين شهوت محالو
افلجوارح يسرى سرى الدم ويسكن فحشاها
ولا يتركه دون أن يرميه بالجهل والعمى واتباع الشيطان ، ويسأله
كيف يلقي ربه فى ظلمة القبر ويوم الحشر حين ينشر أمام كل واحد كتاب
تسجل فيه الاعمال الحسنة والسيئة فيجازى عليها جميعا :
غأبت اشموسك واهزمها اظلام جهلك باكحالوا
لادبك الشيطان اعماك زى قومان اعمها
باش تلقى غبت اللحود ولوقوف وتهوالو
يوم تزفر جهنم اعلى لخلايق بالظاها
يوم لاتنفع مرو لاشجاعتو ولا كثر مالو
فى اصحوفك توجد لسطار دون ريب نقراها
من ايجى بالسيا بمثيلها امن الله تجزالو
من ايجى بالحسنى عشرا من المهيمن مجزاها

ويرد التركمانى فيتهم خصمه بأنه حمار ابن حمار ، دخل ميدان المعارضة بالجهل ، حاملا خشبة غير منجورة ولا مسواة ، وأراد أن يتطاول على من لم يكن يعرفه ولا يسمع به ، ويتساءل عن سبب ما نزل به ، أهو مصاب بخلل أم مدعو عليه فى وقت صادف باب الاستجابة مفتوحا ، أم أنه يجنى نتيجة حلف زور أو غضب الوالدين ؟

ياداخل بحر المعنى بوجادى (1) واحمار بن احمار ورافد كلخا ابلا نجير واتبعت من لايلو اخبر * ولاعمر اسمع حسك مدالو واش انت مخلول او صادفت شى دعوا امكنا ساعت لجابا اعلى الضمير او احلوف ابلا اصفا اغدر * أو من الوالدين سوقك واضلالو ويدعوه الى الاستغفار لو كان مسلما متحققا من الشهادة يراها اعظم من أى عمل • فكم من مغرور ظل يعمل حتى اقترب من الفوز ولكنه تبع نفسه فمات كافرا بأعماله ، وكم من احد ذاق بعد الكفر حلاوة الايمان بقلبه فشهد بالله والرسول وأدرك وفاز واعتبر بفضلها شهيدا ، وكل من قالها لامحالة يسير الى الجنة يوم الحشر ومعه فضل الله ، اذ تكفيه الخاتمة ، فهى تعادل كل حياته :

استغفر لله لونت مسلم وامحقق بالشهادا ماتجعل عنها اكبير
أهى من كل شى اكبر * ولاعنها اعمال يعلى باكمالو
والعمل ابكلمت الشهادا اهى به واش من عمل انفع كمن اغرير
اخدم حتى شاهد الظفر * واتبع نفسو ومات كافر باعمالو
واكذاك ضدو اشحال من واحد بعد الكفر داق غسل احلاوت ليما ابليخير
وانهار اتبرا من الكفر * اشهد بالله والنبي بلغ اعمالو
قالوا مات شهيد امن افضلها واجميع من قالها افعمرو للجنة لاغنى ايسير
وامعه فضل الله افلحشر * تكفيه الخاتما اتعدل بجالو
ثم انه لاينكر الاعمال ولايتركها ولايدعو الى تركها ، ولكنه يرى ان
المومن مومن ولو كان زانيا أو سارقا أو هاجما أو قاتلا أو مخمرا ، ومهما
اعتبره خصمه كافرا ، اذ تكفيه كلمة الايمان • والمومن لابد وأن يتوب مهما
(1) البوجادى بمعنى عديم التجربة •

حاد عن الطريق ، وهو يجبر اذا تاب ولايعدم الفضل طالما أنه محافظ ففى قلبه على هذه الكلمة ، فهى رأسماله وسلاحه وعزه ونصره • وهل ياترى يقبل العمل من حمار مثل خصمه لولا أن الله يستر ويعفو ويقبل عباده ويرضى عنهم بجوده وفضله ؟ :

مانكرت اعمال ماتركتو ولا عمرى انيت حد ايتركو لكبير والصغير
الا لالايم قلت لو اعذر * وما فالغيب امن احكام ابمجالو
والمومن مومن قلت لوزانى او لاسارق او هاجم او قاتل او مخمير
نطق الالايم قال ذا كفر * قلت اكفاتو السابقوا وسعدو فالو
والمومن يرجع بعد يدلح ولابد اينال فضل الكلما من لالها انظير
ويلاتاب المومن اجبر * ولايعدم افضل حاضى راسمالو
والمومن من فضلو وراسماتو واسلاحو ونصرو وعز اكلمتو ليما فالسريس
يتلها ويحمد ويشكر * وجعل ارجاء افلمكرم قبالو

• • •

ولعمال اصلا او صوم وازكا واجهاد وحج ياترا يقبال من امثالك لحمير
والستار يسمح و يستر * وقبلنا ابجل جودو وافضالو
ويحاول أن يظهر فضل كلمة التوحيد فيراها تضم سبع كلمات تصد
عن سبعة أبواب من أبواب الجحيم وألف ، يظفر صاحبها بالنعيم ويبلغ
الآمال • واذا كان العمل من الفضة فكلمة الاخلاص من الذهب العالى
العيار ، بل ان الله خلق عمودا من نور لايقربه الا من يقول لا اله الا الله :
وكلمت التوحيد جاب لحديث اسبع كلمات ضاما ضد اسبع ببيان فالسعر
والف تغلق باب واطفر * مولاهها بالنعيم وابلق امالو
والعمل ايلا ايكوز فضا كلمت لخلاص ذهب يبريز امشعر خالطو اكسير
وافضل ربى مايلو احصر * سبحان الدايم لغنى جل اجلالو
عمود امن النور مايلحقو الا من قال لا اله الا الله السامع لبصير
يهتز العمود ويجهر * يبردت وسع لفضل ومن افضالو
وهو يرى خصمه قد ارتكب ذنبا كبيرا لن يستطيع التكفير عنه بغير
الذهاب لمدينة مراکش مذموما حقيرا حتى ينتهى من أمره بالذبح • فسينادى
(27)

بالنفير فى الحمراء وغيرها من المدن والقرى والبوادر ليعلم به ، ثم يأخذه
للحمام حيث يغسله بالقطران ويخرجه بعد ذلك فى موكب مكبلا مغلولا ،
ويذهب به الى فندق الجلود ويلبسه جلد تيس اسود ، ويضع له أسورة
فى حجره ، وحزاما بظفائر وحذاء من النحاس الاصفر ليرقص به ، ويتوجه
بكومة من الريش وعمامة عليها خمسة قرون طرية اللحم ، ويعلق له سبحة
حباتها من الحلزون ، ثم يطوفه المدينة بالولاول والزغاريد ليرجمه الاطفال
بالحجر وينكتوا عليه ويضحكوا طوال سبعة ايام ، وان تعب خلالها يعاد الى
أغلالة ويركب حمرا :

وانصحك ماريت مايكفر ذنبيك الا اتجى البهجت لمدون امبهدل احقير
وانجزرك وامثالك ينجزر * حتى نحتال عن اخلاصك وافصالو
ونطلق البراح (1) افلمدين الحمرا وافحوزها ويمشى حتى للغرب بالنفير
فاباد (2) امدان اوهر (3) * يعلم بك لسلام ويسرجع فى حالو
ونا نفرح بك انديك الحمام الديق ببياض تفسل وانوم افلغديسر
وانخرجك ابهدقا وطر (4) * ويسديك امكتفا وعنقك فاعلالسو
وندخلك الفندق لبطانا ونفرغ اعليك واحد الكسوا مكمولا اعلى الشهير
ماقيمتها مال افلعفر * من عتروس اشبه القلبك فاكخالو
وانبايل (5) افحجرك طايشين ايمانا واشمال ولحزام امخالف بصفايرواعسير
والسباط اقدم امن الصفر * فى رجليك للشطيطح ايقل امثالو
واعلى راسك رايم اركوا بالريش او عنها اعماما برذيل افوقها اندير
حمس افرون الحومها اخضر * ومن البيوس (6) شى اتسايح يحمالو
وانطوفك اعلى الشهد امراکش بالكف ولولاول وازحام اكثير ولهدير
ويرجموك اطفال ابلحجر * واخرين اينيبوك ولا ينظالوا

(1) المنادى • (2) البوادر •

(3) الجبال •

(4) سبحة: ان ذكرنا فى المدخل هاتين الالتي «الهندقة والطر»

(5) أسورة •

(6) الحلزون ويطلق عليها كذلك الغلالة وخاصة فى لهجة اهل الرباط •

سبع ايام وكل يوم نطويها فالحوما اولا ارزمتي ترجع لغلايلي ايسير
فوق احمار زند وعتر * حتى يجتمعوا الناس ويحتالو
كذلك كان الفخر عند الشاعر الشعبي جانبا في فن الهجاء وان لم

يحظ باهتمام المنشد والجمهور ، لما فيه لاشك من انانية وحب شخصي .
ومن الفخر ما يذهب اليه محمد بن الصغير يخاطب حساده انهم لن يستطيعوا
معارضة كلامه مهما اتفقوا ضده ، فشعره يحلو انشاده ويتوق الناس لسماعه
ويطربون ، فهو غزل صافي سلس رفيق عرف كيف يسلك فيه مختلف
المسالك والمسارب ، لا يخشى من الغرق ، وقد شيد قلاعا واعتلى القمة :
قولوا للباغضين قولي ليام اتلاقي * محال ايعرضو اكلامي لوجاواتفاق

نظمي يتقال اعشاقا * اهل الفرجات شوقوا

غزلي صافي اسليس رتقا * سالك منهج كل طرقا

وايحق امسارب الطروق

جفني مضمون من الغرقا * وامشيد ابلقلوع زرقا

وازيادا طالع اللقوق

ومنه فصيحة لعباس الحرار يفخر فيها بأنه لا ينفذ صبره عند الشدة
يوم يضيق الناس وتعبس الوجوه ، ولا ينقطع مورده يسقى جميع الظامئين
حيث لا وجود للماء ، ولا يغيب نجمه زاهرا مشرقا بنور ثنائه في كل مكان ،
وبأنه لم يمدح قط ملكا أو طاغية ولم يؤذ أحدا ، ولم يفضح سرا له أو
لغيره ، ولم يأكل غير أكل شريف حلال ، وبأن شعره لا يخلو من حكمة
وبأنه ورث الرياسة عن أجداده وأنه لا يفر من مواجهة الاقران :

أنا اللي ماتضايق الشدا صرى	* يوما تنقأبح لوجوه انا الصبار
أنا اللي مايزول للظامي نهري	* مورد عذبي فامواطن لا مايذكر
أنا اللي مايزول فلك اسما ذكرى	* يشرق باكواكب الثنا في كل اقطار
أنا اللي مارفعت باقوايم شعري	* سطوت مالك شامخ او اطغى جبار
أنا اللي ماكويت مخلوق ابجمري	* كاتم سري ولا نفصح الحد اسرار
أنا اللي ما اخلات من حكما جفري	* مشتمل اعلى قوا ايفادت كل اخبار
أنا اللي ماتكدر اجواهر ثغري	* لقمتم منان لو ابجوع اسنين اشوار

أنا اللي وارث الرياسا من بكرى * من جد الجد حزتها امن دارالدار
أنا اللي ما اتشاهد اعداى ظهري * يوما تتواجه لقران لفدى الثار
وكانت على العكس من ذلك عناية الاشياخ «بالسولان» كبيرة ، وهو
فن يتصل بالهجاء وتحدى المدعين ، حيث يوجه الشاعر لخصمه جملة اسئلة
هى فى الغالب احاجى والغاى ، ان لم يحل رموزها فهو مغلوب وعاجز .
وغالبا ما يمهّد للسؤال أو بالاحرى لمجموعة الاسئلة بمقدمة يخاطب بها
المدعى او راوى القصيدة ، وكذلك يختم السولان .

فهذا ابن على فى «سولانه» يطلب من راوى القصيدة أن يفخر بالسؤال
الذى ليس له مثيل :

باسؤالك استفخر يا حفاطى * اولا ابحال عند اللى عارفين سولان
ويخاطبه فى القسم الاول يؤكد عليه أن يفخر ويواجه كل معارض ،
وأن من عاتبه أو اغتابه فكأنما عاتب الشاعر او اغتابه ، ويخبره انه ضبط
الحروف ورتب القوافى ، ويوصيه أن يقرأ جهرا ماكتب له على كل الناس
القريب منهم والبعيد ؛ ومن كان منهم يدعى فليجب على السؤال وليجل فى
معانيه وليشرح جوابه حتى لا يظل مدينا فيشهد عليه العدول :

باسؤالى استفخر واتلق كل من ايعاتب

اللى ايعاتبك كنو عاتبنا

او غتبك كنو غتبنا

او هكذا فالشعر اكتبنا

اضبطنا لك لحروف والقوافى لها ترتيب

اقرا بالجهر ماكتبنا على لبعيد ولقريب

واللى داعى لنا ايرد لجواب

ايحول افلمعانى

ويشرح لسؤالنا اجابو

اولا يعبود مديانى

واعليه شاهدين اعدولى

وارضى ايكون مديان

ثم يستعرض له بعض الانغاز كهذا الذى يسأله فيه عن ماهية علم الشعر
والمواهب وكيف تتسرب للنفوس ، وعن اقسامها التى لايعتبر شاعرا من
يجهلها ؛ وكل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة
ويوصى راويه الا يهاب المدعى بالجهل ، فهو اعجز من ان يأتى بمثل هذا
السؤال أو هذا الشعر مهما طأل به الزمان :

وانسال امن ادعاو اعلى علم الشعر ولمواهب

واعلى اشمن (1) اسبيل يدخل لجسام

كان تهم فالخلق ارسام

قسموه الفهم اقسام

من لايدريها لايقول شاعر فالقول ايجيب

واللى داخل بحر لهوا بجهلو يلقاه اصعب

الا من ودو ربنا الوهاب

واللى ادعا اعليك ابجهلو بالك تستهابو

ما جاب عوض سولانسى

ألو ايعيش ماغاش المرو ولا ايجيب لوزان

ويختم القصيدة بتحذير للمدعين ان عجزوا عن الرد - وهو عليهم

واجب - انه سيبقى دينا فى عنقهم طوال الحياة ، وأنهم لن يساوا شيئا.

بعد ذلك ؛ ومن عرف كيف يحل السؤال فليشرح اجابته وليعرف بمصادره

ولينظم ذلك على نفس الميزان :

وانسال من ادعاوا بجوابى واعليهم واجب

ويندا يعجزو عنهم يبقى ديسن

لجواب الواضح لمبين

طول ما دمنا فالحيين

لاتحسبهم اسواوا وخذلك فالخلطا تجريب

من يفقه لشيئا اكما انشاها علام الغيب

معناوى ياتينسى افصح الخطاب

ايبيدنى بشرح اسؤالى فاشمن اكتاب صابو

واعلى اطيوع ميزانسى

واعلى اكواكبو وادراجو طرغان هل الغيوان

وللتركماني «سولان» يقول فى حربته :

اصغ اوجول واتأمل يا انسان * جابو اسؤالى كان انت البيب فاطن
ويسأل فيه من جملة ما يسأل عن طائر يجول فى البر والبحر دون
أجنحة أو زاد ، يقطع الارضين فى ساعة ويصعد للسماء بسرعة ، يبيض
ويفرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وليس لعينه مثل بل له عين زائدة
وأذنان ، ولكنه لا يسمع الا بوحدة ، ترى ماهو وأين يقيم ؟ :

عن طير سلتك ايجول ابلا جنحان بر وابجار

وابغير زاد اولا ليه ابضاعا

ويقطع لرضين افساعا

وللسما يصعد باسراعا

وايبيض ويفرخ اقلبطح ايمين واشمال

وابراسو فى قزبتو وعينه ابغير امثال

بمقعد وبودنيه رد بالك

ويسمع غير بودن وحدا سبجان ذا المواهب

وابعين زايدا ثانى

يندر اوحده ماندرى

اكما هو اومين كاطن

ومن استلته يستفسر عن رأى الشرع فى أمر رجل سافر الى فاس
وترك زوجته فى القصر ، وفى يوم سفره تزوجها غيره فولدت له ، وكتبت
للزوج المسافر تخبره بمولود رزق به وأصبح ذا مال ، وتقسم انه ليس
ولده ولا ولد زنا وتطلب منه ان يلحق بها على الفور ، فامتثل وحضر ولكنه
وجد نفسه مغلوباً على أمره وغريباً بعد ان كان قريباً :

وانهار فاش سافر غيرو خذها

وارجول سافر الفاس اخلى زوجته اقلقصر

اولدت امعاء امن ابطنها
ولدت اكتببت الراجلها
فالكتاب قالت ولد زاد عندك واصبح ذو مال
تالله ماهو امن ازنا ولا هو ولدك واحتال
واقدم بالتكبير اوجسى اتبارك
وامتائل الرجل امرها واضحا امن المغالب
من بعد كان دخلاى
عند الامر ارجع برانى
والشعرع بساش آذن
وبمئل ماختم ابن على خنم التركمانى فقال :
ياحافظ اللفا خذ اسؤال المن ادعا امختصر
يعرم ابجواب اويأتيسى به
ويرضى بالغلب اعليه
ويقبل شرطى وانوريه

أما فى **الخصام** فيتحدثنا ابن على فى قصيدة «العربية والمدينية (I)»
بحوار رائع بدأت به بنت المدينة فرمت محاورتها بأنها كلبة الدوار ربيت فى
الخلاء ، واذكرتها بالقرب تملأها فى الصباح وبالخطب تجبعه فى النهار
وبالرحى تسهر عليها طوال الليل ؛ حياتها تعب وشقاء ، ورجلها حافية
منشفقة ورأسها عار ، تفترش التراب عند النوم وتوسد حجر الكانون ،
وشتان ما بينها وبين بنت الحضر تربت مصونة فى بيت العلماء . وأين هم أهل
البدو الوسخون من سكان المدينة يعمرن المساجد وينصتون للخطب ويعثون
ابناءهم للكتاتيب :

قالت لمدينيا *العربيا واش افعالكم تنسأهم
تربيت لخلأ كلبات الدوار *آش ايجيك لبنات لحضر واترابى لعلوم
وانت بدويا *ما تفكرت لكرب فالصباح تملأهم
واتحرفى احبل لحطب كل انهار واتظلى واتباتى اعلى الرحى ما طال الديموم

(1) المقصود بالعربية : البدوية .

متعوباً مشقياً * ارجليك ابلحفا ينشقوا افسرت اشقاها
والراس ابلعرا عمرو ما يستار وابحال التمود ترقد من جهلك واتقوم
كحيا مطويا * بالرفايق كتتغطى بكفاههم
واتوسدى مناصب كانون النار واتروحي عيانا اعلى التراب ترقدواحموم
ما فيكم انقيا * هكذا سيرت هل برا اسواك واسواهم
شيخيكم لهل الظل والجدار * وامساجد للخطبا امع الصلا وامسايد وارسوم
وردت البدوية مشبهة الحضرية بالبوحة فى الغار ، دائمة المرض
لا يغيب عنها الطبيب ، لونها يصفر بدون داء ويذبل من أثر سم جير الجدران
الذى ينعكس عليها فيجعل طبعها ساما كذلك ، وهى ميتة فى حياتها ، لم
تخرج يوما الى البادية لتتعرف الى حى محاورتها تحيط به الاشجار ، وتحمية
الخيول والسيوف والرماح والاشواك من الاعداء * ثم ان العرب موصوفون
هاكرام الضيف وبالطبع الكريم ، وهم كذلك ينشؤون المساجد ويتخذون
الخيام كتايب للتعليم ، وكل من زارهم ينال من خيرهم على عكس المدن
التي لا يوجد فيها شىء دون مساومة أو شراء :

وادوات العربيا * قالت المدينيا يالفاهم الفاهم
خمدى ياشبيهت موكا فالغار * آش ايحيبك لبنات لعرب واعوالى واسهوم
وانت بلديا * شوف لمثالك ماعمر الطبيب يخطاهم
وابغير ضر كتدبال وتصفار * سم الجير ايولى اعليك مايشبه لك مسموم
موتك وانت حيا * ياللى ماشفت عمرك عربنا ومأواهم
امعمرين بصوارمهم لقفار * لوكان اتشوفى حيناً اذا حاكت قوم القوم
بسروت محضيا * ابلقنا والدركا يدرقو امن اعداهم
وامثيلهم من يوصف ويدكار * هما كرمين الضياف وهل الطبع المكروم
وامساجد منشيا * رحيام الطلبا واجميع كل من جاهم
يمشى ابخيرهم يتشكر تشكار * واش ادى اللمدون كل شى بالمشرا والسوم
وعلى هذا النمط تسير المحاورة تتناول جوانب مختلفة من الحياة
الاجتماعية فى كل من المدينة والبادية . تفخر المدينة بأنها محجة تحافظ
على الصلوات وتعيش حياة زاهية منعمة وترفل فى الحلل والحلى ، وتعير

البدوية بأنها سافرة تظل تدور فى الاسواق وترعى الابقار وتقلع نبات
الدوم ، ليس نها مازهى به من النعيم والرفاه والحلى واللباس ، عيشها
مذموم اساسه الذرة والشعير وعفنها كثير والماء عندها قليل * أما العربية
فترى أن التقوى موجود فى القرى والمدن على السواء وتعير ساكنات المدن
بأنهن شر الخلق ، اجتمعت فيهن كل الهوم والسيئات وأعمال ابليس ،
ساحرات كاهنات غادرات بالاخوة والازواج ، تنفشى فيهن المناكر * وينتهى
الحوار حين تفخر العربية بأنها من أصل قرشى معروف وأن الله وعد العرب
بثلاث بالجنة والقرآن والرسول ، وتذكر بنت المدينة بأنها ببغضها للعرب
تبغض الرسول ، ولكن هذه سرعان ماترد بأنه لولا موقف محاورتها مامت
العرب بسوء لانها تنفانى فى حب الرسول وفى سبيل حبه تتغاضى عن كل
مافات فيها من شتائم وتطلب منها ان تستغفر *

ثم يتدخل الشاعر للمصلح ويقيم لهما نزهة ليسليهما وينسيهما الخصام:
قلست الهم اعلياً * صلحكم وانزاهتكم كيف كنت نشاهم
وصالحتهم وقسمت الهم انهار * كيف يشتهاو الباهيات وافجيت الهم
اهوم

ومثل هذا الخصام نجده عند امتيرد فى قصيدته التى حربتها :
أمى احنا وايلي امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا
وايلي امى لوريت يافاهم اللغا

ولكنه يجعل محاورتيه تدعوانه ليصلح مابينهما ، فيتدخل ويرضى
كلا منهما فيبدي اعجابه بجمال العربية الكامن فى جادبيتها وعيونها الفاترة
وخدودها الموردة وقدها العالى ؛ كما يبدي اعجابه بجمال بنت الحضر
الشبيهة بياقوتة فى تاج النصر مصونة فى ابهج المدن *

ويرى أن الله كتب عليهما هذا الخصام وأنه ليس فيهما مايعاب ؛
فلم تلبتا أن انشرحتا لكلامه وصفا قلبهما وغدتا تتبادلان اللعب والضحك :

قالوا مرحبا جابك ربى يافصيح الشياخ اعز الماهرين

جول اخمم فالحين فارقنا

قلت لهم حتى عيب ماهو فيكم

زينات زينكم يرضانى

أنت اتبارك الله العربيا

امرونقا مسرارا بعيون نايماسرديا

واخدود فاتحا عكريا

والقد قد صارى

وانت يابنت لحضير

ياقوتا فى تاج النصر محضيا

فى بهجة لمدائن صولى ياروح راحتى وهنيا

هاد لغيار جابو ربي

لجواد مايصيبو

حاشا يكفا من لخصام

انشرحو واصفاو لقلوب افرحو

جازونى بخير اجازيت اباهيات ساروا فى حفظ الله ديك

تلعب لخر لها ضاحكا

ومن أروع قصائد الخصام وأشهرها قصيدة «الخادم والحر» للغرابلي

يقول فى حربتها :

قصا اجرات للخادم والحر * يوم ظلو فخصام اكثير عل المعيار

وفيهما تصف الخادم (1) الحر بأنها كسولة وبخيلة وصفراء وباردة

وثقيلة ومسمومة ، دائمة الشكوى من الاضرار غير قادرة الا على الخصام

والتعير ، كل من مسها يصير عليلا ويصفر لونه ، أمها ساحرة وأبوها

يقضى يومه فى جمع الاعشاب والبخور ، وان كانت حرة فانها هى الاخرى

قد تعتق وتظفر بالحرية . ثم ان الخادماات يكن فى الدور الكبيرة عزيزات

فيهن العلاج واللذة الطيبة ولونهن يفوق لون العنبر . وترد الحر بأنها

تستحق كل ماحصل ، فقد قبلتها للسخرة وهى كالحمارة يحيط بها الويل،

لاتخرج من المطبخ ، وتضرب بالليل والنهار ، رائحتها كريهة ، ولونها أسود .

وتذكرها بيوم مجيئها فى حال بؤس بلباس وحذاء ممزقين ، ثم انها مثار

شؤم ، كل من اقترب منها يعمى من شدة رائحتها الكريهة . ولم تكتف

(1) المقصود بالخادم الامة .

الحرّة بهذا الرد وزادت فعنفت معها فى القول - الذى ستمنل به - ووصفتها بأنها عجوز بنت عجوز وبأن الله فضلها عليها ، لو قتلتها لما حدث أى شىء ، وأنها قرينة قاذورات وعلقة فى بئر ، طبّاخة تسرق اللحم من القدر ، أمها تكشف عن الحظ فى المحار وتتلهف على القديد ، وابوها يسعى من دوار لآخر يضرب فى طاسات الحديد ، وأخوها يجول فى الحى ينفخ فى المزمار من أجل جمع قطع الخبز ليبيعها ويبقى بالجوع ، أماهى فكالخنزيرة أو القردة الممسوخة . ثم تسألها أهى على دين الاسلام ام كافرة ؟ وكيف تم مجيئها جائعة حافية عارية الا من فوطه ائترت بها ؟ وبأية عملة اشتراها التجار أبلالمح او الودع ؟ وتذكرها بأنها حين وصلت لم تساو عشر دينار، وكم مرة دللها السمسار ، وكل من رام شرائها يأخذها لتقضى الليل عنده ويصبح وقد تضايق من رائحتها الكريهة وشخيرها الشبيه بالمنشار ، فيردها للدلال ، الى أن قدر لزوجها أن يشتريها دون مشورة . وحين أتت للبيت وجدت ربتة بارزة فى فراش قبتها ، جميلة لابسة افخر الحلى والثياب . ثم أخذت تصف جمالها وبشاعة الخادمة مقارنة بين بياض شبيه بضوء القمر ولون كقطعة من الليل ، بين سواف رائقة للتصفير وشعر مكور كحبوب الابزار ، بين خدود حمراء منقوشة وخدود مشققة كالمندوب عليها بالاطفار، بين أنف دقيق كالباز ، وانف منتفخ كالكير يوقد نار الجمر ، بين شفاه حمراء كالشهد وشفة بعير ، بين نهود صدر كبرتقال فى شجر ونهود كالباذنجان الكبير ، بين أقدام دقيقة وأقدام كاظلاف الحمير . وما ان وصلت الحرّة الى هذا الحد حتى فقدت الامة وعيها ومسكت بحجر وقذفت الحرّة ولكنها اخطأتها ، فحمى وطيس الحرّة واخذت تلطمها وتضربها كيفما اتفق بقفل حديدى كبير . وقام هرج وضوضاء فى الدار ، وكادت ان تقتلها لولا ان حضر الجار وفكت الامة من قبضة سيدتها . وحين رجع رب الدار وحكى له ماوقع باع الامة واستراح وعاش بقية ايامه يزهى مع زوجه الجميلة :

قالت افلجواب الحرا مهما اطوال لكحار

سكتى يالنكرا بنت النكرا * اعليك فضلنى ذا لقندرا

اولو اقتلتك شى مايجرا

لاش اتصلحي ياكربت لخنز ياعلقا في بير

طيا با طباخا او سارقا اللحم امن الطنجير

اتقول يما حافظا الكارا

امك ابلودع شوافا واعلى لكديد تسعار

وابساك يالقنجا (1) * بالقرقا ايطل ايكوع وايدور كل دوار
اوخوك افلمدينا داير شهرا * كاي سوط افقرن اعشارى افقاع مزمار
وايدور افلحوم ايلم الكسرا * ايبيعها وايقل بالجوع بن المطيار
وانت امثل حلولا فى قفرا * او قردا ممسوخا ساكنا افلوعار
اعلى اضنايتك حكم المسخ اجرا * عيى لى جنسك اسلام او كفار
واعلى امجيك عيى لى كيف اجرا * ابلودع ولا بالملحا اشراوك تجار
جابوك ابلحفا والجوع ولعرا * ولا اسويى يوم اوصلتى اعشور دينار
ولاعليك بعد اكشيف السترا * امتزرا بالفوطا وامتبع السمسار
واشحال ماتدللتى من مرا * من راد ايقلب عندو اثبات فالدار
فالصباح كيقول ايولا هي جرا * بايتا كاتشخر شخرات زى منشار
وصنان ريحنتك خنزين شكرا * خرجك للدلال وعاد له ماصار
دلال امن احواز البهيج الحمرا * اعيا ايهات وبعتها ابقى افلكرار
حتى جا المغرور امع القدرا * اشرا وخلص فالساعا ليس دار بشوار
وامنين جيت صبتينى مشتمرا * بارزا فكساوى واحلول زهو لبصار
وافراش قبتى ماهو فى حضرا * كل من شاهد زينى دون قيس يعداد
شوف ابيض لونى كضى القمرا * شوف لونك كنقطا امن اظام لسحار
شوف اسوالف تعجب للضفرا * شوف شعرك لمركب كاحبوب لبزار
شوف انقيش عل لخدود الحمرا * شوف لخدودك زى النادبا بالظفار
شوف الانف باز ابطحا خضرا * شوف انفك نحكيه كير واقد اجمار
شوف اشفايفى كاشهدا حمرا * شوف دوك اشلاقم لبعير جافتحكار
شوف انهود صدرى ليم افشجرا * شوف لنهودك دنجلات دوك لكبار
شوف اقدامى كن خدلج واطرا * شوف لقدامك نحكيهم افراقش اجمار

تما انرا الخادم رفدت حجرا * شيرت اعلى الحرا واتقول كلبت الدار
زكلايتها وحركت لها الحرا * ابقات تعطيها بالزكروم دون ختيار
وما اكلت من طرش ابلا فترا * عاد رجعت لحسبها بعد بان لعوار
بالهرج نوضت فالدار الكسرا * امشات تقتلها لوما كان حاضر الجار
وفكها وخرجها واتبرى * حين جامول الدار وعاد ليه ماصار
باعها وهنا راسو وابرا * وسار يغنم زهوا اياموا مع الخنار
ومثلها قصيدة «الزمنية والعصرية» لحسن اليعقوبي ، وحربتها :

آش را من لارا لبنات يوم قاموا لكحار (1)

زوج هيفات اصغار

شابا عصريا وامع الحاجبا فالجورا

وفيها نجد ثريا «العصرية» تتهم هنية «الزمنية» بالامية والتأخر ،
لم تذهب مثلها للمدرسة ولم تحضر المجالس ، مشغولة بأعراض الناس تشتم
وتغتتاب ، ولكن هنية ترد بأن محاورتها غير مؤدبة وبأنها مشغولة بدفاترها
ودهن شعرها المخلوق وتسريحه ، لباسها بعيد عن الوقار ، سافرة الوجه ،
عارية الرأس ، لاتعرف شيئا عن الطبخ وشؤون البيت :

نسمع العصريا اتقول للزمنيا

يا جارتى اهنيا

سمعى منسى اخبار

من يوم اسكنت احداى جارا وانتيا فاشفار

يا حسبى لله سالبا بخصامك جمع لفكار

عمرك ماشفت اتقول شى مدرسا

اولا حضرت مجالسا

ولا اهواتك الدراسا

ايلا اهواتك

بك اعوار الناس جارحا بالسانك

فاتا لقياس

(1) الخصام .

مشغولا بيا
اولا العنت شيطانك الشيرير
خوذيني تصفاك تتشتمى فيا
جهر ابلأ اخفيا
فالسنا تاعت لعشيا
عند اغروب النهار
قالوا للشتامنا النار
بالسانك قلت اعلى الشكارا (I)
مصحوبا ديما امعايا
ممليا ابلكتوب عل لفتخار
سابقا بالمعيار
كابرا اميا فالسب ولغتب والنزورا
لالك المدرسيا فايقا عل لبكار
يا تسمعى لخيار
يالزمنيا غشميا اموخرا للورا
قالت الزمنيا بجهار
يا لعصريا هذا عمار
ياك حق الجار اعلى الجار
ما عرفت كود الهدرا (2) اعلى الشكارا
قمت كسرا
وزايدنها اتفلقى ابلحجار
مخصوصا ادب يالشبانيا
يارهط البويا
مشطونا ابلشعار
السانك مطلق ما عرفت مونا
ولا اعجنتك معجوننا

ومع اكنانشك مشطونا
طول النهار
أنا زمنيا او حاجبا فى دارى
وامع الشغال طول انهارى
ليا اصغى
انت ديما امقربا
صايا والمحزم امع اقويمجا درى شتما امجيفك
اكريفيطا خانقك
وانعلا محسوب صاندالا
للخرجا والدخول
شرع الله امعاك يالعصريا
مادرت اصواب ليا
فالشعر امحلقاه تيا
دون لغراض لقصار
حتى الراس امع لوجه باين
لادرا لانكباب
قالوها مثلا اعلى ابخالك
خرجى سوق الزحام
آش اتعرفى فالطبانخ
طجين امحمر ابلفراخ
ولا ميدا ولا مخرقا
ولا بسطيللا امورقا
لاقورما لا محنشا اشغل الدار
زايداهها تعفار
ماتعرفى لشغال الدار
حتى دورا
آش غير الدهنا والراس حالقالو لشعار

امخالفنا للآثار

فالسوالف نظرا

ماهى ابحال يتورا

ونجيب العصرية بأنها مهتمة بالتعلم وطى مراحل الدراسة ؛ فلم تجد الزمنية غير التركيز على مظهر العصرية الذي لاثرا لاثقا وعلى معرفة الطبخ وشؤون البيت لاسيما ان جاءها ضيوف فانها تعجز عن تهيب الطعام وتأخذهم الى المطاعم . ولكن العصرية ترد بأنها مثقفة وأن الطبخ من اختصاص الخادمة التى تثقن كل أنواع الطهى ، وتخبرها بان خطيبها راض عنها تخرج معه وقد تعرفت الى أهله وتعرف الى أهلها . وتدعوها الى ان تخرج من غمة الدار وتصاحبها فى فسحة بالسيارة لتزور مدرستها . وتؤكد الزمنية أنها محجبة تتبع العادة وأنها بذلك سعيدة ؛ وهى كذلك مخطوبة ولكن على الطريقة التقليدية حيث لم ينظر اليها خطيبها ولم تنظر اليه بعد ، يقول أهلها انه شاب صغير ومن خيرة الناس ، وقد خطبها فى البيت وتولى أبوها الامر وهو يبعث لها بالهدايا فى الاعياد . ويتدخل الشيخ الجار فيصلح ما بينهما ويصارع الزمنية بضرورة مسايرة العصر ومحو الامية ، وينبه العصرية الى ضرورة تعلم شؤون البيت . ثم يعود اليهما بعد سنة ليجدهما عملتا بوصيته فتحضر له العصرية مائدة اكل شهية وتنسخ له الزمنية أقسام القصيدة .

ومن الخصام المعتاد مانجد فى محاوره بين العروس وحمااتها ، وهى محاوره لم نوفق للتعرف الى صاحبها ، تقول حربة القصيدة :

ماعطمها فالزمان قصا سارت يافاهم لخطاب

بخصام اكثير خرق عادا بين اعكوزا وشابا

فالعروس تعير الحماة العجوز بكبر السن وضعف العقل والغيرة

وتوعو عليها بألوان من العلل والامراض قبل ان تموت ، بضعف البصر

والبرد وداء الجانبين والحمى والمرض الخبيث . فقد انحنى ظهرها وشاب

رأسها وخلا فمها الا من ناب ومع ذلك مازالت نار الرجال تلتهم اعضاءها :

قالت للشايبا اكبرت واهترت يالعايبا

غرّتى اكرفت لعكايز منى يعطيك الضباب ^{٢٥} والورد اعلست الجساب
والحمى واخييت يديوك للروضا امعابا
بعد ميختك ظهرك احنا والراس لك شاب ■ فمك ماعسه غير ناب
مازال ياخلاك نار الرجل فاعضاك تاكبا
وتحيبها الحماة لتطعن فى عرضها ، داعية عليها بانقسطاع الرجاء
فكثيرا ماوعظتها ولكنها لم تنتبه من عماها ، كانت تريد ان تشتغل فى
البيت كما يفعل من هن خير منها ، وتقنع بالواقع ونحمد الله عساه تعالى
يرضى عنها كما رضيت هى عنها عروسا لولدها ، على الرغم من أن طالعتها
ان شرمها على البيت حيث ضاق العيش وارتفع الخير وشاب رأس ابنها
لسبب ، ولكنها كلبة لانتعظ طالما ان قلبها ميت سود ، وطالما انها لم
سوف دينها :

نسمع نالساينا ونطقنت ■ قالت لبيت كيتك
عدمنى عروسة لمسمت ■ يقطع ربي رجيتك
اعيت الـرت وانجحت ■ ماعسى اس اعمينك
معيت اعليك فلت وش امبى اعرت لكلا ■ وانكونى من اهل الـراب
واتعرف بين الزمان ابوانو يالساينا
ماخدمى كيف لالياتك وانقبى ابما اكتاب ■ وانجمدى عائق الرتاب
او طلييه يقبل اعلينا ويهون كل صعبا
كيف اقبلنا اعليك بعد اعرفنا اقدمك الزغاب ■
مللى حصروا الحير غاب
وارضيना ابلقضا وقلنا لاهرب من لكابا
ادويت امعاك باللطافا من جارب وقلنا اصعاب ■
والولد اصغير كيف شاب
نبغيك اتساعفيه واتكافى من دى لمعابا
وامنين شفت قلبك ميت اكل اامن اغراب ■
والظن اللى انويت خاب
احرام اعليك يالكلبا دينك ابلا امراتبا

وترى العروس فى ردها انها لو لم تستح من شيب الحماة للطمثها ،
وأن كبر السن معدن كل العيوب وأن الخدمة والكنس لا يليقان بها
وبمئيلاتها من الشواب ، وأن شغل البيت من واجب الحماة ، فهى تخرج
بلا لثام ، وعليها ان تنفق فى السوق وتطبخ وتقدم الطاس (I) وتحضر
المائدة . اما هى فتتعمع مع زوجها فى مجالس الاستمتاع متزينة فوق الفراش
وعلى ضوء الشمع وأمامهما صينية الشاى يتساقيان فى سلو وتيه وضحك
وملاعبة . واذا ما شئت الخروج للحمام أو الذهاب لفرح عند الاصهار فان
العجوز تسير خلفها حاملة لها رزمة الملابس على ظهرها كما تفعل
غيرها من العجائز :

نسمع فالبنت ابغير دهشا ■ للشايبا وقالت ابصوت الهيب
ماحق اعليك غير طرشا ■ لولا استحيت امن الشيب
ولاينى يالشاخشا ■ لكبر معدن كل عيب
آش ابقى لى اىلا اخدمتك قولى حشمت بالشواب (2) ■

واتهون انشطب الرحاب

ولانرضى انكون لك خادم ياعجب لمعاجبا

انت بعد اىلابقيت سهم الخرجا اىلا نقاب ■

والمقضييا والطيب

وارفود الطاس يتبع الميدا واعليك واجبا

ونا فامجالس امع ولدك فوق لفراش بالشواب ■

واعلى الماكول والشراب

والشمعا شاعلا افبيتى والصينيا امرتبا

ترا نسقيه ويسقيني بتاى اعجيب افلكواب ■

ترا نسلوا ابلحجاب

ترا بالتية واخناات منى ترا ضحك واملاعبا

(I) آنية غسل اليدين قبل الاكل وبعده

(2) جلبت لهن العار ، من الحشومة بمعنى العار ، وهى كذلك بمعنى الحياء

انهار ايلض لى الحمام واحضور افراح النساب ■
وايلا كنت امسن اللباب

تتبعينى ابحال لعكايز بالرزما امراكبا
وتسير المحاورة على هذا النمط فى تبادل الشتائم ، تحاول الحماة ان
تحط من شأن العروس والطعن فى أخلاقها ومستوى أسرتها وأن تقنع ابنها
بضرورة طلاقها لتخطب له غيرها . وتردد العروس بألوان من السباب
نستوحياها من الشيخوخة وآثارها المادية والنفسية على الحماة . ثم يتدخل
الولد بعد أن حار فى الامر وكأنه يصارع ألف امرأة وبعد أن بكى وقرأ ولعن
الشیطان ، فينحني أمام أمه ، يدها خلف ظهره وخده فى التراب معترفا لها
بأنه لها عبد ، ولكنها أحرقته بالحطب والنار ، وذلك جزاء كل من يساعف
زوجته وتهون أمه عليه وتغلبه نفسه ، وهو يفضل أن يؤدي فى الدنيا
ويزيل غضب امه ويريحها على أن يظل متابعا فى الآخرة ليعاقب شر عقاب .
فكان ان لانت الام وحنّت وزال عنها كل كرب . ثم التفت الى العروس
بحزم ونظر اليها بعينين ملتهبتين ، فاعتذرت لوالدته ورجتها ان تفك رقبتها
من العقاب وأكدت لها انها تائبة الى الله وأن اسلامها سيتم ويحسن على
بدها :

طاح الولد يبكى ويقرأ ■ ويلعن المارد الرجيم
ويحك اعمامته ابقهرا ■ وادموعو ساكبا ابيضيم
واتقول اتلقى ابالف امرا ■ والعز ابوجهك لكريم

اينادى بعد مد ايديه اوراه اوخذ اعلى التراب ■
العبد اوكل ما اكساب

انا مكسوب عبد يالميما (I) وانت الكاسب
احرقتنى ياميمنى فالدنيا بالنار ولحطاب ■
يستاهل امن اخلا وساب
واسعف امراتو وهان بمو والنفس اعليه غالبا

اللهم انخلص اهلنا وانقول اصفنا من لغضاب ■

خاطرك ولا بقى اعناب

ولا نبقي الاخرى نتعافى شر المعافيا

■ حنت وارطابت لميما وزال من خاطري لكراب

واهلنا من بعد التعاب

واتلفت اقلما بقلب امصم واعيون لاهبا

■ زاوكت فمو وقالت لها عنقى رقبا من لعقاب

منفعا واجر والسواب

واليوم انا اعلى ايديك اسلمت ولله باب

وقد تتعدد المحاورات فى قصيدة واحدة على حدة ما نجد فى «الخصام بين عشر جوار» لابن داوود ، وهى عبارة عن خمس محاورات ثمانية تدور بين البيضاء والسمراء ، والطويلة والقصيرة ، والسمينة والنعيفة ، والحضرية والبدوية ، والشابة والعجوز . وهى فى الواقع مجموعة محاورات مستقلة لا يخرج الحوار فيها من الثنائية الى نطاق واسع تتعدد فيه الاطراف كما يتبادر من التسمية

تبدأ البيضاء فتفخر بأن لونها كالعاج وجسمها كقطعة قطن فى يد النساج وبأن بين البياض والسواد مثل ما بين اللبن والتمار ، والوسخ والنظافة ، وبأن السواد شبيه بالقار :

لونى ابيض اكما السعاج ■ بدنى اكما انقدان بينين انساج

■ بين لبياض وبين لسواد ادراج ■ مثل الدهر السراج

■ انظر تفكرت فالتوب المجلوب ■ صاحب لبياض محبوب

■ وما السواد من راد ينسقى ■ باطل كذاك يشقى

■ وانت لونك يحكى للقار ■ واديت (I) ياسودا تعاندينى

فتجيبها السمراء بأن لونها كلون الخمر فى الزجاج وكما الذهب يكتب

به التاج ، أما العاج فليست تنقش به غير القباقيب ، وفي البياض خمسة
كلها بارد وثقيل هي الملح والجير والرخام والعاج والقداد (I) ، تداس
مبخوسة الثمن بالاقدام ، وليس يسام غالبا غير الاسمر كالعسل والدم
ونسك والعنبر والتبر والبرهمان ، ولولا السواد في العين ما نظرت الى الدنيا
يشرق اكما الحمر في قطعان الزاج ■ نسما وطيبا واعلاج
وبماء الذهب كينكتب التاج ■ ونقش لقبائب العاج
ماريت افلبياض سوى خمسا ■ معروفين بالثقل ولبراد
ملح وجير به تكسا ■ وارخام وعاج فالبياض اقداد
مبخوسين او قلها بخسا ■ تحت لقدام اجرعوا النكاد
وارفاعت لسوام * تعرف للاسمر
شهد لعسل وامدام * والمسك والعنبر
والتبر حين يغنام * والبرهمان لحمر

لولا السواد فالعين ■ ماترمقى السدنيا
وتفخر السمينه بأنها ان جلست اشبهت جيشا وان مشيت تبخترت
كمركب محمل موسوق ، جمالها شحمها والشحم معشوق ، لاتحتاج الى
رداء او كساء ، ولحم السمين لذيق في حين ان لحم الهزيل مذموم مردود
ليس غير عظام وجلود . وأما النحيفة فكالقطة يبيت زوجها في قنط وهم
ونكد كأنه يغسل الموتى لايلمس غير العظام والجلود ، وهي تستغرب له
كيف ينال منها مقصوده :

تمشى مثل المركب الموسوق ■ ويذا نجلس كنى امحلا
زينى شحمى والشحم معشوق ■ مانحتاج اردا اولا اجلا (2)
لحم السمين ملذوذ ■ واما لهزيل مردود
مارج اعظام واجلود

وانت يارقيا مثل القطا ■ زوجك انراه افقنطا

(I) لم يوضح لنا معنى هذه الكلمة
(2) الكساء

ايبات فلى مرتبا ❁ هايم اهميم منكود
يغسل الموتى ❁ يلمس اعظام وجلود
عجبنى وكيف حتى ؟، يبلغ امعاك مقصود

فترد. النحيقة بأنه شتان ما بين الغزاة والناقة ، وبأن السيف لولا
رقتة ما قطع ، وبأنها لطيفة ظريفة الطبع . أما السمينة فلا طعم لها ، يكفى
أن يعرق جسمها قليلا ليحمض :

كان هي لغزالا تشبه الجملا ■ او افلحضور اتجلا

...

وامن الرقا السيف كا يقطع ■ ويشطر كل من صادف بدنو
منى هيا اللطافا ■ والطبع والظرافا
ياصاحبت لغلافا

وانت باسلا تشبه للزقا ■ تحماض ابقل عرقا
وتفخر الطويلة بقدها الذى يغار منه البند والرمح ، وتشبه القصيرة
بكيس كائس لحفاة الملتصقة بارض او القردة تتدحرج فى مشيها ، وتستشهد
بما يقال من أن الكامل الوافى فى الناس لا يغدر وأن الناقص مستعد للغدر
وأن الكامل من الثياب يستر والناقص يكشف العورة :

نطقت الطويلا قالت بالشدا ■ مثلى ايصول بالقدا
منى اغير بين القامات البند ■ والرمح كيف ينحد

...

ومانت ياقصيرا خنشا ■ مثل الفكرون فالتراب يحبو
فمشيك اتدردب ■ كنك قردا

اسمع قول الناس واستعبر ■ واتأمل فيه انخبرك خبرا
الوافى فالناس ما يغدر ■ والناقص تزيان لو الغدرا
والوافى فالثياب كيستر ■ واللى ناقص يكشف العورا
فترد القصيرة تشبه قامة محاورتها بقامة الزرافة وبأنها تدور
كالمروحة حين تهب الريح ، وتفخر عليها بأن السهم على قصره يذهب ابعده
من الرمح ، وبأنها لا تكلف زوجها كثيرا فى المأكل والملبس فيبيت فرحا ،

وبأن فى القصر النقاء والطلاوة والذكاء وخفة الطبع ، وبأن الطويلة سرعان ما يصيبها الحذب :

بالريح كاتدور مثل الرفرافا ■ باقامت الررافا
السهم شبر هدى ■ حصلات كيودى
اعلى الرمح كيعدى
أنا فاكلى واكسونى نرفق ■ بالراجل وانبيتو فرحان
لقصر فيه انقاوا ■ والطبع والذكاوا
بانى اعليه اطلوا

وتفخر المدنية على البدوية بأنها ليست مثلها تدير الرحى وتنم على التبن وتخرج للقطف فى الصيف وتمخض اللبن ، وتعيها بأن العرب مكشوفون دائمو العذاب والشقاء ، وتفخر عليها بأداء الصلاة واقامة مختلف شعائر الدين وبنقاء الثياب وستر الوجوه :

مانطحن ارحى ما انبات فاغبين ■ مانرقد اعلى اتبن
مانحترقو فالصيف باللقطا ■ ماندحاو امع امخيض شكوات

...

لعرب مكشوفين ■ فاشقا اكثير واعذاب
واحنا الصلا والدين ■ وانقاوت لثياب
بوجوه مستورين ■ عن لعيون فاحجاب

وتجيب البدوية بأن جمالها معروف يشار اليه لايحتاج الى لثام او سراويل ، يشرق جسمها كالياقوت أو الذهب ، وهى ليست كمعيرتها صفراء توشك أن تموت شبيهة بأعشاب الظل سرعان ماتذبلى حين تهب الريح . ثم ان سكان البادية يقضون اوقاتهم فى الصيد والحفلات ، يعمرون الخلوات ويؤمنون الخائف . ومن راح ضيفا عندهم لابد وأن يبيت ، يتنافسوا فى الفروسية واقتناء الذهب والخيول ولا يعرفون غير السخاء والاحسان والكرم والصدق :

العربيا زينها مننعوت ■ ماتحتاج الثام اولا اسراول
وابدنها يشرق اكما الياقوت ■ او الذهب النايير الشعال

وإما أنت يا صغرى قربت اتموت ■ اربيع الظل ابلهوا يذبال

...

بالصيد والفرجات ■ كنتقطعوا الازمان

وانعمرو الخلسوات ■ وانأمنو الحوفان

واللى ايروح ايبات ■ من سابر الصيفان

نتعاند عل الكادا والمركوب ■ والذهب نونى لركوب

والسحا ولحسان ولكرام وصدقا ■ نزلوا جميع رفقا

وننخر العجوز على الشابة بأنها لم تعد تلد فأراحت نفسها وزوجها

من هم الرضاع وبكاء الصغار ، طعمها لذيد يشتهيها الذوق شبيبها بطعم

التين الذى لا يحلو الا بعد ييسه ، ثم ان القادة والفرسان لا يركبون الجذع

الصغير ويفضلون عليه الفرس المكتملة يذهبون بها للمبيت فى أى مكان :

اقتطعت الولدا واتهنسيت ■ واتنها زوجى وصبت امنائى

مانكسب غير الزبون فالبيت ■ ماعندى مصاص ولا زواى

...

طعمى الذيد وابنين ■ للذوق فيه شهوا

...

ماكتراشى (I) التين ■ يحلا اذا يلوا

...

القدوات اضراغم الفرسان ■ افرسان الحرب والحملات

ماقط ارضوا يركبوا الجدعان ■ قالوا لك فامثالهم كلمات

اركب كارج ايبيتك فرحان ■ لاین ماعولت به اتبات

فتجيبها الشابة معيرة اياها بالتجاعيد ، تدعوها للنظر فى عيني

واسنان كل منهما ، وفى جيدها الذى تغار منه الغزالة ، والوجه المضيء

والجبين الواضح وثغرها الشبيه بالشهد وريقها الشبيه بدمام معسول ،

أما العجوز فان طبعها شرس نخر وكذلك قولها والفعل ، كما أن السم

يخالط جسمها ، وريقها مهلك ، ثم ان الناس لا يمدحون غير الفتى الصغير

سواء فى نبات أو مأكول ، أما غيره فيحطب وتوقد به النار ، ومعروف ان

العجائز لا يدخلن الجنة (I) ؛ وان الكبر مذلة ومرض اولى منه القبر ، وليس
يحمد الكبر فى غير الدنائير :

قالت لها الصغيرا كيف اتشبهنى ■ باكما شك المتنى
انظر اترا العينك وانظر العينى ■ وانظر اترالسبك وانظر السنى

والجيد منو غارت الرشا ■ والوجه ايلوح ولجين اصباح
والمرششف شاهسد ويغشى ■ والريق امدام فى اعسل لجباح
طبعك اقبيح امسوس ■ فوذك امع افعلك

السم فيك مدسوس ■ ريقك كيهلك

اجميع ماهو افتى مشكور ■ فاجميع انبات الارض والمأكول
فالقاح الارض كلها واشجور ■ كل فتى منها ايصول وايقول
والشارف يحطب بالشاقور ■ يصلح للنار اشهير معقول
واللى اعجوز قطعى ■ ماتدخل للجنه
لكبر فيه امذلا ■ ومرض ابغير علا
لقبر به اولى

ماهو لكبير املح الا فالمضروب ■ مسكوك اموهوب

ملاحظة :

بلغ ولوع الشاعر الشعبى بفن الخصام انه لم يقصره على الاشخاص
وانما تخيله فى النبات والحيوان والجماد وبعض مظاهر الكون . وقد سبق
أن عرضنا لخصام بين الورد والازهار (2) ، ونريد ان نقف قليلا عند
ألوان الخصام الاخرى

فمن الخصام بين الطيور مايقدمه محمد بن على المسفيوى فى البستان
حيث يعرض لمحاورة بين أم الحسن والكنار . فأم الحسن تنهم الكنار بأنه

(I) اشارة للحديث النبوى الشريف «اما علمت ان العجائز لا يدخلن الجنة»
يعنى انهن يدخلنها شابات
(2) انظر الفصل الاول من هذا الباب

يحسدها لجمالها ويعيرها بين الطيور ، وبأن محاولاته في التقرب اليها
لن تجديه ، وسيظل جسمه يحترق بنار الاكدار تبدو آثارها على وجهه
الذابل المصفر من هجره لوطنه ، فقد أصابه الغرور وحضر الى بلدها
يسعى الى المجد ولكنه لم يدركه ، وهو شقى أسير مقصوص الجناح مسقوم
الذات ، ومع ذلك يريد ان يبرز عليها ويتفوق :

ابغضتني واشمتني بالعار من لطيور

ليس انفعتك في امحبتى تحزار

مكواك في جسمك نار

ومن لكدار

عن جسمك لون الضنا ولصفرار

ومن لغرور

جيت لبلادى ولا دركت شان

ولا عمرت بك اوطان

في كل آن

تصفار وتبدال ابلهجر يرقان

.....

طول ايامك افلشقا امع السجنان

أسير عادم الجنحان

حتى لبدان

مسقوما وانت اتعول يا ولهان

عنى اتران

ويجيها الكنار بأنه يعذر في حاله لان العشق وهوى الفاتنات هما
سبب الهموم الساكنة في جسمه ، فقد اتى به صغيرا من بلاد العجم
وأدرك مقاما رفيعا لترنمه بالانغام في أوقات السرور والهناء ، حيث يتصدر
مجالس الانس كالسلطان تحيط به الفاتنات والفتيان ، يهديهم الحنان
ويرحبون بأنغامه المتفنتة :

دار لهموم لوكان اتعرفى الساكنة افلجسام

فامصايب لعشق وانغرام
بهوى اليريام
اتعذرى حالى اولا تزييد اكلام
ليا اتروم
جابونى ونا صغير من لعجام
وادركت اعلو وامقام
طول السدوام
كانلاغى وقت لهنا ابكل انغام
ولا انغام

.

تلقانى وسط لبساط كالسلطان
بين اليريام وشبان
نهدي احنان
واكذاك فى شغلى ابغيت اليتقان
قالوا اهـلان

وتنطق ام الحسن بعد هذا تعيره بأن قلبه فى حريق وضيق ، لم
يجد من رفاقه من يشفق عليه ، أخذ بحيلة وسجن وعزل عن وطنه ، لاصديق
له بين الطيور ، هائم فى قفصه دائم الظمأ والجوع متغير الالوان

قلبك امن اجفاك احريق
وانت افضيىق
ويحك ما صبت اليوم قلب اشفيق
بين الرفاق
سجنوك ابحىلا اولا ايليك تدريق
مالك فالطيور اصديق
ولا ارفيىق
عن وطنك معزول ماتعرف اطريق

.

وانت ياعجمى اعلى لبدا ظمآن

بالجوع انحف عيان

واعلى اللوان تختلف وانت افلقفص هيمان

وسط لعفان

وبرد الكنار معيرا محاورته بأن وجهها أسود كقالبها ، تخرج فى
الليل شبيلة بالجان :

وجهك اكحل ابحال قلبك

وايلا ايبان الليل تخرج انت من لفظان

امثيل جان

ثم يتدخل السمريس ويصلح بينهما ذات البين

ومن الخصام بين الجمادات مذهب اليه خيال الحاج محمد بن

عمر المراكشى حيث تمثل حوارا بين القلة والغراف فى قصيدته التى يقول
فى حريتها :

اخصام اكثير أفاهمين نوضح شلا يوصف ■ والكلا والغراف ■ داروا
باتنين اخصوما

باتوا فالمعيار مارتاوا اولاهم قصصروا

وفيهما يقول على لسان الغراف يعير القلة دون خوف بأنها غدت زائدة
لايحتاج اليها بعد ان استغنى الناس عنها بالخابى التى تملأ بالماء وتبخر
بالعود ، وهى لم تشاهد الركوات المختلفة الاصناف تحمل فى همة وشأن
متبختره على البغال لتملا وقد وقف عندها الحراس :

نسمع فالغراف ■ قال فاجوابو ولا خاف ■ للكلا فالتعاف

شيطت يامدموما

لخابى بالما كايعمرو ■ بالعود اتبخرو ■ ماشفت ركوا اولاهم انظرت
عمرى وقاف

عندو ركوات اصناف

درکوا هما واحکوما ■ دايم عل لبغال كيعمرو ■ بالما يتبخترو

وترد القلة بأنه اولى بالغراف أن يخجل وقد استغنى الناس عنه

بعراريف الخزف والبلور الجديدة (I) المحيرة ، شهي العين ان تراها
زينة في الدور الكبيرة تقدم في المناسبات . أما الغراريف مثله فملقاة في
المناجح شطايا معيفة :

«أوبت الكلا اسريع قالت هذا الغراف ■ من شيط ياعراف ■ ماجاتوشي
حشوميا»

ماشاف اغراف ادلبديع وبيلار ابجيرو

«... مهمما اتشوفهم فيهم مايتشاف ■ ...» (2) «...» (2) عند
الكبراء مضموميا

في ساعت لفراح بستنا (3) حاشا مايبوجرو

«...» (3) «...» (3) ماين اشقاف ■ ...» (3) طارت
منو شافوما

تركوه استغناو ابلغراف الا ينقيرو

ومن أروع الخصام بين مظاهر الكون مايتحفنا به العيساوي الفلوس
في قصيدة «النجمة» التي تصور الصراع (4) عاينها بين الليل والنهار ،
يقول في حريتها :

سمموا حصار ماجرا للضي البهيم

عن حسن النجما اتحاربو في ساير لاكم

وانصار الضي وحازها الرسمو وانزاح اللوم

وهي في الحقيقة قصيدة رمز الشاعر فيها بالنجمة للحريية وبالليل
بالاستعمار وبالنهار للوطن . فقد اشتد حزن الليل وبكاؤه وأينيه وطال
السمير ، وسأله قومه عن سبب حاله فأجابهم بأنه أحنفاء النجمة وهجرها

1. المقصود في المحاورة الغراف المصنوع من الفخار

(2) النجمة من الدخيل الفرنسي ، بمعنى جديد

(3) بمعنى زينة وهي من الدخيل

(4) سبق أن رأينا في الفصل السابق ألوانا من الصراع بين بعض مظاهر
الكون وخاصة بين الليل والنهار ولكنه لم يكن فيه خصام وحوار
كهذا الذي تمثل به

له ، واستغربوا لذلك وقد ضم تحت اجنحته كل النجوم وطلبوا منه اسمها
ونعتها فرد عليهم بأنها الحرية لاتخفى ، يريد أن يذهب اليها فى أى أرض
أو بحر تكون ، فقالوا له انها كانت من قبل فى القيروان ؛
والليل أقرا حزنو من الجفنى ■ كيهدر ويزيم ■ قالوا ناسو اشبيك
خبرنا يالهمام

قال لهم النجما اخفات عنى ■ واهجرت النوم

قالوا لو جمع النجوم ■ تحت اجناحك لفحيم

واتقول النجما اخفات لك يا صاحب لحكام

ورالنا سمها ونعتها لاتبقى مهموم

قال الحريا ابلا اخفا سماها لعظيم

فاشمس ارض اكون اولمافا بحور رسام

قالوا فالقيروان قاطنا كانت قبل اليوم

وذهب مسرعا الى القيروان وسائر بلاد تونس فلم يعثر لها على اثر ،
وبعث جواسيسه يبحثون عنها فى كل مكان ، وطالت به السنون ينتظر
وهو مهموم حزين . ثم جاءه الخبر بانها فى حوزة النهار حيث يوجد سلطان
فى المغرب يمتطى جوادا ملجما مستعدا بجيشه للقتال . فتاقت لها نفسه
وهيأ جيشه كذلك ، وكانت مقابلة كاد فيها سلطان النهار ان يأتى على الليل
بسيفه ، وخاطبه بأن طالب الحرية ينبغى ان يكون فارسا مقداما وانه هو
صاحبها منذ اليوم :

جاو الجساس جمع قالوا لو يالغريم * جينا خبر النجما انتيا فارس ضرغام

حاجبها مير الضيا افرسمو وانت مغموم

اوجدنا سلطان فالضيا دون شكا فالغرب امكيم *

وجندو للحرب واجدا بالرماح ولحسام

واهمام الضى اشجيع عن اجوادو امسرج ملجوم

قال الداج ابغير توقار * لا بد ما نحور النجما بسقارو

لوطال الحرب اقليل وانهار * عندى اجنود هما للحرب اصهار

قام الضى ابسيف بتار * واهوا على الداج كاد يقطع اتارو

واخرج سلطان الضى للوغى ندا يا لبهيم *

من راد الحزيا ايكون فارس حربى زطام

انا مول النجما اليوم ولا من بعد اليوم

ورضى الليل بالهزيمة وسلم أمر النجمة للنهار الذى عفا عنه وامره

بالرحيل ، ولكن الليل امهله ورجاه أن يكون له عبدا يخدمه فى كل شىء ،

فوافقته النهار ، على أن تعقد بينهما شروط تحدد مدة اقامته وتعود على

البلد بالخير (I) :

انطق الداج وقال للضى انا لك اخديم * وانتظم لحوال كلها كعادت لغلام

أمر بجميع ما تريد انفعلو محتوم

وادوا الضى وقال للدجا هذا الامر الزيم *

خبرنى لصلاح ارضنا شيقذك من عام

قال هك هوام ياما بالشرط المبروم

ولكن الليل لم يلبث ان تنكر للاتفاق وغدا يحشد جيوشه ويقوى

مركزه فى الساحل والداخل ويكسب له اعوانا يتقوى بهم ، فما كان من

سلطان النهار الا أن ارسل له كتابا يستفسره عن هذه الحشود ، فأجاب

الذيل بانه يسعى بكامل استعدادده لحياسة النجمة التى طالما بحث عنها

ولاقي الهموم والاهوال فى سبيلها ، ورد النهار بان نجم الحرية فى أرضه

مند الف عام كما يشهد التاريخ :

احرك الليل وجا على لبحر كيرحل ويقيم *

وانزل فالساحل كيف ماذكرت وزاد القدام

واعمل صدقان احدها واصبح شملو ملموم *

واخرج سلطان الضى فى امجال كفجر ابسيم

وارسل للداج اكتاب بالصواب وحسن لنقام *

قالوا شتريد افارضنا لاش اجمعتى د القوم

وادوا لبهيم وقال جيت للنجما بالتقويم *

هذى مدا جوال عنها فالعرب وعجام

واحجبتها عنى وحجتها خسلانى مهموم *

(I) اشارة الى عقد الحماية المبرم مع فرنسا سنة 1912

خبرنا بالنجما الى اعشقتى حتى نفهام *
وانطق سلطان انضى للدجا قالوا يالتيهم
قال الحريا اغرامها فى قلبى مرسوم

قال اهمام الضى للدجا ياك الكذب اذميم *
نجم الحريا افارضنا هذى الف عام
طلع لتاريخ الغرب شاهد اعلىنا كم ارسوم *

وهيات الظروف لليل فحكم بسلطانه البلاد مستويا على خير بها
طاغيا ومتجبرا ، يقتل ويسجن ويطرده ويشرد ، واحس النهار بقومه ثابتين
واعين لقضيتهم فدعاهم الى ضرورة الاستعداد للانتقام وتخليص البلاد من
الليل الخائن ، فاستجابوا ، طائعين لاوامره واعتبروا انفسهم حماة الشعب
مستعدين للتضحية بالارواح . واعترف لهم سلطان النهار بهذه الشجاعة
المعهودة فيهم يوم البراز . ولكنه نصحهم بان ينهضوا للتعليم وان يطيعوا
راى زعيمهم :

فاق اهمام الضى بالدجا خوان امن اقديم
واثبت اليخلاص امن اقوامو وافجا لغيام
واعرف ما دار الدجا من مكر لله مضميوم

واخرج من حجاب الكباح محرم نحرهم
شار اعلى قومو الخالصين يشدو لحزام
بلسان الحال ادوا وقال لهم اليوم المضميوم

...

قائوا قوم الضى لاخفا قولك قول احكيم
احنا لك ارعيا ابلا اشو الركابك خدام
امرنا واتشوف منا ما يفجى اهموم

نحن حماة الشعب دون شك خدام واخديسم
نحن لشبال اشهود عندنا قالتاريخ العام
ليس انبخلو بروحنا اعلى ذا الشعب المضميوم

قال اهتمم الضى للرعيـا بلسان احليم
ندريكـم افساعتـ لـو غامـا تخشـاو آلام
انتم المخلصين امن الصبا مانا جاحدكموم

لكن خذوا وصيتي بهضوا للتعليم
تبعوا رأى الزعيم صاحب الفكر واهتمام
هذى روى وأرواحكم هذا العارف يا قوم



الفصل الرابع

في

حمى الله والرسول

ليس غريبا والشعر الشعبي مرآة تنعكس عليها نفس منشئيه ومردديه ، وان فى غير وضوح وصفاء ، وليس غريبا كذلك وهذا الشعريفوم بوظيفة — ولو محدودة — فى نطاق التوعية الروحية والتعبير عن شعور الجماهير الدينى ، أن تكون الملائح النبوية والتوسلات من أغنى الموضوعات التى شغلت ذهن الزجال المغربى وملأت قلبه وعقله . فافاض فى القول كاشفا عن خالص حبه للرسول عليه السلام ، مادحا ومصليا ومتوسلا ، ليس له من غاية غير زيارة قبره والتملى بمشاهدة نوره عساه يكسب عطفه وينال شفاعته ويعتشر فى زمرته يوم القيامة .

وقد سبق أن رأينا فى أول الفصل السابق أن الشاعر الشعبي ابتعد عن فن المدح الا ما كان منه فى الرسول عليه السلام فانه انطلق فيه ، الى حدان تسمية المدح أو «المداحى» لا تعنى عنده غير المديح النبوى .

ولم يكتف الشاعر الشعبي بارتضاء القول فى المديح النبوى ، وانما جعل منه فنا قائم الكيان ناضج الصور مكتمل الخصائص ، تناول فيه سيرة الرسول بما فيها من صفات وشماثل ومعجزات ، عرض قصصها فى قصائد أطلق عليها المعراج و «الخلوق» اى ميلاد الرسول ، و «الوفاة» يعنى وفاته عليه السلام . وقد يتناولها عرضا فى قصائد التوسل والقصائد التى سماها « هول القيامة » حيث يتحدث عن شفاعته الرسول فى أمته ، وفى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة والشوق لزيارتها ، وهى قصائد يمتزج فيها ذكر هذه الاماكن بالحديث عن الحب والوجد . كذلك غدا انتوسل غرضا مستغلا مقصودا لذاته مستوية معانيه ، وان اتى عرضا فى قصائد المديح .

وكما حبذ مدح النبى فكذلك حبذ مدح ابنته فاطمة وحفيديه الحسن والحسين ومدح الاولياء والصالحين تبركا بمقاماتهم وكرامتهم وتوسلا بها الى الله .

وكانت المواسم الدينية - وخاصة ذكرى المولد النبوى والمولد الطرقي - أعظم مناسبة لانشاد هذه القصائد . وكان ضريح سيدى فرج بفاس ، منذ منتصف القرن العاشر (I) حتى اليوم ، من اهم ملتقيات حفاظ الملحنون فى ذكرى مولد الرسول ، تسرد (2) فيه القصائد التى تحكى قصة السيرة وخاصة منها المطولات التى يندر تداولها ويقل اقبال الناس عليها ، والغالب ألا تلقى فى هذا المحفل غير قصائد كبار الاشياخ أمثال المغراوى والنجار وابن على وغيرهم من أعلام الفن .

حب الرسول

عبر الشاعر الشعبى عن حبه الصادق للرسول ، فبدت فى تعبيره بعض سمات الحب المعروفة فى شعر الغزل والفراق والهجر والحنين والبكاء، تعلوها مسحة من روحية المعنى وسمو العاطفة ، وتتخللها بعض الانفعالات والمواجيد البسيطة الساذجة .

فحب الرسول عند النجار علاج للقلب لا يستطيع طبيب أن يداوى
بغيره :

يا مسعدنا به حب للقلب * اعلاج لا امداوى من غير ادواء

اشتعلت نار غرامه واتقدت فى صميم مهجته فلا يطفئها موج البحر
الزاهر لو فاض ، وبكت عينه من الشوق حتى رسمت دموعه سطرين
على الخد ، وغاب النوم عن عيظه فى كل وقت ولم يعد يستطيع الاكل من
السقم والهيام ، وهو يطلب ممن كواهم الشوق مثله ان يعذروه ، ويوجو
أن يمنح نظرة فى الرسول نور الحق السامى لانه علاج دائه :

شعلت نار اغرامسى * واكنات فى اصميم امهاجى قبل الصيام
موج البحر الطامى * لو فاض لاطفاها بالداجل والديام

I انظر الفصل الاول من الباب الثالث لدى تعليق على قصيدة ابن عبود المعروفة بـ «الحربى» .

(2) انظر الفرق بين السرد «السراة» والانشاد فى المدخل .

واكتب دمع انيامى * سطرين فوق سحن (I) الوجن نهى لمام
 بعد اجفيت امنامى * فالضى ولغياهب واضحى قوتى اصيام
 عدرونسى فهيامى * أمن الكواو كينفى واكماو اعلى السقام
 نرجبا طب اسقامى * واجمع انظر وانفوز بطيب لمرام
 نور الحق السامى * صلى اعليه ربى وعلى آلو اكرام
 وابن على فى « جل الصلا مهديا » يعنى الرسول ومقامه منذ صباه،
 ولكن البعد يكيد له ، فهو فى حالة يرثى لها من شدة السهر ، وقد حطم
 الفراق جسمه وأوهن قلبه ، وفاضت دموعه حتى ان غرفة منها تفوق
 الامطار . وعبنا حاول أن يخفى هواه ، فان عليه شواهد تكشف عن اسراره
 المدفينة ، اذ لا ينفع فى الهوى كتمان . وعرف أهل الغرام داهه ، ولكن لا
 علاج له غير زيارة كنز غناه ومنبع سروره وسلواه :
 عشقى امن الصبا فمقامو والبعد كد لى والبين
 لحال حالتى مدالى نسرعى اكواكب الديجان
 هد لفراق ديوان اسيارى ولخبير (2) صار اوهمين
 غرنا امن ابجور ادموعى ولا اعوارض من امزان (3)
 اشحال ما خفيت اهوايا والبين افلمهاج اكسين
 خبرو اشواهدى بسرارى ما فاد افلهوا كتمان
 وهل لغرام عرفوا ديا مالى اطبيب فالبريين
 الا اوصول كنز اغنيا هو السرور والسلوان
 ويعبر ابن الوليد عن حبه للرسول بأن فيه عز روحه وهواه :
 آه اعلى بهسواك * يامن روحى فهوأك عزها واهواها
 وقد تمكن الغرام من كبده وسكن الحب جسمه ، وهو حب خفى ،
 ولكن مرضاه كثيرون ، اصابه فشقيت أعضاؤه وحرمت عيناه النوم ، يقضى

(I) فى الفصحى : السحنة بفتح تين بمعنى الهيئة .

(2) الاسيار المداخل والخبير القلب .

(3) اعوارض امن امزان اى سجب ممطرة ، وهى كذلك فى
 الفصحى اذ العوارض ج عارض وهو السحاب الذى يعترض فى الافق ، أما
 امزان فجمع مزنة وهى السحابة البيضاء او المطرة .

نملته من الاشواق فى مصارعة الافكار والهواجس ، عيناه ترفرفان وجوارح
قلبه ترجو الوصال :

وانت انى اغرامك ذك اطنابو اعلى اكبادى
والحب ولمحبيب ساكن لعضا
راخفا وكثرت المرصى
صعر واحرمت الغمضا
اشاف لعضا

وانات امن اشواقى فالداح صرع لعزائم
والغير فى امنامو متهنى كيات نايم
عينى اتبات رفرافا
واجوارحى وقلبى ترجا لوصال ليل وانهار

والحراق يخاطب محب الرسول ان يفنى فيه اذا اراد أن يتم له
الوصال ، ويشهد نور الحضرة المحمدية ، ويرقى سعده على جميع الاكوان
حتى يغنيه عنها بنظرة واحدة . فمن كان هذا الحبيب نصيبه فهو يشفى
من كل الاسقام والاضرار ، وتشرق شموسه واقماره وتأتية البشائر فى
كل وقت وحين :

يامن ابغى اوصال احبيبو * افنا اشفوف نور الحضرا
وارقى عل لكوان اتصيبو * يغنيك عنهم ابنظرا
من كان ذا لحبيب انصيبو * من كل باس حالو ييرا
تشرق افلقلوب اشموسو واقمارو * واتجيه افكل وقت ابشارا

اما الغرايل فيشقى عقله من الحب ويشتل جمره فى ذاته ، ولو
فاض موج البحر لما اطفأ نار اشواقه . من ذاق طعم الهوى ينصفه ومن
لم يذق لا يعذر ، ليس به غير حب الهادى ضوء عينيه ، فهو يتمنى أن
ينظر اليه :

آه اعلى بلحب عقلى شاق * واجمار البين اكداث فسفاقى (I)
ألو فاص ابموجو بحر دفاق * محال اببرد نار لشواقى
ما يعدرنى فهوى من لا ذاق * والى ذافوا يعطو تحقفاقى
بأ حب الهادى ضى لوماق * من نلرا فبهاه برماقى

(I) انقدت فى دواخله .

وعنده ان حب الرسول ملك الروح والعقل والاحشاء والاكباد ،
وترك عيونه ساهرة ودموعه سائلة ، وليس يتمنى الا أن ينال غاية مراده
ويرتاح مزاجه المكدر ، وهو مملوك يريد ان يكون فى كنف سيده حتى
يعيش فى رغد وهناء ، بل انه يهرب من أخطائه يريد اللجوء الى حماه كما تفر
من أعدائها العيس والغزلان :

حبك املك الروح ولعقل واحشايها واكبادى * وانجالى (I) بدموع ساهدا
هل يا مدرا انال بها غايت امرأتى * وترى اخلاكى الناكدا
آش ايلا المملوك دون سيدو فحماه ايفادى * دينال العيشا الراغدا
اهروبنى لحماك امن اخطايا ما هرب الشادى * والعيس الى ظلمت لعدا
واما الفلوس فحب الرسول عنده فرض على المسلمين دائم باق ،
به يروق أهل الايمان ، وهو رونقه وحلته المنمقة ، وهو يقوى شوقه ويروى
المشتاقين ، بل ان حبه كان سابقا لوجوده مسجلا فى صحيفته بقلم القدر .
ويرى أن كل من لا يملأ قلبه حب الرسول فهو عامى الابصار غارق الذات
فى بحر اللهو ، هائم فى الشقاء ، تمزق ريجه أعضاء :

حبك فليسلاام فرض باقى عن كل اخلاقى * به هل ليما رايقا
حبك يا عين لوجود عندى هو روناقى * واحلول اكساتى امنقا

. . .

حبك يا سلطان كل تقى قوى تشواقى * به اروات اقوام شايقا
ونا قبل انكون كان حبك سابق فوراقى * بقلم القدرا الصادقا
قلب الا سكنو احوالك باقى عامى لرماقى * داتو عل ليام غارقا
فلجوج اللهو لقصيف حتى هام افلشقاقتى * واعضاء ابريحو امزقا

اوصاف الرسول وشمائله

وانطلاقا من هذا الحب الصادق العميق غدا الشاعر الشعبي يستعرض
أوصاف الرسول صلوات الله عليه يقتبسها من شمائله وخصائصه المعروفة.
فهو عند الحاج اعمارة غاية الجمال الهاشمى القرشى المدنى ، حبيب الله ،

(I) العيون وأصلها فى الفصحى من النجل بفتحيتين سعة شقة العين.

وقرة الابصار ، وعين الهدى الهادى ، ومصباح الانصار ، وعين الرحمة ،
وسيد السموات :

زين الزين الهاشمى القرشى محبوب البارى
المدنى قرت لبصار
محمد عين لهذا مصباح انصارو
عين الرحما سيد امن اسرا
وهو عند المغراوى فى « عين الرحمة » سيد الرجال المصطفى صاحب
الشفاعة والخاتم :

ازغرتى ازغرتى (I) اعلى المصطفى سيد الرجال
عين الرحما صاحب الشفاة والخاتم طه
وهو جميل الملامح مشرق الانوار ، المخصوص بغاية الكرامة ، جعله
الله رفعة وشأنا وبعثه رحمة :

هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف صلى الله عليه
لازم اعلىنا انجمدو اسم القيوم ابدى لكوان
وانصلو اعلى الرسول شارق لنوار انبيننا
المخصوص ابغيت لكرام جعلو رفعا وشان
من بعثو رحما اوجد من فضلوه به اعلىنا
وهو تاج المرسلين وخاتم الانبياء الكرام ، قدره كبير لم يحصر
وصفه اكبر العلماء ، سبحان من خلق صورته وكساه الحسن والكمال ،
ومنحه الحرمة وعلا درجته الرفيعة ، والنظرة الى جماله لا تفدى بمال ، وكل
من عشق غيره لم يكن غير الهول واللهو :

من مدحو يدخل تحت ظل يوم القيامة
لنو ناج المرسلين وانهايت ننبيا لكرام
قدرو اكبير ما تنهى وصفو علما
سبحان من اخلق صورته واكساه بلحسن الكمال
اعطاء الحرما

(I) زغردى (انظر آخر نص بهذا الفصل) .

ادرجتو العليا علاها

نظروا للعشاق في اجمالو ما تفديها امال

هول راسو كل امن اعشق غيرو كيتلاها

وهو عند النجار سيد الدنيا ووجهها ، صاحب المعراج وخير الاولين

والآخرين ، ليس يشابهه أحد :

والغدار اجفيه واعلم سيد الدنيا اوجهها من لا حد سواء

طه مول المعراج خير من ياتو والي فساتو

انه المفضل طه خير الانام :

نحسن به اختامي * محمد لمفضل طه خير الانام

لا مثيل لجماله ، ومادحه لا يخيب ولا يهمل غزله :

حسنو مالو ثاني * حاشا ايخيب مداحو غزلو ما يبور

وعند النجار كذلك انه صاحب التاج واللواء والخاتم ، وانه سيد

الابرار ومشرق الانوار :

لمفضل سيد لبرار * طه شارق لنسوار

صلوا الى المختار * محمد مول التاج واللوا والخاتم

ويصفه ابن علي بانه صاحب الكرامات خير النسب على القدر :

وانشني بصلات لمفضل محمد صاحب لكرائم بن عبد الله

خير النسب اوعالى القدر

وهو الشفيع الذي جاء بالفرقان ، وعين الهدى وسيد البشر :

صلى الله اعلى اشفيعنا من جا بالفرقان عين لهدا رسول الله

يا عشاق اقسيد لبشر * عيننا في اصلات لمفضل طه

وهو عين الوجود ، لولاه لما كان آدم او اى مخلوق ، ولما وجدت

ارض تسكن او قفر خال ، لولاه لما أرسى الله الجبال ولما وجدت بحور

بأمواج تصوت كالرعد ، وبعجائب في أعماقها تفوق لكثرتها ما فوق الارض

وما يغطيها من موج ، لولاه لما كانت السماوات والافلاك تملأها الملائكة

تسبح بحمد الله دون انقطاع ، ولولاه لما كانت العجب والكرسى والقلم

والعرش :

لولا عين لوجود ما يكون آدم ولا يكون حتى مخلوق امعاء *
 لا ارض اسكان لا اقفر * ولا كانوا اجبال لجليل ارساها
 لولا عين لوجود ما تكون ابحور ابلاج كرعود اتركلم بمياه *
 واعجايب فوسطها اكثر * من فوق الثرى او موج اغطاها
 لولا عين لوجود ما تكون اسماءات اكل فلك منهم بملاك املاه *
 مشمقلين ابدا ابلا افتقر * في تسييح نله بصوات الغاها
 لولا عين لوجود لا حجوب الاكرسى ما يكون قلم ابأمر و نهاء *
 سبن باسم الله فالسطر * واسم عين لوجود مقرون امعاها
 لولا عين لوجود ما يكون العرش افعظمت استعجب مهما تنشاه *
 خزن الحى عالم الامر * ايسبح ادوار به دارت معتاها

ويستعرض ابن على بعض خصائص الرسول ومعجزاته ، فهو صاحب
 الشفاعة ، وهو الذى انشقت له الارض وحضرت الملائكة بين يديه ، وهو
 المؤيد بالعز والنصر ، رضى الله امته للنعيم ، وهو الذى كانت تسجد
 الملائكة لضيائه كوكبه حين يسطع ، وهو صاحب الاسرار والمعجزات من صفوه ،
 دانت له النخلة ليبنى تمرها ، ونبع الماء بين اصابع يده ليسقى جنود جيشه
 وقد اطعمهم من صاع تمر ، وفر اليه الغزال وكلمه الضب ففهم كلامه وآمن
 برسالته ، ودخل الغار مع رفيقه فستر بابه بنسيج العنكبوت وعشش الحمام
 وشجر اليقطين ، وغرس عودا نخرا ذابلا فعاد بذكر اسم الله مخضرا وانبث
 نمرا طيبا :

هذا هو صاحب الشفاعة نهل اذوب كثيرا واعدهو بها مولا
 داخل حرمو ما يشوف شر * ونامنو اطلبت للروح افداها
 هذا هو من انشقت اعليه الارض اجات لو املاك ابأمر امن اعطاه
 مؤيد بالمعز والنصر * اماتو فالنعيم لجليل ارضاها
 هذا هو من كانت لملاك تنظر كوكبو حين يطلع تسجد لضيائه
 ويولى اغييب عمل لبصر * سبعين الف سنا ويطلع فوقها
 هذا هو صاحب لسرار امع المعجزات له ظهوروا من حال اصباها

...

يوما كان افحالت الصغر * له النخل ادنات بتمر واجناها

صلى الله اعلى من اتبع من بين اصباغو الما اسقا جيشو بعد اظما
واطعمهم من صاع امن اتمر * من بركتو اروات والصاع اكفاها
صلى الله اعلى امن اهرب لغزال العندو اكلم الضب افهم الغاه
واشهد لو برسلت لبدر * واصعد معصوم كان ملقاه اعلاها
صلى الله اعلى امن ادخل برفيقو للغار ولهبون اطلق غزل اسداه
واليقطين ابعرفها انشر * واحمام العش دار بمهر وابناها
صلى الله اعلى امن اغرس عود امسوس بعد ما ذكر لسم الله
وارجع لو من بركتو اخضر * واطعم بتمر مختلف طعم احلاها
ويصفه العلمى فى « الشافى » بانه علاج كل مريض ، رفيع المكان
سيد الموالى وقدوة الافاضل ، شريف القبول سراج الهدى وكوكب
المعالى والطاهر المطهر والصادق القول :

حد بدوايا يا طب كل معلول * يا رفيع المأوى يا سيد لموالى
يا قدوت لفضالا يا شريف لقبول * يا سراج لهذا يا كوكب لمعالى
يا الطاهر لمطهر يا الصادق القول * ادخيل جاك عندالله روف يالوالى
وهو عند ابن الوليد الزاد والعون واعز الاهل ورسول الله المختار
وسيد الابوار :

فيك عاد الزاد العوين يا عز الوالدين

انت ارسول الله يا المختار * منك نور لنوار * وانت سيد لبرار
وهو الكامل البهاء :

ياالمصطفى ضيف الله يا المختار * ياكامل لبها نزهى فبهاك
وجد الحسنين :

هل يا مضرا نلقاك ونشاهد نور ابهاك ياحمد ياطه يالمصطفى زين الزين
ياجد الحسنين
وهو عنده جميل الوجه أسيل الخد أسود العينين :

انحبي ذاكالوجه الجميل ونشف فالخد الاسيل ونزه فانظرط الكحيل
وهو طيب المسك :

الصلا والسلام افكل ليل وانهار * اعليك يا الهادى طيب لمسك

ويمدحه ابن الوليد كذلك بأنه تاج المرسلين ، اعطاه الله فمنح
الرحمة للمسلمين من عطائه ايها ، به تم الاسلام وصحت الهداية يوم
هداه الله وتولى أمره وأجله من نوره ، وعلا درجته وشرفه ونصر به
الدين :

وانت لكريم اعطاك * والرحما من معطاك * للسلام اعطاها
بك يسلم المسلمون صح اصدق لمبين
صح لهذا بهداك * انهار الله اهداك * للهدى هداها
ودها في ايوب نسين بك المولى لحنين
يوم الحق اتواك * من نور اتجلاك * ادرجك علاها
شرفك وانصر بك الدين يا تاج المرسلين
انه سيد الثقلين ، اكرم الله مثواه ورفع درجات مأواه ، وسماه
الزكى بين الرسل ، وقرن اسمه باسمه ، وجعل الشمس تشعشع فسي
السماء بنور ضيائه ، وتزدان به الارض والسماء :
اكرم لكريم مثواك * وارفع ادراج مأواك * واسمك بين لرسال الزكى
واسمو معنن باسمك
والشمس ابنور اضياك * شعشعت فسمها * زانت السما والارضين
بك اسيد الثقلين
وانه طبيب روحه وعلاج دائه ونفسه ، احسن فيه الظن ليداويه ،
جعل الله صلاته فرضا في مجالس المسلمين ، يحدث عنه العلماء ويؤلفون
اكتب فيه وفي الصلاة عليه .

وانت علاج روحي والروح الساكن افجسدى
وانت اطيبها واعلاج ادواها
فيك حسن الظن افداها
وانت الى الله امر بصلاتك فرض لازم
اعلى امجالس أمتك وحدث بك كل عالم
ولفتها (I) الولافا
واكدايا فى اكتب النساخ امصحح افلسطار
وهو مدد ونور وعز ورحمة للعباد ، وهو المبين الشافع فى المذنبين ،
(I) الراجح انه يقصد التأليف كما يفهم من السياق وليس اللفة .

من رأى صورته فاز بالكرامة ونال الكرم ، وتزوج الحور فى جنة النعيم ،
وشفى وغفر الله ذنبه بالنجاة من النار :

مدر شفتك نور اعز للعبادى
لله الشكر يا جد الحسين
يا المصطفى زين الزين
يا الشافع المذنبين
يا المبين
من شاف صورتك يا محمد فاز ابلكرام

نال الكرام
وازواج الحور افجنات انعام
وابرا اراح واتعافى
والله يغفر ذنبو واقبط النجا امن النار

وهو الامام المهدي وخاتم الشهداء وعروس الملك وصاحب اللواء
والحمد ، رقا الله وشرفه وناداه :

سبحان امن اكرمنا بالمصطفى الهاشمى الامام المهدي
الشفيع لمشفع خاتم الشهداء

الظاهر لمظهر عروس الملك صاحب اللواء والحمد
من ارقى واترقى واتشرف واتنادى

ويكشف الشاعر عن هذا النداء القدسى يخاطبه به الله ان يا محمد
قد هديتك فأهلا بك فى بساطى فتقدم وطأه ، ليس لى حبيب يماثلك ولم
أناد لحضرتى محبوبا ، خلقتك من نور النور ، فى صلاة أمتك عليك
غفران لاوزارها قليلة او كثيرة ، جعلتك شفيعا لامتك يوم الحساب
وبدأت باسمك قبل خلق الكون قرنته باسمى وقدرتى وعزتى وكرم
جودى ، من سألنى بك وجدنى فى غاية الاستعداد . لولاك لما كان عرش
او كرسي او لوح او قلم او نبي يهدى او ملائكة تاتيكم منى بالرشد ،
ولما كانت الاغاثة والجنة والنار والصراط والنهار ياتى فى اعقابه الليل ،
ولما كانت الدنيا والبحر والارض والسماء المضيئة بالنجوم ، ولا الشمس

والقمر والكواكب الفريدة . لولاك لما كان آدم والخلائق انتمى خلقت من
أجل العبادة ، ولما كان الايمان والصدق والمسلمون يهدون الى طريقى ،
ولا حياة ولا ملة ولا صبر ولا زهد . لولاك لما كانت الكتب والعلوم ولا
قضاء الحق وشهوده وشهداءه ، ولما كانت الصلاة والصوم والحج والزكاة
الواجبة فى المال ، ولا الفروض والسنن ولا العمل والدين . لسولاك
لما كان الرعد والبرق والمطر والخصب والشجر والطلح النضيد ، ولا
الفضل والاستنجاد والعطاء ، ولا الحكم والحاكم والمملك والقيادة ، ولما نال
الاشياخ عندي غاية مرادهم بمدحك :

ناداه ربنا سبحانه امن انشاء واهداه الى الرشده
قال لو يا محمد هاك ليفادا
اهلا بك زد اوطا اقبسطى يا لى ما مثلك عندي
احبيب اولا محبوب لحضرتى انما
الى اخذته من نور النور تمتك فصلاتك تفدى
اوزارها من قلل النقصان وزبادا
انا الشفيع فيهم وانت الشافع فمتك يسوم التندى
واسمك خالقو قبل الكون ابتدا

...

قرنت اسمى واسمك بقدرتى اعزتى واكرام جودى
من اسأل بك اوجدنى غايت لوجدى
واعلم قال لو يا مختار انما الى عند ظن عيسى
با لمعلوم يا كرمتم لجدا
لولاك لا عرش لا كرسى لا لوح لا قلم لا نبى بهدى
لا ملايك منى تاتيک بالرشادا
لولاك لا ايعانا لا جنا لا نار لا جسر صراط امعدى
لا نهار او لا ليل خلف ذا افهنا
لولاك لا بحر لا دنيا لا ارض لا سما بنجوم اتكندى
لا شمس لا قمر الا كوكب نقرادى

لولاك ما يكون آدم او لا يكون بادي ولا عبيدى
لا خلائق اخلقتهم لاجل لعبدا

...

لولاك لا يمان الا صدق الا اسلام يهدو النجدي
لا حيا لا مل لا صبر لا زهدا
لولاك لا كتب الا علم الا شهود فالقرطاس اتودى
لا قضا بالحق تزكى اشهود الذا
لولاك لا رعد لا مبيض اولا فيض لمزن وكم مزدي
لا خصب لا دوح الا طلح لا نضدا
لولاك لا صلا لا صوم الا حج لا ازكا للمال الوبدى
لا فرض لا سنا لا دين اولاكدا (I)
لولاك لا فضل لا صرخ ولا يكون كف لعطا بيدي
لا حكم لا حاكم لا ملك لا اقيادا
لولاك لا شياخ ابمدحك لعزير يا حبيبي نالت عندي
هكذا بك اكمل لمرام والسودا

ويصفه التركمانى بانه لا مثيل له فى الارض او فى السماء ، فى
الغيب او فى الوجود ، سبجان الذى انشاء واسعد به أمته ، هو
صاحب اللواء والحلة والتاج والورد والفرس النجيب ، وصاحب الخاتم
والسر والمعجزات التى لا عد لها ولا حصر . من اجله خصص روض الجنة
رحمة للسعداء وعذاب النار للجاحدين ، لذا يرجوه أن يرأف به فانه
صاحب الاغاثة يوم الشدة . وهو عروس يوم القيامة ، يفرج غمتها
حين يشتد الهول ويستعصى الفداء :

انت والله ما فلرض امثيلك افالسما اوجد * وحدك فالغيب والوجد (2)

سبجان الى انشاك واسعد بك الام الساعدا

انت المخصوص باللوا والحلا والتاج والورد * والفرس الناجب لمجد

والخاتم والسر أمعجزاتك شتى امشاهدا

(I) الكد والعمل . (2) الوجود ، أما اوجد الاولى ففعله .

انت ليجلك كان روض الحنا رحما امن اسعد * واسار عذاب امن اجحد
رافا يا صاحب لغنا عن ذا السد الواكدا

...

انت هو اعريس القياما مشهار الهول والسك * بين اهل القرب والبعد
ونت عراجها د شمد الهول وعصا لفسدا

أما القرايلي فيراه نور نيل الانوار ، الممرور الصادق الامين ، امام
المؤمن ورحمة لاهل لايمان ، وأول الاولين وامام المرسلين .

أحمد يا ور كل انوار * صلى الله اعليك يا المبرور

انت الصادق وانت الامين انت امام المؤمنين * انت رحمة ربى لاهل لايمان
انت أول الاولين * انت امام المرسلين * واعلا منهم رتبا اعز وشان
ويخاطب الرسول عليه اسلام بأن الله اختاره ورفع قدره واصطفاه
ومنجه المعجزات ، لا سبيل الى حصر تنائه ، لو اتخذت الارض صحيفة
والاشجار اقلاما والبحور السبعة مدادا لما وصف الخلق غير عشر معشار
قدره وجاهه ، من نظر الى حقيقته ذهل عقله مهما كان ثابتا ، لانه بشر
وليس كالبشر ، اخباره في التوراة والزبور والانجيل والفرقان وكتب
الجفر :

يامن جعلك ربى انبى مختار * وارفع قدرك عن سير الجمهور
امن اصطفاك الملك الجبار * بالمعجزات الواضح والنور
يامن سرك واثناك ما يحصار * لو كانت من لمداد سبع بحور
والارض اصحيفا والقلوم اشجار * لا وصف الخلق اعشور من لعشور
لو انظرت احقيقتك لبصار * تذهل لعقول الراسخ وتفور
لنك بشار اوليس كالبشار * ، خبرك المورات والزبور
والشراذ والانجيل والاقفار * خبرك بحرك حرك المشور
واما الفلوس فيصفه بانه التقى حبيب الله صاحب الحجة الموثقة ،
وصاحب اللواء والتاج والبراق :

صلى الله اعليك يا التقى محبوب الباقي * يا مول الحج الوافي
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى * لغرامك لخلاق شافيا
(30)

المولد

وكان مولد الرسول الاكرم وما يتصل به من أخبار تحكيها السيرة النبوية مادة خصبة لشجدة قريحة الشاعر الشعبي وبعث الهامة ودفعه الى التعبير عن كمين عواطفه نحو صاحب الرسالة عليه السلام . وتعتبر قصيدة «مولد النور» للغالى الدمناتى من أروع القصائد التى سجلت هذا الحادث العظيم، بدأها بذكر النسب النبوى من جهة الاب ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن کنانة بن مزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

هذا محمد الزكى قوشى لنساب * بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف افتتاب * ابن قصى الدكى المدوب الارب
ابن كلاب لوضيح بن مر المجتاب * ابن كعب المجد راحت القلب الكارب
ابن لؤى التقى الراقى بن غائب

غالب ابن فهر المذكور بين لعراب * بن المالك بن النضر دون تكذيب
بن الكنانا من به لثال تضراب * بن الخزيم زحر لحسان عجيب
بن المدركا بن الياس در لجيب * بن نزار الاديب الحسيب
بن ابله عدنان ابلختصار * اجتهاد محمد هاذو سرهم سمارى
وانتقل الى نسبه من جهة الام ، فذكر انه ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومنوقفا فى نسبها عند كلاب الجد المسترشد فى سلسلة الاب :

أما م الشفيخ من لها تشريف * من بنت وهب بن عبد مناف
ابن زهر المرتضى نعم المتصف * ابن كلاب الذى اسرارو ما توصاف
هو جد النبى اوجد مو تعريف * كيف اروينا الحقيق من بعض العراف
ثم ذكر نور الرسول ، وقد جعله الله يتكون فى صلب آدم ، وينتقل من فاضل لفاضل الى أن وصل لعبد المطلب ثم ابنه عبد الله :

فصلب آدم اتكون نور سيد لرسال *

وسار يستاقل نورو من لفضيل لفضيل

ابعد ابغ النور الصلب انذكى المفضل *

سيدنا عبد المطلب طب لعليل

كون المولى من صلبو اوضيح لجمال *

آب محمد عبد الله نعم لجليل

وكان بعد ذلك زواج آمنة بعبد الله يوم الخميس فاتح رجب او

يوم الاثنين ، لم يلبث أن تلاه الحمل ، وما كادت تحمل به حتى اكرمها

الله بكل خير ، اما ابوه فارلقى سعده وغدا نور جبينه يسطع ليل نهار :

او بعد عبد الله ادخل حق الآمناء * تم حملت بشميع القوم كامل الزين

أول رجب ليل الجمع اكما اروينا * كان عرس آباويه اوقول ليل لثنين

سعد أمينا أم الهاشمي انبينا * ابكل خير اكرمها نعم لعظيم لمعين

أسعد عبد الله اهلال لبها السيار * آب طه من فاز ابفايت لوطارى

كان نور اجيننو يضى اليل وانهار * هن انوار المصطفى سيد انظارى

وما ان عاد الرسول نطفة حتى نودى فى السماء والارض أن النور

يسطع وأمر الله رضوان ففتح باب الفردوس ونطقت دواب قریش فى الليل

مقسمة أن الرسول قد تكون فى رحم أمه وأصاب الملوك بكم وانقلبت

أمرتهم :

عاد الرسول نطفة يافهام * فبطن مينا الراقيا دوح لانسوم

نودى فالسما وفلرض ابتضوام * بدأ بامر الجليل لعظيم القيوم

النور اسطع من حاز التفخام * الى منو اشفيعنا نعم المعصوم

فبطن مينا اضحى افدا الليل مقيوم

وامر الله الرضوان لفضيل لوسيم *

ايحل باب الفردوس اكما اتقول لعلام (I)

ثم انطلقت ادواب قریش وقت لبهيم *

واقسمت بين اتزاد الهاشمي افلرحام

تر كل ملك اصبح بين لخلق ابكيم *

اوصاب ليه اسريرو مقلوب صح لكلام

وما كاد يمر شهران على الحمل حتى توفي عبد الله :
لما مرت من حمل مينا شهران * مات المرحوم آب طه بالتمكين
ورأت آمنة ليلة في المنام آتيا يخبرها أنها حملت بسيد البشر على
الاطلاق :

مهما حملت بالتقى طيب لخلق * آناها آت قال لها قول البيق
راك احملي ابسيد لبشر بليطلاق * قالوا فأنوم رات ولرؤيا عسديـ
وغدت بعد ذلك على غير عادة النساء لا تحس ثقلا او ضيقا او وحما
أو حريقا :

ليس شعرت بحمل ولا بنقل واضياق * أولا بما يوقع للنسا من الوحم واحريق
وذات يوم ، وهى بين اليقظة والنوم ، آتاهها من سالها عما تشعر به
من الحمل ، مؤكدا لها أنها تحمل بسيد الانام . وحين اقترب الوضع عاد
البشير وطلب منها ان تستعيذ بالله من شر الحساد واوصاها اذا ما وضعت
أن تسمى المولود محمدا :

ار قالت آتاهها آت بين نوم وافياق *
أقال لها كان اشعوت ابدا الحمل عيق
ابسيد لنام احملي قال جل بشار *
امهل اعليها قالت زينت لحوارى
أحين قرب ميلاد المجد خير لخيار *
ثم آتاهها دلشمار كيف دارى
وقال أعيديه ارب لورى الجبار *
من اشرار الحساد امكالب اشنارى
ايلا وضعت طه سميـه اعلى الخيار *

سيدنا محمد امفرج لفيارى
وما ان بدات تحس آلام الوضع حتى رأـت شيئا ابيض شبيها بجناح
طير مسح على فؤادها فزال ما كان بها من روع وكرب ، والتفتت لتجد
شرابا صافيا أبيض كالحليب فشربته من الظمأ ، فاذا هو حلو كالشهد :
كاجناح الطير قالت ابيض لا تميت * جا وامسح عن افؤادها فالحين ابرات
واذهب عنها الروح واجميع الكربات

التفتت وجدت شربا صافيا ابتذعات *
ظنت البن لاجل لبياض كيف نظرت

بالظما كانت نور اهلال كل غيدات *
بعد ما شربتها مثل المصال وجدت
وتقوى المخاض فرات بياضا ناصعا يمتد بين الارض والسماء ،
وسمعت هاتفا يوصيها بأن تصون مولودها حين تضعه من الآفات وعيون
الناس ، ولمحت بعد ذلك قوما وقفوا في الهواء تبدو عليهم الهيبة وقد
حملوا ابريق من الفضة كما لمحت اطيارا تغطي السماء ، مناقيرها ممن
الزمرد وأجنحتها من الياقوت ، ثم تبدى لها الشرق والغرب ، وظهرت
لها ثلاثة اعلام ، احدها في المغرب والثاني في المشرق والثالث فوق
ظهر الكعبة :

ولمخاض اتقوى عنها وبعدها رات *
ابليقات اذباج ابياضو ابصيح وصفت
امتد بين الارض وبين السماء وسمعت *
قائلي يقول له واحكات كيف سمعت

قال صوته افوقت الوضع من الآفات *
خوف من عين الناس وبعد ذاك لمحات
قوم وقفوا فالهوا حايزين صولات *
فيدهم ابريق فضا او تم رمقات
اطيار غطاوا اسمها سرهم ينعات *
من ازمرد منقرهم كيف راد واحداث

ومن الياقوت اجواحهم ثم نظرت *
بامر المولى شرق اغرب كيف ذكرات
بعدها رات اعلوم اعلا لحقايق انبات *
اجميعها ثلث اعلوم اغدادهم حسبات

الولى فالشرق الثانى افغرنا رات *
افوق ظهر الكعب لاخوز حق واضحات
ثم خذها لمخاض وبعدها المولات *
بالعزم وضعت طه والفراج كبلات

وبذلك تمت ولادة الرسول قبل الفجر على المشهور أو بعده صباح
يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول حيث يجب أن يعم الفرح
والسرور :

أكان ميلادو قبل الفجر كيف شتهار وبعض قالوا من بعد الفجر قول وارى
اصباح لثنين اخلاق اشفيع ناس لوزار اتناش ربيع الاول قالت لحبارى
واجب اتفرحو لخلوقو بقلب واسيار لاین لاجلو كان الخير افلقطارى
وهنا ينهض الشاعر ويقوم (I) ليهدى السلام للرسول الاكرم على هذا
النحو :

حق اعلينا انسلم اعلى محمد وقت اخلوقو انقول من داخل لفؤادى
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد اوحوش لقفار والطير الفدفادى
اعليك اسلام ربنا يا محمد قد لحصا والتراب واقراهب لوهادى
وأخذ الشاعر الدمناتى بعد ذلك يستعرض بعض المعجزات التى
ظهرت اثر الوضع مباشرة ، وأهمها اهتزاز ايوان كسرى وانهدام شرفاته
الاربع عشرة ، وخمود نار فارس التى ظلت موقدة مدة الف عام :

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم ظهرت من غير شك للناس اعلايم
منها كسرى اهتز ايوانو واغتم من بعد املاكتو ابقى حابر هايم
واشرارفو امن ابيه عادواليه اردم ربعا عشر كيف قالوا اكن عالم
بها كسرى ابقى اضميرو متفاكم

أنار فارس خمدت يوما اخلاق لحليم بعد كانت موقودا ألف عام بتمام
وتحدث عن قصة الرضاع وكيف ان نساء سعد سمعن مناديا يخبر
بمولود فى مكة سبتسعد مرضعه ويسعد كافله فهرعن الى مكة . وكتب
لحليمة ان تكون مرضعه ، وتقدمت اليه ، فاذا هو يبتسم كالهلال الساطع
تلوح أنواره ، فأرضعته من ثديها الايمن ثم أعطته الايسر فرفضه لحكمة
أرادها الله ، وهى أن يبقى هذا الثدى لآخيه فى الرضاع :

صا بوكن اهلل اوضيح لايح انوار اكذاك وجهو متبسم ذاك فالانارى

I — على عادة قراء المولد النبوى حين يذكرون خروجه عليه السلام
الى الكون .

ثم حملتو فيديها ابشوق لسيار اوتدها ليمين اعطانو ابلبن طارى
اشرب منو فالين اعطات ليه ليسار ليس رادو بحكمت امخصب الشجارى
ابقى الشدى الخوه افلحليب هكداسار سيرت الفرشى تحكيها افداشطارى
ثم ذكر بعض المعجزات التى واكبت السيدة حليلة فى طريق
عودتها الى بنى سعد وقد حملت معها المولود ، منها أنها عوفيت من أدواء

كانت تحسها وأن الغمام كان يظله عليه السلام طوال الطريق .
ربنا عافاها من علت الجوارح لاجل المدنى طه امليح ملاح
ولغمام امعاء اتمشى اكما لجوانح ظلموا يا صاحى من حر شمس لمضاح
وما كادت تشرع حليلة فى تربيتها حتى بدأت ترى له اسراراً باهرة .
تسلم عليه الحجارة والاشجار ، وترضى هذه أغصانها عليه حين يمر
تجتها لتظله :

أقامت احليما بترابى اهلل لفلان سيدنا محمد من عظمو المالك
كل يوم اترى له اسرار ما تتراك وكم اعلاما شافت للنبي السامك
وساعت امرا بسيد الخلق تحت لشجار اعليه ترخى لغصان اصاح ادلشجارى
وابلفصاح اتسلم عنو اشجار واحجار يا سعدنا بمسلكننا من لوعارى
وحين بلغ السن الرابعة جاء ملكان وشقا صدره وأزالا من قلبه
مضغة وطهراه بماء قيلت فى وصفه نعوت كثيرة :

وحين كمل ربع اسنين الشفيح بتيات كان لو شق الصدر الى ادعى اعداتو
جاتلو زوج املايك فى انهار سدات ثم شقوا صدورو وكذا صميم ذاتو
وزولوا من قلبو مضغ ابغير تمرات وطهروه ابماكم اقوال فى انعاتو
وأخذ بعد ذلك فى الصلاة على الرسول ، وبها أنهى القصيدة .

ومثل هذا العرض المفصل نجده مجملا فى ثانيا تصائد الصلاة
أو المدح ، كما عند الشاوى فى «تصدينه» حيث يقول :

ليلت زاد اوحات ليه للملايك دون اعداد رفعوه افلفا من لحرير اخضروقادى
للزور لثقات له للملك اجنود اجنود

طافوا به اعلى الكون وبلغ قصد لمراد وارجع سيد المرسلين لمقام وجدادى
وشرقت انوارو الاحت اعلى الجهات ابنود

مهما جاوا يقربوه للمتدى انفر وابعاد حتى جات احليمت النسا حرت لسعادى
بالفرحا لها انحاز وارضاهها عين الجود

سمارت به الناسها اوربات اضيا لتمام حين ابلغ شدو افدات يوم اعلاج انكادى
سار اخوه امع الرفيق يسرح مالمو مكود

له اوحى جبريل لمفضل كههدف التمجاد بالطاس البريق من انهر جنت لخلادى
والما من كوثر ولمايك بحماء اتلود

شقوا صدر الطاهر لمطهر نعم المهتاد غسلوه انظفوه زالت المضغ للهادى
شايين دار احكاه خوه واشنع خبر الممجود

وليس كل الشعراء يستعرضون القصة حين يتناولون مولد الرسول
عليه السلام ، بل ان بعضهم يقف عند تمجيد شهر ربيع وذكرى المولد
الواقعة فيه ، على حد ما نجد عند المدغرى الذى يرى انه بقدم هذا
الشهر الانور هب الانسيم يبشر بكل خير ، فاضت النعم وازهرت ورود
البطاح ، فليس كعيد مولد النور عيد يزهو ويزهر ، تفيض بحوره وتزخر
أمواج ذخائره ، ويستقيم السعد فيغدو الكون شاكرا لله :

هب انسيم لعفو ايبشر * لعباد ابكل خير
فى ربيع الشريف لنوار * فاض الخير لكثير
وازهى زهر لبطاح وازهر * من لحزين لكثير
مولود النور * ما كيفوعيد ازها او زاهر
فايض ببهور * موجو زخار امن الدخاير
واسقام الشور * الكون اصبح لله شاكر

وعنده أن عيد مولد النبى منور ليس كنوره نور ، يفخر على الاعياد
الكبار بوجود الرسول البشير ، ويفوق شهره كل المواسم :

عيد املود النبى امنور * ولا كيفو امنير
عن لعياد لكبار يفخر * بالمرسول لبشير
ما كيفو افلماسم اشهر * بين انجوى اشهير

الوفاة :

وكما تناول الشاعر الشعبى قصة الميلاد فكذلك تناول قصة

الوفاة ، وكان الغرابلى من أكثر الشعراء استيفاء لمختلف فصولها ، وفى قصائد كثيرة كهاته التى يقول فى أولها .

يأساهى وحد رب لكون لجيل * حتى باقى فى ملكو بالدمام لزال
قدر اعلىنا فرض الموت دون تمهيل * مايدوم املكو يلا لغنى المتعال
ومن أروعها القصيدة التى يقول فى حربتها :

معظم يوم ينوفى بدر التام * سلطان النبىيا بلقاسم
يبدأها بنزول آخر سور القرآن الكريم حين جاء جبريل يختمها له،
وعودته عليه السلام الى بيته فى صحبه يشكو من صداع حيث عصبت له
عائشة رأسه :

وانزل جبريل بمر الجبار اعلى ارسل خير البرىيا
واتلا عليه سور ختمت لسوار انظر يا فهم الا شىيا

...

واقدم المنزلو وصحبو لحلام وادخل البيت عيشا عازم
قالت لو اشبيك أقرت لنيام * فقال امن اوجاع ساقم
وادنت عصبت لوخو الاسلام * وانبا غيرها بعلايم
وامر عليه السلام بلالا أن ينادى الناس للصلاة فى المسجد حيث
يريد ان يجمعهم ، ثم خرج اليهم وخطب ، وحلفهم الله ان كان بلغ
رسالته بصدق ، وهدى الى سبيل الرشاد ، وأحسن القول والفعل ،
ورأف بالايتام والغرباء والارامل ، وأنبأهم بما فيه صالحهم ، فأجابوه
بانه جاءهم بالدين القويم الواضح ، بلغه بحق لا تبديل فيه ولا تحريف،
ودعوا له الله ان يجزيه :

يا قوم سلتكم بالله المتعال * هل جيتكم صادق ناصح
برسالتى او حسن القول الفعال * واسبيل الرشاد الصالح
واحسنت ابليتام اغربا وارمال * وانبأتكم اكل امصالح
قالوا جيتنا حق ابلا تبدل * بالدين لقويم الواضح
بجزيك ربنا بالخير ولنعام * وانت الكل مومن راحم
واحس سلمان كان الرسول يودع المسلمين وداع الرحيل ، وصارحه

باحساسه ، فكان رده عليه السلام أن الموت فرض ، وإن العمر محدود ،
وإن الجميع راحلون ، لا يجزى احدهم عن الآخر :

ثم جاوبو سلمان افلمقام * ما لك يا البدر الواسم
كنك كتودع جمع الاسلام * بوداع الرحيل العازم
قال النبي احمد للماجد * سلمان خذ لك ايفادا
فرض لمات عنا واكد (I) * لعمر ليس فيه ازيادا
والقلق للرحيل اوعده * هذا ما جزى عن هذا
وعاد الرسول الى بيت عائشة وجمع نساءه ، وطلب منهم أن يصبرن
وأن لا ينحنن لكي يعمهن الغفران ويرغدن عيشهن ويزيدن خيرهن :
وادخل البيت عيشا بلقصد اوكد (2) *
فالجين عن ازواجو نادا
وقال لا تنوحوا والله اشهد *
صبروا اتمكم ايفادا
وايكم غفران وعيش ارغيد *
والخير عنكم يتزادا
وتأخر عن الصلاة وأناب عنه ابا بكر . وخرج بعد ثلاثة ايام للمسجد
متكئا على عثمان وعلى ، فوجد ابا بكر في المحراب يبكي وينوح ، وأراد
الصديق ان يخلى له المحراب ، ولكنه طلب منه ان يبقى في مكانه حتى
يؤم بالناس :

ندا على اتجى والعباس امعاك * واخرج بنهم امنكى
حتى اوصل المسجد المبارك * واستنشق اشده المنكى
يوجد بابكر فالمحراب اكذلك * اينوح ابلشواق اييكى
واجلس عن اخلافو درت لفلاك * ايزيم (3) بسقام الحلاك
راد الصديق يفرغ لو دون اشكال * ناداه الرسول المنكى
اثبت فى اصلاتك بالناس ايام * تغنم جل طيب اغنايم

I و 2 - أكيد

(3) يئن .

وبعد ان صلى الرسول جالسا تكلم فى الحاضرين ونهاهم عن البكاء والنواح ، وسالهم عما اذا كان لاحدهم حق عليه أن يقتص لنفسه ، فتقدم عكاشة وذكر الرسول بضربة تركت أثرها فى نفسه كان عليه السلام ضرب بها ظهره يوم تبوك ظنا منه انه يريد الهرب ، فى حين انه كان يريد أن يذهب للاستطلاع :

صلى اجلوس طه سيد لانام * حتى اقضى الفرض اوسلم
واسأل عن الاما وانطق بكلام * وانهى عن النواح الهزم
وقال يا جميع المحضرا * من كان له حق اعليا
ياتى القصاص امرا * من قبل ما تجى افنيا
ثم جوب باجهرا * عكاش ابغير اخفيا
أقال يا طلوع البدر لمير * انا ايلى الحق الشاهر
كنا افأرض تبوك افحرب اكبير * واخرجت نسرح ونخبر
ما هو اهروب منى ولا توخير * رب لعباد حاضر ناظر
واضربتنى الظهري دون التقصير * ضربا قترت فالخاطر
فسالت دموعه عليه السلام وامر بلالا أن ياتيه بقضيب أخذه عكاشة غير مبال بلوم الصحابة وطلب منه الرسول ان يضربه ولكن عكاشة أجاب بأنه كشف ظهره قبل الضرب ، فهو لذلك يريد منه ان يفعل كذلك . فنزع صلوات الله عليه قميصه ، وما كاد يفعل حتى بدا الخاتم بين كتفيه بسطع بنور ربانى يفرج الكروب وتحار فى وصفه العقول والافهام . فلم يستطع عكاشة الضرب واخذ يتمسح بالخاتم والنبي الكريم يدعو له بالخير ودخول الجنة :

قال جزاك لكريم اعليا خير * وارسل ابلال عند الامر
جاب لقضيب فالساعا ابلجزام * والدمع آمن اعيونو سجم (I)
قبضو الشيخ عكاش دون املام * واصحاب النبي تتلايسم
ثم الرسول ندا بالجهر وقال * تركوه حين مبا (2) يقبل

(I) سجم كما فى الفصحى بمعنى سال .

(2) مبا اى ما أراد وهى فى الاصل ما بغى بحذف حرف الغين ، وعمو

فقال لو اتقدم والنخ لجعدال * واقص اجزاك منى واعدل
وقال كيف تضرب وانت ما زال * افتوبك اضيض مرقول
انا اعزيت ظهري افذاك الحال * نبغى اكمل افعلت نفعل
نزع لقميص طه واظهر لختام * بن لكتاف نعت الخاتم
شلا (I) اتصيف لعقول واليفهام * به اختص عمل لعوالم
يضوى بنور واضح يفجى لغنام * من نور اد لجلال العالم
لغريم نال جل انصيتو * واظفر ايكمل ما يتمنى
مرغ على الخاتم شيبو * واقليل عروض المزنا
وادعالموا بخير احببو * واضملمو ادخول الجنا
وقال كيف تضرب قرت لهداب * وننا اوصيف من وصفانو
وتجكى القصة بعد ذلك كيف عاد عليه السلام الى بيته ، وكيف بعث
الله عزرائيل لياخذ روحه ، ولكن الرسول امهله حتى يسأل شيئا يعتمل في
صدره ، ورفع كفه الى السماء وشكا من شوقه لجبريل الذى ما كان يظن
أنه سيفعل عنه ويتخلى فى هذه الايام . وما كاد ينتهى من سؤاله حتى نزل
الملك الامين وسلم عليه :

وادخل المنزلو يتسنى المكتاب * محسوس امن اوجع ابدانو

عزريل جلا ابأدب وانقر الباب * ثم ادوا ابفصح السانو
وقال جيت لكنم ياهل لمقام * انزرو درت بن هاشم

قال مهل اعلى تسأل بدمام * عن شين ما افسرى كاتم
مد لكفوف وادعا واسأل * وقال يا سامع اسؤ الى

تعبير خاص بلهجة مدينة مراكش وقد سارت عنهم عبارة تعدد فيها هذا
الفعل ، هى قولهم : الى بيت بيتو والكى ما بيت ما بيتو الى الذى بغيت
بغيته والذى ما بغيته ما بغيته . ومن الغريب ان يأتى مثل هذا التعبير
على لسان الغرابلى وهو شاعر من فاس ، ولعله فعل ذلك مدفوعا بالميزان ،
اد لا يبدو أن ذلك من تحريف الرواة ، لان ما بغى لا يستقيم معها الميزان .
(I) فوق ما تصف ، وتستعمل التعظيم والتكثير .

جبريل ما نويتو يغفل * عنى امسنى فى حالى
ثم لامين فى العجى انزل * ريشا اسلام نعم العالى
اذ ذاك اطمأن الرسول وحمد الله ، واذن لعزرائيل ان يتقدم ويأخذ
روحه مستعذبا لقاء ربه . وفى الحين صعدت روح محمد الى صدره واحس
بغصته تضغط عليه ، وعبر عما أحس ، فاجابه الملك انه لم يذق عشر
معشار سكرات الموت ، وامهل عزرائيل لحظة ليدعو ربه ان يخفف عن
أبناء امته ضيق الموت وما يحس من شدة حره على ذاته ، فلم يلبث أن
سمع هاتفا قدسيا يقسم له بعزته وجلاله بالا يذيقهم سوى ما أذاقه وان
يوجد عليهم ويعفو ويرحم ، ثم حمد الله وشهد بجهر :

احمد ربنا واشرح ابتسام * وقال العزرائيل انفسم
اعزم وخوذ نهى لكم * محلا لنا اعظيم الاعظم
فالحين روح طه صعدت * تلصير الشريف اورسات
وانطق بلسان امس * يا ملك ما صعبها عصات
قال نو امهلى عنى ندعو دعاء * بلصير ونعفو لماتى
خفف على الام ضيقت لمات * وشد حره عن ذاتى
سمع اندا ابذن سامع لصوات * وجلال عزتى واقسرى
لذاقو سوى ذاقك من لمرات * وانحود ونعفو برحمى
وتحكى القصة بعد ذلك ان عليا وابن العباس غسلا ، وعمر بهلا
كاليد من البهاء والنور وكفناه فى ثوبه كما شاء وطيباه ، ثم دفن ، وقد
ذهلت العقول واحتارت الالباب وغدا الناس فى دهشة وحزن :

وحارت لعقول ودهشت لوهام * واشحال امن اضمير اتفاكم
وتأواللقام اخصوص ولعوام * شلا يطيق يوصف ناظم
ادناوا ليه وقت التفصيل * وغسلوا لمفضل وعلى
وجدوه كاليدر فاليكيل * والنور امن ابهاء ايلالى
وكفناه فتيابو اكما قال * وابنوع كل طيب احتعنوا
...

وبعد ادفينو اشتدت لنكال * واشحال امن اعقول اندهنو
وتنتهى قصة الوفاة بالكلمة الخالدة التى فاه بها الصديق ليهدىء من
روح المسلمين وفزعهم ودهشتهم حيث قال : «من كان يعبد محمدا فان
محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » :

اكثر اصياح بن الناس ولهوال * شد لفراق عنهم حبلو
وقام ببكر واخطب افهل البال * خطبا لا تخطبت قبلو
وقال فخطبا يا جمع السلام * الموت فرض عنا لازم
من كان يعبد الماحى سكن ارغام * هذا وصف شأن ابنام
ومن يعبد الحى لا يعدم * باقى اقديم بنا عالم

المعراج (1) :

وهكذا ، وعلى هذا الاسلوب فى عرض السيرة النبوية تناول الشاعر
الشعبى قصة الاسراء والمعراج فى القصائد التى اطلق عليها « المعراج »
ومن أشهرها قصيدة عبد العزيز المغراوى وعبد القادر الجرارى . يقول
المغراوى فى أول معراجه :

لسم لعظيم ذا العرش الديان * رافع لفلاك افلهوا دون اعماد
من خص المرسلين ابايت البرهان * وارسلهم ابلهوا اودين الارشاد
ويقول الجرارى فى حربة معراجه :

الصلاة اعلى الهادى راكب البراق * سيدنا مجسد لمشرف الصديق
من اسرى من حرم الى حرم افلغسيق

وفى أوله يقول :

ابديت لسم المولى لمقسم لرزاق * رب لكوان الحق الدايم نحقيق
والصلا عل الماحى طيب لخلاق * خير لورا لفضيل الماجد الشفيق
والرضا آل والصحاب والرفاق * وهل البيع والعهد الوافى لوتيق
بعدها فكرى هاج وخاطرى اشتاق * نحتك معجز كبر اكما ايلييق
فالسرا والمعراج فغيهب لفساق * تكن اصلات الماجد قولها اسبييق

I - كان مفروضا أن يسبق المعراج الوفاة ولكننا أخرناه لانه دونها
عند الشاعر فى الاهتمام وهذا ما جعلنا لا نفصل فيه القول .

التصليية (1) :

ومن عميق تفانى الشاعر الشعبي فى الرسول عليه السلام وتعلقه به أنه لم يقف فى التعبير عن عواطفه الجياشة عند الحديث عن حبه وذكر صفاته وعرض مراحل من سيرته الكريمة ، وإنما زاد - منوعا فى مدحه ومتفنا فيه - فخصه عليه السلام بقصائد اطلق عليها « التصليات » يصلى فيها عليه محاولا أن يبلغ بصلواته أكبر عد يمكن تصوره أو تخيله ، مستعرضا أنواع الكائنات والمخلوقات المختلفة ، عساه يبلغ أعلى درجات العد والحساب . ومن أروع التصليات وأقدمها تصليية مجمد بن عبد الله ابن احساين ، وفيها يبلغ بصلوات الله على نبيه الكريم الى عدد ما هطلت الامطار وسقت من اشجار ، وعدد ما حملت هذه الاشجار من غلال ، وحمل النخل من تمر ، وعدد ما يوجد من بساتين وأغراس عطرة :

صلى الله اعليه عد ما هطلت من لمطارى *

وما كتسقى امن الشجر

وحملت امن اغلول والنخل عد امارو *

وما من حرجات (2) عاطرا

وعدد البحور والانهار الفائض منها والجاف ، وعدد ما فى جوف الارض من عيون وآبار لا تحصيها العين من الكثرة :

صلى الله اعليه عد لبحور امع لنهارى *

ما واكح فيها او ما اعمر

وما فى جوف الترى امن اعيون اوعد ابيارو *

شلا شاف عين كرا

I - المقصود بها الصلاة ، وقد استعملناها محافظة على المصطلحات المتعارف عليها عند الاشياخ ، والمعروف لغويا أنه لا يقال صلى تصليية فى الدعاء ، وإنما يقال صلى صلاة بوضع الاسم موضع المصدر ، أما التصليية فالقاء الشيء فى النار لاحتراقه .

2 - الحرجات البساتين وهى كذلك فى الفصحى اذ يقال مكان حرج بكسر الراء وفتحها أى كثير اشجار .

وعدد لسع القر للعذار ، ولفحات الزمهرير والحر ، وعدد نسيم
الصباح وما هب من رياح غربية فى العشايا الساحرة :
صلى الله اعليه عد لسع القر افلعذارى *
وازمهرير الحر بعد قر
واعداد انسيم الصباح او ما هب ابتطارو *
واغرابى لعشى الساحرا
وعدد الرياح والاعاصير والبرق الخاطف للابصار ، وعدد الرعود
تدق طبولها ، والبروق المضيئة تعلن شاراتها عن مطر غزير :
صلى الله اعليه عد لرياح امع لعصارى *
والبرق الى خاطف لبصار
والرعد ايلا رعدوا اطبولو وبروق شارو *
واذن بالرعد الغازرا
وعدد الغيم المتوارى الغابر ، وعدد السحاب المجمل انذى حارت فيه
العقول :
صلى الله اعليه عد لغيام الى متوارى *
ذاك الى فتوايحو اغبر
واعدد الوارى امن السحاب الى فى كدارو *
كتضحى لعقول قاصرا
وعدد نجوم الثابت والشارى ، ودوران الارض والافلاك فى كل وقت
وحين :
صلى الله اعليه عد نجم الثابت والشارى
فغروب ولسحار والفجر
وما دام الليل فى اعقابو يا صاح انهارو *
منهما لحوال دايرا
وعدد ما ظهر المريخ والمشتري ، وما اشرقت الشمس واطاء القمر ،
وعدد كواكب زحل وعطارد والزهرة :
صلى الله اعليه عد ما انبى مريخ ومشتري *
وما بانئت شمس ولقمر

والزحل وكوكب لعطارد ساعت نظهرو *

ونجمت الزهرا الراهررا

وعدد ما فى اعماق البحار ، وما من وحوش فى انقفار ، وعدد الاطيوار

المحلقة باجنحة وحكمة من المبدع العظيم ، وعدد ما باضت انثى الطير .

صلى الله اعذيه عد ما قدواخل لبحارى *

وما من لوحوش قدعمر

واطيار ابلجناح ولحكاييم ذا البساع طاررا *

وما باضت كل طائرا

وعدد الحيوانات الاليفة ودواب النحر والركوب .

صلى الله اعليه عد بكم الساكن لجدارى *

لموالف بنا اممن الضمير

واعداد الى للنحير كانوا وائلى نختارو *

للكبا يوم لمفاخررا

وعدد النحل والنمل ، وعدد الهائم من الحيوانات والحشرات ما ظهر

مها وما خفى عن العين :

صلى الله اعليه عد لهوام يا من هو فارى *

ونحل واخل وعد ما كبير

وما من لهوام ما تساعو من حيث اصغارو *

بوجود القادرا

وعدد الذين نسوا ذكر الله من ابيض واسود واسمر وشقر واعجام

صمر ، وعدد افوام البدع والغدر :

صلى الله اعليه عد لمعاس اسماواذكارى *

ليبيض واسودها امع لسمير

وادهم وابراكا مع الشفار واعجام اصغارو *

وقوم البدع والمعادرا

وعدد تكور الليل والنهار

صلى الله اعليه عسى وادجا نمنى فسطارى *

مكتوبا من اجل الذكر

صلى الله 'صلا'مداوما تبلى لىو فقرارو *

فى حضرت ربى الدار

وعدد مدن كل الإفطار وما فيها من دير وقصور ، وعدد الصحارى

والمدائن والقبائل ودواويرها ، وعدد تلال النبد والقفار :

صلى الله اعليه عد لمدون افكارى *

وما فيها دار 'ولا قصر

وانصحر' وادشورها اوكل اقبيل ونوار *

واتلون السبيل العافرا

وعدد الهضاب والسهول والشعاب الخالية والمعمورة ، وعدد الربى

وعدد كل طول يقاس :

صلى الله اعليه عد لكدى اوحيث لغدازى *

واشعاب القفرا او ما عمس

والربوات او عد كل طول وقيمت مفدارو *

بكيال الدنيا العسبرا

وعدد الغابات والبرارى وما فيها من عرين الاسود والنمور ، وما بها

من ماوى وغيران :

صلى الله اعليه عد لغياب امع لبرارى *

وعرين الاسد والنمر

والمنوى دجبع امن اسكنه كل فى غار *

صلى الله اعليه غازرا

وعدد اكسية الحيوانات الصارية وغيرها من صوف وحرير ووبر

وريش وشعر :

صلى الله اعليه عد لكسا نلى هو ضارى *

بالصوف ولحرير والوبر

والمكسى بالريش الذى متلف بشعارو *

والى ما ضارى اسارا

وهو يصلى عليه بقلبه ودواخله ولسانه وعقله وفكره عدد الاكوان

الذى لم يحصر منها حتى العشر :

صلى الله عليه وسلم السلام ابعدى واسيارى *

ولسانى والعقل ونفكر

عد الكون الى ما احصيت من حصى معشارى *

صلى الله عليه كائرا

وعدد ما فى علم الله وهو فوق الحصر ، وعدد الزبور الذى لم يبع

منه غير خبره ، وعدد اللوح العامرة بالحكمة :

صلى الله عليه عد علم الله الشكرى *

علم الله الا ايلو احصر

عد الزبور الذى الا ابقى غير اخبارى *

والسواح ابلحكاه عامرا

وعدد الانجيل وقاريه قبل ان يحرقه وبطقي نوره جحد الحكمة

صلى الله عليه عد لنجيل وعد الفسارى *

والقاريا اكما وحي اخبارى

قبل انجيوا الى امحرهمو يظميو انوارى *

جحد الحكماء القادر

وعدد سور القرآن الكريم وما تضم من سطور ، وعدد حكمه وبرايمه

واسرارها ، وعدد ما فى السمة الظاهرة :

صلى الله عليه عد سور الفول الوارى *

وما فانسور امن امطسور

واعدد الحكماء ولبس من واعدد اسرارى *

وما فالسنا الطاهرا

وعدد الرسل والانبياء فى كل عصر ، وعدد الاولياء والاقطاب

والملائكة ، وعدد الجن الذى لم تره الابصار :

صلى الله عليه عد لرسال فكل اعصارى * والنبيا سنوار ادلبسار

وايولبا واقطاب ولمايك وين ما ساروا * والجن الا رات باصرا

ومل هذا جده عند المغراوى الذى يبلغ بصلوات الله على رسموه.

فى «عين الرحمة» عدد الحب وأوراق الاغصان، وعدد الفواكه التى تنتجها
الاكوان فى كل عام ، وعدد نجوم السماء وحور الجنان ، وعدد اعشاب
البيداء المختلفة الاصناف ، وعدد ما احاط به علم الله وكل ما هو حى
وميت وكل ما ظهر للعين وما خفى :

صلى الله اعليه عد اطعام الحب اوراق لغصان

واعداد الغل افكل عام من لكوان اجينا

واعداد نجوم السما وحور الجن والجنان

واعشوب البيدا اعلى اصناف ايسار وايمينا

واعداد ما حاط به علم الله كيف اقضاء كان

والحى والميت او شلا شافوا عيننا

وكذلك النجار فانه يصلى على النبى الكريم عدد النحل وشهده ،
والاطيار المغنية فى رياض حافل بالغلال ، وعدد الجراد والنمل وما زرع
انفلاح ، وعدد الحصى والرمل ، وعدد انفاس الخلق والالوان والصور
المتشابهة ، وعدد اصناف الارزاق المختلفة ، وعدد اللغات والمتحدثين بها
والسامعين ، وعدد حروف آيات القرآن وسوره والحديث الشريف ، وعدد
ما يلقيه الفقيه لطلبته ، وما فى السماء والارض من سكان ، وعدد ما دب على
الارض ، وعدد النرائحين والتادين ، وعدد ومضات البرق الخاطف وأصوات
الرعود وهبوب الرياح وما تهطل من أمطار ، وعدد مياه البحور وعجائب
الحوت ، وحب الجوهر والياقوت والمرجان وكل ما يلمس ، وعدد الاقمشة
الهندية المزينة كالزرايى ، وعدد نعيم الجنة والقصور ، وعدد ما فى
علم الله :

اعليه اصلات الله دايمًا قد انحل واعفاء

وما غنت اطياف فى ارياض احفيل ابغلاتو

...

واعداد اجنود الجراد والنمل جندو يتعداه

وما زرع الفلاح ولحصا والرمل اعتماتو

ما تقوى نحصيه

واعداد انفاس الخلق واللوان اصورت لشباه

واصناف ارزاق امخالفا او كل امحدث بهفانو

واللى يصغى ليه

واحروف آيات اسوارو ولحديث ارقى معناه

وما فاد الطلباء افقيه نجمى يدري معناه

مهملات تنطق بيه

وما فتخوم اسفالتها او قد الساكن فسماء

وما دب على الارض قاطبا والرياح نمى

والعاطف لمجيه

وما شار البرق لخطيف والرعد اصوت انداء

وما هبت لرياح والركم اكافى مزناشو

والمتوكل بيه

وما صبت لمطار امن اسمائها وابحور امياه

واعجائب حوت فحجابها وحب الجواهر واتقات

مسر جان ابوتيه

وبديع الياقوت الرفيع وما يلمع بضياه

واقماش الهندى وما يماثل نوار حرجات

لزرابى نحكيه

وانعيم الجن ونقصور وما فى علم الله

ويذهب ابن على فى عدد صنوائه الى ما خلق الله وما سار على الارض

وعام فى البحر ، وعدد سائر المخلوقات التى لا يمكن احصاؤها ، وعدد ما

طار فى الجو من اطياف ، وعدد النحل وما قطف من ازهار ، وعدد ما هبت

الرياح وصوتت الرعود ولمعت البروق ، وما نزل من امطار ، وما فاص

بمائها من أنهار ونبت من أعشاب ونما من أشجار ، وعدد ما انتفع الخلق

بهذا الماء ، وعدد ما ظهرت النجوم ، وعدد اوقات الفجر ومصلية ، وما

أشرقت الشمس وضاء القمر ، وعدد الاكوان التى أخفاها الله :

صلى الله اعلى اشقيعنا عد ما خلق لكريم يدرج من فوق اتراه

وما دب افداخل لبحر * من مخلقات لا من يقوى يحصاها
صلى الله اعلى اشفيعنا عد ما طارو طيار وارفوم الجوى اعلاه
بقدرتو واروج للوكر * واعدد نجل ما قطب زعر اعقاما
صلى الله اعلى اشفيعنا ما هبت ترياح وارعود والبرق اشعاه
وما نزل الارض امن اعطر * عدد اعشوب به نفحت واحياء
صلى الله اعلى اشفيعنا ما ناضت لنهار ابلمياه اساق ابمجره
وما نفحت به من اشجر * واعدد ما نفع الخلق ابماها
صلى الله اعلى اشفيعنا عد ما طلعو انجوم والفجر او من صلاه
وما طمعت لشمس ولقمر * واعدد اكوان رب لعباد اخفاهما
ولا بن على تصلية رائعة يقول فى حربتها :

صلو اعلى الصديق الصادق جد الشراف نور الدين
امام لنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان
وله أخرى يدعو فيها للصلاة الدائمة دون حصر :
عين الرحما يا عاشقين طهصلوا عليه * اصلات الاتحصى امداوما هى ربحاماتو
اخاتم كل ارسال

اما ابن الوليد فيصلى عليه مائة الف مرة صلاة صافية خالصة :

يا صاحب الشفاعة صليت اعليك فى انشادى

اميات الف من اصلا مقبولا

ثابتا من عند المولى

امحققا ما يهها لولا لولا ابديولا (I)

بل يصلى عليه فى كل ليل ونهار ، عدد الرياح والرعود والامطار ،
والاقلام والالواح والافلاك والعرش والكرسى ومياه البحار ، وعدد ما خلق
الله من اغصان دائمة الفوح بالطيب والعبير دوام ملك الغنى القهار :

اصلا والسلام فى كل ليل ونهار

اعليك يا هادى طيب لمسالك * فد ارباح قد ارعادها ولمطار

(I) اللولة : الشائبة ، والبدول : التبديل والتحريف .

عنه النظم واللوح الفسلاك * ولعمر من والكروسي وكذا امباه لبحار
واعدد ما خلق فالدنيا من بأك (٢) * دأبم ما دأبم الملك سبى القهسار
بالطيب ولعبير وعمس وامساك

ومن اروع التصيليات بعد هذا تصيلية الشاوى التى يقول فى حربها:

صلى الله على السميع نور الحى المرشاد

عين الجود الطاهر الزكى ربى واسمادى

طه مولى الساج واللو وانحوص المورد

الغايه من المدح والصلاة :

والشاعر الشعبى فى مدائحه وصيلياته مدفوع بحب يتنجح نى تنبه
للنبى الكريم ، وهو حب لا شك فى أنه خالص صادق ، وان بدا فى التعبير
عنه تشابه وتماثل أساسهما وحدة الرؤية من جهة ، وعدم تعمق حال
الوجدان لاستخراج الجديد من الافكار والاحوال ، وخاصة عند الشعراء
الايوساط من جهة ثانية . ولكن هذا الحب رغم خلوصه وصدقه ليس غاية
فى نفسه ، وانما هو وسيلة لتحقيق هدف يطمح الشاعر اليه وهو زيارة
مقام الرسول الاكرم والدخول فى حماه لنيل شفاعته وادراك الجنة . وقد
يبدو فى ذلك ما يدعو الى الطعن فى صدق هذا الحب طالما انه ليس مقصودا
لذاته ، ولكن عظمة الغاية التى يسعى اليها وبعدها يشفعان لهذا الازدواج ،
وهو ازدواج يكاد لشدة تعاربه يوحى بالتحام الغاية والوسيلة فى وحدة
وارتباط . ولا عجب فالمحب اى محب يسعى الى نيل رضا حبيبته ووصانه ،
والوصال بالنسبة لمحب الرسول يتم بزيارة مقامه الشريف ومشاهدة
نوره ، اما رضاه عليه السلام فدليله ان يمنح محبه الشفاعة يوم القيامة
حتى يفوز بالجنة . لذا فلا غرابة ان يتخذ الشاعر الشعبى مديحه للنبى
وصلاته عليه جواز عبور للبقاع المقدسة ثم الدار الآخرة عساه ينال
فيها الجزاء الحسن .

فالمغراوى يطلب من الله أن يجود عليه بفصله ويجعل مقامه فى الجنة

ويكرمه بالنظر الى وجهه .

يا ذا الجليل جسد علينا * في ذى اوديك حرمت فد
واجعل امقامنا فالجننا * ابهرمت الشريف ارسد
وارحم اسلافنا واكرمنا * بزيادت النظر في وجه
ويرجوه ان يعجل له بزيارة مقامه الكريم حتى تشفى
في جماله وان يمنحه ظل لوائه يوم الحساب ليفوز بالجنة وينه
عجل ابنورتي امقامك نعم النظرا * بشمى مى جمالك الرو
وانكون تحت ظل الواك انهار العسرا * انفوز وانجنب نار
وهو يرى في «عين الرحمة» ان مدح المختار تنزه وان
يوم القيامة في ظله :

ربى كريم اجعل ارحمنو سبقت غضبو افلا زال
واجعلها مقلوب هل ليما مدمح المختار انزاها
من مدحو يدخل تحت ظلو يوم القياما
لنوتاج المرسلين وانهايت ل
ويرى كذلك ان تمجيد الرسول يطرد الحاسدين ويظهر
وأن صلاته تصفى القلوب من الكدر :

تمجادو يجرى اعلى انكودى ويظهر جمع لحزان
اصلاتو اتصفى اولا تخلى فالقلب اغبيننا
ويسال الله ان يلطف يوم الحشر ، فهو قادر على أن
ويعمهم بالغفران ، وان ينجيه من شر النار المحرقة وان يسه
وان ييسر له الطواف بالكعبة ورؤية حرمها والسعى بين الد
ومشاهدة مقام الرسول وطيبة . اذ ذاك يها ويعود طاهرا ك
وقد انطلقت مهجته وارتاحت روحه :

...

من نسعاوه تقبول يلطف بنا يوم لوقوف *
والخلق كسل بفعلو

سمعتني قد سبتي يجعلنسي نمشي انطوف *

بالكعبا وانشوف حرمها والمرؤا واصفا

انشاهد عين لوجود لفصل عن اجميع لفضال *

وانشاهد طبعا اوقبنو نصرها وانراها

نميا وانعود كعب نمي ميا صافي زلال *

اصمب المهجا اربع والروح اتصيب امها

ويرى النجار أن الصلاة على النبي بمحو سيئات المكث من الذنوب .

واكثر الذنب ايزيد في اصلاتو بمحا سبانو

وغاية المني عنده ان يحج قبل ان يموت ، فبذلك يندى روضه

ويتفتح زهره ، وهو مشتاق لزيارة البقيع والكعبة والحجر الاسود ، لو

وجد الى ذلك أجنحة لطار ، وقد طال جرحه وليس له دواء غير الاقتراب من

باب السلام ، ولكن جسمه مثقل ، وليس له ريش يطير به ، فهو لهذا

راض بالقدر :

اتوجه يا بدى * نوصاك للسفر واعمر قبل الموت رد

يصبح روصك نادى * ونفخ الزهر والسوسن من تغداد

ونقول آنفرادى * اعلى لبقيع والكعبا واحجرت لسعاد

لو صبت امرادى * واجناح طير زاعم تدنا به لبعداد

طال الجرح الكامى * مالو اطبيب دون القرب الباب السلام

لكن ثقل اعظامى * والريش خاني وارضيت ابما افلحكام

وابن على يرجو من ممدوحه الا ينساه ، ويطمع ان يدخل فى حماه

لينجو من حر جهنم ، فقد اثقلت كاهله الاوزار فلا يستطيع تحملها جسمه ،

ومادحه يصول ويفخر ويطلب الجنة :

أمحمد لا تدوز (I) مداحك طامع فى احماك ينجنا من حر الظاه

حامل عن كهل من لوزار * وامحمل عن اعضايا شل نقواها

أمحمد لا تدوزنى ربي يفقر للخلق كافا الو جمع اعصاه

(I) داز فات ولعن اصلها من دامن فى المصحى .

مداحك ايصون وبمحرر * لك الجننا اطلب وانت مولاها
 أمحمد من ادخل افحرمك يمحي وزرو لكريم لجلك اجعل مأواه
 فالجننا يهنا ويستقر * دار اليكرام ينكرم من فحماها
 أمحمد لا تدوز مداحك طمع الخير فيك اجعل الجننا مجزاء
 كان اشفعتي ربنا اغفر * للنفس الو اتعيش في وزر خطها
 ويرى العلمى فى احدى « جيلاليانه » ان الصلاة على الرسول حرزه
 ورقيه وأمانه ، تحفظه وتصون دينه وايمانه ، ويراه زهوه ونزهته وسلواه
 وعزه وحرمة وشأته ، هي ورده فى كل وقت وحين طالما امتدت به الحياة .
 هي حرزى ورقيتسى هي الامان * هي حفظى اوصون دينى ويمانسى
 هي زهوى وانزاهتى هي السلوان * هي عزى وحرمنى هي شانسى
 هي وردى اعلى اندوام افكل احيان * ان شاء الله ما فلعيات ابقانسى
 أما ابن الوليد فيطمع فى أن ينظر اليه لكى يصلح فساد بهجاء
 مديحه ، وان يشهد له بانتسابه اليه ، ويرحب به حتى يزول عنه الكرب
 والضيق وأن ينقذه من الاضرار ، ويدخله فى زمرة اللجنة ، ويسقيه من
 حوض الكوثر ، وتلك أقصى غايات الضيافة :

وابغيت فيك نظرا تصلح بمدادها افسادى

وابغيت فيك تشهد لى بالنسبا

بعد تلقانى بمرحبا * اتزول عنى هاذا الكربا * اكل نشبا

وابغيت فيك تنقذنى من لضرار واسقايم

وابغيت فيك ندخل فزمرتك للجنان زاعم

اكمال عز لضافا

وابغيت فيك تسقينى من حوضك ما الكوثر

فاذا ما تمت له النظرة فى طه فرجت كل انكاده واغتنى بعد فقره ،
 وعلم ان الله قبله فى جنته واعتقه من النار ، وحق له ان يصول بشرفه
 الحسنى مفتخرا دائم الفرح ، زاهيا منتشيا ، وقد سلم من كل عيب ، وهو
 يلج على الرسول الاعظم ان يجود عليه فى سخاء وعطف ورحمة :

ونا ايلا انشوفك ياطه تنفجا انكادى

وتعرف بين رب البيت اقبني
امن اعذاب النار اعتقني
بعد فقرى نصبح مغني
اشريف حسني
اصول وفخر اصول ارماني
بفروح دايما
اشريف بالزعم من كل عيب سالم
ونتمعدن الوافا جداسخ اعطف وارحمي ياطب كل اضرار
وهو يريد ان يراه في المام حتى يعالج من سقمه ونزهي عيناه .
فهي رؤيته بشري وغنيمة .

هل باعدرا نلقاك في امامي
قبرا من اسقياي
ونزهي انماي
نظرا فصورتك الكريم
بشرا على الرضا واغنيما
أبو لال فاطما
وعنده ان انظر اليه غاية طلبه ومناه .

اخيار كل ما نتمناه
فالدنيا شوقا فيك يا عربي
هادك حد رعسي
عند كريم ربي

ومثل هذا يذهب اليه التركمان حين يرى ان الصلاة على النبي مفتاح
كل المقاصد وغايتها :

طه واصلاتك الشريف مفتاح الكل امن اقصد * اعليك اغايت لقصد
واما الغرايبي فيريد من الرسول ان يكون له سندا يوم القيامة حيث
الامة كلها لائذة بحماه ، فذنوبه كثيرة ، وهو يخشى من ضيق القبر وعذابه
وبرجو ان يقبل مدحه هدية ويرضى عنه ويرشده وينظر في حاله ويأخذ

بيده حتى يصلح فسادہ ويخف حمل ذاته الثقيل :

أطه نبغيك اتكوزہ لی اسنيد واسنادی * افیوم الا تجزی الوالدا
عن مولود او لا اسنيد دونك يوم المعادی * والاما فحماك لايسدا
أطه ذنبی اكثر خوفی من ضيق الحادی (I) * يوم اتكون الذات فاقددا
لا أهل لاخوان او لا عمل اونيس التفرادی * لا توبا للائم هسا
أطه تقبل اهديتی برضاك وتمجادی * وارشدنی جل لمراشدا
انظر من حالى اوخوذ بیدی ينصلح افسادی * ذاتی حمل اشغيف رافسدا
لعله واضح من هذا ان امل الشاعر من الرسول يكاد ينحصر فى

أمرين : أحدهما الفوز بشفاعته يوم القيامة والثانى زيارة مقامه .

اما الشفاعة فقد جر موضوعها بعض الشعراء الى الحديث عن يوم
القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء وعقبات ، وكيف يشفع الرسول فى
المسلمين ، على حد ما نجد عند المغراوى فى «هول القيامة» حيث يذكر انه
عليه السلام كان قد اخر دعاءه الذى طلبه منه الرب الكريم ليحييه عليه ،
الى يوم الحشر ليجعله عاما على آمنه خاصا بالشفاعة :

انجوا الهاشمى باهـيج لنوار * ويقولوا جملت لأمام
جنا لك نطلب الشفـاع يا مختار * يا عالى الجاه ولمقام
ويقول أنا نها واليوم الموعود * وخرت اجواب ادعوتى عنداسؤالى
عند امنابر ايقوم بمقام المعبود بين اكراس لونيا شمس ايلالى (2)
ويسجد فالترا اينادى ياموجود * وعدك بشفاعت لورا تجبر حالى
ويقول الدايم لمسرمد * ارفع راسك من السجود
شـفـع نشفع يا محمد * واطلب تعط ابجل جود
وايقول الهاشمى لمجد * اعجل بقضاك يا ودود
اهل الجنا يدخلوها وهل النار * يمشوا لها ابلمسرام
انا الشفيع فمتى وانت الفقار * يا عالى الجاه يا سلام
ايقول الرب كونوا افجنت رضوان * اهنيا جميع ما وعدت اليوم اكون

الشوق والحنين للبقاع المقدسة :

واما زيارة مقام الرسول الاكرم فقد أتاحت لكثير من الشعراء ان يعبروا عن شوقهم وحنينهم للبقاع المقدسة وما يعانون من ذلك الشوق وهذا الحنين ، فعبد الله بن احساين دائم السهر والبكاء من الشوق ، معتل الصدر من التنهد ، لا شئ يطفىء من ناره غير زيارة أرض طيبة حيث يريد ان يمرغ وجهه على قبر الرسول ويتضرع اليه أن يمنحه الامان :

راني الله شاهد عن قلبي واللسان كل احيان

انبات كنضل ابشوقي والدمع كاينو لمـازان

بتناهدى اتعلل صدري والصعب ما بقي يليان

نمشي الارض طيبا نطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود ونتضرع فوق من قبر العدنان

وانقول ياشریف لاسم مداح طالبك للامان

ثم يعود الى منزله فرحان ليصلي ويصوم ويمدح الرسول :

وانعود من الحج المركاحي يا عنايتي فرحان

للصوم والصلا وامديحك بين لحديث والقران

ويخاطب الطالب لحسن حجاج البيت ، وقد تعلق بهم قلبه وارتبط

عقله ، متمنيا ان يقف مثلهم في عرفات ويلى :

عقل طاش امعكم يا زيار العدناني

لجبل عرفا وامنا

قلبي كيتمنى

بفضل مول المنيا

نحصن بالحرم ايماني

نوقف في موفقكم

وانلبي بالرحماني

يرحمني بفضلكم

وانقول ابليت امانى

وهو يامل ان ينادوه فيقطع المسافات ليلحق بهم .

مدرا لي بانجمان
نربى نهج الطرفان
ندهوى يا صدقاسى
نصبح فى حضرتكم
مير العشاق اسفاسى

ومن اجل ذلك يرجوهم ان يدعوا له الله ان تتم له مشاهدة نور
العين والشرب من المعين ما دام يعشقى وما دام الشوق يدعوه :

رغبو فيا المعينين
انشاهد نور العين
نروى من راس العين
نعشق والشوق ادعائى
فالمعلا ننظر كم
وانشاهد من يرعائى
كرموني بدعاكم
خايف نفسى تسعائى

ومثل هذا نجده عند الكندوز الذى يخاطب الزائرين يرجوهم ان
يخبروا صاحب المقام بحال مهجته الفانية وذاته النحيلة من الشوق ، يقضى
ليله ونهاره تائه الجوارح ذاهل الروح ، لا يحلو له عيش فيرغب فيه ولا
يناديه الموت فيرتاح ، دمه متهاطل كالمطر لا يفتر ، وسهره لا ينقطع من
فراق من سلبه وملك عقله ، لا يزيد قلبه الا لظى واحترقا وقد حالت دون
الوصول اليه الروابي والجبال ، وهو وحده الذى يستطيع معالجة دائه :

خبروه ابحالى رامهجتى ارشأت * من الوحش وذاتى بالشوق ناحلا
اكما انظلل انلاى (I) بانشوق كنبات * ولجوارح ناهو والروح داهلا
ما زهى لي عيش اولاً نادانى اممات *
من افراق امناكم لنجبال هاطلا

ليس تفتقر كالودق (I) الساكن الدقيق *

تاه على شئ ايلافى ابحبكم

...

وبن ما مرر اشاهد ما زيت اخیال *

فالفكر واليهظ والذات فاهيب

اسلمنى وممك على سبب الرحال *

ناهت اميار الذات امعاه دايما

...

كن منعا ليراء القلب الطاهرى *

يا لى عبتكم اوفىن حدكم

اكما انمىل نمى سهران كل لى *

من اهوى محبوبى فاقد راحنى

...

درقوه اعلى لرواب الطواد *

ليس من غيرو كان الليعنى اطييب

كذلك بيعت الفلوس سلامه للرسول مع الذهاب لزيارته وبطلب منه

تبليغه انه من الفراق ينحب معذب القلب هائل الدمع ملسوع الضمير ،

راجيا ان يقرب لمقامه وحماه وقد طالت غربته :

يا الغادى لمقام الهاشمى المرشاد *

بدخ اسلامى حزم نمى الهادى

الانحبيب من افراسى عمد انجيب *

وقلبى البفراق يا صاح معذب

ول الانحبيب دمع عيى هاطر اسكيب *

واضميرى البفراق لا زال امكيب

ول الانحبيب ردت امقامو تقرب *

هادى مد اشحال ونا متفرب

امى احماه فحيانى تقرب

(I) الودق كما فى التصحى المطر .

ويتوسل الى الله بمن زاروا بيته ان يزين اسمه ويزكيه وينعم عليه
بلقب الحاج ، كناية عن أدائه الفريضة :

يا لمولى زكى اسمى باسم الحاج * ابجاء من حج أطاف أزار حرم طه
فما أسعد من زار مقام الرسول الكريم وادى الشهادة عنده ، وما
أسعد من رأى سكان طيبة وفاز بالعز والرشاد ، وما أسعد من شهد نور
الهدى المبهيج ، فما مثل النظر اليه تنزه ، ولكن هل سيتمتع بصره فى جمال
الرسول ليرقى عند رؤية صورته ؟

يا سعدات من زار امقام سيد لسياد يا سعدات من عندو أدى الشهادة
يا سعدات، من شاف امقام تلك لوهاد قوم طيبا فايز بالعز والرشاد
يا سعدات من رانور لهدى المبهاج ما بحال النظرا فشمائلو انزاهسا
ياترى ننظر فجمالو ابشوف نغناج عاد نترقى لما صورتو انراها
وقد تتاح الزيارة للشاعر فيحس هذه السعادة على حد ما تم للحاج
اعماره الذى غدا سعيدا وقد حج مع الابرار ، وطلب العفو عن أوزاره ،
وزار مقام النبى المختار ومتع بصره فى قبته ، أنعم الله عليه بالزيارة فتنور
قلبه ، وتلا القرآن فى مسجد الرسول وسبح فى ساحته :

سعد سعدى حجت امع لقطاب لبرار سعد سعدى وطلبت لعفو عن اوزارى
سعد سعدى زرت امقام النبى المختار سعد سعدى متعت اققتو ابصارى
سعد سعدى نعمنى خالقي ابلمزار سعد سعدى واتنور ساكن السيارى
سعد سعدى فى مسجدو اقريت لسوار سعد سعدى سبحت افساحتو البارى
لذلك فما شاهد - فى رأيه - شيئا من لم يشاهد مقام الانوار ،
وما أدرك من لم يدركه ، وما أحس من لم يحس سر الاسرار فى مقام
المصطفى عظيم الاسرار ، وما فاز من لم يفز بالحج والذكر عند قبر النبى
الكريم ، وما رشف من لم يرشف من ماء زمزم العذب خير الآبار ومظهر
القلوب :

آش شافوا من لاشافوا امقام لنوار واش دركوا من لادرکوه افلعمارى
واش حسوا من لاحسوا بسر لسرار فى امقام المصطفى عاظم السرارى
واش نالوا من لنالوا الحج واذكار فوق قبر الهادى لمشرفو البارى
...

واش رشفوا من لارشفوا افخيرليار :ير زمزم لعذيب امظهر السيارى
واذا ما هيئت الزيارة للشاعر فانه قد ينقل وصفا للركب ومراحل
الحج فى قصائد أطلق عليها «المحمل» ، وهذا ما فعله عبد القادر بوخريص
الذى وصف ركب الحجاج المغاربة وهو يستعد للرحيل من فاس ، وقد
ضم جماعات من سوس ومراكش والحوز والعرب والبربر ومختلف القبائل:
أرواح أراسى اتشوف هذا الركب السائر
خلا ناس الذوق سايقا لمقام المختار
مادامن قومان جات تمشى للحج اتخاطر
من سوس امراكش للفريخ جلوا الخطار
واهل الحوز اوكل امن اتهايا واعرب وابراير
واقبايل شلا انصفها والطلبيا لخيار
ويعطى صورة لاطار هذا الجمع الذى برز فيه أكابر أهل فاس ،
حيث نصبت الخيام واصطفت الخيول ولمعت الخناجر والسيوف والبنادق
والرماح ، وحضر أبناء السلطان يحيط بهم الخدم والحشم ، ووقف رئيس
الركب يستعد للرحيل وقد فاضت عينه بدموع كالجواهر :
واخوايج هل فاس برزوا بمضارب واسحاحر
واخيام اعجيبا امتحفا فرجا للنظار
واهجاين واخيول رايشا واصوارم واخناجر
وامكاحل واسنون والسيوف اتقصر لعمار
واولاد الملك عيدو رضى اسناهم زاهر
حفت بهم ناس لوفنا واعبيد ولحرار
والحاج الطالب (I) فاض بحرو دافق بجواهر
واتهايا للميز والسفر بالمال ولجوار

I - فى البحث الذى كتبه الاستاذ محمد المنونى عن «ركب الحاج
المغربى» ان ركب هذا العام (I326) حج فيه المولى ابراهيم ابن السلطان
المولى سليمان وان الذى ترأسه هو الحاج الطالب بن جلون (ص 15 ط.
معهد مولاى الحسن - تطوان 1953) .
(32)

واجمال وابغال ولحمال والصايم والفاطر

واهوادج واجحاف صاينا واعوانس وابكار

ويستعرض مختلف مراحل الحج ، وتبدأ في رابغ حيث مكان
الاحرام — بالنسبة للمغاربة — والشروع في التلبية ، فالتواف بالمقام
وتقبيل الحجر الاسود والوقوف بعرفات ، ثم الهدى والنحر في منى
صباح يوم العيد فرمى الجمار ، وبعد ذلك يؤدي العمرة ويقوم بزيارة
قبر الرسول في المدينة :

وافرايغ يحرم امن اتھيا للحج وهاجر

ويلبى للحى امن اصميم القلب البكار

ويطوف ابل مقام ولحجر قدامو يتجاو

وافعرفا تكل حجتو ابرحمت الجيار (I)

وايضحي بمنى اصباح عيدو وايولى ظافر

بفرايضى وامناسكو او حجو يرمى بجمار

وايجب العمرا اعلى النهايا ويطيش الخاطر

وايجدد بالسير للشفيغ الماحى لمزار

أما اذا لم تتح الزيارة ، فيكتفى برسول يبحث عنه كتابا للنسبى
العظيم ، على حد ما فعل الحاج محمد بن على المسفيوى في «المرسول» الذى
يقول في حربته :

من الغرب اتسير ابلكتاب بالمرسول وصلوا لحمد طه خاتم الرسالا

ويشير عليه بالطريق الذى ينبغى أن يسلك للوصول الى البقاع

المقدسة ، مع تحديد لكل المحطات التى يمكنه أن يتوقف بها ، وهو فى

البدء يوصيه ان يتجنب الصحراء لقلة الماء وصعوبة الطريق وينصحه ان

يسلك طريق الساحل وان يظل فى ركاب الحجاج :

لا تفرق الحجاج اتنال كل تقراب فى اجمعهم تدرك لمراد دون ريبا

جنب الصحرا تنجا من هول واشغاب قلت الما فيها واطريقها اصعبا

اعلى ااطريق الساحل تفدا وصغ للقول رايد النصحك بحديثى افد لمقالا

أما الطريق في المغرب فيبدأ من الرباط فسلا فمهدية فأصبيلا
فالعرائش فطنجة فسبتة فتطوان فمليلية فجبال الريف .

من الرباط اخرج كركب بنفجس ، ولقبول ايشمليك طيبو اعطير ،
في اسلا نقي لرجوعك بمرجا دوز مهدي وولا (2) ار دوس سراج
من لعريس نام في طبريا الحرج ، ابزورب الوالي المكني اسمع الحاج
من على سبت وفتطوان محفول الكور فملالا وانعود افلكفالا
دوز فجبال الريف اولا اترافى سهول ترك خدمت هومان الحور ولجهلا
ثم يعبر الحدود للجزائر حيث يمر بوهران ومستغانم والجزائر
العاصمة فعنابة ليصل الى تونس ، وفيها يزور بنزرت وتونس العاصمة
حيث يوصيه أن يقف على مقام سيدي محرز قبل أن يأخذ طريقه لسوسة
وسفاقس وقابس ، ومنها يدخل الى ليبيا بادنا بطرابلس فطبرق فبنغازي
فبرقه .

دور لنغزوات بنى نصت بظهر بـ وهران (2) اقبالو ينبا احصين زاهر
مستغانم اسرار السر البلهام ميسر بـ كان فالتيه اتيان امدينت اتراف (3)
بعد عماها في بنزرت مانري هول * في تونس لها روح افلمهالا
دور سبتى محرزواغدا متيل رقاص * ذكر احبابي في سوسا مع اسفاقس
في احصاهم تحظى هاني اولاترى باس * ما من اقبالك حتى اتشوف كابس
سند كابس في امساير اتشوف بفلاس * من اسواحل جرب حتى صرابلس
بـ واقصد طبروق اولاترافق اكفول * تصيب بنغازي طرف اليم غفالا
بن في برقا حاضي لا يصيدك ادهول * في امهامه درنا ما تلتق ادهالا
ويصل بهذا الى الحدود المصرية الليبية ، فيدخل السلوم ومنها الى
الاسكندرية فدمهور فطنطا فالزقازيق فبنها فالقاهرة :

زد للسلوم اصغالي انفيدك بغراض * ابلهدق كن اقلشمى اخفيف لعضا

1 - يغيب قلب صاد أصيلا زاي

2 - يغيب على المغاربة نطق وهران بكسر الواو .

3 - يغيب على لهجات الشمال الاغريقي قلب حيم الجزائر ، وكانها
ستنقل الجمع بين الجيم والزاي .

ففي اسكندرية تلقى من لوفاحظ * للدمنهو اتكلف ابلمشى اكبالا
فوت دار الرهبان تدرك عز واقبول * بلعباس المرسى اللي افلحظا
لن سیدی البدوی كان رايد اتصول * افطنطا ما تحتاج لمراسمو ابدا
لن كازيك امع بنها اتصيب فالحين * بنها روح المصر يا رسول فرحان
ويتوقف ثلاثة أيام في القاهرة ليزور مقام سيدنا الحسين والقلعة
وضريح الامام الشافعي والسيدة سكينة ويستمتع بصفاف النيل . وهو
خلال هذه الايام يتفرج على حفلات المحمل بقبابه وهوادجه والمشاعل
والعساكر في زيتها الجميل والابواق والاعلام والطبول :

سر لمقام ولد الهاشمي اتصيب فالحين الجاههم اسع الرب لورا المنان
اطلع للقلعا لحصينا ومتع العين اعلى لخبير انفتش من به حق ستعان
زر لام الشافعي اتعود مشمول بالثنا والبركا ولا تر امهالا
اكداك ست سكينا (I) طب كل معلول افحرمها زد اتدل غايست الدلالا
اجلس تلتيام افرجا ابغيتك اتنال بنزايه بين القلعا وساحل النيل
كل يوم افراجا بين لكهول واطفال في ايام المحمل اللي هو موكب احفيل
بالجوامر شع يبريزها ابلهلال ولقيب وهوادج تشفى اسقام لعليل
ولعساكر تظهر في زيتها المكمول افلكسا وما دركت كيفها اعمالا
ابلعساكر واغوايط ولعلوم واطبول ايجدو داك الموكب كل ما اتبالا
أما الرسالة التي يحمل فسيبلغها عند شباك المقام ، حيث يوصيه أن
يضع يده ويخبر صاحبه الكريم انه جاء مبعوثا من محب فنى جسمه فى
حبه ، لو اسنطاع لقدم روحه مقابل وصله ورؤية نوره ، جاء برسالة منه وقد
تركه رهين الشوق يريد أن يتشرف بطيب اللقاء ، وألا يحرمه من رؤية
جمال وجهه وأر فى المنام ، فكل رغبته وكسبه أن يجود عليه بالرضا
والعطف :

بعدها توضع فالشباك راحت ايديك

قل لويا من روح النفس هاييم افداك

(1) الذى بحفظه الرواه هو «ست ستينا» ولكن لا يعرف ضريح بهذا الاسم
في القاهرة ، وزججنا أن يكون تحريفا لـ : «ست سكينا» .

جيت من عند اللى جسمو افنا افحبك
قال لك حق اللى بين لعباد نباك
لو ايصيب ايبدل روجو ابطيب وصلك
ايشوف نورك من سجدت لو اجميع لملاك
جيت برسالا واتركتو ارهين شوقك
راد يتشرف يا سيدى ابطيب ملقاك
لا تحرمو من نظرا فى اجمال وجهك
حيها ولو فى امنامو ايشاهه ابهاك
كان رفتلو من بعد الرضا ابعطك
ذاك رغبو واكمال اتجارتو امن اوفاك
ومثل هذا نجده فى القصائد التى يطلق عليها «المرحول» أو «الورشان»
أو «الحمام» حيث يرسل الشاعر طائرا الى البقاع المقدسة يحمل رسالته
نلرسول ، مارا بنفس المراحل ومزودا بنفس التوصيات . من هذه القصائد
«مرحول» الحاج عمر المراكشى الذى يقول فى حربته :
أولد لحمام ادى لى عنوانى نلصادق لمصدق رسول الله
ومنها كذلك قصيدة الحاج ادريس لحنش المشهورة بـ «حمام المدينة»
والتي يقول فى حربتها :
هاك اکتابی یا حمام المدينى من أرض فاس سر اتزور المدنى
ويوصيه اذا ما وصل الى الشباك أن يلقي بالكتاب ويبلغ الرسول أنه
مبعوث من طرف عبد أثقلته الاوزار ، تحبسه وتقيده جرائم كبيرة ، وهو
يرجو شفاعته ليل نهار :
أوقف فالشباك الشريف الزاهر وائق اکتاب للماحى تاج انصارو
ثم قل أشافع لعباد الطاهر هذا کتاب عبد امثقل بوزارو
محبوس امقيد فى اجرايمو لكبار يرجا اشفاعتك فى ليلو وانهارو
التوسل :
واذا كان الشاعر الشعبي قد عبر فى قصائد الحنين الى البقاع المقدسة
والشوق لزيارتها عن حال ضعفه مثقلا بالاوزار ، فانه فى قصائد التوسل

تشف « في وضوح أكثر عن هذا الحال وعن رجائه الملح في الله أن يسقذه ويعفو عنه » ، مدخذاً وسيلة « آية » إلى رسوله الكريم وساطات مختلفة (I) .
ومن أشهر فصائد التوسل فصيحة العلمي النني يقول في حريتها :
يا من ابلاني عافني ارحمتك انال خف بقل يتسرح يرتخا اعقالي
وفيها يطلب من الله أن يغنيه حتى يعمّر كربه ويصرف همه ويها
خاضره ويسلو قلبه ، فليس له من ملجأ الا هو بعد أن فشلت كل حيلة
رحيمت لا كدار في ساحته ، وهو يريد أن يقضى حاجته في الحال متوسلاً
اليه بالرسول والأنبياء والأولياء والسادات والصالحين وكافة الاقطاب
والابدال وجبريل وملائكة العرش وعزرائيل وميكائيل واسرافيل
واسماعيل وابراهيم :

غثنى يتفجأ كربى انلوح لهوال * خاطرى يتنهنا قلبى ايعود سالى
لين يركن من بارت لو اجميع لحيال * اوعاد منزل ديوانو اهلكدار مالى
ادخيل لك أمولاى بالانبياء ولرسال * ادخيل لك اسيدى بجاه كل والى
ادخيل لك بالسادات الصالحين لفضال * كافا لقطاب ولجراس وابدالسى
يايلاه اسألك بجاه حق جبريسل * اسع امايكنت العرش هل السما العالى
اوجاه عزريل وميكائيل ويسرافيل * كل ما نطلب لك نبغيه ينعطالى
اوجاه اسماعيل ومول لمقام لخليل * حاجتى نبغيها فالحين تنقضى لسى
وهو حين يتوسل الى الله يعرف أنه غير غائب حتى يرجوه أو عاجز
حتى يعذره ، وانما هو قريب حاضر ناظر ، جزيل العطاء والاحسان ، قادر
على أن يشفى ذات العبد من كل علة :

مانت شى غايب نرجاك يالجليل * اولاً انت شى عاجز تعدر يالمولى
قريب حاضر ناظر معطاً احسانك اجزيل * تقدر تشفى من ذات العبد كل علا
أما هو فضيعف الجسم قبل الحمل لا يعذره الناس في بلواه ، لا حول
ولا قوة له ولا جهد ولا حيلة ولا تدبير فيما قضى الله :

لبدان اضعيف والحمل جابر اثقيـل * ولخلائ ما تعدر حال من اتبـلا
مايل قوا ولا جهد ولا حـول * ولا دبـير افلقضا ولا حـيـلا

(I) معلوم أن للدين رأي في موضوع التوسل الى الله بالغير أو التوسل
لغير الله ، ولكن ليس من شأننا أن نتعرض له في هذا البحث .

وأمله كبير في أن يبلغ مقصوده ، فالعبد اذا شكى لسيده قبل
شكواه وحرره ورفع مرتبته ، لذا فهو يدعو ويرجو منه القبول والاسراع
فيه ، ما دام باب الاجابة غير مقفل ، وما دامت خزائنه مفتوحة
للسعاة مثله :

اذا اشكا العبد اعلى سيدو ايزيد يقبال *

ايحزرو ويديرو فمراتب لمعالى

باب اجابا عندك ما سد بخفالك *

امخازاك مفعولاً للساعى ابحالى

...

من عندى انا الدعى ومن عندك لقبول *

والحاجا ما تكون فيها تعطلا

أليس هو القائل لرسوله : «واذا سألك عبادى عنى فانى قريب
اجيب دعوة الداعى اذا دعانى » ؟ واذن فلن يخيب عبد دعاه وسأله ،
فهو سريع العطاء ، تنفيذ امره رهن بحرفى الكاف والنون ، وتلك قدرة
الجليل التى حارت فيها العقول ، وما حاول احد ان يحقق فيها الا وغاب
عن عقله وتاه :

حق قلت يا ربى للنبي المرسول * من ادعاك فعييدك حق تستجب لو
كيف يدعى عبدك واخيب بالمسؤول * يا سريع المعطى لجميع امن اطلب لو
أمرك بين الكاف ونون حق مفعول * من اتحفك بحمى واخيب به عفو
ولا عجب فقدرته وسعت كل شىء ، اذا اراد شىء للجليل واعنى
الفقير ورفع الوضيع وعلا شأنه وجاهه ، واسعد الشقى وغفر له معاصيه
وصيره من اوليائه . لذا فالواقف ببابه يطمع فى العفو الذى وجود به
على العصاة أمثاله :

اذا ردت بحكمتهك تشفى لعليل * ويذا ردت لفقير يرجع ذو مالى
ويذا ردت لوضيع يدنا للنفضيل * ترفع جاهو ايعود فى منزل عالى
ويذا ردت الشقى اتسعدو بالجليل * تغفر لواقفا اعصاك واتجعلوا والى
بعفوك انجود على العصاة ابحالى

وهو يرجوه الا ينظر الى قبائح أفعاله ، وان ينظر الى ضيقه وضعف حاله ، فلن تنفع الله طاعته ولن يضره جهله ، ما دام غفارا لا يحاسب على الضلال :

لا تنظر يا كريم لقبايح فعلى *
انظر من ضيقتى وضعف الحال
ما تنفعك طاعتي ولا ضورك جهلى *

لنك غفار ما تحافى بضلالا
فيه رجاؤه وعليه توكله ، ولا يريد ان يسلمه الى من لا يرحمه ولا يرثى له ، هو المتعالى يعلم سر قلبه وانه لا يفكر فى غيره ، مهما ضاق به الحال وفاضى قلبه فهو لا يسعى لغيره ولا يفتر عن سؤاله :
من فيك البرجا واعليك الاستكال * لا تولجى اليد من لا يرثى لى
انت تعلم اسمر قلبى يا متعال * لا ينى ما ندير غيرك فى بالى
مهما يقنط ساكنى ويضيق الحال * نسعاك اولا يغيب عنك اسؤالى
ولا بن الوليد توسل رائع يقول فى حربته :

ناديت ابكرحتى اوصوتى * وارفعت صوتى الرب الملكوت
وادعيت اقلت فى ادعوتى * يا من نجيت يونس فبطن الحوت
اما قبل الموت وما بعد الموت ياربى كن لى افموتى
وهو يتوسل به اليه ان يسمع دعاءه ويلبى طلبه ، فقد وقف ببابه مملوكا يرجو ان يغنيه من احسانه وفضله الواسع ويهديه لذكره ويجعل هذا الذكر قوته والذ فى لسانه من كسل لذىذ ويكتب له فى قسمته قصرا بالجنة :

انلهم ابحقك أمولاي اعلييك *
سلتك بك ياالسميع المن ادعاه
كن افطلبى اسريع اكما نطلب لك *
يامن صورت صورتى فى شين ارضاك
انت السلطان مايلك فالملك اشريك *
ونا المملوك واقف فى بابك نرجاك

ياربنا اسألتك * من فضلك واحسانك * وانت الخير عندك
ضافى اعلى اعبادك * اغننى بفضلك * الواسع اخزانك
واجعل مشروبى اوقوتى * ذكرك فلسانى اعلى من لذ القوت
واجعل يا خالقى اقسمتى * اقصر امؤيد افجنت لعلا موروث
وله آخر يتوسل فيه الى الله باسمه وببعض سور القرآن الكريم ،
يقول فيه :

نتوسل باسمك ليك اوصاد اوطه واقاف والقرآن لمبين والرحمان ياسين
ولمولاي على شقور توسل يقول فى حربته :

ياالله نتوسل لك ابنورك يا سيدنا مولاي محمد لطيب عندك
يرجو فيه الله ان يحن ويشفق على عباده ، والا يخيب من جهل
بأمره والا يعاقب العصاة لانهم يلتمسون رحمته ، فكل الخلق فى قبضته
وحكمه ، وكلهم يعرفه بقدر ما يريده هو ، بيده شفاء المريض لا يداويه
غيره ، وبيده القبض والبسط ، واجد فى ملكه لا شريك له :
حسن واشفق اعلى اعبادك ياسيدنا *

اولا اتخيب شئ ياسيدنا من جهلك

لا تزعج ابلعقويا اعلى الى اعصاوك ياسيدنا *

اوهمما ابلحبيب يرجاوا رحمتك

كل ما خلقت ياربى كلو فى احكامك ياسيدنا *

كلها اوما بينت لو منك

والى امريض امعلال ادواه بك ياسيدنا *

اولا ايداويه يا سيدى من غيرك

يا باسط لنعام ابسط اعبادك ياسيدنا *

ابخيرك يا سيدى ونعمك

القبض والبسط كلو منك ياسيدنا *

فيه القت يا مولاي عبدك

لا شريك امعاك اولاً مشرؤك ياسيدنا *

واحد احد فى ملكك

ومن طريق التوسل الى الله لون جماعى يشترك فى انشائه اكثر من شاعر يطلق عليه « التويزة » او «الراحة والشفاء» (I) ، وهو عبارة مسجلة يقصد منها الى طلب شفاء صديق مريض ، او انتقام من طاغية ، يتطارح فيها الشعراء عروبيات أو اقساما تكون فى مجموعها قصيدة (2) ومن اروعها تويزة مراكشية شارك فيها الاشياخ محمد بن الكبير ومحمد بن عمر ومحمد بن بوسنة متوسلين الى الله ان يشفى صديقا لهم مصابا بداء الضيقة النفسية ، بدأها ابن الكبير داعيا الشعراء الى طلب الرحمة والشفاء لهذا الصديق ومتوسلا الى الله ان يدركه بلطفه الخفى :

أسادتى اقوامى العلم الموهوب * يامن لكريم هبكم افضل وافى
عنكم اسلام فايق المسك افلجيوب * يعبق عن جمعكم ياهل لقوافى
وبعد مرو اقصدكم وجا موعوب * امريض النفس طالب الله ايعافى
طلبوا له الرحمة العالم لغيوب * اسميع امجيب ابلخطا ليس ايعافى
هو يعفو اعليه من هذا المكروب * يشفى ضررو افحين بدواه الصافى
وادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

(I) فى مراکش يطلقون على هذا اللون «التويزة» وفى فاس يطلقون عليه «الشفاء والراحة» . ومعنى التويزة الحصىلة ، وهو اسم شائع عند الفلاحين . وذكر لنا الشيخ ابن عمر المراكشى فى نشأة التويزة عند شعراء الملحون قصة اسطورية تقول ان ملكا كان له كنز لا يفتحه الا ايام المجاعة . وفى يوم من هذه الايام أراد ان يفتحه فلم يستطع فاستدعى العلماء فعجزوا فهددهم بالقتل . وكان احد هؤلاء العلماء متصلا ببعض اشياخ الزجل فحدثه عن الموضوع فقال له الشيخ : «انتم علماء الاوراق ونحن علماء الاذواق» واخبر العالم السلطان فاستدعى هذه الطبقة من حملة علم الاذواق — وهم الشعراء — فاخذ كل منهم ينشئ وينشد الى ان تيسر فتح الكنز .

(2) ذكر لنا اكثر من شاعر ان التويزة تقال قصيدة فى فاس وعروبيات فى مراکش .

فأجابه محمد بن عمر :

يا نعيم السلام يا نعيم المدوب * السلام الا يزول من عند اولافى
 افشأن هذا الرجول من ضرره خافى *
 نسال اعلاج ضرره دون اسبوب * شجى سالى اسليم هانى متعافى
 ما بن اهلوه ولا متوه فارح مطروب * توب الراحا اكساه ليس بالوافى
 بالسمت بالسقم ما بقى مشغوب * شفاه الله امن الضيقا متشافى
 من لظوه من لاينام وانسى كل انكوب * واهضى ضرره وعاد بدتو صافى
 ان نسال لكريم وكفى منصوب * فدعايا كنقول يا نعيم الكافى
 ادرك هاذ لمريض باللطف الخافى

ثم رد عليهما ابن بوسته متجاوبا معهما فى التوسل :

اتى مسطوركم يا لامت لنجاب * وإشرح صدرى إمنين ريتو بهدافى
 افشأن هذا الرجول بالضيقا موصوب * بالراحا بشروه ضرره متنبافى
 وفاه الله بعلاج ارمى لنحوب * تجاه الله سار جرمو مترافى
 انهم ابجاء لحبيب المحبوب * طسه عين لوجود نعيم المقتفى
 اللهم ابجاء ما ضمت لكتوب * وابجاء الساجدين فى كل أفيافى
 اسمائك بك لك عجل بالمطلوب * يامن ترى ونيس ترى كشوافى
 ادرك هاد لمريض باللطف الخافى

كذلك توسل الشاعر الشعبى للرسول على حد ما نجد عند ابن الوليد
 الذى يتوسل اليه بحرف القاف من القدرة ، وبحرف العين من عز اصحابه
 العشرة ، وبحرف الفاء من فضل فاطمة وبحرف اللام من الملائكة المقربين :
 ادخيل لك ابقاف القدرا * اعين عز اصحابك عشرا * أفا فضل فاطم الزهرا
 الام لملك لقربا عند مولاك

ويقف عند بابه يشكو متوسلا الى حماه ليعتق روحه من أيدي اعدائه :

هواها الخشن والشيطان اللعين :

واقف عند بابك شاكى
 زكت يا محمد فحماك
 فادى روحى بفداك
 امن ايدين اعداها

نفسها واهواها لخشين

الشيطان اللعين

ومثله توسل الطالب لحسن الذي يقول في حربته راجيا من الرسول

أن ينجيه من حر النار :

فكنا من صهد النيران * يالعدنان * يا رسول الدنيا والدين

ويطلب منه الا يفرط فيه يوم اللقاء الكبير ، فهو صاحب الفضل

والبر والشفقة ، وان ينجيه كما نجا الفارقين مثله في الذنوب :

يا رسول العاهد لوثيق * لا اتفرط يوم الملقى

يا فصيح اقوال التصديق * والفضل والبر اشفقا

يا مسلك من كان اغريق * فالذنوب امثلي وابقسى

ويتوسل اليه بعمر وعثمان والحسن والحسين والصديق وعلى وبقيّة

الصحابة الاركان واهل القرآن ، وبحمزة وفضلاء عقىل وبحرمة الكتاب

وصحف العلم ، يتوسل اليه بكل هؤلاء أن يفكه والمسلمين في ساعة

الحساب :

ادخيل لك بعمر وعثمان * بالعدنان * والحسن واكداك الحسين

والصديق اجملت لركان * يالعدنان * ابعلى وهل اللبين

ادخيل لك ابجملت لصحاب * يالعدنان * ابحمزا وفضايل عقىل

ادخيل لك ابهرمت لكتاب * يالعدنان * والصحوف اعلم ادليل

اتفكنا فى ساعته لعقاب * يالعدنان * ياشريف النسب انفضيل

ويتوسل معمد بن الحسين العلوى الى أصحاب الرسول العشرة

الشرفاء المنورين الذين سبقوا الى تصديقه :

زكت. فحما نعم العشرا اخيار لصحاب *

اصحاب معمد من لا كيفهم محبوب

زكت افحرم لصحاب نعم الاكرميين *

من بهم طابت لمكارم فلجسنا

هما الشرفا لمكارما فالعالمين *   

هما الى نورهم لكمل اقتبسنا

هما الى صدقوا ابالحليم الامين *

مهما نور عل لفلان ارضا واسنا

فيما جابه صدقوا نور اشمسنا

ويتوسل الحاج ادريس لحنش الى أبناء الرسول أصحاب الجود
والفضل ان ينظروا الى حاله حتى يظفر بأمله ويسلو وتهنأ روحه ويمزول
عنها الشقاء ، فقد جاء يسعى حماهم ، وهم اهل الوفاء والرحمة ، ونجوم
الدنيا الزاهرة ، عساه يقبل وينال الرضى ويذهى بالبشر حاله ، فقاصدهم
لا يخيب ، وقد صال عليه الزمان فأتاهم شاكية تسيل دموعه :

أسادتي اولاد طه * شوفوا من حالى

جمعوا ذاتى امع ادواها * نظفر بمالى

واتريخ الروح امن اشقاها * وانولى سالى

أسادتي اولاد طه * بغى نبى من لعلال

شوفوا حالى افغير حال * رفعوا عارى اوصارخونى تهنا روحى الحايرا

أسادتي اولاد طه * لحماكم جيت يافضال

قبلونى بالرضا انال * يادار الجود ولوفا وانجوم الدنيا الزاهرا

أسادتي اولاد طه * قاصدكم ما يرا انكال

لين لبعير ولغزال * اهرب لمقام جدكم ياهل الرحما الناشرا

أسادتي اولاد طه * عنى هذا الزمان صال

والدمع من لعيون سال * قبلوا من جا لبابكم شاكية يزها ابلمبشرا

فليس له من دواء غيرهم ، فى رضاهم عنه ربحه وغناه وراسماله ،

وهو يرجو ان يقبل عبدا فى حماهم للخدمة ، فهم آل النبى الاصفياء الاوفياء

المطهرون ، أعطاهم الله من اسراره الباهرة ، وهم ابنا فاطمة القرشيسة

الشريفة الكريمة درة الجمال الحسنة الافعال ، الشبيهة بحور الجنان :

شيدونى ابلا دواكم ياهل لمعالى

ربحى واغناى فى ارضاكم هو رسالى

قبلونى عبد فى احماكم نخدم مدالى

انتم اهل الصفا ولوفا وانتم اهل النبى الآل

طهركم حق ذو الجلال
واعظاكم كامل لعطيا حسن اسرارو الباهرا
انتم اولاد الشريف القرشيا درت لجمال
لكريما زنت لفعال
مولاتي فاطما البتول الحريا القاصرا
والى اولاد فاطمة كذلك يتوسل الغرابلى فى قصيدته التى يقول فى
حربتها :

طلبكم ضيف الله سرخنا ياهل لحسان *
من يقصدكم حاشا ايخيب ياهل البيت العدنانى
لشراف الحسين

وفيهما يقول متوسلا اليهم بجدهم ونورهم السننى وشانهم العظيم
وطيبهم العطر أن يفكوا اسره ويغنوه ويجبروا كسره ويزيلوا ظلمته ويضيئوا
نجمه ، فتفتح له أبواب الخير ويربح ويسعد فى آخرته ودنياه ، وطالما ان
خلفهم مستر ، فهم رحمة للعصاة والمنقذين ، وكل من لجأ الى حرمهم لا يخاف ،
وهم يشفعون فى محبهم فيدخل الجنة :

نبغى اسراح يسرى * وغنا فقرى * اوطب كشرى
نسعد وانفوز ابلمزيا حين يحظفو اسياذا
هل نؤفا ضمانى لشراف الحسين
وابحق جدهم نسالهم الماجدين
وابحق نورهم الوسم * وابحق شانهم الفاخم * وابحق طيبهم الناسم
نبغى انلوح ظلمى * يضموى نجمى * ابثور يسمى
وابواب الخير تفتتح افربح الدنيا اى لآخرا نسالهم يعطانى
نسعد فالدارين

يا ولاد الزهرا الطاهرا الشريفا نجبة عدن
ما داموا فالدينا انجالهم تقات وعصيانى
بهم مرحومين

كيف انخافوا واحنا. افحرمهم يالمت لخوان

ايشمعوا فاللى جيبهم ويدخل الجننا عانى

يغنىم حور العين

ومثل هذا التوسل بأولاد فاطمة الزهراء نجده عند الفلوس اذ يقول :

يا لاه الشمار الياسمي الرسال * لا نديروني يوم البعث ونهول
يا دم اكسا السني اهل تكرام * يا ترى فيها كم يتمنعوا انيامسى
ياكم اعظمهم هم اغنى المدايم * اهل المدايم اوجاهكم سامى
اذا اعطفنو عسى روصى ايعود ناعم * من استقبته ما يبقى الكليج ضامى
يا سموعى ارمى اجمع نهوال * ما يرب امن اقصدكم يا اهل المعالي
اذا عطفنو عسى عيسى اربح والبال * كان وعمل ارضاكم على ارضى العالى

...

يا اهل النور السانى حينكم مكيود * سر سر سجنى بالشراف امن كبادى (I)
يا اهل النور السانى جيتكم مطرود * دوتكم ما عندى من ذا الغلال فادى
يا اهل النور السانى جيتكم موكد * عاملوى يا آل المصطفى الهادى
يا اهل النور السانى جيتكم موسال * صرخونى بكمل قصدى امع اسوالى

مدح الاشراف والاوتياء :

واذا كان الشاعر الشعبى يتوسل بأبناء الرسول فهو يمدحهم
كذلك ، فابن الوليد يطلب من المنشد ان يفخر بفاطمة بنت رسول الله
عروس يوم القيامة ، الصائلة بجمال الشرف على سائر بنات آدم ، ويطلب
منه أن يمدحها ويتغنى بمدحها حتى يفوز بنظرة فى جمالها ويفرح :
صول يا غانى وافخر ابللا فاطما الزهرا بنت ارسول الله اعريس يوم القياما
الصايلا ابزين الشرف اعلى ابنت آدم

...

وامدح للا فاطم بنت الرسول * غنى بالمدح وامدح حتى بالمدح

تربح نظرا فزينها وافراح

...

(I) مكيود : مغبد ، والاكياد القيود . (2) سائل .

امدح يالمدح أقول أزيد قول * عسى ان شا الله اتحوز نظرا

افزيتها واتفوز كنز امعظم افلكنوز

ولكنه لا ينسى شرف المقام فينبه مخاطبه ويطلب منه أن يتعظ
ويتأدب ويتأمل ويمتثل ويطلب الامان ، ويهدى كلامه الجميل الى أم الجمال
حتى يهدأ من الفتنة ويعوز الهناء وينال الغنى ويفوز بنظرتها في المنام :
اتعظ وتأدب وتأمل يارجول

وامتائل واطلب لمان

واهدى كلامك الحسن

لم الحسن

وارتاح من الفتنة

واطلب لهناء

اثنال لغنا

واتفوز بعز لحلاما

ويذهب شقور في مدحه للاشراف حفدة الرسول الى أنهم معروفون
في كل مكان ، لا يخفى سرهم ، من احبهم عظم وشرف وغدا سيفا مصقولا
لا يقل ، ومن ابغضهم صار حزينا ذليلا مهموما :
اولادك في اجبال ووطا ساروا بالتعريف *

شوقوا بالناس سرهم عمرو ما يخفا

انلى ايحبهم صار امعظم اشريف *

سيفو مطحون عمرو ما يحفا

والى يبغضهم صار احزين احسيف *

كيف المغبون الى يرفد لحفا

وفي نطاق مدح الشرفاء حفدة الرسول والتوسل اليهم ، مدح

الشاعر الشعبي مشاهير الاولياء والصالحين وتوسل اليهم (I)

(I) لا يخفى ان للدين رايا في تقديس الاولياء والتوسل بهم او اليهم،
لا نعرض له ، فهو بعيد عن موضوع البحث . وكانت قد قامت في المغرب

وكان المولى ادريس (I) اوفرهم نصيبا ، ويطلق على قصائد مديحه
«الادريسيات» ومنها قصيدة للعلمي يصفه فيها بأنه هلال أهل الرأفة
والوفاء والاحسان ، اذا رأف به نال لا شك ما فى ظنه ، وهو الامير المسمى
لا يعجز عن تنفيذ الاحكام ، يأمر ان عطف فينفذ أمره :

... الى ترويت ابلاتك نال ما عطفى
بالسر لا يعجز عن سوط اجتام * ابدا شطفت امر يعمال شوط كازم
شاهد بوجوده أندم الكرماء سال تدى وزيد وتاجهم حاتم . كما نشهد
الانس والجن والوحوش الهائمة والبر والبحر وسائر العوالم .

... وجود الساخين لقدام *
اميل عدى او زيد وتاجهم حاتم
«سوالج ابشهدوا ووحوش نهوام *

ونبحور وبرين وسائر لعوالم

من العنصريين الى استلايينات من القرن الحالى حركة سلفية متأثرة
بالوهابية ودعوة الافعاني ومحمد عبده الاصلاحية ، قادها الشيخ ابو شعيب
الدكالى ، حاربت تيار الصرق والاضرحه والزوايا . وبحثنا فى شعور
المعاصرين الشعبي علنا نجد انعكاسا لهذه الحركة فلم نجد شيئا حتى
حابلنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز فذكر لنا انه كان مرة عائدا
من زيارة صريح مؤى ادريس فقايله احد اشياخ مكناس كذلك ، يسمى
مولاي احمد الدلال ، وعلم بأمر الزيارة فخطابه بعروبي فيه روح سلفى
م يبق منه فى علم الشيخ الدراز غير هذا الشئ :

اجى نوصيك يالى زائر لقبب
فاجابه الدراز فى روح معاكس بعروبي لم تحفظ ذاكرته منه غير قوله:
عرك يبييس يالى عت بلفبب
عهم لا خوف لا حزن قول اعلى

...
عادون من ايمان راسعواولس
حب المولى اوحب خاتم ترمالى

وواضح انه يردد فى هذا العروبي الاية التى كان يتمسك بها
الضرفيون وهى قوله تعالى «الا ان نوبيا» انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»
(1) وفد المولى ادريس الى المغرب فارا من وقعة فخ سنة 169 هـ
وباعه المغاربة سنة 172 ومات مسموما سنة 177 ، ودفن بزرهون ،
وخلفه ابنه ادريس بن ادريس المتوفى سنة 217 والمدفون بمدينة فاس ،
وكلاهما كان موضوع «الادريسيات» .

هو مقام الخير وكهف الاحسان والجود ، وهو القطب والسلطان
المرفوع الاعلام ، وهو القرشى الهاشمى المرشود الوارث للفضل والحلم ،
وهو سند المساكين والغرباء والمفقودين ، يلوذ به الفقراء والاغنياء واهل
المدن والقرى وساكنو الخيام والاقطار المجهولة ، يتوسلون به وينادونه
فتصيبهم جميعا رحمة الله :

يا مقام الخير وكهف احسان والجود * يا لقطب السلطان الراقب ابنودو
يا لحسن القرشى الهاشمى المرشود * يا لوارث لفضل والحلم من اجدودو
اسنيد لمساكن والغربا اوكل مفقود * اوغانين وفقرا بك كيلودو
اوهل لمدون وقرىات وساكنين لخيام * وهل لقطار الا نعرف لهم اسم
كافا ترغب واتنادى بفصيح لكلام * او كافا ترحام ابفضل لغنى الراحم
ويتوسل اليه بحرا فاضن ماؤه على الثرى * ويرجوه ألا يترك روضه
يابسا وان يعطف عطفة تشفى من الادواء ، شبيهة بعطف الناقة على بكرها
بين العيس ، ويتوسل اليه ذا منزلة عالية لا تخفض ، ونورا يسطع ضياءه
كالشمس ، جاءه ولهان مستهام القلب مفتاظا متعب الفكر مهموم القلب يرجو
ان وجود عليه بالعلاج :

يا من بحرو اعلى الثرى دايم فياض * لا تترك روض غلتى ظمآن ايبس
اعطف عطفًا امخترا تشفى لمراض * عطفت ناقا اعلى ابكرها بين العيس
ياماسك امنزلا اعلاها ما يخفناض * يامن نورو انبا اعليك اضياهاشميس
اعزم لى ابالعلاج يا مولاي ادريس

فالذى لا يسقى غرس روضه من مائه لن يفوز بزهر جميل ، والذى
لم يغتن أو يربح فى حماء فان جيبه يبقى خاويا ويظل مفلسا على الدوام ،
والذى لم يعالج داءه بدوائه يظل متألما من مرضه :

من لا يسقى ارياض غرسو من ماكم * مايدرك ماينال بهجت زهر انفيس
من لا غنا وفاز واربح فحماكم * يبقى جيتوا على الدوام اصفر مفليس
من لا يبر اسقام ذاتو بدواكم * لازال ابضر علتو معثور احسيس
ويرى الطالب لحسن ان ببركة المفضل مولاي ادريس شاع ذكر خير
مدينة فاس بين مدن المغرب :

امدينت فاس خيرها يتذكر بين المدون افغربنا

البركت: بفضل عولاي ادريس

ماس رمحه فظهر عز والفرح ، حيث جنب الناس الفتنة ، وملا
صدورهم بالعلم وأبعد عنهم الوسواس :

هنا رمحه ماس * هل العز افرحا عنهم جنب لفتان

الحمر الصدور ابعث التدريس * ذهب الوسواس

أما الغرابلي فيرى له مجدا قديما متأصلا يصونه كرم الجدود ، يكفيه
النسب الطاهر الذي يقربه من الرسول :

لك المجد اقديم صايناه اكرام لجداد * بالعرفان أغايت الرضا ماهي مجودا

دريا تاصلا (I) صيلها ما يحناح اشهود

تكفيك النسب الطاهرا وقريب الميعاد * من معدن الجود ولحظا نسبا محمودا

ما بينك أبين الزكي غير ادى لجسود

ذاعت علومه في كل مكان متقنة يرويها كل الناس ، غزيرة لا تدرك الا

بجهد :

واعلومك نائي اصقوعها في عايت لبعاد * متقونا يروى انساجها عمراوازيودا

مغزورا تغزير ساجيا مدروكا بجهود

وكالادريسيات «الجيلاليات» وهي القصائد التي قيلت في المولى عبدالقادر

الجيلالي (2) على حد ما نجد عند العلمي حيث يصفه بأنه بدر لحد للمعان

شعاعه ، يلهج بذكره الشباب والكهول والشيب في أركان الدنيا الاربعة

من عجم وعرب وانس وجن :

بدر الا ينتهي امن اشعاعوا لمعان * الشريف الكامل الشريف الكيلاني

ياسميدي بك ايلغطو هل ربع اركان * شباب أشابا وكهل وشيباني

...

I - الطاصلة : الاصل ، وقد ترقق الطاء .

2 - الجيلاني (ويغلب نطقها باللام) او الكيلاني او الجيل ، ولد في
جيلان سنة 471 هـ وتوفي ببغداد سنة 561 ، واليه تنسب الطريقة القادرية ،
ولها عدة زوايا في المغرب .

مداين واتقري وانعجم والعربان * اتعيط كافا باسم الجيلانى
كمت لاني لاني بك اينادى الجان * سبحان الواحد لوحيد الوحدانى
منحه الله من سره وقوته ، وولاه ملكا على كل السلاطين ، يرفع من
أراد له الله العلو والرفعة فيصعد به الى أعلى الدرجات ويحط من شاء اهانته
وتحطيمه فينزل به الى أسفل مقام :

ولان الحق عن اسلاطن كل اوطان * يتبختر فى امحاسن الملك الهانى
ترفع من راد به خير لعلو امكان * يصعد فالحين للمقام فوقانى
واتنزل امن ابغاه يسلب ويهان * ينحط اسريع للحضيض السفلى
ويمثل للمهانين بالسودانى الذى استولى عليه الكبر ورفض طاعة
الشيخ وقال غاضبا الا طاعة الا لله الذى ولاه ، فكان ان سلب كل شيء
وغدا حزينا وخرج من عالم النور الى عالم الظلام ، وتبدلت حلاوة عسل
القبول الى مرارة الهجر :

كل افحل مد ارقبتو طايح رضيان * اسوى ما كان امن احديث السودانى
سمت نفسو وقال بكلام الغضبان * ما نعرف حد دون ربا ولانى
ثم قالحين شاهد السلب والحزان * راح امن انضو للمقام الظلمانى
بن سسل لقبول بمرار الهجران * معلوم الكبر امن اسباب الحرمانى
وعند العلمى ان تعظيم الاولياء جزء من الايمان ، يسلو لذكرهم خاطره ،
وبفرح مزاجه ويلين قلبه ، ويتهلل من البشر وتذهب أحزانه :

تعظيم الاولياء امن او ظايف ايمان * ونا تعظيمكم هو سلوانى
عند ذكركم نوجه قلبى فرحان * كنى منكم من كشرت مازهانى
قلبى القاسى اىلا اتفاكدكم يلىان * تتهلل ابشارتى ويذهب شيطانى
حبه لهم قوة لساعده وحجاب يستره من عيون الحساد :

دوت اشكال حبكم لعضودى عوان * احجاب اعلى اعيون لحسود اخفانى
وهو عبد له يخدمه عساه يوفيه بعض جميله عليه وعساه وجود عليه
برؤية بدر وجهه فى المنام ، مثله حين يراه كمثل المرتعش من البرد ينظر
الى قرص الشمس فيشفيه الله من داء البرد :
عبد الخدم يكون له من الخدمان * ولا نستوئا البعض من شاين افغانى

من مرط الحب شفت للرؤيا عزمان * ابلا سمعت نور وجهك يكفاني
كيف الى شاف دارت الشمس البردان * من ضم البرد قال لكريم اشفاني
وكيف وفضله أعظم من ان يحصى او يحصر ، فلو اجتمع الانس
والجن والحيوان ومخلوقات ما وراء الكون ، ولو اجتمعت دواب الارض
وطيورها وهوام اليم وحيتانه ، لو اجتمع كل هؤلاء ومثلهم آلاف آلاف
الاضعاف ليشرّبوا من بحره لظل بحره ملآن فائضا :

لو اجمع آدمي او جن او حيوان * عشرين اورا الشد العراني
وادواب الارض واطيور امع الجرذان * او ما قاليم امن اعوم وحيثاني
يروا اجمع والبحر ينفى مدين * ومثلهم صيف آف آف ضعفاني
لذلك فهو يتوسل اليه بجاه الرسول عليه السلام والصحابة وكبار
التابعين ومشاهير الاولياء والعلماء في كل مكان ، وبجاه الملائكة والانبياء
والاماكن المقدسة والكتب المنزلة أن يعالج سقم ذاته ويحميه ويرعاه .
وهو يستعرض أسماء المتوسل بهم على هذا النحو :

الجيلالي حرمت جدك بولجيسان * التسمي لهما ذا النور الساني
وابن ابي طالب الفضل روح الشجعان * كوكب لمجاهدين سمنى وماني
وبابكر الزكي عمر وعثمان * رحم الله ائمتنا ايكونوا رفعا
واجمع الانبياء امن ازمان الطوفان * لزمان المجتبي اشفيع العصياني
وابحق املايك لعظيم المستعان * واسدرت المنتهى وعرش الرحمان
حرمنا ائمتنا امن فسرذها سكان * من لهم ارجال ابلا اضماني
وابحق العلم ولحديث المضمن * والايمان اوكل من لهم ياني
بسلافك ونحفاد والاهل والجيران * داوى ذاتي او لود بيا وارعاني
وبمثل هذا الروح يتوسل اليه في قصيدة أخرى يقول في حريتها:
لاهلك أليت اليوت أمولاي عبد القادر * صارخني ماتخاف أولد رسول الله
وقريب من هذا نجده عند الطالب لحسن الذي يقول في حريّة
قصيدته الجيلية :

غثنى يا مولى بغداد * ادخيل لجواد * بك شجنى محسوب اعليك بك عانى
ويقول فى رجال مراکش السبعة :

ليغائسا يالفضالى * ياناس البهجا لبدر سبعة رجال
ويقول الفقيه العميرى فى سيدى عبد السلام بن امشيش (I) راجيا
منه الرأفة والعون ومشبها اياه بالبدر الذى لا يتوارى ضوءه على طول السنين
وقد حجب أنوار كل الكواكب :

انا يابن امشيش غارا بالرأفا كن لى اعوين
يا بدر انبا اولا اتوارى يضى ما طالت السنين
يخفى لهلال ولنارا والسيرى الباقيين
ويشبهه الحاج ادريس لحنش بالهلال الذى اشرق نوره فى المدن
والبوادي :

اتمجد لهلال اللى اشرق اضياه * بين لمدون ولديا
امام الوسيلا ضيف الله * ابن امشيش غير اعليا
ويقف لحنش بباب حمى الجزولى (2) بحر الكمال وكريم النسب
المقرب من الرسول عليه السلام ، يرجوه أن يعطف عليه ويكرمه بشراب
ويعطيه من فضله ما يطلب :

عطفا اويا الجزولى * مولاي ابن اسليمان بحر لكمال
عطفا اويامام الغربا * العبد جالعندك يشرب
كره و فحماك ابشرى * واعطه ابلفضل ما يطلب
لنك ياشريف النسبا * من سيد لوجود امقرب

ويتوسل محمد بن المختار الشرايبي الى الله بالتباع صاحب الخير
العظيم والسعد الطالع والقدر الرفيع لكى يكمل قصده ويبلغ مناه ، ويرجوه
أن يسقيه من سر بحره الفائض الذى فاقت حلاوته الشهد حتى يفوز كما
فاز أتباعه وقد هداهم الله بسره :

I — هو شيخ أبى الحسن الشاذلى ، قتله سنة 625هـ اصحاب المشعوذ
أبى الطواجين الكتامى بجبل اتعلم فدفن هناك .
2 — محمد الجزولى صاحب «دلائل الخيرات» توفى سنة 870 هـ .

أمول الكمييا * لله غير اعلييا
اطلب ربي فيا * يكمل ثيا فصدي
بت انوسنت لله * راجاه الرسول الله
نرك ما نمناه * نالغ انسني
الله ارفع قدرك * اسقنا من سرك
يا من بحرك * احلى من الشهيد
يا سيد النبعا * ربحت منك لتباع
لاين نرك نفاع * لك المولى يهنى

ويصف الطالب لحسن عبد الرحمن المجذوب بانه طب كسره وصاحب

الاقوات :

في حق الله طب كسرى * سيدي عبد الرحمان المجذوب لوقات
وقد جاءه قاصدا متلهفا مطرودا من شدة الشقاء والتعب عساه يفك
أسره ويبشره بزيارة لمقام الرسول عليه السلام ، فقد اشتاق له :
غارا لله جيت قاصد لك لهفان * مطرود ابلا طراد من شد التمحان
يا بو لوقات سيدنا عبد الرحمن

نبشر حالي اوفك حصري * شايف لمقام من عنيه اوحى لايات
سمير رمضان بعد لسرى * واحكم حكم لمبين فجميع الاشيات
وللفقيه العميري نوسل الى بو عسريه (I) يقول في حربته راجيا منه
أن يجود عليه .

ضيف ربي غارا جود يا سيدي قاسم * نمختر هيا حمر لكرون يا بو عسريا
والرغبة التي يتوسل اليه في تحقيقها أن يكون له خلف وعقب في

(I) لعله أبو القاسم بن احمد بن الرشيد السفيناني المتوفى سنة سبع
وسبعين وألف والمدفون على ضفة وادي ارضم حيث له قبّة كبيرة . ترجمه
الافرائي في الصفوة (ص 157 - 158 - 159) قال : «وأصحابه يلقبونه بأبي
عسريه لانه كان يعمل بشماله أكثر ، كان رحمه الله من المولهيين في ذات
الحق سبحانه ومن أهل الاحوال الصادقة والشطحات الربانية . وكان في
ابتداء أمره معدودا من شجعان قبيلته ، ومن أهل الفروسية التامة فيهم » .
ترجمه كذلك صاحب «ممتع الاسماع» ص : 134 .

حياته ، وأمه في ذلك كبير طالما أن برهان الشيخ قاطع ظهرت آثاره في
كل مكان يقضى حاجة كل من قصده ويغنيه

عن راسر خمي أبا الشيخ أرتون أمجازم

ابغيت نرد أنانيا أسوفهم ابغينا

ابغيت معزم أموبا أرتون أنانيا ناچم

ألوالى برهانك بان الملحضر ألبديا

كايچوك من لقايل أوسوس أوعوب تتلايم

تلها نقضى حاجتها أوكيف من جا بالنيا

اشحال من واحد تغني أوسار في حالو قادم

هكذاك أنايا يا شيخ واتكمل ليا

وقد يمدح الشاعر كل الاشراف أو جماعة منهم دون تحديد للأسماء ،
على حد ما فعل المدني التركماني واصفا اياهم بأسياده الابرار أصحاب
العز والنصر ، وشبها اياهم بالاسود الذين لا يهابون الجائرين ، ومتوسلا
اليهم ألا يتركوه معذبا بين الثلج والجمر ، وهو عبد الدار :

واسيادی لبرار کلهم آقساور

مايهمهم الجايــــــــــــر

عيب عل لاسود هل العز والنصر

تبقي بين الثلج والجمر

ونسا عسبد الدار

ومن هذا عهد عند المدرسي في قصيدته التي لا شك يمدح بها
الأشراف لعنويين ملوك الدولة ، بقول في حريتها متوسلا الى المولى 'دريس
والمولى على الشريف حد أسرته العنوية :

عدرا مزلای 'دريس بن 'دريس امتاح الغرب والشريف الفيلاي

سيدي مزلای اعلى الشريف الينبوعو خصال

وفيها يصفهم بأنهم :المسك والعود والورد والندا والعبير ، وأنهم طيب
الغرس ورثوا العرش عن الرسول عليه السلام ، وأطيب سائر المخلوقات
وأنهم الاصل ، ، ومن سواهم الفرع ، وأنهم الملوك الصائلون على الدوام ،

وأنهم الفتح المبين فى قلوب العارفين الواصلين ، من لم يصل بهم تاه فى
الظلمات ، وأنهم مفاتيح كل المغلقات وعلوم الاولين والآخرين ، بهم يفتح
العباد أقفال أبواب الله :

هما المسك افطيبو أعود(I) والورد امع النداءعبير فوطا واجبالى
والجنا فاح انسيم طيبها من طيبست لفضال
هما طيب الغرس والعرش ميراث امن انسيم لحبيب راحت لنجالى
هما طيب الثقليين جن وناس وانسا وارجال
هما الاصل والخلق كلهم افروع من اوجسودهم وجدى يبقى لى
هما لملوك اعلى الدوام بهم صايل من صال
هما الفتح لمبين فى اقلوب العرفان الواصلين حضرت لوصالى
من لا يوصل بهم تاه فالظلمة عن لوصال
هما امفاتح امغالى الرقيقا واعلوم اللولين والختم التالى
هما افبيان الله للعباد امفاتح لقفال

ومن قصائد مدح الاولياء والصالحين بعد هذا ما يطلق عليه «الجمهور»
أو «جمهور الاولياء» وهى قصائد — كما يبدو من تسميتها — تستعرض
مجموعة كبيرة من الاولياء ، ومن خير الامثلة عليها قصيدة العلمى يقول
فى أولها :

يا من يشفى اضرار عبدو بعد السقم * وايفرح من اقوات فالصدر احزانو
وفيهما يستعرض أولياء المغرب على هذا النحو حيث يذكر بعض رجال
مراكش كالقاضى عياض والامام السهيلى وابى العباس السبتي ويوسف
ابن على والجزولى :

(I) المقصود به العود الهندى وهو نوع من البخور معروف بطيب عرفه
حين يحرق ، وهو شائع الاستعمال فى البيوت المغربية حيث تصنع لاهراقه
مباخر خاصة تكون فى الغالب من الفضة ، ويطلق عليه فى المغرب «العود
لقمارى» .

قاضى عياض والسهيلي والسبتي * ابو العباس غوثنا بسو لدرانش (I)
هو يطفى ابصرختو صهد الهفتى * اكما يطفى الما الطاجوف العاطش
يا يوسف بن اعلى انجيت ايلارفتى * عيظت اعليك عيظت المرو الداهش
الجزولى الشريف ستجب لدعوتى * دعوت من اعلى العطف ييحث وايفايش

لاه الله يارجال حضرة مراكش

كذلك يستعرض العلمى فى هذه القصيدة بعض كبار المسلمين على
نحو ذكره الحسن والحسين وحمزة والعباس وسعيد وسعد وطلحة والزبير
وأبى عبيدة وأنس وابن عوف :

ياحسينن ياسياد اجميع الناس * عند اذكر جاهكم يصغر كل اكبير
ادخيل اعمامكم حمزا والعباس * واسعيد وسعد ثم طلحا والزبير
وابجاه أبا ابيد والسيد أناس * حرمت بن عوف لا تركونى فى ضير
سالوا من رافتو اعلى ساير الناس * ساعد واشقى ومعتذر واغنى وافقير
يعطينى كل ما اطلبت اكثير الخير

ومن هذا النوع من القصائد ما يطلق عليه «المرحول» ويقصد به الرحلة
تشبه لزيارة بعض الصالحين على حد ما نجد عند الشيخ البرى السلوى الذى
اعتاد أن يخرج لزيارة بعض الصالحين كل عام ، يزور وزان وصلحاء ثم
تأزروت ووليها سيدى يوسف ومنها الى جبل العلم حيث قبر سيدى عبيد
السلام بن امشيش ، ومن الجبل الى تطوان ليزور سيدى بركة ثم الى طنجة
ووليها سيدى بوغراقيا ، ومنها للقصر الكبير لزيارة سيدى بوغانم ، ومنه
الى لال ميمونا والشريف ابن منصور ، فالى مولاي ادريس الاكبر بزرهون
وجاره سيدى محمد بلخير ثم الى سيدى بوغابة وسيدى علال فى طريق
عودته الى سلا :

فى كل عام نقصدهم أوفكل يوم بالحاجا مقضيا

طاحت اصبناها رقدوا احوال من طاح

...

(I) ابو الفقراء ، اشارة الى مذهب السبتي القائل على أن « الوجود
ينفعل بالوجود » .

أزرت وزان أشفت ارکان السعيد واضراغم لحميا

أزرت سيدى يوسف فى تارزوت مصباح

واطلعت للجبل لمكنى جبل لعلام بصناكر اعلى النيا

من ابن امشيش المولى عبد السلام نرتاح

أبعدها اخرجت البطاون قابط لفيافى والبريا

زرت سيدى بركاوالكريم فتاح

.....

من الطانجا شايلاه ابشامخ لقدر بوغراقيا

اشكيت بالغربا واغرايبي وتكلاح

.....

من القصر ياصاحى خويا قلت وين الندلوسيا

وين بوغانم وين الساكنين لبطاح

وياك فالقصر تتغشم يا من لا اعرفت لو طويا

لقصر برجالو طول الدوام صلاح

منو الال ميمونا والخير ماخطا رجل ووليا(I)

اقرت معروف الله واختمت سورت افلاح

واخرجت كانسال اعلى الحد أنا غشيم وطريقو ملويا

ماوصلنا حتى شفنا امسايف اقباح

منو اللعنيا بن منصور الشريف وارجال الصوفيا

والبحارا ساداتى كلهم صلاح

والغوث ابن ادريس اكبير الخصلا اخايلوعندى مرويا

احداه سيدى محمد بلخير امن السباح

.....

اصبح الصباح وارمات الشمس اعلى لبطاح واخطفنا سرويا

زرت سيدى بوغابا باللسان لحلاح

واعلى الشجيع سيدى علال الشيخين عز المساويا

اعمارت المعمورا والفاييز واسلاح

(I) يطلق اسم « الولايا » على المرأة

منو البورزيم أفتوا واثنيت لمسافات المثنيا

اعلى اوصالى اسلا ثم ابروا لجراح
وقد لا تناح للشاعر فرصة الزيارة فيكتفى برسول يبعثه ، وهذا ما نجد
عند الحاج ادريس لجنش الذى بعث مرسوله يحمل رسالة الى الولي ابن
المهيدى ، فى قصيدته التى يقول فى حربنها :
الغادى للرباط هاك اسلامى لسيادى * الولي بن المهيدى
يبدأ الرحلة من فاس الى الرباط مستعرضا أسماء الاولياء الذين سيمر
بهم فى طريقه :

أمرسولى هاك البرا (I) * تدها لسيادنا لظهار
من فاس الحضرا الزاهرا * لرباط الفتج ولسرار
اطريقك سهل ظاهرا * اسمع لى لبيان ولخبار
زور الشيخ امع سيدى يعلى جارى * والمقتضى به لاح بدارى
باب المحروق فوتها واتوسل للبارى * بكفيك الستار كل شرى
بوعبد النور ولفقيه الشيخ الجراى * سيدى مسعود طب ضرى
الشدادى اوبوبكر اشموسى واقمارى * اتأدب للباقيين واسرى
وهكذا الى أن يصل الى سلا حيث ضريح سيدى ابن عاشر وابن حسون
وسيدى موسى ثم الى الرباط حيث زاوية الشيخ ابن المهيدى ليسلم الخطاب
الى مقدمها الذى سيتكفل بتسليمه للسادة الشرفاء :

هاثغر اسلا اقريب بلسان الحال اينادى * وايقول اهلا زيد عندى
ثم تدخل اقواسها * ناشط بنسيم لعنى اتميس
زور العارف عز ناسها * بن عاشر والدر النفيس
بن حسون وتابع راسها * سيدى موسى نور اشميس
واقطع لمدينات الرباط هم اكدارك ناسى * فتمام الحج افدوك نفسى
وادخل للزاويا اسعد تدفع قرطاسى * لمقدم صافحسو اورسى
هو يعطى اكتابنا للسادات امجادى * للى بهم حاج وجدى
واقصد لضريح جدهم فمان لقصادى * بن المهيدى للصلاح يهدى

(I) الرسالة .

ويذكر بعض أولاد الشيخ ، من مات منهم ومن لا زال على قيد الحياة ،
أمال سيدي الحاج محمد وسيدي علال وسيدي عبد السلام والسيد الجيلالي
والسيد 'ستني' سيدي الحاج بنعيسى :

بن لمهيدي به عزنا * له السر الواضح المبين
معظمها عند سلطانا * مدامت ليام واسنين
ولدو نال السر ولعفا * ورث ذاك الجاه لمبين
نعمي سيدي الحاج محمد هو الثاني * ثم الاول اسراج اعياني
سيدي علال له جاء اعظم رباني * كان ابري والنبى امعاني
أوسيدي عبد السلام امع سيدي الجيلاني * سيد الستل بدوام حصني
يارب نعم لجميع افجنت رضواني * واللى باقى منهم نعننى
لفحل سيد الحاج بنعيسى سرو ساني * ادعى لى واكمل به ظنى
بن عمرو شامخ لقدّر جملة لعاني * اسدى بومهدى اشريف سننى
.....

ايطلبوا لى الله عند اتمام لوراد * يطلع بكمال اسرور سعدي

ملاحظة : العشق الالاهي

ونبحث بعد هذا عن العشق الالاهي فى شعر الزجال المغربى ، فنفتقده
أو نكاد ، وكان الشاعر الشعبى ابتعد أو تعمد أن يبتعد عن النظر الى ذات
الله والتغزل فيها والتعبير عن حبه لها ، حتى فى أبسط صور هذا الحب
الخالية من التفكير والتأمل والفلسف ، وأغلب الظن أنه خشى الوقوع فى
التجسيم وتشبيه الله بخلقه . ولعلنا لن نستغرب ذلك من شاعر شعبى
محدود الثقافة بسيط الايمان ، يلقى بشعره الى الجماهير تنشده وتتغنى به،
وهى بدورها لن تقبل على أى شىء لا يوافق مزاجها الساذج . ثم انه مهما
ارتفع المستوى الفكرى للشاعر وجمهوره فانه يظل محصورا فى نطاق
الفكر العام ، ونعرف ان الفكر المغربى طوال فترات التاريخ - اذا استثنينا
عهد الموحدين - كان يتمسك بحرفية النصوص ويبتعد عن التأويل ، بما
لا يتيح المجال للنظر فى ذات الله وصفاته وتعمقها وبالتالي للتغزل فيها
والتعبير عن حبه . ومن هنا اتجه الشاعر الى الرسول عليه السلام يفجر كل
طاقة حبه الروحى وعاطفته الدينية .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الشاعر المتصوف أبا الحسن الششتري ، وهو — كما سنرى — (I) احد الذين نقلوا الزجل الاندلسي الى المغرب ، كان ينظم قصائده وموشحاته وأزجاله في مذهبه متغنيا بحب الله ووحدة الوجود، ولكن يبدو أن الناس الذين كانوا يستمعون الى أزجاله في الاسواق وحلقات الذكر ، لم يكونوا يدركون في هذه الأزجال ما تصور من جوانب مذهبه التصوفي الفلسفي ، ولم تكن تأخذهم غير واقعيتها المتجلية في شخصه وهو يجول في الاسواق ينشد ويغنى ، وكذلك كان شعراء الشعب لا شك ، لا يفهمون مذهبه ، وربما كانوا سيقدمون فيه ويكفرونه لو فهموه .

ومع هذا فانا حين ننعدى نطاق هذه الطبقة من الزجالين الشعبيين الى طبقة العارفين المتصوفين ، فانا لا نفتأ نعتر على بعض ألوان حب الله . ومن هنا لم نجزم في الحكم بعدم وجوده ، وقلنا في بداية الملاحظة اننا « نفتقده او نكاد » . وربما كان عبد الله الهبطي (2) أكثر من غيره تعبيراً عن هذا الحب ، ينجلي لنا ذلك في بعض قصائده ومقطوعاته كهاته التي يقول في أولها .

للرب شوقونى * يا أيها الرجال

للحضر واصلونى * حتى يرى الجمال

وكقوله من قصيدة أخرى :

ربى دايم اعظيم حصار * فد جهلت انعوتو

ايغيب عنى مانقصد * أو يحضر انموتو

حن لجمال عذبنى * يا عسوم العندو

قهر لجلال يقهرنى * من فربو البعدو

من لطفو للعين * يحنقى ويبعدو

وكقوله كذلك في «القصيدة النورانية من المسامرة الربانية» :

الحبيب فى ذى المبانى * التى سوى وعدل

قد ظهر لى بالعيانى * لا ترانى بعد نفعل

I في الفصل الاول من باب « الاعلام »

2 انظره في الفصل الثانى من باب « الاعلام » .

ان تقول بعد التجلى * ربما يسدل حجابو
يظهر لك لكن يولى * فى لحظا يضرب نقابو
لا تامن عند التحلى * أن يعرك من ثيابو

قد يقول قائل : وماذا عن القصائد التى خصصت للسلوك الصوفى
ونصح المريدين ، أليست تعبر عن الحب الالاهى مهما كانت صور هذا الحب
وصفاته ؟ حقا انا نسلم رائحة عشق ذات الالاد فى بعض هذه القصائد ، وان
كان يبدو من هذه الرائحة خلط بين حب الله والرسول . ونستطيع أن نمثل
لذلك بما ورد فى دالية ابن رمويه حيث يقول فى لغة تكاد تكون معربة :

هم فى الحب وانوله وفى القلب ردد الله
ثم غب فى الله بالله كالجلى والجنيد
طف ابكعب لوصال وافن ذاك لخيال
وقف عند لحيال واشرب كاس التفريد
فحجنا مشروط وموقوف ومنوط
على البذل والسقوط وتام الوعود
حجت لهوا اغالت وبالنفس اشترىست
وعلى الصادق هانت بها نال المقصود
اتجرد عن الحس وعن الحب للجنس
واقصد حضرت القدس لب باسم المقصود
اذكر ما دمت طالب وفى وصفو راغب
حتى لا يبقى حاجب وتصل للمعهود

وحتى اذا كانت تشم من مثل هذا النموذج رائحة تتصل بالحب الالاهى ،
فلعله واضح أنها خالية من تناول ذات الله وصفاته وعلاقة السالك بربه وما
قد يصل اليه المرید من مشاهدة او اتحاد ، وانها محصورة فى التنفير من
الحب الجيسى والحث على الذكر .

وفد يقول آخر : وهذه الاشعار التى تنشد فى حلقات الذكر وخاصة
منها قصائد الحراق ومقلوعات ، أليست هى الاخرى تدور ولو من بعيد فى

فلك حب الله والتغزل في حضرته ؟ قد تكون، ولكننا لعدم وضوح صورة هذا الحب نميل في غير قليل من الترجيح الى أن الحراق لا يقصد غير حب الرسول عليه السلام ، ولنستمع اليه يقول انه حين جن الليل وسطعت كواكبه لطف الله به ووافاه بالمرغوب اذ ظهر له حبيبه وظل يمتع النظر فيه ، فهو يهديه روحه لا يطالب بها أبدا ، وهو له عبد مكسوب اذا رضى به :

جن الليل اعليا * حتى ظهروا كواكبوا

والطف ربي بيا * وافي ليا المرغوب

بان احببى ليا * ماذا لنا انراقبو

روحى ليه اهليا * عمرى فيها مانظالبوا

ويدا يرضى بيا * أنا لو مكسرب

وهو يرى أن كل من حنت النية في قلبه ظفر بالمحبوب :

واللى فيه النيا * عمن بالمحبسرب

ويقول كذلك انه حين تم له الوصال وأشرق نور بهاء حبيبه نسي كل

شئ فليس يذهب عقله غير هواه :

جاء اعنيا برضاه

لحبيب اللى حيتوا * زازى وانعم لى ابوصال

حين اشرق نور ابهاه

كل شئ بالقهر انسيتوا * ياهلى عقلى اذا شفتوا زال

ما بى غير اهواه

ويذهب في موضع آخر الى أن ذكر الحبيب دراء يشفى من داء الارهام ،

به يضىء الوجود ويجلى ظلام الحب :

ذكروا حقيق للقلب ادوا * يشفيه امن اسقاموا اوهاموا

به لوجود كلوا يضوا * من غسق لهوا وظلاموا

وعنده ألا أسعد ممن عشق الحبيب وخلع في حبه العذار ودار في حلقة

الذكر ينشد الاشعار في مدحه وحوله القوم سكارى من هواه :

ياسعد امن اضحى يخلع فيه اغذاروا * وايدور فى اسواح السدارا

ينشد افلحبيب اسجالوا واشعاروا * والقوم امن اصراوا اسكارى

ويشجعنا على هذا الرأي ما شاع في قصائد الذكر عند غير الحراق من
تمجيد للرسول صلوات الله عليه ، ومن أروعها قصيدة المغراوى التى يطلب
فيها من مخاطبته ، لعلها حببيته أو زوجه أو نفسه ، ان تزغرد فرحا وطربا
بالمصطفى ، وأن لا نظل ساكتة ، وان تستوحى صوت زغردتها من وجده ،
ويستغرب منها صامتة كأن نغمته لم تهزها ، ويشبتها ويلج عليها فى الطلب
ان تزغرد بصوت عال على سيد الرجال والناس :

ازغرتى ليس ساكتا * من وجدى صيغى اوصيتى
مانك مبكوما أو صامتا * ما هزك غيوان مايتى
كونى زكموطا أو ثابتا * واعلى سيد الرجال زغرتى
واعلى سيد الناس زغرتى * بالصوت العالى اقوام
وبلج على ذلك أن يكون طول النهار ، يطلب منها أن تشد حزامها
ونكف عن المشى والحركة ، فقد حضر ضيف الحفل واشعل الشمع من
العشى وفرشت الزرابى ورصت المخدات على اللحوف وأسدل الستائر
على القباب ليبدأ الذكر والصلاة فى هذا الجو ، جو الفرح بضيافة الرسول :

ازغرتى لا نمل شى * بن اصالات الصبح ولعشا
شد احزامك مابقى امشى * ذا الفرجا ضيفها اغشا
اشمعها يكدى من لعشى * واقطوف ازرابى امفرشا
وسخايد فوق اللحوف * واخوامى زينا اعلى ابساط القبا سجافا
هل الحضا اعظمو ويذكرو نعم الرؤوف * ابلوا اعلى خير خلق الله المصطفى
هذا عرس اضيافت النبى محمد زين لحروف * صلى الله اعليه والرضا لهلو والخلفا
ما دام ادراهم نغى ينظر حضرا فينا ايشوف
فالبيله ممعة يجب السهر سبها رقد سب النسيم الطيب العطر ، وعين
العاشق ينظر ، وكل من نظر الى الله ينصر :

ازغرتى لازم السهر * ليلتنا ليلا امختنرا * هب انسيم الطيب ولعطر
واعيون العاشق نظرا * الى نظر الله ينتصر

الباب الثالث

الأعلام

الفصل الاول

مرحلة النشأة

اسماء ونصوص قديمة

ليس من شك في أنه من الصعب تحديد نشأة شعر اداته لهجة عامية دارجة ، وليس من شك كذلك في أن تلك الصعوبة تزداد حين لا تتوفر النصوص الأولى لهذا الشعر ، مروية كانت أو مدونة ، لذا فانا نجد غيير يسير علينا ان نحاول بحث اصل القصيدة الزجلية المغربية ونشأتها طالما أن الرواية الشفوية لا تمتد بعيدا عبر القرون ، وطالما أن المصادر المكتوبة لم تعن بتاريخ الآداب الشعبية وتسجيل نصوصها الا في القليل النادر .

وقد لجأنا الى هذا القليل النادر علنا نعثر فيه على ما يسعف في البحث ، كما لجأنا الى الشيوخ الرواة وتتبعنا معهم تسلسل محفوظاتهم حتى الخيوط الأولى منها عسانا نقف على مرويّات قديمة ، فتجمعت لنا من المصدرين مادة هزيلة ، ولكنها على هزالها ألقت بشعاع من الضوء رقيق لا يساعد على غير تلمس السبيل في متاهات مظلمة لسرى قد يحمد عند الصباح وقد لا يحمد .

وقد حاول الاستاذ محمد الفاسي أن يحدد البواكير الأولى لهذا الشعر ، فوقف عند قصيدة نظمها ابن عبود في منتصف القرن العاشر ، واعتبرها أقدم نص . وفي هذا يقول :

« وكانت اقدم قصيدة بلغتنا عن طريق الحفظ والكنائش القديمة هي قصيدة «الحربى» للشاعر ابن عبود ، وهو من اهل فاس ، كان ايام الوطاسيين وكان مع سيدى عمرو الوطاسى قائد الجيوش الوطاسية فى وقعة تادلا بين احمد الاعرج السعدى واحمد الوطاسى ، وهى التى اسفرت عن اعتراف الوطاسيين بسيادة السعديين على الجنوب ، وهذه القصيدة فى وصف هذه المعركة ، وتاريخها سنة 943 هـ الموافق لسنة 1536 م (I) .

(I) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى اعداد الاول السنة الاولى 1964 .

اما القصيدة ، ولم يذكرها الاستاذ الفاسي (I) ، فهي التي يقول
الشاعر (2) في اولها :

(I) اکتفی بالتعليق عليها بقوله في نفس المصدر : « وقد اجيز ابن
عبود على هذه القصيدة بتلبية طلبه في جعل محل بفاس رهن اشارته
لانشاد قصائده به يوم المولد النبوي ، وهذا المحل هو ما يسمى مسيد
سيدي فرج بسوق الحناء بفاس وقد خلفه فيه الشاعر الكبير سيدي
عبد العزيز المقراني . ولا زال شعراء الملحون الى يومنا يجتمعون يوم عيد
المولد وينشدون كلام سيدي عبد العزيز المقراني وكلام النابهن منهم ،
ومن ادرك أن ينشد شعره في ذلك المحل البهيج فقد بلغ المنتهى في تقدير
زملائه له »

(2) تجدر الإشارة الى أنه نطلق على الزجالين المغاربة اسماء وصفات،
أهمها :

أ - الشعراء : يقول ابن علي في القسم الرابع من «السولان» :
واسلامي عن كل من احضر * متادب في كل حال للشعارا
هكذا سيرت هل لشعار

ب - النظام : يقول عبد الفضيل المرينسي في «الفصادة» :
قالوا مرحبا بالنظام

ج - الاشياخ : يقول امتيرد في نهاية محاورته :
قال اكمي لشيخ عز الودبا حبر النظام

د - أشياخ السجية (تميزا لهم من المنشدين الذين يعرفون بأشياخ
لكريحة) يقول المرينسي في قصيدته المشار اليها :
شافوني احضرت اكبالتهم شيروا اوندوا
رسلوا لي الخادم قالت ليا
من اتكون ابقصد النيا
قلت لهم شيخ السجيا

هـ - أشياخ النظام (تميزا لهم كذلك من اشياخ لكريحة)
يقول المكي الصويري في آخر « فطومة » :
واسلام الله لشيخ النظام

و - أهل النظام : يقول محمد الشاهد في آخر قصيدة « معلوم الشوف
ما طفا نار الجوف » :

نتهى قولى امع انظامى * من فضيل الا ينسام
احسنت اعلى الرضا اقسامى * برضات اهل النظام

ز - اهل القوافي : يقول محمد بن الكبير في «تويضة» :
عنك اسلام فايثق المسك افلجيوب
يعبق عن جمعكم يا اهل القوافي

مال الخيل السدى اخنلط فميدان * صكت هاذى لى واهذك الهاذى
والغبرا عمدت اكسات اعلى التيجان * حتى عاد النهار غالس فارصادى
ولسنا نوافق الاستاذ الفاسى على اعتبار هذه القصيدة أقدم ما وصل
مرويا او مكتوبا فقد وصلتنا قبلها بعض النصوص ، منها ما هو من نوع زجل
القصيدة ومنها ما يختلف عنه ، وهى نصوص سنستعرض بعضها فى هذا
الفصل - بعد سطور - وسنترك البعض الآخر الى الفصل الثانى من هذا
الباب .

حقا ان قصيدة ابن عبود تعتبر من النصوص الاولى للزجل فى
الشكل الذى بدأ يستقر عليه وقد أخذ يجرز كيانه ، وحقا كذلك ان القرن
العاشر يعتبر بداية انطلاق مرحلة جديدة بالنسبة لهذا الزجل - كما
سنرى فى الفصل الثانى من هذا الباب - ولا نقول بدايته ، ولكننا نستبعد
أن تكون اللغة العربية قد تم انتشارها فى القرن السادس بشكليها المعرب
والدارج ، وتمر اربعة قرون دون أن يصدر شعر عن الناطقين بهذه اللهجة
الفنانين ، ثم فجأة يظهر فيها نمط من الشعر مكتمل جميل . وهو رأى تدفعنا
الى ترجيحه هذه النصوص التى وقفنا عليها ، على الرغم من انها مختلفة

ح - اقوامس الملحون : يقول سعيد التلمساني فى رثاء عبد العزيز
المغراوى :

لو حد عبد العزيز قاموس الملحون * من لاحاطوا ابشرح معناه اقوامس
ط - اقوامس العلم الموهوب : يقول محمد بن لكبير فى استهلال
التبوية السالفة الذكر :

اسادتى اقوامس العلم الموهوب * يامن لكريم هبكم افضل وافى
ى - أرباب الموهوب : يقول المرينسى فى «الفصادة» :
واسلام ربنا لرباب الموهوب

ك - الودبا (اي الادباء) : يقول المدغرى فى «زهرة» :
واسلامى للشراف والطلبا قال القارى * ما دوح انسام لعطر
واعلى الودبا اقوامس الموهوب الشعارا

(وانظر كذلك قول امتيرد السابق)

ومتباينة ، كما يدفعنا اليه ما ذكره الحسن الوزان (I) في كتابه « وصف إفريقيا » ، فقد لاحظ في فصل منه بعنوان « شعراء بالعامية الافريقية » (2) ان هؤلاء الشعراء كثيرون ، وانهم كانوا يتبارون لاطهار براعتهم الشعرية في مناسبة ذكرى المولد النبوى حيث يتجمعون صباح يوم العيد في ميدان رئيس القناصل (3) ويعتلون المنصة واحدا تلو الآخر لالقاء اشعارهم وقد تجمهر عليهم الناس ، ثم ينصب أميراً للشعراء من احرز منهم قصب السبق . وذكر كذلك ان السلطان المريني كان يقيم حفلا بهذه المناسبة يستدعى له رجال العلم والادب ، وان الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فينعم على الفائز الاول بمائة دينار وفرس ووصيف وحلته التى يكون لابسا في هذا اليوم ، ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارا لكل واحد . ولاحظ الوزان بعد ذلك ان هذه العادة انقطعت منذ انهارت دولة بنى مرين (4) ، وهى فترة تمتد عنده مائة وثلاثين عاما .

وهذه أسماء الزجالين وما وصلنا لهم من أزجال او اجزاء من ازجال على الاصح :

ابن غرلة

قال عنه الجلي : «وقد كان ابن غرلة الشاعر المغربى ، وهو من أكابر اشياخهم ينظم الموشح والزجل والمزمن فيلحن فى الموشح ويعرب

(I) الحسن بن محمد الوزان (901 - 956 هـ ، 1495 - 1548 م) ولد فى غرناطة ورحل مع أسرته الى فاس وقام بجولات داخل المغرب وخارجه فى الشمال الافريقى وبلاد المشرق . اسر سنة 926 فى نابولى بإيطالية وأخذ الى البابا ليون العاشر فقربه اليه لعلمه وتجاربه ، ودعاه الى المسيحية فتمسح وسمى بـ : جان ليون Jean Léon وهو الاسم الذى يعرف به فى اوربا . ويقال انه بعد موت البابا عاد الى الشمال الافريقى ونزل بتونس وفيها توفى .

(2) « Poetes en vulgaire africain » p 130 131
Description de l. Afrique - Jean leon Africain
Ed. C.H. SCEFER Paris

(3) Le chef des consuls لعله يقصد به رئيس القواد او الوزراء

(4) من 674 الى 869 هـ

فى الزجل تقصدا منه واستهتارا ، ويقول ان القصد من الجميع عذوبة اللفظ
وسهولة السبك ، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ، ولهذا
لم يثبت شيئا من موشحاته فى دار الطراز (1) »

وقد كان ابن غرلة يعيش فى عهد الموحدين ، بل كان معاصرا للخليفة
عبد المومن الكومى ، وتذكر المصادر حبه لاخت هذا الخليفة ، وفى
ذلك يقول الحلى : « فمن موشحاته المزمعة الموشحة الطنطنة الموسومة
بالعروس التى نظمها عن عشقه وميلة اخت عبد المومن الاموى (2) ملك
الاندلس وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه الاجتماع بها ،
والواقعة مشهورة ، وكان حسن الصورة جليل القدر ذا عشيرة » (3)
وذكر له مطلع هذه الموشحة ، واوله :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى * صيدى الغزالة من مراتع الاسد
ثم زاد قائلا بعد ذلك : « وقيل انه لما اخرج الملك ليقتله نظر الى
الناس وارتجل بيتا فى الوزن يستنجد به عشيرته لاجد ثأره :

نعم ما الاسيل * بدت منه انوار
طرب ما الكحيل * سن منه بتار

قد استوت عبدا * ولم اك بالعبد * مت لا محالة * فاطلبو دمسى بعدى (4)
وقبل ان نورد بعض ما ذكرته المصادر لابن غرلة من قطع فجلية
نقف قليلا عند ملاحظة لاشك ان القارئ سيثيرها ، وهى اذا ما كان ابن
غرلة مغربيا حقيقة اى من المغرب الاقصى ، ام اذا كان اندلسيا ونسب
لمغرب على اعتبار ان النسبة بالمغربى كانت تشمل حتى الاندلسى نظرا
للمفهوم الذى يدخل فى المغرب كل المنطقة التى تقابل المشرق ، ونظرا
كذلك لان الاندلس عاشت فى وحدة مع المغرب الاقصى طوال عهدي المرابطين
والموحدين .

(1) العاقل الحالى الورقة 20 وجه وظهر ، وسنعود الى موشحات
ابن غرلة .

(2) هذا خطأ ، والصحيح : عبد المومن الموحدى .

(3) العاقل الحالى الورقة 20 ظهر .

(4) العاقل الحالى الورقة 21 وجه .

والواقع انه ليس من السهل البت في هذا المشكل الذي كثيرا ما يعترض الدارسين لتاريخ الاندلس والمغرب وآدابهما ، ولكننا مع ذلك نرجح أن يكون ابن غرلة غير اندلسي ، ونعتمد في ذلك على نص وارد عند الحلبي : لم يذكره فيه رغم اعتباره اياه من السابقين الى نظم الزجل . يقول الحلبي : « . . . ومداثن الاندلس المختصة بالمسلمين دون غيرهم اربعة وهي التي خرج منها الموشح والزجل وهي اشبيلية وقرطبة وبلنسية ومالقة والذين خرجوا منها من الزجالين سبعة وهم يخلف بن راشد ابن قزمان مدغليس انحبيط البردعي الجمال ابن اللمنكة (I) »

وسبق لنا ان اثرنا هذا الموضوع مع الاستاذ الصديق الدكتور احسان عباس ، فكان رايه في ترجيح مغربية ابن غرلة انه لو كان اندلسيا لما جرؤ على نظم موشحة في اخت الخليفة وان ذلك لا يتصور صدوره الا من مغربي . وقد ذكر الرباط لابن غرلة في «العقيدة الادبية» اجزاء من ازجال يقول فيها :

بنت قزمان في خباها * عند اباهها
العريس خاطب اباهها * وقد تباها
لو يكن بزال * كان امعاء اموال * الا دا دجال
بالمحال يقنى الاست البراقع (2)

ويقول في جزء آخر :

ان كنت ريس ومالك عاقة * هذا خبرك على الزلاقة
اسمى * وارمى (3)

بل انا نجد الرباط ينسب لابن غرلة قطعة « عروض البلد » التي ذكر ابن خلدون لابن عمير - كما سنرى بعد - ويمثل منها البيتين الاولين ، وهما :

(I) المصدر السابق الورقة 22 وجه
(2) الورقة 45 ظهر ، وقد قدم لهذا الجزء بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة مقز من »
(3) المصدر السابق .

أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام * على غصن في بستان قبيل الصباح
وكف الطلا يحكى ممداد الظلام * وريق النداء يجرى بشجر الاقحاح
ويقدم لهما بقوله : « وهذا الوزن لابن غرلة رحمه الله مقر من
رباعي » (I)

كذلك ذكر له صاحب « بلوغ الامل في فن الزجل » بيتين قدم لهما
بقوله : « ومن لطائف ابن غرلة قوله في مطلع :

بعد ذبحك يا فروجي * واش ايفيد الجرى
كنت بجرى من قبل ماتدبح * وعنيقك يرى (2) »

عبد المومن الموحدي (3)

ذكر له الرباط قوله : (4)

يا عصفير الجنيّة * جل ربي نشاكم
الجمل طوله وعرضه * لم قد يطلع احداكم

رميلة أخت عبد المومن

قال عنها الحلبي بعد ان ذكر علاقتها بابن غرلة : « وكانت هي ايضا جليّة
القدر جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الازجال الرائقة الفائقة » (5)
ثم قال : « ومن ازجالها الرقيقة الرشيقة الزجل الذي مطلعہ :
مشى السهر حيران * حتى رأى انسان * عينى وقف
تقول في خرجة منه تصف خالا كان بخده :
اسيمر جنسان * فى شقة من نعمان * قد التحف » (6)

ابن خبازة

قال عنه صاحب « الجنوة » : « ميمون بن علي بن عبد الخالق

(I) المصدر السابق الورقة 44 ظهر

(2) مخطوطة الزيتونة رقم 4467 ص 47 .

(3) تولى سنة 524 بعد وفاة ابن تومرت وتوفى سنة 558 هـ .

(4) العقيدة الادبية الورقة 38 وجه

(5) المعامل الحال الورقة 20 ظهر

(6) المصدر السابق الورقة 21 وجه .

الخطابي نسبة الى قبيلة من صنهاجة من اهل مدينة فاس ، ويعرف بابن خبازة نسبة الى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة ، كان سريع البديهة ناضجا نائرا مع الاجادة والتفنن في اساليب الكلام معرفة واقانا في هزله وجده على اختلاف اللغات (I) ومثل هذا الكلام نجده في «ازهار الرياض» ينقله المقرئ عن « الذيل والتكملة » فيقول : «كان منقنا في أساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات » (2)

وليس من شك في أنه يقصد باللغات وهزل الكلام النظم في الزجل ، والاسف انا لم نعثر له على أثر لذلك .

ابن حسون

سماء الحلي ابا عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربي ووصفه بالاستاذ وبالشيوخ (3) وذكره لدى الحديث عن اسقاط الهمزة عند الزجالين حيث اورد له بيتا من زجل يقول فيه :

كم نبت منك * من هواك وهجرانك يا مليح القد

يا مليح بمن سماك اش هذا التجنى

طول ما نشتهي قربك تبعد انت عني

ان كان الرقيب بلغ لك قضية عني

اس انا في ذا الجد * عوذ بالله يا حبي الاخير هو اجود

وعلق عليه بقوله : «فقد اسقط الهمزة في موضعين في قوله ليك

بمعنى اليك وفي لفظة عوذ وأصلها أعوذ » (4)

(I) ص 208 وقد استمرت ترجمته حتى 214 . توفي آخر سنة 637 بالرباط ودفن بسلا قريبا من الشيخ ابراهيم ابي حاجة . وقبره معروف بسيدى الخباز واليه ينسب الباب المعروف بهذا الاسم في سلا . انظر في ترجمته الذيل والتكملة ، ورايات المبرزين لابن سميد ، وتحفة القادم لابن الابار ، والعدد السابع من ذكريات مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون .

(2) الجزء الثاني ص 379 . (3) الورقة 36 وجه و 54 وجه .

(4) الورقة 30 وجه .

ودكر له كذلك مطلع زجل لدى حديثه عن اسقاط حرف العلة ،
يقول فيه :

صحبته العينين السود طول صدودك ابلاني *

انا في هواك هابيم وانت برضى هجراني

قال بعده : « ومراده صاحبة العينين » (1)

ثم ذكره بعد هذا الاستشهاد على اقامة الخامقام خذ ، بقوله :

قد ضحكك ضو الصباح * وافنضح سر النوار

لا زمان غير ذا الزمان * الصلاة على الرسول

خترنا ذا المهرجان * خترا جر الرسول

« مكان ابدع مكان * نفس فيه العنسل

ولفاح املح لفتح * زمار املح زمار

« الطير قامت وقام * الوتر مع الجوار

» فقوله خترا بمعنى خذ ترى ، وله مثلها في خرجة أخرى من هذا

الزجل :

لا تقل شراب وراح في الزجاج ولا عقار *

خترنا ماء الغمام قد رجع من نور ونار» (2)

ومثل بمطلع أحد أزجاله لادخال حرف النداء على قافية الالف واللام ،

وفيه يقول : (3)

اهجر بالغزال واتدلل * واعمل ما تريد فمن بلي يحمل

كما استشهد باجزاء من ازجاله في الوصل في القافية ، فاشار

الى قوله :

ارفع قطيعك وطيب واتملا * والسبع عمن ولي

فالوصل الالف بعد اللام ، ثم قال في احدى خرجاته :

وهذي عندي نصيحة في الله

فالوصل منها الهاء » (4)

ثم ذكر له مطلع زجل هو : (5)

(1) الورقة 33 ظهر (2) المصدر السابق 36 وجه

(3) المصدر السابق (4) المصدر السابق 41 ظهر

(5) المصدر السابق 49 ظهر

سبعين وتلمذ عليه ، ويقال كذلك ان المتصوف المغربي اعطى تلميذه علما وطلب منه أن يتجول فى السوق مغنيا ببيت زجلى يقول فيه :

ابديت بذكر الحبيب * وعيسى ايطيب

ومضى الششتري يغنى فى الاسواق بهذا البيت وقضى يومين دون ان

يستطيع اضافة شئ اليه حتى كان اليوم الثالث فاكمله وقال :

لما دار الكاس * ما بين الجلاس

عنهم زال الباس

اسقاهم ابكاس الرضا * عفا الله عما امضى (I)

ومثل هذه الحكاية تثبت لا شك ان ابن سبعين كانت له معرفة بنظم

النزجلى وان هذا الفن لم يكن غريبا على المغاربة الى حد انهم يسمعون فى الاسواق .

ابن شجاع «النازى»

ذكره ابن خلدون على اثر ذكر فن «عروض البلد» (2) حيث قال :

« فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريفته وتركوا الاعراب الذى ليس من شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا الى المزدوج والكازى والملعبة والغزل ، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها » (3)

واورد له مقطوعتين ، يقول فى بداية الاولى : (4)

المال زينة الدنيا وعز النفوس * يبهى حوها ليس هى باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس * ولوه لكلام والتربا العليا

(I) انظر شرح احمد زروق على نونية الششتري التى يقول فيها .

ارى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا

(مخطوط الاسكوريال رقم 4186 ص 21)

(2) سنشير اليه فيما بعد .

(3) المقدمة ص 530 .

(4) المصدر السابق .

الكفيف الزرهوني

سميجان مالك خواطر الامرا * ونواصيها في كل حين وازمان
ان طعنناه عطفهم لنا قسرا * وان عصيناه عقب بكل هوان
« (3) »

(I) المقدمة ص 530 - 531 .

(2) يعنى الفن الذى نظم فيه ابن شجاع التنازى . وقد ذكر ابن خلدون
من الذين نظموا فيه كذلك على بن المؤذن من تلمذات ولكن لم يمثله
نظمه .

(3) المقدمة ص. 531 .

المنصور الاعوى

ذكر له الحل (I) مطلع زجل هو قوله :

الحبيب ابيض يا حبيب * وكؤوس الخمر حمير
نعم المزج بالرحيق * فط ما نعرف السلو
فالحبيب فى حريق غريق * غايم ابيض عجت لـو
فاسفنى مع زشا رشيق * كل، من راه ميجلسو

مولاي الشاد

وهو اقدم شاعر وجدنا ذكره عند الاشياخ الحفاظ ، ويقولون عنه انه من تافيلالت وانه كان يعيش فى أوائل القرن التاسع للهجرة ، ويتسبون له قولة يذهب فيها الى أن «من لا يحفظ موهوب ينفى عقله مقلوب » ، ويستنتج بعضهم من هذه القولة المبكرة ان الشعر الشعبى المغربى كان يطلق عليه « الموهوب » او «العلم الموهوب» قبل ان يسمى « الملحون » او غيرها من التسميات .

وكل ما يحفظ الاشياخ من زجل مولاي الشاد مقطوعتان قصيرتان ، يقول فى الاولى :

لا تقولوشى يا حسرا اعلى ازمان * الخير والشر افكل ازمان كايينين
ما حد اكتاب الله فالصدور * اعلاه نبكيوا اعلاه
ما قاطعين ياس من رحمة الله * واحبيننا الشافع رسول الله
فاش جا ذنب المخلوقين * عند واسع الففران
ويقول فى الثانية :

خوك عبدك وانت ديما الخوك مملوك

لا تأديه الله يهديك ما يؤديك

لك عايش وانتيا له كاتعيش

لا تكونوشى طوب افشى ابنى اهشيش

عيشوا بالله والنبي والقرآن مع نحديث

وقد علق عليهما الشيخ احمد سهوم فى حديث اذاعى نشر فى « مجلة

(I). الورقة 4I وجه وظهر .

الاذاعة والتلفزة المغربية فاعتبرهما تمثلا للملحون «قبل ان توضع له بحوره وعروضه ، انه مجرد كلام غير موزون وغير مقفى لكنه بليغ وهادف وفيه مسحة من جمال الشعر» (I)

عبد الله بن احسان

يقول عنه كبار الاشياخ انه كان معاصرا لمولاي الشاذ وانه مثله من اضرا في تافيلالت . ومن جملة ما يحفظون له قصيدة طويلة ، هذا نصها :

نسدا لسم الله انظامى يا الى ابغا لوزان *

لوزان خير لى انيا من قول كان حتى كان

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يا لخوان *

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عنوان

حتى انقول ما قالوا عشاق النبى افكل ازمان *

وانكون افلقريض الملحون انا المادحو حسان

مداح مادحو بلسانى والشوق له من لكنان *

والمادحو ابقلب اكنانو يرضاه ماعيا بلسان

الموغ والمغا واللغوا بين اللهامع اسنان *

والحب ذا الشفيغ الشافع فالقلب ذا الدخال اتصان

زانى الله شاهد عن قلبى واللسان كل احيان *

انبات كنضل ابشوقى والدمع كاينو لمزان

بتناهدى اتعلل صدرى وانصعب ما بقى يلىان *

نمسى الارض طيبا تطفى ما فالقلب من نيران

وانمرغ لخدود ونضرع فوق من قبر عدنان *

وانقول يا شريف الاسم مداح طالبك للامان

انت اشفيغ يا محمد والى راحم ورحمان *

والعبد بين شافع وارحيم ايعاين لعفو نهفان

انت شفيع يا محمد والي عما حسان *
ونا حسنت ظني فالبه وفيك طالب الغفران
وانعود من الحج المركاحي يا عنايتي فرحان *
للمصوم والصلا وامديحك بين لجديب وانقران
تاريخ حلتني «رخل» عد ازمانها افكل ازمان *
والقايلين كاع امحضرا ونا فقيهم وزان
واسمي افلامتي عبد الله بن احساين الوزان *
ارجا من لكريم التوبا امن الرمول فالميزان *
اشفاعتو الهذا الاما ونا فوسطها فرحان
واتمام ما نظمت السيمدي من ذا العفيق والعقيان *
اصلا موصلا للماحي ما ناح طير عل لغصان
واللام ربنا للشرفا واهل نهدا افكل امكان *

والناظمين عن ميزاني وبلي ايزيد نو ميزان
ونميل الى اعتبار ابن احساين من خلال هذا النص يمثل مرحلة
جديدة في الزجل المغربي ، لعلها فاصلة بين ما كان من قبل وما غدا
عليه . وسنعود اليه في بداية الفصل الثاني ما دما قد اعتبرناه كذلك ،
ونكتفي الان بملاحظتين :

الاولى : ان الشاعر يشير الى «كان حتى كان» في أول بيت مقارنا
بينه وبين «لوزان» ، ولعله يقصد بـ «كان حتى كان» نوعا من الشعر
الشعبي يعتمد القص والحكاية كما يبدو من التسمية ، و بـ «لوزان»
الشعر القائم على الوزن ، وهذا ما يعزز الاعتبار الذي ملنا اليه في أن هذا
الشاعر بدا مرحلة جديدة في القصيدة الزجلية المغربية

الثانية : قوله في الرمز لتاريخ قصيدته بـ «رخل» فالراء بمائتين
والخاء بستمائة واللام بثلاثين ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة نظمه
لها ، وبهذا نستطيع تحديد تاريخ مرحلة القصيدة الزجلية الجديدة .

اصل القصيدة الزجلية

نحن بهذا أمام نصوص قليلة ولكنها على قلتها متباينة الاشكال متباعدة
الفترات ، ومع ذلك فهي تثبت وجود زجل في المغرب منذ عهد الموحدين ،
من الوان من الزجل مختلفة عن القصيدة المعروفة الآن ، وهي ظاهرة لا تدل
على غير تطورهما عبر الزمان . وعلى الرغم من ذلك يبقى السؤال قائما حول
نشأتها ، وتبقى كذلك متفرعة عنه جملة اسئلة عن الاصول التي استقت منها
وتأثرت بها قبل ان تجرز كيائها :

I - أهي امتداد للزجل الاندلسي ؟

2 - أم هي محاكاة مباشرة لفن التوشيح الاندلسي كما عرفه المغاربة ؟

3 - أم هي تأثر بشعر اهل الامصار العرب الوافدين الى المغرب ؟

4 - أم انها استمرار لعروض البلد الذي استحدثه أهل المدن

بالمغرب ؟

5 - أم انها تطور لآغان ومرددات شعبية محلية ؟

كل هذه اسئلة تراودنا في محاولة البحث عن البذور الاولى للقصيدة
الزجلية لا نرانا نخرج منها الا بردود لا تقوم على غير التخمين والافتراض .

اما الزجل الاندلسي فقد تأكد لنا ان المغاربة نظموا على نمطه في عهد

الموحدين (I) ، ولكننا لا نعرف ان كانوا قد نظموا في العهد السابق . وعلى
الرغم من ان النصوص لا تسعف ، فانا لا نستبعد ان يكونوا نظموا في
عهد المرابطين (2) ، يدفعنا الى ذلك سببان :

الاول : ان المغاربة في هذا العهد - وبعد ان تمت الوحدة بين

المبدين - كانوا يقلدون الاندلسيين ويحتذون خطاهم في مختلف مناحي
الحياة ، وخاصة منها الحضارية والثقافية .

(I) من 524 الى 674 هـ .

(2) من 430 الى 524 هـ .

الثانى : ان الاندلس شهدت على هذا العهد ازدهار فن الزجل حيث لمعت أسماء كبار الزجالين وعلى رأسهم ابو بكر بن قزمان .
والذى كنا نستبعده هو أن ينظم المغاربة الزجل على عهد الموحدين لما نعرف عن هذه الدولة من محاولة الابتعاد عن تقليد الاندلسيين وإيجاد كيان خاص بها يعبر عن شخصية أهم ما تمتاز به هو التأثر بالدعوة الموحدية والميل الى البساطة والوضوح والبعد عن الزخرف والتعقيد .
ويبدو ان هذه المحاولة لم تتعد الرسميات الى الشعبيات ، حيث صادفنا غير قليل من الزجالين المغاربة فى هذا العهد ، بل اكثر من ذلك وجدنا صاحب « العقيدة الادبية » يتحدث عن الاختلاف حول مخترع الزجل ويذكر من المختلف فيهم ثلاثة من المغاربة هم ابن غرلة والخليفة عبد المومن وأخته رميلة ، يقول : « اختلفوا فيمن اخترع فن الزجل فمنهم من قال ابن غرلة ، وقيل يخلف بن راشد » وقيل ابن قزمان ، وقيل مدغليس ، وقيل عبد المومن ملك الاندلس ، وقيل رميلة اخت عبد المومن . والذى اتفق عليه الجمهور أن أول من تناشد به ابن قزمان وبعده القيم مدغليس وبعده ابن غرلة وبعده يخلف بن راشد وبعده سبع الاندلس عبد المومن وبعده رميلة » (I)

ولعلنا نستطيع ان نذهب الى أن نظم المغاربة لفن الزجل فى هذا العصر الذى كان يحاول منافسة الاندلسيين وعدم تقليدهم يدل لا شك على نظمهم له فى عصر المرابطين من قبل وان وجوده فى عصر الموحدين ليس غير استمرار لما كان من قبل .

وعلى الرغم من أنه لم ترو أزجال مغربية كاملة ، فانا من خلال النصوص الناقصة التى ذكرت لابن غرلة وابن حسون لا نرى اختلافا بين الزجل الاندلسى والزجل الذى نظم هؤلاء الشعراء ، وهى ظاهرة يمكننا أن نستنتج منها فى كثير من الترجيح أن الزجل الاندلسى انتقل الى المغرب عن طريق تبادل الوفود والرحلات . ويكفى فى التمثيل لهذا التبادل أن نذكر قدوم أبى الحسن الششتري الى المغرب ، فقد كان يتنقل

(I) الورقة 37 ظهر .

داخل المدن المغربية وينظم ازجالا يتغنى بها فى الاسواق كهذا الزجل الذى يقول فى مطلعہ :

شويخ من أرض مكناس * وسط الاسواق . يغنى

آش اعليا امن الناس * واش اعلى الناس منى (1)

فهل كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشد فى الاسواق وحلقات الذكر دون أن يتجاوبوا معها ودون أن تهز بعض المعتنين منهم لمحاولة النسيج عليها ؟ نحن لا نشك فى أن تأثير الششتري كان قويا فى نفوس المغاربة ، وهو تأثير تدل عليه الازجال التى لا زال يرددها فقراء درقاوة حتى اليوم - وهم طائفة من الشاذلية - ، وتدل عليها محاولة بعض المتصوفة المغاربة تقليد الششتري فى بعض ازجاله على حد ما نجد عند محمد الشرقى فى قصيدة زجلية يبدو فيها التاثر واضحا بزجل الششتري السالف الذكر ، وهى القصيدة التى يقول الشرقى فيها :

انا مالى فياش * آش عاليا منى

نقنط من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

كذلك تدل على تأثير أشعار الششتري عناية المغاربة بنسخها وشرحها على حد ما فعل الشيخ أحمد زروق (2) وابن عجيبة (3) ، وقد كان بعض العارفين يجتثون اتباعهم على قراءة هذه الاشعار وانشادها . يقول ابن عباد الرندى (4) داعيا الى ذلك : «وأما مقطعات الششتري وازجاله فى فيها شهوة واليها اشتياق ، وأما تحليلتها بالنغم والصوت الحسن فلا تسئل فان قدرتم ان تقيدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك » (5). وهذا يجعلنا لا نشك فى أن المغاربة - حتى فى نطاق التصوف - حاولوا ان ينظموا فى هذا الفن الجديد ، بل انا نكاد نجزم بذلك خصوصا

(1) ديوان أبى الحسن الششتري ص 272 تحقيق الدكتور على سامى النشار الطبعة الاولى الاسكندرية سنة 1960 .

(2) المتوفى سنة 899 هـ

(3) المتوفى سنة 1311 هـ

(4) المتوفى سنة 790 هـ .

(5) انظر مقدمة الديوان ص 4 .

حين نجد مؤرخا كأحمد بابا التميمكى (I) يقول : «وقد نسج الناس على
مثواله كثيرا فما ابرقوا ولا اعدوا ولا قاموا ولا قعدوا الا من قل وندر
لأنهم ان اصابوا علما أخطأوا حالا وبالعكس » (2)

واذن فقد عرّف المغاربة الزجل الاندلسى ونظموا متأثرين به
ومقلدين له ، وهذه حلقة من حلقات البحث .

وما قلناه عن الزجل نقسوله عن الموشحات ، خصوصا وان عهد
المرابطين شهد ازدهارا لهذا الفن بظهور وشاحين كبار فى الاندلس أمثال
ابن بقى واحمد بن على المشهور بالاعمى التطيلي وعلى بن حزمون المرسى
وأبى بكر بن باجة ، وخصوصا كذلك وأن غير قليل من شعراء التوشيح
وفدوا على المغرب فى فترات مختلفة أمثال الحفيد ابن زهر وابن حزمون
والهيثم المريبطرى وسهل بن مالك الغرناطى وابن الخطيب فيما بعد .

وقد رويت لابن غرلة أجزاء من موشحات ، فقد ذكر له الحلى طرفا من
موشحته المعروفة بالعروس (3) وهذا مذهبيها واول أبياتها :

من يصيد صيدا فليكن كما صيدى * صيدى الغزالة فى مراتع الاسد
كيف لا أصول * واقتنصت وحشية
ظبية تجول * فى ردا وسوسية
صاغها الجليل * مهي شبه حوريه

(I) المتوفى سنة 963 هـ .

(2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 70 طبعة فاس سنة 1317 هـ .

(3) لاحظ استاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الاهوانى أن هذه
الموشحة ليست الموشحة العروس التى ذكر ابن سناء الملك فى دار الطراز
فقال : «اذا قارنا عدد الاجزاء فى اغصان هذه الموشحة واقفالها عرفنا انها
ليست الموشحة العروس التى أشار اليها ابن سناء الملك فتلك كما صرح
دار الطراز تتألف من اقوال ذات سبعة أجزاء وهذه اقفالها اربعة اجزاء »
(انظر الزجل فى الاندلس ص 113) علما بان ابن سناء الملك لم يسم
ابن غرلة .

كذلك وجدنا في « كتاب مجموع موشحات » (I) موشحة لابن غرلة
يقول في مطلعها :

يا من حكى خده انشقاق * وما له في البها شقيق
تركتني بالدموع شارق * لما بدا خدك الشريق
ويقول في خرجتها :

بكر غدت في الدنان عاتق * ما الحر من رقهها عتيق
تلوح في الكاس شبه بارق * ان مزجت صرفها بريق

واورد له الشهاب الحجازي (2) موشحة هذا مذهبها واول ابياتها :

باسم عن لآل * باسم عن عطر
نافر كالغزال * سافر كالبدر
اي طبى ربيب * اى فيه ارب
ريقه كالضرب * والما كالضرب
يا له من حبيب * باسم عن حبيب

(I) مخطوط مكتبة أيا صوفيا رقم 4243 - السليمانية - اسطنبول
(الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر) وقد وردت نفس الموشحة منسوبة لابن
غرلة في كتاب « روض الآداب » للشهابي الحجازي - الورقة 98 وجه وظهر
(مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 2293 قصر توبكابي باسطنبول) كما
وردت في «سجع الورق المنتجة» الورقة 33 ظهر و 34 وجه وظهر (مخطوط
مكتبة فاتح رقم 3918 السليمانية اسطنبول) ولكن منسوبة لعلاء الدين بن
أبيك وليس لابن غرلة .

(2) كتاب «روض الآداب» الورقة 96 وجه و 97 ظهر مخطوط مكتبة
أحمد الثالث رقم 2293 . وفي نسخة أخرى من الكتاب مخطوطة بمكتبة راغب
باشا باسطنبول رقم III5 الورقة 190 انها لصاح الدين الصفدي ، وفي
نسخة ثالثة رقمها 4017 في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول (الورقة 91 وجه)
ان الموشحة لاحمد بن حسن الموصلی .

واورد له الحجازى كذلك موشحة ثانية (I) يقول فى مطلعها :

زاير بالخيال * زايل عن قربى
باهر بالجمال * ناهر بالعجب

ويقول فى خرجتها :

صديها وقال * وهو يغنى قربى
نحظ، عينى تنال * قلت آه واقلبى

كما انه رويت لابن حسون فى سفينة مبارکشاه (2) موشحة يقول
فى مطلعها واول ابياتها :

ما احسق * عن قطيع من دقق
الصباح قد اقبل والظلام قد ولى
والنجوم قد غابت فى حجاب علم الله
ونجوم الاغصان قد بدت ان تجلى

واذن فقد نظم المغاربة الموشحات على طريقة الاندلسيين ، وهذه
حلقة ثانية من حلقات البحث .

واما شعر اهل الانصار العرب الوافدين على المغرب فقد حدثنا عنه

ابن خلدون فى المقدمة فقال : « فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجمون عن
لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الاعاريض على
ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب
الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى
الخروج من فن الى فن فى الكلام وهربما هجموا على المقصود لاول كلامهم ،
واكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون ، فاهل
انصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى

I) نسخة راغب باشا الورقة 191 ظهر و 192 وجه وظهر ، فى حين
انها فى نسخة مكتبة احمد الثالث (الورقة 97 ظهر) منسوبة لجمال الدين
يوسف الصوفى .

2) الورقة 25 ظهر و 26 وجه مخطوط فيض الله مكتبة Millet رقم
1612 اسطنبول .

الاصمعي راوية العرب في اشعارهم ، واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي « (I)

واورد من هذه الاشعار قصيدة على لسان الشريف ابن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر طعنها مع قومها الى المغرب (2)

قال الشريف ابن هاشم على * ترى كبدى حرا شكت من زفيرها
يعز للاعلام اين ما رات خاطرى * يرد اعلام البدو وبلقى عصيرها
وماذا شكات الروح مما طرا لها * عذاب ودائع تلف الله خبيرها
واورد منها « قولهم في رثاء أمير زناتة ابى سعدى البقرى مقارعهم

بأفريقية وارض الزاب ورثائهم له على جهة التهكم » (3) ، هذا اوله :
تقول فتاة الحى سعدى وهاضها * ولها فى طعون الباكين عويل
ايا سائل عن تبر الزناتى خليفة * خذ النعت منى لا تكون هبيل
واورد منها كذلك « قول شبيل يذكر انتساب الكعوب الى برجم :

فشايب وشباب أولاد برجم * جميع البرايا تشتكى من ضهادها
ومنه قوله يعاتب اخوانه فى موالة شيخ الموحدين ابى محمد بن
تافراكين المستبد بحجاجة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة ابى
اسحاق ابن السلطان ابى يحيى ... :

يقول بلا جهل فتى الحى خالد * مقالة قوال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن * هريجا ولا فيما يقول ذهب
... » (4)

وقد كان المغاربة يستمعون الى مثل هذه الاشعار تنشده وتروى ،
وهذه حلقة ثالثة من حلقات البحث .

ونصل بعد هذا الى الحلقة الرابعة وهى « عروض البلد » ، وقد
تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته فقال : « ثم استحدث أهل الامصار
بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم

(I) ص 510 . 2) ص 511 - 512 .

(3) ص 512 - 513 . 4) ص 517 .

الحضرية أيضا وسموه عروض البلد ، وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الأعراب ، مطلعها :

ابكاني بشاطئ أنهر نوح الحمام * على الفصن في البستان قرب الصباح
وكف السحر تمحو مداد الظلام * وماء النسي يجري بغر لئلا
باكرت الرياض والطل فيه افتراق * سر الجواهر نى نحور الجوار
ودمع النواحر ينهرق انهرق * يحاكي ثابسين حلقت بالثمار
لجوا بالفصون خلخال على كل ساق * ردار الجميع بالروض دور السوار

...

فامتحنه أهل فاس ونظموا على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم « (I) »

أما الحلقة الخامسة والأخيرة فالأغاني والمرددات الشعبية . وعلى

الرغم من أنه لم تصلنا نصوص لهذه الأغاني والمرددات ، فإننا لسنا بحاجة إليها لنثبت وجودها ، فلكل شعب - مهما كانت درجة حضارته وتمدنه - أولية - أغانيه ومردداته ، بل «لسنا في حاجة لأن نثبت من الناحية العقلية ضرورة وجود الأغاني في المجتمع الإنساني كله وأن الأغاني الشعبية قديمة العهد بين سكان المدن والبادي وأن الحياة الاجتماعية بمناسباتها المفرحة والمحزنة قد حتمت التعبير الجماعي الذي يستعين بالآلة الموسيقية وبالتنغيم اللفظي فاصطنع فن يجمع بين هذين الجانبين الموسيقي واللغة هو ما نصلح على تسميته بالأغنية الشعبية » (2)

وليس المغرب بدعا من الشعوب والمجتمعات ، فقد كانت له أغانيه ومردداته وأناشيده يتنغم بها في مختلف اللهجات المنتشرة فيه ، وبالعبارة العامة منذ أن تم استعراجه على عهد الموحدين وربما قبل ذلك .
هذه أذن حلقات أوجب علينا استعراضها ما نفترض إمكان اعتباره أصلا لنشأة الفصيحة الزجلية المغربية ، فبأيها يا ترى نربطها ؟

(I) ص 529 - 530 .

(2) الزجل في الأندلس لأستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الأهواني ص 3 .

سنا نستطيع أن نقول بأنها امتداد لتيار الزجل الاندلسي ، فالفجوة الزمنية بعيدة بين الفترة التي وصلتنا عنها نصوص مغربية متارة بالزجل الاندلسي وبين الفترة التي ظهر فيها الزجل المغربي محرزاً كيانه وخصائصه والاختلاف الشكلي ظاهر بين الاثنين وخاصة حين نقارن بين الزجل الاندلسي والزجل المغربي في المراحل الأولى لتطوره الأخير ، وخاصة عند أعمال المنجد وابن احساين .

ولسنا نستطيع القول كذلك بأنها محاكاة لفن التوشيح لانا لا نعتقد ذلك حتى بالنسبة لنشأة الزجل في الاندلس .

وإذا جاز لنا ان نتحدث عن محاكاة القصيدة الزجلية المغربية لمنظمن الانماط الشعرية فاعلم الظن أنها لعروض البلد الذي أشار اليه ابن خلدون لاستحسان الناس له ونظمهم على طريقته . ويميل بنا الى ترجيح هذا الظن الشبهة الكبير الذي نجده بين النصوص التي نظم المغاربة متأثرين بعروض البلد كما عند ابن شجاع والكفيف وبين الزجل المغربي في مراحل الأولى وقبل أن يحرز كيانه الحالي اي عند الشاد وابن احساين .

كذلك لا نخفي ميلنا الى الظن بان اشعار العرب الوافدين ، وخاصة منهم الفيلاليين وحلفائهم ، القت بظلال كثيفة على القصيدة الزجلية المغربية ، فليس من قبيل المصادفة ان تكون القصيدة في شكلها الحالي ظهرت في جنوب المغرب وان يكون اغلب اعلامها من الفيلاليين الصحراويين ، ونحن نعرف ان أولئك العرب الوافدين أقاموا في الجنوب ، وليس من قبيل المصادفة كذلك أن يتخذ الزجالون المغاربة من التقاليد ذكر اسمهم في قصائدهم ، وهي عادة تعارف عليها الشعراء العرب الوافدون ، (I) بل ليس من قبيل المصادفة بعد هذا ان نجد في الازجال المغربية آثاراً للقصص والملاحم الشعبية التي جاء بها أولئك العرب ، تتمثل في الإشارة الى أسماء عبلة وجازية وعنترة

(I) انظر الجزء الثاني من الفصل الثالث من باب « الشكل » .

والشجعان الزناتيين (I) وفي التعليل لوجود هذه الاسماء بانها مقتبسة من القصائد الاصمعيات (2) .

ومع هذا فنحن نرجح ان تكون الاغانى والمرددات والانشيد الشعبية المحلية هي الاصل الاول للقصيدة الزجلية ، وقد ذكر لنا الشاد ما يطلق عليه «الموهوب» كما ذكر منها ابن احساين «كان حتى كان» . وبذلك تكون القصيدة نشأت شعبية محلية نابعة من البيئة ومتأثرة بها كغيرها من الفنون والآداب الشعبية ، ولكنها ظلت محصورة فى نطاق ضيق محدود . ونرجح كذلك ان تكون هذه القصيدة اثرا طبيعيا من آثار استعراب المغاربة وانسجامهم مع اللغة الجديدة وتطويعهم وتذوقهم لها فى قالبها العامى حين عجزوا عن ذلك فى قالبها المعرب ، وهى بذلك نتيجة الازدواج فى اللغة تعاطاها العوام فيما بينهم ، ولكنها لم تصبح لونا ادبيا معترفا به اذ لم يتح لها الشاعر الفنان الذى يعمل فيه موهبته وعبقريته ويقدمها فى صورة فنية مكتملة . وظلت لذلك مدة طويلة تننفس فى جو شعبي خالص ، وبقيت بهذا نماذجها الاولى مجهولة .

(I) على حد ما يقول امثيرد فى «خديجة» :

لوصول اتصول * صولى يامولاتى اخديجا *

صولت عبلا وجازيا * يا سلطانت الريام

ويقول مبارك السوسى فى «زهرة» :

سلبت عقلى زهرا * بالبا والحسن المكمول حازت اسرارو

بشمايل لبها فاقت عل لبكار * فاقت عن عبلا وجازيا وامحاسن ليكور

ويقول المدغرى فى «ام كلثوم» :

كلثوم ترياق لسقامى *

كلثوم كنها ياقوتا فى سلسلا امن اذهب تشحارو معلوم

كلثوما شمس اضوات فارسامى *

كلثوما ما ادركها عبسى فضخامتو اشجيع اسناحو مقيوم

ويقول محمد ولد افريجة فى «خنانة» :

يا دات الزين الوارث * امنين امجيك آمولاتى الخنتا

سبحان امن انشاك اقد الريح الصقيل أرايا فى تشجيع بين شجعان ازنا تا

(2) يستعمل الاشياخ مصطلح «الاصمعيات» دون ان يعرفوا انه يعنى

قصائد اهل امصار المغرب من العرب كما شرح ابن خلدون وكما سبق ان أشرنا لذلك .

ولكننا نرى ان الشعراء الشعبيين تأثروا بعد هذا بالازجال الاندلسية والموشحات فى محاولة للتقريب بين القصيدة كلون شعري عامى وبين الاشعار التى كانت تلقى فى مجالس غير الموام عند العلماء والحكام والملوك ، وفى محاولة كذلك لفرض وجوده وتوسيع نطاقه واقناع الطبقات المثقفة والارستقراطية بهذا الوجود ، وهى طبقات لا شك كانت معجبة بالازجال والموشحات الاندلسية بل بكل ما هو تراث اندلسى ، لا سيما وان غير قليل من الاسمر الاندلسية انتقلت الى المغرب وظلت تعيش على ماض تعتز به وتفتخر ، وهو شعور يكاد يعم جميع المغاربة حتى الذين ليسوا من أصل أندلسى .

والغالب ان هذه المحاولة تمت حين انتقلت القصيدة الزجلية من البيئات الشعبية الصرف الى بيئات راقية ان لم نقل انها بعيدة كل البعد عن الشعب. ومثل هذه النقلة تظهر فى التفنن الشكلى الذى اصبحت عليه وزنا وقافية (I) وفى المعانى والافكار التى بدأ يصورها الزجال المغربى والتى لا تمت بصلة للشعب ولا تمثل الا حياة الرفاهية والقصور والطبقات الغنية المنعمة ، وهى حياة يكاد تصويرها ان يكون اقرب الى نسج الخيال منه الى الواقع (2) .

على أنه لا ينبغي ان ننسى عاملا آخر ساعد على التأثير بالازجال والموشحات الاندلسية ، وهو انتقال الموسيقى الاندلسية الى المغرب بنوباتها وانشيدها ، وهى موسيقى حافظ المغاربة عليها . وقد سبق ان راينا (3) انهم اضافوا الى الميازين الاندلسية الاربعة ميزانا خامسا هو الدرج وان الحاج علال البطللة استخرج طبع الاستهلال فى أوائل ايام السعديين. وكان طبيعيا ان ينظم المغاربة - لهذه الاضافات على الاقل - مقطوعات كانت

-
- I) انظر الفصل الثالث من الباب الاول وانظر كذلك الفصل المقبل عن تطور القصيدة الزجلية .
2) انظر فصل المرأة من باب الموضوعات وانظر كذلك الجزء الاول من الفصل الثانى من نفس الباب .
3) فى المدخل .

بلغة عامية فى الغالب ، ولعلنا نذكر «البراول» التى سبق ان جعلناها نوعا مستقلا من الزجل المغربى لا يختلف كثيرا عن القصيدة .

وتتجلى عناية المغاربة بالموسيقى الاندلسية ومقطوعاتها - حتى بعد ذلك - فى العمل الذى قام به الحايك التطوانى فى أواخر القرن الثانى عتر الهجرى من جمع الموشحات والازجال التى تنشده فى هذه الموسيقى فى كتاب يعرف باسمه .

ولعلنا ان نذكر بعد هذا ان القصيدة الزجلية حين دخلت مرحلة الغناء لم تجد غير ميازين الموسيقى الاندلسية ونوباتها تقسيم عليها الالحان .



الفصل الثاني

مرحلة التطور

رأينا فى الفصل السابق أن مرحلة جديدة من القصيدة الزجلية بدأت قبيل منتصف القرن التاسع للهجرة فى أواخر عهد المرينيين على يد عبد الله بن احساين ، وهى مرحلة تطويرية كانت القصيدة خلالها تكتسب غير قليل من الجديد وتحاول احراز كيانها الذى ستستقر عليه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون .

وليست هذه المرحلة قصيرة ، فهى تمتد زهاء ثلاثة قرون ، ومع ذلك فانا لم نتتبع كل شعرائها وما أنتجوا من أرجال ، واكتفينا بذكر الاعلام الذين قدموا جديدا أو طوروا قديما ، ولم نقف الا عند النصوص التى اعتبرناها معالم فى طريق هذه المرحلة . والحقيقة أننا لم نقصد الى ذلك ، ولكن المادة التاريخية والشعرية لم تيسر لنا لاستعراض كامل نؤرخ به لهذا الفن ، والسبب أنها لم تدون فكان مآلها الضياع ، وما بقى منها فى أذهان الاشياخ قليل ، وهو على قلته ملئ بالتناقض والخرافات ، يحتاج الى كثير من التصفية والغربلة حتى يستخلص منه ما يمكن اتخاذه أساسا للدرس والبحث .

لهذا سنركز على القصائد نفسها ، نحاول أن نستكشف منها ملامح هذه المرحلة وما يميزها من ظواهر التطور والتجديد ، وسنتتبع نصوصها من خلال استعراضنا لاعلامها ، حتى نجمع بين التأريخ للقصيدة والتأريخ لمنشئها ، وسنبداً بعبد الله ابن احساين ونختم بالمصمودى .

عبد الله بن احساين

من قبيلة «اضرا» بصحراء تافيلالت كما يصرح فى شعره . ولسنا نعرف تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا نستطيع القول بأنه عمر زهاء مائة عام معتمدين على أمرين :

الاول : ان احدى قصائده مؤرخة فى سنة ثمانمائة وبلاثن ، واذا افترضنا أنها من أولى قصائده ، فيحتمل ان يكون قالها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .

الثاني أنا نجده يذيل قصيدة لاحد تلاميذه يسمى الحمري ، وهى قصيدة مؤرخة فى السنة العاشرة بعد المائة التاسعة ، وليس من شك فى أنه كان اذ ذاك فى أواخر حياته .

ويعتبر ابن احساين - فى رأى بعض الاشياخ (I) - صاحب مدرسة وأستاذ جيل ، وضع لمن جاء بعده من الزجالين غير قليل من التقاليد ابتدعها فى زجله ، والاسف أنه لم تصلنا منه غير قصيدتين سنحاول منهما أن نستخرج ما يعزى له من ابتداعات وأسبقيات :

أولا - البحر المثنى : يستشف سبقه الى النظم على هذا البحر من استهلال القصيدة الاولى حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامى ياللى ابغا لوزان

لوزان خير لى أنيا من قول «كان حتى كان»

ربى الى الهمنى نمدح جد الشراف يالخوان

بالشعر السليس الفايز هو ايكون لى عنوان

ويستشف كذلك من قوله فى نهاية نفس القصيدة :

واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان

والناظمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان

فهو يريد أن يقول شعرا موزونا سلسا يراه خيرا من «كان حتى كان». وقد سبق أن راينا (2) أن «كان حتى كان» ربما كان نوعا من الشعر غير منظم ولا موزون ، يقوم موضوعه لا شك على حكاية القصص والخرافات ، كما يبدو من تسميته .

والجدير بالملاحظة ان هذه القصيدة على قصرها - فهى لا تضم غير سبعة عشر بيتا - ليست معروفة الا عند كبار الاشياخ ، وأول قصيدة

(I) هو السيد أحمد سهوم الذى استفدنا من تقاييده غير قليل من النصوص والاخبار المتعلقة بشعراء هذه المدرسة .

(2) أنظر الفصل الاول من هذا الباب .

بحفظها أغلب المنشدين على «قياصها» هي «تصلية» ابن علي ولد اريزبن
التي يقول في حربتها :

صلوا على الصديق الصادق جد الشراف نور العين

امام لنبيا بلقاسم محبوب ربنا الرحمان

ثانيا - البحر الثلاثي : نظم فيه قصيدته «اللقمانية» ، وهي - كما
سنرى حين نتحدث عن سبقه الى اربح الفوائد - منطوية سنة مائتين
وثلاثين وثمانمائة ، أي أنه ابتدع هذا البحر بعد ثمانى سنوات من ابتداعه
البحر الاول . يقول في أول «اللقمانية» :

يا راسي نوصيك كيف وصى ولدو لقمان * انت اصغا كيب ماصغا ولدو لبياني
واتوصى بوصايتي المرويا قوم اخرين

ثالثا - البدء بالسمعة : يبدو في أول بيت من القصيدة «المثناة»
حيث يقول :

نبدا لسم الله انظامي ياللي ابغا لسوزان

لوزان حير لى أنيا من فول كان حتى كان

رابعا - توجيه الخطاب الى الرأس : يقول في أول بيت من قصيدته
اللقمانية :

يا راسي نوصيك كيف وصى ولدو لقمان *

خامسا - الإشارة الى تاريخ نظم القصيدة : يقول في أواخر أبيات
القصيدة الاولى :

تاريخي حلتي «رخل» عم زمان، امكان زمان

والقايين كاع امحضرا ونا فقيهم وزن

حيث رمز بـ : ر خ ل ، فالراء بمائتين والحاء بستمائة واللام بثلاثين ،
ومجموعها ثلاثون وثمانمائة ، وهي سنة التاريخ .

ويقول مؤرخا لقصيدته الثلاثية ، محمدا تاريخها بالشهر واليوم :

واسمى عبد الله بن احساين نسل العدنان *

مركاحي فاضرا وحلتي فالوزن الساني

«خرجها» جماد والشهر باقى لو يومين

أما السنة فـرمز لها ب : خ ر ج هـ ل ، فالخاء بستمائة والراء بمائتين
والحيم بثلاثة والهاء بخمسة واللام بثلاثين ، ومجموعها ثمانية وثلاثون
وسمائمائة .

وأما الشهر فجـمادى ، وأما اليوم فـقبل نهاية الشهر بيومين .
سادسا - ذكر الاسم : يقول فى قصيدته الثنائية مصرحا باسمه وبأنه
من قبيلة «اضرا» :

واسمى إلامنى عبد الله بن احساين الززان
أسايلين عنى فاضرا عاصى ومعدن النقصان
وكذلك يقول فى «اللقمانية» مسيرا الى شرف نسبه كما يتضح من
آخر أبيات ذكرنا منها عند التأريخ .
سابعا - اهداء السلام والصلاة والدعاء : يعرض ذلك فى الابيات
الاربعة لقصيدته الاولى حيث يقول :

نرجا من لكريم الربا امن الرسول فالميزان
اشفاعةو الها ذا الاما ربا فوسطها فرحان
واشفاعتو الها ذا الاما هى اذخيرت ليما
اشفاعةو الها ذا الاما هى الضامنا لجنان
واتمام ما نظمت السيدى من ذا لعقيق والعقيان
اصلا اموصلا للماحى ماناح طير على لغصان
واسلام ربنا للشرفا واهل لهذا افكل امكان
والناظمين عن ميزانى واللى ايزيد لو ميزان
ويقول فى اللقمانية :

واتمام المقصود فالصلا عن سيد عدنان *

زين الزين الهاشمى احمد محبوب الغانى

والرضوان اعلى اجميع آلو وانصار الدين

ثامنا - هجاء الخصوم : يعنبر نفسه أستاذا وسائر الشعراء له تلاميذ،

حين يقول فى قصيدته الاولى :

. والقابنين كاع امحضروا ونا غقيهم وزان

فالقائلون عنده - وهم الشعراء - امحضرا ، وهو الاسم الذى يطلق على صيغة الكتاب القرآنى ، أما هو ففقيه ، وهو الاسم الذى يعرف به مدرس الكتاب ومدرره .

تاسعا : تذييل قصيدة التلميد : وهو دليل اعترافه بشاعريته واجادته حيث يختم قصيدته بيتين أو ثلاثة . ويقال عنه فى الاصطلاح «اطبع لو» (I) ولا يكون الا بعد أن يراجع الشيخ القصيدة أو على حد قولهم «صفى لسوق القصيدا» و «دوز اعليه» . ويعتبر التذييل شهادة يعتز بها الشعراء مثبتيين تلمذهم على كبار الاشياخ الى حد قالوا : «شيخ ابلا اشياخا باطل شاخ» (2) . من ذلك ما نجده فى نهاية قصيدة لحمد الحمري ذيلها أستاذة ابن احساين بهذين البيتين مشيرا فى البيت الثانى منهما الى أن الحمري يحفظ معانيه :

واسلام ربنا للشرفا وهل لعلوم يا حصار
اعداد ماهطلت امن امطار وما لقحت من تزهير
فاشعار حافظ امعنا حماد رايق للتشطار
والحمد للكريم الدائم عما اعطى ابلا تقصير
وقد قدم الحمري لبيتى أستاذة بقوله معتزا بسنده :
والحمد والشكر فالختما واصلا اتسير للمختار
من درع ابن احساين الحمري حماد رمزها «فلخير»
وتجدر الاشارة الى أنه رمز لتاريخ قصيدته بالفاء واللام والخاء والراء ،
فالفاء بثمانين واللام بثلاثين والخاء بستمائة والراء بمائتين ، ومجموعها
تسعمائة وعشرة .

(I) نصادف هذا المصطلح عند محمد بن عمر الكفيف فى «الدعى» حيث يهجو الاشياخ الذين كثروا دون أن يكون لهم سند من حفظ أو رواية أو تلمذ على أشياخ يطبعون لهم ويحيون :
فضحو سوق اللغا ابغال الرتعا * اشحال منهم املوا ابقاعى
ما حفظوا مارواوا ما طبعوهم طباعا
(2) ويقال كذلك انه «سلك الطريقان» أى حصل على تجارب وتعرف الى مختلف جوانب الفن عن طريق تلمذه على شيخه .

هذه جملة الاسبيقيات التي استطعنا استخراجها لعبد الله بن احساين من ثنايا قصيدتين هما كل ما وقفنا عليه من رُجله . وقد وجد من شعراء قبيلته غير قليل من السخط بسبب اتخاذه الوزن ، وهو سخط يكشف عنه قوله في أواخر «اللقمانية» :

من غتبك يكفيك فيه خفف عنك عصيان *

كيفتبونى فقبيلتى عن طررز اوزانى

نرجا من ربى ايتوب عن ساير المسلمين

ولكن احتضان ابن احساين لجماعة من تلاميذه فى الفن ، سواء فى اضرا أو خارجها ، جعل ابتداعاته تنتشر وتفرض وجودها فى بيئة الزجل ويعترف للسابق اليها بالفضل ، وهو اعتراف تكشف عنه هذه الابيات التى رثاه بها أحد تلاميذه الفاسيين واسمه الحاج اعمارة ملقبا اياه بأبي الشعر ، يقول مخاطبا شعره ، يحثه على البكاء على أبيه حتى يسقى من دموعه جذور النخلة التى كان يجلس اليها ابن احساين لينظم قصائده :

ابك اعلى اباك أشعري لبكا دشى امرا ثكلى

اونوح كينوح ورشان اغريب بوحدو فالليل

ابك على اباك أشعري واسق اجذور ذا النخلا

اللى اشحال من شعر احداها رصعو اباك اكبيل

العيش بعد عبد الله او الله كاع مايحسلا

ونايلامشى عبد الله ابقيت فالشعار اوحيل

حماد الحمري

نعرف أنه من تلاميذ ابن احساين وأنه كان يعيش فى أوائل القرن العاشر كما تقدم . وقد ظل ينظم على بحرى أستاذه كما تكشف قصائده . فمن نظمه على البحر المثنى قصيدته «الريعية» التى يقول فى حربتها :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار
ايسبحو النعم الغنى ولما افقلب كل اغدير

ومن نظمه على الثلاثي قصيدة «التصليية» التي يقول فيها :

صلى الله اعليك يالهادى خاتم لرسال *
عد ادواب البحر والاسماك اللى فالمالى
العايش واللى امضى ومن هو مازال اقبيل

وقد ظل كذلك يسير على جميع التقاليد التي سنّها أستاذّه ، ولكنه - فى رأى الاشياخ - لم يكتف بها وأضاف لها من عنده . واذا كانت كل أسبقيات ابن احساين محصورة فى نطاق الشكل ، فان ما أحدثه تلميذه الحمري يتصل كذلك بالشكل ، ولكن يتعداه الى المضمون . ويتبين لنا ذلك من خلال قصيدة واحدة هي التي وفقنا الى تسجيلها كاملة ، وهي «الربيعية» :

أولاً : تطور المضمون :

ويتجلى فى كون القصيدة نظمت فى وصف الطبيعة وجمالها أيام الربيع ، وهو موضوع يؤكد كبار الاشياخ أنه لم يكن معروفا من قبل عند الزجالين الذين كانوا لا يخرجون فى أشعارهم عن المدائح النبوية و «التصليات» والحكم والمواعظ .

وقد سبق أن مثلنا ببعض أبيات هذه القصيدة لدى الحديث عن شعر الطبيعة (I) ، ونود هنا أن نلاحظ أن الحمري جعل ربيع شعره أزهى من ربيع الزمان ، هذا ينقضى بمرور فصله ، وذاك دائم الازهار والاثمار لا ينتهى ولا يدبل ، يقول فى القسم الثانى من القصيدة :

هاك ارياض يا من لاشاف ارياض فى اقريض اشعار
انزايه لفتار ارياضى الشعر فايق التشجير
لخريف كابغصف نخس والورد وربى لزهار
والورد والزهر فارياضى فيام لخريف اغزير
لشجار افلخريف اتغرد واتنوح عن اشباب اقبار
ويجف ورقها ويفدقد ويصير كحطب لهجير

(I) أنظر الجزء الاول من الفصل الثانى من باب (الموضوعات) .

ونا اشجار روضى خضرا تسبى ارباع النظار
فخريف ولمشاي والصيف اربعها اربيع اغزير
لغصان ناعا مسرارا والسورق منها يخضار
وافطاطر السدا معروق ساير السجير

ثانيا : تطور الشكل :

يتمثل فى ثلاثة جوانب هي : تقسيم القصيدة ووضع لازمة لها
واستعمال الحوار .

1 - تقسيم القصيدة :

قسم قصيدته «الربيعية» الى تسعة اقسام كل منها مكون من
خمسة أبيات وهذا أولها :

سارت لمشاتي كالجيش ايلنا انهازم افلكحسار
من بعد زام طبلو واتنصر سار افلقفار اكسير
وجا اهمامنا لمسمى الربيع حايز التفحار
وصاب ما يصيب المنصور ايلنا امشى اعداه احقير
ارمات السما ثوب حزنهنا ولبتت الافتخار
واتحزمت بالسبع الوان اللي اهدى لها لخيسر
وانعايم لغنى سبحانو واسفات منها لشجسار
شلا احصى السان الفاصح سبحان ربنا لتقدير
اعراجن ائمر فالنخلات الراكبات عل لجدار
واعناقده لعنب فادوالى سالى عل لعصير اخبير

2 - وضع الحربة :

فقد جعل لقصيدته حربة أى لازمة تلتزم فى نهاية كل قسم ، هي
قوله :

الورد والزهر واغصانو واشجار باسقا واطيار
ايسبحو النعم الغنى والما افقلب كل اغدير

3 - استعمال الحوار :

وهو حوار بسيط وقصير أجراه فى القسم الثامن بينه وبين النحل

والفراشات ، وقد سماها «أم الوبرات» . فقد جاء على لسان الفراشات ما ضمنه الحمري أول بيت من هذا القسم ، وجاء في رد النحل ما ضمنه في الشطر الثاني من البيت الثالث ، أما هو فردده عليها يبدأ من آخر البيت الرابع ويكمل في البيت الخامس ، يقول :

«اهلا بالربيع اللي جانا بعد ماهزم لمطسار
واهلا بالنسيم اللي هب حامل اشدا واعبير»
هكذا كانت أم الوبرات الطايفات عل لزهار
الراشعا اعطور النوار افطاست النداء لغزير
سمعوا اقوالهم النحللات وجاوبو ابلا تستار
«لاصيف لاخريف ابغينا الا اربيعنا لمنيير»
لكلام ابقلوب يتسمع فشدا امرايح النوار
ونا بقلب قلبي صغنو وانطقت قلت: «كل اغريز
ما راد غير راسو والهاني مارتا اعلى محتار
واللي القى اغراضو وامرادو مايسالشي عن غير»

محمد بن علي بوعمرو

وهو كذلك من تلاميذ عبد الله بن احساين اذ يترحم عليه في آخر قصيدته «عبلة» ملقبا اياه برفيق النخلة ، فيقول :

لازم ايجي من يدري فضلى * والفضل الخالقي فالاول والتالي
ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

ونعرف من ناريخه لاحدى قصائده أنه كان يعيش بعد السنة الثلاثين من القرن العاشر ، يقول في أواخر قصيدته «عبلة» :

بوعمرو محمد لعشيق ابن علي * والرمز «الحب اقهرني قتالي»

فقد رمز ب : ل ح ب ق ه ر ن ق ت ل فاللام بثلاثين - وقد ذكرها مرتين - والحاء بثمانية ، والباء باثنين ، والقاف بمائة - وقد ذكرها كذلك مرتين - والهاء بخمسة ، والراء بمائتين ، والنون بخمسين ، والتاء بأربعمئة ، ومجموعها خمسة وعشرون وتسعمائة .

وقد أحدث بوعمرو - حسب ما انتهينا اليه في البحث - بعض التطور على مضمون القصيدة وشكلها ، يتمثل الاول في سبقه الى الغزل ، ويتمثل الثاني في ابتداعه وزنين : احدهما داخل البحر المثني ، والآخر داخل البحر الثلاثي ، كما يتمثل في نظمه قصائد غنائية خفيفة :

أولا : تطور المضمون : الغزل

يعتبر بوعمرو أسبق شعراء القصيدة الى النظم في الغزل ، ولقب لذلك ب : «العاشق» . ومن محاولاته الاولى فيه قصيدة «زهرة» التي يقول في حريتها :

زوريني قبل الانقبسار * ياهلال الدار زهرا

وقد كان لغزل بوعمرو وقع سيء في نفوس معاصريه الذين استاءوا منه وسخطوا عليه لاتخاذهم المرأة موضوعا للشعر ، وبالغوا في ذلك فرموه بالزندقة والفحش على حد قول أحدهم - اسمه لمرائي - وهو من امدغرا :

زنديق ابن الزنديق الوغد اللي ايردنا فساق

يستاهل الرجيم ابلحجر حتى ايموت بالتحقيق

ويلا ايموت يتصلب عام وبعد دلتو يحراق

وانشتتو ارمادو وانقول هكذا بغى لعشيسق

فهو عنده زنديق ابن زنديق ووغد دنس الشعر بفسقه ، يستحق الرجم حتى يموت ثم يصلب مدة عام وتحرق جثته بعد ذلك وينذر رمادها جزاء عشقه وقوله فيه .

وعن مثل هذا السخط العنيف عبر أحد شعراء مراكش المعاصرين له اسمه حسون وتير فقال :

ملت امن السجيا ولي فيها العار والشنار

واغضبت اعلى الشعر الملحون اللي ناظمو فاضرا

الفاسق اللثيم الزنديق اللي شنع بالبيكار

ألويل اجناح انفدقد وانطير له للصحرار

واندبر له لئلا يرسد من في الهند للتشجار

وانطوفوا اشهر وانحبسو عشرين عام في عسرا

فقد مل الشعر الذي غدا فيه العار والشنار ، وضاق بالملحون الذي
نسابه شاعر اخرا . حمد بوعمره ، وهو يرميه بالفسق واللؤم والزندقة
والشمنيع بالابكار ، ولو كانت له أجنحة لطار اليه حتى الصحراء ليضع له
القيد في رجليه ويكبله بسلاسل الحديد ليقوده منها ويطوفه شهرا ثم
ليسجنه مدة ثلاثين عاما .

ولم يكن بوعمره يسكت عن خصومه ، وكان يرد عليهم بأنهم لا
يعرفون حقيقة ما به وأنهم لو أدركوا هذه الحقيقة لاتخذوه نبراسا يضيء
لهم الطريق وتبعوه ، وبأن سر ما يعانى كامن في رقة قلبه ؛ يقول في القسم
الثاني من قصيدة تأملية :

واسباب ليعتى وامصابى حتى اوصلت للتخساق

فلبى ارهيف يامكرانى طبعى ابلأ اشعار ارقيق

البعض راد لى تشنيقا والبعض راد لى نحراق

وبالعرض راد لى ننصلب بالسلاسل حين اعشيق

تالله لون عرفوا ما ساكن فالقليب بالتحققاق

حتى انكون لهم شمعا تضوى افضيح كل امضيح

وفي القسم الاول منها يرجو الله أن يطبعه بطابع قومه أو يطبعهم
بطابعه حتى لا يس كالعاقل بين المجانين أو كالمجنون بين العقلاء ، وحتى
بتفاهم مع مجتمعه الذي يحلل من الاشياء ، ويحرم ما يشاء :

يا خالق لخلایق خلقتنى بطبايع ذا الخلاق

ولا اخلايفك خلقتهم بخلايى اتبان الطريق

ايلا انقول لهم ياناسى هامسارب التحققاق

ابججوا اللخرايف ويقولوا هانهايت التحقيق

والعاقل لفطين ايلا كان امشى الحارت الحماق

هو ابصير لعمى والحوامق عاقلين بالتحقيق

بأنهم يبنون بيوتهم في بيوتهم.

بأنهم يبنون بيوتهم في بيوتهم.

كثير كان يرتد إليهم محتالاً في بيوتهم أخذ على حد ما يقول في القسم
السادس من الأجزاء من هذين السائلين الذين نعوهم في استعسار الكاري -
عن العيب الذي يمكن أن يكون في المعنى يستحسن المرأة ومدح الجمال ،
ويطلب من الله أن يهتدي من النجاة.

وهم يقولون مستعسار * ما في بيوتهم
أش من عيب أعلى لنشاط * هم يستحسنون لهم
واش من حشما بالحبار * في مدح العلوم النطرا
ياهي والحجاد الكار * بين امدشرا وامغرا
والستر من عند الستار * منهم يوفيني جيرا

وقيل في القسم الرابع بطمن الذين يحشون من العار الذي
في بيوتهم بأهل حبيبه عيسى أن العاشق لا يختار في أمره طالما أن
عشرة هم بازواج ، فمن كتم عنه بالصدق :

عاشق من عار * كمثل الحباب البكر
والذي عاشق ما يختار * فالصدق انهم العشر

ويقف سبعة حصوم بوعمرو عند هذا الحد ، وبما زادوا فمعوا
سائل سبع نساءه حتى ما كان هها في غير العزل ، فلم بعد تشدد في
المساجد والزواج والمجانس العامة حيث كانت العادة أن تشدد فصائد
لزوجين ، لكن الشبان استمر في اتجاهه الجديد الذي وجد قبولاً واستحساناً
في المدلس الخاصة ولا سيما عند النساء والشباب . واضطر بوعمرو إلى
أن يمتار حبيبه أهداه رأ . . . يظم له أغنيات خفيفة كهاته التي يؤكد
بعض الاشياخ أنها ما زالت تغنى حتى اليوم في الصحراء ، يقول في أولها :

اتقربو الزوج اخراص * طبار النعاس
خونر هما لونس * عابرو الفاس

وسود إلى هذه الاعياد فيما بعد كنطور للشكل عند الشاعر ،
وبقي البلا مع بوعمر في مواجبه الخصومة ، فهو لم يبع بالمصير الذي

آل اليه شعره وظل يرد على خصومه مؤكداً تمسكه باتجاهه فنظم قصيدة «عبلة» التي يقول في حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من انواجلى * ويلانا هنيئ واسعدنسى فالى
اسبابى فالفنا اغزالى عبلا
ولعله فى اختيار اسم عبلة لم يكن يقصد غير الابتعاد عن أسماء النساء المألوفة ومحاولة اقناع خصومه أنه لا يعنى بنت هذا أو زوجة ذاك أو أية امرأة بالذات .

وفى القسم الثانى يخاطب الذين شوهوا قوله ولاموه على هواه ، ويبين لهم أن الحب كمن حصل هو منه على قدر كبير ، وأن المحبة رضوان من الله يهبه للضعيف ويرفع به الوضع ويغنى به المعدم ويحول به القفار الى جنان :
ياللى شوهتو ليا افعايلى * لومونى افلهوا ونا فسجالسى
نوريكم حب ماتوصلو خلا

لمحبا رضوان الخالق العالى * للى هو اعفیف الحب احلالسى
وايامو ابلهوا العذرى تحلا

ايلا ايكون اوضيع افلعباد ياللى * ما ساق اخبار لازم اينال لمعالى
ويعود ايلو اجنان ما كان اخلا

كم عادم فغنائه اليوم بسان لى * الحب اكنوز ياللى كايفغالى
أنا بعدا ادركست منها شلا

وفى القسم الرابع والاخير يكشف لخصومه أن البون شاسع بين العشق والفسق ، وأن العاشق لا يمكن أن يكون فاسقا ، وأن العشق يبعث الرقة والنور فى قلب الجاهل البليد فيصير فاضلا ليبيبا أدبيا لا تمل مجالسته :

عاشق وفاسق ماينصاب فى اخلا * ولا فعمارت لمدون ولطلالى
بين العشق والفسق عندى شلا

من اعشق يترقق لو كان كرغلى * ويصير افضيل بين لامت لفضالى
البيب اديب عسو ماتسلا

ويرفع شكواه الى الله من أولئك الذين اغتابوه وهاجموه فاسودت

صفحه وساء حظه :

ياللى بفتبكم سعدى اسود لى * واسكبا للكريم لجليس العالى

لا فولا خافيا ولا فعلا

ولكنه لا يعقد الامل عيمن يدرك نفسه . فيقول فى آخر بيت من

قصيدته .

لازم ايجى من يدري فضلى * والفضل الخالقى فالاول والتالى

ورحمة الله اعلى ارفيق النخلا

وكذلك كان ، فقد جاء فيما بعد شعراء عرفوا قدر بوعمرو واعترفوا

بفضله ونزهوه عما ايهمه به معاصروه ، من هؤلاء الجيلالى المنير .

قال فيه :

ماوتيتى حاشا لله * غير سعفتى من تهواه

زاد لك اولاعا

الزهو فسطور انظناه * زاهوا سافى سميناه

ولسودن سماعا

ومنهم كذلك التهامى المدغرى شاعر الغزل الاول فانه قال :

لو كنت فى ازمان «العاشق» * انكون لو الخو الشقيقتى

وانحق للجحود احقايق * وانقول يالنايم فقى

والحقيقة انا حيس نصر فى قصيدة «عبلة» لبوعمرو نكاد نلتبس

العدر لثورة معاصريه الذين لم يالفوا فى الزجل غير المدائح النبوية

والتوسلات والمواعظ ، ثم فجاء يسمعون لشاعر مثل هذا القول :

انظم وابغنى سعدى اسكام لى * وانقول اتحدثى وشعرى واسجالى

فى محراب لغرام هى الفبلا

ليس من شك فى أن بوعمرو كان جريئا على مجتمعه المحافظ حين اعتبر

الحبيبة قبلته فى محراب الغرام ، بل انا لا نجد شاعرا آخر من الغزلين

الذين جاءوا بعده استطاع أن يجرؤ على مثل هذا القول باستثناء التهامى

المدغرى الذى قال فى قصيدة «غينة» :

اخلعت اعدار فى محراب لى وصليت * وامطارب لخمير تركع لصلاتى

ومن عجيب أن الموقف الذي اتخذته معاصروه منه بمنع تداول كل شعره وما نتج عنه من انتشار قصائده الغزلية في بيئات خاصة حمى هذه القصائد من التلف والضياع في حين ضاع كل ما عداها من زجله .

ثانيا : تطور الشكل :

وبنمط عند بوعمر في ابتداعه وزنا قصيرا لكل من البحرين الثنائي والثلاثي ، وفي نظام قصائد خفيفة للغناء .

1 - الوزن الاول للبحر المثنى :

ويعتبر أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وقد سبق اليه في قصيدة «زهرة» التي يقول في حريتها :

زوريني قبل الانقبار * ياهلال الدار زهرا

ويؤكد الاشياخ أن أحدا لم ينظم في هذا الوزن غير التهامي المدغرى لحي قصيدته «فروح» التي يقول في مطلعها :

مال ذاك الغنج الذباح * كاي زيد القلب المجروح

2 - الوزن الاول للبحر الثلاثي :

ويعتبر كذلك أصغر وأقصر أوزان هذا البحر ، وكان أول نظمه عليه في قصيدة «عملة» وهذه حريتها :

ايلا اتعذبت اعذابى من اناجلى * وبلا نا هنييت واسعدنى فالى

اسبابى فالهنا اغزالى عبلا

ويؤكد الاشياخ كذلك أن أحدا من الشعراء لم يوفق في استعمال هذا الوزن كما وفق الفقيه العميرى ، على حد قوله في إحدى قصائده :

بارت احيال لعقلا افجيلنا * والحق اغبر ولعلايم كبالا

وعلامات المسيح لنا وصلو

3 - قصائد خفيفة للغناء :

اضطر بوعمر الى نظمها تلجية لطلب جمهوره الجديد بعد أن أعرض الاشياخ عن شعره ومنعوا تداوله ، وهو جمهور - كما سبق أن ذكرنا - محصور في نطاق النساء والشباب . وقد وقفنا على قصيدتين من هذا النوع الغنائي الخفيف ، يقول في الاولى على لسان فتاة سافر

حبيبها الى ناس وركبها وحيدة لا تكاد تام حتى يوقظها صوت حلقات
اذانيها لتسهر طوال الليل معذبة عذبة الغيب ، وهي ترجو الناس أن
يحدثوا بها ، وأما وعمها في كولميم لينذهبوا في البحث عن حبيبها الذي
طال تيبس ، كرها مدة عام :

رجعوا الزوج الخراسي * شارب النعاس
حلوني هنا لو ناس * غابوا الفاس
انبات ساهرا فالليل * ليلى اظويل
لو اعمل كيف كان اكبيل * باقسي اهبييل
قاسيت فالعذاب اشحال * قلبى اعليل
دالشي احرام أو احلال * صدوا الخيل
جاني البارح فالمنام * ماشى اليوم
واشمنو البارح افليام * أنسيتهم
اتقول غاب هذا عام * ودى النجوم
دالشي احلال أو احرام * صدوا الخيل
لاغيوا لى ابا وامى * لا غيهم
لاغيوا لى اعلى عمى * مسن كولميم
ايفتشوا على نجمى * بين النجوم
دالشي احلال أو احرام * صدوا الخيل

وبقول فى الثانية مستعرضا مجموعة من الفائنات المزدغيات فى
سن المراهقة يتحدثن باللهجة الشلحية والعربية ، وقد لمع جبينهن كالبدن
وانطلق شعرهن الفاحم على صدور ، وما كاد يراهن حتى أحس بدوار ،
وسهل معهن فى حوار حيث سألته عن مكان قدومه فرد بأنه من منطقة ورغة
جاء لى امزدغا لينظر الى طغيان الجمال فى خدهن وليعاني من جفائهن
رابعى حبين :

روح الشوف الزين باللى ما شاف الحسن فامزدغنا
طغلات افجهد لبلوغ
صاكا صاكا دابزين اعلى ورغا رافديسن صيغا
ينغوا بشدحا ولسوغ

اجبين كالبدن والفروغين اعلى لخدود فرغا

واين السى راهو ايروغ

مهما ريت ابهام دوخوا دماغى ياصاغى ولا وجدت وين انروغ

قالوا لى امنين اتكون قلت لهم أنيا من احواز ورغا جابتنى رجل انزيغ

انشوف الزين افخدكم طاغى * وانتما حبكم باغى

جفالات كلکم غواغا * مزبنکم بملاغا

والجدير بالملاحظة أن مثل هذه الاغنيات خرجت فيما بعد من نطاق

مجالس النساء والشباب ودخلت مجال الانشاد حيث اتخذها المنشدون

لخفتها مقدمات للقصائد الكبيرة يضبطون بها ايقاع النغم واللحن ، وقد

نطورت هذه المقدمات الى ما عرف فيما بعد بالسرايات كما سنرى فى

الفصل الثالث من هذا الباب .

وقد ظل بوعمر وطوال حياته ينظم فى الغزل لم يتراجع عنه الى أن

وافته المنية ، فرثاه أحد رفاقه فى التلمذة على عبد الله بن احساين هو

الحاج عمارة الفاسى بقصيدة منها هذه الايات :

مال دمعى عن خدى واد * مال ذاتى فيها رعدا

مال قلبى خافق فدفاد * جرحنو ألف غدا

مال عقلى ياويحى باد * مال شعرى مايتسدا

آح اعليا يالعباد * من احراق احبيب الكباد

النبيل الفد النشاد * سيد من غنى أو اشدا

بوعمر لمنير الوقاد * لحييب الا ليه افدا

الحاج اعمارة

من شعراء فاس كما يصرح فى آخر قصيدته «الحجة» اذ يقول :

والذى سالك عن اسمى ابلجهار * الحاج اعمارا مادح درت النوارى

من امدينة مولاى ادريس صيل لطهار * امدينة العلم وأرض النور افلقطارى

وهو من تلاميذ عبد الله بن احساين ، وقد ذكر لنا بعض أشياخ فاس

أنه نشأ فى طريانة بالطالعة الصغرى ، وأنه عمر طويلا حتى قارب المائة

عام ، وأنه دفن بمقبرة باب الفتوح فى نفس المدينة . وعلى الرغم من أننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته فإنه من المؤكد أنها بعد وفاة بوعمرى لأنه رساه .

وقد وقفنا من زجله على أبيات فى رثاء ابن احساين وبوعمرى سبق أن أشرنا إليها ، وعلى قصيدتين : احداهما «فاطمة» والثانية «الحجة» . وعلى الرغم من أنه نظم فى الغزل قصيدته الاولى فإن أحدا لم يثر عليه ولم يخاصمه ، ولعل مرد ذلك لمرن :

أولهما : أن ثورة الاشياخ ضد الغزل كانت قد هدأت لا شك ، ولعلمهم بدأوا يألّفونه ويعجبون به ، علما بأن قصيدة «فاطمة» مؤرخة خمس سنوات بعد قصيدة «عبلة» لبوعمرى الذى ربما كان توفى حين نظم الحاج اعمارة قصيدته ؛ ويتضح تاريخ نظمها من قوله :

رمز الحلا ياللى اصغى «غالى» ذاك اقوام * مهديا لام التيوت مولاتى فاطما
ذات الزين الفايز الدكى سلسالت لكرام

فقد رمز ب : غ - ل أما الغين فبتسعمائة وأمام اللام فبثلاثين أى أن القصيدة نظمت سنة ثلاثين وتسعمائة .

الامر الثانى : ان الاشياخ بدأوا يلتمسون التبريرات للحاج اعمارة ويحاولون تأويل قصيدته زاعمين أنه لا يقصد غير فاطمة الزهراء (I) .

وبامعان النظر فى نصيدين الشاعر يتبين لنا جانبان من جوانب التطور يبدو أن الحاج اعمارة سبق اليهما ، أما الاول فوزن جديد للبحر المثنى يعرف ب «مياصر لمشركى» ويظهر فى قصيدته «الحجة» وأما الثانى فمقدمات الاقسام المعروفة ب «النواع» وذلك فى قصيدته «فاطمة» .

أولا : قياس المشركى :

وهو وزن من البحر الثنائى سبق أن رأينا (2) أنه أسهل أوزان هذا

(I) فى حين أن الواقع غير ذلك كما بينا فى الملاحظة الثانية بآخر فصل «المرأة» من باب (الموضوعات) .

(2) أنظر الجزء الاول من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

البحر ، وكان أول ما نظم فيه قصيدة «الحجة» التي يقول في حربتها :
يا لحضرا قولوا بالسر ولجهار * الصلا والسلام اعلى النبي المختار
وهي قصيدة تحدث فيها عن أدائه لفريضة الحج ، ويبدو أنه نظمها
من لبناع المقدسة ، زمن هنا جاءت تسمية وزنها ب «المشركي» منسوباً الى
المشرق ، بل انه نراه يؤكد ذلك حين يقول في البيت الرابع من القسم الاول
انه أتى به من مكة :

واش كنزوا من لاكنزوا قياص لشعار * يوم جبتو من مكا تربت الطهارى
وبقول كذلك في أول بيت من القسم الخامس والاخير :

هاك ياراوى درا من ادرار الشعار * في اقياص امشركي من بلدة السراوى
والملاحظ ان هذه القصيدة هي من القسم الخامس والاخير .

أحسن من التهامي المدعري في قصيدته «فروح» التي يقول في حربتها :

ما نروح اللفراح ولا نروح بالراح * دهن راحة روح النوامج افروح
ثانيا : مقدمات الاقسام (النواع)

لعلها ظهرت لأول مرة في قصيدته «فاطمة» التي يقول في حربتها :
دا فطمتني اعل اهوان أباشت لربام * وانت مقطوما اعلى اعذابى يافاطما
وسمى نواعنا ائمتنا ما طالمت ليام

فقد قدم لكل قسم بداية «النية» بدءاً من القسم الثانى دون الاول
الذى كان يمهده له «التمهيد» على سبيل الحاج العمارة ، ثم يصح بعده له فيه
بمد بالسراية .

وكسأل على ذلك ورد «وتر» القسم الثالث من القصيدة ، وفيها
بمعول .

كم اسنين وكم من اشهور * وانهال من ايلي كنزوا ونهايسر
ونيا منسى مهجـور * طعمى امحائنى واشرايى لراير
بعاء الصبر اكتبت مسطور * مرسل سار به وعانيت ابشايير
وبها يتناول القسم حيث يقول :

طمت له جا كرابى قابح بنسام * فطما اجواب جانسى لا تسليمنسا
اطردتى مرسل عاشفت وانسييت ليام

لما كان في بيت بطوف ابلرسام في افاطما نزلت طاف بالكعبا القويم
فيس وكيف ارجا ارجيت لايعفو من لغرام
افاطما صاحت امطار بلت لي لغرام * افاطما والقيم زابدي بغيرم
لاوجيت لايسر هانسما لانجما هلسم

ويعني في قوله لقيت في ههنا

في بيت الله بن حسبان السائل الشكر وعبدته انرجس بعده . واذا
كان في بيت بن محمد تاريخ ولادة ذات تستطيع جعلها بالتفريب في
لستوات الاول بعد الحائة التاسعة وقبل وفاة والده بستوات قليلة ، لانه
صرح في نصيبته في التضمين ان لم يمنع نظره في والده كناية عن
كونه مات وبركة صغيرا : فهو يقول في القسم السادس والاخير منها داعيا
لوالديه بالجنة :

واللي سالك عن اسمي افشعري محمد * مامتعت افوالدي ابصر
عبد الله بن احساين بجعل ثالثا لخد اعرارو

وامعاه الحرا البارا

ثم ان هذه القصيدة مؤرخة في السنة السابعة والثلاثين بعد التسعمائة ،
يقول في القسم الاخير منها :

تاريخ الحلا افرمز «غزلي» قولوا للداري * فابجد ما قل ماكثر
والكسدا فاضرا وروحها سدارت في زوارو * من تركو لعيون هامرا

فقد رعن با «تم» سار من افسر في راي بسبعه . رزم :
ومجموعها مائة وثلاثين وتسعمائة .

فليس بعيدا ان يكون بعدها وهو بين العشرين والثلاثين من عمره .
رئيس بعيدا كذلك ان يكون من ثل ما نظم .

رند وقتنا من قصائده على اثنتين : احدهما في «التصليية» ويذهب
كسار لشمس الى انه سبق فيها للبحر الرباعي ؛ والاخرى في التغزل في
«ظامو» ويذهبون الى انه سبق فيها للبحر الخماسي والى التجنيس والتصريف
ولتضمين والى الشعر القصصي كذلك .

أولاً : البحر الرباعى :

فقد جعل البيت مكوناً من أربعة أشطار على حرف واحد فى القافية وبحركات مختلفة ، والتزم نفس الحرف والحركات فى كل القصيدة ، ويتضح ذلك من حربتها التى يقول فيها :

صلى الله امع املايكو عل لحبيب السارى * وامر هل ليمان افلبشر
بصلاة الهادى امع اسلامو بايات اسوارو * صلى الله اعليه وافرا

فانه التزم قافية الراء فى كل أبيات القصيدة وجعلها فى الاشطار الاولى على الكسر وفى الثانية على السكون وفى الثالثة على الرفع وفى الرابعة على الفتح .

ومنى الزجالين الذين نظموا على هذا البحر بنفس الوزن محمد بن على ولد اوزين فى قصيدته «الوصية» وان لم يلتزم بنفس الحرف والحركات المختلفة ، وفى لازمتها يقول :

بعض الناس احباب درتهم نوجدهم اعدايا * من عدالى كرهنا احصل
واعيت انهادى افحيهم ماداروا بهدايا * كل مادارو لنا اوصل

ثانياً : البحر الخماسى

نظم عليه قصيدته «طامو» التى يقول فى حربتها :

قالت يما اتقول طامو * قلت او أبيك يالطام
يا قد اعلام فاللطام * قالت ترا يقول طامما
ترات ايقول فاطما

ويذكر الاشياخ أن أحدا لم يستعمل هذا البحر فى نفس الوزن الذى وضعه له ابن احساين كما استعمله التهامى المدغرى ، ومن الامثلة على ذلك قصيدته «فارحا» التى يقول فى حربتها

سلتك ببهاك يالرايح * مالك سكران دون راح
ونا عقلى امعاك راح * بايت من ليعت لجرايح
ساهر والناس رايجا

ثالثا : التجنيس (1) أو الجناس

ويتضح سبق محمد بن حسانين الى استعماله فى هذا البيت من قصيدة «طامو» حيث يقول :

كيفى بنا انهار ناموا * عينى فعيون موحرام
واعقيل من الهام هام * بالحال الى افقلب شاما
فوق الورد والناسما

فالهام الاولى بمعنى الراس والثانية فعل الهيام .

رابعا : التصريف (2) :

وهو أن يتصرف الشاعر فى كلمة باستعراض عدد من اشفاقاتها ، وكأنه نوع من الجناس ، ويتضح ذلك فى حربة قصيدة «طامو» .

خامسا : التضمين (3) أو التلزم :

وهو أن يجعل الشاعر قافيته على أكثر من حرف شبيها بلزوم ما لا يلزم فى الادب المعرب ؛ ويتضح سبق ابن حسانين اليه فى حربة طامو السالفة الذكر حيث جعل القافية على حرفى الطاء والميم .

سادسا : الشعر القصصى :

فقد حكى فى قصيدته «طامو» قصة حبه لها بدأها بأول لقائهما واعجابه بجمالها الذى وصفه فى القسم الاول حيث تشجع على أن يسلم عليها ويسألها نى نهايته عن اسمها ، فقال :

قلبي فيها القى اغرامو * زعم نطقى اعلى السلام
ماردت بالحيا اسلام * جرت قبطنها ازعاما
قلت اسمك بالناسم

I،2،3) أنظر الجزء الثانى من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

فأجابته بأن أمها تسميها «طامو» ، وحين سألها بم يسميها أبوها ردت
بأنه تارة يناديه بعامّة وتارة بفاطمة ، وقد ضمن هذا الاستجواب في حربة
القصيدة .

فزاد جوابها لوعته وسري في حسده كأنه خمر وأسكره وأفقدته وعيه
وعقله ، وتكنى لم تذب أن لاد ، بالمر . كأنها العزال حين يحس بخطر
لصياد يحوم حولها ، ولم يفعل كاسعة ، توهم نفسها أنها بعدت عن الخطر
بدفن رأسها في الرمال ؛ وساعدتها على الفرار أقدام شابة قوية لم يقدر على
متابعها لو هن عظمه ، فاختلفت عن نظره طائرة كحمامة وتركته كالقمرى
الظامى ؛ رث ما يحكيه في القسم الثانى اذ يقول :

صوت العذرا مع انغامو * اسرا فمفاصل لجسام
خمر ذاتى ابلا امسدام * وافقدت العقل والفهاما
صدفت هى الفاسما

دارت مادار فى اوهامو * لغزال الراتع لوهام
حس بالصياد به حام * ما درق راس كالنعاما
وينسى طار فالسمما

الباهى عانتو اقدامو * ونا لموهن لعظام
ماطقت لجرى ابلقدام * ولجود كنها الهاما
فتلول الرمل هايمما

حتى ختفت يا عدامو * قلبى من ليعت لغرام
من بعد اسلام وكلام * طارت كطيرت لحماما
فرت كمرى لها اظما

وطل في القسمين الثالث والرابع بحكى أثر حبها عليه معذبا مسهدا
طوال شهر الى أن كان يوم خرج القوم للصيد وخرج معهم على حد ما يقول
في آخر بيت من القسم الرابع :

حتى لليوم فاش قاموا * المصيد اسياتل لخيام

ونا مالدي امكام * واخرجت امع اهل الزعاما

اليوت اضراغهم لحمما

ويحكى لى أول القسم الخامس أن الناس تشتتوا فى البطاح والآكام

بحثا عن الصيد حتى كان آخر النهار وعاد الجميع ، وقد اصطاد بعضهم

النعام والغزال آخرون ، أما هو فعاد ومعه فاطمة :

كلا ننساق فى اقوامو * ما بين ابطايح لوهام

وتشتتنا على لاکام * ضلينا كافا اهياما

من مور او حوش هايما

حتى عكب الضيا اظلامو * عدا بجميع فى اسلام

شى منا قانص النعاما * شى جاب من لغزال لاما

ونيا جيت فاطما

ادريس المرينى

الثورة على قيود الوزن والقافية

من شعراء مراكش ومن معاصري محمد بن عبد الله بن الحسنين كما

سنرى من مساندته له فى دعوته التجديدية ، ذلك أن المرينى ضاق بقيود

الزجل المتمثلة فى الوزن والقافية ، ودعا الى التحرر منها فى ثورة عليها

تكتشف عنها هذه الايباب .

أنا ابغيت ننظم والحرف ابدا ايغور

اعلاه ما يكون الشعر ابلا حرف

غير حس او قول الكلمات

ولودن تسمع ماقلتى

ولقلوب اتغنى بغناك

تابعا تلديد المعنى

ولا اعنات ابشى قافيات

.....

لاش نحبس فكري فالحرف

ونحبس عقلي فالتبسيط

ولفكار اتمائل لطبور

مارضات اقفز من لبيات

جايب اسلوكو من لحروف

والركايز من لقياسات

فهو فى هذه المقطوعة يوضح فكرته ويدافع عنها بروعة ، انه يريد
أن ينظم ولكن القافية تخونه ، ولم لا يكون الشعر بلا تقفية ؟ لم لا يكون
بمجرد كلمات تعبر عما يحسه الشاعر ، تسمعها الاذن ويتغنى بها القلب
متجاوبا مع ما فيها من معنى رائق لذيد دون اعتماد على القافية ؟

ويتساءل فى الجزء الثانى منكرا تقييد الفكر فى القافية والعقل فى
الوزن ، فى حين أن الافكار كالطيور لا ترضى أن تحبس فى قفص الابیات
المشبهة أسلاكه بالقوافى وركائزه ب «القياسات» .

والعجب أن المرىنى لم يتعرض لنقد معاصريه الذين لا شك فوجئوا
بهذه الدعوة التحريرية ، وربما كان السبب فى سكوتهم أن عميد الزجل
فى وقته وهو محمد بن عبد الله بن احساين لم يتخذ من دعوة شاعر مراكش
موقفا معاديا ولا حتى سلبيا ، بل على العكس من ذلك وقف منها موقفا ايجابيا
كأحسن ما يكون الايجاب وأقواه ، فنظم قصيدة على نسق مقطوعة المرىنى
دليلا على تجاوبه معه ومساندته اياه ؛ والاسف أنا لم نقف من هذه القصيدة
إلا على هذه الابیات القليلة التى يقول فيها :

وصف لهوا وعدو خبرو به لكتوب

اصغ انصف احساب اعدادو

للذى سول بجهادو

وجاه محال افترشادو

ونكاد نجزم بأن هذا التجديد فى نظام الوزن والابیات والقافية هو

الاساس الذى انطلق منه مكسور الجناح والمشتب والسوسى .

عبد العزيز المغراوى (1)

عميد زجالى عصره كما يكشف وصف الاشياخ له بأنه «شجرة الكلام» عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر وأول الحادى عشر ، وكان معاصرا للمنصور (2) السعدى ، حيث نجده يرثيه بقصيدته التى تسمى «لعزو» والتى يقول فى حربتها :

عام شايب مات الذهبى احيار لتراب : مابقى للسعدى باش ايرجحو
وهو من أمغرا فى صحراء تافيلالت . وقد ذكر لنا الشيخ بنعيسى الدراز
أن أحد شعراء فاس - واسمه باحدو - كان يتهاجى مع المغراوى فيعيبره
بصحراويته ، فكان المغراوى يرد عليه بمثل هذا القول معتزا بأصله
وشرف نسبه :

فيلالى ياحزين مانكر حسبى من جد الجد

من اقريش الى عثمان

(1) وجدنا فى بعض مصادر التراجم المغربية ذكرا لعالم يدعى عبد العزيز المغراوى من تافيلالت كان قاضى الجماعة بفاس وكان يعيش فى نفس الفترة التى عاش فيها شاعرنا الزجال ، ولكننا لا ندرى ان كان هو أم غيره ، وقد سألنا عن ذلك من عنوا بالتأريخ لعلماء فاس فلم نظفر بجواب . ومهما يكن فانا نورد ما وقفنا عليه فى تلك المصادر . يقول محمد الصغير الافرانى المراكشى فى «كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر» : «ومنهم الفقيه القاضى أبو محمد عبد العزيز بن على الفيلالى المراكنى المغراوى قاضى الجماعة بفاس ، كان فقيها مدرسا أخذ عن ابن مجير والمنجور والحميدى والسراج ، ذكره سيدى العربى الفاسى فى تأليفه المعمول فى شهادة اللفيف حسبما ذكره الشيخ ميارة فى شرح الزقاقية ، توفى رحمه الله عام أربعة عشر وألف» . (ص 102 ط فاسية) .

ويقول أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى «نشر المثنى» : «ومنهم الفقيه العالم القاضى عبد العزيز المراكنى المغراوى الفيلالى ولى قضاء فاس بعد أبى مالك عبد الواحد الحميدى ، وفى وفاته قال المكلاى :
فواها لاحكام توارى شهابها * بعبد العزيز المراكنى المعزل»
(ج I ص 98 - 99) .

(2) هو أحمد المنصور الملقب بالذهبى ، تولى على اثر وقعة وادى المخازن سنة 986هـ وتوفى سنة 1012هـ .

ولعله كان من العلماء على حد ما يقول عنه الادريسي في «كشف الغطا»: «وكان من أهل العلم وذوى المنطق والبرهان» . وفي حقه ابن خلدون : «كان من الاشياخ من أنه كان يدرس بفتح الشرح» . يروي عنه ابن خلدون : «كان يدرس وأقام بها مدة طويلة ، وأنه خرج الى رحلة استطردعة في بلاد الشمال الاقربى دامت بضعة شهور» . عاد بعسما الى أمفرا ، ويقولون انه خرج بعد ذلك بمناصرتين جديدتين من عالم الزجل هما : «الصروف» و «العروبيات» .

في : الصروف :

أحس المغراوي أن الشاعر اذا أراد أن ينظم قاس على قصيدة غيره ، ليست له فواعد أو ركائز أو ما يسمى في العروض العربي بالتفعيلات ، فدعا الى اتخاذ «الدندنة» مقياسا و «صروفا» لوزن الابيات . وقد سبق أن رأينا (2) أن هذه الدندنة تقوم على «دان داني» وانها مقياس موسيقى صرف ، أساسه النظم والايقاع ، كما سبق أن مثلنا لتطبيقاتها بمثل قولهم بالنسبة لهذا البيت من شمعة ابن علي :

ايلا باكيا بسقامك شوقي اسقام حالي *

من قيس وارثو بعد افناه اغرام حسب ليلى

أدان دان داني داني يادان دان داني *

أدان دان دانسي داني يادان دان دانسي

ثانيا : العروبيات (3) :

وهي الابيات التي يقدم بها للاقسام ، ويذكرون للمغراوي من قصائده

(1) كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء . ص : II2 .

(2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول . والجدير بالملاحظة أنه يوجد في الزجل التونسي وزن معروف يطلقون عليه «المغراوي» يدرجونه تحت نوع يسمونه «القسيم» يسير على الشكل الآتي :
لسم المعبود في البقا واحد احسد * لا دونو دون ابتسخيرو جرت الاقدار
(أنظر مقالا لمحمد المرزوقي بعنوان «الشعر الشعبي في تونس» نشر في مجلة الفنون الشعبية بالقاهرة - العدد الاول - السنة الاولى 1965) .
فلعله منسوب للزجال المغربي عبد العزيز المغراوي ، خاصة وقد عرف عنه أنه قام برحلة طويلة للشمال الاقربى زار خلالها تونس والجزائر .

(3) أنظر الجزء الثاني من فصل «العروض» بالباب الاول .

الذين لم ياتوا بها نعوذ بك يا ذا الجلال والإكرام :
رد ذلك القبلا زلزال ضلوا به يقول من الله امضرب لخصاوى
كذلك اسم لاسد أصماعتا بذا الربوبى .

يا راسى رب سمع لىمآتم يفواوا * رب المولاك رب يا هذا المغوى
واتم من حسنات من لصحوف يظواوا . انعام ما رغبت و بولى مكوى
بهدس مع لنفس على الخى اتواوا . رست ما زال غابط وزابد تهوى
راسى لله لين غادى يامغوى

أما القسم فهو :

يا لى كايستها سهوا امور سهوا * فارق اسهوك استيقظ لاش ذا السهاوى
ما حصا زرع الى ما حارثو افربوا * ولا حارب من يرجا لسوابع لفجاوى
لا اتناف امن الذنب اىلا اتقل واقوا * تب لله اوقم الليل ذا اتساوى
قم واستغفر للمولى افكسل نجوا * اولى على نفسك تهوا مع السهاوى
اترك رضا النفس وبيليس لا نكوا * ربحى فعلو الروح العالى السطاوى
بأشماكى من ذا فالدين جالك ادوا * انفسلو تضحى من كن ذا امدواوى
وحذر المغراوى من كبار المشوراء * لسن برزوا فى الموضوعات الدينية،
ومن أهم قصائده نسا المصراة التى يقول فى أولها :

نسم لله تعظيم ذ العرش الديان * ربيع غلات انمها دون اعمساد
من حص المرسلين ابآية البرهان * رسيهم ابدىها ودين الارساد
نسم لله ابدىت نظم نسمد به * رهمم ابعكمتو ما لم نعلم
اجاء على افدرت ورجايا فبه * بيدنى للصواب قصوى نفسى
خالص مدح الرسول صلى الله عليه * رى مع اصحابه عدا راج اليم
ومها كذلك نوى اليامة التى يقول فى أول أسماها .

نعم القيوم خالق اكوان الكونين * وسير امسيرها على وفق امرادو
لكون اللولى انشاء على وصفين * العلوى والحضيض ملك وابلاود
والموسى لملايك جمع الثقليين * والسفلى كون الجمهور اعبادو
والفلك الدائم لمغيب * فاسيار اسيار لودود
والنار لكافرين تلهب * بلخاها دأها احمود

وانعيم السرمد لموهب * لاهل الاسلام افلخلود

من أمن بالله والرسول لخيار * سعدو الرحمان واستقام
واكمل اسعادت الهادي نعم المختار * الماحي صاحب لحسام
وعلى الرغم مما يقال من أنه لم ينظم فى الغزل فقد وقفنا منه على
عروبيين مرتبطين بحادث وقع له يستنتج منه الاشياخ صلاح الرجل وسمو
نفسه وتقواه . يحكى فى هذا الحادث أن المغراوى كان خارجا من جامع
القرويين فلقى فتاتين تتوادعان فقال لهما معلقا : «وأنا أين أذهب ؟» فردت
عليه احدى الفتاتين : «اذهب الى الحبس» فما كان منه الا أن ذهب فعلا
الى السجن وأقسم ألا يخرج منه الا اذا حضر الشخص الذى أمره بدخوله ،
وكانت للمغراوى مكانة وسمعة فى فاس فاضطر باشا المدينة الى أن يطلق
البراح» أى المنادى يجول فى الاحياء يطلب حضور الشخص الذى دعا على
المغراوى ، وكان خارجا من القرويين ، أن يدخل السجن . وسمع أبو
الفتاة النداء وأخبر به أهله فعلم أن ابنته هى المعنية بالامر فذهب بها فأطلقت
سراحه . ويقال انه بعد أن حضرت الفتاة لتسريحه أنشأ هذا العروبي
— ويبدو أنه كان مولعا بنظم العروبيات حتى فى غير القصائد — :

ركبت اعليا عنسى من طاق الطاق

وكل طاق ابطواقو

عينى رات شى ازواق داروه الحداق

مر مر العاشقين منو يحماقو

هذا حال لغرام يا من لاذاقو

وتذهب الحكاية الى أن الاب قدم ابنته للمغراوى زوجها له ، وفى ليلة
الزفاف دخل المغراوى غرفة زوجه ، ولكنه لم يلبث أن خرج منها دون أن
يشعر به أهل الدار ولا أن يعرفوا من أين ولا كيف فعل ، ووجدوا مكتوبا
على ورقة — تركها لهم — هذا العروبي :

أنا عاشق مانا فاسق

نعرف ربى احقيق

مرجان واعقيق فيدى متلاقى

الدنيا ماتدوم سبحانه الحي الباقي

أما بعد هذا فبينما كان الناس في كراغة المغراوي أنه حين جاء من الصحراء الى فاس كان يلبس العمامة والغبيص الصوفيين ، فضحك منه أهل فاس ، ولكنه حين جلس للدرس بهرهم . وذات يوم حاول بعض رواد درسه أن يهزأ به وسط المجلس لما في مع خادمة له أن تأتيه أثناء الدرس وتزعم بأن البغل مات ويحتاج إلى مغراوي ليقيده ويدعسه ، وآتت العادة ألا يقوم بذلك أهل فاس . فبينما كان يعمل راخبره ، فقام إلى المغراوي — وهو ينقى درسه — وطلب منه أن يقوم لدفع البغل فلمس الغلب وخرج عن الجامع وذهب مع الشخص إلى المكان (I) المعين فوجد البغل قد مات بالفعل ، فأخذ المغراوي يجره من كراعته مارا به من حي إلى آخر ، وكلما مر بحي انهدمت بيوته ودكاكينه فأدرك الرتل والناس صلاح المغراوي فأخذوا يرجونه أن يتوقف عن السير .

ويحكي عن صلاحه بعد هذا أن «بلغته» ظلت جديدة طوال سبعة عشر عاما لم يلحقها التلف والبلى لأنه كان يسكن المدرسة المصباحية ولا يخرج منها الا للدخول إلى جامع القرويين لأداء الصلاة .

هذا وقد وجدنا في أول ورقة من كتاب (I) يضم قصائد للمغراوي فائدة بقلم كاتبها أحمد الهاللي يقول فيها : «يوجد ضريح صاحب هذا الكتاب بمقبرة تسمى باسمه بين عبد القادر الهاللي جنوبا وامبارك بن عزى شمالا ولا زالت أحد الساعة . له دالة كبيرة بعضها من انحاء المغرب وبعضها جالس بقصر امسيفى فرفة الغرفة ، وهم دار علم وكرم وشبهه وتقوى وصلاح ، وقبره فيه ثلاثة أعمار تقريبا وليس له غيبة حيث يمكن أنه كلما بنوها عليه تهدمت . وتقصده الناس من كل حدب وصوب للبركة . ويقال : كل طويل خاوى سوى النخلة والمغراوي ، كما يزعمون أن الشقي — وقانا الله — هو الذي لا يزور قبره» .

I يقال انه هو المعروف الآن ب «زقاق البغل» وان سبب التسمية هذا الحداث .

(I) مخطوط الخزنة الملكية رقم 860 .

من كبار أשיاخ القرن الحادى عشر ، وهو امتداد للمغراوى وعميد الزجل بعده كما تكشف القولة السائرة «المغراوى شجرة الكلام والمصمودى فرع من فروعها» . ويراه أשיاخ الزجل النقاد مقعد الفن وحلقة وصل بين مرحلة سابقة لا يعرفون عنها الا القليل ومرحلة لاحقة كاد الركود يأتى عليها فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن شهدت ازدهارا كبيرا سنتحدث عنه فى الفصل الثالث من هذا الباب .

والواقع أن المصمودى يعتبر آخر شعراء مرحلة التثور الذين وصلتنا أخبارهم ، فقد انتهى بنا البحث الى أنه شارك فى تطوير القصيدة بشيئين : أحدهما شكلي يتمثل فى محاولة وضع تفعيلات جديدة لعروضه ، والثانى يتصل بالمضمون وهو السبق الى أسلوب المراسلة فى الغزل .

أولا : مالى مالى :

اشتهر المصمودى بثورته على «دندنة» المغراوى وتبديلها ب «مالى مالى» حيث يروى عنه أنه قال «زولوا علينا داني داني فات وقتها واعملوا لنا مالى مالى» . وقد سبق أن رأينا (2) أن «مالى مالى» لا تكفى وحدها لضبط الإيقاع ويضطر الوازن بها الى أن يضيف إليها بعض الكلمات التى يشد بها الميزان مثل «الرادا - سيدنا - لاملولاتي للا...» وذكرنا من الأمثلة على تطبيقها قولهم فى هذا البيت من «وردة» ابن سليمان :

لا تلوموني فى ذا الحال جيت نشهد وانودى *

يا عدولى فالملوت اسبابى خد الورد

لا ياملولاتي للا ويا مالى مالى *

لا ياملولاتي للا ويا مالى مالى

ثانيا : المراسلة :

- (1) من لطيف الاتفاق أن يطلق «المصمودى» على بعض الإيقاعات الموسيقية حيث يفرق فيها بين المصمودى الكبير والمصمودى الصغير .
- (2) أنظر الجزء الاول من فصل «العروض» بالباب الاول .

وقد ظهرت لأول مرة في قصيدته «بأمنة» التي يقول في حريتها :

قولوا ليأمننا تهليل العثمانيين * مينا يأميننا امعاك شرع الله

فبعد أن طالت غيبتها واشتدت لوعته بعث لها خطابا مع رسول ، ولكنها طوت الخطاب وطردت الرسول وهددته أن عاد إلى مكانها وطلبت منه أن يرجع إلى صاحبه ليبيكي وياه ، وأقسمت بصوم عامها ألا يظفر مرسله بها أبدا ، فقد ساءت بعد الوصل أن تهجره ، وهذا حال الجمال ولا بد نلعاشق أن يرصاه . ذلك ما ضمنه القسم الثالث من القصيدة حيث يقول :

صفطت اللغزال ابرأتى * مرسولى امشى طرداتو

اقرالها احروف ابياتى * قببطات مصولا عن مخطوطه

قالت لو : «بصوم اسناتى * بيا لا اظفر فحياتو

من ذا النهار ماتتصورفمكاني * ولي العندو ابكى انت وياه

بعد لوصال ردت انهجرو بلعاني * هذا حال الزين عاشقو يرضاه

وارجعت اللبكا بالدمع الطوفانى * اكتبابى نطوا ودرت له اعزاه

ولكنه لم ييأس وأرسل مبعوثه مرة ثانية بعد أن حثه على عدم الملل وأغراه بالمقابل أن فضى حاجته . وما كاد يصل إلى دارها وينقر الباب حتى وجدها في الانتظار وقد انصرفت دموع عينها ، والكتاب بين يديها مفتوح تقرأه ، فرحبت بسلامه واعترفت بخطأها معلنة توبتها إلى الله ، وطلبت منه أن يبلغ حبيبها أنها ستلحق به يوم الاثنين ويتم لوصال . وكذلك كان حيث أوفت بوعدها فسعد قلبه وطابت له الحياة .

هذا ما يحكيه في القسمين الرابع والخامس - وهو الأخير - اذ يقول:

شاود قنت : «يا مرسولى * ترك النواح وارجع لها

بادر لا تكون املولى * لا بد حاجتى تقضيها

احكى لها وكسن افضولى * ونا بشارتك نعطيها»

ولي لعند ولفى بكتابى ثانى * نقر باب الدار صابها ترجاه

وادموع عينها فاقت دمع اعيانى * واكتابى محلول فيدها تقراه

«مرسول عامنى عو هذا جانى * اهلا بسلامو تايبا لله

لله يا رسول احبيبي * ولي لو وفرج نكدر
ولي وكر لو بذنوبي * واعطيه الدلال يسعدو
ويلا وتيت يستر عيبي * حاشا ما نخالف عهدو
يوم لثنين هو العاهد برجاني * وانقمو فرجا اعلى احسان ارضاه
وافات يامننا فى عساهدها ثانى * قلبى من بعد الصدود طاب امناء
اما بعد المصمودى فقد تشعب شعر المراسلة وتعدى نطاق المحبوبة
الى عاق البقاع المقدسة ومقام الرسول عليه السلام ، وغدت قصائده تحمل
أسماء مثل « المرسول » و « الحمام » و « الورشان » اى الطائر ، بل
تطور عند بعض الشعراء الى الحديث عن الرحلة والتجوال على حد ما نجد
عند الكندوز فى « الرحلة » وابن على فى « الطوموبيل » ، وهى قصيدة
مشهورة جال فيها بسيارته كل بقاع الارض ، وفى حربتها يقول :

سعدى زارتنى اخيلتى لغزال ام ادلال
وازهينا بعد لوصول واركبنا طوموبيل
واتسارينا بالجميع فالدنيا عرض وطول



بالشيخ المصمودى تنتهى هذه المرحلة فى أوائل القرن الحادى عشر
بعد ان بدأت بعبد الله بن احساين فى أوائل القرن التاسع ممتدة عيسر
ثلاث مئات من السنين شهدت القصيدة خلالها تطورا لم نستطع لضعف مادة
التاريخ والنصوص ان نقف عند غير بعض اعلامه ومعانمه . وكان منتظرا ان
تستمر هذه المرحلة ويظهر اشياخ كثيرون ، ويبدو انها استمرت بالفعل وان
الركود اصاب الرواية ولم يصب النظم لانه سيتبين لنا لدى الحديث عن
سعيد التلمسانى أنه حين قدم الى المغرب فخر عليه الزجالون المغاربة
وعابوا عليه الموازين الجزائرية البسيطة ، وسيتبين لنا كذلك فى الفصل
القادم انه ما كادت تمر هذه الفترة حتى انطلق الزجل ناهضا مزدهرا ،
وما كان له أن ينطلق لو لم يستمر سيره دون توقف .

واذا كنا نرى ذلك فاننا لا ندري الاسباب التي جعلت الرواة يركدون ، ولعلهم لم يركدوا وانما اهملوا قصائد الزجاليين المغاربة فلم يتداولوها وتداولوا بدلها قصائد الزجاليين الوافدين من الجزائر ، والدليل على ذلك أن المنشدين المغاربة يحفظون حتى الآن كثيرا من هذه القصائد وان بعض انتكائيش التي عنيت بتدوين الزجل تضم منها غير قليل . وربما كان المعامل في هذا التحول اعجاب الرواة بانتاج الشعراء الوافدين وما كان لهم من مكانة عند السلاطين جعلتهم يبسطون نفوذهم على الحفاظ ويعزلونهم برواية قصائدهم . وتلك عادة جبل المغاربة عليها ، يؤخذون بما ياتي به الغريب ويبهرون به حتى ولو كان تافها غير ذي قيمة ، ينطبق عليهم ما يقال في المثل من ان «مغنيه الحى لا تطرب» .

والاسف انه حتى بالنسبة للزجاليين الوافدين ظلت الرواية محصورة فى شعر واحد او اثنين ، ولا سيما فى قصائد سعيد التلمساني ، ولعل السبب فى ذلك انه كان متصلا بملوك الدولة .

وكم كان يكون مفيدا لو ان الحفاظ قدموا لنا اسماء اغلب الوافدين وكثيرا من قصائدهم ، ولو انهم رويوا كذلك الى جانبها اسماء المغاربة وقصائدهم ، ولو انهم فعلوا لكان فى امكاننا ان ننظر فى انتاج هؤلاء وأولئك ومدى التأثير المتبادل بينهما والمنافسة كذلك . حقا لقد وصلتنا بعض أزجال الصوفية فى هذه الفترة . ولكنها محصورة فى نطاق ضيق يجعلها بعيدة عن أن تكون موضوعا للمقارنة .

مهما يكن فقد دام هذا الركود زهاء قرن ونصف لم تنقش سحابتها الا فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (I) حيث بدأت فترة نهوض وازدهار هى اولى سنخها بالحديث فى الفصل التالى من هذا الباب . ومع ذلك فقد لاحظنا خلال مدة الركود تلك ظاهرتين نرى أن نعرض لهما : الاولى انتشار الزجل فى بيئة المتصوفين ، الثانية قدوم بعض زحالي الجزائر الى المغرب .

(I) سيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل ولد بمكناس سنة 1134 هـ
تأليف 1171 ووفى 1204 .

اولا : زجالون متصوفون

تقدمهم لنا مصادر الترجمة المغربية لهذه الفترة ، وقد وقفنا منهم على هؤلاء : (I)

عبد الرحمان المجدوب :

سبق أن ذكرناه كشاعر «الحكمة» الاول واشيرنا الى مصادر ترجمته واستعرضنا نماذج من أبياته المزدوجة في هذا النوع (2) .
ونضيف هنا أنا وجدنا في « تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان » (3) لحمدون بن الطاهر الجوطي ، لدى ترجمة مولاى التهامي الوزاني وكان ايضا من الزجالين : «انه ذكر بين يديه كلام سيدي عبد الرحمان المجدوب ، وهو :

غيببت نظرى افنظرو * واشفيت عن كل فانى
حققت ما نظرت غيرو * اورحت والقلب هابى

I ليس مقصودنا استقصاء كل المتصوفة الذين كانوا ينظمون الزجل فلعل معظم رجال التصوف كان لهم ميل الى نظمه لاتصالهم بالجمهير . ومن هنا لا سبيل الى تتبع هذه الظاهرة ، ومع ذلك نود ان ان نضيف الى من ذكرنا : السيد الغزواني . فقد وجدنا في كناية عبد الله الشرقي (مخطوطة الخزانة الملكية رقم 5958 وهى مجموع من الكراريس والاوراق) : «ومن كلام سيدي الغزواني نجل سيدي محمد الشرقي نعم الله بهما آمين :

ريت لعريس اتعرس ربحو ايهوس من شرق وغرب اتهوس يا بابا
انخضر الى يابس يفجى الدحامس ابيض الى ناعس يا بابا
جوابه لاييه نفعا الله به آمين :

هيا الراقد نض اسال فوق المعانى * كان اتسال نعطيك لخبار يا بابا
لا بد من لهوال عقبى الليالى * مارس اعليك افحالى يا بابا ... »
وهى قطعة من عشرة ابيات .

(2) انظر آخر الفصل الاول من باب « الشكل » لدى الحديث عن « الحكمة » كنوع من الزجل .

(3) ص 100 - 101 طبعة حجرية .

فقال مولاي التهامي رضي الله عنه هذا انما قضى حاجة نفسه ولم يقض حاجة لغيره فأنا لا أقول هكذا فقليل له وكيف تقول يا سيدي ؟ قال أقول :

من حاشا الحضرتنا ببراً به
بجسمي البقور مستمن
ابجي عديس بجسمي نثر به
وسيدنا محمد ضامن »

مهملة المصوتى :

سمى ان ذكرناه كذلك في عرس موصوع (-) وضمنت له هما مراسمة زجلية دارت بينه وبين ابي المحاسن الفاسي (2) ندل على أنه كان ينظم في غير المزدوجات الحكيمية ، وقد ذكرها محمد المهدي بن احمد بن علي ابن ابي المحاسن يوسف الفاسي في «كتاب ممنع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع » فقال : «وكان الشيخ صاحب الترجمة صاحب فيض وقوة في حاله فكان لا يعتبر أحدا يشكره لكنه اذا وجد من هو اعلى منه أنصف له واعترف ، وقد كان وقع له انكار في جانب سيدي يوسف الفاسي بسبب كلام بلغه عنه حمله على غير وجهه فكتب - اعنى صاحب الترجمة - اليه كلاما يعرف فيه بحاله ويصف له مبالغ الرجال ويدعوه الى صحبتته ، فلما اجابه سيدي يوسف وتعرف له اعترف بتقدمه عليه . وذكر ذلك هنا مناكدا لما فيه من وصف صاحب الترجمة لحاله وهو اعرف بنفسه من غيره . قال صاحب الترجمة :

الملك والملكوت وصفهم منعوت اهل الجبروت ما غيبوا عنا
تنوح السموت على ارباب القوت بأدر لا يفوت عنك وقتنا
سموس القلوب تشهد المحبوب في عالم الغيوب شرايها مختوم
النسرق والجبوب في طيها مكتوب تخرق الحبوب نلواحد القيوم
رياح اصبا تاتي على غبا وارباب المحب ما خفاهم حال

I انظر آخر الفصل الاول من باب « الشمكل » لدى الحديث عن «الحكمة» كنوع من الزجل .
2 المولود سنة 937 هـ بالقصر الكبير .

القلب نبا من شرك اتربا والروح جاذبا في حضرة الجلال
نفحات المحب من رياض العرب بها لم يزل روضا زاهيا
اذا سقيتوني اشراب الرشيف ثم انشاهدو ليلى كما عيا
قولوا للنسوى اتهم لي لهنى القصب انكوى من حيث الحراف
انفيت النسوى وتركت ما نهوى قالوا لي الدوا في راكب البراق

فبلغ سيدى يوسف خبر هذا الكلام قبل ان يدخل يده وانه
قاله معرفا له بحاله لما بلغه عنه وانه مع ذلك انكر حاله فكتب اليه كتابا
يذكر له توجيه ما اراد بكلامه في شأنه وانه ليس من دأبه البحث في
الخلق جملة فضلا عن مثله ويعلمه بانه ممن يحبه ويحسن الظن به ويعرض
عليه حاله على جهة اتهامه لنفسه لما بلغه عنه من انكاره وتنازل معه في
ذلك كله غاية التنازل ثم دخل يده كلامه فاجابه عنه بكلام على وزنه
وقافيته معرفا بحاله هو نصيحة له وتادية لحق كتابه ، فقال :

الملك والملوك في طيما منعوت حتى الجبروت لا يختفى عما
جملتها مبنوت حتى الرحموت وقات اوقوت هو وقتنا
شمسودا التحقيق قد نعطي حقيق لمن سير وصديق لنواحد القيوم
عفوف بالتوفيق فنعوتو ارشيق فزيسقى الرحيق الصافي المخنوم
رياح الصبا ما تنتهى عنا والعالم الاسنى هو مصعد الكمال
القلب للمعنى والروح متهونا والسر يعنى من سرذا الجلال
نفحات المحب وكذلك المحبوب فارياض التعريف احوال مستويا
لكن فالتهذيب يخلف المطلوب حتى في التشريف اسرار سريرا
من هو متهنا ما يخشا لنا بشرب يتعنى يمسى من السباق
موصول الصا من كل ما ينمنى محفوف بالنا في الواحد الخلاق» (I)
هذا وينسب له بعض الاشياخ القصيدة «الفياشية» التي حربتها :

انا على فياشى ۞ واشى اعدبا منى

كما ينسبها له جامع الكناش ك 3027 (I) من مخطوطات خزانة
الرباط العامة . مع ان المعروف انها للمشيخ عبد الوارث .

محمد بن عبد الكريم بن يحيى التنازى :

ترجمه محمد بن على بن مصباح المعروف بابن عسكر فى «دوحة الناشر
لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» (2) وعنه نقل الحصىكى
فى « المناقب» (3)

قال عنه ابن عسكر : «وحدثنى بعض الفضلاء من اهل بلده قال : كان
المشيخ رحمه الله عاشقا لا يكاد يفارق السماع ساعة واحدة ، وله قصائد
كثيرة :

خرجنا واحد الصباح * انشاهدو روضا ابهيا

واطيار تشهد يا صاح * لله بالوحدانيا» (4)

وقال عنه كذلك فى نهاية ترجمته : «ولسه توشىحات وقصائد
ومقطعات كلها رائقة وله على برودة الامام البوصيرى تخميس عجيب ، وله
فى فن التصوف العجيب من النظم والنثر .. توفى فى آخر العشرة الثانية
والله اعلم» (5)

محمد بن يحيى البهلولى :

ذكره ابن عسكر فى «الدوحة» فقال عنه : «كان هذا المشيخ ممن لازم
باب الجهاد وفتح له منه ، وله فيه اشعار وقصائد زجلية وغيرها .. وله
زجلية ومقطعات حسان فى البحث على الجهاد منها اللامية المشهورة
التي خاطب بها السلطان ابا عبد الله البرتغالى ، ومطلعها :
قل تلامير محمد يا طلعة الهلال * الويلة فالسواحل من افضل الليالى

(I) ص : 2

(2) ص 51 - 52 - 53 - 54 ط. حجرية

(3) الجزء الثانى ابتداء من ص : 17 .

(4) ص 51 - 52 .

(5) ص : 54 .

ومنها القصيدة التي مطلعها :

ظهر الرمل مراد والعشر يا كرام * نفسى على انجهاه سلبتو السلام» (I)

عبد الله بن معتمد النهيضى :

ترجمه صاحب « الدوحة » فقال انه « الشيخ العالم الزاهد المحقق جنيده زمانه وقطب دائرة أوانه الهضبة الراسخة والحجة الدامغة الناسخة» (2) وان « اصله من صنهاجة طنجة من قبيلة ايمتنة (3) » وان « له تأليف عديدة بين منظوم ومنثور وله فى علم المشاهدة الشأن الذى لا يدرك ... وكان الشيخ ابو القاسم بن على بن خجو يقول هو غزالى هذا الزمان ولقد من الله علينا وعلى المسلمين به » (4) . ثم ذكر له كرامات وختم بقوله : « توفى ... سنة ثلاث وسمتين وقد نيف على الثمانين ودفن بزاويته بموضع يعرف بمواهب » (5) .

له « كتاب الاشادة لمعرفة مدلول كلمة الشهادة » و « انغية فى تاريخ الدولتين الوطاسية والسعدية » . وقد وقفنا فى الخزانة الملكية بالرباط على كراس ، لم يرقم بعد ، يضم له ست قصائد زجلية كلها فى اذكر والشوق للحضرة ، منها هذه القصيدة التى يقول فى اولها :

ربى اعظيم يا حضار * فمد حيمت انسونو
ايغيب عنى ما نقدر * اى يحضر انموتو
حب لجمال عذبنى * يا قوم العندو
فهر تجلال يقهرنى * من فربو البعدو
من لطفو للمعين * يحنفى ويميدو

احمد بن شمسيرة المكناسي :

ترجمه القادري فى « نسر الماسى » (6) والحضبيكى فى « المناقب »

(I) ص 45 ، 46 ، 47

(2) ص 7 .

(4) ص 7 - 8 .

(5) ص 13 .

(6) ج I ص 255 .

حيث قال عنه «وله كلام ملحون يخبر بالمغيبات ظهر أكثرها ، توفي رحمه الله سنة خمس وسبعين والـف ودفن داخل مدينة مكناس » (I)

أبو البقاء عبد الوارث بن محمد الفيصلوتي :

ترجمه ابن انقاصى فى « نشر المنائى » فذكر ان « له زاوية بناها
فرب داره بزقاق الحجر ... بفاس يقرأ فيها اصحابه الاحزاب ، يقرأون
صباحا المعشرات وحزب الفلاح وصلاة مولاى عبد السلام بسن مشيش
والحزب الكبير للشادلى ، ومساء حزب الفلاح ولا اله الا الله مائنين .. وتوفى
رحمه الله يوم الاحد الثالث من ربيع النبوى سنة ست وسبعين والـف
ودفن بزوايته المذكورة» (2) . وقد وقفنا له على قصيدة فى الذكر حربتها :
لا اله الا الله

يقول فى اولها :

الحمد لله والشكر لله على فضل الله لا اله الا الله
استمع القولى واعلى النبى صلى وابصوتك على لا اله الا الله
يامن هو راغب فالخير وطالب افضل المآرب لا اله الا الله
وينسب له كثير من الاشياخ القصيدة « الفياشية » التى ذهب
بعضهم انها للشرقى كما تقدم ، وهذه حربتها :
انا مالى فياش * واش اعليا منى

وفى اول أقسمها يقول :

انا عبد رب اله قدرة * يهون بها كل أمر عسير
فان كنت عبد اضعيف القوى * فربى على كل شىء قدير
على آس اعديا * ونا عبد مملوك
والا سببا مقضيا * ما فالتحقيق المشكوك
رى بظفر ليا * ونا نظرى متروك

(I) ج 1 ص 73 - 74 .

(2) ج 1 ص : 261 .

ونؤكد ما سبق ان لاحظنا فى مدخل الرسالة لدى الحديث عن
الانشاد ان هذه القصيدة جمعت بين العرب والملحون حيث نجد فى بداية
كل قسم بيتين معربين يستهل بهما بعد الحربة ، وهى ظاهرة لم نعر
عليها فى غير هذه القصيدة ، على أننا نلاحظ فى ازجال المتصوفين عموما
سواء فى هذه الفترة او غيرها ، لغة هى اقرب فى كلماتها وتراكيبها الى
الفصحى منها الى العامية ، لا تكاد تنقصها غير الحركات لتصبح معربة
سليمة .

محمد بن على بن ريسون :

ترجم له الشيخ محمد التاودى بن سودة (I) فى فهرسته ، (2)
فذكر ان ولادته كانت سنة ثمانية عشر ومائة وألف ووفاته عام تسعة وثمانين
ومائة وألف ، وقال عنه : «وله كلام مؤثر فى القلوب بتحقيق معانيه
وفهمها ارباب القلوب ، فمن كلامه صدر قصيدة فى الملحون :

الى يرفقنا فمحببت سيدى الرسول * هو احبينا واحنا له احباب
ومن كلامه صدر قصيدة اخرى :

انا سيدى عندى طبيب * ويعالجنى بدواه
متولع احب احبيب * سيدى رسول الله
ومن كلامه صدر قصيدة :

الروح فالجسد والقلب امعاكم * ما خاب فيكم ظنى
الى اتركبوه يحسب امعاكم * واتقربوه بدننى
الله انظركم ما عاد ينساكم * اهل لكمال نعى
ايا هل لكمال قلبى يرعاكم * هذا لكريم رادنى

ومن كلامه صدر قصيدة :

العيون الجاريا فيض اعليا * من ابهور محمد عليه السلام

ومن كلامه ايضا صدر قصيدة :

ما بكيت اعليكم الا اترحمونى * والدموع من عينى تجرى الحبكم

(I) المتوفى سنة 1209 هـ .

(2) مخطوطة الخزانة العباسية رقم 3388 من صفحة 86 حتى 91 .

ومن كلامه في هذا المعنى كثير .

وقد وقفنا من هذه القصائد على ثمانية ، وهي من خمسين بيتا .

أحمد بن غلال النمرابي المراتشي :

ترجم له الشيخ محمد التاودي بن سودة في فهرسته (1) حيث ذكر أن له ديوانا من كلامه بالملحون بين توسلات ومقامات ، وأورد له نص قصيدة مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم حلا نبداها

في اسلوك الذهبان والجوهر تشرق بجمالو
كما ترجم له عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » (2) نقلا عن فهرست ابن سودة . كذلك ترجم له محمد بن عبد الله الموقت في « السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » فنقل بعض ما جاء في الفهرسة السودية وعلق عليه بقوله : « ولم يذكر وفاته وما كان ينبغي ... ولا شك وانه من اهل القرن الثاني ، ويعمل له موسم في اوائل كل ليلة من رجب الفرد ، وينشدون أزجاله » (3) .

ثانيا : زجالون جزائريون

يبدو ان كثيرا من الزجالين وفدوا في هذه الفترة من الجزائر الى المغرب فارين من حكم الاتراك او منفين ، ولكن المصادر لم تغدنا بغير اثنين من اكبر زجالي القطر الشقيق هما : سعيد استلمساني واحمد التريكي ، عدما باننا وقفنا على غير قليل من الذين لجأوا الى المغرب فيما بعد هذه الفترة ، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر ، (4) وهو دليل على أن

(1) المخطوطة السالفة الذكر من ص : 77 حتى 82 .

(2) الجزء الثاني ، ص 203 - الطبعة الاولى سنة : 1936 فاس .

(3) ص 154 - المطبعة الحلبية - مصر - سنة 1341 .

(4) خصصنا جزءا في آخر الدليل الملحق بالرسالة لقصائد الشعراء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب والذين لم يفدوا ، ولكن كانت قصائدهم منتشرة فيه .

هجرة المتنورين الى المغرب من ابناء هذا البلد الجار ظلت مستمرة طوال عهد الظلام المتمثل فى حكم الاتراك والاحتلال الفرنسى .

ابو عثمان سعيد التلمسانى :

زجال تلمسانى اشتهر بقصيدة فى السيرة النبوية تسمى «العقيقة» نسبة الى وادى العقيق فى الحجاز ، وفد الى المغرب فى أول الدولة العلوية وادرك مكانة عند سلاطينها وخاصة المولى اسماعيل (I) . ذكر صاحب « الدر المنضد » لبدى حديثه عن المولى محمد بن الشريف (2) قال :

« وكان سخيا جوادا حتى انه اعطى الاديب الشهير المتقدم فى صناعة الشعر الملحون ابى عثمان سعيد التلمسانى نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكايته فى هذا المعنى شهيرة » (3)

اما قصيدته العقيقة فهى التى يقول فى أولها :
كيف ينسى قلبى عرب لعقيق والبان * والعقيق اعينى بقلايدو انهلسو
وقد بلغت من الشهرة انها نشرت بالجزائر فى نصها العربى ومترجمة للفرنسية ،

وذكر المشرفى فى « الحسام » انها « قصيدة طويلة مشحونة باللغة والحكم وامثال العرب تنافس علماء واسطة المغرب فى شرحها ومنهم

(I) اخو المولى رشيد تولى سنة 1082 وتوفى سنة 1139 حيث دام ملكه سبعا وخمسين سنة. عند العربى المشرفى ان للشاعر ديوانا ضخما فى ملحون الشعر جله فى المولى اسماعيل « الحسام المشرفى فى الرد على اكنسوس المراكشى » (ميكروفيلم خزانة الرباط العامة) مصور عن مخطوطه ابن سودة رقمه 1207 ص 423

(2) بايعه اهل تافيلالت سنة 1050 وقتل سنة 1075 .

(3) الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن والفاخر لابي عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالي الشهير بالكردودى توفى بفاس يوم 11 رمضان 1268 هـ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1584 D الورقة 113 وجه)

الشيخ ابو راس الناصري ثم المعسكري فقد جعل عليها ثلاثة شروح اصغر
واكبر ومتوسطا بينهما » (1)

وتوجد بخزانة الرباط العامة نسخة من احد هذه الشروح رقمها D 1656
تحمل عنوان :

« الآداب الرقيقة في شرح العقيدة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة في شرح
العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية » ، وتحدث
المشارح في مقدمة شرحه عن الناطم فوصفه بأنه «الشاعر المفلق ... الشيخ
الرباني والهيكل الصمداني العلامة ... فان له اليد الطولى في آداب
العربية ومقاييسها ومعيار حكمة الوضع وقسطاسها ، فقد كان تشد له
في ذلك الركاب » (2) وذكر ان المولى اسماعيل نفاه ثلاث مرات وانه
توفي « بعد الخمسين من القرن الثاني عشر ودفن بسجلماسة فهو منداسي
نجارا وتلمساني منشأ ودارا وسجلماسي مدفنا واقبارا » (3)

ونجد لسعيد التلمساني في أواخر « العقيدة » بيتا يفخر فيه
بان هذه القصيدة فاقت كل قصائد المغراوي عميد الزجل في عصره ، وهو
البيت الذي يقول فيه :

تفنى العشاق ما تخلى عداوى * ما ضمت مثلها خزانة مغراوي
وفي كتاب « كشف القناع عن آلات السماع » لابي علي الغوثي بن
محمد الجزائري تعليق على هذا البيت ذكر فيه ان التلمساني «لما قال هذا
الشطر رأى الشيخ المذكور في المنام معاتبا له فلما أصبح رثاه بالقصيدة
التي أواها :

بوفارس الفارس في كل اعلوم * بحر المحيط ما تنهيه اقراطس » (4)
وفي نفس الكتاب « ان الشيخ سعيد لما قدم المغرب الاقصى ولقى
الاکرام من المولى الرشيد ... حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين
ان موازين اشعار المغرب الاوسط يقدر على الاتيان بمثلها صبياننا لان

(1) الحسام المشرفي (الميكروفيلم ص 423)

(2) ص 2 . 3 ص 5 .

(4) ص 73 — مطبعة جوردان بالجزائر .

غالبها يتمشى على حرفين فلو ارتكبتما ما نرتكب من التفنن لما وجدتم معنى اصلا فعندنا من ينظم الرباعي والخماسى حتى العشارى (والخماسى والعشارى ... الخ عبارة على أن الغصن اى البيت الواحد يشتمل على خمسة او ستة او عشرة قواف) فلما رأى الشيخ سعيد رحمه الله من شعراء المغرب ذلك الانكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسى ولا من السباعى بل من الثنائى عشر واتى بها اليهم فعملوا حينئذ انه بحر لا يطاق ولا يقاس وسلموا له . وطالما بحثت عن هذه القصيدة ولم اقف لها على خبر الى الآن « (I) .

وقد وقفنا للزجال التلمسانى على غير قليل من انقصائد التى مدح بها السلطانين المولى رشيد (2) والمولى اسماعيل ، منها قصيدة فى مولى رشيد يقول فى أولها :

حياتك ريح الصبا بالفين اسلام * واسقاك اغمام السما رحما وانعيم
ومنها قصيدة فى المولى اسماعيل هذا أولها :

بين اكرام الفعل والعليا ميعاد * بيدهم يرموا على الصدق احيالو
وقصيدة اخرى فيه مطلعها :

برقا جرد صارمو فى ساحت نجد * ذكرنى فى امانزل اشهابو
كذلك وجدنا فى كتاب « الكنز المكنون فى الشعر الملحون » لقاضى محمد الجزائرى قصيدة قالها حين خرج من فاس على اثر غضب المولى اسماعيل عليه ، يقول فى أول ابياتها :

هذا حد اودعنا بوفى واكمال * ماذا لى فالحنت نغدى وانولى
بعد اثلاثا (3) مابقى للرد احلال * غير ايل تقات عسى تالى يعلى
خليناكم بالسلاما يا لفضال * يا غرة وجه الشراف اولاد على

(I) المصدر السابق .

- (2) تولى بعد موت اخيه مولى محمد سنة 1075 واعلن ملكا سنة 1079 بعد ان استولى على مراکش واستمر فى الملك حتى سنة 1082 .
(3) فى هذا تأكيد لما ذكر شارح العتيقية من أن السلطان نفاه ثلاث مرات ، وهو فى الشطر الثانى من البيت يشير الى أن المرأة التى تطلق للمرة الثالثة لا تحل لزوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره .

وفى تقديم القصيدة ذكر مؤلف الكتاب حكاية ذهب فيها الى أن المولى اسماعيل « كان له شاعر آخر مغربى اسمه خباب فامرهما ذات يوم بنظم قصيدة يمدحان بها جارية له اسمها سلمى . اما سيدى سعيد المنداسى جعل استخارة ورآها فى المنام فحكى على حسب ما رأى ، واما السيد خباب قال من غير رؤية ، ولما تلوا القصيدة على الملك قال لخباب : سعيد افضل منك ، فأجابه بان سعيدا ولعله رآها ، وأما انا فلم ارها ، فعند هذه التهمة خرج سيدى سعيد من مدينة فاس واتى الى مدينة تلمسان فكتب له الملك ليرجع فابى وبعث نه هذه القصيدة » (I)

ولكن يبدو انه عاد بعد ذلك الى المغرب بناء على ما نعرف من ان وفاته ومدفنه بسجلماسة .

والتلمسانى لم يكن شاعر ملحن فقط وانما كان شاعر موزون كذلك ، وقد ذكر له صاحب « الجسمام المشرفى » قصيدتين :

الاولى يجيب فيها بلسان المولى اسماعيل على رسالة بعث بها اليه احمد بن محمد الحاج الدلائى مستدعيا للحرب حين ثار عليه ، يقول فيها (2)

تاهب ليوم الحرب فالحرب عيد * لنا وعليكم محنة ووعيد
ستعلم اشقى الناس يوم لقائنا * اذا قعقت تحت العجاج زعود
فسل ان جهلت الناس عنا وعنكم * متى قابلت جنس الاسود قروود
دعوت مجيبا فارتقب ما طلبته * فانا بما تبغى عليك نجود
عدمنا فحول الخيل ان لم تكلكم * عليها من الابطال منا اسود
اتطلب دار الملك من غير قدرة * وانت من المجد الاتيل بعيد
أساتم فكنا المحسنين وعدتم * الى السيئات بالعقاب نعود
عقونا وكان الظلم منك سجية * ستبلغ من غي الصبا ما تريد

(I) ص 22-21 (المطبعة الشاعلية - الجزائر سنة 1928) .
(2) الميكروفيلم ص 422 - 423 حيث وصفت القصيدة بأنها رائعة ومشملة على سهام راشقة

والثانية فى الامام مالك وموطاه منها هذه الابيات (I) :

فلا مالك فى الارض قام لسنة * وثبت له بالخافقين المناطق
سوى المدنى الطيب الاصل مالك * اواه على الاسلام بالغرب خافق
ترقى فوطا بانموطا موطنا * حباها ولم يسميه للفتح سابق
موطاه الاسلام فى الارض كعبة * توطا بها للسالكين شواهي

احمد التريكي :

تلميذ لسعيد المنداسى ومن تلمسان كذلك . قال عنه الغوثى فى
« كشف القناع » : « وقد نفته دولة الاتراك من قطر الجزائر سنة ثلاث
وثمانين والافذهب الى المغرب الاقصى وآوى الى جبل بنى زناآن قبيلة من قبائل
المغرب قريبة من وجدة فمكث هناك اياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف
فيها حال بعده عن اهله وعشيرته واوطانه ... منها قصيدة مشتملة على
ثمانية ابيات كل بيت يشتمل على عشرة اغصان وطالع مركب من ثلاثة
اغصان ، يقول فى مطلعها :

طال نحبي وادموعى كل يوم زراب *

والفراق اكوانى كيا ابلا اسباب

من اسمومو سيب لى فالدليل مشهاب *

ما وجدت الضرى حكما اولا اطبيب

شاب راسى يا ربى من افراق لحباب *

بهم اجمع شملى ايا المير حقب» (2)

وقد وقفنا من شعره على قصيدتين : الاولى فى مكة المكرمة ، يقول

فى مطلعها :

شعلت نيران اكبادى * واعيت ما نبكى ولا انفعنى نواح

أما الثانية فربيعية ، يقول فى حربتها :

اتبسمو وضحكوا غصون اللقاح * يسبوا من اعشق ومن هو والع

(I) المصدر السابق من 434 حتى 438 .

(2) ص : 80 .

الفصل الثالث

مرحلة الازدهار

ما كادت سحابة الركود الكثيفة تنقشع ويحول كابوسها الجانم حتى انطلقت القصيدة الزجلية فى نهضة مزدهرة وصلتها بماضيها لتستكمل معالم كيائها وملامح ذاتها ، وهى نهضة كتب لها أن تمتد فترة غير قصيرة ، تبدأ فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى وتنتهى فى أوائل لقرن الحالى بعد أن فشا فى الشعراء الضعف والوهن وأصيبوا بـداء الجمود والتبديد . فقد بدأت على عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله الذى يقال انه كان ينظم الزجل وان كنا لم نعثر له على أثر ، ولكننا لانشك فى أنه كان يحتضن هذا اللون من التراث ويشجع فنانيه . وليس غريباً أن يفعل ذلك فقد شهد عصره نهضة شاملة عمت جميع مرافق الدولة ومناحي الحياة ، وكان حظ الثقافة منها غير يسير (1) .

ثم كتب لهذه المرحلة ان تجدد ازدهارها فى الربع الاخير من القرن الثالث عشر على عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن (2) الذى كان بدوره من شعراء الزجل كما سنرى حين نتحدث عن صديقه التهامى المدغرى . وكان آخر بريق للنهضة فى هذه المرحلة ايام السلطان المولى عبد الحفيظ الذى كان من علماء عصره وزجليه ، وسنخصه بوقفه قصيرة . وقد بلغت هذه الفترة من الازدهار حدا جعل العارفين بالغن يطنقون عليها «الصاابا دلشياخ» اى موسم الاشياخ لانها تعتبر أخصب فترات الزجل فى المغرب لكثرة ما نبغ فيها من الشعراء . ولكننا لن نتبعهم جميعا لان مادة التاريخ والنصوص لا تسعنا لذلك ، وسنكتفى بالوقوف عند الاعلام البارزين .

(I) كان السلطان سيدى محمد بن عبد الله من العلماء والمؤلفين وخاصة فى فن الحديث ؛ ومن المؤلفات التى تسب له :

أ - الفتوحات الالهية الكبرى (من منشورات المطبعة الملكية)

ب - الفتوحات الالهية الصغرى

ج - مواهب المنان بما يتأكد على المتعلمين تعليمه للصبيان

د - طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الائمة وكتب مشاهير

المالكية والامام الخطاب

هـ - الجامع الصحيح للاسانيد المستخرجة من ستة مسانيد

(2) بويغ سنة 1276 هـ وتوفى 1290

الجيلالى امثيرد

وهو فيلالى الاصل ، ولكنه ولد ونشأ فى مدينة مراكش حيث كان له
مكان لشيخ الخطير . ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ ولادته ووفاته ، ولكننا
نعرف أنه على عهد سيدى محمد بن عبد الله كان شاعرا مكتملا ومجددا، نبين
لنا ذلك من حرازه - وهو أول حراز عربي تاريخ الزجل - حيث يذكر من
جملة الصفات التى تنكر بها ليصل الى محبوبته صفة «مخزنى» للسلطان
سيدى محمد ، وفى هذا يقول :

من ساعتي ارجعت امخزنى مشمور امن اصحاب الملك
الله ينصر سيدى محمد

ويبدو أنه عمر طويلا حتى أدرك بداية النصف الثانى من القرن الثالث
عشر الهجرى على حد ما يذهب الاستاذ الفاسى من أنه توفى «فى اواسط
سلطنة مولاي عبد الرحمن حوالى سنة 1840 م ودفن بمقبرة سيدى على ابى
القاسم بجوار مسجد الكتبية تحت مناره (I) »

، يقال فى تعليق تلقبه بامثيرد على صبغة التصغير أنه كان ضعيف
البنية نحيل الجسم ، ويحكى أن السلطان المولى عبد الحفيظ كان اذا ذكر
فى مجلسه الشيخ الجيلالى بهذا اللقب علق بقوله : «بل هو مترد امعمر
بالتريد» وهى قولة تدل على المكانة التى كانت للشاعر حتى بعد عصره ،
واكثر منها فى الدلالة على مكانته ما قاله التهامى المدغرى :

«لو كان احضرت لامثيرد كنت انكون لو عبد اشويرد»

ولا عجب فقد كان عميد زجالى عصره - أو كما يقال فى المصطلح عندهم
شيخ الاشياخ - لقبه معاصروه فى مراكش بـ «الفاكيه دالشيخ» ان
فاكتهم ، ولقبوه فى فاس «عرصت لشيخ» أى روضهم ، وبلغ من تأسير
قصائده على الجماهير أن المنشدين أطلقوا عليها «الشعالة» للجوئهم اليها فى
تحريك السامعين وإثارة اسبابهم اذا ما أحسوا منهم ضيقا بما ينشدون
وعدم تجاوب .

(I) مقال «الادب الشعبى المغربى الملحون» مجلة البحث العلمى العدد الاول
السنة الاولى 1964

ويعزو العامة نبوغ الشيخ الجليل الى حادث خرافى يقولون فى حكايته
أنه «كان يذهب كل عشية منفردا لصهريج ابن الحداد خارج باب الخميس
من محروسة مراكش وهو محل مخيف فيه مياه راكدة تسكنها الضفادع ،
وكان الشيخ الجليل يجلس هناك للتفكير والاعتبار ، فخرجت له ذات يوم
ضفدعة وكلمته وقالت له: يا شيخ ننى أريد أن تهضر عرسى وتغنى لنا فقبل وجاء
فى يوم موعود نأغمض عينيه ووجد نفسه فى عالم آخر فأحضروا له آلة تقول
هذه الخرافة الشعبية لم يكن له عهد بها فغنى لهم وجازوه بما يستحق ثم
أرجعوه لصهريج ابن الحداد فوجد فى يده تعريجة فرجع الى المدينة وحكى
للناس ما وقع له ، ومن ذلك الحين صار يأتى بالمعجز من القول ، وتظن
العامة انه لم تكن التعريجة معروفة قبل هذا وهى من اختراع الجنة (1)
وقد كانت لامتيرد جملة اوليات نرى حسب ما وصلنا من نصوص (2)
أنه سبق اليها فى تطوير القصيدة الزجلية شكلا ومضمونا ، سنذكر منها
ما أمكننا أن نستخرجه من القصائد التى جمعنا له :

أولا : فى المضمون تظهر ابتداعاته فى الموضوعات الجديدة التى
طرقها وهى :

1 - الخمريات :

يعتبر امتيرد اول الزجالين نظما فى الخمريات ، فتح لها الباب بقصيدته
«الساقى» التى يقول فى حربتها :

الساقى وكفى لريام رد بالك للنوبا لاتغيب عن مولاها

كب يا ساقى راح الليل

وكان الشعراء قبله لا يجروون على مثل هذا الموضوع ، وبين أيدينا

نص يثبت ذلك ، نجده عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» حيث يقول فى

(1) صدر السابق

(2) نلفت النظر الى أننا فى كل ما نعزو للزجالين من اسبقيات لا نعتمد

على غير ما وصلنا من نصوص وما بلغ الى علمنا من أخبار ، وقد يكونون

مسبوقين بغيرهم فيما ننسب لهم من اوليات ولكن بين أيدينا من

نصوص وأخبار لا يسعفنا فى اثبات ذلك .

واعناقيد لعنب فادوالى سألوا عل لعصير اخبير
فهو يذكر عناقيدالعنب فى الدوالى ولكن يحيل السامعين الى خبير يسألونه
عن عصر هذه العناقيد .

لعله أول من اتخذ من لسمعه في احتراقها وذوبانها موضوعا للكشف عما يعانيه المحب في مقارنة بين حاله وحالها ، مستعرضا على لسانها ما تمر به من مراحل قبل أن تصبح شمعة تبكي لتضيء للآخرين . ويتضح هذا من شمعته التي يقول في حريتها *

لله يا الشمعا شمري واعلاش دنواش والناس افلفراح

للّٰه بِالشَّمْعَا سَلْتِكَ رَدِّي اِسْمَؤَالِي ۝ وَاَشْهَكَ فَاَلْيَالِي تَبْكِي مَا دَا لَكَ اَشْعِيْلَا

يبدو أن امتيرد كان صاحب فكرة التنكر للوصول الى المحبوبة في محاولة لاغراء محرزها والإيقاع به ، وذلك في حرازه الذي يقول في حريته :
حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصراني في كيف عارفو ~~م~~ازال
وهنا كذلك نلاحظ أن حراز البغدادى (I) حاز شهرة أكبر من حراز
امتيرد ، وهو الذى يقول في حريته :

وقد تحولت عند المنشدين الى قولهم :

مال حراز الدامي مايق بيا هيهآ * غير حاضي لوقــــــــــــات
في اثيابو مسلم افعايلو روميا

(I) اختروي في نهاية القرن الماضي

4 - الضيف

كما كان صاحب فكرة التنكر في هيئة «ضيف» للوصول الى حبيبته
على حد ما فعل في قصيدته «ضيف الله» التي يقول في حريتها :
أضيف الله رد لجواب اصغ لى * لا تحشم رد السلام
فقد طرق باب دارها ليلا يطلب ضيافة الله ولكنها لم تلبث بعد أن
أدخلته وأزال اللثام ان تبين لها انه حبيبها لجأ لهذه الحيلة حتى يصل
اليها .

5 - القاضى

وقد كان - على ما نعلم - أول من فكر في اللجوء اليه للفصل
بينه وبين محبوبته بعد أن جارت وطال هجرها ، يقول في حربة قصيدته
«القاضى» :

القاضى لك ادعيت لغزال خنارى
اعلاش دون سبا هاجر لوكار
جفلت من رسمى قامت لقنا بودواح ازهور
زينت لاسم زهرا

6 - الخصام

ظهر أول نظمه له في قصيدة «بنت الحضر والعربية» التي يقول في
حريتها :

امى حنا ايلا امى لوريت يافاهم اللغا ماذا صار البنت لحضر والعربيا
ايلى امى لوريت يا فاهم اللغا

7 - الخلخال

ويتبين لنا سبقه الى نظم هذا النوع من القصائد فى «خلخال عویشا»
حيث يحكى أن محبوبته بعد أن زارته قدمت له خلخالها تذكارا يحتفظ به
لتخليد الزيارة وحتى لا ينساها ، ووضع الخلخال فى جيبه ولكنه ضاع منه
فأخذ يبحث عنه على كل مكان فلم يجده واضطر الى اللجوء لفقيه منجم يكتب
الخط استطاع بواسطة الجن ان يحضر له الخلخال . يقول اميرد فى
حربة هذا لخلخال :

خلخال اعويشا درت لبها فى مكتوبى يا فهم درتو وامشى لى
كيف المعمول ايلآ اتسالنى مولات الخخال
وقد فتح امتيرد بهذا الخخال بابا لمن جاء بعده من الشعراء الذين
جعلوا موضوع قصائدهم : الخخال او الدمليج أو الخاتم أو الضبلون ،
وهو بهذا طور فى الواقع جانبا من جوانب القصة فى القصيدة الزجلية

8 - الفصادة

فى قصيدته «لفصادا» سن لمن جاء بعده من الشعراء أن يصفوا
الحفلات التى تقيمها النساء بمناسبة إخراج الدم حيث يبرزن متزينات
متحليات بأفخر الحل وأجمل السباب ، وهى التى يقول فى حربنها :
آش را من لاحضر امع اوجوه لريام ❖ يوم حنطو فثياب العز للفصادا
ثانيا : فى الشكل تتمثل براعة امتيرد فى الجوانب الآتية :

1 - السرابية

فهو - حسب ما انتهى اليه علمنا - اول من اتخذها فى التمهيد
للقصيدة ، ويذكر كبار الاشياخ أنه قبل أن ينظمها كان يقدم بأغانى بوعمرى
الخفيفة . ومن أول السراب التى نظم امتيرد هذه السرابية التى يقول فى
أولها :

اعلاش امحوب خاطرى تجفينى ❖ ألاجفينى واعلاش دالجفـا
حببتك من خاطرى ولا رديننى ❖ كاتمينى يا شارد لعفـا
خالفت فالقول باش واعدتنى ❖ ولاوصلتى الرسمى قاسيت ما كفا
(قالت ناس الشعر والقوافى ❖ الزين ابلا تيه صورتو تعدياف)
والخير صاحبو يعرف

ويذكرون أنه يقصد بقوله «قالت ناس الشعر والقوافى» الشاعر
بو عمرو ، ويقول «الزين ابلا تيه صورتو تعدياف» شطرا واردا فى قصيدة
لهذا الشاعر تعرف بـ «باهى لحروف» ، وأنه لجأ الى هذا الاقتباس تخيـدا
لذكرى بوعمرى واشعارا بأنه الموحى بفكرة السرابية .

2 - وزن للبجر المثنى

فقد وضع فى «لساقى» وزنا لبجر المثنى لم يكن معروفا من قبل .

صدره أطول من عجزه ، او كما يقال فى الاصطلاح «الفراش» أطول من «الغطا» ، وتتضح هذه الملاحظة من حربة القصيد التى يقول فيها :

الساقى ونمض لريام رد بالك للنوبا لا تغيب عن مولاها
كب يا ساقى راح الليلى

3 - بحر السوسى

نميل الى انه أول من سبق الى النظم عليه ، وذلك فى قصيدته «الحراز» التى يقول فى حربتها :

حراز للا لرسامو جيتو انصيب قلبو نصرانى
كيف عارفو مازال

4 - الحوار

كنا قد رأينا فى الفصل السابق أن فكرة الحوار بدأت عند الحمري فى قصيدته «الربيعية» ولكن امتيرد طوره وجعله يمتد فى كل القصيدة ، وقد ساعده على ذلك نظمه فى موضوعات تستدعى تبادل الخطاب أمثال الحراز والقاضى والخصام .

الحاج محمد النجار

من مدينة مراكش ، وهو ربيب الشيخ الجيلالى لان هذا الاخير تزوج أمه بعد أن توفى ابوه على النجار . ويقال ان النجار سجل قصة هذا الزواج ساخرا ومستهزئا فى عروبى سماه : «هولة الريب» وهو بالتالى مساعده فى الدكان وتلميذه فى الفن . ولعله دخل الكتاب القرآنى قبل ذلك حيث تعلم القراءة والكتابة وغدا فى سن مبكرة يدون لشيخه بعض قصائده . ومن هنا زاد تعرف النجار الى الزجل ينسخه ويحفظه ويردده ، ومن هنا كذلك بدأت تظهر فى النظم اولى محاولاته التى كان زوج أمه لاشك يتعهد بها بالتصحيح والتنقيح .

ويحكى الاشياخ أنه حدث فى الوقت الذى أخذ النجار ينظم ان اصببت البلاد بجفاف دام سنتين ، أصبح معه من المتعسر على النجار أن يظل عبثا على امتيرد ففكر فى الرحيل الى فاس ، واتفق يوم سفره أن يظهر كسوف فى السماء أرخه النجار فى قصيدته التى قالها فى توديع مراكش .

واشياخها . يقول في مطلعها ملتصبا من اهله الدعاء له ان يحقق مناه
في فاس :

لله يا هلى سمحوا في شى فأت
وادعوا لى انصيب امنايا
فى بلد فاس كنز اغنايا
عند الشراف هل لعنايا
يسقونى السقوا بعد السقوا انال تقوا
نبسط لكفوف ضى وادجا
للخالق ساير لخالق يغفر الواتى فجميع السيات
ويقول فى حربتها :

ألين اوين الشمس فالسما ريناها كسفات
حتى ظهوروا النجوم فالنهار الكهار العاتى
والظلمة سدات

ويسجل فى القسم الثانى ما أصاب البلاد من جفاف ، فيقول فى اوله:
عامين يا هلى هاذى مرت ما اشتات
عامين ما اعطت الصابا
ولا ابقى احسان ايها با
واقوا الرهط دالنها با
وفى آخر قسم يؤرخ للقصيدة ولسفره فيقول :

تاريخ حلتى «مشقانى والدال» * دال اعلى ترتيب ابياتى واسبيك المعنات
فقد رمز ب : م ش ق ن د ، فالميم بأربعين والثشين بألف والقاف بمائة
والنون بخمسين والدال بأربعة ، ومجموعها أربعة وتسعون ومائة وألف (I) .

(I) وهذا ما تؤكد كتب التاريخ على حد ما نقرأ عند الناصرى فى الاستقصا
حيث يقول «وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى
الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم
لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت لحالها بعد نصف ساعة ونحوها ، وفى اعوام
تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب وانحبس المطر ووقع القحط
وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين» (ج 4 ص 128 ط المصرية)

ويقال ان أشياخ فاس تفاعلوا بمقدم النجار لانه ماكاد يصل الى مدينتهم حتى كانت الامطار تنهطل ، ويبدو أن من اول القصائد التى نظم فى فاس قصيدته لنى يقول فيها مخبرا انه سكن منطقة فاس البالى :

دعت اهلى وارسامى ❖ واسكنت بلد فاس لبالى دار لهما

القوم ارجأت اذمامى ❖ ونا ما نزول انراعى لها الدمام

ولسنا نعرف شيئا عن أخباره فى فاس ، وكل مانعرف انه استطاع أن يفرض وجوده ويصبح «شيخ الاشياخ» و «مداح النبى» .

ونقف قليلا عند اللقب الاخير الذى اكتسبه لكثرة مدحه للرسول عليه السلام ، فان بعض الاشياخ اعتمدوا عليه وذهبوا الى أن النجار لم ينظم فى غير هذا الموضوع ، وهو رأى جانب الصواب .

حقا ان جل قصائد النجار فى المديح النبوى والصلاة والتوسل ، ولكن له قصائد فى الغزل ، لعلها ليست كثيرة ولكنها كافية فى اثبات ما نقول . فقد وقفنا له على «البتول» و «ام كلثوم» و «مسعودا» . يقول فى حربة

.. البتول .. :

داوى اجوارح اعليلا ❖ أشوم ليعنى بفراق البتول

ويقول فى أول قصيدة «ام كلثوم» :

ألايمنى فهوى اشبهت الدامى دعنى او كف خلى اجوارحك اسليما

واعذريا لايم حال المغروم

ويقول فى حربة «مسعودا» :

ما فالخودات ريم اتشابه مسعودا ❖ مسعودا رايت النصر بأشت كل املاح

مسعودا مولوعا او ساعدا

ومن يدري فلعل هذا التنويع فى الموضوع حدث بعد أن استقر بى فاس وطابت له بها الحياة ، بل انا حين ننظر فيما بين أيدينا من شعوره نلاحظ ظاهرة لاشك أنها متأثرة بحال عيشه فى مراكش وما آلت اليه حياته فيما بعد بفاس . هذه الظاهرة هى طغيان النفس التأمل الجاد — والمتشائم فى بعض الأحيان — على قصائده فى مراكش وأول مرة قام به فى فاس ، —

تغير هذا النفس بعد ذلك ، وقد علتة مسحة من التفاؤل . وتتأكد لنا هذه الظاهرة حين ننظر في قصيدتين : أحدهما في تأمل الناس والحياة ، والثانية في يوم عاشوراء . يقول في أول القصيدة التأملية وقد مل الدنيا ومعناها ولم يعد يتمنى غير الموت :

مل قلبي من دنيا كلها أمحان ولا أبقي يترجى إلا يموت هاني
ويقول في حربة القصيدة الثانية فرحاً مبتهجا :

أجى اتشوف يا من لاشاف الهايجات بسداري
كيف شفق عين حسن يوم عاشور

عبد القادر بن عبد الرحمن بوخريص

فيلاي الاصل لكنه ولد ونشأ في فاس ، وهو تلميذ للنجار كما يقول في أول القسم الثامن والآخر من قصيدته «مرحول للمشرق» :

نهيت القطعا الرايقا واسمى عبد القادر
ابن عبد الرحمن بوخريص تلميذ النجار
ويعتبر من الزجالين الذين كان لهم حظ وافر من الثقافة، بل يزعم بعض الاشياخ أنه كان من كبار العلماء وأنه تولى قضاء مدينة فاس ، في حين أن القاضي غير الشاعر ، وهو سمي به وجده ، كان قاضيا بفاس ، توفي سنة ١١٨٨ هـ

كان بوخريص متأثرا أشد التأثر بالنجار من حيث الاكثار من النظم في المدائح النبوية والتوسلات والمواظ خاصة الى حد يطلق «الاشياخ على قصيدته في الوصاية «المدونة» وهي التي يقول في حربتها :

يالساهي عما يعنيه والعمر مان قيم واعزم واخلم يكفى امن اتفرعين
ويتأكد هذا النفس المشبع بعاطفة الدين في قصيدته «مرحول للمشرق» وهي التي يقول في حربتها :

أرواح أراسي اتشوف هذا المركب الساير
خلا رأس الدوف شايقا لفام المختصر

وكما لاحظنا عند النجار نلاحظ كذلك عند تلميذه ، فهو لم يقصر نظمه على الموضوعات الدينية والتأملية كما يظن غير قليل من الاشياخ ، ولكنه نظم فى غيرها على حد ما تثبت قصيدته «الجار» التى يقول فى حريتها :

جارى يساجارى * حن واشفق واكرم من له جار
واعطف لوكارى * اولاً اتخلى رسمى مهجـر

هذا وقد وقفنا عند أحد كتبي فاس على ديوان لبوخريص بخطه ، يضم حوالى مائة قصيدة كلها فى التوسل ومدح النبى والاولياء ، كان جد ضنين به لم يسمح لنا بغير تصفحه ولبضع لحظات ، ومازلنا لحد الساعة نقاوضه فى اقتنائه ، واذا ما تهيأ لنا الحصول عليه فانا ننوى أن نحققه ونقيم دراسة خاصة عليه .

محمد بن على العمرانى

ويكنى ولد ارزين ، يصرح هو نفسه بذلك على حد ما يقول فى نهاية قصيدة «الشمعة» مؤكدا شرف نسبه :

واسمى انبينوما يخفى موضوع فى اسجال

محمد الشريف ابن على ولد ارزين صيلا

وعلى حد ما يقول كذلك فى آخر قصيدة «حجوبة» :

واسمى محمد ولد ارزين القب تلقاب * وافضل من كل انسباب
حق نسابى * من اولاد المختار الى اعليه منسوب

وهو من تأليلات حيث ولد فى مسيفة على ما يؤكد جل الاشياخ ، وهم يذهبون الى أنه نشأ فى بيت علم لان والده كان صاحب كتاب قرآنى اتاح له فيه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون التى جرت العادة بحفظها فى الكتاتيب وقد قضى فى هذا الكتاب وبجوار والده فترة لاشك أنها لم تكن قصيرة ، ظهر خلالها نبوغه المبكر متجليا فى سرعة الحفظ والادراك ومحاولة نظم ما يتلقى من فوائد وقواعد على طريقة نظم المتون . ولم تنته هذه الفترة الا بسفره مع أسرته الى فاس لتتسنى له الدراسة فى جامع القرويين . وعلى الرغم من أننا لا نعرف طول المدة التى قضاها

طالباً في القرويين ، فانا لانشك في انه حاز حظاً وافراً من العلوم المخنفة التي كانت تدرس بها ، وفي أن تكوينه الثقافي انعكس على بعض شعره وخاصة في قصائد «السولان» و «الوصاية» و «هول القيامة» و «الندرة» بل انا نجده في بعض قصائده يصرح أنه يستقي من الكتب ويقتبس منها على حد ما يقول في أوائل القسم الثاني من «حجوبة» :

ثم نبغيك اتشوفيني افعين من يعرف لمرمات * وامطالع كل اكتساب
حق اكتابسى * فارس فمأيتى واتراجمى افلكتوبسـا
ويقال انه ما كاد يقضى بضع سنوات في فاس حتى هلك والداه فأحس قسوة الوحدة والغربة على الرغم من أنه كان قد تعرف الى النجار واتخذ صديقاً وأستاذاً ، فعاد الى مسقط رأسه في الصحراء حيث نظم قصيدة في مدح مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين ، تعتبر من أروع المدح على الرغم من أن ابن عني لم يكن الا مبنداً ، وهي التي ينول فيها مخاطباً ممدوحه :

ياحلاوة تمر الصحرا ويا حفيد امام العشرا

يا سنا الصحاري يا مولاي عني الشريف
ولكنه لم يلبث أن عاد الى فاس لينظم القصيدة تلو الاخرى وليصبح «أعظم شعراء فاس في القرن الثامن عشر (I)» ويحزر لقب «المعلم» قبل وفاته سنة 1237 هـ (1822م) وقد تجاوز الثمانين (2) .

وفد كان ابن علي مكتراً ومجيداً وموعاً في موضوعاته . ومن اللطيف أن نجده في قصيدة «حجوبة» يستعرض أسماء بعض قصائده ، وهي التي يقول في حريتها :

يا لي زينك فاق الشمس والقمر والبرق والهجاب * صلتى بحروف اعجاب
صغ لوجابسى * عالجنى بوصولك يا لريم حجوبا
وفي القسم الثاني منها يخاطب حجوبة ، بعد أن وصف مجلس الانس

الذى يتمنى ان يجمعهما ، يريدان ان تستمع فيه الى قصيدتين له فى «الحجامة» وقصيدتين فى «المرسم» وقصيدة «القاضى» و «الورشان» وقصيدتين فى «السالف» وقصيدة «الشمعة» و «الحراز» و «جمهور البنات» يقول فى هذا القسم :

ثم نبغيك اتسمى «حجامة» اللولى والتالى باسمباب * ما غتبتهم غتاب
دون غتابسى * اولا يردوا قولى الا اعقول مقلوباً
ثم نبغيك اتسمى «لمراسمى» ابزوج «اقاضى» للباب * و «الورشان» الخباب
ماسك اكتابسى * «والسوالف» زوج «أشعما» اضوات مرغوبسا
ثم نبغيك اتسمى «حراز» حارسو فمناصف لجواب * دور افذهب التذهاب
ايحير الصابسى * وقت مايتذكرو اتصيب لحسود مرهوباً
ثم نبغيك اتسمى «جمهور لبنات» افمعنى وداب * فيه اسميات اغراب
طرز بغرابسى * كيف ننحل ماياتى فالنظام معروباً
واذا ما أمعنا النظر فيما بين ايدينا من قصائد لابن على فانا نلاحظ
خمس ظواهر :

الاولى : أنه - على ما نعلم - أول من نظم زجلا سياسيا على حـد ما تثبت قصيدته «المصرية» التى يكاد يجمع كبار الاشياخ أنه قالها فى حملة نابليون على مصر ، والاسف أنا لم نعثر على أثر لهذه القصيدة التى لاشك تكشف عن تجاوب المغاربة مع اخوانهم المصريين فى هذه النكية التى حلت بهم .

الثانية : أنه ربما سبق الى قصائد «السولان» يوجهها لخصومه يحاول تعجيزهم ان لم يستطيعوا حل سؤالها بل الاسئلة التى تتضمنها ، وهى فى الغالب معميات وألغاز ، منها قصيدته التى يقول فى حـربتها :
بسؤلك استفخر يا حفاظى * اولا ابحال عند الى عارفين سولان
وفى أحد أقسامها يسأل من جملة ما يسأل عن ماهية علم الشعـر والمواهب وكيف تنسرب للنفوس ، وعن أقسامها التى لا يعد شاعرا من يجهلها ، ويرى أن كل من غاص فى بحر الهوى يجده صعبا الا من منحه الله الموهبة ، ويوصى راويه الايهاب الداعى فهو أعجز من أن يأتى بمثل

هذا السؤال أو هذا الشعر مهما طال به الزمان :

وانسمال من ادعا راحل عجم الشعر والمواهب
واعلى ممن سبيل بدخلى لجسام
كان لهم فالخلق ارسام
قسموه الفهام اقسام
من لا يدريه لا يقول شاعر فالقول ايجيب
والى داخل بحر لهوا اجهلو يلقاه اصعب
الا من ودو ربنا الوهاب
والى ادعا عليك اجهلو بالك تستهاو
ما جاب عوض سولانى
الو ايعيش ماعاش المرو ولا ايجيب لوزان

الثالثة : انه وضع وزنا للبحر المثلث فى قصيدته «زينب» التسمى

يقول فى حربتها :

يابدر ماغظاك احجاب ۞ فى ادجايا شمس النهار السعيد يازنوبا
ثاين العهد يا زينب

ومعنى الواقع تطوير للوزن الذى وضعه ، يمتد للبحر المنى فى
قصيدته «الساقى» التى يقول فى حربتها :

الساقى وخض لريام رد ، لك لىوبا لا تغيب من مولاها

كب يا ساقى راح الليل

فقد لاحظ أن «سراش» احوال من «الغطا» فجعله قسمين .

البرهنة : أنه عدل بعض الشئ فى «تباص لشركى» وجعله على نحو

ما نجد فى قصيدته التى يقول فى أولها .

يا هلى ريت اجبال الغرب غببو ۞ وجبال الصحرا اتبان غير العظما

وقد نظم أغلب مطولاته على هذا الوزن ، ويقال ان الغالى الدمناى كان

أكثر الشعراء تقليدا له فيه على حد ما يبدو فى قصيدته التى يقول فى

أولها :

ياهل البيت اسياى لامت لشرف ۞ زكت دحماكم قبلو زوكت لوصيف

وكان هذا «القياس» قبل ذلك على نحو ما تكشف عنه قصيدة
«الحجة» لابن احساين ، وفي حربتها يقول :

يا حضرا قولوا بالسر ولجهار ❖ الصلا والسلام اعلى النبي المختار

الخامسة : أنه - حسب ما تثبت النصوص التي وصلتنا - أول من
أطال القصائد فجعلها «ملاحم» كما يقولون . حقا ان للمغراوى قصائد طويلة
مثل «هول القيامة» فان أبياتها وصلت الى مائتين ، ولكن ابن على تعدى هذا
الطول بما يزيد على ضعفه . ومن خير الامثلة على قصائده المطولة «الندرة»
التي ضمنها ما كان معروفا في وقته من معارف كونية ، فهي تضم ثلاثة
وستين وخمسمائة بيت ، يقول في دخولها :

سبح المولى تسبيح اللسان والقلب

وقدس المولى تقديس النجاء لقراب

سبح المولى ماشرق الضياء وغرب

قدس المولى مادام الضياء وغيهساب

ويقول في حربتها :

يا لسا هي من نومك فق سبح الرب

لمنا وانت تايه فالغرور لواب

الصلا والسلام اعلى اخيار لنسب

سيدنا محمد طه اشفيح لعراب

ويقول في القسم الثاني منها :

منها اللوح انشاء ابقوتو وحولو ❖ ومنها الروح والعقل كيف شا وقدر

اللوحي جعلو خمسين الف اسنا فطولو ❖ والفين في عرضو كيف جا امعبر

ولقلم طولو ألف اسنا ايقولو ❖ كلهم فالكبرى نقط الديام فبحار

لقلم والكبرى واللوحي مكتوب ❖ والسموات والارضين والتلول وارواب

ولحجوب ولشيا فالعرش كل تذهب ❖ خرس منسى فقفر قال النبي الاواب

وقد سبق ان راينا في المدخل ان مثل هذه القصائد لم تكن تنشد في المجالس وانما كانت تسرد في بعض المناسبات وخاصة في ذكرى المولى النبوى .

واشبه ابن على بعد هذا بالمعارك النحائية لى كان له مع النعمان ابن سليمان ، وقد تعرضا لهما في القصص لثلاث من باب الموضوعات

قصيدة ابن سليمان

من زحاني مأس ، وهو تلميذ بن علي رخصمه الذي خاض صده معارك هائلة شهيرة ، لم ينس في عسرة حاربها عسرا بالفضل أسيرة على حاربها بيت هذا البيت ينصفه فيه :

رجلي اعلى افقات نعش (1) حجا بلا او طبت ابن على
ولكن جاء بعض الاشياخ ينصبوه عشاء وقالوا في حمان ابن اسلم
الشاعر والعل الذي يلمس :

رجي اعلى افقات بن على حجا بلا او طبت ابن على

ويذهب الاشياخ في حكاية قصة حياته الى دريس : دعوى الاولى ان اياه لبحاح ادريس بن سليمان كان رجلا رفيق العدل يستغل بالسرقة ، وتعرف الثانية ان والده كان من اكبر اغنياء وشبان مأس ، وان كان هذا المستغرب سخوف يحيى نباليه في بيته ، وأنه كان صديقا للشيخ ابن على .

ونحن نصل الى هذه الرواية في نذهب الى ان ابن مسمي الابن مأس لاشك - وهو طفل صغير - بهذه البالي لى كان يقيم والده ، وإلى ان نمسه لابن على بدأ في هذه القصة ببيت والده .

وتحاول هذه الرواية ان تربط بين وضع أسرته وما تربط عنه من تأثر كبير على حياة الابن مسبب ان والده نومي وترك له نوره عاثما كان فيها وره لوحيد ، فلم يبت - وهو في اول السباب - ان نطق بالحياة

(1) لبليسه .

اللاهية المأجنة في غلو واسراف كانت نتيجهما أن أصيب بداء القلب الذي
أودى بحياته ولما يتجاوز الثلاثين من عمره

وتعتبر قصائده التي نظم في حال مرضه وهو طريح الفراش من
أروع ما أنشأ الزجالون صدقا وابداعا ، تشم منها رائحة الموت تكاد تخنقه
وهو يحاول الفرار منها في خوف وتشبث بالحياه . ومن أهم قصائده في هذه
الفترة «الطبيب» و «الوردة» ولعلهما آخر ما نظم قبل موته ، يقول في حربة
الأولسى :

الطبيب يعرف دايا والدوا سومو غالى

عالجونى يا ناسى لا نموت موت الغفلا

ويقول في حربة الثانية :

لاتلومونى فى ذا الحال جيت نشهد وانودى

يا عدولى فالموت اسبابى خد الورد

وقد كانت لابن سليمان عناية بأسلوب زجله تمثلت في اكثاره من
التضمين - وهو كما سبق أن رأينا (I) بناء القافية على حرفين - ومن الأمثلة
عليه عنده قصيدة «الرعد» فقد التزم في قافية الاضطار الأولى للآبيات حرفي
الياء والميم على حد ما يقول في هذه الآبيات من الدخول :

الرعد زام طبلو من بعد اقناطر الصمايم

والبرق سل سيفو ويخمل فى اخيول لمران

والريد سج فارس ايشالى

عن اعيون العلفات اعلى لغا امسمسمسم

لقزاح شد بندو للفرجا اعساكروا تلايم

واحرك ابلمطار البيدا حتى اجرات ويدان

قلبى ابحبها سالى

كل فج اصبح من ذاك الضباب خضر

(I) انظر الفصل الثانى من الباب الاول ، وانظر كذلك الفصل الاول من
الباب الثالث لدى ذكر محمد بن عبد الله بن احساين .

ومن الامثلة عليها عنده كذلك قصيدة «حجوبة» ، وفيها التزم الفساح والهاء في قافية الاشطار الثانية للابيات ، على حد ما يقول في هذه الابيات من القسم الاول :

وصلك حاجا مطلوبــــــــــــــــــــــا * مرادى مايا لمنا اتصفــــــــــــــــيه
نصادك عرصي فغراضك باك مانها دخلت بينتنا اعگوزا خواضـــــــــــــــــا
دارت منقدا حوبـــــــــــــــــــــا * ايمنّا شرک لغراق ترهــــــــــــــــيه
نبرا من الزيار فيها خيط الرضا الوافي روفي يا رماك الداميا فالطباح
منس نهاسا

محمد بن قاسم العمیری

ويعرف بالفقه العميري ، وهو من مدينة مكناس . ولكنه أمام هذا خبر
قصيره في صفرو حيث نزل خطة العدالة . وكان معاصرا لشيخ مكناس ميدي
قديور العلمي الا أنه توفي قبله ويحكى الاشباح أن العلمي بعث بعض أصحابه
إلى دار العمري ، وطلب منهم أن لم يجب أحد لطرق الباب أن يكسروه .
وكنكث ثعلوا ، ولكنهم حين دخلوا الدار وجدوه قد مات وبين يده مصحح
وقد وضع فيه أصبعه على الآية الكريمة : « هذا ما وعد الرحمان وصدق
اليمينون » . رسمت الامتاج هذه الحادثة كرامة لشيخ العمري بحسب ما
المعلم كذلك .

وإذا عرفنا أن لعمري نوري عام سمع ومشتق ومأمن وألت ، وإذا
عرفنا كذلك أن العميري كان يسمي في عهد المولى عبد الرحمن (2) لاس
بوجه ، فإنا نستطيع أن ندعوا وعائنه في منتصف القرن الثالث عشر .

والدائرس لشعر العربی لا یلمب ان بلاطه ظاهر تن :

الأول : ولعل أهمية الموضوع ، كما يبدو من هذه القصائد .

بقول أبي حمزة غيبون يمدح بها سيدي عبد السلام بن مشيش

أنا ابن أمية بن عمار بالمرءة كن لي عون

با پدر انما اولاً تواری یضوی ما طالت السنین

يخفي لهلال والمناورا والصيارا الباقيين

(I) تولى سنة 1238هـ وتولى سنة 1276 .

ويقول في أول بيت من قصيدة «الزين» :

هيا هيا وبين يا من ردى للمطاعن
سبوف الضعدين لو طاروا ما نزلن

ويقول في حربة قصيدة له يمدح بها المولى عبد الرحمان :

بوجود السلطان بين مولاي عبد الرحمن
عما بالاحسان بين محمد فيماني
من حكم فالبرين وبحرين

الثانية : سميت هذه إلى النظم في الجفريات ، وهي - كما سمين أن رأينا (3) - قصائد يتأمل فيها الشاعر أحوال المجتمع والناس ويستنتج منها تنبؤات بما يحتمل أن يقع . ومن جفريات العميري قصيدته التي يقول في أولها ، رامزا بالصوف والقطن إلى طبقات من الناس :

لا اتوطن فالعرب اتخلط لوطن
الصوف امع القطن عاد فابطانا تحت ابطانا
ابرزلهوا املايس قفطانو

ومنها لاميته التي يقول فيها :

ذاك الولد المهبول بين أصلو من ناخول
الفرخ يشبه اخوالو

وفد نجد الناس هذا القول مطابقا لوضع السلطان المولى عبد العزيز بعد أن عزمه أخوه السلطان المولى عبد الحفيظ لأن أمه تركية ، مع أن العميري كان يعيش في عهد المولى عبد الرحمن .

وإذا كانت هذه القصائد تعتمد على الرمز والتلميح والاشارة ، فإن العميري بسبقه إلى النظم فيها كان سابقا كذلك إلى هذا النوع من الأسلوب في القصيدة الزجلية

(2) حسب النصوص التي وقفنا عليها

(3) انظر الجزء الثاني من فصل «في الحياة» من باب الموضوعات.

يعرف بـ «سيمي فلور» (I) ، وهو من مكانين من كبر الزيجاتين ، مشهورهم أن لم يكن مشهورهم ، وهو كبرك من أرباب علم المدينة ، علم في مختلف موضوعات بربر في النوس والفتحة والفتحة حتى شد يعبر فيسوف ناجي في صانع . بعد من أكثر النوس الفهين حطت نصبا لهم من الضرع خمس كسرة انماهم ، نسا ، و ما مائة في النوس باعتبار ولايه ، وهي كسرة جعلهم بذل مرة عن كل ما في الزمان مرزوم من لأرباب ، بوفرة في باطن معره في الخول زنا مرسل حياء مستري بعد ترجمه المشرقي في الجسم (2) فتحت عن زاوية وبعض كراماته وقال أن في قصائد عديدة في منحور لسعر نزل في حشرة الملوك وتنفذ في مجالس السرور وتشرق بها الاسماع ويطيّب بدكرها واشدها السماع ، احبب عن توحيد مطهم ، وينزل بالخمر والنساء وما حل نسا لأرباب من حشره كبر» (3)

وأشار إلى أسماء بعض قصائده في النوس ومدح الاولياء ووقف عند قصيدته التي يقول فيها متوسلا :

ما تسمى تان ترسيرا بالجليل

ما انما نعي غابب فعدر يـــــــون
تذكره تان بربر شرحا زنى لنت يقول : لنت به يا ميري
لنت لخدمة . بعد نزل أن نعت قدسي الزان في شرح
النوس ومرتدي أن تذكر مدح وجبة تانية من كراماته فامرني
بمراء بها حب وهو مائة ، لنت تسمي قال : من قال هذه القصيدة
هي في يوم قال : ما تسمى ولا نيس في ، أن مهما كررت عليه قولتي

(1) قد يحمل اسمه مع اسم أحد أسياخ فس انماصين يسمى فندور

العلمي ويعرف بـ «صنفان» وقد توفي سنة مائة عشرين سنة .

(2) الجسمام المشرقي في النوس على كنسوس المراكشي (مخطوطات) في

الخدمة المراكشي من 289 - 290

فى شان شرحها يقول : ومن قال هى لى ؟ ويسكت . فلما لحيت عليه القول قال لى : ثم وغدا ان شاء الله يظهر لنا ولك ما يكون عند فسكت وما سألته بعد ذلك الا ما يكون من أمر الدهاء الصالح « (I)

وترجمه المؤرخ المرحوم عبد الرحمن بن زيدان فى «أتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس» (2) باعتباره من صلواتها فذكر أنه «عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الادريسي العلمى الحمدونى ... نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى اتخذها بعد وفاة والده زاوية وبها أقبر ... وكان رحمه الله من أهل المقامات العالية والاحوال السنية لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع لزخرف الدنيا وزينتها كير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الاحياء منهم والاموات » (3)

ونقل ابن زيدان عن ابنى عبد الله محمد الامين الصحراوي المراكشى فى «مقدمة الارتجال فى مشاهد ومشاهير سبعة رجال» قوله : «قال لى السولى سيدي عبد القادر العلمى انه مكث بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال او يزور الاربعة المتقاربة : سيدي ابنى العباس السبتى وسيدي محمد بن سليمان الجزولى وتلميذه سيدي عبد العزيز التباع وتلميذه مولانا عبد الله الغزواني ، او يقتصر على زيارة ابنى العباس السبتى (4) » وزاد ابن زيدان : «وقد لازم دهرنا طويلا زيارة ضريح المولى ادريس الاكبر وبالاخص يوم الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة ، و كان ذهابه لزروهون كل جمعة على أتان له وكان يتطارع على شريف تلك الاعتاب وينضرع الى مولاه فى تنوير سريره وصفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية ثم بعد مدة لازم داره وصار لا يخرج منها الا يوم الجمعة . وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمه واعتراه ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعوام ... ترك حتى الجمعة وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة اجد المسجد الشهيرة بمكناس (5) »

(I) ص 289 - 290

(2) الجزء الخامس من ص 336 حتى 352 (الطبعة الاولى - الرباط) .

(3) ، (4) ص 336 . (5) ، ص 336 .

وفد اعتمد في تحديد مدة جذبه على ما ورد عند الطبيب محمد غريبط - وهو من تلاميذ العلمى وملازميه - فى رجز له يسمى «رياض انس الفكر والقلب» قال فيه (I) :

والجذب معه نحو اربع سنين . . . وبعضنا به من المستنمين . . .
ومع ذا سائر الاداء . . . يصدع بالليل وبالنهـار
حتى قضى بقرب فجر الاسـن . . . ليلة يوم سادس وعشر . . .
وذهب ابن زيدان الى أن السلطان المولى عبد الرحمن كان «من خاصة
محبى المترجم ومعتقديه يذهب لزيارته كلما حل بالحصـر الكناسية ويستشير
فى كل مهم عن له ويقف عند حد اشارته ، وقد شاهد له كرامات وخوارق
عادات (2) » .

وقال عنه كذلك انه كان «سيدا حصورا لم يحتلم قط ولا عرف معنى
الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا فى صغره ولا فى كبره ، ولا يأكل
دسما ، جل قوته الخبز والزيتون . . . وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات
وأسرار وقصده وفود الزوار من سائر الاقطار (3) » .

وذكر له من مشايخه : (4) العارف السيد الحاج المختار البقال المتوفى عام
خمسة وخمسين ومائتين وألف ، وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجمل
دعين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف ، والشيخ بدر الدين ،
ومولاي الطيب الوزانى ، وسيدى محمد ابن أحمد الصقل المتوفى عام اثنين
وثلاثين ومائتين وألف . وذكر له من تلاميذه السيد فضول ابن عزوز والسيد
فضول السوسى والسلطان مولاي عبد الرحمن والسيد محمد غريبط والعارف
محمد بن عبد الحفيظ الدباغ والامام محمد صالح الرضوى وسيدى عمر
بن المكى الشرقى والسيد عبد الرحمن بن التهامى الادريسى الزرهونى
وسيدى لعربى بن السائح الشرقى دفين الرباط .

(1) ص : 337 . (2) المصدر السابق .

(3) ص : 339 .

(4) ص : 342-343 .

ثم تناول شعره فقال : «وما ينسب للمترجم من الازجال هو له حنيفة،
وتد كان له رواة يتلقونه منه ويكتبونه عنه منهم العلامة السيد محمد غريبط
والسيد الحاج قاسم بن المير والسيد الحاج احمد الدقيوق وغيرهم حيث أن
المترجم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ومع ذلك قد ضمن تلك الازجال من
أنواع فنون البلاغة وبنائات المعاني ما أخرس الفصحاء وأخجل البلغاء وودعها
من الحكم والمواعظ والامثال ما حير اولى الالباب وألزم المعاند الحجة . أما
تفصيلاته فقد أشرت بنسيم الله ووسيم الصباح وكلها أما في الحاضرة
لعنية أو السممة المموبة أو الاكابر من الزلياء راحة نحين ، شنشنة فطاحل
العرب والصحابة التابعين وسلف الامة رخصها المتقبن في تفصيلاتهم في
أشعارهم الفائقة الرائقة لا فيما يفهمه بعض الاوغاد من أنه في معنى لا يحل
حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك والحوم حول ولوج وخيم تلك
المسالك . ولو دون جميع ما قال من الازجال لجاء في عدة أسفار ولله منه
ما لعبت به أيدي الاتلاف ومنه ما مات بموت حفاظه ومنه ما أحرق على عهد
المترجم بأذن منه ، وما بقي إنما هو قل من كثر (I) .

وذكر له من شعره نماذج في موضوعات مختلفة ، أتبعها قبل أن
ينهى الترجمة بذكر ولادته ووفاته فقال : «ولد بمكناسة الزيتون سنة
أربع وخمسين ومائة وألف ... توفي عن مائة واثني عشر سنة بداره الكائنة
بقصر درب ابن العواد من مكناش في البيت يمين الداخل قرب فجر يوم
الاثنين ليلة سادس وعشرى رمضان المعظم عام سته وستين ومائتين وألف ،
كما صرح بذلك تلميذه غريبط المذكور في رجزه بقوله :

حتى قضى بفجر يوم الاثنين * ليلة يوم سادس وعشرين
من رمضان سته وستين * والف اثنى عشر مائتين ثنتين
وصلى عليه بجامع الزيتونة ودفن بدار والده التي صيرها زاوية فيد
حياته بحومة ابي الطيب (2) .

(I) ص : 340 - 341 .

(2) م 251 ، كذلك ورد في نسخة دغاته ، مكان دمنه في الاستقصا للناصبي ،

ج - ص 251 (الطبعة العربية) .

كذلك كتب عنه المستعرب بورى بحثا بيوغرافيا في مجلة هسبيريس (1) ذكر فيه أن سونيك نشر قصيدة للعلمي في «أغانى المغرب العربية» (2) هي المسجلة في الرقم الناني عشر ، وان فيشر في مجموعة الاغانى المغربية التي نشر (3) اورد له قصيدة في الارفام السابع عشر والسادس والعشرين والناصح والعشرين والرابع والثلاثين وان كان لا يذكر اسماء مؤلفي اغانى مجده عته . سم نزل كلام الناصري في «الاستقصا» عن وفاة العلمي وبعض ما جاء في ترجمة ابن زيدان له . كما هل من مؤلف للشيخ عبد الحى الكتاني كان اطلع عليه عنوانه «مواهب الرحمن» في صحبة القاضي أبى محمد عبد الرحمن» أن العلمي توسى في السنة السادسة والستين ولكن عن مائة وعشرين سنة وأنه كان على اتصال بقاضى الجن شمهروش الذى كان صديقاله وروى بورى عن شخص من فاس الجديد حكاية مفادها أن العلمي كان حاضرا في أحد الاعراس ، ورغب بعض المدعوين في الاستماع الى قصيدته «طامو ابهيح الخددا» ولكن المنشد لم يجزؤ على تلبية هذه الرغبة لانه كان يعرف أن صاحب القصيدة موجود وأنه لا يليق انشاد قصيدة غزلية فسى حضرته ، وعلم العلمي بالامر فاذن بانشادها مؤكدا أنه لا يعرف لا طامو ولا فطومة .

وختم المستعرب المذكور بفائدة عشر عليها فى كناش يضم قصائد للعلمي يقول كاتبها ان السلطان المولى عبد الرحمن اورد أن يعرف ان كان العلمي فى أواخر حياته مازال ينظم فبعث له وزيره سيدى محمد بن ادريس يطلب منه بعض قصائده تبركا ، وقابل الوزير اول الامر تلميذه محمد غريظ فأكد له أن الشيخ لم يعد يعنى بالنظم ، وكذلك قال العلمي نفسه للوزير ولكنه أبدى استعدادا لتلبية رغبة السلطان التى اعتبرها أمرا تجب طاعته وطلب من السيد غريظ أن يكتب ما يملى عليه ، وأخذ يرتجل القصيدة التى أولها :

- 1) M. T. BURET : Hesperis 1038 1er trimestre, dans : communications « Sidi quaddur El-Alami - Notes biographiques »
- 2) Sonneck : Chants arabes du maghreb
- 3) A. Fischer : Das liederbuch eines marokkanischen sangers (Leipzig 1918)

عشق لجمال طبع اغزير افمن هو البيب

ولعلنا من خلال هذه الاخبار ومن خلال ما يروى على السنة الاشياخ وعامة
الناس ، ثم من خلال ما وصلنا من شعره ، وهو غير قليل ، نستطيع أن
نتحدث عن العلمى من خلال خمس نقاط :

الاولى : أنه كان شاعر الحكمة الاول وفيلسوف الزجل دون منازع
ولكن يبدو للكثيرين أن فلسفة سلمية يائسة تقوم على التشاؤم من الناس
والحياة ؛ والواقع أنها ليست كذلك أو بالأحرى ليست دائما كذلك . حقا
اننا نجد روح التشاؤم تطفئ على العلمى فيرى أن كل أبناء جيله مطبوعون
بطابع واحد ، فشا فيهم النفاق والتحايل والخداع والرياء وانعدام الاحسان
والصدق والحياء والعرض والحسب ، وهى كلها علامات الخراب :

هاذو اشروط اعلامات التخراب

عاد النفاق امودا بين الناس الكبرا

.....

بالحيلة والمصانعا ولخدع عادت اخلاق اطبايعهم مقلوبا

.....

مندهبهم ندرية خممت اولاد جيلنا شاع بعضا وحدا مضروبا

شاع الريا ولحسن اغبر والصدق غاب

واترفع لحياء والعرض ولحسب

ويرى أن الصلحة غدت وسيلة للاغراض وأن من يصاحب شخصا

يريد أن يشمت فيه بمجرد أن تتاح له الفرصة :

ولات عند ناس اليوم الصلحة اسباب

الى اتخالطو يبغي يشمت فيك

.....

غير تركن لو يغدر فيك

ما يخليك داير كابوس لغدر فيك يتسناك

وهو لهذا يرى ضرورة معاملة الناس بالمثل :

من لا يخدع ويلاطف ويدارى لعدا ويرشى لخوان

ما يوجد حنى رايف فالرخما والشدة ابناونو يسبحون

ونكته لا يلبث أن يبدل في نظيرته فيرى أن الحياة لا تخلو من الحلاوة

والمرارة ، فيقول في قصيدة «الدار» :

به م شقوق وبود احمو ويوم زقوم ويوم مستعدل بين الطيب والزها

ويقول في «طامو» :

معلوم كيف ما دامت رخفا ما تدوم شدا

هذا امواجب احكام اصروف الدهر

بيود احلا من طعم التمر

ويوم كمثل الحنظل مر

سم ان فلسفته لم تكن دائما سلبية حيث نجده يقدم نصائح ايجابية

في أدب السلوك يدعو فيها من أراد السعادة أن يتحلى بخمس خصال ويتجنب

خمسا أخرى ، ن يتحلى بالصمت والعزلة والمسألة والقناعة وترك الملام ،

وأن يتجنب الحسد والكبر والجفاء وضيق الخلق والطمع :

من احفظ خمسا الحسنات حفظ محكام

أفيه رسخوا كرسخ الوشم انلمعاصم

الصمت والعزلة والهدنة وترك الملام ولقناعا من كاسبهم امن ابنا

يعتدل ميمونو والسعد له يستقام يرتفع بعد الخفض الهمة الضرا

ومن اترك خمسا السيئات ترك عزام من اجملت المحروم الى اعليه حارم

لحسد والكبر ولجفا وضيق لشيام والطمع بيت الدل امناصب لحشا

كل سيا من دا السيئات ضر سمم فاق سم الحيات الرقط السواد

الثانية : ان العلمى كان ينظم في الغزل ، ولكن الناس يذهبون الى أن

هذا الغزل غير حسى لم يقصده الى المرأة ، ويحاولون بذلك تأويله كقولهم

ان قصيدته «طامو بهيج الخدادا» لا يعنى فيها غير فاطمة الزهراء ، وقد سبق

أن لا حظنا (I) أن مثل هذه القصيدة لا يمكن أن يكون قالها فى بنت الرسول

وفيها مثل هذه الأبيات :

بتنا وبات الخمر يتزادا

(I) انظر نفس المرأة من كتاب النابى .

لا عدو لا واشى لا حراز احسيد
فبساط امحتفل مركادو
الكاس والشمع موقود
ليا ادراعها بات اوسادا
وريقها بات شرابي نرشفو الذيد
بشربو امن احلا تورادو
غفران ربنا موجود

ونحن حين نذهب الى هذا الرأي لانريد أن نشفي عن نعلمي حزننا،
وولايته ، ولكننا نريد فقط أن نجعل في حياته مرحلتين . الأولى مرحلة
عادية كان فيها يعيش حياة انسانية ، يحب ويستمتع بحبه ما أمكنه ، وفيها
نظم قصائده لغزلية والخمرية ، ولعل الشعر الذي ذكر ابن زيدان أنه
أحرق بأذنه كان صادرا عنه في هذه المرحلة . والثانية مرحلة زهد وانقطاع
عن الدنيا وابتعاد عن متعها ولذاتها ، وفيها نظم معظم توسلاته ومدائح
النبوية ومواظته ووصاياها .

ولعل حادثا ما لا نعلمه جعل الرجل يغير اتجاه حياته، وان كنا نستأنس
بما ذكر لنا بعض الاشياخ من أنه حين نظم قصيدة «المحبوب» وحربتها :
كيف ايواسى الى افرق محبوبو وبقي ابلا عقل في لرسام افريد
كيف اجفاني احبيب قلبي ما خلا غير صورتو وانعوتو واخيالو
أمن لا عمري انظرت زين اهل بدر ابخالو
عارضها أحد معاصريه - لا نعرف اسمه - بقصيدة في مدح الرسول
عليه السلام قال فيها :

كيف ايواسى الى عشق محبوبو وبقي ازيارتو لكن جاء ابعيد
وناكيف اعشقت سيدي العربي ما نهوا غير صورتو وابها جسمنو..
فكان لهذه المعارضة تأثيرها عليه ، آلى بعدها على نفسه الا ينظم في غير
الابتهالات والتوسلات والمواظد ومديح النبي والاولياء .
الثالثة : انه كان يقابل احترام السلطان له ومحبة اياه بغير قليل
من التمسك - يسميها - بمدح ومساندة حظه ووفاء لندرة العلوية . رمي

لاشعة على لشد عصبية التي يقول : « يا
عبد الوهاب المريح النص بالقصار » . فقد ادعته في الخطة ولجبايسر
وفيها يدعو السلطان لثمة التدين في حال العصر حيث يقول : «

أول اسم الخامس :

بالليل كسبه فلا يست ...
ولطفا بالأمه له سجد الشمر ...
حمار ادعه فدع ذريح لشد الم ...
ويظهر وفاء العبد لهذه الدولة وانه كان في فحمدة له دولة في
حربتها ناصحا بزيادة المسمى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ،
وكان عاصره كذلك .

لذا يجد شرف الامام السلطان بن عبد الله كوكب الغرب الجوان

وفي سويرجة لقسم الاول منها يقول

بسم الزاوي الشريفا ...
ولقد المجد للطف ...
وامح بمرارك للطف ...
يا حال السيد العفيف ...

المرادة : أن كثير من الأشباح الرواة يذهبون إلى أن بعض القصائد
التي نسبت للعجم ليست له وإنما هي بعض تلامذته أمثال الطبيب
له استمر (I) ومحمد بن هشام العلوي (2) ومنه في الممتلئ (3) ...
من أشباح مكنانه ، فمئذون ذلك لعمري ...

(I) كان من كتاب العبد ، وقد اشتمل سيرة ربيعة فعتبر أحسن سيرة
نظمت في «الهيم» ، يقول : «ألمها :

فصل الربيع قبل الوفات ...
وله كذلك قصيدة المحارب الذي يقول في حربها :
أنا فعارك سلطاني أوفى الزياتي ...
بأمن طاعوا لك بالقهرا لهنات

(2) اشتهر بقصيدة «أم كلثوم» التي يقول في حربها :
الايمنى فهو، اشبهت الدامي دعنى أو كف خلى أجوارحك اسليما
واعذر يا لايم حال المقروم

(3) له قصيدة في مدح السلطان المولى عبد الرحمن ، يقول في حربها :
صل اعطاك الله النصر يا عز الملوك ...

هما «الجافى» و «المزيان» .

أما الأولى فتقول حربتها :

رف ادا بل لعيان

يا بو حجين امعرقا وزينا

زر لعشيق يزاك امن التيهان ياغزيل بستانى

واما الثانية ، فتقول حربتها :

حن واشفق واعطف برضاك يالمزيان

لاسماحا ميعاد الله يالهاجر

وأخبرنا شيخ مكناس السيد بنعيسى الدراز أن بعض الشعراء كانوا حقيقة ينظمون وينسبون للعلمى ، ولكنه كان يقول فى حقهم داعيا عليهم بالفقر والمرض والموت على غير ملة :

«الى ايقولنى شلا قلت الله ايرزقو القلا والعلا والموت من غير ملا» .

وذكر لنا الشيخ الدراز كذلك أن الطيب الواسترى حاول أن يضيف

لاحدى قصائد العلمى الادريسية هذا العروبي :

ياناظر دا البيات بشعاع المقلات

اقراهم بالتبات تصطاب اكلامى

اتصيب من التقات على جيبك احلات

اتبين للدهات كالبدر السامى

مصيون عل لوشات بسيوف وحربات

مفهوم للدهات عراف انظامى

للحافظها احلات وللكاتب زهات

والسامعها ادوات

قالت افوهامى يوجب عنى انقول رحو العلمى

وعلم سيدى قدور بذلك فقال له فى انكار: «واش انا شكارتي اخوات؟»

يقصد : هل خوى وفاضه حتى يحتاج لغيره يكمل له . وفى هذا مايرجح أن

تكون القصيدتان المذكورتان للعلمى وليستا للواسترى كما يظن .

میر لغرام اساقی ھبج شوافی : نادیت یا حراقی یا بابـــــــــا
ہاڈ لمام الباقی یروی اذواقی : والوقت حن ایلای یا بابـــــــــا
ادا شرب الترانی : فسمیل هل لذواق یا بابـــــــــا

مخطوطة بمكتبة تطوان العامة تقع فى سفر متوسط ، وهو عبارة عن مجموع يضم رسائل الحراق وتقايدده وقصائده وشروحه لبعض كلام العارفين ، جعله المؤلف على خمسة أبواب وخاتمة :

الاول : فى الرسائل .

الثانى : فى الحكم .

الثالث : على التقايد على آى قرآنية وأحاديث نبوية وكلام بعض أئمة الصوفية .

الرابع : فى قصائده وتواشيحه وأبياته ومقطعاته مرتباً بذلك بحراً بحراً .

لخامس : فى شروحه لبعض كلام العارفين وذلك كالصلاة الشيشية والحزب الكبير لآبى الحسن الشاذلى وبعض كلام الششتري ونبذة من شرح الحكم العطائية .

الخاتمة : ذكر فيها بعض دعائه وقصائده مدحه بها بعض تلامذته .

ثم ان المؤلف صدر كتابه بمقدمة عرف فيها بالحراق قال فيها عنه أنه «العلامة القدوة الفهامة مصباح الظلام وحجة الاسلام شبح الطريقة ولسان الحقيقة شريف النسبتين ومفتى المذهبين الشريف الحسنى القطب الربانى أبو عبد الله ... محمد بن محمد الحراق» (1) وأنه كان «اماماً جليل القدر متضلعا فى علم الظاهر والباطن انتهت اليه فيه الرياسة مشاركا فى فنونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول بجميع فنونه. واما الادب والشعر كاد ان ينفرد به فى عصره قد شهد له بذلك كل من عاصره او خالطه أو وقف على كلامه (2) » .

وتحدث عن طريقته التى أخذها عن مولاي العربى الدرقاوى (3) فقال بأنه جعلها «بين شريعة وحقيقة حتى سهلها للسالك ونهجها فى

(1) ص : 1.

(2) ص : 2.

(3) أبو عبد الله محمد العربى الدرقاوى 1150 - 1239 هـ.

أوضح المسالك وأتى فيها بالعجب العجيب من علم الإشارة باللفظ بيان واوزن عبارة وكشف غوامض من اشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقته على أربع قواعد : ذكر ومذاكرة وعلم ومجبة (1) « وقد أخذ هذه الطريقة عن الحراق » خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس وأهل الاعتناء بدينهم من حاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كنذر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمدامر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان . واما شفشاون فكاد أهلها كلهم ان يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده الى ان بلغ الى الرباط مع أنه لم يصلها بنفسه (2) . واستمر يدعو الى طريقته « الى أن توفي ... يوم واحد وعشرين من شعبان سنة احدى وستين ومائتين وألف ، فتحصل ان مدة عمره ثلاث وسبعون سنة .. وفي رواية عن بعض ملازميه ان عمره خمس وسبعون سنة (3) .

وللحراق ديوان صغير (4) متداول يضم سبعة أرجال وعددا من الموشحات والقصائد المعربة ، وهي في أغلبها مقطوعات قصيرة في حب الرسول عليه السلام والتغزل في حضرته والسكر من خمرة ، أنشأها لاشك لتتشد في مجالس الذكر وحلقاته ، على حد قوله في ذكر الحبيب وان حبه يشفى من داء الاوهام ويضئ الوجود ويجلي ظلمة الحب :

الحب احقيق للقلب ادوا ❖ يشفيه امن اسقامو اوهام—
به لوجود كلو يضـوا ❖ من غسق لهوا وظلام—
وعلى حد قوله كذلك وقد تم له الوصال مع حبيبه وأشرق نور بهائه فسي كل شيء :

(1) المصدر السابق .

(2) ص 10 وتجدر الإشارة الى أنه توجد بالرباط زاوية يطلق عليها «الزاوية الحراقية» يجتمع فيها فقراء هذه الطائفة وهم فرقة من درقاوة .

(3) ص 12 ونشير الى أن السيد التهامي الوزاني ذكر الحراق في اماكن متفرقة من كتابه «الزاوية» (مطبعة الريف تطوان 1942) ضمن منشورات مكتب النشر .

(4) توجد منه طبعتان : احدهما على الحجر بفاس ، والثانية من نشر وتوزيع مكتبة المعارف بمكناس .

جـاد اعلـيا برضاہ

لحبیب الی حبیبؔ ۞ زارنی وانعم لی ابلوصال

حین اشرق نور ابہاء

کل شی بالقہر انسیتؔ ۞ یا ہلی عقلی اذا شفتسوء زال

ما بیا غیر اہواء

ومن قوله فی الخمر الصوفیة :

اغنم کاس الراح ۞ ہاحبیبک زار

اسبق او دور ۞ انسف الشرور

طول الدهور

صل الشراب ۞ فالنکد غاب

والخبر صاب

رشف لکواب ۞ امع لحباب

عین الصواب

فازہا فیامک ۞ لری اتعیش انہار

نظرا فالحبیب تمحی کل اجرایم ۞ والرحمن اکرم یالی نرجسہ

اذا مارضی ماتنفح اعزایم ۞ لوبعمال الخیر کلہا تلقسہ

أما موشحاته فمنها هاته التي يقول في أولها :

زال عن قلبی تولہ الفنا ۞ وصفا أمری

اذ غدا لی کل ربع وطنا ۞ وانتفی نکرى

کل ماء قد حوتہ شربتی ۞ فأنأ ریان

لست یوما أحتسى من خمرتی ۞ وأنا نشوان

من رآنی ثابتا فی حیرتی ۞ ظننی وسنان

وأما قصائده المعربة فأشهرها وأطولها تائيتها التي يستهلها بهذه الابيات:

أتطلب لیلی وهی فیک تجلت ۞ وتحسبها غیرا وغیرک لیست

فذابلہ فی ملة الحب ظاہر ۞ فکن فطنا فالغیر عین القطیعة

ألم ترہا القت علیک جمالہا ۞ ولو لم تقم بالذات منک اضمحلت

تقول لها اذن وهى كلك ثم ان ٭ حبتك بوصل او همتك تدلت
عزيز لقاءها لا ينال وصالها ٭ سوى من يرى معنى بغير هويّة

التهامى المدغرى المسعودى

أصله من امدغرة بتافيلالت كما هو واضح من اسمه ، ولكنه نشأ وعاش
فى مدينتى فاس ومراكش . وكان صديقا للامير سيدي محمد بن عبد
الرحمان وملازما له أيام الدراسة ثم حين ولاء أبوه الخلافة ، ولكنه لم
يدرك عهد سلطنته لأنه توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف قبل أن يتولى رفيقه
الامير الملك بأربع سنوات (I) .

وقد بلغت الصحبة بين التهامى المدغرى وسيدي محمد بن عبد الرحمن
حدا من العلاقة جعل المولى عبد الرحمن يضيق بها ويخشى منها عليه أن
تفت فى تربيته وسلوكه فلا يقدر على تحمل أعباء الملك بعده . ويحكى أنه
سأل مرة أحد وزرائه ان كان ابنه مجدا فى دراسته فأجاب بأنه «بين الشقى
والعاصى وملذ المعاصى» يقصد بالشقى مولاى السعيد وبالعاصى أخاه مولاى
المطيع وبملذ المعاصى صديقه التهامى المدغرى ؛ ويروى تكملة لهذه
الحكاية أن المدغرى علم بها فاغتنم مرة كان فى حضرة السلطان وحاول
بلباقة أن يجعله يثير الموضوع ليرد عليه ويصحح ما وصفه به الوزير فقال :
«بل أنا ملذ المعانى يا مولاى» .

وتتجلى هذه العلاقة واضحة فى غير قليل من القصائد قالها المدغرى
فى صديقه الامير ، منها قصيدة «غزيل» التى يقول فى حربتها :
دام الله اجمال صورتك ياشادى ٭ انت اعنايتى وامــــــــــــــرادى
اغزيل يا سالب من جا ايصيدو ٭ زنجار فى عين حاسدى سيدي محمد

(I) فى «اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» لابن زيدان
(ج 3 ص 575) أنه توفى بفاس ضحوة يوم الاحد 2I محرم 1273 ؛
وقد ذكر لنا الاستاذ عبد السلام بن سوادة أنه سجل فى وفياته المسماة
«اتحاف المطالع» أن المدغرى توفى سنة 1271 .

ولم يكن المدغرى ينظم فى الزجل فقط ، وإنما كان ينظم فى الشعر
المعرب كذلك . قال عنه المشرفى فى «الحسام» مبرزًا مكانته عند الأمير ومدى
ذبوع شعره : «هو الشاعر المفلح الحائز لفصاحة المغرب والمشرق ، ملحوته
من الهموم يبرى ، وموزونه على أبحر الخليل يجرى هو والله واسطة عقد
الدهر فنى صناعة الشعر الملحون والموزون ، كان بهما يسلى قلب المحزون ،
شاعر تاج الدولة العلوية المنسوب اليه والمشهور به لانه الذى جذب بضبعه
ورفع من قدره وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار شعره فيه سير الشمس
والقمر وطار كلامه بالملحون فى البدو والحضر وكادت الليالى تشده والايام
تحفظه «I» .

ثم ذكر له من شعره المعرب قصيدتين طويلتين (2) فى صديقه
الامير :

الاولى قالها حين ختم جامع البخارى ، مطلعها :

حديثى غريب عن تواتر لوعتى * وأمرى عجيب عن غرامى بميتى
روته عدول عن تلاق وسجلات * سجدولا بأخدود الخدود وأدت
وأثبت قاضى الوجد رقى بجيرتى * وقد كان رقى ما نويت بهجرتى

وفيهما يقول متحدئا عن البخارى :

تراجمه كأنما النخل أينعت * قلائدها لم ازد هت وتدللت
وأحكامه الوفاة التبر أحكمت * يداها لعمري منتقى كل حكمة
الا فاضربوا أكبادكم لصحيحه * وجدوا كما جدت مطى الاعنة
والثانية أنشأها بمناسبة ختمه كتاب اقليدس (3) سنة 1271 ، يقول

فى أولها متحدئا عن الهندسة :

برزت على قدر لنا أشكالها ! * من خدرها فى طيها أشكالها

(1) ص 380 - 381 (المصورة 1207)

(2) الاولى واردة فى ص 381 - 382 - 383 (المصورة) والثانية فى ص 271

272 - 273 من المخطوطة ك 2276

(3) وهى واردة كذلك فى «اتحاف أعلام الناس» (ج 3 ص 575 - 576)

وحكت مقالتها المقادر بعدمها * صحت نتائجها وصح مقالها
 أشكالها تحكى قباب محللة * تحت الخليفة خيلها ورجالها
 أوخلتها شجرا صغيرا مثمرا * فاجن الثمار ولو أبت عدالها
 أوخلتها خيلا بدت عريضة * برباطها قبل العدا أبطالها
 ما شئت من قوس رنت أوتارها * ترمى البغاة سهامها ونصالها
 رنت وأنت نسي فنا أفكارها * وحمت مناشرها الحما ونضالها

الى أن يقول :

فانظر لهندسة تلاشى حصنها * لولا الخليفة ما بدت أضلالها
 لولا الخليفة بثها فى غربنا * غربت ضعيفة شمسها وخيالها
 وعلى هذا النحو يستمر فى إبراز ولع الخليفة بالهندسة وحيائه لها
 ولعل شهرة المدغرى فى الزجل طغت حتى غطت على ما سواه ، وهى شهرة
 لم يدركها غيره حيث كان يعتبر شاعر المرأة والخمر الاول ، ليس فى هذه
 الفترة فحسب وانما فى كل فترات الزجل ، ويعتبر بالتالى أكثر الشعراء
 قبولا لدى الجماهير ، وهى ظاهرة جعلت كثيرا من قصائده يصل إلينا سواء
 عن طريق الرواية أو التدوين ، على أنه من المؤكد أن بعض شعره قد ضاع
 أو اختلط مع شعر غيره لانه لم يكن يذكر اسمه فى قصائده . وقد سبق
 أن رأينا (I) فى سبب ذلك أن صديقه الامير كان ينظم الزجل كذلك وكان
 لا يريد أن يعرف ذلك عنه ، ولعله كان يخشى من والده ، فاتفقا على ان
 ينظما القصائد دون ذكر الاسم على غير عادة الزجالين حتى تنسب كلها
 للمدغرى ، وهذا ما يجعلنا فى ريب من أمر غير قليل من شعره ، فليس من
 شك فى أن بعضه من انتاج سيدى محمد بن عبد الرحمن ؛ فقد ورد أنه
 «برع فى نظم الازجال وفاق ، يأتى بالتخييلات العجيبة والتشبيهات البديعة
 والنوادر» (2) وقد تنبه بعض الاشياخ لذلك وحاولوا تحديد بعض هذا

(I) انظر الجزء الثانى من الفصل الثالث من باب «الشكل» .

(2) الاتحاف ج 3 ص 368

الانتاج ، فذكروا منه قصيدة «عزبا وشابا» (I) فانهم لا يرونها للمدغرى
- وان نسبت اليه - ويقولون ان سيدى محمد بن عبد الرحمن نظمها على
اثر زيارته لاضرحة فاس عشية يوم جمعة وكان قد شاهد فى طريقه بزقاق
الحجر فتناثرت تطلان من شباك . وهذه القصيدة تقول حربتها :
أنا عشيت الجمعا شاب أشبابى * هلكتنى عزبا وشابا
من شاهدهم يسخا بشبابو

ومثلها قصيدة «الزهو» التى يكاد يجمع الحفاظ على أنها لسيدى
محمد وليست للسى التهامى ، وهى التى أولها :
الزهو فى طبلا حسن * لبرارد زوج وكيسان
لونهم يهوانى * احكيتهم خرجت بلعمان
ولسنا فى حاجة الى الكشف فى هذا الفصل عن شعر المدغرى ، فقد
بسطنا عنه القول فى باب الموضوعات ولا سيما ما يتصل منها بالمرأة والخمر ،
ولكننا - تماما لذلك - نضيف بعض الجوانب عساها تكمل التعرف اليه .

أولا : كان المدغرى ولوعا بقافية الحاء الى درجة لقب بـ «حياح الحاء»
ويحكى أنه سئل عن ذلك فأجاب بأن هذا الحرف يجسم كل أحوال الانسان
وأنه - قاسم مشترك بين المتعة والالم لان الانسان اذا ارتاح أو التذ قال :
«أح» واذا تألم أو تعذب قال «أح» كذلك ؛ والامثلة على ذلك أكثر من أن
تعرض ، فجل قصائده على هذه القافية ؛ ونكتفى بالاشارة الى قصيدتين :
الاولى «فارحا» ، وفى حربتها يقول :

دسنى تحت لخلال بين ادروعك لملاح
واللبا والسدواح وانهداتك تفاحا
خفت ايشوفونى ايجرحونى يا فارحا

الثانية «رابحة» وفى حربتها يقول :

(I) وتسمى كذلك : «عشية الجمعة» .

زين الدواح عطفى بالغزال رابحا

يا عين الدامى السارح أطاوس فادواح

يا بدر اضوا ابكوكب اوضيح

وقد دفعه ولعه بهذا الحرف الى أن يتخذ منه قوافى داخلية ، كما هو واضح فى الحربتين ، بل ان هذا الولع جعله يقع فى عيب من عيوب القافية (I) ، وهو ألا يكون حرفها موحيا بالموضوع ، ويتبين لنا ذلك من قصيدته «زينب» التى يقول فى حربتها :

زينب كنزى وارباحى * زينب للقلب اصلاحى
زينب زهوى وافراحى * زينب للسعد افراحى

فقد كان لازما ، حتى تسلم القافية من هذا العيب ، أن تكون على حرف الباء ، ولكنه أتى بها حائية . ومثلها كذلك قصيدة «طامو» التى يقول فى حربتها :

نصرو رايت لكفاح بو وجنات الوضاحا

والشاما والخال والشفير والغنج الدباح

طامو يا قوت الروح

فهى على حرف الحاء ، وكان يجب أن تكون على قافية الميم .

ثانيا : سبق (2) المدغرى الى «النشب» (3) وهو استهلال البيت بكلمة أو شطر من البيت السابق عليه ، ويتمثل فى قصيدته «فارحا» على حد ما يقول فى القسم الثانى منها :

رفدى ياللا الطايح * بهواك اعيابقولت أح
ما بين الهيض والنواح * سرو بين لحسود بايـح
كدامك يالمالحا

سرو بين لحسود بايـح * يا كنز الكنز والرباح

(I) انظر الجزء الخاص بالقافية من آخر فصل فى الباب الاول (قوافى صيادية)

(2) على ما نعلم .

(3) انظر الجزء الثانى من فصل «اللغة والفنية» بالباب الاول .

ياروح الروح والنجاح * يا دامى فالفجوج سايح
بين ازهارو' اللامحا

يا دامى فالفجوج سايح * كمن مغروم بك ساح
حس الخلخال به صاح * صاح الخلخال والدواوح
فى تحياح لمكابحا

صاح الخلخال والدواوح * من حسو ما يلى انجاح
ما ريت الغاه فاكبحاح * فالليل ايهيج اللوافح
وسط المهجا الهلاقحا

فالليل ايهيج اللوافح * ما يقبل غالهوى الحاح
رحمى يا رايس للاح * رحمة الله الذى ايصافح
ويدارى بالاصافحا

ثالثا : كان المدغرى بارعا فى نظم السراب ، ويحفظ الاشياخ
منها سراة يعتبرونها من أروع ما نظم فى هذا الفن ، يقول فى أولها :
أنا الى ابلغرام قلبى مجروح * ولهوا منو فانى ما جبرت راحا
أش اعمال انبات مجروح انوح * طول داجى وادموع انواجلى سياحا
من فلكد الى اهويت نعت الدبدوح * ياترى تعطف لى واتجود بالسماحا
رابعا : يظن الكثيرون أن المدغرى لا ينظم الا فى الغزل
والخمريات ، ولكننا وقفنا على بعض قصائده فى غير هذين الموضوعين ،
نذكر منها :

I - قصيدة «ربيع النبوى» نظمها فى ذكرى مولد النبى عليه السلام ،
يقول فى حربتها :

لله الحمد جاد من هو فتاح * فاتح البيان ايفتاحو
مفتاح الخير والرضا والرحما الفتاحا

2 - قصيدة فى مدح «العروة الشريفة» يقول فى حربتها :
ابهاك اشهد لجباحك * صفى امصفيا واصفيا من برهمان
شهدا من طيب امصالك * شهدا امصفيا من نسبا قرشيا
3 - قصيدة فى مدح الاشراف ، يقول فى حربتها :

غاراً مولاي ادريس بن ادريس أمفتاح الغرب والشريف الفيلاي

سيدي مولاي على الشريف الينبوع خصال

وقد استطاع المدغري بهذا وغيره أن يشغل عصره ويغطي على كثير

من الاشياخ الذين عاصروه ، نذكر منهم :

I — ابن ابراهيم : وهو من مراکش ، وقد اشتهر بقصيدة «مباركة»

التي يقال انه رمز بها لمكة المكرمة ، وفي حربتها يقول :

حرمت نعم لغنى المالك ❖ ديري ياللا امعاك

شرع المولى ايلا اهداك

نستحسن في ابها اجمالك ❖ أمولاتي امباركا

2 — الفقيه ابن الفاطمي المراكشي : ذكر لنا الشيخ محمد بن عمر

المراكشي أنه كان صاحب كتاب قرآني بحى ازبظ بمراكش . وقفنا من

زجله على قصيدتي «الرياض» و «الجافي» .

3 — الرجراجي : وقفنا على غير قليل من قصائده .

4 — الحاج عبد الفضيل المرينسي المكناسي : وقفنا له على قصائد

«جمهور الخودات» و «المحبوب» و «الفصادة» ، وكان تلميذا

للنجار على حد ما يصرح به في القصيدة الاولى حيث يقول :

واسمى معروف الحاج عبد الفضيل المرينسي الا اخفات اخبارو

الذكي تلميذ النجار

5 — علال الكحيلي المراكشي : يقال أنه كان شيخ الاشياخ في مراکش،

له قصيدة «زهور»

6 — محمد الحبابي الفيلاي : اشتهر بقصيدتي «مباركة» و «خنائة» .

7 — محمد الشاوي : من أشياخ فاس ، وقفنا من قصائده على

«الحراز» و «صارم الطعن» و «عيشا» و «الوصاية» وقصيدة خامسة في

الهجاء .

8 — الطاهر فعيص : لعله من مراکش ، لم نقف من شعره على شيء.

9 — الجيار : ولعله من مدينة الرباط .

10 — الفقيه القريعي .

- II - أحمد امريقق المراكشي : ذكره الادريسي في «كشف الغطا» فقال انه كان شيخ الاشياخ (I) له. «زينب» و «راضية» و «وآمنة» . ذكر لنا بعض الحفاظ أنه كان من العلماء وأن له قصيدة «الخادم والحسرة» وقصيدة «بستان الفكر» يقول في حربتها :
دير الوجهك امرايا شف صنعت الله
- I2 - أحمد ابجيوات : وقفنا من زجله على قصيدتين : «عرصة الرضا» و «فاطمة» .

I3 - أحمد بن علي الغنيمي : ترجم له محمد الكانوني في «جواهر الكمال في تراجم الرجال» - وهو القسم الثاني من «تاريخ أسفى ومسا اليه -» فذكر أنه «كان أستاذًا حافظًا للقراءات السبع عارفا بأحكامها معروف الصلاح مشهور الاحوال من رجال الفضل والدين والسماحة ، له قصائد ملحونة (أزجال) منها ما هو فى المدح النبوى ، ومنها ما هو فى أحوال الزمان الحاضرة والمستقبله ... توفى حوالى سنة 1290 ودفن بمقبرة أسلافه» (2)

أحمد الكندوز

من كبار أشياخ الزجل ، وهو من الرباط ولكنه انتقل الى فاس حيث أقام مدة طويلة . كان يعيش فى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه سيدى محمد أى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، ويثبت لنا ذلك أن له قصيدة يرثى بها مولاي عبد الرحمن ، وهى التى يقول فى حربتها:
الله اعظم اجرنا واجركم يالاسلام فالشريف العلوى
ينبوع الحلم وعلم نعم مولاي عبد الرحمن
وقد امتدت به الحياة حتى أوائل القرن الرابع عشر حيث عاصر الغرابلى والتركماني على حد ما يثبت هجاء هذا الاخير لهما فى أواخر قصيدته «الداعى» حيث يقول :
وللمشيخ الكندوز اخرج فعراضى نحسبو اعقيل وامودب ذوقى صارمو اصقير
واحمد لغرابلى افشر لين منو سمعت لعراض او قالوا
وقد شرح لنا الشيخ محمد بن عمر سر هذا الهجاء فذهب الى أن

(1) ص 113

(2) ص 25 - 26 (المطبعة العربية - الدار البيضاء) .

الغرابلي حين خاطب التركماني بقصيدته التي حربتها :

يالداعي بالعرف اصغ الهل العلم افما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

لم يصرح باسمه فيها أول الامر وشيع أنها للكندوز ، ولكن التركماني

عرف أنها للغرابلي فجمعهما في الهجاء . ولم يصف الغرابلي اسمه الى

القصيدة الا بعد أن كشف الامر . وقد علل الشيخ ابن عمر محاولة التستر

هذه باحساس الغرابلي بالضعف والخوف من الشيخ المدني .

ويحكي الاشياخ أنه قيل مرة للكندوز : «انك تنكر فضل ابن علي ،

ولو كان حيا لما جرؤت على ذلك» فقال ينصفه :

قالوا تنجحد ابن علي وشهدو بعقود الزور

ونا لو جبرت الزاد كل يوم انجدد لمزارو

واجب لو يزار .

وربما كان في هذا ما يدل على أنه أدرك ابن علي العمراني وتلمذ عليه.

وقد اشتهر الكندوز في فنين :

أولهما : التضمين والتجنيس .

فقد كان أبرع الشعراء في استخداهما حتى قيل عنه أنه «رايس

التضمين والتجنيس» . أما التضمين - وهو جعل القافية على أكثر من

حرف - فيظهر في قصيدته «غاسق لنجال» وهذه حربتها :

أيا غاسق لنجال عذبتني بالتيه يا شماللي

زر رسمي يا مول الخال كم لي نرجا لوصال

يقول في أول القسم الثاني منها :

احكم ابتيهانك ياالخليل

لكن بعد التيهان جد واعطف

قلبي امعاك نخطف

نبغى ابهاك نقطف

نقطف من الورد الناسم

وانقبل الجبين الواسم

وانقول يا رفيع الاسم
لنا اسمائك احباب

ويظهر كذلك فى قصيدته «البتول» التى حربتها :

كبل يا رقاى للرضا واحتال * لوصول بوشفر قتال
لسرواح تـال * حسن ابهاها لالا البتول

وأما التجنيس فيتبين من قوله فى القسم الاول من «غاسق لنجال» :

بجفاك عمدا لى عدت انجيل

ما شفك تعذابى اولا امحانى

سيف لجفا امحانى

لعباد لامحانى

فامحانى الاولى جمع محنة والثانية من المحو والثالثة من الملح (I) .

الثانى : ذكر احماشة .

وهى قصائد نظمها لينشدتها «حمادشة» فى حلقات ذكرهم ، ويطلق عليها «الدراع» ويحكى الاشياخ فى تعليق هذه التسمية أن الكندوز لم يكن يعتقد فى الطائفة الحمدوشية أو غيرها من الطوائف الطرقية ، ولكن كان له ولد ينتمى لهذه الطائفة ورآه يوما يمر فى استعراض الطوائف فى حالة حماس وجذب فأخرجه من الصف وحاول منعه من الاستمرار فى هذا الاستعراض ، ولكن الولد استطاع أن يفلت من أبيه ويعود الى ماكان فيه . أما أبوه فأصيب للحين فى ذراعه التى ظلت مريضة منتفخة تنته من القيح الى درجة أنه اضطر - لشدة الرائحة الكريهة التى كانت تصدر منها - الى ان يعتزل الناس فى غرفة عالية . وذات ليلة صعد اليه فى الغرفة مؤذن جامع الحى - وكان حمدوشيا - وضربه على ذراعه فكان فى هذه الضربة شفاءه ؛ ومنذ ذلك الحين تراجع عن رأيه بالنسبة لهذه الطائفة وبدأ ينظم القصائد للحمدوشيين . والاسف انا لم نوفق فى الوقوف على نماذج من هذه القصائد .

محمد الموقت

من أشياخ مراکش ، ولعله والد المؤرخ ابن الموقت صاحب «السعادة

(I) انظر الجزء الاخير من الفصل الذى من باب «الشكك» .

الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشنية» . ويبدو أنه كان معاصرا للعميرى حيث وجدنا فى الكناش الذى وردت فيه زازيته المعروفة بـ «الساھى» تعليقا على هامش الحرية كتب فيه : «على قصيدة الموقت» (I) كأنها قيلت فى معارضتها أو الرد عليها . أما الحرية فيقول فيها العميرى :
اشروط عل لتقلب بشرا مقلزا ❧ أوجوه اصلاب ولقلوب افتكريز ولجيا انزا
والمسكين بين لشواق كيتحزا
وقد اشتهر الموقت بجفرياتة، وخاصة قصيدته «الزازية» التى يقول
فى حربتها :

أسايلنى انفيدك ابكافر باريز ❧ استفد أكن عابق واتبع الغرزا
وله كذلك من الجفريات عربى مشهور تحدث فيه عن الواقع المؤلم
الذى أصبحت عليه الاحوال ، يقول فى أوله
سبحان الله صيفنا ولى شتوا ❧ وارجع فصل الربيع فالبلدان اخريف

مولاي على بن أحمد شقور الحسنى العلمى

ذكر لنا السيد هاشم السفينانى الشاونى أنه ولد بالشاون «شفشاون» سنة ثمانية وعشرين ومائتين وألف وأنه توفى بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف حيث دفن بزاوية تعرف باسمه لازال أتباعه يقيمون بها حلقات ذكر كل يوم جمعه . وذكر لنا كذلك أنه كان نساجا ويمارس الفلاحة والبيطرة فى نفس الوقت وأنه كان ولوعا بالطرب يعزف على آلة الكمبرى . وحين زار السلطان مولاي الحسن الاول مدينة الشاون سنة سبع وثلاثمائة وألف أعجب بالشيخ شقور فاستضافه مع عشرة من رفاقه المطربين مدة تسعة أيام فى قصره بفاس ، وأهداه وصيفا وكسوة وبغلا وخمسمائة ريال وأخرج له مردود «قاعة» (2) الشاون ، كما أهدى كسوة لكل من رفاقه . وكان الشيخ شقور يطعم من هذا المردود فقراء المدينة كل سبت حيث يقدم لهم الخبز «والبيصارة» (3) بالزيت .

(I) انظر الكناش المخطوط بخزانة الرباط العامة رقم : I65 قصفحة 509

(2) السوق الخاصة يبيع السمن والعسل والزيت .

(3) شربة الفول ، وينطقها أهل الشمال بفتح الباء.

ويعتبر مولاي على شقور من كبار أشياخ الزجل فى الشاون ،
وقد ترك وردا لاتباعه وديوانا صغيرا يضم أربع عشرة قصيدة ومقطوعة
معظمها فى الذكر والشوق لحضرة الرسول عليه السلام والسكر من
خمرة . وقد تفضل السيد السفينى فانتسخه لنا عن مخطوطة لديه .
ومازال أتباعه فى الزاوية ينشدون هذه القصائد ويذكرون بذلك الورد .

يقول فى احدى مقطوعاته :

بسم لكريم نظرا فيكم	❖	وهو الحاكم فيكم
سبحان امن اتجلى فيكم	❖	كريم الا اينوم
لا تصحب من لا ايدوم	❖	لا بد ايفر بك النوم
يا وافي كل مظنون	❖	يا معاهد لفنون
ما بين الكاف والنون	❖	اذا يقول كن اكون
لا اله الا الله	❖	لا اله الا الله
والله بالله يا لله	❖	ما يكون غير ماكون الله

ويحفظ أشياخ الشاون قصيدة فى مدح مولاي على شقور من نظم
محمد العملى ولد زيطانة ، يقول منها فى نفس جفرى :

مولاي احمد اعلا امقامو	❖	اهدى اهديا امن امكانو
امحابق من اشغلنا	❖	موكا ولات ابلقفاطن
هل الضلعا اتغنمو	❖	فالصولا ارجعنا للحراطن

كذلك يحفظون فى مدحه قصيدة معربة لعبد الهادى الصقلى ، يقول
فيها :

وتحية أنسية قدسية	❖	تهدى مع الرضوان فى المنشور
لفريد هذا العصر قطب زمانه	❖	ووحيد بالمنصب المشهور
بحر المعارف والعوالم شمسها	❖	من أشرقت أسراره كالنور
ذاك الوالى الواصل الفرد الذى	❖	حاز العلا مولى على شقور

شاعران من شفشاون

أخبرنا عنهما صديقنا الدكتور عبد السلام الهراس :

الاولى : الشاعرة التوردانية

وهى ابنة الفقيه التوردانى (I) الشفشاونى ، كانت تعيش أيام سيدى محمد بن عبد الرحمن وعمرت حتى أدركت عهد الحسن الاول ، وكانت تنظم الشعر ملحونا ومعربا ، وكانت متزوجة بالسيد أحمد بوجنة . ومن أبياتها فى مدح امرأة ريسونية اسمها العزيزة بنت أحمد ، وكانت جميلة وغنية :

للا عزيزا يابنت احمد ❖ يابنت الجاه العالى

الثانية : الشاعرة الوردية

من اسرة الوردية ، وما يحفظ لها قصيدة فى مدح سيدى محمد بن الحسن الريسونى المتوفى سنة 1131 هـ تقول فيها :

القطب لهمام ❖ شافتو عينى افلمنام
لابس لحريير ❖ دايرتو خضرا

أحمد بن على الدكالى السلاوى

ترجمه والدنا حفظه الله فى الجزء الاول من كتابه : «أعلام الفكر المغربى المعاصر فى العدوتين : الرباط وسلا» فقال انه : «كان ذا زهد وورع وتعفف مع أدب وفكاهة، يحسن علم التوحيد ويتقن التلاوة ، وله معرفة بالملحون على اصطلاح أهله .. وهو جد المؤرخ الكبير أبى عبد الله محمد بن على الدكالى .. أخذ عن جماعة كالعلامة العربى أحضرى والعالم أبى عبد الله ، وكان أديبا متقنا ، توفى عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف» (2) .

وأخبرنا الشيخ بنعيسى الدراز أن ابن على كان من كبار زجالى عصره وأنه كان من جلساء السلطان الحسن الاول وأنه اشتهر بقصيدته «زينت الغبا» التى يقول فى حريتها :

يا زينت الغبا حزت من لغزال الركب

يا توكت الركب نسل لقراهب

زينك ورانا اعجائب واستولى ابلحكام عل لقلوب .

(I) اندثرت هذه العائلة من شفشاون . (2) مخطوط المؤلف ، ص 51 .

الحاج ادريس بن علي السناني لحنش

أكبر شعراء الزجل بعد التهامي المدغرى ، كان ينظم في كل الموضوعات فيجيد على ما يبدو من النماذج المتعددة التي مثلنا بها من قصائده في «باب الموضوعات» ؛ وأغلب شعره محفوظ . وهو من العلماء المؤلفين ، له رسالة بعنوان «المقامة المغنية عن المدامة المسماة بروضة المنادمة والايناس في لطف محاسن وادي فاس (I) ، وله كذلك ديوان من الشعر المعرب أسماه «الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح (2)» نقتطف منه قوله في مدح آل البيت (3) :

بربك هل تحت ظل السماء * أناس كأنجمها ذلى السماء
وأبهى من الشمس وقت الضحى * ومن دارة البدر حال الضياء
سوى آل فاطمة اذ لهم * لباب المعالي وكنه العلاء
فمن مثلهم في الورى «منصبيا» * أما قدرهم والسماء ذو استواء
وان شئت قل قدرهم فوقها * تكن قد أصبت مرامى السماء

(I) تقع في ثمانى صفحات مطبوعة على الحجر بفاس .

(2) فرغ من جمعه سنة 1316 هـ ، عدد صفحاته ثمانية عشرة وأربعمائة تضم احدى عشرة وثلاثمائة مقطوعة وقصيدة مرتبة على حروف المعجم . توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة الرباط العامة رقمها 1678 ، وهى بخط ابنه محمد الرضى السناني ، انتهى من نسخها سنة 1327 . كذلك أورد له ابنه المذكور مقتطفات من شعره فى كتابه «الشذرات» المسمى «التقاط الفوائد وغرر العوائد» وهو مطبوع فى جزءين بمطبعة بوشنتوف فى الدار البيضاء (ص 28 من الجزء الاول وص 39 - 143 - 156 - 163 - 164 من الجزء الثانى) وقد وردت له أيضا قصيدة تقريظية بآخر كتاب «الابتهاج بنور السراج» وهو شرح للسيد أحمد بن المأمون البلغيشى على منظومة سيدى العربى بن عبد الله المسارى (ص 228 - مطبعة محمد أفندى مصطفى بمصر سنة 1319 هـ) والقصيدة موجودة بالديوان كذلك من ص 225 الى 229 وهذا أولها :

شرحت سعاد صدورنا بمزار * فبدت محاسنها بلا أستعار

(3) ص : (IO) .

وقوله متوسلا الى الله (I) .

يارب عاملنا بعطف شامل * بصباحه ليل المكاره يدمغ
يا رب ألبسنا لباس سلامة * من حفظك الكافي علينا يسبغ
يا رب هب أمانا لنا ووقاية * ننجو بها وحمى أمانك تبلغ
انا تشفعنا بأعظم شافع * قد فاز وجهه فى حماه يمرغ

وقوله متغزلا (2) :

يا رب سائلة الاعراف غانية * مليحة من ذوات المجد والحسب
غزاة قد غزا الاكباد ناظرهما * بصارم سل قصد الفتك والعطب
تخال كالرمح أو كالغصن قامتها * تلفعت بلباس الحسنى والادب
.....

جاءت تميل بكاس الراح قائلة * أجب لكأسك يا ادريس واقترب
فأطربت بلذيد اللفظ واحتجبت * فغاب عقلى لما قد نلت من طرب
حكى لنا بعض الاشياخ انه كانت للحاج ادريس مساجلة مع شيخ سلا
عبد الرحمن بن حمدوش أثناء زيارته لفاس حيث استضافه جماعة من
الاشياخ كان من بينهم الحاج ادريس ، وهو الذى «قام» (3) الاتاى ، ولكنه
حين وزع الكؤوس مد للضيف كأس «التشلية» (4) فسكت ابن حمدوش
ووضع الكأس بجانبه ونظم قصيدته التى حربتها :

من دق الباب * ما يليه غير اجابو * غربه من جابو

من ضرتو الضرسا جا الكلابو

ويقال ان كل الاشياخ ردوا عليه وان الحاج ادريس برز فى رده الذى

صممه القصيدة التى حربتها :

فصر لعنان يالى غرتو نفسو وطول السانو

وابغى ايكون شيخ ابقوة لغنان

كانت وفاته سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف .

(I) ص : 372 (2) ص : 48

(3) قام الاتاى : هيا (الاتاى : الشاى)

(4) تطلق التشلية على الماء القليل الذى ينظف به البراد بعد أن توضع

فيه حبوب الشاى . وقد جرت العادة أن يصب فى كأس تبقى فى
الصينية ، وكثيرا ما تختلط بكؤوس الشاى لاتخاذها نفس اللون .

ترجم له عباس بن إبراهيم المراكشي في الجزء الثاني من «الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام (I)» فنقل ما كتب عنه الحاج عبد العزيز بك المصري في رسالته المسماة «مختطفات الشوق من مقتطفات الذوق» (2)، حيث قال : «اجتمعت بشيخ ذاكر مذاكر مغربي الجنس والمقام وأدبى الخلق والكلام يقال له الشيخ أحمد الحداد بن عاشر صحبته رضى الله عنه أياما بعد رجعته من الحج والزيارة فوجدت في ظاهر أحواله على عمارة باطنه أكبر اشارة ووقع بيني وبينه من المحبة والالفة ما أهلني لأخذ أوراده جميعها من غير كلفة ، وقد كفاني في فضله ما رأيت له من الاوراد والصلوات الالهامية مع ما هو عليه من الامية والعامية كما اتى استدلت مما يظهر عليه من الوجد والهيام الذي ينجذب له كل من رآه من الانام ان الشيخ رضى الله عنه خارج من حضيض أراضى الطبائع والعادات عارج في أوج السعداء والسادات (3)» وذكر ابن إبراهيم أنه وقف له على مجموع أحزابه ويسمى «مجموع الاحزاب وتيقظ أولى الالباب ومفتاح الابواب لمن أراد القرب من رب الارباب» وقال انه سكن مدة أربعة أعوام مدينة مراكش حيث قال متوسلا برجالها السبعة قصيدته التي حربتها :

أهل البهجا الحمراء اسيوفكم بطار * مال سيفى ما بين اسيوفكم قاصه
وفى دخولها يقول :

أهل لحما فحماكم زايكت اوزار * واش ماعار اعليكم سربت لغنادر
أليوت الحضرا يا باهيين لسرار * بالنبي نتشفع خير لورى الطاهر
أنجوم اضياها ويا سحوب لمطار * للذى أرضو عطشاننا ابشوم قاهر
ثم ذكر أنه توفي في تاسع ربيع الثانى عام ست وعشرين وثلاثمائة وألف .

(I) الترجمة I29 من صفحة 271 الى 276 (الطبعة الاولى - المطبعة الجديدة - فاس)

(2) مطبوعة مع الحزب الاعظم للقارى شارح الشفا سنة 1300

(3) ص : 272

كذلك ترجمه والدنا حفظه الله في الجزء الاول من «أعلام الفكر
المغربى المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا (I)» حيث ذكر أنه دفن بالزاوية
الحراقية بدرب الزهراء في الرباط .

محمد بوزيان

من كبار أشياخ فاس في نهاية القرن الثالث عشر وأوائل الرابع
عشر الهجرى ، اشتهر باستعمال نشب الكلمة على حد ما تثبت قصيدته
«المحبوب» التى يقول في أولها :

محبوب خاطرى من فكدو عمدالى عمدالى والنوم ضاجر من لنجال
لنحال عل الخد دمعها سلسالى سلسالى تهوا كما لمطر هطال
هطال من افرق الى زاد اهبالى اهبالى من فكد من اهويت اغزال
اغزال اقلبها غيرو ما يحلالى يحلالى وصلو ايلا انعم ابلوصال

الحاج أحمد الغرابلى

من فاس ومن كبار أشياخ هذه الفترة ، كان يشتغل بالدرازة ثم
تركها للاشتغال بكتابة الحروز والتمائم . كان بارعا في «التضمين» كما
يتضح من قصيدته «ملكة» التى يقول في القسم الثالث منها وقد ضمن
القافية حرفى الدال والكاف :

ايلا اوفا ميعادك
روحى انهب لفداك
ننكى اعداى واعداك
نبغى اتودنى من ودك
وازيارتى اجعلها وردك
حتى احبيب مالى بعدك
يامن اقوام قدك

مرهاف اصقيل هازم اعدوك

ويحد من ايحدوك

اضفاير اسوالف بالطيب انسيهها ادكا

تسبى عقل الي ايشاهدك

واترصع لدرار دى اتناسب ديك

كذلك كان بارعا فى نشب الكلمتين على حد ما تثبت هذه الاشطار من

قصيدته «عين الرحمة» :

أعين الرحما الرحما يا قرت لنيام

يا قرت لنيام جد لى يا بحر التعظيم

يا بحر التعظيم والفضل يا عين الرحما

وقد كانت له مع معاصره ابن ريسون منافسة شديدة تجلت فى خصومتها

التي سبق أن ذكرناها (I) والتي تدخل هاشم السعداني (2) لا صلاحها

بقصيدته التي يقول فى حربتها :

الصلاة اعلى الماحى سيد كل ما فالحي ادرج ❖ لمفضل طه وازواجـ

زين الفلجـ

وكانت له أيضا مع احمد المدنى التركمانى المراكشى (3) مساجلة

مشهورة دارت حول الايمان والعمل سبق أن ذكرناها (4) ، قال فيها شاعر

مراكش قصيدته التي حربتها :

اللايم خلى لعباد كل واحد فى حالـ

الشهادا بالله وبالرسول تكفى مولاهاـ

(I) الفصل الثالث من باب «الموضوعات» لدى الحديث عن الهجاء

(2) من كبار أشياخ هذه الفترة ، يقال أنه كان يتاجر فى البلغة بسوف

السباط فى العطارين ، وكان له كناش بالدكان يدون فيه قصائده .

ووقع مرة حريق فى السوق فأحرق الدكان والكناش . وقد نقل عنه

أنه قال بأنه لا يستطيع من حفظه أن يعيد كتابته ، وبهذا ضاع غير

قليل من إنتاجه . وقد اشتهر بقصيدته «دخول وجدة» التي يقول فى حربتها:

بالاسلام ابكوا اعلى ادخول وجدا ❖ دون حرب اغنمها لعدو ونال المراد

(3) كان درازا بحى أبى صالح بمراكش

(4) الفصل الثالث من باب الموضوعات

وقال فيها شاعر فاس قصيدته التى حربتها :

الداعى بالجهل اصغ الهل العلم وما قالوا

الشهادا من غير اعمال ليس تكفى مولاها

ورد التركمانى بقصيدته التى يقول فى حربتها :

الداعى شهد والشهادا بالله وبالرسول تكفى

واكفات وكافيا وخير فالدنيا ولاخرا اكثر

والمومن نيتو افضل من اعمالو

ومن القصائد التى اشتهر بها الغرابلى قصيدته «لطف الله الخافى»

التى يقول فى حربتها :

يا لطف الله الخافى * الطف بنا فما اجرات به القدرا

وقصيدته «ملكة» التى يقول فى حربتها :

أرايت للمكا يا مولاتى المالك * لك العبد وكل ما ملكك

نصرو ملكا احمايت الملك

وقصيدة «المرسول» التى حربتها :

خبرنى يا مرسول عن اسراج اعيانى * وشمس انهار نظفر بوصالو عراض الزين

الله ينصر مولاي المزيان

وقصيدة «الخادم والحر» وهى التى حربتها :

قصا اجرت للخادم والحر * يوم ظلوا فخصام اكثر على المعيار

وقصيدة «لشرف الحسين» التى يقال انه نظمها فى مسجد سيدنا

الحسين بالقاهرة ، وكان يزورها فى طريق عودته من الحج ، وقد ضاع منه

زاده ؛ ولكنه لم يلبث أن عثر عليه بعد توسله بأبناء فاطمة الزهراء ؛

يقول فى حربتها :

طالبكم ضيف الله سارخونا ياهل احسان

من يقصدكم حاشا ايخيب يا هل البيت العدنانى

لشرف الحسين

كذلك اشتهر بنظم قصائده للذكر كهاته التى يقول فى حربتها :

يا حب الهادى ضى لرمماق * مللى نظرا فبهاه برماقسى

كان للفرايلى تلاميذ أشهرهم محمد جوسوس وعبد الهادى العامرى الذى وقفنا من شعره على قصيدة «فاطمة» ، وهما من أشياخ فاس . وكان له معاصرون لم يرقوا الى درجته ، منهم :

1 - الخاج العربى الرحوى الفيلىلى : من فاس ، يقال له «المعلم» وهو من فقراء طائفة احمادشة ، اشتهر بقصيدته فى «المحمل» ، وفى حربتها يقول :

غارا لله يالوالى * مولى مكناس جد برضاك اعليا

2 - عبد الهادى بنانى : له قصيدتان مطبوعتان على الحجر بفاس ، أخبرنا بهما الفقيه الباحث سيدى ادريس بن الماحى :

الاولى : «الدرة البهية فى مدح رجال الشاوية» فى ثمانى صفحات.

الثانية : فى شرح ما وقع عند الفتنه التى حدثت عند خلع المولى عبد العزيز ، فى أربع صفحات . وقد وقفنا من شعره على جملة قصائد .

3 - عبد السلام الزفرى : من أشياخ القصر ، ولكنه أقام مدة فى

فاس ، اشتهر بقصيدته «خلخال يامنا» التى يقول فى حربتها :

خلخال يامنا تفكيرا خلالتو وامشى لى * عجبى افيوم توفى واتقول أراهمانقول وله كذلك «الساقى» الذى يقول فى حربته :

كعب يا ساقى كاس السراج * كاس اعراقى فـعـراقى

ونـض الى طايح * وكعب للساهى باش ايطيـح

4 - الغالى السماتى : من فاس ، وكان رفيقا للزفرى وتلميذا له كذلك ، له

قصيدة «مولد النور» التى يقول فى أولها :

ابديت بسم المولى نعم لغنى الستار

باسمو نستفتح يا صاحى فاشعارى

وله قصيدة فى المدح والتوسل يقول فى حربتها :

يا رسول الله غثنى فنهار الميعاد

يا رسول الله ما يلى دونك حـد اسنيد

وقد اشتهر بقصيدة فى مدح آل البيت والتوسل ، هذه حربتها :

يا هل البيت اسىادى لامت لشراف

زمت فحماكم زومت لوصيف

لا تدوزونى يوم الموقف لعصيف

السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي

هو ابن السلطان الحسن الاول (I)، كان خليفة في مراكش لـ«
المولى عبد العزيز الذي تولى من سنة احدى عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة الى
خمس وعشرين، ثم اعتلى العرش بعد موت أخيه حتى سنة ثلاثين حين
تنازل لأخيه المولى يوسف بعد أن أمضى عقد الحماية الفرنسية على المغرب (2)
يعتبر من العلماء والمؤلفين، له :

I - العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل
2 - كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع (في الرد على أصحاب
الطرق)

3 - نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح
وهي كلها مطبوعة، وله كذلك :

I - منظومة في مصطلح الحديث
2 - الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع (في أصول الفقه)
3 - ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام
وكان المولى عبد الحفيظ الى جانب علمه وتأليفه شاعرا زجالا، له
ديوان طبع على الحجر بفاس دون تاريخ، يضم تسعا وثلاثين قصيدة أغلبها
في الغزل، وبعضها في الهجاء والتوسل.
ويبدو في غير كثير من هذه القصائد ميل الى العناية بالاسلوب يتجلى
في استعمال النشب والتضمين.

(I) يقال ان ابنا آخر للسلطان الحسن الاول كان ينظم الزجل وهو المامون،
وكان خليفة لوالده في فاس. وتنسب له قصيدة «زعرية» التي يحكى أنـه
قالها اشتياقا لزوجته حين تركها في مكناس وسافر الى مراكش. وهذه
القصيدة هي التي تقول حربتها :

خاطري سلبتو لي يا ولد سيدنا زعرية ابقات في مكناس الجمـرات
وتنسب للتهامي المدغرى.

(2) كان عقد الحماية في II ربيع الثاني سنة 1330 الموافق 30 مارس 1912
وكان تنازل المولى عبد الحفيظ لأخيه في 13 غشت من نفس السنة.
أما وفاته فكانت سنة 1937 في انجان لوبان حيث كان مبعدا عن المغرب ثم
نقل جثمانه الى فاس.

أما التضمين فنظم عليه قصيدته «زهرة» على حد قوله فى القسم الاول
منها جاعلا قافيته على حرفى الياء والسين :

وهو ياسيدى واهواك زاد ليا واعيت امعاه افلمقايس
وافنيت من اشغل هجرى اياسى * كيف ما يعياوا اعياس
لاش مانفها فقياس

ننشى قولى من سر صورتك ما يسلب لكياس

كيف ايسلبو فكرى اعيونها من دون القياس

من اتيه اشغال الزين والكياسا

امتا انشوف وجهك ماين اغراس حق ياسى

فرياض طابت الياسو

الورد والزهر والخيلى كحوان جار ياسى

وأما النسب فيتضح من حربة قصيدته «الحاجبة» حيث يقول ناشبا

بكلمتى الراس والناس :

من اسموم الهجرا واليه شاب لى راسى

راسى الحاجبا يهوى بدر الناس

الناس الى تعشق حالها ما تعدر بقياس

يسا حسرا الانفاسى

وقد ساورنا شك كثير فى أن يكون المولى عبد الحفيظ ناظم هذا الديوان

حقيقة ، وسألنا غير قليل من الاشياخ فوجدناهم يشكون كذلك ، بل أخبرنا

بعضهم أن الديوان نظم له أيام كان خليفة لاختيه فى مراکش ، وأن الدين

نظموه هم ثلاثة من كبار زجالى هذه المدينة كانوا من جلسائه ، وهم :

1 - الحاج أحمد الزغبات

2 - الكبير بن عطية الذى يقال انه كان كاتبا للبasha ابن داوود وأنه

توفى فى نهاية الربع الاول من هذا القرن ، وهو صاحب

قصيدة «بودلال اهنيا»

3 - الاحمر المرياق الذى كان معروفا بالوجد والذى يقال انه توفى

سنة خمس وسنين وثمانمائة وألف .

والواقع أن سبب الشك عندنا يرجع الى جملة ظواهر لا حظناها في

الديوان :

أولها : وجود قصائد بأكملها في الهجاء بالاضافة الى أن معظم

قصائد الديوان مختومة به ، فهو يقول في حربة أحد أزجاله :

لاش تظلم قوسك تركو المن اعتن * من لا يسبح في ابحور امواجو محسوب تحشنا

خلي ريحو ما قلبت اسفان

وفي دخوله يقول :

مادري رمز امعاني نايم الجفن * ولا يوصل للدواخل لمدارك في اعلومنا

من لا يدرك نهج اعيانو

مادري كيف ارقاوا الناس فالدهن * حتى صادوا من امعانيها كنز ما فنا

بنيان ابنا اقويم عن تيقانو

مادري من لا عتق الجسد من اسجن * يرمى جهل لعلوم فاقفر خليان من ابلادنا

يقطف مسموم ويهيج في تفنانو

واش تعتدا بفكرت الجاهل الفن

من لا يقرأ اكتب علمانو فاهم كيف اصنعنا

وقت ما يروى ايزيد امحانو

ويقول في آخر قسم من «المرسوم» :

شتم اقدسم شاننى * ما نرضاشى ابقولهم

نفخما تهللك تركنى * من شاتم في انظامهم

من يتعاطم ما يلوشان * حسبو ادميم مالو فالخلق امزيا

ما يرقى في ادروج اسنان * طبعو ابهيم ما فاز اكل انويكا

حتى لو طالوا بهتان * فالحين ما يرجعو الا مخزيكا

ويقول كذلك في القسم الخامس والاخير من قصيدة «كنت هانى» :

كل دعوا بفنون القول صاهضا * ناس الدعوات ما يلهم تفويض

ماداروا امعاني ترجيح ولقضا * حتما ليا انجبههم عى تربيض

كل مايا يفصح بها امخوضا * ليس يسوا اكلام ناس التخويض

ما نبالي بكلام الدور افلفضا * حق لهم جيت معراض اعريض

ولسنا نتصور شخصا جمع بين مركزين عظيمين : الملك من جهة بما يفرضه من سلطة وسطوة ، والعلم من جهة ثانية بما يكتسب من صبغة التجلة والاحترام ، ثم يكون له في نفسه هذا الاحساس بالمنافسة وما يترتب عليه من خصام وهجاء لرجالين آخرين ، مهما علا شأنهم فهو دون الملك العالم ، وما نظنهم كانوا يجروؤون على مواجهته أو مبادلته نقدا أو معارضة بله الخصام والهجاء ، وهو فن لا شك يقوم على المواجهة والتبادل .

الثانية : تغزله في نساء يذكر أسماءهن مثل :

«حجوبة» التي يقول في حربة قصيدتها :

واعلاش يا محجوب نساك وافراقك عز اعليا

وادموع اعيانى لضناك ساهرا داج

و«رقية» ويقول في حربة قصيدتها :

اليوم نبغى ارمزك يلمع بالشفير ❖ زورى رسمو ايزول حقا تخمامـو

بشرى بمجيك يالريم ارقيا

ويقول فيها قصيدة أخرى هذه حربتها :

كنت امسلى اقديم من قبل انشوف ابصارو

من هالت بالزيين ولفخسر

تستاهل فالريام تعظيم النصر ارقيا

و«امينا» التي يقول في حربتها :

شير بحداقـى ❖ واعط امدام صافى بالرضا الاشواق

بوجود امينا ليلت لبها شارقا

و«لالا ربيعا» وفي حربتها يقول :

الله ينصر زهو اللحظيين ❖ والظرافا مصباح الزين لالا ربيعا

لوجيبا نور المطبوع

وله فيها قصيدة ثانية يقول في حربتها :

ربيعا قوت الروح ❖ من اهوها نرجا منو اصلاح

يوم اتواصل بعطوف عاينا بفصاحا

و«زهرا» وهذه حربتها :

لازلت امن اهواك فانزاييه واعراس
كيف نقطع منك يا زهرا اياسى
وله فيها قصيدة ثانية هذه حربتها :
عنوا اليوم زارت زهرا لرسام ناكرا
ككوا قلبى اللى مما ادرى
من خزرات اللحظ منها واسهوم
و«هنيا» ويقول فى حربتها :
دام الله ابها امحاسنك من فاقت لهلال
قد اسهوم البين ولمزارى دون ادزيى
من لازال القلب كايراجى بك اهنيا
وهى ظاهرة نراها تتناقض مع تقاليد الملوك العلويين التى تقتضى عدم
الكشف عن نساء القصر والتصريح باسمائهن حتى لا يعرفن ، وخاصة من
تكون لهن مكانة فى نفوسهم .
الثالثة : المعاناة من الحب واطهار الخضوع والطاعة للمحبيب
على حد ما يبدو من حركات القصائد المشار اليها سالفا ، وعلى حد ما يقول
فى الابيات الاولى من قصيدة «الغروب» :
ذكرنى لغروب فى اصفورتو لونو مغيار
ظن اخليل اصفا من اقوال العادل بهديس
واتوارى لحجاب ترك رسمو منو مهجور
وافجات اسراى وحالتو عذت المدرار
من طعنوه اشفار الريام باللعنا فاضمير
واتهدم صبرو لادري من حكمو مشهور
واتمادى هولو من اسكاب ادموعى فسحار
واتحكم قولو افساكنى واسرع بالنذير
يا حسرا لسموم مالكى من صعبو بالنفور
ما حادر عيبى ولا فهم ابشارت لشفار
كن اظلام الليل حامل من قبحو تغيير

خلانى بضناه فى امهامه حكمو مقصور

وافنايا واصفورت ورقتى يعطوك لخبار

لاش اتزيد اتسال امن احوالو يكفيك اخبير.

والعارف من شوفت لعيون ايميز مدعور

ويقول فى حربة قصيدة «زهرة» :

بالتيه ولبها والشغرين اتزاد هول اعياطو

من يوم فيه زارت زهرا ونا فى احكام شطط

ويقول فى آخر قسم من قصيدة «هنية» :

من بايع للزين واللبا والتيه الدلال

وامطايب لحديث كاتخامر به اغنيـا

ما مثلو سلطان امن اسلاطن سعدويا

فمثل هذا الشعور لا يحسه ملك ما نظن الا أن الحياة كانت متيسرة

له بمختلف امكانيات اللهو ووسائل الامتاع ، وأنه كان يأخذ منها ، ان لم

يكن فى اسراف ، فبما يكفيه لوعة الحرمان . وحتى ان كان يحس شيئا من

ذلك الشعور فتخوة الملك تحول دون اظهاره والتعبير عنه ، الا أن يكون

حديثه فى ذلك من باب المحاكاة والتقليد .

ومع هذا فنحن نلاحظ ظاهرتين لعلهما تحولان دون ترجيح الشك الذى

ساورنا ان لم تنفياه :

الاولى : ان الديوان طبع فى عهد سلطنة المولى عبد الحفيظ كما

يتضح مما كتب فى الصفحة الاولى عنوانا له ، حيث نقرأ :

«هذا ديوان فائق ومجموع رائق بارع عظيم الشأن شامل الدرر المعانى

وفحوى البيان جمع من الملاحاة أصفاها وأعلاها ومن الرقائق والحكم أوفاهها

وأغلاها فأصبحت به نفوس ذوى الادب فى ابتهاج وهمم العوانى فى تحريك

وانزعاج ، وكيف لا وهو من بنات افكار من لا يضاهى نجاره ولا يماثل

فخاره ، كوكب الادب الوقاد ، الناظم النائر ، المشارك الحجة النقاد سلطان

البلغاء الذى تاهت العقول فى تصانيفه وحارت الاوهام فى فنون تصاريفه

أمبر المومنين ناصر الملة والدين سيدنا وولانا عبد الحفيظ ، لازال حسامه

منتصبا لكل فظ غليظ ، أدام الله نصره وتأييده وخلد ملكه وماثره العديدة
آمين» .

الثانية : تتجلى في النفس الذي يعلو هذه الازجال ، وهو
نفس - يبدو من الشعر الذي سبق أن مثلنا به - أنه غير طبعى ، نحس فيه
بعض التكلف ، كأن الناظم ، لطفيان اللغة المثقفة عليه ، يجد صعوبة فسي
استعمال اللهجة الدارجة وتطويعها للتعبير . ثم انا لا نلبث نلاحظ بعض
التعابير العربية التي لم نألفها عند الزجالين ، منها استعماله «حيص بيص»
في آخر بيت من أول أقسام قصيدة له في التوسل والاستغاثة حيث يقول :

من اعلا واطفى اتهد ذاتو يا لجليل
حتى يبقى ايشوف نفسو لدليلا
في حيص وبيص ما سالى بالحيلا

واستعماله المثل العربى «الصيف ضيعت اللبن» فى آخر دخول
قصيدة له فى الحكم حيث يقول :

عاد يبحث الشخص افير ما تقن * قل المن جايرمى اشهاقو فى اكلامنا
الصيف ضيعت البانو

واستعماله «خبط عشواء» فى أواخر أبيات قصيدة «الداعى» حيث
يقول :

لاتعانء جاهل يهوا امخابط * خبط العشوا ما يمثل تخباطك
والى معدور ما يخيظ اخياط

ادريس العلمى

شيخ أشياخ فاس بعد الحاج احمد الغرابلى ، أخذ عن الشيخ التهامي
الغرفى الفيلالى الذى كان مقيما فى فاس يحترف البناء . كان يقصده
الاشياخ من كل مدن المغرب ليأخذوا عنه كلامه ، ومن خارج المغرب كذلك
حيث يقال ان بعض أشياخ الجزائر كانوا يقدون عليه أمثال الحاج محمد
العلقا وقاضا الكصاب وعبد الكريم دالى والمنور التلمسانى ومولاي الجيلالى
الزيانسى .

كان بارعا فى قصائد «التصلية» ومدح الرسول عليه السلام ، على حد

ما تثبت قصيدته «عين الرحمة» التي يقول في حربتها :

يالهادى عين الرحما الحال ضاق * غشنا يا محمد طيب لخلـوق

ومن تصلياته هذه التي يقول فيها :

صلى الله اعليك يالماحى محمد ياشريف لاسم سيد لملاح

يا من بك الناس فارحـا

من شهد بك نال ربـحو واصلاحـو

اصلاتك كنزى ورأس مالى وربـحى واذخيرتى اصلاتك هى المفتاح

تفتح لى لقـال قاصـحا

واتلين لقلوب بعد يقصـاحـو

وكان بارعا كذلك فى قصائد التأمل والموعظة ، ومنها قصيدة وقفنا

منها على هذه الابيات :

لا غنى يرحم ابلـفقـير معـتا لقلوب اقـساها

اقسى من لحجر يفجر سيل ابـمـسا

لا صغير ايوقر لكبير قلت الناس احياها

والخمر والميسر والزنا جاهم يا محـلا

لاصلا فى اوقتها ولامن فيهم اداها

من غير الغيبا امع اشتم والكذاب الخـا

غرتهم الفانيا وعادت لهم انزاها

ولا انساوا الآخرا وكل واحد ماذا يـرجـا

ابسطنا لكفوف للذى خالقها مولاها

وينجينا سامع الدعـا من شر ويـلا

يكرمنا بالدين وليقين والخمسا واصلاها

والتقديس والحمد وشكر للمعبود اللـه

وقد ظهر تفوقه فى الغزل من قصيدة «غارو لعواتق» التي لم نوفق منها

الا الى هذه الابيات :

غاروا لعواتق من اجمالك ياد البدر الشريف يازهو العاشق

ياللى زينك ما رينـا

مكوانى فايق امن اجفاك أولفى جفنى وسيف تيهانك واسق

كل كهلى بحمول اسفـا

مدرا يا حادق واش قلبك عن محبوبو اشفيق من حالو شافق
ياللى غيرك ما نهواه
بالقول الصادق يالبدر عوضك مالى اصدىق لن حبك سابق
افلكنان امورث مـثـواه
والسابق لاحق امن اجبينى كتب اقلام اترفيق سبجان الرافق
ما يواخذ عبدو بخطاه
وقد وقفنا فى أوراق للشيخ أحمد سهوم على قصيدة فى رثائه لم يذكر
ناظمها ، نسوق منها هذه الابيات :
وكحت لعيون يا حبيبى من لدموع
والقلب من لفراق محسوسك امتطوع
والجسم ابد العذاب يا سيدى مصروع
والعقل امع الضمير بالشوق اتزعزع
واسيارى واهنا اوجدانى ملسوع
والنفس املاحقا افصدى للميع
والروح السايبر امع النعش المرفوع
يمتا تسخا ابذاك لضريح اترجع
الصبر اعلى لفراق ما عطانى طوع
بعد ما كان عند الشدات امطوع
باكى شاكى افريد ما رايم لجموع
انقيـل فالضنا ونمسي نتزع

مجهـد المدغرى المكنى العيساوى الفلوس

آخر كبار أشياخ فاس ، توفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف
وهو دون الستين . انتسخنا غير قليل من قصائده من كنانيش لاحد حفاظ
شعره كان يشتغل معه فى الدرازة هو السيد ادريس المرونى الفاسى .
كان ينظم فى كل الفنون ، ولكنه اشتهر بالقول فى الموضوعات
الدينية ، ومن خير الامثلة على ذلك قصيدته التى يقول فى حربتها ، وهى

فى مدح الرسول عليه السلام :

صلى الله اعليك يالتقى محبوب الباقي * ينا مول الحجا الواثقا
يا محمد صاحب اللوا والتاج والبراقى * لغرامك لخلاق شايقا
وقصيدته التى يقول فى الشوق للديار المقدسة ، وهذه حربتها :

يا مولى زكى اسمى باسم الحاج * ابجاه من حج وطاف وزار حرم طه
وقد اشتهر كذلك بقصائده الوطنية ، ومنها هذه القصيدة التى مدح بها
محمد الخامس ، وفى حربتها يقول :

دام الله ايام صولت النور المحمدي

من به اضوا نجم غربنا سيدى محمد

حاز الفخر ومجد ولمزيا نجل المهتاد

سلطان المغرب نورنا سيدى محمد

ومنها قصيدة «النجمة» التى رمز بها للحرية ، وقد جعل الليل والنهار

يتصارعان من أجلها ، يقصد بالليل الاستعمار ، وبالنهار الوطن ، يقول فى
حربتها :

سمعوا يا حضار ما جرى للضى البهيم

عن حسن النجما اتحاربو فى ساير لاكم

وانصار الضى وحازها الرسمو وانحاز اللوم

وقد ذكر لنا الفقيه السيد محمد بن الهاشمى الفاسى - وهو من حفاظ

شعر الفلوس - أن كثيرا من قصائد هذا الشاعر الوطنية ضاعت بسبب

احجام المنشدين عنها لخوفهم من سلطة ادارة الحماية ، بل ان الفلوس نفسه

خشى الامر بعد أن حذره رجال السلطة فأخذ مجموعة من قصائده الوطنية

ودفنها فى احدى المقابر حتى لا يعثر فى بيته على شئ منها اذا ما فتش ،

علما بأنه كان غالبا ما يخفى اسمه «محمد» فى قصائده بمثل هذه الرموز :

(1) اسمى لللا والبا .

(2) اسمى كعب .

(3) اسمى عبك .

وهى كلها كلمات مجموع قيمة حروفها اثنان وتسعون ، وهى قيمة

حروف م ح م د ، ولكن السلطات الاستعمارية كان لها من عيونها وجواسيسها من يدركون مثل هذه الرموز .

بنعيسى السدران

أكبر زجالي مدينة مكناس منذ بداية القرن ولا يزال ، وهو رجل مسن يناهز الثمانين وأمي ، كان يشتغل بالدرازة ومنها اكتسب لقبه ، زارنا في بيتنا بفاس مدة أيام أملينا علينا خلالها بعض قصائده وقصائده غيره ، وأفادنا بأخبار ومعلومات كثيرة يتصل جلها بمعاصريه .
يكاد كل شعره يكون في الغزل ، ومن قصائده التي يعتز بها «زهرة» التي يقول في حريبتها :

بمزاري بمزاري * حدى بوصالك نبرا

يا مولاتى زهرا

ويقول في دخولها :

سلطان حث اسكن لي فصميم السيار

يا راحت لعقل يا فرت لبصار

يا طلوع البدر السيار

شف دمعى هاوى مدرار

ورخ اسطار

فوق لحدود بجهار

والبين زاد حسرا

وكند جمرا

اكدات حمرا

ما تطفئها امياه لنهارى

ولا اطبيب يوقى من ذا التشحار

ثضارى ثضارى * افنا ونرجا مول القدرا * يشفى ذاتى تبرا

الحاج محمد بن عمر الملقونسي

شيخ أشباح مراکش ، زرناء في بيته حيث قضينا معه يومين أمل

عليها ثلاثها من كنانيشيه مقطعات من فصائنه وعين فلبلي من لغواته... وقد ذكر لنا أنه تداد على الشيخ اسماعيل عميد الزجل في وقته ، وأنه كان ينظم في سراج مولاي . ومف (I) جند الملك الحسن الثاني ، وإن عمره الآن يقرب من الخامسة والسبعين . وهو من جانب غير يمين من المعركة سار من المعراء والكنابة . ينظم في كل يوم . ودهم واكب بزجله لجمركه الوطنية في عمر كتي ينظم صائمه في زمة نفى محمد الخامس سنة ثلاث وخمسين . سعمثة وألف .

ومحمد من كلامه في سرابة أنه خير من نظم غيرها من أنياخ العصر . ومن مربية له يصف : **يا** الشعب على امر نفى السلطان بسوق عنه **تبيبات :**

يا عمر محمد يوم السبت بابت ارجال
فالمدين خرجت بطراردها كتنانيل
شبان افحول خارجين اكفول
دلهذا جذبان الحال سار في حال
كل واحد بلسانو كيصرخ قايل
وينادي فالحجاييف ولحفول
يا هل الشعب المغربي اكهول واطفال
ما بقى بعد اليوم اصبر يا لسايل
بـ الشعب بالجمع اتقول
يوم الخميس (2) امسى وبقى العترب مازال
عمر الثورا مانها الشعب حامل
واليوم اهلو سيبو الحول
والشيخ ابن عمر لا يجوب مع أحداث وطنه الصغير محسوب ، وإنما هو يجوب كدش مع رفيع الوطن الكبير على حد ما تنب قصيدة فالحها في حرب المستعربين الأخيرة (3) . هذه حربها :

(1) تولى على اثر تنازل أخيه مولاي محمد الحفيظ سنة 1330 هـ الموافق سنة 1912 م ونوفى سنة 1340 هـ الموافق 1927 م حيث خلفه نجله محمد الخامس .

(2) إشارة إلى أن الذي تم يوم الخميس (20 غشت 1953) .

(3) خامس يونيو 1967 .

صوتوا: بينت المفاسد يا رجال المحجـ صرخوا الذين ياهل لبمان
واحده من نعلنا تفر مموسا ر اليهود

ومن ربيع ما الشبيخ بن عمر به سراربه به طنانه قصائده العزلة
كما تبت هذه الاب من «أميننا» :

أميننا حبر حبران	»	اعلى نبيبران
كاديا مصمم لوجده	»	وميط اكمانى
أهبة هاذى السوزان	»	أو الطوروهـ
فوق نـ أبو الوبيد	»	عـالجـريـانـى
أميننا عيسى ليهـان	»	مسمـى سـنـان
لاتخلىسى ولحرمـان	»	راه اضنـانـى
أميننا مائى بهـان	»	مائـى يـفـظـان
كيف به انقل ولـان	»	وميط امكانـى
أميننا على مـلان	»	مـجـمـ واحـزان
مانقى ينعنى كمـان	»	بيـن امـحـانـى

ممنوعان النكاح

أكثر شيوخ الرباط المعاصرين ، ومن كانت تشده اليهم المرحلة
والانسف أنا ثم نسركه حيث كان عند نوعي حين بدأنا على بعد الفن .
كان كتب النظم من التزامات السياسية والاقتصادية على حد ما . تكشف
عنه قصيدة له في التوبة ، يقول في حريتها :

يا طالب المسـن تب وانعم ما أمر « رينـا
وفى بعض أقسامها يقول :

حدثك بلسـان	»	ساكن الساكن كان اتريد وعظنا
والى زاد ايـان	»	ما حشر قمر اللى بكرهنا
قالوا ناسى ازمنـان	»	ولا نى لما فصر الى «جـنا
لو صاروا جـان	»	ما يدو شمرنا نفعنا وضـنا
وانى المى مـان	»	كيدايـن أمرى معروف عندنا
منا وافى صدـان	»	عمر من كمره اغـب ابـ امليـنا
سال اهل السـان	»	والحديث ايخبروك ابغايت لنا

وانصت للقرآن * لا تجسس على لقوام المؤمنين
 واجز هل لحسان * ابلحسان أو بدعوت خير عمننا
 لا تشهد نقصان * افلعباد اللى بالمولى اميننا
 لا تعمل عديان * غير زوج اللى هم اسباب اذنبنا
 لفسق والشيطان * خالف امرهم قبل انشاهد لفنا
 ومن شعره فى غير هذا الموضوع قصيدة فى الهجرة النبوية ، هذه
 حربتها :

يا محمد يا خير خلق الله * صلى الله اعليك يا طه

عبد القادر الجراوى

من كبار أشياخ الرباط وأحد أعضاء جوق الاذاعة للطيرب الملحون ،
 وهو تلميذ الشيخ عثمان الزكى ، تذاكرنا معه غير ما مرة فأفدنا منه ؛ ولعله
 أكثر الاشياخ المعاصرين ثقافة ومعرفة بأصول الزجل وقواعده . له دكان فى
 حى فران الزيتونة يبيع فيه الدقيق ، وكان من قبل يحترف فيه النجارة .
 من انتاجه قصيدة فى أزمة البون «بطاقة التموين» يقول فى حربتها :
 حرت ابلقت لبزار والفاخر
 والزيت والسمن والصابون امع السميد عاد اهموم السكر
 وقصيدة فى الذكر حربتها :

اللهم صل على النبى راكب البراق
 محمد الزكى نعم المجيد التقى
 وله فى معارضة «الداعى» (I) لعباس بوستة المراكشى قصيدة هذه
 حربتها :

تاك بشار السعد وفرحنا اكمل
 ومن اظلمنا القى افعالو واعمالو
 الويل رام لو * ولى عند الناس فالمهلا

(I) وحربتها :
 راب سور الدعى واتشتت الشمل * وارجالو ما جزوا ليه اعلى مالو
 جاء عاملو * لمرقى شانو افكل اعمالا

وفى أحد أقسامها يشير إلى فرنسا وما لاقت من هزلات في الحرب العالمية
وما واجهت من الوطنيين في حركة «اللطيف» المشهورة ، فيقول :
يا من أعيا كهلو بتقال ادلحمل ❖ فالحين ارميه جاب ربي حمالي
اللى ايحملو ❖ ملا كان افطرعو لحمالا
غير حايير كان امن لجور لبس من ❖ ويفول اعمام ابليوش وعمالو
ومن احتملو ❖ ورصاوا اشروطو ابغير ايমা
كان ظنو باقى داشروط ينكمس ❖ ككن الله جاب لو من رتمالو
ابشر دام لو ❖ بسيوف اللطيف والبسملا
بعد عزو فيامو صادف لهمل ❖ ضاع املكو وزاد بهلو وابمالو
الهم شاملو ❖ عاد يشتهى طرقت الحمالا
بات ملك واصبح ينكس لخمى ❖ ويختم فى ابلاه شى ايكون اعمالو
واسقام لو ❖ ليس اوجد لبدو اولا لكمالا
ومن أروع شعره قصيدة «ألف باء» تتبع فيها حروف الهجاء ، ليس فى
أول الايات فحسب وانما فى القافية كذلك ، يقول فى حريتها :
يا راسى من لوزار نب ❖ واسترجع من وهم لعبوب
تنتهى واترك فعل الذنوب ❖ خاف الله لسواب
يبدأها بقوله على حرف الالف :
أسم المولى فالمبتدأ ❖ ساس النظام اقمأ انشأ
واللى بها جيحو املا ❖ يدرك بها مرتساب
الى أن يقول على حرف الياء :
يارب كمل لى ارجلى ❖ جاوز عنى وامحى اخطاى
يوم اسؤلى ايحضرو امعاى ❖ ليس يعجز افلجواب
م يختمها بموسم ينتبع فيه الحروف على هذا النحو :
بالالف الف بيننا ❖ وآتى بالنصر الديننا
انبعو مهاج ايفينا ❖ ايعود احكمنا غلاب
.....
بالياء سر أمر الضعيف ❖ عبد القادر يمشى اخفيف
..... ❖ م يمشى ع مستب

بوضوح أن القصيدة دائية حسب جعل السريء ماء في كل الابيات ، ولكنه
نوع في ثوابي الاضطار لثلاثة الاولى من كل بيت . وقد ذكر لنا أنه يطلق
مثل هذا الاسلوب اسم الدربة والعزودة والمرشوش (I)
والشيخ الحراري بعد عنه يمزج بمصيده في «المعراج»

المعراج

شيخ أنصباخ الرباط ، الرئيس ، المحلي باوي ، «لضرب الملحون» بالاذاعة
المغربية ، وهو على قسطنطين ، من «الدرية» ، يسأل عن مصيده في السرى
الرئيسية للخضر . أطلعنا على بعض كنا شمس ، من سخره بنفسه ، والحرمان
كشعر نظمه في الغزل ، من تلك قصيدته «فوزية» التي يقول في حريتها :

صل بجمالك عن جمع لبنات يا قد الرايا
ياخدود الورد المفتوح ياغزالي فوزيا
وقصيدته «نزهة» وهذه حريتها :

آش يزها من لايزها ايزين مولاتي نزاها
آش را من لاغنم امع لغزال فرجا وانزاها
وقصيدة «كريمة» وفي حريتها يقول -

جسد ابغاييت لمرام : يا مصباح الخودات لالا كريميا
بردنني رانا المشرورم : نضحني سالي مكرورم
ومن أروع قصائده «الحمام» ، يقول في حريتها :

لله لاحمام ادي عنواني امع السلام
لسييغت النواجل آمنة زينت السميما

و «الخاتم» وحريته :

خاتم ولقي تاج لبها اتوضر وامشي لي -

كيف المعمول ايلا اتسمال عنو درت لجمال
كما أن له بعض القصائد ينظمها في المناسبات الوطنية كقصيدته التي
قدم في الصيف الماضي بمناسبة ذكرى «ثورة الملك والشعب» في العشرين

(I) الدربة المرفعة : العزودة : دودة سوداء مخططة بالاصفر : المرشوش

من سميت ، والتي بقول في حريمها :
من اعطوها ذكرى بمن اتسمال تاريخ امته
بيرة ذلك امع الشعب بزم لـ
لكن الحق ماد دابة ابي واكم منواه

رَجُلٌ مُسْتَعْرِضٌ

رجل من مستعريين كبير من الجاهلين عمر من دكره ، منهم من وعظما
على صديق من ابيهم (2) ، منهم من لم يترك لهم في من ، امرى بقية اهد
لدينا ان نسمعهم اذ يمد بعضهم معربة حسب مسهم :

أولاً : مساكش :

I — العباس الحرار : صاحب «الشبهة» التي بقول في حريمها .
ياغابط فاحوال القانيا مسرحي في شرف اللجب بعد كجاني بياض
وله «الفجر» ، يقول في حريمه :
يخط جفك يانايا — قم اتودي حق لكريم من لاياام
مولانا خير ودايم

وقد وقفنا له من قصائده على «الوصاية» وعلى قصيدة نثرية .

2 — أحمر الراس : كان يرمي في قلب القصائد ومسها ، وقد
سبق ان مبنا لذلك (2) .

3 — عباس بن بومنا : كان غريباً ، رطبه من مدحه على سلات
بصق له ، سدا على جوار الناس و سنان في الهجاء . سدا سلات مصبها
منبه يقول في حريمه :

ياغرب ياغرب امع مغربها — اغرب غريب سديرا به اشربها
من اغرابو بن اهدو عربا

كان يرمي على الحكمة والموعظة ، ومن أشهر أبياته التي مدرت
كامل قوله :

(I) انظر دليل الملاحق بالرسالة .
(2) انظر قسم الجزء الاول من فصل «مع الحياة» من باب الموضوعات
في كتابي «القصائد» .

يحصد حب لكذوب من ازرع المحال

4 — محمد الروداني : لـ «خديجة» ، وفي حربتها يقول :

يا هلى رغبو فىا بوشفار وداجىا ۞ شمس الضحا الواضح كمرىا فى داج

فى داجى فى داجى كان راجى لك اخدوج

5 — محمد بن موسى الشريف : كان بارعا فى النظم على وزن مكسور

الجناح ، ومن شعره نسوق هذه الابتهالات :

مرغت فى ابواب رحمتك هاذا لحدود

وانويت فىك يا سيدى ظن اكمل

ايلا اعصيت أنا عبد اذليل

طامع فالخير اقريب اجزيل

ما نخاف امن الدنيا ايلا اصفات ايمانى

ومن اطلب شى ايقصدو ايلا اصفات النيا

وقد وقفنا من قصائده على : «لغزال محمد» و «الحجام» و «زينب»

6 — عبد الرحمن بن الحاج الطاهر : كان دباغا ، توفي منذ نحو ربع

قرن ، له «شمعة» ولكنه جعلها خصاما بين بنت البر وبنت البحر ، اذ

أن الشمع اما ان يتخذ من شهد النحل أو مسحوق السمك ، وهى فريدة

من نوعها ، يقول فى حربتها :

غنمى غايت لغراح الشمعا بك أبنت الطميم لخلق زاهيا

عيدى لى سبت لبكا من قادم للآن

7 — ولد احجام .

8 — مولاي ابيه .

9 — محمد بن لكبير : من كبار الاشياخ المعاصرين ورئيس «جمعية

هواة الملهون» ، قابلناه فى احدى زيارتنا لمراكش ، وهو مسن يناهز الثمانين

ومن قصائده التى يعتز بها قصيدته فى حرب فلسطين الاخيرة

وهذه حربتها .

الله اهل لسلام بادروا بالتوبا واستغفروا وطلبوا مولانا

يفجى هذا الغما اعلى لجميع ايشفى لمصائب

10 — محمد المختار سرايى : اشتهر بقصيدته «مول الكمية» التى

قالها في الشيخ عبد العزيز التباع . ونذكر - ونحن في سن الطفولة - أنه كان يزور السيد الوالد كلما حل بالرباط وأنه كثيرا ما كان ينشد قصيدته المشار إليها «الفياشية» ، وكنا نحفظ غير قليل من أبيات القصيدتين لكثرة ما كان ينشدهما .

وهو ينظم في المعرب كذلك ، ومن شعره فيه قصيدة يمدح بها السيد فتح الله بناني الرباطي شيخ الطريقة الفتحية الدرقاوية ، يقول في أولها :

آل فتح لكم جمال بديع * طاب أصلا ومنه طابت فسروع
لاثحا في الوجود بدرا منيرا * ماله مشبه ولا من يروع
طلعت شمسه على الكل بالفتح يراها * من كان فيه ولوع
طبق الارض ذكره وله * في كل افق من الفتوح جموع
بل ان اللغة المعربة كانت تطغى عليه حتى في زجله على حد ما يبدو

من الابيات الاولى لقصيدته «مول الكمية» حيث يقول :

أَمْوَالُ الْكِمِيَا	لِلَّهِ غَيْرِ اعْلِيَا
اُطْلُبْ رَبِّي فِيهَا	يُوفِي لِيَا قَصْدِي
بِكَ اقْسَمْتُ لِلَّهِ	وَبِحِجَاهِ ارْسُولِ اللَّهِ
قَدْرِكَ مَا نَتَمَنَّا	أَطَالِعُ السَّعْدَ

II - محمد بن بوستة : من الاشياخ الناشئين ، قابلناه في بيت شيخه الحاج محمد بن عمر بمراكش فأملى علينا نص «التوزيع» التي اشترك في نظمها مع الشيخين ابن الكبير وابن عمر والتي تقول ردمتها (I) :
 وادرك هاد للمريض باللفظ الخافي

ثانیہ : فاس :

I - الهادی بنانی : کان عطارا

2 - محمد الجابري : كان درازا وكان معروفا بالوجد ، له «فاطمة» .

3 - محمد لحو : صاحب قصيدة «البون» التي حربتها :

يا نعم المستنار * جد برحمتك يا كريم غشنا

توفي منذ سنوات قليلة

(T) للمؤيزة ردة «كالبروي» . وهو الاسم الذي يطلق على آخر شطر .

4 - عبد العزيز بن ادريس الوزاني : وقفنا على قصيدة «سابع الشفر»
وأخرى في المدح النبوي ؛ ويقال ان له قصيدة في «الزهو» فاق فيها التهامي
المدغري . ومن أشهر شعره قصيدة في مدح الرسول عليه السلام ، يقول
في حريتها :

عول ياساهي اعلى الرحيل احتال * اصغ افابت الرسال هاك لمثال
واتعلق فالماحي اوزوكة فالبتول اترك لخديل

5 - عبد العزيز اعنون : وقفنا من شعره على «أم كلثوم» .

6 - محمد الشقوي : له «الياسمين»

7 - الطيب الدباغ : له التوسل الذي يقول في حريته :

عاري اعليك يا محمد * لله لا اتشافي فيا لعدا

8 - محمد الدباغ .

9 - غلال العلوي : هو أخو محمد بن عرفة الذي نصبته حكومة
الحماية الفرنسية سلطانا على المغرب بعد أن نفت محمد الخامس . وهو
مقاوول في البناء ، قابلناه في فاس ، ووقفنا من انتاجه على قصيدة «المجد»
من مطالع قصائده قوله :

أنا تكلي فالله يوقيني * لتقديم الدائم من لا ينام اولا اتراه اعيان
جيد لجواد الا ايحافيني * المالك لكريم الغنى من لا تنطرد من بابوسعبان
ومن قوله في المدح النبوي قصيدة هذه حريتها :

صلوا على الرسول التقى طه ايمام هل ليقين

محمد الشفييع الشافع من جا ابشير بالقران

ومن شعره في الوعظ قصيدة «الفجر» التي يقول في حريتها :

يسارب جـ جدلى * بالتوبا أباسط السنسر

نخلف ما ضاع افلعمسر * نفسدي ما ضاع لى

اخطيا وانعود امقابل لفجر

أخبرنا شيخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملحوني أن الشيخ العلوي من

أحسن زجالي فاسي المعاصرين .

10 - عبد القادر الودغيري : تلميذ يوزبان ، كان درازا في فاس م

الشيخ بن ر . وقفنا على قصيدة من شعره

المؤمن ايكون 'شمس' و 'صحيح' فالله

عند باب التوحيد احببى حق يحميه

لو ايكون افحلقوم الليث فاتح الهياه

ينحضا بقدره السميع ما يحاويه

ولو ایكون افمنصب الحجار حاط بعضاه

یتبعدی مفدی ابراهیم ما اتا دیسه

ولو ايكون اعلى نحمرو من سيف ممضاء

ينفدا ممدی اسماعیل طوع أبیه

ولو ایكون ادخل بطن الحوت ست اخطاء

ینفذا مفدی ابن کنعان یونس انبیہ

هكذا حال امن اختبارو الحسى مناز

للصبر ينحاز افراحو ايبادر ايهـون

ومن شعره الغنائي قصيدة «جمهور البنات» وفيها يقول :

آش را من لا را هیفات بلید حاضر فیها واثبات

بالكياسا، والمميز اكما اشهوتسى ❖ والباقا فالزهو الا فيها بـاسـ

وڪلي وحدا تنهض فرحا ابنورتي * بجفال امنظما للزهو انفساس

من صوت الباهيات وخفض حساس

حيث وقفوا للرقص افجات كمربتى * دى عن هاذى اتميس كفصن الياس

II - أحمد سهوم : من أشيخ فاس المقيمين في الرباط ، كان له

طوال سنة خمس وستين وتسعمائة وألف برنامج يقدمه في الاذاعة بعنوان

«ركن الادب الشعبي» استغدننا منه . وقد أطلعنا على بعض الاوراق والتقاييد

فَمَدَامَا مِنْهَا غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ النُّصُوصِ وَالْمَعْلُومَاتِ . وَفِيهَا وَقَفْنَا لَهُ عَلَى قَصِيدَتَيْنِ :

أحداهما «محكمة الضمير» والثانية في تهيئة مؤتمر القمة العربي الذي

انعقد بالدار البيضاء في سبتمبر من السنة المذكورة .

وَمِنْ شِعْرِهِ كَذَلِكَ فَصْبَدَةُ قَالَهَا فِي مَدْحِ الْمَلِكِ الْحَسَنِ الثَّانِي بِمُنَاسِبَةٍ

الدروس التي يحييها في شهر رمضان المعظم ، يقول في حريتها :

بیاداحت لرواح ولقلوب امع لفکار

والمهجات ولكباد يا رمز وحدة شعبنا

يا تاج اوطانا الحسن الثانى

وله من القصائد الغزلية «سعاد» ، وفى حربتها يقول :

يا لى سعدى بك اسعداد * فى اركابك ساير لسعداد
سعداتي ياسعد منك اسعدادى * سعد سعدى بهلال اسعود السعديا

ثالثا : الرباط :

1 - الشيخ فاضل : كان حجاما

2 - الشيخ التهامى : ابنه ، ويذكرون أن له قصيدة جفريه قالها
فى التنبؤ باحتلال فرنسا للمغرب تسمى «الموندو» ، والاسف أنا لم نهتد
اليها

3 - المعطى بن صالح الشرقى : وقفنا من شعره على قصيدتين فى
«الذكر» .

4 - محمد بن احمد الشرقاوى : شيخ عثمان الزكى ، له قصيدة فى
قبة بناها السلطان الحسن الاول يقول فى حربتها :

فرحوا يا اهل النيا جل افرايح * اعلى فرحتنا يفرح كل اوطان
اعلى قبتك ومولاى الصالح * بانيتها لهما سيدنا مولاى الحسن
5 - الشيخ محمد الضعيف : وقفنا من شعره على قصيدة فى مدح
الرسول عليه السلام .

6 - التهامى بنانى : كان «مجادليا» أى حرارا وكان من الذاكرين
وأهل الجذب ، وهو شيخ الريش

7 - المكى الريش : كان ينظم فى الذكر وهذه حربات بعض قصائده

أ - اللهم صل اعلى لحبيب المحبوب التقى * محمد خير لورى انعشقوا

ب - يا عشاق النبى الماحى * صلوا وسلموا اعلى كوكب للماح

ج - تهاما ناس لحسان * نسعى من قلبى ولسان

غارا يا قنديل وزان * يامولاى عبيد الله

8 - بوعزة الدريبكى : من قسبة الودايا ، اشتهر بقصيدته التى

حربتها :

عذرونى يا هلى ولاش اتلومونى هكذا افحالى

سروا خلوا كل حال ايسير اعلى حالسرو

9 - محمد بن يوسف : انسخ لنا من شعره قصيدة فى المـدح

النبوى .

10 - محمد الفلوس العلمى : كان خرازا ، اشتهر بالذكر ، وهذه

حربة بعض قصائده فيه :

يا عشاق النبى الهادى * صلوا وسلموا اعلى شافع لعداد

11 - الشيخ احنو : اشتهر بقصيدته «زهرة» التى يقول فى حربها:

أنا امزأوك افزينك أسلطانت لبور

ألا ازهور

من بك طلعت الزهرا * وانت لا ازهرو

12 - الطاهر افير : كان حرارا

13 - ادريس بن بوشعيب : ويعرف بالغياط مازال على قيد الحياة

ويقول فى المناسبات .

رابعا : سلا

1 - أنجار : صاحب «الذهبية المشهورة» .

2 - محمد الشليخ : له قصيدة «الكاس»

3 - الحاج محمد بن على : وهو غير محمد بن على المسفيوى نزيل هذه

المدينة ودفينها

4 - العربى معينو : ذكر الادريسى فى «كشف الغطا» (I) أنه كان

صاحب كتاب قرآنى .

5 - الشيخ البرى : له «المرحول» لزيارة بعض الصالحين .

6 - حمان النجار

7 - حسن يعقوبى : اشتهر بقصيدته «العصرية والزمنية» .

خامسا : أزموور :

1 - احمد بن رقية : وقفنا من شعره على قصيدة «الشمعة» . له

قصيدة في «الزهو» يقول في حربتها :

الزهو فكتوب التنزيل والسرار الى موهوبا من لجليل العالى
ولفراسا فى هل لعقول

2 - البصير الزمورى : انتقل الى العرائش وبها توفى ودفن ، يقال
ان له «الحراز» و «الادريسية» و «اليوسفية» وهى قصيدة فى
سيدنا يوسف .

3 - ادريس الزمورى : يعتبر من كبار الاشياخ . ولكن شعره نبت
لاتصاله بسلطة الحماية ومدحه لرجالها وأعوانها . وقفنا مسن
شعره على قصيدة قالها فى تدشين محمد الخامس لمدارس باب
شالة . وهو أخو المرحوم أحمد الزمورى الذى تولى قضاء مدينة
الدار البيضاء .

سادسا : تطوان :

1 - محمد المودن التطواني : له قصيدة فى مدح محمد الخامس .
2 - محمد حسن : أمدنا بغير قليل من النصوص ، وله قصيدة فى
ذكرى المنظرى مؤسس مدينة تطوان .

سابعا : أسفى :

1 - ابراهيم السوفانى .
2 - محمد بن على الدمناتى : انتقل الى أسلا وبها توفى ودفن ، وقصا
على جملة من قصائده .

ثامنا : وزان :

عبد العزيز الوزانى : أحد أشياخ هذه المدينة وعلمائها ، له قصيدة
فى الشوق لزيارة البقاع المقدسة يقول فى حربتها :

الرياح فى اصلاتو هما واتجارا
أيارب لعباد كمل قصدى بمشى النجح ونطوف
ونشاهد لبقيع والبيت وعرفا

تاسعا : شفشاون :

محمد العلمى ولد زيطانة : وقفنا من قصائده على «فاطمة» و «التوبة» .

مباشرة : تصفيحات :

سدي أحمد لحبيب : ذكر الادريسي في «كشف الغطا» (I) أنه من طبقة عبد العزيز المخرأوى .

السادس عشر : صفرو :

لحسن الصفريوي : يقال انه نظم في احدى الليالي ست قصائد في «لزهو» . ذه من منذ حوالي خمسة عشر عاما .

السادس عشر : بني هلال :

مولاي عبد الرحمن بوطيب .

الثلاث عشر : الدار البيضاء :

مولاي أحمد بن عبد السلام العلوي : من علماء هذه المدينة العدول ، أطلعنا على ديوان له نظم أغلب قصائده في فترة الشباب وقبل أن يبدأ دراسته بالقرويين . اتصلنا به أكثر من مرة وحاولنا مذاكرته في الفن ولكنه كان يصرح لنا بأنه لم يعد يخوض فيه .



ويجده ، فإذا كان لنا أن نقول كلمة عن القصيدة الزجلية في العصر الحديث فهي أنها تجددت في صور ونماذج غدت لها سيطرة على هؤلاء الاشياخ الذين ذكرنا وعلى غيرهم ممن لم نذكر ؛ خضعوا لها مشدودين الى من سبقهم من الشعراء ، ينبعون ظلهم ويحتذون نماذجهم ، قانعين برؤيتهم لا ينظرون الا من خلالها ، وبتعابيرهم وأساليبهم لا يحيدون عنها ، عاجزين عن الانطلاق في ميدان التجربة والابداع ، لا نجد عندهم غير أفكار وصور متكررة تتردد بنفس اللفاظ ، بعيدة عن احساسهم الذاتي وعن روح العصر . وحتى الذين عانوا تجربة ما فانهم لا يحاولون استيعابها والتعبير عنها من خلال واقع حالهم الوجداني وتعمقه لاستخراج أفكار ومعاني وأقوال جديدة ، ويكتفون بالنظر الى ما عند غيرهم يقتبسون منه دون محاولة لتكييفه أو تطويره ، وذلك يصي درجات الجمود والتقليد ، لا يعضها الا الفناء والموت .

المصادر

مصادر عامة

أولا - المخطوطة :

- I - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب
لعبد الرحمن الفاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان 326 ك - 2302 ك
- 2 - أعلام الفكر المغربي المعاصر في العدوتين الرباط وسلا
لعبد الله بن العباس الجراي (والدنا حفظه الله)
مخطوطة المؤلف (الخزانة العباسية)
- 3 - الاقنوم في مبادئ العلوم
لعبد الرحمان الفاسي
خزانة الرباط العامة : نسختان II 2I د - I5 ك
- 4 - بلوغ الامل في فن الزجل
مخطوط الزيتونة 4467
- 5 - ثمرة أنسى في التعريف بنفسى
لسليمان الحوات
مخطوطة خاصة للاستاذ سعيد أعراب
- 6 - جميع نواميس الكنيسة والقانون المقدس
المكتبة الوطنية بمديرية 4879
- 7 - الحسام المشرفى في الرد على اكنسوس المراكشى
للعربي المشرفى
أ - مخطوطة خزانة الرباط العامة ك 2276
ب - نسخة مصورة بخزانة الرباط العامة رقمها I207
- 8 - الدر المنضد الفاخر فيما لابناء مولانا على الشريف من المحاسن
والمفاخر
لابى عبد الله محمد بن عبد القادر بن احمد الكلالى الشهير

بالكردوى

خزانة الرباط العامة رقم 1584 D

9 - الروض الفائح بأزهار النسيب والمدايح (ديوان شعر معرب)

لنجاح ادريس بن علي السناني لحنش

خزانة الرباط العامة 1378 ك

10 - روض الآداب

لاحمد الحجازي - ثلاث نسخ :

مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 4017

مكتبة أحمد الثالث (قصر توبكابي - اسطنبول) 2293

مكتبة راغب باشا (اسطنبول) III5

II - رياض الورد الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد

لمحمد الطالب بن الحاج

خزانة الرباط العامة 396

12 - سجع الورق المنتجة في جمع الموشحات المنتجة

للسخاوي

مكتبة فاتح (السليمانية - اسطنبول) 3918

I3 - السفينة (الجزء الرابع)

لمباركشاه

فيض الله Feyzullah مكتبة ملت Millet (اسطنبول) 1612.

14 - شرح على نوبه أبي الحسن النيسري

لاحمد زروق

مكتبة دير الاسكوريال 4186

15 - شرح العقيدة العتيقية لسعيد النلمساني وتسمى : «الآداب

الرقية في شرح العقيدة ، وان شئت قلت الدرة الانيقة في شرح

العقيدة ، وان شئت قلت التحف المهدية في شرح السعدية»

لمحمد بن ناصر المعروف بابي رأس

خزانة الرباط العامة 1656 د

- 16 - العاقل الحال والمُرخص الغالى
لصفى الدين الحلى
مكتبة بايزيد (اسطنبول) 5542 (علما بأنه مطبوع ، نشره
هوينرباخ)
17 - العقيدة الادبية فى السبعة فنون المعنوية
لاحمد الرباط
مكتبة اسعاد أفندى (السليمانية - اسطنبول) 2867
18 - فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح المختار
لابراهيم التادلى
خزانة الرباط العامة 3285 د
19 - فهرسة
لمحمد التاودى بن سودة
الخزانة العباسية رقم 3388 (خزانة السيد الوالد) .
20 - كتاب الحايك فى الموسيقى الاندلسية
الخزانة العباسية (غير مرقم) .
نشره فرناندو مارتينيز ولكنه اقتصر على ايراد كلام الحايك و
التعريف بالنوبات وترجمته دون ايراد النصوص (انظره فى
المطبوعات الاجنبية) .
21 - كتاب مجموع موشحات .
مكتبة أيا صوفيا (السليمانية - اسطنبول) 2243
22 - لحن العامه
لابن هشام اللخمى
مكتبة دير الاسكوريال - نسختان : 46 - 99
23 - مجموع قصائد وموشحات فى المديح النبوى مرتبة على نوبات
الانشاد .
لاحمد بن محمد العربى أحضرى المراكشى (مخطوطة خاصه
بالكاتب)

24 - مسالك الابصار وممالك الامصار

للعمرى

جامعة اسطنبول AY 4355

25 - منظومة فى الموسيقى

للحوات

المكتبة الملكية بالرباط 4229

26 - موسوعة المغرب العربى (يشرف عليها المكتب الدائم للتعريب بالرباط

مادة : الآلة (الموسيقى)

لعبد الله بن العباس الجرارى

27 - النور اللامع البراق فى ترجمة محمد الحراق

لمحمد بن العربى الدلائى الرباطى

مكتبة تطوان العامة (وتوجد نسخة بخزانة الرباط العامة

رقمها 960)

ثانيا : المطبوعة :

أ - الكتب العربية :

28 - الابتهاج بنور السراج (شرح على منظومة سيدي العربى المسطرى)

لاحمد بن المامون البلغيشى

مطبوعة محمد أفندى مصطفى - مصر 1319 .

29 - ابن سناء الملك أو مشكلة العقم والابتكار فى الشعر

للدكتور عبد العزيز الاهوانى

مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة 1962 .

30 - البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1948 .

31 - البيان المغرب فى أخبار المغرب

لابن عذارى المراكشى

طبعة لبنان

- 32 - اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس
لعبد الرحمن بن زيدان
الطبعة الاولى - الرباط .
- 33 - أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم
للمقدسى
طبعة ليدن 1909
- 34 - الاحكام فى أصول الاحكام .
لعلى بن حزم الظاهري
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة - مصر
- 35 - الزاوية
للتهامى الوزانى
مطبعة الريف - تطوان - 1942
- 36 - أزهار الرياض فى أخبار عياض
لاحمد المقرئ - تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم اليبارى وعبد
الحفيظ شلبي نشر المعهد الخليفي للابحاث المغربية - بيت
المغرب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1940
- 37 - الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى
لاحمد بن خالد الناصري
طبعة القاهرة 1894 - طبعة دار الكتاب 1956 (الدار البيضاء) .
- 38 - الاعلام بمن حل بمراكش واغماث من الاعلام
لعباس بن ابراهيم
الطبعة الاولى (المطبعة الجديدة) فاس 1936 .
- 39 - الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب
لمحمد بن الطيب العلمى
طبعة حجرية
- 40 - الانيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس

لمحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن أبی زرع
طبعة حجرية

41 - تاج العروس من جواهر القاموس

لمحمد مرتضى الزبيدي

42 - تاريخ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر

لمحمد المحبى

المطبعة الوهبية - مصر - 1284

43 - تاريخ عبد الرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتسدا

والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوى

الشان الاكبر)

مطبعة بولاق

44 - الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا

لابى القاسم الزيانى

نشر عبد الكريم الفيلى - وزارة الانباء - المغرب 1967 .

45 - التشوف الى رجال التصوف

ليوسف بن يحيى التادلى المعروف بابن الزيات - تحقيق

أدولف فور

نشر معهد الابحاث العليا المغربية - 1958

46 - تفسير القرآن العظيم

لاسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى

الطبعة الثالثة - مطبعة الاستقامة - القاهرة 1375 (1956)

47 - جناوة الاقتباس

لابن القاضى

طبعة حجرية

48 - جواهر الكمال في تراجم الرجال (القسم الثانى من كتاب

أسفى وما اليه)

لمحمد الكانونى

المطبعة العربية - الدار البيضاء

49 - دائرة المعارف الإسلامية

الترجمة العربية - القاهرة

50 - دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

لمحمد بن علي بن مصباح المعروف بابن عسكر

طبعة حجرية

51 - ديوان أبي الحسن الششتري

تحقيق الدكتور علي سامي النشار

الطبعة الاولى - الاسكندرية 1960

52 - ذكريات مشاهير رجال المغرب (العدد السابع)

لعبد الله شتون

53 - الرحلة

لابن بطوطة

طبعة باريس

54 - رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا

لاخوان الصفا

طبعة صادر - بيروت

55 - رسائل موحدية

نشر ليفي بروفسال

56 - ركب الحاج المغربي

لمحمد المنوني

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1953

57 - رياض النفوس

لابي عبد الله المالكي - تحقيق د . حسين مؤنس - القاهرة 1951

58 - الزجل في الاندلس

للدكتور عبد العزيز الاهواني

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957

- 59 - السعادة الابدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشيه
لمحمد بن عبد الله الموقت
المطبعة الحلبيه - مصر - 1341
- 60 - سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر
لابن معصوم
طبعة مصر
- 61 - الشذرات (التقاط الفوائد و غرر العوائد)
لمحمد الرضى السناني
مطبعة بوشنتوف - الدار البيضاء
- 62 - صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر
لمحمد الصغير الافرانى
طبعة حجرية
- 63 - الطقاطيق الشعبية
لبهيجة صدقى رشيد
نشر اللجنة الموسيقية العليا - سلسلة تراثنا الموسيقى
القاهرة .
- 64 - العربية دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب
ليوهان فوك Johann Fück ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار
مطبعة دار الكتاب العربى - القاهرة 1951
- 65 - فى اللهجات العربية
للدكتور ابراهيم أنيس
الطبعة الثانية - لجنة البيان العربى - القاهرة 1952
- 66 - القاموس المحيط
لفيروزبادى
- 67 - قصة الموال
لميلاد واصف
القاهرة

- 68 - القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب
تصنيف نور الدين عبد القادر
المطبعة النعالبية - الجزائر
- 69 - كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء
لادريس الادريسي
الطبعة الاولى - الرباط 1935
- 70 - كشف القناع عن آلات السماع
لابي علي الغوثي بن محمد الجزائري
مطبعة جوردان - الجزائر
- 71 - الكنز المكنون في الشعر الملحون
لقاضي محمد الجزائري
المطبعة النعالبية - الجزائر 1928
- 72 - لحن العوام
لابي بكر محمد الزبيدي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب
الطبعة الاولى - القاهرة 1964
- 73 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الاثير
طبعة الحلبي - مصر 1939
- 74 - المحاضرات
للحسن بن مسعود اليوسبي
طبعة حجرية
- 75 - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن
لمحمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي
طبعة حجرية
- 76 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب
لعبد الواحد المراكشي - تحقيق سعيد العريان ومحمد العلمي
طبعة القاهرة

77 - المغرب في حلى المغرب

لابن سعيد تحقيق الدكتور شوقي ضيف

طبعة دار المعارف - القاهرة

78 - المقدمة

لابن خلدون

مطبعة بولاق

79 - مجمع الاسماع في ذكر الجري والسماع وما نوما من الاتماع

لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن القاسمي

طبعة حجرية

80 - المناقب

لمحمد بن أحمد الحضيكي

الطبعة الاولى

81 - المن بالامامة عن المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم

الوارثين وظهور المهدي وتاريخ الموحدين

لابن عبد الملك البرجي المعروف بابن صاحب الصلاة - تحقيق

عبد الهادي التازي

82 - نشر المثاني

لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري

طبعة حجرية

83 - نقد النشر

لقدامة بن أبي جعفر - تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد

العبادي

نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1938

84 - النهاية في غريب الحديث والاثار

للمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير

85 - نوبة الاصبهان

تنقش Aracadio de Jarrea بمساعدة الفريد البستاني

نشر معهد الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية -

تطوان 1956

86 - نيل الابتهاج بتطرين الديباج

لاحمد بابا التمكنى

طبعة فاس 1317 هـ .

87 - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

لاحمد بن خلكان

طبعة القاهرة 1355

ب - الكتب الاجنبية :

A. BEL 88

La religion musulmane en Berbérie (établissement
et développement de l'Islam en barbarie).

E.F. Gautier 89

Les siècles obscurs du Maghreb

Fernando Valderrama Martinez 90

EL concionero de EL-HAÏK

Instituto General Franco de estudios E investigation
hispano-arabe Tétuan 1954.

H. de castries 91

Les gnomes du Medjdoub - Paris 1896.

Jean Léon Africain 92

Description de l'Afrique :

Ed. CH. SCEFER - Paris

J. Scelles - Millie et B. Khalif. 93

Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète
maghrébin du XVI S

G. P. Maisonneuve et Larose - Paris 1966.

Louis Brunot : 94

a- Sur le thème verbal F'al en dialectal marocain.

Mélanges W. Marçais - Paris 1950.

- b- Introduction à l'arabe marocain. 95
G.P. Maisonneuve et Cie Paris 1950.
M. EL FASSI 96
Chants anciens des femmes de Fés
Editions Seghers - Paris 1967.

ج - المجلات :

- 97 - مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية - العدد 12 السنة الثانية
يوليوز غشت 1966
(الملحون بين ماضيه وحاضره لاحمد سهوم)
98 - مجلة البحث العلمي - العدد الاول - السنة الاولى ، يناير -
أبريل 1964 (المغرب)
(الادب الشعبي المغربي الملحون لمحمد الفاسي)
99 - مجلة البحث العلمي - العدد الرابع والخامس - السنة الثانية،
يناير غشت 1965 .
(لغة الملحون لمحمد الفاسي).
100 - مجلة البيئة - السنة الاولى - العدد الرابع - غشت 1962
(المغرب)
(نظرة عن الادب الشعبي بالمغرب لمحمد الفاسي)
101 - مجلة تطوان - العدد الخامس 1960 (المغرب)
(من أدبنا الشعبي لعبد الله كئون)
102 - مجلة هسبيرس (المغرب)
Héspéris TX 1930 Fas 1 (G.P.S. Colin : notes de dialecto-
logie arabe)
103 - مجلة هسبيرس
Hespéris 1938 1^{er} trimestre (M. T. Buret : «Sidi quaddur EL-
alami notes biographiques» dans : communications)
104 - مجلة الفنون الشعبية - العدد الاول - السنة الاولى -
القاهرة 1965

أ - (المأثورات الشعبية للدكتور عبد الحميد يونس)

ب - (الشعر الشعبي في تونس لمحمد المرزوقي)

105 - مجلة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - العدد الخامس 1957

(الدكتور محمود مكي)

Egipto y la historiographia arabico - espagnola

106 - مجلة معهد المخطوطات (جامعة الدول العربية - القاهرة)

المجلد الثالث 1957

(الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة)

للدكتور عبد العزيز الاهواني .

Annales de l'institut d'études orientales Faculté des 107
lettres de l'université d'Alger T. 4 1938 - P 8

(مقال حول تعريب الشمال الافريقي لوليام مرسي)

W. Marçais)

مصادر النصوص الزجلية

أولا : المخطوطة (مجاميع وكنائش)

أ - مجموعة الخزائن العامة :

1 - خزانة الرباط العامة :

108 - مجموع رقم 774 . حرف د

109 - مجموع رقم 960 حرف د

110 - كناش رقم 1518 حرف د

111 - كناش رقم 1656 حرف د

112 - كناش رقم 2067 حرف د

113 - قصيدة رقم 1115 حرف د (الجمهور للعلمي)

114 - قصيدة رقم 1458 حرف د (دالية ابن رموية)

115 - قصيدة رقم 1480 حرف د (ذكر لعبد الورات)

116 - ديوان في الثناء على حمدون بن الحاج (روضة النيلوفر نناء

الناس عليه وبعض مناقبه التي هي أعظم من الادفر) : رقم

383 حرف د

- 117 - كناش رقم 108 حرف ج
118 - كناش رقم 595 حرف ج
119 - كناش رقم 1644 حرف ك
120 - كناش رقم 3027 حرف ك
121 - كناش رقم 165 حرف ق
122 - قصيدة رقم 1017 حرف ق (الفياشية)

2 - مكتبة تطوان العامة :

- 123 - مجموع رقم 589
124 - مجموع رقم 866

3 - خزانة مراکش :

- 125 - قصيدة الكفيف الزرهوني في هزيمة أبي الحسن المريني
بالقيروان في آخر مجموع رقم 184

4 - المكتبة الوطنية بهامريد :

- 126 - مجموع اشعار غير مرتب رقم 5307

5 - مكتبة دير الاسكوريال :

- 127 - مجموع رقم 523

ب - مجموعة الخزائن الخاصة :

1 - المكتبة الملكية بالرباط :

- 128 - مجموعة قصائد للمغراوي رقم 860
129 - كناشة عبد الله الشرقي رقم 5958
130 - كناش رقم 1502
131 - كناش رقم 2097
132 - كناش غير مرقم يضم قصائد لعبد الله الهبطي

2 - خزانة الاستاذ ادريس بن الماحي :

- 133 - كناش أغلب قصائده لعبد القادر العلوي (رمزنا له ب : م 1)
134 - كناش يضم قصائد للتهامي المدغري (رمزنا له ب : م 2)

3 - خزانة الاستاذ عبد السلام بن سمودة :

I35 - كناش (رمزنا له بـ : س)

4 - خزانة الفقيه محمد الهسكوري :

I36 - كناش رمزنا له بـ : هـ

5 - خزانة الشيخ الزجال مولاي احمد بن عبد السلام العلوي :

I37 - ديوانه (رمزنا له بـ : ع)

ج - مجموعة الكاتب الخاصة :

I38 - كناش رقم 1

I39 - كناش رقم 2

I40 - كناش رقم 3

I41 - كناش رقم 4

I42 - كناش رقم 5

I43 - كناش رقم 6

I44 - كناش رقم 7

I45 - كناش رقم 8

I46 - كناش رقم 9

I47 - كناش رقم 10

I48 - كناش رقم 11

I49 - كناش رقم 12

I50 - كناش رقم 13

I51 - كناش رقم 14

I52 - كناش رقم 15

I53 - كناش رقم 16

I54 - كناش رقم 17

I55 - كناش رقم 18

I56 - كناش رقم 19

157 - كناش رقم 20

158 - كناش رقم 21

159 - كناش رقم 22

160 - كناش رقم 23

161 - كناش رقم 24

162 - كناش رقم 25

ثانياً : المطبوعة :

163 - ديوان الاخضر بن خلوف (الجزائري)

164 - ديوان فائق ومجموع رائق للسلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي
طبعة حجرية

165 - ديوان محمد الحراق

أ - طبعة حجرية

ب - طبعة مكتبة المعارف بمكناس .

166 - كتاب نفع الازهار ووصف الانوار وأصوات الاطيار ونغم
الاوراق .

Anthologie d'auteurs arabes

اختيار القال عبد الرحمان وبخوشه محمد

المطبعة المهدية - تطوان 1934

Sonneck - 167

chants arabes du Maghreb - 1885

A. Fischer - 168

Das liederbuch eines marokkanischen Sangers (Leipzig 1918)

ثالثاً : النشأة : (انظر كذلك فهرس الاذاعة الملحق بالدليل)

169 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 18 (تسجيلات الكاتب الخاصة)

170 - شريط تسجيل بأربعة وجوه رقم 21 (تسجيلات الكاتب

الخاصة)

الفهرس

د	تصدير للدكتور عبد العزيز الاهواني
	مقدمة :
1	دوافع تناول الموضوع
2	متاعب ومصاعب :
2	موقف المشفقين
4	المصادر
7	منهاج البحث
9	عرض الدراسة
19	<u>مدخل : القصيدة الزجلية والغناء الشعبي</u>
20	أنواع الغناء في المغرب
21	انشاد القصيدة الزجلية
24	الآلات المصاحبة للانشاد
28	كيفية الاداء
35	طريقة السرد
37	شعبية القصيدة الزجلية
	<u>الباب الاول : الشكل</u>
45	<u>الفصل الاول : مفهوم الزجل وأنواعه</u>
46	أولا : مفهوم الزجل
46	معنى الكلمة
47	أصل التسمية
50	سبب استعمالنا لكلمة زجل

54	أسماء أخرى :
54	الملحون (أصل التسمية به)
57	العلم الموهوب
58	السجية
58	لكلام
59	النظم أو النظام
59	الشعر
60	القريض
60	لوزان
60	الغيا
61	العلم الرقيق
61	لكريحة
62	ثانيا : أنواع الزجل
62	تقسيمات مختلفة :
65	البرولة
67	العروبي
69	المزوكي
70	الموال
70	السلامات
70	العيطة
75	الطقطوقة
77	أعيوع
78	الدقة
79	غميوان بن يازغة
81	أبيات الحكمة

الفصل الثانى : اللغة والفنية

84

85

مراحل التعريب

96

نشأة العامية

103

خصائصها

104

خصائص عامة

108

ظواهر خاصة

111

جوانب بلاغية :

111

البلاغة والشعر العامى

114

التجنيس أو الجناس

115

التصريف

116

التضمين أو التلزيم

117

النشب

118

استخدام نوع معين من الكلام

121

فنية الاسلوب :

121

التشبيه والمقارنة

123

الحركة والحيوية والتشخيص

124

الحوار

125

القصة

126

الرمز

127

لمحات نقدية

130

الفصل الثالث : العروض

131

البحور :

131

أساس بحور الزجل

133

تفعيلات خاصة

135

المهيت

140	مكسور الجناح
142	المشتب
144	السوسي
147	بناء القصيدة :
147	مقدمة القصيدة : السراية
149	أجزاء القصيدة
160	القسم الاخير
167	الدريكة
169	نموذجان للايضاح
174	نظام القافية :
174	البراعة في التقفية
175	القافية في الاقسام
185	القافية في المقدمات
189	القافية في الدريكة
190	عيوب القافية
	<hr/> الباب الثاني : الموضوعات <hr/>
197	<hr/> الفصل الاول : المرأة <hr/>
199	أولا : المحبوبة
199	ألقاب وأوصاف
204	أوصاف عامة مفصلة
207	صورة مكتملة
217	أوصاف من خلال المقارنة
219	الوشم
223	ثانيا : المحب
223	الشكوى

233	الطاعة
235	المعانة
241	محاولة الوصول :
241	بالرجاء والاستعطاف
242	بالتعاب
245	بارسال مبعوث
247	بالقضاء
251	بالحيل
257	الوصول
264	ثالثا : الحب
264	صورته
266	حكمة من تجربة الحب
270	رابعا : ملاحظات :
270	التغزل في أكثر من واحدة
271	الغزل بالمدح
273	الرمز بالغزل
275	مدى الصدق في الغزل
277	<u>الفصل الثاني : في الحياة</u>
280	الخمر والطبيعة :
280	أولا : الخمر
280	أسماءها
282	أوصافها
283	قصتها
285	الساقى
287	نظام الشرب وأدبه

287	أواني الشرب
288	الوقت المفضل للشرب
291	مجلس الشرب
296	الرفقة
296	الاعراض عن الخمر
297	الاعراء بالشرب
300	الاستمتاع بمذاقات الحياة
302	الاستغفار
303	الخمر الصوفية
305	ثانيا : الكون والطبيعة
306	1 - الكون :
306	الغروب
309	الليل
314	الفجر
315	بين الصبح والليل
318	2 - الطبيعة :
318	الربيع
320	الازهار والاشجار
324	مناسبات التنزه
325	ملاحظة : شعر الفكاهة
331	الزهد والحكمة :
332	النظرة الى الدنيا
335	الموت
336	الضييق بسلوك الناس
341	نصائح وتوصيات
345	أدب سلوك ومعاملة
348	التحريات والتشاؤم

354	الاحداث والتأمل
369	ملاحظات :
369	مدى التجاوب مع المجتمع
372	الخطاب في الوعظ
375	قصائد للتذكير بعظمة الله
377	<u>الفصل الثالث : مع الناس</u>
378	المدح
389	الرثاء
397	الهجاء :
404	هجاء متبادل
412	لعراض أو المعارضة
419	الفخر
420	السولان (السؤال)
423	الخصام
441	ملاحظة : تخيل الخصام في غير الانسان
451	<u>الفصل الرابع : في حمى الله والرسول</u>
453	حب الرسول
456	أوصاف الرسول وشمائله
466	المولد
472	الوفاة
478	المعراج
479	التصلية (الصلاة)
487	الغاية من المدح والصلاة
493	الشوق والحنين للبقاع المقدسة
501	التوسل

511	مدح الاشراف والاولياء
525	ملاحظة : العشق الالهى
531	<u>الباب الثالث : الاعلام</u>
533	<u>الفصل الاول : مرحلة النشأة</u>
534	أسماء ونصوص قديمة :
537	ابن غرلة
540	عبد المومن الموحدى
540	رميلة أخت عبد المومن
540	ابن خبازة
541	ابن حسون
543	ابن سبعين
544	ابن شجاع التازى
545	الكفيف الزرهونى
546	المنصور الاعمى
546	مولاي الشاد
547	عبد الله بن احساين
549	أصل القصيدة الزجلية :
549	الزجل الاندلسى ؟
552	الموشحات ؟
554	شعر العرب الوافدين ؟
555	عروض البلد ؟
556	الاغانى والمرددات الشعبية ؟
561	<u>الفصل الثانى : مرحلة التطور</u>

- 562 عبد الله بن احساين
567 جهاد الحمري
570 محمد بن علي بوعمر
578 الحاج اعمارة
581 محمد بن عبد الله بن احساين
585 ادريس الميرني
587 عبد العزيز المقراني
592 المصمودي
594 ركود في نهاية هذه المرحلة
596 زجالون متصوفون :
596 عبد الرحمن المجذوب
597 محمد الشرقي
599 محمد بن يحيى البهلوي
600 عبد الله بن محمد الهبطي
601 عبد الوارث الياصوتي
602 محمد بن ريسون
603 احمد بن غلال الشرايلي
603 زجالون جزائريون :
604 أبو عثمان سعيد التلمساني
608 أحمد التريكي

609 الفصل الثالث : مرحلة الازدهار

611 الجيلالي امتيرد
616 الحاج محمد النجار
619 عبد القادر بن عبد الرحمن بوخويس
620 محمد بن علي العمراني

625	محمد بن سليمان
627	محمد بن قاسم العميري
629	عبد القادر العلمي
639	محمد الحراق
643	التهامي المدغري
649	بعض معاصريه
650	أحمد الكندوز
652	محمد الموقت
653	مولاي علي شقور
654	شاعران من شفشاون
655	أحمد بن علي الدكالي السلاوي
656	الحاج ادريس بن علي السناني لحش
658	أحمد بن عاشر الحداد
659	محمد بوزيان
659	الحاج أحمد الغرابلي
662	بعض تلاميذه ومعاصريه
663	السلطان مولاي عبد الحفيظ
669	ادريس العلمي
671	محمد العيساوي الفلوس
673	بنعيسى الدراز
673	الحاج محمد بن عمر الملحوني
675	عثمان الزكي
676	عبد القادر الجراي
678	الحاج محمد العوفير
679	زجالون آخرون :
679	مراكش
681	فاس

684	الرباط
685	سلا
685	أزمور
686	تطوان
686	أسفى
686	وزان
686	شفشاون
687	تافيلالت
687	صفرو
687	بنى ملال
687	الدار البيضاء
688	المصادر
704	الفهرس



تنبيه واعتذار

نلفت نظر القارىء الكريم الى :

1 - أننا عمدنا الى كل الكلمات التى يستهل نطقها بسكون ، فبدأناها

بحرف ألف حتى يسهل الاهتداء الى هذا النطق .

2 - أننا لم نتمكن فى كل الرسالة من كتابة القاف التى تنطق جيا

مغلقة كافا بثلاث نقط ، كما جرت العادة بذلك ، والسبب ان

التصنيف تم فى ثلاث آلات (اللينو) لم تكن تتوفر منها على

الكاف المنقوطة الا واحدة . كذلك حاولت الثانية تميزه بكتابه

بالاسود ، اما الثالثة فلم تميزه وكتبته كافا مجرداً

ونعتذر له عن الاخطاء المطبعية التى قد يصادفها والتي حاولنا جهد

الامكان تلافيها بالتصحيح اكثر من مرة . كما نعتذر عن

بعض الهفوات التى حدثت عند الطبع النهائى ، والتي لاحظنا منها

خلال المراجعة السريعة اثنتين :

1 - فى صفحة 593 سطر 9 وقع خلط فى عجز البيت ، وصوابه :

قطات لكتاب اطواتو

2 - فى صفحة 630 نسيت كتابة سطر ، محله بعد السطر الثانى وهو :

الله فنمت الى الصباح فوجدت القار اكل سواد الصحيفة دون

بياضها